

القول المكتوب في تاريخ الجنوب

(موسوعة تاريخية حضارية)
(من قبل التاريخ - ق ١٥هـ / ق ٠ - ق ٢١م)

الجزء الثلاثون

أ . د . غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ بجامعة الملك سعود والملك خالد سابقاً

الطبعة الأولى
(١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م)

القول المكتوب في تاريخ الجنوب

(موسوعة تاريخية حضارية)

(من قبل التاريخ - ق ١٥هـ / ق ٠ - ق ٢١م)



الجزء الثلاثون



أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ بجامعة الملك سعود والملك خالد سابقاً

الطبعة الأولى

(١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م)

عنوان الكتاب :	القول المكتوب في تاريخ الجنوب (موسوعة تاريخية حضارية) (من قبل التاريخ - ق١٥هـ / ٠ - ق٢١م)
الجزء :	الثلاثون
عدد الصفحات :	٦٨٠ صفحة
اسم المؤلف :	أ. د. : غيثان بن علي بن جريس
ايميل المؤلف :	Email:ghithanjris@gmail.com
رقم الطبعة :	(أبها- المملكة العربية السعودية)
رقم الإيداع :	الطبعة الأولى : ١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م
الترقيم الدولي :	٢٠٢٤/٣١٩٠٢
	٩٧٨ - ٩٧٧ - ٩٧١ - ٠٩٤ - ٥



دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد
تليفون : 00201211132879 - 00201030502390
بريد الدار : mohamedhamdy217217

المدير العام : د . فاديتي محمد هندومتي

التنسيق الداخلي ، وتصميم الغلاف : نبيل كمال - ت : 00966 559852754



الفهرست العام لمحتويات الكتاب

م	الموضوع	الصفحة
١-	المقدمة.	٧
٢-	القسم الأول: بلاد تهامة والسراة في عصور ما قبل التاريخ، والعصور التاريخية القديمة. بقلم. أ. د. مسفر بن سعد بن محمد الخثعمي .	١٤
٣-	القسم الثاني: موضوعان علميان في تاريخ وحضارة جنوب الجزيرة العربية (سراة وتهامة) في عصور ما قبل الإسلام .	١٣٦
	أولاً: مدخل	١٣٦
	ثانياً: نمط الأسير المبشر في الرواية المبكرة عن دخول المسيحية جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام. بقلم. أ. د. عبدالعزيز محمد رمضان .	١٣٩
	ثالثاً: رد أوهام المؤرخين والنقاد حول جنوب الجزيرة العربية (تهامة والسراة) والشعر الجاهلي. بقلم. د. محمد أحمد فتحي .	١٥٨
	رابعاً: رأي ووجهة نظر .	٣٤٩
٤-	القسم الثالث: بحوث تاريخية، ولغوية، وتعليمية في جنوب شبه الجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية الوسيطة، والحديثة .	٣٥٢
	أولاً: توطئة .	٣٥٢
	ثانياً: وقفات مع طريق الحج التهامي من جازان إلى مكة المكرمة عند بعض الجغرافيين المسلمين الأوائل (ق٣-ق٨هـ/ق٩-ق١٤م). بقلم د. محمد بن علي بن محمد عسيري .	٣٥٥
	ثالثاً: تسع رحلات مجهولة في الجزيرة العربية، أين أمانة العلم في مراكز البحوث؟ بقلم. أ. د. عباس بن علي السوسوة .	٣٧٩
	رابعاً: بعض الأوبئة في قضاء بني شهر (١٣٠٥-١٣٢١ هـ / ١٨٨٧-١٩٠٣م) (دراسة تاريخية تحليلية). بقلم. أ. د. زهير بن عبدالله بن عبدالكريم الشهري .	٣٩١

م	الموضوع	الصفحة
	خامساً: الإدارة العسكرية البريطانية في الحديدة (ديسمبر / ١٩١٨ حتى يناير / ١٩٢١م). بقلم. جون بولدرى. ترجمة: أ.د. عبدالودود قاسم مقشر .	٤١٣
	سادساً: شذرات عن تاريخ التعليم العام والعالي في محافظة القنفذة خلال قرن (١٣٤٤-١٤٤٥هـ / ١٩٢٥ - ٢٠٢٤م). بقلم. أ. غازي بن أحمد الفقيه .	٤٦٣
٥-	القسم الرابع: مقالات تاريخية وحضارية مختصرة عن السروات وتهامة خلال العصرين القديم، والإسلامي (الجزء الأول) .	٤٧٦
٦-	الخاتمة : نتائج وتوصيات .	٥٦٣
٧-	ملاحق الكتاب العامة .	٥٦٧
	أولاً: ملحق الوثائق .	٥٦٧
	ثانياً: سيرة ذاتية مختصرة .	٦٧٧



المقدمة

الحمد لله الواحد الفرد الصمد، الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وعلم الإنسان ما لم يعلم. والصلاة والسلام على النبي المصطفى خير خلق الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، الذي بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، فلا خير إلا دل الأمة عليه، وسبقها إليه، ولا شر إلا حذرنا منه، وكان أبعدنا عنه، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إن رحلتي مع: موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب، تجاوزت العشرين عاماً. وصدر الجزء التاسع والعشرون من هذا الكتاب الموسوعي في مطلع عام (١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م). وسبق أن أشرت في أكثر من مكان إلى أن معظم مادة هذه الموسوعة ركزت على بلاد تهامة والسراة، الواقعة بين بلاد اليمن والحجاز، وذكرت مرات عديدة أن هذه الأوطان عاشت عصوراً طويلة في طي النسيان والتجاهل من قبل العلماء والمؤلفين الأوائل قبل الإسلام وبعده حتى القرن (الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي) ^(١).

(*) الناظر في مادة هذا السفر الكبير (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (ثلاثون مجلداً) يجد بعض العيوب العلمية والتنسيقية والمنهجية والتوثيقية، ومنها:

١ - عدم وحدة وتقارب الموضوعات زماناً ومكاناً وتجانساً، بل كل جزء يشتمل على عناوين مختلفة ومتفاوتة في موادها العلمية، وفي الأبواب والمجالات التي رصدت شيئاً من التاريخ والتراث والموروث والحضارة التهامية والسروية عبر أطوار التاريخ.

(١) إن الباحث في تاريخ وتراث وحضارة السراة وتهامة يجد حقيقة وصحة ما أشرت إليه. فهذه البلاد فيها حياة بشرية منذ العصور الحجرية، ولها تاريخ وحضارة تقدر بالآلاف السنين، لكن إذا اجتهدنا في معرفة أي شيء من هذا التاريخ، فلا نجده مكتوباً أو موثقاً. مع أن الباحث في الآثار المادية المدفونة والسطحية يجد لمحات من هذا التاريخ في عصور ما قبل الإسلام، والمصادر العربية والإسلامية أشارت إلى شذرات قليلة ومتفرقة عن حياة التهاميين والسرويين وبخاصة في القرون الإسلامية الأولى. أما العصر الإسلامي الوسيط (٣٠٠-٤١١هـ / ٩-١٧م)، فلا نجد عن هذه البلاد شيئاً وبخاصة المنطقة الوسطى، من الليث وجنوب الطائف إلى سروات وتهامة منطقة عسير.

٢- طول المدة التي تغطيها مادة الموسوعة من الجزء الأول إلى هذا الجزء (الثلاثين). واتساع المساحة الجغرافية، التي ركزت على مناطق السروات وتهامة (من الطائف إلى نجران، ومن مكة المكرمة إلى جازان)، وأحياناً امتدت إلى موضوعات وبلدان داخل اليمن الحديثة^(١).

٣- تباين وتفاوت مستوى التوثيق والدراسات والمدونات المنشورة في هذا العمل العلمي الواسع من حيث القيمة العلمية والمعرفية، والطول والقصر، ونوع وعمق التدوين والتوثيق والتحليل، ومستويات المشاركين في هذه الموسوعة علمياً وبحثياً وخبرات وتجارب، واختلاف أعمالهم العلمية والوظيفية، ومواطنهم الأصلية ومؤهلاتهم الأكاديمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

٤- إنَّ الكمال لله (عز وجل)، وهذا عمل بشري لا يخلو من نقاط القوة والضعف الصحيحة والخاطئة، المفيدة وغير المفيدة. لكنه إجمالاً يوثق الكثير من الجوانب التاريخية والحضارة في العصور القديمة، والإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة، والمعاصرة^(٢).

٥- عند بداية هذا المشروع العلمي في مطلع العشرينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢١م)، لم تكن عندي النية أو الرغبة أن يتجاوز مجلد أو مجلدين. ومع مرور الزمن، والسير في الأرض (سراة وتهامة)، والاستزادة من العلم والمعرفة، قادتني الظروف والرغبة في خدمة هذه الديار العربية الإسلامية الماجدة (تهامة والسراة)، التي لا نعرف الشيء الكثير من حضارتها وتاريخها القديم والإسلامي المبكر والوسيط، ومع تقدم الأيام والشهور والسنوات وجدت نفسي عاملاً وباحثاً مستمراً في إصدار الأجزاء التالية للجزأين الأول والثاني. ومع ما حصل لي من معوقات صحية،

(١) هناك بعض القراء والباحثين الكرام، الذين يعارضون تسمية هذه الموسوعة بـ: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ولهم مبرراتهم ووجهات نظرهم. وأحترم أقوالهم، لكن الكتاب عُرف بهذا الاسم من منتصف العشرينيات في هذا القرن (١٥هـ/٢١م)، وما زال مستمراً حتى الآن (١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م). وبالتالي صار عنواناً معروفاً ومتداولاً علمياً وبحثياً وأكاديمياً ومعرفياً وثقافياً وحضارياً. وأسأل الله أن يكون عملاً نافعاً متقبلاً وأن يكون حجة لي لا حجة علي.

(٢) حسب علمي المتواضع، وتجاربي وخبراتي فلا يوجد عمل بهذا الحجم الكبير يؤرخ لبلاد شاسعة وكبيرة في جغرافيتها، وتاريخها، وأحداثها (تهامة والسراة). بل هو العمل العلمي الأول بهذه الشمولية، والتنوع في الزمان والمكان والعناوين وأعداد المشاركين. ومن المؤكد أن يكون هناك قصور وأخطاء ونقاط ضعف عديدة. وقد يأتي في قادم الأيام من يعالج هذه العيوب ويصلحها. وأسأل الله لنا ولمن يقوم بذلك صلاح الأقوال والأعمال، وأن يجعل ما قمنا به أو يقوم به غيرنا من الأعمال النافعة الصالحة المقبولة عند رب العالمين.

وظروف مالية، وتقدم في السن، إلا أن توفيق الله - عز وجل - أوصلني الآن إلى الجزء رقم (٣٠) من هذا الكتاب الموسوعي في نهاية عام (١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م). والمتتبع لرحلتي العلمية والعملية مع هذا العمل أكثر من عقدين من الزمان، فقد يلتمس لي العذر في مواطن القصور والعيوب التي لا يخلو منها هذا العمل الفردي الطويل والكبير^(١).

٦- إن تخصصي العلمي والجامعي تاريخ وحضارة إسلامية، والعديد من المثقفين والباحثين والقراء قالوا لي مشافهة وكتابة. الواجب أني التزمت بالدراسة والبحث في مجال التخصص الذي حصلت على درجتي الماجستير والدكتوراه فيه. وبعضهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فقالوا: لقد كتبت وبحث ونشرت العديد من الدراسات في التاريخ القديم والحديث والمعاصر وهذا ليس تخصصك الدقيق. وآخرون قالوا: لقد تجاوزت الحدود العلمية والأكاديمية في (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) وغيرها من المؤلفات الأخرى، عندما طبعت ونشرت الكثير من البحوث في تخصصات وعلوم أخرى (جغرافية، ولغوية، وأدبية، وتنموية، وعلمية بحتة، وإعلامية، وسياسية وعسكرية، ومالية وإدارية، واقتصادية واجتماعية، وتعليمية وتربوية وفكرية وثقافية وغيرها). ويرون ذلك من العيوب الكبيرة التي تشتمل عليها كتبي، وبخاصة كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب.

وأقول لهؤلاء الأخوات والإخوان الكرام، ربما تحسب هذه المنهجية سلبية أو إيجابية. وإذا أخضعنا ذلك للوائح العلمية والأكاديمية في الأقسام والكليات الجامعية، فذلك قول صحيح. وقد واجهت الكثير من الانتقادات في هذا الجانب عندما عملت باحثاً وأستاذاً في جامعتي الملك سعود والملك خالد لأكثر من أربعين عاماً (١٤٠٠-١٤٤٤هـ/١٩٨٠-٢٠٢٣م)^(٢). أما القناعة والرغبة التي سلكتها وما زلت حتى الآن (١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م): أن العلم باب واسع، وكلما اتسعت اهتمامات القارئ والباحث العلمية والمعرفية، فسوف

(١) لا أقول هذا القول من منطلق الضعف وعدم الثقة بالنفس، فهذه صفات، والحمد لله، لا أعرفها، وليست موجودة ضمن قانون حياتي منذ كنت طفلاً، وما زالت تصاحبني حتى الآن لكنني أذكر ذلك لكل قارئة وقارئ وباحثة وباحث نزيه، أو حيادي، وشفاف. ويبحث عن الحقيقة والمصادقية، وهذا الذي أزعم أنها شروط وصفات سلكتها والتزمت بها في هذا العمل الموسوعي. وفي غيره من الأعمال والبحوث التي طبعتها ونشرتها خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٨-١٤٤٦هـ/١٩٨٨-٢٠٢٤م)، (والله من وراء القصد).

(٢) هذا الموضوع سوف أناقشه بإسهاب في عمل علمي آخر. وأذكر ما واجهت من صعوبات ومعوقات علمية وتعليمية وبحثة ونظامية وغيرها، وكيف تعاملت معها خلال هذه السنوات الطوال. وما هي الفوائد التي خرجت بها من ذلك خلال رحلتي العملية والعلمية والبحثية.

تكون النتائج إيجابية. وهذا الذي جربته وعملت به وطبعته في الكثير من مؤلفاتي، وبخاصة هذه الموسوعة المذكورة آنفاً. وقبل أن أخدم وأفيد الآخرين، وأوثق شيئاً من حضارة بلادي (تهامة والسراة)، فقد استفدت فوائد كثيرة جداً، وسوف تكون عنواناً لعمل علمي ثقافي آخر في المستقبل (بإذن الله تعالى)^(١).

نصل الآن إلى هذا المجلد الجديد: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب : موسوعة تاريخية حضارية (من قبل التاريخ - ق ١٥هـ / ٠ - ق ٢١م) (الجزء الثلاثون)**. وقد اشتمل على مقدمة، وخاتمة، وملحق لبعض الوثائق، وأربعة أقسام علمية رئيسية، هي:

١- **القسم الأول: بلاد تهامة والسراة في عصور ما قبل التاريخ، والعصور التاريخية القديمة** - هذه الدراسة من باحث متخصص في توثيق لمحات من تاريخ هذه البلاد في عصور ما قبل الإسلام وما زلنا نتطلع إلى باحثين متخصصين جادين يدرسون تلك الأزمنة، وقد يطلعوننا على صفحات من تاريخ وحضارة هذه الديار السرية والتهامية العربية.

٢- **القسم الثاني: موضوعان علميان في تاريخ وحضارة جنوب الجزيرة العربية (سراة وتهامة) في عصور ما قبل الإسلام**. هذان البحثان لأستاذين متخصصين في التاريخ واللغة والأدب. فالأول: أستاذ دكتور في تاريخ العصور الوسطى، اجتهد في ترجمة ودراسة عن أحد المبشرين المسيحيين الذي كان له بعض الجهود في نشر المسيحية في جنوب الجزيرة العربية قبل عصر الإسلام. والثاني دكتور في الأدب وقدم دراسة مطولة عن الشعر الجاهلي في جنوب شبه الجزيرة العربية، وأكد أن الكثير من الشعراء ومواطني الشعر الجاهلي في بلاد السروات وتهامة، الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز الكبرى.

٣- **القسم الثالث: بحوث تاريخية، ولغوية، وتعليمية، في جنوب شبه الجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية الوسيطة والحديثة**. اشتمل هذا القسم على خمس دراسات، هي: (١) لمحة عن طريق الحج التهامي من جازان إلى مكة المكرمة خلال العصر الإسلامي الوسيط. (٢) وقفة نقدية تاريخية لغوية عن مجموعة رحلات لعدد من الرحالة الغربيين الذين وصلوا إلى الجزيرة العربية، وبخاصة جنوبها خلال العصر الحديث، وركز الباحث في هذه الدراسة على النسخة المترجمة

(١) أمل في قادم الأيام أن أوثق الكثير من الإيجابيات والفوائد التي حصلت عليها خلال رحلتي العلمية والبحثية من مطلع هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م).

إلى اللغة العربية، وعلى مركز البحوث الذي نشرها. (٣) بعض الأمراض التي انتشرت في سروات بني شهر في العقدين الأولين من القرن (١٤هـ/١٩م - ٢٠م)، ومعظم مادة هذا البحث اعتمدت على الوثائق العثمانية. (٤) تم ترجمة هذه الدراسة من اللغة الإنجليزية إلى العربية ومادتها مركزة على الاحتلال البريطاني لمدينة الحديدة لأكثر من عامين (ديسمبر/١٩١٨م حتى يناير/١٩٢١م). (٥) شذرات عن تاريخ التعليم العام والعالي في بلاد القنفذة خلال مئة عام (١٣٤٤-١٤٤٥هـ/١٩٢٥-٢٠٢٤م).

٤- **القسم الرابع : مقالات تاريخية وحضارية مختصرة عن السروات وتهامة خلال العصرين القديم، والإسلامي، (الجزء الأول).** اشتمل هذا المحور على (١٤) مقالة لأساتذة وباحثين سعوديين وغيرهم وطلبت منهم الكتابة عن أي جزئية أو مجال في بلاد تهامة والسراة^(١). والغالب على هذه المدونات محدودية المادة العلمية المنشورة، وما زال كل عنوان يستحق أن يُدرس في كتب وبحوث علمية عديدة^(٢).

في الختام :

لا أدعي الكمال في هذا العمل، لكنني اجتهدت، وأرجو من الله أن أكون قد وفقت في تحقيق بعض الإيجابيات لمعاشر الباحثات والباحثين، وأمل من الله أن يمد في العمر، ويرزقني الصحة، حتى أوصل أجزاء هذه الموسوعة، إلى الجزء رقم (٤٠). كما أشكر كل من دعمني في هذا الجزء وما سبقه من أجزاء، وأسأل الله (عز وجل) أن يرزقنا صدق القول والعمل، وأن يجعلنا جميعاً من عباده الناصحين الصادقين المخلصين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيد المرسلين.

وكتبه

الإنسان العبد الذي يخاف عذاب الله ويرجو عفوه
ورحمته غيثان بن علي بن عبد الله بن جريس
الثوابي الجبيري الشهري الحجري الهنوي الذي
يصل نسبه إلى الأزدي بن القوث بمدينة الرياض يوم
الأحد (٢١/٦/١٤٤٦هـ الموافق ٢٢/١٢/٢٠٢٤م).



(١) انظر صورة من خطاب الاستكتاب الذي أرسلته إلى عشرات الأساتذة في أنحاء المملكة العربية السعودية منشوراً في بدايات هذا القسم رقم (٤).

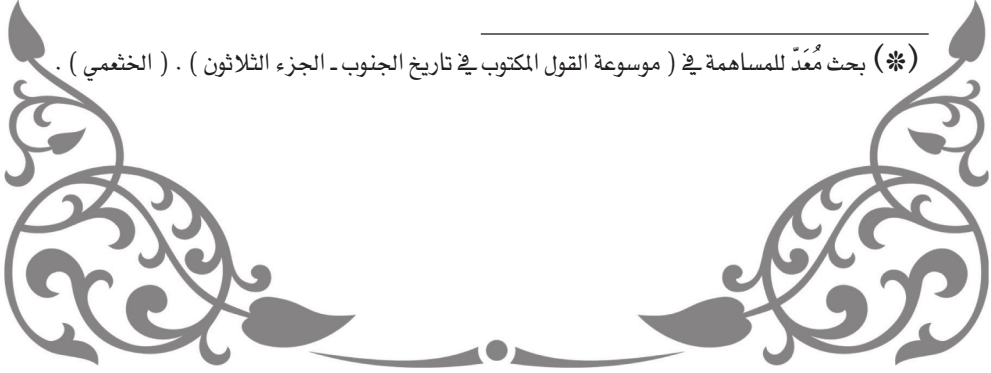
(٢) من يطلع على أجزاء (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (ثلاثون مجلداً)، يجدها تحتوي على عشرات الموضوعات والعناوين التي ما زالت بحاجة إلى أعمال علمية وبحثية وتوثيقية أفضل وأعمق.



القسم الأول

بلاد تهامة والسراة في عصور ما
قبل التاريخ، والعصور التاريخية
القديمة(*)

(*) بحث مُعدّ للمساهمة في (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب - الجزء الثلاثون) . (الخثعمي) .



القسم الأول

بلاد تهامة والسراة في عصور ما قبل التاريخ، والعصور التاريخية
القديمة، بقلم. أ. د. مسفر بن سعد بن محمد الخثعمي^(١)

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	مدخل.	١٦
ثانياً:	تهامة والسراة في عصور ما قبل التدوين التاريخي.	١٧
	١- حضارة ما قبل التاريخ ودورها في تشكيل حضارات جنوبي شبه الجزيرة العربية .	١٧
	٢- أهمية الموقع الجغرافي لبلاد تهامة والسراة .	٢١
ثالثاً:	تقسيمات عصور ما قبل التاريخ (العصور الحجرية) .	٢٣
	١- العصر الحجري القديم .	٢٤
	٢- العصر الحجري الحديث .	٢٧
	٣- العصر الحجري المعدني .	٢٨
رابعاً:	العصور الحجرية وشواهد وجودها في بلاد (تهامة والسراة) .	٢٩
	١- البيئة الجغرافية لبلاد تهامة والسراة .	٢٩
	٢- حضارة العصر الحجري القديم الأسفل .	٣١
	٣- شواهد الحضارة الأشولية في بلاد السراة .	٣٤

(١) بدأ الدكتور مسفر حياته التعليمية في قرى خثعم من أرض السراة، شمال منطقة عسير. وتثقل في تعليمه العام المبكر بين مدارس منطقة الباحة والمنطقة الشرقية. وعمل في مهنة التدريس بضع سنوات، وواصل تعليمه الجامعي في أبها، وحصل على درجة معيد في قسم التاريخ بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أبها، خلال العقد الثاني من القرن الحالي (١٥/هـ-٢٠م). ذهب إلى بريطانيا لدراسة درجتَي الماجستير والدكتوراه، وحصل عليها عام (١٩٩٩/١٤٢٠م)، عمل في التدريس، وتولى العديد من المناصب الإدارية والأكاديمية في جامعتَي الملك خالد، وبيشة. ومازال يعيش في مدينة بيشة حتى الآن (١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م). شارك في العديد من اللقاءات، والمؤتمرات، والندوات العلمية المحلية، والإقليمية، والعالمية. عمل عضواً في الكثير من المؤسسات، واللجان، والمراكز، والهيئات التعليمية والبحثية والمجتمعية. له عشرات الكتب والبحوث العلمية المطبوعة والمنشورة. والدكتور مسفر من الباحثين الجادين، وله بعض البحوث الجيدة في دراسة موضوعات ومجالات أثرية، وتاريخية، وحضارية في السراوات وتهامة في عصور ما قبل الإسلام. وهو على قدر جيد من اللطف، وحسن الخلق، وطيب المعشر. (ابن جريس).

م	الموضوع	الصفحة
	أ - بلاد نجران .	٣٥
	ب - منطقة عسير .	٣٦
٤ -	شواهد حضارة العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط في سواحل تهامة .	٣٨
	أ - بلاد جازان .	٣٨
	ب - شمالي جازان (سواحل عسير) .	٣٩
	ج - جنوبي القنفذة .	٤١
٥ -	شواهد العصر الحجري القديم الأعلى .	٤١
٦ -	شواهد العصر الحجري الحديث في السراة وتهامة .	٤٢
خامساً :	نشأة وتطور حضارات جنوب شبه الجزيرة العربية .	٤٤
١ -	النشأة والمراحل التي مرت بها .	٤٤
٢ -	ظهور ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية .	٤٩
	أ - الدور الأسطوري (الخرافي) .	٤٩
	ب - دور مملكة بونت (بنط) .	٥٠
	ج - ممالك وحكومات في جنوب شبه الجزيرة العربية .	٥١
	١ - مملكة سبأ (١٣٠٠ ق.م - ٢٧٥ م) .	٥٢
	٢ - مملكة معين (١٢٠٠ ق.م - ٦٥٠ ق.م) .	٥٤
	٣ - مملكة حضرموت (١١٠٠ ق.م - ٣٠٠ م) .	٥٥
	٤ - مملكة قتبان (١١٠٠ ق.م - ٥٠ م) .	٥٧
	٥ - مملكة حمير (١١٠٠ ق.م - ٥٢٥ م) .	٥٨
	٦ - ممالك وحكومات أخرى .	٦٠
سادساً :	صلات بلاد تهامة والسراة بحضارات جنوب شبه الجزيرة العربية عبر العصور التاريخية .	٧٠
١ -	الصلات الحضارية بين ممالك الجنوب وسكان السراة وتهامة .	٧٠
	أ - الصلات الثقافية واللغوية .	٧٠
	ب - الصلات السياسية والعسكرية .	٧١
	ج - التأثيرات الدينية على سكان السراة وتهامة .	٧٣
	د - الهجرات والتفاعل الاجتماعي .	٧٥
	هـ - التأثيرات الاقتصادية .	٧٦
٢ -	أهم المدن والمراكز الحضارية في السراة .	٨٤

م	الموضوع	الصفحة
	أ- جُرَش .	٨٤
	ب- واحة بيشة والمراكز القريبة منها (العباء ، وتباله) .	٨٦
	ج- نجران .	٩١
	د- بلاد غامد وزهران (منطقة الباحة) .	١٠٠
٣-	أهم المدن والمراكز الحضرية في تهامة .	١٠٧
	أ - أهمية ساحل تهامة قبل الإسلام .	١٠٧
	ب - الموانئ المهمة .	١٠٨
	١ - ميناء القنفذة .	١٠٨
	٢ - ميناء البرك .	١٠٩
	٣ - ميناء جازان .	١١١
	٤ - خلاصة القول :	١١٣
سابعا :	خاتمة الدراسة .	١١٦
ثامنا :	المصادر والمراجع .	١٢٢

أولاً : مدخل^(١) .

إنَّ الباحث في تاريخ جنوب شبه الجزيرة العربية ، يجد أنَّ المنطقة الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز الكبرى (سراة وتهامة) مستوطنات بشرية منذ عصور ما قبل التاريخ. وإذا نقبنا عن تراثها وتاريخها وحضارتها منذ العصور الحجرية القديمة إلى القرن الثاني عشر الهجري فلا نجد تلك المادة العلمية الكثيرة التي تعطينا صورة شبه واضحة عن هذه الديار العربية الماجدة. وهذه حقيقة وقد يختلف معي بعض الباحثين والدارسين في هذا الرأي ويذكرون أسماء بعض المصادر الكلاسيكية، أو الآثار المادية السطحية أو المدفونة، أو ما احتوت عليه بعض المصادر الإسلامية المبكرة والوسيطه. وليس عندي أي اعتراض على هذا الكلام، لكن كل المصادر الآنف ذكرها لا تطلعنا على تاريخ وإي نعرف من خلاله حياة الأرض والناس في تلك العصور التاريخية القديمة أو الإسلامية . وهناك العديد من الكتب، والبحوث، والرسائل الجامعية العربية والأجنبية التي أرخت لجزئيات كثيرة في جنوب شبه الجزيرة العربية، وأوطان السروات وتهامة مازالت تحتاج مزيداً من الأعمال العلمية الجادة والعميقة في شتى الجوانب التاريخية والحضارية^(٢).

(١) هذا المدخل من إعداد صاحب (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (ابن جريس) .
(٢) معظم الدراسات والبحوث التي صدرت خلال القرنين (١٢-١٤هـ/ ١٩-٢٠م) عن حواضر اليمن الكبرى وما

وهذا البحث الذي نحن بصدد نشره في (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) لأستاذ متخصص في تاريخ الجزيرة العربية القديم، وله العديد من الكتب والبحوث العلمية عن جنوب شبه الجزيرة العربية، وتحديدًا منطقة عسير من بلاد تهامة والسرادة. أرجو أن يجد الباحث والمؤرخ الكريمين فيما تم رصده وتوثيقه مادة علمية جيدة تساعد في إنجاز أعمال علمية أكثر وأعماق عن ديارنا (السروات وتهامة) خلال العصور التاريخية القديمة. ونحن جميعاً لا ندعي الكمال فيما تم إنجازه، ونرجو أن يأتي بعدنا من يستكمل ما لم نستطع عمله، أو تصحيح ما وقعنا فيه من عيوب وأخطاء علمية أو منهجية . (والله من وراء القصد) .

ثانياً : تهامة والسرادة في عصور ما قبل التدوين التاريخي :

١- حضارات ما قبل التاريخ ودورها في تشكيل حضارات جنوبي شبه الجزيرة العربية :

حضارات ما قبل التاريخ أو ما يعرف بـ (عصور ما قبل التاريخ) هي العصور التي نشأت في الفترة السابقة لظهور الكتابة والتدوين، وهي العصور التي عاشها الإنسان قبل أن يخترع ويهتدي إلى التدوين والكتابة، وينتهي عصر ما قبل التاريخ مع بداية الألف الثالث قبل الميلاد، والذي يشتمل على وجود حضارة وادي النيل ووادي الرافدين. يطلق على أقدم زمان في فترة ما قبل التاريخ اسم العصور الحجرية، وقد سميت بالعصور الحجرية، لأن الإنسان لم يستخدم في ذلك الوقت لصناعة أدواته البسيطة إلا الحجارة مع استخدام بسيط للخشب والعظم، ولم يكن على دراية بالمعادن وبالتدوين (المعمري، ١٤٢٦هـ).

لا شك أن ممارسة الجماعات البشرية لأنشطتها اليومية أخذ في التطور من حيث التقنيات المستخدمة والأساليب المتبعة للحصول على الغذاء. وانعكس هذا الأمر بشكل تدريجي وواضح على بقايا الأدوات الحجرية التي وجدت في المواقع الأثرية كما سيأتي معنا لاحقاً، حيث أصبحت أكثر فاعلية في تنفيذ الأدوات المراد القيام بها من جهة، وأكثر تنوعاً وتخصصاً من جهة أخرى، كونها ترتبط بتنفيذ مهام محددة، بدلاً من استخدام الأداة الواحدة لتنفيذ عدة مهام في وقت واحد. وصاحب ذلك تغير في الشكل الخارجي للأدوات الحجرية من حيث حجم الأداة ومرونتها، الأمر الذي ساعد على تطور في صناعة الأدوات وتصغير أحجامها عما كانت عليه قبل ذلك، وهذا أدى

حولها. أما بلاد السروات وتهامة من جازان ونجران إلى الطائف وجنوب مكة المكرمة مازالت غير مخدومة، ونجهل الكثير من تاريخها وحضارتها منذ العصر الحجري القديم إلى مطلع العصر الحديث. (ابن جريس) .

إلى زيادة فعاليات الأدوات وسرعة تحقيق المهام التي تحتاجها الجماعات البشرية في العصور الحجرية القديمة.

في المراحل الأخيرة من فترات العصور الحجرية تطورت تقنية التصنيع وبشكل لافت، حيث نجح إنسان تلك المرحلة من تطوير أحجام الأدوات الحجرية التي يستخدمها، فأصبحت ذات تخصصية ومرونة عالية في تنفيذ الأعمال المطلوبة، وتم التركيز على أنواع محدودة من الأحجار الخام، وبخاصة أحجار الصوان والشيرت والأوبسيديان، لكونها قابلة لصناعة الأدوات الدقيقة ذات الأحجام الصغيرة.

ما من شك في أن نمط عيش الجماعات البشرية في فترات العصور الحجرية، تميز بعدم ارتباطه بمنطقة جغرافية معينة، أو بإقليم بيئي محدد، بل تعدى ذلك إلى ارتباطه بكل مكان درجت عليه تلك الجماعات البشرية ووصلت إليه. وأثبتت الدراسات الأثرية والإثنوغرافية قدرة جماعات ما قبل التاريخ على التنقل والترحال لمسافات بعيدة في غضون أيام عدة بحثاً عن المناطق التي تتوفر بها مصادر الغذاء الوفيرة والأماكن الآمنة، وهذا بخلاف ما أصبحت عليه الجماعات البشرية في فترات العصور التاريخية^(١).

لم تكن الحضارة البدائية قائمة على الطبقية والتقسيم بسبب الملكية الجماعية السائدة فيها، حيث كان حق الوصول للموارد الاقتصادية متاحاً لجميع الأفراد، وقد ظهرت جماعات الصيد والجمع والالتقاط في العصر الحجري القديم، بداية مع العصابة، ثم انتقلوا إلى مرحلة القبيلة في المرحلة اللاحقة للعصر الحجري القديم، مع اعتمادهم على أسلوب الجمع والالتقاط والصيد، الذي جعلهم يعيشون على شكل مجموعات، أما المشيخة فقد جاءت مع العصر الحجري الحديث وممارسة الزراعة والتدجين، مما أوجد مراكز لتنظيم النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والدينية، والتخصص في الأعمال المختلفة وبداية ظهور المهن والحرف كالزراعة والرعي والتجارة والصناعة. واستمر التطور الاجتماعي حتى تأسيس المدينة الأولى وظهور الدولة الأمة (Nation State) في بلاد الشرق الأدنى القديم في العصور البرونزية^(٢).

تؤكد لنا الأدلة الأثرية التي تم اكتشافها حتى الآن، أن الإنسان الأول قد استوطن منطقة تهامة والسراة على نطاق واسع قبل مئات الآلاف من السنين^(٣). ومن المحتمل أن

(١) الغامدي، عبد الكريم بن سحيم: موسوعة المملكة العربية السعودية، مج ١٢، ص: ١٧٥.

(٢) أبو غنيم، خالد محمود: «أنماط المعيشة ودورها في تكوين التشكيلات الاجتماعية في عصور ما قبل التاريخ»/ المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج ٤، ع ١، ٢٠١٠م، ص: ١٢٨-١٥٨.

(٣) الزيلعي وآخرون، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

ذلك الاستيطان كان منتشراً إلى أبعد مما توحى به الدلائل المادية الحالية ومما تقدمه لنا من انطباعات في هذا الاتجاه، ومن المعلوم أن الوجود الأول للإنسان قد ظهر في قارة إفريقيا وبخاصة في الجزء الشرقي منها، وتعد منطقة (حدار) في إثيوبيا من المواقع المبكرة التي عثر فيها على أدلة للوجود الإنساني، بالإضافة إلى بعض المواقع المماثلة في منطقة شرق بحيرة (تركانا)، ونهر (أومو)، وقد أرخت بعض هذه المواقع بأكثر من مليونين ونصف المليون سنة خلت. وإن كان موقع (أولدفاي قورج) في تنزانيا يعد من أهم مواقع العصور الحجرية في العالم (Havilland, 1997) لاحتوائه على طبقات أثرية (Stratigraphic Sequence) تعد الأطول في العالم من حيث التسلسل، إذ يصل عمر أقدمها إلى ما يقارب من مليوني سنة تقريباً، وتحتوي تلك الطبقات على بقايا عضوية كالعظام البشرية والحيوانية، بالإضافة إلى بعض الأدوات الحجرية التي استخدمها إنسان تلك الفترة (الأمين، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م؛ Leaky, 1979). وإن كانت الدراسات الحديثة تؤكد على أن الوجود البشري في العالم يفوق التقديرات الأولية في كثير من المواقع الأثرية.^(١)

قد مرت الجماعات البشرية في عصور ما قبل التاريخ بمراحل عدة، ويعد التنقل المتواصل لهذه الجماعات عبر الفترات المبكرة من عصور ما قبل التاريخ أحد العوامل الأساسية التي أدت إلى نجاحها في الحصول على الموارد الغذائية الكافية، والبحث عن البيئات المناسبة التي تتوفر فيها مقومات للحياة والأمن الغذائي. وهناك من يشير إلى أن تحقيق هذا الهدف كان يتطلب من المجموعة أن يكون عددها قليلاً نسبياً ليسهل

(١) تشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن الوجود البشري المبكر في أجزاء متفرقة من العالم القديم يفوق التقديرات الأولية لمواقع الاستيطان في عدد من المواقع الأثرية، الأمر الذي يدعو إلى إعادة النظر في وضع منطقة جنوب غرب آسيا ضمن خريطة انتشار السلالات البشرية المبكرة، خصوصاً وأن الموقع الجغرافي لهذه المنطقة بتوسط العالم القديم، وتذهب هذه الدراسات إلى القول باحتمال وجود مزيد من الأدلة الأثرية الدالة على الاستيطان البشري المبكر. ونحن نتفق مع هذا الرأي خاصة فيما يتعلق بالملكة العربية السعودية التي ما تزال التنقيبات الأثرية فيها في مراحلها الأولى، كما أن المسوحات الأثرية لم تغط كافة أجزائها، مما يبيح على الاعتقاد بإمكانية ظهور واكتشاف أدلة أثرية جديدة تغير مفاهيمنا عن تقسيمات العصور الحجرية في المملكة العربية السعودية. وتضيف هذه الدراسات - اعتماداً على رأي بعض الباحثين - أن وصول الجماعات البشرية إلى قارة آسيا بصفة عامة، والجزيرة العربية بصفة خاصة، تم عبر طريقتين رئيسيتين: الأولى، كان عبر شبه جزيرة سيناء، الذي ربما نجم عن ضغوط بيئية أو غيرها، والثاني، يرجح أن تكون مجموعات قليلة العدد، قد تمكنت من الوصول إلى الركن الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية عبر مضيق باب المندب، ومن المعلوم أن الدراسات الحديثة قد دلت على أن الإنسان الأول ظهر لأول مرة على وجه الأرض في جنوب إفريقيا ثم أخذ ينتقل تدريجياً وببطء شديد نحو الشمال، ولم يصل إلى الشرق الأوسط فيما يعتد إلا منذ نصف مليون سنة، عن هذه الدراسات انظر: (الشارخ، يوليو ٢٠٠٣م/ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ؛ برامكي، ١٩٧٨م).

تأمين احتياجات المجموعة والمحافظة على سلامتها من المخاطر الطبيعية، ومن خطر الحيوانات المفترسة، والجماعات البشرية الأخرى (برامكي، ١٩٧٨م؛ عبد العليم، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م؛ الشارخ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). ولعل خير ما نفعله في سبيل التعرف على مراحل وجود الإنسان وتدرجه الحضاري، وانتقاله من عصر إلى عصر هو أن نصحب منذ الوهلة الأولى علماء عصور ما قبل التاريخ الذين كشفوا وحلوا لنا رسوم الكهوف وصور الصخور التي تظهر الإنسان وهو يطارد الحيوانات ويصطادها (الشارخ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، وكان صيد الحيوانات من أجل الحصول على القوت الضروري أهم أهداف مجموعات الصيادين وجامعي الغذاء خلال أزمنة عصور ما قبل التاريخ (عبد المنعم، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

نظراً إلى بساطة النمط المعيشي للجماعات البشرية في الفترات المبكرة من الحضارة البشرية فقد عمد الإنسان إلى استغلال ما كان يتوفر في بيئته من موارد طبيعية، فاستخدم مادة الحجر والخشب وعظام وقرون وأنياب الحيوانات والقواقع وغيرها من المواد التي تدخل في صناعة ما كان يستخدمه من أدوات في سبيل الحصول على قوته اليومي، أو للدفاع عن نفسه وعن مجموعته من خطر أخيه الإنسان وشراسة بعض الحيوانات والزواحف، أو لتهيئة الأماكن التي كان يلجأ إليها هرباً من قسوة المناخ (الشارخ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

ركزت الجماعات البشرية في صناعة أدواتها على مادة الحجر، ويعود السبب في ذلك إلى توفر هذه المادة في كل المواقع الاستيطانية، بالإضافة إلى كثرة الاستخدامات المتعددة للحجر من ناحية، وقدرته على مقاومة الظروف البيئية المختلفة من ناحية أخرى، بخلاف المواد العضوية التي تتحلل وتندثر قبل أن تترسب في طبقة أثرية. من هنا شكلت مادة الحجر العنصر الأساس لدراسة عصور ما قبل التاريخ، إذ إنها المادة الرئيسية التي يعتمد عليها علماء عصور ما قبل التاريخ في تصنيف حضارات العصور الحجرية (الشارخ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). لذلك نسبت تلك العصور إلى هذه المادة الفعالة التي كان لها دوراً بارزاً في تطور الحضارات البشرية المختلفة.

لم يقف إنسان تلك الأزمنة عند هذا الحد، بل نجده قد صَوَّرَ نفسه وهو يرقص رقصة المطر، وصَوَّرَ الإنسان في تلك الرسوم -أيضاً- صوراً متعددة من الطقوس الدينية وتبجيل المعبودات، وسطر الإنسان فيما بعد إلى جانب رسوماته على واجهات الصخور تفاصيل حياته اليومية ومشاهد مما كان يعتريه من لحظات الحزن والفرح. ونمضي مع نشاط الإنسان الأول، ومع علماء عصور ما قبل التاريخ الذين أبانوا لنا سواء عن طريق

تفسيرهم للرسوم الصخرية أم عن طريق ما استخرجوه لنا من باطن الأرض من بقايا عظام كشفت عن أنواع الحيوانات التي تمكن الإنسان من تدجينها، أو بقايا من أنواع النباتات التي استطاع استنباتها. فأحدث بعلمه هذا انقلاباً جذرياً في طبيعة العلاقة بينه وبين بيئته، وتمثل ذلك في التحول - أي الانتقال - من مرحلة الصيد وجمع الغذاء إلى مرحلة إنتاج وتوفير غذائه، إذ أصبح الإنسان منتجاً ولم يعد عالة على الطبيعة كما كان الوضع في السابق (برامكي، ١٩٧٨م).

كان من نتائج هذا التطور أو الطفرة الحضارية أن اهتدى الإنسان مع بداية العصر الحجري الحديث (Neolithic Age) إلى بداية حرفة الزراعة التي ترتب على الاشتغال بها الاستقرار وزيادة التماسك بين الأفراد والجماعات في إطار الأسرة ثم القبيلة ثم القرية. ومن نتائج هذا التحولات الحضارية - أيضاً - ظهور حرفة الرعي بعد أن نجح الإنسان في تدجين وتربية الحيوان (صالح، ١٩٨١م).

غير أن الحدث الأهم في حياة الإنسان الأول هو نجاحه في توظيف عقله مما أدى إلى اكتشاف النار (كمال، ١٩٨٦م)، ثم توالى اختراعاته واكتشافاته. فبعد أن كان يصنع من الحجر والخشب أسلحته التي كان يستخدمها في مطاردة فرائسه، وفي صنع غذائه، وفي قتل عدوه، أفلح في التعرف على معادن النحاس، ثم بعد ذلك عرف كيف يخلطه بالقصدير ليصنع سبيكة من البرونز كانت أشد وأقوى من النحاس، وليصنع من هذا البرونز أسلحته وأدوات استخدامه (كمال، ١٩٨٦م). هذا، ونعرض فيما يلي أهم مراحل تطور حياة الإنسان الأول عبر عصور ما قبل التاريخ^(١).

٢- أهمية الموقع الجغرافي لبلاد تهامة والسرعة:

تعتبر دراسة علاقة التضاريس بالتوطن البشري من المواضيع العلمية القديمة التي استرعت اهتمام العديد من الباحثين في مختلف التخصصات. فغالبا ما لعبت الخصائص التضاريسية دوراً أساسياً في مسألة استقرار المجموعات السكانية القديمة منها والحديثة من حيث التوزيع والكثافة. ومن الملاحظ أن بلاد تهامة والسرعة تقع في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية. حيث تمتد سلسلة جبال السروات

(١) يذهب بعض الدارسين إلى أن هناك إشكالية واضحة فيما يتعلق بالمصطلحات المرتبطة بفترات العصور الحجرية، التي سادت على أرض المملكة العربية السعودية، خصوصاً أن بعض الباحثين الأجانب الذين سبق لهم العمل فيها كان متأثراً بالتسميات السائدة في أجزاء أخرى من العالم، وهذا بدوره قد انعكس على المفاهيم التي تعكسها هذه التسميات عند تسمية حضارات محلية بها، (عن ذلك انظر: الشارخ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

بشكل طولي من الشمال إلى الجنوب، في مناطق مرتفعة، بينما تمتد تهامة إلى الغرب بمحاذاة البحر الأحمر. هذا الموقع الجغرافي أكسب المنطقة تنوعاً بيئياً بين المرتفعات الجبلية ذات المناخ المعتدل والمناطق الساحلية الحارة والرطبة، مما ساهم في التنوع الحضاري والثقافي عبر العصور.

احتلت منطقتا تهامة والسراة موقعاً استراتيجياً مهماً جعلهما تلعبان دوراً بارزاً في نشأة وتطور الحضارات القديمة، التي قامت على أرض الجزيرة العربية، وقد أثبت البحث العلمي المعاصر الذي جرى في بعض أجزاء تهامة والسراة وجود عصور من الاستيطان البشري في هاتين المنطقتين، يعود إلى أقدم عصور ما قبل التاريخ، كما أثبتت المكتشفات الجديدة في مناطق المستوطنات الحجرية القديمة عمق الاستقرار المعيشي على أرضيهما.

وتؤكد الدراسات العلمية الحديثة التي قامت بها وكالة الآثار والمتاحف (سابقاً) ونشرت نتائجها في سلسلة «مجلة أطلال»^(١)، و«موسوعة المملكة العربية السعودية»^(٢)، وبعض البحوث المتخصصة، والمكتشفات التي تم حصرها وتوثيقها في «موسوعة الآثار والتراث والمعاليم السياحية في منطقة عسير - دراسة توثيقية»^(٣)، على أنه قد قام على أجزاء متفرقة من تهامة والسراة حضارات سادت ثم بادت على مر الحقب التاريخية المختلفة، أي أنها تمتلك تسلسلاً حضارياً منذ ما قبل التاريخ، مروراً بالعصور التاريخية المختلفة، وصولاً إلى العصور الحديثة والمعاصرة، ويعد هذا الإرث الحضاري ثروة وطنية لا تقدر بثمن.

فقد كانت المناطق السهلية وخصوصاً منها الساحلية هي الأكثر استقطاباً لاستقرار السكان عبر مختلف العصور، حيث استفادت الجماعات البشرية في تهامة والسراة من الخصائص المتعددة التي يوفرها التباين الطبوغرافي المتمثل في وجود المناطق الجبلية والسهلية، كما استفادت من قربها من البحر الأحمر وما يوفره من موارد غذائية^(٤)، وقد لعبت المجاري المائية والأودية الكبيرة دوراً مهماً في نشأة عدد من القرى والمدن والمراكز الحضارية التي قامت على أرضيهما.

(١) حولية آثار المملكة العربية السعودية، صدر عدد من أعدادها عن طريق الوكالة المساعدة بوزارة المعارف السعودية (سابقاً)، ووزارة التربية والتعليم فيما بعد، وتصدر حالياً عن طريق هيئة التراث، بوزارة السياحة.

(٢) تم إعدادها ونشرها في مجلدات عدة عن طريق مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض.
(٣) إعداد: أ. د. مسفر سعد الخثعمي، نشر منها ثمانية مجلدات وتبقى ستة مجلدات لم تُنشر حتى الآن (١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م)، طبعت على نفقة جامعة الملك خالد عام (١٤٢٩هـ).

(٤) عوض الزهراني وآخرون، آثار منطقة الباحة، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، ط١، (الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ١٤٢٣هـ)، مج ١٢، ص: ٣٠، ٣١.

لا ريب في أن المرتفعات الغربية لشبه الجزيرة العربية عموماً والمنطقة الممتدة من الطائف شمالاً إلى جازان وعسير ونجران جنوباً من أكثر المناطق المأهولة بالسكان في عصور ما قبل التاريخ وعلى مرّ العصور التاريخية. إذ إن ما توفره المناطق الجبلية المعروفة باسم (السراة) من حماية طبيعية للجماعات البشرية يساعد على تكييف نفسها مع الظروف البيئية للمنطقة. في حين يستفاد من الموارد الغذائية والموارد الخام التي توفرها المناطق السهلية والساحلية والمعروفة باسم (تهامة) في الأوقات التي تكون فيها تلك الجماعات أقل تهديداً من قبل الجماعات الأخرى، أو العوامل المناخية الشديدة البرودة التي تسود المرتفعات الجبلية في معظم أشهر الشتاء.

ثالثاً: تقسيمات عصور ما قبل التاريخ (العصور الحجرية) :

تشير الدراسات التي اهتمت بعصور ما قبل التاريخ في مناطق العالم القديم، التي تمت على مدى أكثر من قرن ونصف القرن من الزمان إلى فاعلية التقسيم العام لفترات العصور الحجرية، المتمثلة في العصر الحجري القديم، والعصر الحجري الأوسط، والعصر الحجري الحديث، وتعود معرفتنا بهذه التقسيمات إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وإن تعرضت هذه التقسيمات لاحقاً إلى بعض التعديلات والتفريعات نظير اكتشاف علماء العصور الحجرية لبعض الأدلة الأثرية الجديدة التي قدمت لنا معطيات تختلف عما كان سائداً حول تقسيم هذه العصور (لمزيد من التفصيل، راجع: دانيال غلين، ٢٠٠٠م).

ما من شك في أن هذه التقسيمات كانت ناجحة في البداية، وقد بصرتنا بتسلسل الحضارة الإنسانية، استناداً على أوجه الشبه والاختلاف بين المكتشفات الأثرية، وبخاصة الأدوات الحجرية، ومع توسع العمل الميداني خارج أوروبا وإفريقيا وشرق آسيا أصبح هناك صعوبة بالغة في قبول هذه التقسيمات كما هي سابقاً. وتدرجياً أخذت هذه التقسيمات في الازمحلال وحل محلها مسميات جديدة مأخوذة من البيئات المحلية التي وجدت فيها، (الشارخ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). كما أدى زيادة أعداد الدارسين والمهتمين بدراسة عصور ما قبل التاريخ، إضافة إلى اكتشاف عدد من المواد الأثرية الجديدة التي قدمت لنا معطيات حضارية جديدة، مع وجود تباين بين هذه الأدوات من منطقة لأخرى، مما جعل العلماء حذرين فيما يتعلق بتطبيق هذه التقسيمات على كل مناطق العالم القديم. ونحن نجد هذا التباين في المنطقة الواحدة ففي جنوب غرب آسيا الذي تعد شبه الجزيرة العربية جزءاً منه نجد أن التقسيم الأوربي للعصور الحجرية يبدو ملائماً لبعض الأدوار الحضارية في منطقة بلاد الشام، والتي تشابه مثيلاتها في شمال شبه الجزيرة العربية بحكم اتصالها بها جغرافياً، في حين أنها تختلف عن الأدوار

الحضارية للمناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية، الأمر الذي يجعل استخدام التقسيمات الحضارية المعروفة في شمال شبه الجزيرة العربية غير ملائم، وهذا يدعو إلى ضرورة النظر في قضية التقسيمات الحضارية للعصور الحجرية في المملكة العربية السعودية (الشارخ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م). ومن المؤكد أن تقسيمات العصور الحجرية في منطقة تهامة والسراة لا تختلف عن التقسيم العام لفترات العصور التاريخية في مناطق جنوب الجزيرة العربية التي تختلف في بعض أدوارها الحضارية عن التقسيمات الشائعة في شمال شبه الجزيرة العربية ومناطق العالم القديم (الخثعمي، ٢٠٠٩م / ١٤٣٠هـ).

١ - العصر الحجري القديم (Paleolithic Age)؛

اعتاد علماء ما قبل التاريخ على تقسيم العصر الحجري القديم، إلى مراحل ثلاثة متعاقبة وهي: العصر الحجري (الأسفل، الأوسط، الأعلى). وتبنوا هذا التقسيم بناءً على تنوع الأدوات الحجرية واختلاف طرق التصنيع من مرحلة لأخرى، فضلاً عن بعض الخصائص الحضارية التي ستطرق لها من خلال استعراض كل مرحلة من المراحل الثلاث وتسلسلها على أرضي المملكة العربية السعودية (الأمين، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ٧-٤٠).

أ - العصر الحجري الأسفل؛

تمثل هذه المرحلة المحاولات الأولى لتكوين الجماعات البشرية من الصيادين وابتكاراتهم البسيطة مثل: تشكيل الأدوات الحجرية وممارسة الصيد، كما يطلق عليه (عصر جمع والتقاط القوت أو الثمار)، ويبدأ هذا العصر قبل نحو مليونين ونصف مليون سنة في شرق إفريقيا وينتهي نحو خمس عشرة ألف سنة قبل الميلاد، وبذلك يكون أطول العصور الحجرية زمناً، وحدثت فيه العصور الجليدية الأربعة (عصر البلايستوسين) التي مرت بالقسم الشمالي من الكرة الأرضية حتى خط عرض (٤٥) شمالاً في قارة أوروبا وأمريكا الشمالية، والتي استمرت للمدة من نحو (٥٩٠٠٠٠) إلى (١٥٠٠٠) قبل الميلاد، وفي الوقت الذي كانت فيه المناطق الشمالية من الكرة الأرضية تمر بطقس بارد جداً في أثناء هذه العصور، كانت منطقة الشرق الأدنى الممتدة أسفل خطوط الجليد تمر بعصر غزير من الأمطار الأمر الذي أنعش الصحاري القاحلة لاسيما صحراء شبه جزيرة العرب والصحراء الأفريقية الكبرى التي توافرت فيها المياه اللازمة للحياة فانتعشت الحياة وظهرت فيها بعض الحواضر، إلا أن الملاحظ أن هذه الصحاري تعود إلى الجفاف والجذب عند عودة حقب الدفء كما نراه اليوم، وقد قسم العلماء هذا العصر لطوله إلى أعلى وأوسط وأدنى، وقد عاش في هذه العصور أشباه البشر والبشر في الكهوف والملاجئ الصخرية والغابات على شكل أسر داخل المستوطنة

الواحدة، واقتاتوا على الجمع والالتقاط والصيد، وجمع الجذور والبذور والثمار والفواكه، كما اصطادوا الحيوانات كالفيل القديم (الماموث) والحصان القديم ووحيد القرن والدب والثور البري والماعز البري والخنزير البري والوعول والغزلان والأرانب والطيور، وأقدم الأدوات التي صنعها الإنسان وجدت في أفريقيا (تنزانيا والحبشة وأوغندا وكنيا)، وقد صنعها أشباه البشر من الحصى، وصنع الإنسان القرد المنتصب مثيلاتها في إندونيسيا والصين، كما صنع إنسان هذه العصور فيما بعد آلات القتال لاسيما الفؤوس من الشظايا المقطوعة من الحجر أو من العظام أو القرون، وفي مرحلة لاحقة عرف إنسان الصين استخدام النار وهم أول من دفن الموتى مع الأدوات الحجرية وبعض الأزهار البرية، كما عرف إنسان النياندرتال الذي عاش في العصر الحجري القديم الأعلى استخدام النار، وشهد العصر الحجري الأعلى اختفاء إنسان النياندرتال وحلول الإنسان العاقل محله، واستمر الإنسان العاقل في هذا العصر بصناعة أدواته من الحجر والعظام والقرون ولكن بطرق جديدة، إذ أصبحت الشظايا أطول وأرفع وأكثر حدة، كما برزت أولى المظاهر الفنية المتمثلة في رسوم الكهوف في غرب أوربا، ثم في فترات لاحقة صنع إنسان هذا العصر تماثيل فخارية للحيوانات ودمى أنثوية من العظام والعاج، هذه الصناعات والفنون كانت بدائية في هذه العصور عموما، إلا أنها تطورت ونضجت في أواخر هذه العصور، إذ اضمحلت صناعة الآلات الحجرية وأكثر الإنسان من تصنيع العظام ونحتها كما استخدم الألوان في رسوماته في الكهوف .

شهد العصر الحجري القديم بواكير النشاط الحضاري للإنسان البدائي في المناطق الصالحة للإقامة في العالم القديم. ويعد من أطول مراحل حياة بني البشر حيث يمثل ما يقرب من (٩٥ ٪) من عمر الإنسان على وجه الأرض (الصويان، ١٩٩١م)، وتمثل هذه المرحلة المحاولات الأولى لتكوين الجماعات البشرية من الصيادين وابتكاراتهم البسيطة المتمثلة في تشكيل الأدوات الحجرية وممارسة الصيد (الأمين، ٢٠٠٣م).

تمكن الإنسان الأول عبر الأزمنة المديدة لهذا العصر من صناعة بعض الأدوات البسيطة عن قصد وهدف، واعتمد في ذلك على أدوات حجرية بدائية شكلها بيده لكي تلي مطالبه وحاجاته المحدودة^(١). كما استخدم الإنسان إلى جانب الأدوات الحجرية أدوات

(١) يعد الحجر نقطة الانطلاق فيما يتعلق بالثقافة الإنسانية، فقد بزغ فجر الإنسانية عندما تمكن الإنسان الأول من معرفة سر الحجر، وبدأ في استخدامه بشكل تدريجي، ومن هنا يمكن القول أن الحجر والإنسان قد عمل كل منهما تشكيل الآخر، فطور الإنسان صناعات واستخدامات الحجر، ووطورت هذه الصناعات من مهارات وقدرات الإنسان في التعامل مع بيئته، وفي الحصول على معاشه وتلبية حاجاته، لمزيد من المعلومات راجع: (صالح، ١٩٨١م؛ الصويان، ٢٠٠٣م؛ الشارح، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

أخرى كان قد صنعها من فروع الأشجار، ومن عظام الحيوانات الضخمة النافقة، ومن قرونها وأنيابها، كما استخدم الأصداف البحرية حيث كان يجدها، غير أن استخدامه لهذه الأدوات مجتمعة كان أقل من استخدامه للأدوات الحجرية (صالح، ١٩٨١م).

وطوال فترات هذا العصر الطويلة، ظل الإنسان يمارس حرفة الرعي لمئات الآلاف من السنين (الزليعي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، غير أنه بدأ في محاولات عدة لتطوير الصناعات الحجرية التي كان يستخدمها لكي يجعل منها أداة ترضي ذوقه بعد أن أرضت مطالبه فلجأ إلى تصغير سُمك وحجم هذه الأدوات، التي عرفت باسم الأدوات الدقيقة، ليرفع من كفاءتها ويخفف من وزنها كي يسهل عليه حملها (صالح، ١٩٨١م). ولذلك قسم علماء عصور ما قبل التاريخ العصر الحجري القديم إلى ثلاث مراحل رئيسية استناداً إلى الشكل، وأسلوب الصناعة مع ترتيب مجموعات هذه الأدوات ترتيباً زمنياً بشكل يبرز التطور الذي طرأ على هذه الصناعات منذ بداية العصور الحجرية حتى نهايتها.

ب - العصر الحجري القديم الأوسط (الموستيري) (Middle Paleolithic) :

يبدأ هذا العصر في نحو (١٥) ألف سنة قبل الميلاد بعد ذوبان الجليد ورجوعه إلى المناطق التي يشغلها حالياً، وانتهى في نحو (٧٥٠٠ ق.م)، ويعد عصرًا انتقاليًا من مرحلة الصيد إلى الرعي والزراعة (إنتاج القوت)، وقد تميز هذا العصر باعتدال المناخ وبدأ عصر الدفء والجفاف النسبي، فاختفت الحيوانات الكبيرة وحلت محلها الحيوانات المعروفة حالياً، وتحول الإنسان من مرحلة السكن في الكهوف والملاجئ والغابات إلى السكن قرب الأنهار والينابيع والعيون، وهذا يعني تحوله إلى الاستقرار في السكن والتحول في الإنتاج، فانتقل الإنسان من مرحلة الاقتصاد المستهلك عن طريق الجمع والالتقاط، إلى مرحلة الاقتصاد المنتج متمثلاً بالزراعة والرعي، فكانت المحاولات الأولى لزراعة النباتات البرية وتدجين الحيوانات، أما أدوات هذا العصر فكانت أكثر دقة وأصغر حجماً، كما تميز هذا العصر بظهور بعض الآلات الزراعية كالمناجل والهاونات ورحى الطحن، مما يعني قيام تجارب زراعية ولو كانت محدودة إلى قيام إنسان هذا العصر بحصد وطحن حبوب النباتات البرية، وينتهي هذا العصر في أزمنة تختلف باختلاف الأقاليم.

يُعد هذا العصر واحداً من أهم الفترات الحضارية في المملكة العربية السعودية، وتعود هذه الأهمية إلى عدم وجود صلة واضحة بين الحضارات المoustيرية في شبه الجزيرة العربية وتلك التي وجدت خارجها، وتحديدًا في بلاد الشام وبلاد الرافدين،

ج - العصر الحجري القديم الأعلى (Upper Paleolithic) :

يسمى (عصر إنتاج القوت)، بدأ هذا العصر في حوالي (٧٥٠٠ ق.م) وانتهى في نحو (٥٠٠٠ ق.م)، وهو عصر مميز إذ تعلم الإنسان في هذا العصر الزراعة وقام بتربية الحيوانات لأغراض اقتصادية، الأمر الذي قلل من أهمية الصيد، ويبدو أن الزراعة وتدجين الحيوانات بدأ في مرحلة الجفاف النسبي الذي تلا العصور الجليدية والمطيرة، إن عملية الاستقرار الذي فرضته هذه المرحلة الجديدة لاسيما الزراعة أدت إلى ظهور الملكية الفردية أي ملكية الحقول والحيوانات ووسائل الإنتاج، فضلاً عن توصل الإنسان إلى إنجاز حضاري مهم في هذه المرحلة تمثل بصناعة الفخار، حيث صنع أوانيّه من الفخار مع الاستمرار بصناعة الأدوات الحجرية لكنها بدأت تضمحل تدريجياً، وفي مجال الزراعة بدأ بزراعة الحنطة والشعير والشوفان وقام بطحنها وصناعة الخبز منها، ربما هذا الأمر دفعه إلى صناعة تماثيل أنثوية من الطين للدلالة على عبادة آلهة لها علاقة بالخصب، مع آلهة أنثوية بدينة أخرى تمثل الآلهة الأم، وقد اهتمت في هذا العصر إلى فكرة قياس الزمن أي استخدامه للتقويم الشمسي بقياس السنة الشمسية بالدورات الزراعية من بذر إلى بذر آخر يليه أو من حصاد إلى حصاد آخر يليه، مع أنه ظل يستعمل الأشهر القمرية، وتعلم حياكة الملابس وبناء البيوت من المواد المتوفرة محلياً كالقصب والبردي والخشب والطين الممزوج بالتبن، وكان لبناء المساكن أثر في تطور العلاقات الاجتماعية، وقاموا بدفن موتاهم.

٢ - العصر الحجري الحديث :

مع نهاية العصر الجليدي الأخير بحوالي عشرة آلاف سنة قبل وقتنا الحالي، أخذ الغطاء النباتي في العالم القديم بالانحسار، وطرأت عليه أحوال مناخية جديدة عرفت بـ (عصر الهولوسين)، وتلك الظروف المناخية ألقت بظلالها على حياة السكان، إذ إن الجفاف الذي ساد مناطق واسعة أثر على الجماعات البشرية في أواخر العصر الحجري القديم ودفعها إلى النزوح إلى المناطق ذات المياه والطبيعة الوفيرة. وأكدت الدراسات والأبحاث التي جرت خلال نصف قرن من الزمان، إلى حدوث تحولات حضارية مهمة على مسيرة الحياة البشرية، وقد أجمع الباحثون على تسمية تلك التحولات بمرحلة العصر الحجري الحديث، أو مرحلة إنتاج القوت. وحدث ذلك التحول نتيجة لعوامل عدة منها: التغير البيئي، التطور التقني في صناعة الأدوات، وزيادة الكثافة السكانية، كما رافق ذلك كله تطور حضاري وتراكم الخبرات البشرية. وتمكنت الجماعات البشرية في هذه الفترة من استئناس الحيوان، وزراعة الحبوب والنباتات، ونجحت في إنتاج بعض

الصناعات كصناعة الفخار، كما نجحت في تطوير صناعة الأدوات المصقولة الجديدة، وساعدت كل هذه التطورات في إحداث نقلة نوعية في نمط الحياة المعيشية، والاجتماعية، والفكرية وظهور بعض المعتقدات الدينية، والثقافية (الأمين، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ٧-٤٠).

تتبعي الإشارة إلى أن علماء الآثار والدراسات الأثرية يتفقون على أن معرفة الإنسان بالزراعة، وتربية الحيوان، وصناعة الفخار، تعد من السمات الحضارية لمرحلة العصر الحجري الحديث. مع الأخذ في الاعتبار أن تلك التطورات والتحويلات الحضارية تمت بشكل تدريجي، ولم تنجز في وقت واحد، ولم تحدث جميعها في مجتمع واحد. كما صاحب تلك التحويلات مستويات متباينة من حيث التنوع الثقافي في مناطق العالم القديم. حيث كان لكل إقليم من تلك الأقاليم منجزاتها وتجاربها التي تختلف عن غيرها باختلاف وتنوع الظروف البيئية، ودرجات الاتصال بغيرها من المجموعات، ومستوى الخبرات والتراكم الحضاري الذي يختلف من مجتمع لآخر. وهذا ما أكدته الدراسات والأبحاث الميدانية المتخصصة في كثير من بلدان العالم القديم فقد أثبتت أن تعاقب التطورات والابتكارات والمنجزات الحضارية، في فترة العصر الحجري الحديث لم تحدث في وقت واحد وإنما تباينت من منطقة لأخرى ومن مجتمع لآخر (Redman, 1978: 88-87).

٣- العصر الحجري المعدني؛

آخر عصور ما قبل التاريخ، والفاصل بين العصر الحجري الحديث وعصر فجر التاريخ، بدأ هذا العصر في نحو (٥٠٠٠ ق.م) وانتهى في نحو (٣٠٠٠ ق.م)، وسمي بذلك؛ لأن إنسان هذا العصر استمر في صناعة أدواته من الحجارة فضلاً عن استخدام المعادن، ويعد النحاس والرصاص أبرز المعادن التي دخلت في صناعاتهم، وسمي هذا العصر كذلك (عصر ما قبل السلالات) إشارة إلى الجانب السياسي من الحضارة، وشهد هذا العصر ازدياد القرى الزراعية، واتساع إنتاجها الأمر الذي أدى إلى ظهور المدن الصغيرة في كثير من أرجاء الشرق الأدنى لاسيما العراق ومصر وسوريا، واتضحت معالم التبادل التجاري (المقايضة) بين ما ينتجه الفلاح وما ينتجه الصناع، وهذا ما يشير إلى التخصص في المهن وتقسيم العمل، ويعد هذا العصر بحق عصر المكتشفات الحضارية الكبرى التي غيرت مجرى التاريخ، حيث ابتكرت العجلة ودولاب الخزف واخترعت الكتابة واستخدمت الأختام الأسطوانية وبرز النحت المجسم والبارز، وبُنيت المعابد والسفن الشراعية، واستخدم معدن النحاس بالطرق البارد أولاً ثم خلط مع القصدير لينتج البرونز، وبدأ استيطان السهول الرسوبية في المنطقتين الوسطى والجنوبية في بلاد الرافدين، وظهرت دولة المدينة.

لقد أدت التطورات السابقة إلى احتياج الإنسان لأخيه الإنسان بشكل أكبر من ذي قبل فظهرت لنا تكتلات سكانية من أجل التعااطي مع التطورات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة، وصاحب ذلك نمو التجمعات السكانية كثيرة العدد، التي نجحت في الاستقرار وبناء القرى الزراعية المبكرة، التي تحولت مع مرور الوقت إلى بلدات ومدن كبيرة، وتوجت الجماعات البشرية تلك المجهودات والقفزات الحضارية بتطورات أخرى نتيجة لتراكم التجارب البشرية التي تمكنت في النهاية من اختراع الكتابة، وتشريع عدد من أنظمة الحكم المركزي، وإيجاد قوانين في الحكم والإدارة، والتجارة، وسنت بعض التشريعات الدينية. وبهذا دلف الإنسان في مطلع الألف الرابع قبل الميلاد إلى ما يعرف بالعصور التاريخية القديمة (الأمين، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ٧-٤٠).

رابعاً: العصور الحجرية وشواهد وجودها في بلاد (تهامة والسراة)؛

١- البيئة الجغرافية لبلاد تهامة والسراة؛

لا ريب في أن تقسيمات العصور الحجرية في منطقة تهامة والسراة لا تختلف عن التقسيم العام لفترات العصور التاريخية في مناطق شبه الجزيرة العربية التي جاءت في مجملها منسجمة مع التقسيمات الشائعة في معظم مناطق العالم القديم. ولهذا شهدت منطقة السراة نشاطاً واضحاً للمجموعات البشرية التي عاشت في عصور ما قبل التاريخ.

ولعل الرسوم التي رسمت على جدران الكهوف والمدرجات الزراعية القديمة والقرى التراثية المنتشرة على قمم السروات وسفوحها وآثار الطرق التجارية القديمة تقف شاهدة اليوم على قدم التوطن البشري والدور المهم الذي لعبته تلك المرتفعات في تنظيم المجال الاستيطاني في هذه المناطق.

وتعد مرتفعات السراة من البيئات الجبلية التي لعبت دوراً أساسياً في تنظيم المجال الريفي نظراً لما تحتويه من موارد طبيعية جعلت المزارع يستطيع توفير كل متطلبات العيش في مثل هكذا بيئات. فتوفر الموارد المائية والغابية والتربة الخصبة وغيرها من العناصر الجاذبة جعلت المرتفعات مجالاً ملائماً لممارسة جل الأنشطة الزراعية عكس المناطق المنخفضة الحارة والجافة سواء في سهول تهامة الغربية أو الهضاب والسهول الشرقية.

من الواضح أن منطقة السراة قد بنت شخصيتها الجغرافية عبر مراحل تاريخية موعلة في القدم وتحت تأثير عوامل مختلفة لعبت فيها المرتفعات الجبلية دوراً مفصلياً. فالمشهد الجغرافي الذي يميز اليوم مرتفعات منطقة السراة هو نتاج موروث اجتماعي وثقافي لحضارات قديمة في تفاعل مستمر مع عناصر المكان والطبيعة.

أما منطقة تهامة فقد عرفت نشاطاً بشرياً ملحوظاً في مختلف فترات ما قبل التاريخ، وقد ساعد على ذلك تنوع البيئة الجغرافية لهذه المنطقة^(١)، ما بين البيئة البحرية وتمثلها الجزر البحرية ومن أهمها جزر فرسان^(٢)، والمناطق المحاذية للبحر الأحمر، ثم يلي ذلك بيئة سهلية ممثلة بسهول تهامة التي تحتوي على كميات هائلة من الطمي، يضاف إلى ذلك السبخ المالحية التي تتوزع في بعض جهات المنطقة^(٣)، ويخترق سهول تهام عدد من الأودية التي لعبت دوراً مهماً في طبغرافية المنطقة، كما تحتوي على مجموعة من التلال، يليها المنطقة الجبلية التي تحاذي السهول الساحلية من الشمال إلى الجنوب ومن هذه السلاسل الجبلية تأتي مصادر مياه الأودية التي تقطع السهول التهامية وتصب في البحر الأحمر^(٤).

لقد أدت هذه الطبيعة الجغرافية المتنوعة إلى إكساب المنطقة بيئات مميزة ساعدت على تكيف الإنسان والحيوان في هذه المنطقة وممارسة عدد من الأنشطة في مختلف عصور ما قبل التاريخ^(٥)، وفي عصورها التاريخية المختلفة، مع الأخذ في الاعتبار التحولات البيئية التي طرأت على المنطقة نتيجة للمتغيرات المناخية التي شهدتها الجزيرة العربية عموماً عبر عصورها المختلفة^(٦)، حيث يعتقد أن مناخ المنطقة الساحلية للبحر الأحمر كان يتميز بانخفاض درجة حرارته، وارتفاع في نسبة ملوحة مياه البحر الأحمر وذلك في الفترة من (٢٠٠٠-١٣٠٠٠) سنة، كما أن مستوى سطح البحر في تلك الفترة كان ينخفض عن مستوى سطحه في وقتنا الحالي بمقدار (٨٠) متر تقريباً، علاوة على أن المنطقة شهدت في تلك الفترة تكوين السبخ المالحية^(٧).

(١) عبد الرحمن صادق الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، ج ١، (الرياض: دار المريخ، للنشر، د.ت)، ص: ٩١؛ الزيلعي وآخرون، آثار منطقة جازان، مرجع سابق، ص: ٦٢؛ الخثعمي، «عصور ما قبل الإسلام»، ضمن موسوعة المملكة العربية السعودية، مج ١٢، منطقة جازان، ص: ١١٧.

(٢) هناك من يعتقد أنه يوجد اختلاف في المكونات السطحية بين سطح جزر فرسان، وبقية الجزر الأخرى الموجودة في البحر الأحمر، انظر: الرفاعي، عبد الرحمن محمد: جدة والكنعانين بفرسان قبل الفصل البحري، بحث غير منشور.

(٣) الخثعمي، «عصور ما قبل الإسلام»، ضمن موسوعة المملكة العربية السعودية، مج ١٢، منطقة جازان، ص: ١١٧.

(٤) المرجع السابق، ص: ١١٧.

(٥) المرجع نفسه، ص: ٦٢.

(٦) لمزيد من الاطلاع على التغيرات المناخية التي شهدتها شبه جزيرة العرب في عصورها القديمة راجع: طلعت أحمد محمد عبده، وجورية حسين جاد الله: جغرافية شبه الجزيرة العربية، (الرياض: دار الخريجي للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ)، ص: ٢٧٨-٢٠٢.

(٧) الزيلعي وآخرون، آثار منطقة جازان، مرجع سابق، ص: ٦٢.

وبناءً على ما سبق يمكن القول أن التطورات الطارئة على البيئة الجغرافية للمنطقة والتغيرات المناخية التي شهدتها شبه الجزيرة العربية، واستناداً إلى الدلائل الأثرية في عموم الجزيرة العربية تجعلنا نتوقع أن حضارات العصور القديمة تختلف في مراحل تطورها الزمني من مكان لآخر، تبعاً لتباين المكتشفات والأدوات الأثرية في معظم مناطق شبه الجزيرة العربية وبخاصة الجهات الشمالية والوسطى منها.

٢ - حضارة العصر الحجري القديم الأسفل (Lower Age Paleolithic) :

يمتد هذا العصر لفترة زمنية طويلة، ويُعد أقدم فترة للوجود البشري التي عرفها العالم القديم عموماً، ووجدت له مؤشرات تؤكد وجود مجموعات بشرية في أرض المملكة العربية السعودية، وقد كشف لنا برنامج المسح الأثري الشامل الذي قامت به وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف (سابقاً) خلال العقد الماضي عن وجود عدد من المواقع تنتمي إلى الحضارة الألدوانية والآشولية التي تعود إلى بواكير العصر الحجري الأسفل، ولذا فإن أراضي (تهامة والسراة) تحوي كثيراً من الأدوات الحضارية التي تعود إلى الفترات الزمنية لهذا العصر. ومن هنا سنحاول أن نقدم ما عثر عليه الأثريون حتى الآن في تهامة والسراة، وبخاصة في تلك الأماكن التي تقع على جنبات الأودية، وعلى جوانب الطرق والأماكن التي تتوافر فيها وسائل الحياة، والتي ترجع إلى فترات مختلفة من عصور ما قبل التاريخ، فضلاً عن تلك الكهوف التي عاشت فيها جماعات بشرية في المرتفعات الجبلية.

يبدو ذلك في مختلف المناطق الجنوبية من المملكة العربية السعودية (الباحة، عسير، نجران، جازان) التي تشكل مناطق (تهامة والسراة)، حيث لا تخلو من المستوطنات أو الأدوات الأخرى التي تعود إلى حقبة العصر الحجري الأسفل. وتشير المكتشفات الأثرية الحديثة التي عثر عليها في جهات مختلفة من (تهامة والسراة) بالمملكة العربية السعودية إلى أوجه الشبه مع تلك التي عثر عليها في المناطق المجاورة في غرب آسيا، أفريقيا، أوروبا، والهند (Zarins, 1981) ويقسم الباحثون العصر الحجري القديم الأسفل وفق معطياته الحضارية إلى قسمين متعاقبين، هما:

أ - الثقافة الألدوانية (Oldowan Culture) :

تميزت تلك المرحلة من التاريخ البشري باكتشاف أنواع من الأدوات الحجرية في بحيرة توركانا، ومثلث عفار، وممر أولدفاي بشرق إفريقيا الذي نسبت إليه هذه الثقافة لكونه أحد أشهر مواقع العصور الحجرية في العالم (كباوي، ١٩٩١، ص: ١٨، Zarins, 1981).

ب - دلالات الثقافة الألدوانية في منطقة السراة:

إذا ما استعرضنا تقارير المسح الأثري الذي جرى في تهامة والسراة فإن الشواهد الأثرية المكتشفة، والمسوحات التي أجريت في جنوبي غرب المملكة العربية السعودية تؤكد أن نجران من المواقع التي استقر فيها الإنسان قديماً، حيث تشير بعض التقارير أنه عُثر في موقع (شعيب دحضة) أو المسمى (العجمة) على عدد من الأدوات الحجرية التي تعود إلى الثقافة الألدوانية قبل (١,٨-١,٢) مليون سنة.

وتؤكد تقارير برنامج المسح الأثري الذي جرى في منطقة نجران أنه عُثر في هذا الموقع على بعض الأدوات التي تسبق الثقافة الأشولية (Zarins, ١٩٨١). وعلى أي حال، فإذا صح تحليل هذه الأدوات فإن هذا التاريخ يعد مرحلة مبكرة من العصر الحجري القديم الأسفل وينتمي إلى مرحلة الثقافة الألدوانية، وتمثلت أدوات هذه الفترة في عدد من القواطع الحجرية والمطارق والمدقات والمكاشط وبعض الأدوات البدائية ذات الوجهين.

ويعتبر موقع نجران نموذجاً لتعاقب أدوار صناعة الأدوات الحجرية خلال العصر الحجري القديم الأسفل. ففي هذا الموقع تأكد تطور هذه الصناعات من النوع الحصى البسيط، وأطلق عليه الدور الألدواني الذي يشتمل على تجمعات لأدوات حجرية، وبقايا عظمية آدمية وحيوانية، إضافة إلى ظواهر أخرى وجدت على امتداد أربع طبقات من الترسبات الجيولوجية. وتشبه أدوات هذا الموقع تلك التي عُثر عليها بالقرب من قرية الشويحية في المنطقة الشمالية والموقعين مع أدوات وجدت في مواقع مشهورة في شرقي أفريقيا (الأمين، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٧-٤٠).

ففي الطبقة السفلية وجدت بعض الصناعات الألدوانية التي تمتد زمنياً إلى الفترة من (١,٩ إلى ١,٦) مليون سنة. وتستمر مثل هذه الصناعات في الطبقة الثانية، مع وجود بعض التغيرات الطفيفة في أشكال ونسب الأدوات، ولهذا أطلق عليه الصناعات الألدوانية المتطورة (أ)، وتؤرخ في الفترة من (١,٦ إلى ١,٣) مليون سنة. ويليهما الصناعات الألدوانية المتطورة (ب)، وتمتد من (١,٢-١,٠) مليون سنة. وظهرت في منتصف الطبقة الثانية عدد من الفؤوس اليدوية التي تتزامن مع ما سمي بالصناعات الألدوانية المتطورة (ب) (Gowlett, 1984, 40-41).

يذهب بعض المهتمين بدراسة وتحليل أدوات موقع نجران والشويحية إلى الاعتقاد بأن هناك تطابق كبير بين أدوات الموقعين والتي تنسب إلى الدور الألدواني (أ) مع تلك الموجودة في موقع أولدفاي بأفريقيا وذلك من حيث السمات والخصائص.

وقد اقترح أصحاب هذا الرأي وصول سلالة الإنسان منتصب القامة المعروفة بـ (Homo erectus) إلى الجزيرة العربية من خلال طريقين، أحدهما: طريق مضيق باب المندب، ودلت عليه أدوات موقع نجران المبكرة؛ أما الطريق الثاني فقد كان عبر صحراء سيناء، ويدل على ذلك الأدوات التي عثر عليها في الشويحية (Whalen, et al. 1989, 69-73).

عثر في منطقة عسير موقع وحيد على ضفاف وادي تثليث بالقرب من خندق صغير شرق الوادي الرئيسي، يحتوي على مجموعة من الأدوات الحجرية، وتضم بعض المكاشط والرقائق والقطع المدببة التي لا تحمل سمات الحضارة الألدوانية، كما أنها لا تتوافق مع الأدوات الآشولية المعروفة. ويعتقد زارينس أن هذه المجموعة من الأدوات الحجرية سابقة في زمنها للثقافة الآشولية (Zarins, 198)، ولا تزال تلك الأدوات بدون تصنيف علمي ثابت يوضح تفاصيلها ويحدد سماتها الحضارية. ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن معلوماتنا عن عصور ما قبل التاريخ في منطقة تهامة والسرعة على وجه الخصوص وفي المملكة العربية السعودية بشكل عام لا تزال في مراحلها الأولى، فأعمال التنقيب الآثارية ما زالت مستمرة وتقدم لنا معلومات جديدة من وقت لآخر.

ج - الثقافة الآشولية (Acheulian Culture) :

نسبة إلى منطقة (Acheule) في فرنسا التي عُثِرَ فيها على أدوات جديدة فنسبت إليها وأصبحت تعرف بها، وتمثل الحضارة الآشولية الدور الثاني في تطور بواكير الحضارة الإنسانية خلال العصر الحجري القديم الأسفل. واشتهرت هذه المرحلة بأدواتها المميزة التي عرفت في المملكة العربية السعودية منذ أكثر من نصف قرن تقريباً، من خلال اكتشاف الفؤوس الحجرية الآشولية المتناثرة على السطح في كثير من مناطق المملكة، بالإضافة إلى الأدوات ثنائية الوجه، وثلاثية السطوح المستدقة الشبيهة بالكرة، والسواطير، والسكاكين ذات النصلين، والقواطع، والمطارق الحجرية، والنوى الحجرية. وكان أول من اكتشف إلى جانب ابتكارات ونشاطات أخرى تدل على تطور قدرات الإنسان وانتشار الإنسان الأول في مناطق جغرافية أوسع مما كانت عليه من قبل، وقدرته على التكيف مع البيئات الجديدة، واستغلال مواردها الطبيعية بشكل أفضل (الأمين، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م؛ الخثعمي، ٢٠٠٩م/ ١٤٣٠هـ).

(*) هذا، وقد صنّف الباحثون الحضارة الآشولية إلى ثلاثة عصور، وهي:

(*) العصر الآشولي المبكر:

امتاز هذا العصر بظهور أدوات الفؤوس وخاصة ذات الأشكال البيضاضوية، والقلبية-أي التي تشبه القلب-والحلزونية، والمفارم غير المشذبة (Sordinas, 1978).

(*) العصر الآشولي الأوسط:

تميزت صناعاته بالأدوات ثلاثية الرؤوس ذات الأطراف المستدقة الرمحية الشكل، وأخرى ثنائية الوجه، وأدوات مستديرة تشبه الكر، علاوة على مجموعة من السواطير والسكاكين ذات النصلين (Zarins, 1981).

(*) العصر الآشولي المتأخر:

في هذا العصر بدأت تظهر لنا أدوات صغيرة الحجم عن سابقتها حيث ظهرت الفؤوس اليدوية الصغيرة وإن كانت قد صُنعت هي الأخرى على هيئة قلب أو بشكل بيضاوي وإن ظهر منها بعض أشكال متميزة أخرى (Zarins, 1981). وتم تشكيل تلك الأدوات باستخدام المطرقة الخفيفة، وهي تتماثل مع أسلوب الليفالويز (Besaancon, 1978).

لقد أكدت نتائج المسح الأثري الشامل لأراضي المملكة العربية السعودية، استمرار الوجود الإنساني في المملكة خلال المرحلة المبكرة، التي تمثلها مكتشفات الشويحية ونجران، إذ توسع وانتشر الاستيطان في المرحلة الآشولية التالية ليشمل معظم أقاليم البلاد. واهتم الباحثون بدراسة وتحليل أدوات المواقع الآشولية في المملكة باعتبارها تشكل أدلة واضحة على اتصال هذه المنطقة بالمراكز الحضارية المبكرة في المناطق الأخرى من أفريقيا وشرقي البحر المتوسط.

ظهرت الأدوات الآشولية بشكل لافت في منطقة الدوادمي في المنطقة الوسطى، وفي وادي فاطمة في المنطقة الغربية، وهذا لا يعني عدم وجودها في مناطق أخرى لكن كميات الموجودات منها لم تشجع المهتمين والباحثين بإجراء الدراسات عليها إذ انصب اهتمامهم بدراسة وتحليل أدوات الموقعين أنفي الذكر (الأمين، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٧-٤٠).

٣ - شواهد الحضارة الآشولية في بلاد السراة:

عُرفت منطقة السراة عبر مراحل تاريخية موعلة في القدم وتحت تأثير عوامل مختلفة لعبت فيها المرتفعات الجبلية دوراً مفصلياً. فالمشهد الجغرافي الذي يميز اليوم مرتفعات منطقة السراة هو نتاج موروث اجتماعي وثقافي لحضارات قديمة في تفاعل مستمر مع عناصر المكان والطبيعية.

أما ظهور الأدوات الحجرية في منطقة تهامة ففي ساحل تهامة وتحديداً في منطقة جازان عُثر على عدد من المواقع الأثرية التي تحوي أدوات من العصر الآشولي، ودلت الدراسات الميدانية التي أجريت في المنطقة على أن ساحل البحر الأحمر يعد أفضل

مصدر للمعلومات عن العصر الآشولي. حيث تنتشر سيول الحِمم البركانية على طول الأودية الساحلية بمنطقة تهامة، كما يوجد في المنطقة -بعيداً عن الشاطئ- عدد من القمم البركانية إضافة إلى بعض البروزات الحممية الصغيرة التي توجد إلى الشرق من مدينة أبي عريش بجازان على بعد (٢٥ كم) من شاطئ البحر الأحمر، (الخنمي، ٢٠٠٨ م، ص ١٨٥-٢٢٤). ومن أبرز الأدوات الآشولية التي عثر عليها في موقع الحمم تلك التي وجدت جنوب مدينة البرك بتهامة عسير، وشمال الشقيق. وتمثلت هذه الأدوات في بعض القواطع اليدوية والمفارم والسكاكين والرفائق والسواطير ولباب الأحجار (Zarins, 1981, p14, 15; 1985, p68). وفي عدد من الحالات ترتبط الأدوات الآشولية ببقايا المسطحات المرجانية التي انفطت خلال الأزمنة الغابرة بفعل أمواج البحر العالية. كما عثر أيضاً على أدوات آشولية في موقع عوادي داخل فوهة بركان قديم، كما وجدت بقايا ورشة تصنيع صغيرة (عبد النعيم، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

يمكن كذلك الاستدلال على وجود أدوات ذات سمات آشولية في ساحل تهامة من خلال وجود بعض المستوطنات التي تشبه المستوطنات الآشولية التي كانت تعتمد في مصدر غذائها على الأطعمة البحرية (الزيلي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) المتمثلة في صيد الأسماك، والتقاط المحار والقواقع، نظراً لقيمتها الغذائية العالية لاحتوائها على مادة البروتين، علاوة على توافرها في البيئات البحرية (Zarins, 1981).

على كل، فمن الملاحظ مما سبق أن مادة الكوارتزيت الحديدي قد شكلت المادة الرئيسية لصنع أدوات الحضارة الآشولية وذلك لتوافرها في منطقة تهامة والسرّة، كما استخدمت أنواع أخرى من الأحجار الطبيعية كالصخور الحممية في صناعة الأدوات الآشولية، وذلك تبعاً لجيولوجية المنطقة (الخنمي، ٢٠٠٩م/١٤٣٠هـ).

أ - بلاد نجران:

في منطقة نجران تم العثور على أدوات تمثل مجموعة من المراحل الحضارية المختلفة عطفاً على حجم الصناعات الحجرية وأسلوبها، ومنها:

- ١ - المرحلة المبكرة (موقع الربع الخالي): أمّا عن وجود أدوات الحضارة الآشولية في منطقة نجران فقد عثر في الربع الخالي في حدود منطقة نجران على أدوات حجرية تمثل المرحلة المبكرة من الحضارة الآشولية المعروفة بأدواتها الحجرية المميزة، وتضم القواطع البيضاوية التي على شكل قلب (Zarins, 1981).

٢- إن منطقة المندفن في شرقي نجران، وصحراء الربع الخالي، شهدت سلسلة متتابعة من البحيرات في عصر الهولسين، وكانت ذروتها ما بين (١٠٠,٠٠٠ و ٦٠,٠٠٠) سنة قبل الوقت الحالي، ويعتقد أن هذا العصر كان رطباً ومطيراً، لكنه لم يكن أكثر في كمية أمطاره من البلايستوسين، وبدأت في ذلك العصر - كذلك - ظروفًا مناخية شديدة من الحرارة والجفاف وارتفاع في تكوين الكثبان الرملية، وكانت القطع الأثرية الصوانية المصقولة لتلك العصور الحجرية متزامنة مع فترات حضارات شرق أفريقيا (McClure, 1984. 65). أما في الفترات التالية، وخاصة في فترة العصر الحجري الحديث فقد كانت هناك شبكات تبادل في بعض مواقع جنوب غرب شبه الجزيرة العربية كموقع المندفن هذا (Khalidi, and Others, 2013, 60). إذن فإن هذا الموقع يرتبط بالربع الخالي، وخاصة في جانبه الغربي.

٣- المرحلة المتوسطة (موقع آبار حمى): تميزت أدوات هذه المرحلة عن المرحلة المتأخرة من العصر نفسه بأنها تضم أنواعاً محددة من الأدوات ثنائية الوجه، وبوجود أنماط محددة من الأدوات وأن أدواته قد صنعت باستخدام أسلوب الطرق الخفيف. فهناك موقع ينتمي إلى العصر الآشولي الأوسط وهو موقع آبار حمى بنجران؛ لكونه يحتوي على أدوات ثلاثية السطوح رمحية الشكل (مستدقة الطرف) وأخرى متعددة السطوح، إلى جانب أدوات شبيهة بالسواطير، والكرة والسكاكين ذات النصلين (Sordinas, 1978).

٤- المرحلة المتأخرة: وجدت في هذه المرحلة أدوات تختلف عن تلك التي تنتمي إلى المرحلتين المبكرة والمتوسطة من فترة الحضارة الآشولية. ووجدت أدوات هذه المرحلة في موقع آبار حمى وفي مضائق الجبال بين صخور الكوارتزيت الحديدي.

ب - منطقة عسير:

في منطقة السراة وتحديداً في منطقة عسير حالياً عُثِرَ كذلك على بعض الأدوات الحجرية التي تنتمي إلى الحضارة الآشولية، فبالرغم من عدم وجود أدوات تعود إلى مرحلة الحضارة الآشولية المبكرة إلا أنه تم العثور على عدد من الأدوات التي تعود إلى العصر الآشولي المتوسط، والعصر الآشولي المتأخر، وإن كانت حضارة العصر الآشولي الأوسط أكثر انتشاراً من العصر المتأخر ومن أبرز المواقع في سراة منطقة عسير ما يلي:

١ - منطقة خميس مشيط:

عُثر فوق بعض المنحدرات المرتفعة التي تشرف على وادي بيشة إلى الجنوب من خميس مشيط على ثلاثة مواقع تنتمي إلى الحضارة الآشولية في عصرها الأوسط، وتضم عدد من الأدوات المصنوعة من الكوارتزيت الحديدي، ومن أبرزها القواطع اليدوية والمفارم ولباب الأحجار والرقائق الكبيرة والسكاكين وأدوات النقش والمسنتات (Zarins, 1981).

٢ - منطقة الصبيخة:

تم العثور في الجهة الشرقية من الوادي الرئيسي على مجموعة من الأدوات الحجرية التي تنتمي إلى العصر الآشولي الأوسط وتشمل فؤوساً رديئة الصنع تم صناعتها من حجر الأنديسيت أو الداكسيت وتشبه تلك الأدوات التي صنعت من حجر الريوليت لكنها أصغر منها حجماً (Overstreet, 1971; 1973).

٣ - منطقة ظهران الجنوب:

اكتشف في موقع بظهران الجنوب مجموعة من الأدوات التي تم تصنيفها ضمن حضارة العصر الآشولي المتأخر، ومن أبرز الأدوات الفؤوس اليدوية، ونوى الأحجار الكبيرة، ومكاشط، ومفارم، ورقائق (شظايا) صنعت جميعها من الكوارتزيت الحديدي ومغطاة بطبقة سميكة من الرواسب عند ضفة أحد الأودية. وفي وادي آخر من المنطقة نفسها وجدت مجموعة من الأدوات التي تنتمي إلى العصر الآشولي المتأخر ومن أهمها لباب الأحجار، كما وجد في ذات المنطقة على أدوات أخرى تعود إلى الحضارة الآشولية في عصرها المتأخر، ومنها السكاكين ذات الأسطح، والمفارم، ولباب الأحجار، والفؤوس اليدوية، والرقائق الصغيرة (Zarins, 1981). وأشار أحد الباحثين إلى أن بعض الفؤوس التي جلبت من منطقة عسير^(١) تم عرضها في متحف الرياض (عبد المنعم، ١٩٩٥).

(١) مما يؤسف له أن الآثار في المملكة بشكل عام وفي منطقة السرعة بشكل خاص تتعرض إلى السرقة والتدمير المتعمد بدافع الاتجار والكسب المادي، وقد وقفت بنفسي على الدمار والتخريب الذي تعرضت له بعض المواقع الأثرية في منطقة عسير في أثناء الدراسة الميدانية التي قمت بها لإعداد «موسوعة الآثار والتراث والمعالم السياحية في منطقة عسير - دراسة توثيقية»، (٨ أجزاء)، (جدة: مطابع السروات، ١٤٢٩ هـ)، وقد قمت بتوثيق تلك المواقع في مرحلة الدراسة الميدانية ولما عدت لها في مرحلة الكتابة ووجدتها أثراً بعد عين وقد استخدمت الآلات الضخمة لتجريف وحمل الصخور التي تحوي بعض النقوش والرسوم الصخرية، وأزيلت من مواقعها، كما أن الآثار المنقولة تنهب بشكل مستمر من جميع المواقع التي توجد فيها.

٤ - منطقة تثليث:

عُثر أسفل إحدى الهضاب الجرانيتية في وادي تثليث على موقع يعود لفترة الحضارة الآشورية، وصنعت أدوات هذا الموقع من الصخور الحممية (اللافا) وأبرز الأدوات التي وجدت في هذا الموقع فؤوس يدوية ونوى الأحجار الكبيرة وبعض السواطير والرقائق المصنوعة بالطرق العنيفة مما يوحي لنا بأنها تنتمي لحضارة العصر الآشوري الأوسط (Zarins, 1981).

٥ - منطقة رجال ألمع:

يشير بعض الدارسين إلى وجود قطع يدوية لأدوات بيضاوية ثنائية الأوجه بشكل ملتوكان جون فيلبي (Philby) قد عثر عليها في موقع (عبيل ألمع) ويرجح أنها تنتمي إلى الفترة الآشورية المتأخرة (عبد المنعم، ١٩٩٥). وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأدوات محفوظة الآن في متحف الرياض ضمن مجموعة جون فيلبي، والواقع أنه لا يعرف في منطقة عسير موقعاً باسم (عبيل ألمع)، إلا أن يكون الاسم تصحيحاً (لحبيل ألمع)^(١).

٤ - شواهد حضارة العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط في سواحل تهامة:

لا شك أن حضارات عصور ما قبل التاريخ قد ظهرت بشكل كبير في سواحل تهامة وهذا ما أثبتته المسوحات الأثرية المتتابعة لهذه المنطقة، حيث سجل عن طريق مشروع دسبريس^(٢) في منطقة جازان، وعسير، وجنوب القنفذة عدد من المواقع التي تنتمي لحضارات ما قبل التاريخ، ومن أبرز تلك المواقع وأهم الأدوات التي عثر عليها في سواحل تهامة في فترة ما قبل التاريخ ما يلي:

أ - بلاد جازان:

(*) **وادي نخلان وجبل عكوان:** عُثر في شرقي صبيا على فوهتي بركان بجبل عكوان وجبال من الجرانيت والصخور على حوالي عشرة مواقع أثرية تحتوي على أدوات أثرية من البازلت المحلي تعود إلى العصر الحجري القديم المبكر والمتوسط. وإحداثيات اللقى في هذا الموقع هي (٤٨٤-٤٧٩، ٤٨٥-٤٩١، ٤٧٠-٤٧٨، ٤٠٠-٤٠٣، ٥١٨-٥٢٠).

(١) لا أعتقد أن هذا المكان له علاقة بمنطقة رجال ألمع، لأن فيلبي لم يصل إلى هذه الناحية إطلاقاً (ابن جريس).

(٢) انظر أبرز النتائج التي حققها هذا المشروع: روبين إجنليس، وآخرين: التقرير الأولي للأعمال الميدانية في جنوب غربي المملكة مشروع دسبريس: منطقة جازان وعسير ١٤٣٤ (هـ/فبراير - مارس ٢٠١٣)، أطلال، الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني قطاع الآثار والمتاحف، العدد الثامن والعشرون، (الرياض: ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)، ص: ٧١-٧٦.

(*) وادي صبيا الاحداثيات (٥١٣-٥١٧، ٥٢١-٥٢٤) : عثر في أحد الجبال بجانب وادي صبيا على عدد من الأدوات صنعت من البازلت والصوان، تؤرخ إلى العصر الحجري المبكر والأوسط، ومواد أخرى تنتمي إلى العصر الحجري المتأخر.

(*) أبو عريش وبحيرة سد جازان : وجدت بعض الرقائق الحجرية والنوى المصنوع من الكوارتز والبازلت والصوان إلى غرب مياه السد ويعتقد أنها تعود إلى العصر الحجري الأوسط أو بعده. كما عثر على بعض الأدوات التي تنتمي لحضارة العصر الحجري المبكر، ورقائق من الشرت والبازلت من العصر الحجري الأوسط. وعلى إحدى الحمم البركانية في أعلى وادي جازان عثر على رقائق من البازلت تعود إلى العصرين الحجريين المبكر والأوسط. وفي محجر يقع إلى الجنوب من الطريق الرئيسي أبو عريش-فيفا وجدت بعض الأدوات الحجرية من رقائق الشرت والكوارتز والبازلت تم تحديد تاريخها إلى العصر الحجري المبكر والأوسط^(١).

(*) جبل أم القمام : وجد في فوهتي بركان جبل أم القمام إلى الجنوب الشرقي من مدينة أبو عريش بالقرب من قرية الوحمة على عدد من الأدوات والمواد الحجرية معظمها من العصرين الحجريين المبكر والأوسط، والبعض الآخر يعتقد أنها تعود العصر الحجري المتأخر.

ب - شمالي جازن (سواحل عسير) :

(*) وادي عرمرم وجبلي بقارة ولبابة الاحداثيات (٨٦٥-٨٧٥، ٨٨٥-٨٨٨)^(٢) : يعد جبل بقارة وجبل لبابة من المعالم الجغرافية البارزة في هذه المنطقة، ومن أبرز الأدوات التي وجدت في هذه المعالم الثلاثة رقائق من الحجر الرملي تعود إلى العصر الحجري الأوسط^(٣).

(*) جبل الحشاحيش (الاحداثيات ٨٥٧-٨٥٨) : في أسفل الجبل وعلى فوهة بركانية وجد مجموعة متنوعة من أدوات العصر الحجري الأوسط وهي تمثل رقائق ونوى من الكوارتز والبازلت والصلصال المتحجر والشرت^(٤).

(١) معلومات أكثر تفصيلاً انظر: روبين، المرجع السابق، ص: ٧١، ٧٢.

(٢) بعض التقارير الأثرية سهلت على الباحثين والدارسين من خلال إعطاء إحداثيات المواقع التي تم مسحها أو التقييب فيها كالتقرير الذي اعتمدنا عليه في هذه المنطقة.

(٣) روبين، المرجع السابق، ص: ٧٤.

(٤) المرجع نفسه، ص: ٧٤.

(*) الهضاب الإحداثيات ٦٠٧-٦٢٢، ٨٠٤-٨٥٠؛ إلى الشرق من الطريق الذي يربط بين محاليل والشقيق سجلت مجموعة من القطع الأثرية تنتمي إلى حضارة العصرين الحجريين المبكر والأوسط ومواد أخرى صنعت من المواد الخام كالبازلت والكوارتز والشرت والحجر الرملي^(١).

(*) حرة البرك (الإحداثيات ٥٩٤-٦٠٦)؛ رُصدَ في هذا الموقع عدد من الأدوات الحجرية على فوهة جبل بركاني بحرة البرك وعُثر على مجموعات كبيرة من الأدوات الحجرية، واقتصرت هذه المواد على العصرين الحجريين المبكر والأوسط^(٢).

(*) وادي نجلاء (الإحداثيات)؛ تنوعت الأدوات الحجرية على امتداد الوادي في هذا الموقع ومنها: مواد مصنوعة من البازلت من العصر الحجري المبكر (إحداثيات ٦٩٥-٧٠٦).

- أدوات ورقائق من حجر البازلت يعتقد أنها من العصر الحجري الأوسط (إحداثيات ٧٦٥-٧٦٩، ٨٠١-٨٠٢).

- أدوات حجرية متنوعة ورقائق من حضارة العصرين الحجريين المبكر والأوسط صنعت من حجر البازلت والاندسايت (إحداثيات ٧٨٥-٨٠٠).

(*) وادي ذهبان؛ عند مصب وادي ذهبان على الحافة الجنوبية منه (إحداثيات ٢٩٢) وجدت قطع أثرية من العصرين الحجريين المبكر والأوسط.

(*) سواحل البرك (الإحداثيات)؛ (الإحداثيات ٢٨٧-٢٨٨، ٦٢٧-٦٤٠، ٦٦٩-٦٧٠)؛

- عُثر في الموقع على بعض الأدوات الحجرية رقائق ونوى من حجارة البازلت وتؤرخ في العصر الحجري المبكر.

- وفي موقع آخر (إحداثياته ٢٨٩-٦٤١، ٦٤٩)، وجدت معثورات من المواد الأثرية المصنوعة من البازلت بموقع المسح الشامل ٢١٦-٢٠٨، تنتمي لحضارة العصرين الحجريين المبكر والأوسط حيث وجدت على ركام شعب مرجانية.

(١) المرجع نفسه، ص: ٧٤.

(٢) المرجع نفسه، ص: ٧٤.

- وجدت كذلك رقائق من العصر الحجري الأوسط حمة بركان فوق شعبة مرجانية إحدائيات (٦٥٠-٦٥٣).
- وفي موقع المسح الشامل لمشروع دسبريس إحدائياته (٦٥٤-٦٦٨، ٦٧٢-٦٧٤)، تمكن فريق المسح الأثري من العثور على مجموعة من اللقى المصنوعة من البازلت من العصرين الحجريين المبكر والأوسط فوق آكام مرجانية على جانبي جبل بركاني من أبرزها فأس ونوى ورقائق حجرية^(١).

ج - جنوبي القنفذة (الإحدائيات ٢١٧-٢١٩) :

في شمال حرة البرك إلى الجنوب من ميناء القنفذة تم العثور في ثلاثة مواقع على أدوات تعود إلى ثقافة العصر الحجري الأوسط منها قطعتان في مواقع إحدائياته (٧١٥-٧٢٦، ٧٣٢، ٧٤٤-٧٣٥، ٧٤٥-٧٤٦)، وعلى إحدى سفوح جبل من البازلت والكوارتز إحدائياته (٧٢٧-٧٣٠)، وجدت قطع أثرية من العصر الحجري القديم^(٢).

لعل من أبرز نتائج هذا المشروع (دسبريس) هو إيضاح أهمية سواحل تهامة بشكل عام في زيادة معرفتنا عن ثقافة العصر الحجري القديم في جنوب شبه الجزيرة العربية بشكل خاص وفي بقية مناطق شبه الجزيرة العربية بشكل أعم. فضلا عن الكشف عن أدوات حجرية تنتمي إلى العصور الحجرية المبكر والأوسط والمتأخر.

٥ - شواهد العصر الحجري القديم الأعلى :

تعد فترة العصر الحجري القديم الأعلى التي يؤرخ لها في الفترة من (٤٠،٠٠٠ إلى ١٠،٠٠٠) قبل وقتنا الحالي من أهم الفترات الحضارية في ثقافات العصر الحجري القديم، بسبب التطور التقني في صناعات الأدوات الذي أحرزه الإنسان في هذه المرحلة، ونجاحه في تحسين أنماط الحياة المعيشية، وتوفير أدوات جديدة ومناسبة لتأمين احتياجاته من الغذاء في ظل تزايد أعداد المجموعات البشرية عما كانت عليه في المرحلة السابقة.

ففي هذه الفترة ساد الاستيطان البشري جميع أرجاء المعمورة بما في ذلك ما يعرف بالعالم الجديد (أمريكا وأستراليا). فتتوعد صناعة الأدوات الحجرية، وأصبحت تصنع من أنصال طويلة متوازية الأضلاع ورفيعة السمك، وتمكن إنسان تلك المرحلة من تحويلها بشكل تدريجي إلى شفرات رفيعة ودقيقة الشحذ.

(١) روبين، المرجع السابق، ص: ٧٦.

(٢) روبين، المرجع السابق، ص: ٧٦.

من أبرز الصناعات المعروفة في هذه الفترة: المكاشط والسكاكين الرفيعة، والنصال المظهرة، ذات الأشكال الهندسية والمناقيش والمثاقب الرفيعة. ونجح إنسان هذه المرحلة في إضافة معدات وأدوات جديدة إلى أدواته السابقة، حيث بدأ في استخدام الأدوات العظمية، وصنع منها أدوات جديدة مثل: الخطاطيف والإبر والرؤوس المدببة. وصاحب هذا التطور التقني في الصناعة تنوع في المواد الغذائية، وطرق إعدادها؛ فشمّل الصيد البري، والطيور، والموارد المائية، والحبوب البرية، وغير ذلك مما توفره البيئة. (Zarins, et al. 1981, 19، الأمين، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٧-٤٠).

هذا، وقد تزايد تصنيع النصال وشحذ الأدوات في أشكال دقيقة، وأصبحت أكثر انتشاراً عما كانت عليه في العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط. وانتشرت تقنيات العصر الحجري القديم الأعلى في مناطق المملكة العربية السعودية، وفي منطقة نجران وعسير وخاصة في مواقع بئر حما بنجران، ووادي تثليث بعسير وجدت أدوات صنفت على أنها تحمل صفات مشتركة بين مرحلتين، ولم تكن أدوات هذا العصر مقصورة على مناطق المملكة بل وجدت في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية، وبعض المواقع شرقي إفريقيا (الأمين، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٧-٤٠).

٦- شواهد العصر الحجري الحديث في السراة وتهامة:

يعتقد أن فترة العصر الحجري الحديث وما تلاه، شهدت تطورات حضارية مهمة تتصل بالتوسع في الاستيطان، في أماكن توافر المياه والموارد الطبيعية، في شتى أنحاء المملكة العربية السعودية، خاصة الشمال والشرق والجنوب الغربي. واتجهت الجماعات البشرية في هذا العصر إلى استغلال الموارد البحرية في المنطقة الشرقية وفي سواحل تهامة، وتعكس المواد المكتشفة تنوعاً ثقافياً في أقاليم المملكة، ووجود قواسم مشتركة بينها. ومن الطبيعي أن التباين البيئي وتنوع الموارد الطبيعية واختلافها من إقليم لآخر، كانا من الأسباب المؤدية إلى التنوع والتباين الحضاري.

اكتشفت آثار العصر الحجري الحديث في مواقع متفرقة من المنطقة الجنوبية الغربية، حيث كشف لنا المسح الأثري الذي قامت به وكالة الآثار والمتاحف (سابقاً)، عن عدد من المواقع المهمة وصنفت على أنها تنتمي لحضارة العصر الحجري الحديث المتأخر، ومن أبرز الأدوات الحجرية المكتشفة في هذا المضمار: عدد من رؤوس السهام ثنائية الوجه، وبعض الأدوات ورقية الشكل، وتؤرخ الأدوات المماثلة لها في بلاد الشام والعراق في الفترة ما بين خمسة آلاف وألفين وخمس مائة سنة قبل الميلاد. أما عن أبرز

المواقع التي وجدت فيها بعض الشواهد التي تنتمي لثقافة العصر الحجري الحديث في منطقة عسير فقد عثر عليها في جبل السوداء بمرتفعات عسير، وفي وادي تثليث، وفي المنخفضات حتى غربي نجران، ووجدت كذلك في بئر حما بمنطقة نجران. واشتملت الأدوات الموجودة في هذه المواقع على النصال، والشفرات، والرفائق المشحوزة، والمكاشط الجانبية والطرفية، وأدوات ثنائية الوجه، ورؤوس الحراب النصلية، والرؤوس المجنحة والشوكية.

يمثل أسلوب تشكيل أدوات العصر الحجري في عسير، تنوعاً آخر من تقنيات تلك الفترة في المملكة. وقد خلت هذه المواقع من وجود الفخار كغيرها من مواقع ثقافة هذا العصر، ففي سواحل تهامة عثر على الفخار ضمن المكونات الحضارية للمواقع المكتشفة على امتداد ساحل البحر الأحمر، ولم يتمكن الباحثون والمهتمون من توضيح العلاقة الحضارية، وموجودات هذه المواقع وبقية المواقع في منطقة عسير (الأمين، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٣١، ٣٢).

يعد موقع سهي بساحل تهامة أكبر المواقع في المنطقة ويبعد من الحدود اليمنية لما يقرب من (٤٠ كم)، ويحتوي الموقع كوم كبير من الأدوات تنتشر على مساحة (١٥ × ١٥ م)، ولا يفصله عن شاطئ البحر سوى (٦٠ متراً). ومن أهم المعثورات في الموقع كميات كبيرة من كسر الفخار ذات اللونين الأحمر والبرتقالي، والعجينة الفخارية الممزوجة بحبيبات الرمل الخشن. ومن أبرز أنواع فخار سهي بعض السلطانيات كاملة الحجم بالإضافة إلى أخرى تعرضت للكسر، وتنوع هذه السلطانيات من حيث أحجامها وزخارفها وأشكالها. كما وجدت أواني ذات الفوهة الواسعة، وبعض الجرار الكبيرة والصغيرة، والفناجيل، وأرجل الأواني. وتنوعت زخارف الفخار في سهي ما بين الخطوط المتموجة، والتنقيط، والأشرطة الرأسية، والأفقية، والتخريم، وتوجد هذه المعثورات على عمق فقط (٣٠ سم) تحت سطح الأرض (الأمين، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٣٢).

من الأدوات المكتشفة في موقع سهي كذلك، بقايا أحجار الرحي من الصخر البركاني، والحجر الرملي، والجرانيت، وكذلك كسر أواني الصابوني. كما عثر على عدد من قطع النحاس كاملة، مثل المثاقب والحلقات ورؤوس الإبر أو النصال، وبعض الأشكال غير معروفة الاستخدام (Zarins et al. 1981), (Zarins & Zahrani, 1985, p: 92-97; 22-2).

من اللافت للنظر في موقع سهي عدم اكتشاف منشآت معمارية مصاحبة للأدوات المكتشفة رغم أن تقارير التنقيب الأثري التي أجريت في الموقع تؤكد أنه كان مستوطنة موسمية قصدتها جماعات الصيادين للاستفادة من المواد البحرية، وتم إجراء

اختبارات من خلال كربون (١٤) المشع على ثلاث عينات من المحار الموجود بالموقع، واتضح أن متوسط تاريخ الموقع ما بين (١٥٤٠-١٢٠٠ ق.م). وبهذا يكون فخار موقه سهي من أقدم أنواع الفخار في جنوبي شبه الجزيرة العربية. وتبين أن هذا النوع من الفخار منتشر في أكثر من موقع على طول ساحل البحر الأحمر، وفي جزيرة فرسان. ويقارن البعض الفخار في هذه المنطقة بفخار النوبة وحضارة كرمة المؤرخة لنحو (٢٢٠٠-١٠٠٠ ق.م). مما جعلهم يعتقدون بوجود صلات حضارية قوية بين مجموعات شبه الجزيرة العربية وشمال شرقي أفريقيا، في الألف الثاني قبل الميلاد (الأمين، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٣٢).

خامساً: نشأة وتطور حضارات جنوب شبه الجزيرة العربية :

١ - النشأة والمراحل التي مرت بها :

لقد أدت التحولات التي طرأت على الظروف المناخية التي شهدتها المنطقة لأن يصبح جزء كبير من شبه الجزيرة العربية صحراء أو شبه صحراء باستثناء الجزء الجنوبي الغربي منها، حيث ظلت الظروف المناخية إلى حد ما أكثر ملاءمة لحياة الإنسان وتطور إقتصاده ومعيشتة.

ونعني بالظروف المناخية البيئة الجغرافية التي ساعدت في الحصول على كميات وفيرة من المنتجات التي غطت حاجات المجموعات البشرية وسمحت لها بتوفير فائض من الإنتاج الضروري للتوسع في عملية زيادة الإنتاج. وفي هذا الإقليم الجنوبي من شبه الجزيرة العربية قامت حضارات يعود أقدم ما وصلنا من أخبارها إلى القرن الثالث عشر وربما إلى قرون تسبق ذلك بكثير. وقد جذبت تلك الحضارات أنظار العالم القديم، وأثرت فيه وتأثرت به، وبلغت من شهرتها ما جعل الكتاب الكلاسيكيين من أمثال: سترابو وبلييني وبطليموس يتحدثون عنها بكثير من الإعجاب. وأطلق بعضهم عليها اسم العربية السعيدة، وفي تلك العهود ظهرت على مسرح الحوادث في العربية السعيدة ممالك أو حضارات نشأة في فترات تاريخية متداخلة ومتعاقبة وهي معين، قتيبان، حضرموت، أوسان، سبأ، وحمير فيما بعد ذلك. وكانت تلك الممالك في الغالب، متعاصرة متعاونة أو متنافسة متناحرة. إذ كانت كل واحدة منها تستقل بنفسها تارة، وتدين بالولاء والقوة لبعض جاراتها مرة أخرى^(١).

(١) بافقيه، تاريخ، (١٩٨٥م)، ص: ١١.

مع ازدياد ونمو عدد السكان في منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية أصبح من الضروري استغلال كل شبر من الأرض صالح للزراعة خاصة في منحدرات الجبال، فظهر لنا ما يعرف بالمدرجات الزراعية، بالإضافة إلى السهول الساحلية وحواف الأودية والواحات. وتمكن سكان المرتفعات الجبلية من حل المشكلة الأساسية التي تواجه سكان السفوح الجبلية من خلال إيجاد حل وخلق إمكانية لاستغلال مياه الأمطار المنحدرة من أعالي الجبال بعد هطول الأمطار الموسمية وتكون أنهار مؤقتة حالما تتسرب في رمال الصحاري من السفوح الشرقية أو في البحر الأحمر من السفوح الغربية.

منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد أصبح مناخ شبه الجزيرة العربية مشابهاً لما هو عليه اليوم. فقد كان جنوب شبه الجزيرة العربية أرض قاحلة تهطل الأمطار الموسمية على الأجزاء المرتفعة منها بواقع شهرين في السنة الواحدة. ثم تتحدر مياه الأمطار إلى الوديان وبذلك تتشكل السيول ثم تختفي في الصحاري الداخلية أو في السهول الساحلية. وسرعان ما تم استغلال مياه السيول والأمطار هذه فظهرت القرى الصغيرة في مختلف مناطق السرعة لتسكنها تجمعات صغيرة من الرعاة والمزارعين.

شجع الانتقال التدريجي من الاقتصاد الذي يعتمد على الصيد إلى الاقتصاد الذي يعتمد على الإنتاج البشري من تقدم المجتمعات الحضرية المستقرة. ومكن الإتيان المتزايد لعملية الري من إقامة هذه التجمعات عند مصاب الوديان وعلى حوافها حيث تتوفر فيها المياه وتتدفق إليها السيول بقوة. وهو ما يعني زيادة في المحاصيل الزراعية وضمان لقمة العيش وزيادة في عدد السكان. فعمرت الهضاب والمرتفعات الجبلية والوديان المحاذية للصحاري بشكل تدريجي. وقد ظهرت المجتمعات التي تعيش في قرى صغيرة محصنة تمتد في بعض الأحيان على مساحة واسعة خلال الألفية الثانية قبل الميلاد. ففي نهاية الألفية الثانية قبل الميلاد كانت مناطق السرعة تضم العديد من المدن والقرى المهمة التي قامت على قمم الجبال أو حواف الوديان الرئيسية في الجهات الشرقية من السرعة مثل أودية: (تربة، رنية، تبالة، ترج، ببشة، نجران) وعلى حواف أودية السهل الساحلي ومنها: (وادي خلب، جازان، ضمد، صبيبا، ببش، بيض، عتود، ريم، حلي، بيه، قنونا، الأحسبة، دوقه، شاقة اليمانية، شاقة الشامية، عيار، والليث).

وقد حدثت نقطة تحول رئيسية تمثلت في إتقان الزراعة المروية التي قامت بها أولى المدن الواقعة على مصب الأودية الرئيسية المنحدرة باتجاه الصحراء. زاد التفاعل بين هذه المدن مع التوسع في التبادل التجاري بين ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية ووسط وشمال شبه الجزيرة وبلاد حوض البحر المتوسط. وبلا شك أن منطقة

(تهامة والسراة) وبحكم موقعهما الاستراتيجي قد استفادت من الطرق التجارية التي كانت تربط بين جنوب ووسط وشمال شبه الجزيرة العربية، كما تأثرتا إلى حد كبير بحضارات جنوب شبه الجزيرة العربية.

منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد وحتى القرن السادس الميلادي لاحظنا ظهور وتطور ومن ثم اختفاء بعض الممالك التي كانت تتقاسم ثقافة مشتركة في جنوب شبه الجزيرة العربية: نفس الكتابة وأساليب ري متماثلة وطرق معمارية ودينية متطابقة، ونظام سياسي واجتماعي مشترك. وكل ذلك يجسد حضارة جنوب شبه الجزيرة العربية. وقد أطلق على دراستها اسم علم السَّبْيَّة نسبة إلى أشهر تلك الممالك: مملكة سَبَأ. وحظيت تلك الفترة باهتمام خاص من قبل علماء الآثار والمؤرخين نظراً لِعِراقة فنّها المعماري ونقاوة وسحر نقوشها، والذين عملوا في اليمن منذ أواخر القرن التاسع عشر وبشكل خاص منذ سبعينات القرن العشرين^(١).

يرجع ازدهار هذه الحضارة إلى الإتقان الفريد للزراعة، وإلى تطوير تجارة قوافل التوابل. وهو ما يوضح المدى الذي لم تكن فيه الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام منطقة صحراوية يتجول فيها البدو فحسب كما كنا نتصورها بكل بساطة.

(١) في بداية السبعينات حدث مرحلة استقرار سياسي نسبي تطور على إثرها أخيراً علم البحث الأثري، وتم إنشاء إدارات خاصة بالآثار في اليمن في كل من: صنعاء وعدن. وفي بلاد اليمن جرت أولى عمليات المسح الأثري منذ عام (١٩٧٠م) على يد خبراء تابعين لمنظمة اليونسكو (بيوتر جرانيفيتش وباولو كوستا) وعالم الأنثروبولوجيا جوزيف شلحود. وبالتوازي مع هذه الأعمال بدأ روجر دو بايل دي هيرمينز المؤرخ لعلم ما قبل التاريخ العمل في شمال اليمن في عام (١٩٧٤م) بناءً على دعوة من شلحود والذي انضم إليهم في عام (١٩٨٠م) دانيلو جريبينار وباتريس ريتشارد مع البعثة الأثرية الفرنسية في الجمهورية العربية اليمنية (MAFRAY). وعقب زيارة رئيس الوزراء اليمني محسن العيني إلى باريس في عام (١٩٧١م) تم تكليف جاك لين بيرين للشروع بأعمال البحث الأثري في اليمن الشمالي. وقد شكلت فريقاً ضم كريستيان روبان وجي أنيكان. وقدم هذا الأخير إلى اليمن في أواخر عام (١٩٧١م) بهدف اختيار الموقع وقد اقترح موقع شبام الغراس (٢٠) كم شمال شرق صنعاء) قدمت البعثة إلى صنعاء في شهر أغسطس (١٩٧٢م). ونتيجة لتأخر البعثة في الحصول على تصريح بدء الحفر اضطرت البعثة إلى القيام ببعض المسوحات بين منطقة حوث في الشمال وظفار في الجنوب في الفترة ما بين منتصف شهر أغسطس ونهاية أكتوبر. وما بين عامي (١٩٧٢م) و(١٩٧٨م) قام كريستيان روبان بالأبحاث الأثرية في المعسَل (١٩٧٢م) ومأرب (١٩٧٥م) والجوف (١٩٧٦م)، وذلك بعد دخول هذه المناطق تحت سيطرة الحكومة الجمهورية. وقد اقترح مسئول دائرة الآثار في وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية فيليب جيومان، على كريستيان روبان في يناير (١٩٧٨م) إنشاء بعثة أثرية إلى شمال اليمن. انطلقت أول حملة في خريف عام ١٩٧٨م تضم فريقين: الأول بدأ بالمسح الأثري عن الآثار التي تعود إلى حضارة جنوب شبه الجزيرة العربية في نهم والجوف (كريستيان روبان، ريمي أودوان وجان فرانسوا بریتون). وقد أسفرت مسوحات هؤلاء وما تبعها عن الكشف عن العديد من الآثار المتنوعة لحضارة جنوب شبه الجزيرة العربية.

يبدو أن القبيلة كانت هي الوحدة الاجتماعية والسياسية التي اضطلعت بواجب تنظيم المجتمع في اليمن في مراحل المبكرة شأنه في ذلك شأن بقية المجتمعات التي أقامتها الأقوام العربية القديمة، غير أن حياة الاستقرار التي نشأت عن الزراعة وما تعلق بها من حرف وخدمات ونشاطات تجارية قد أدت إلى نشأة القرى والمدن والدول مما يعني أن السكان في المنطقة الواحدة لم يعودوا مقتصرين على أبناء قبيلة واحدة، وإنما أخذوا يتألفون من أبناء عدة قبائل يجمعهم نوع من التحالف الذي تفرضه المصالح المشتركة، وقد أدى هذا التطور إلى ظهور مصطلح (شعب) وهو مصطلح يدل على ظهور (جماعة) تتجاوز في تكوينها حدود القبيلة لتتألف من مجموعة قبائل بينها علاقات الجوار والمصالح المشتركة، ويتزعمها شيوخ القبائل الذين يتكون منهم ذلك الشعب.

يرى البعض أن لفظ شعب كان في البداية تنظيمًا دينيًا، أي جماعة ارتبطت بنشاطها بعبادة إله ما وبمعبد هذا الإله، وهكذا فقد أصبح المعبد هو المركز الموجه للحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية للشعب، وكان القائم على شؤون المعبد هو الناطق باسم إله الشعب، وهو الموجه لمجمل الحياة العامة، وبذلك اجتمعت في يده السلطتين الدينية والسياسية، ومن ثم كان أول لقب حمله الحكام في دولة سبأ هو (مكرب) أي المقرب من الإله، بمعنى الحاكم الديني أو أمير الكهنوت.

إن قيام المعبد بقيادة الحياة الدينية والسياسية في اليمن قد جعل من حقه أن تكون له أملاكه الخاصة ومصالحه المتميزة، فضلاً عن حقه في فرض الضرائب وبعض الواجبات على أبناء الشعب، وهكذا نشأت في اليمن سلطة إقطاعية تهيمن على الأرض واستغلالها باسم الله والمعبد والملك، فكان للمعبد أملاكه وإقطاعاته التي تعني في الواقع إقطاعيات الملك وأعوانه من سادات القبائل وأشراف المجتمع، كما أصبح للملك وللأشراف أملاكهم وإقطاعاتهم الخاصة بهم في مرحلة لاحقة من تطور المجتمع في اليمن، إن التطورات الأنفة الذكر قد أوجدت المناخ الملائم لظهور الدول في اليمن وتوسعها، وقد امتاز اليمن بكثرة الحصون والمسالح والقصور^(١). وكانت القصور تعرف بالمحافد، ومن تلك المحافد — غمدان وناعط، وصرواح وسليحين وظفار، وهكر وضهر، وشبام، وبينون، وريام، وبراقش، ومعين، وهند، وهنيدة، وعمران، ويعرف صاحب المحفد والقصر بذي، وجمعها أدواء، فيقال ذو غمدان، وذو صرواح، وذو معين، وإذا انضم عدد من هذه المحافد في مقاطعة كبيرة سمي مخلافاً ويتولى الحكم فيه أمير

(١) أقسام سياسية أشبه ما تكون بالأماكن المحصنة أو الأقسام الإدارية انظر: ماجد، التاريخ السياسي ج ١، ص: ٦٨.

يعرف بقليل، جمعها أقيال . وأشهر مخاليف اليمن مخلاف صنعاء، ومخلاف شاعر، ومخلاف ضنكان، ومخلاف همدان، ومخلاف خولان، وذكر اليعقوبي أن اليمن كان يشتمل على (٨٤) مخلافاً^(١). ومن أشهر قصور اليمن قصر غمدان، وسلحين، وبينون، وقد ذكرها أحد الشعراء في البيت التالي:

هل بعد غمدان أو سلحين من أثر وبعد بينون يبني الناس بنيانا^(٢)

أما عن مدن اليمن القديمة فأشهرها « مأرب » التي عرفت قديماً باسم سبأ نسبة إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان أول ملوك الدولة السبئية في اليمن^(٣). ويرى ياقوت الحموي أن اسم سبأ لم يكن يشمل سوى منطقة نفوذ السبئيين وأن اسم مأرب كان يطلق على أحد قصورهم^(٤). وتقع مأرب إلى الجنوب الشرقي من صنعاء، بينها وبين صنعاء (٦٠) ميلاً وقد اشتهرت هذه المدينة كمركز تجاري هام لطريق القوافل بين حضرموت جنوباً والحجاز شمالاً وازدهرت ازدهاراً لا مثيل له في ظل السبئيين فشيّدوا فيها السدود والمعابد والقصور والحصون التي ما زالت أثارها باقية حتى اليوم^(٥). ومن مدن اليمن القديمة أيضاً، «صنعاء» ذمار» التي ذكر ياقوت أنها كانت على مقربة من صنعاء وفي رأي آخر أن ذمار اسم لصنعاء^(٦). ثم اتخذ الأحباش صنعاء حاضرة لهم بعد غزوهم اليمن، وأنشأ فيها أبرهة الكنيسة المشهورة باسم القليس^(٧)، ومنها مدينة نجران، التي كانت مركزاً للنصرانية في جنوب شبه الجزيرة العربية منذ أن تمكن الراهب (فيميون) من نشر الدين المسيحي بها في سنة (٥٠٠م) وأسس كنيسة على المذهب المونوفيزيتي^(٨). كذلك لعبت مدينة صرواح دوراً هاماً في تاريخ اليمن القديم، وكان موقعها بين صنعاء ومأرب، وكان السبئيون قد اتخذوا هذه المدينة في بادئ الأمر عاصمة لهم، فأقاموا فيها المعابد، وتعتبر صرواح من أهم أثار اليمن القديمة^(٩). ومن مدن اليمن أيضاً معين، عاصمة المعينيين التي كانت باسم «قرناو» ثم مدينة «ظفار»

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ج ١، ١٩٦٠، ص: ٢٠١.

(٢) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ١٨٨٥، ص: ٣٥.

(٣) اللوسي، بلوغ الأرب، ج ١، ص: ٢٠٧.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، مج ٥، ١٩٥٥، ص: ٣٤.

(٥) سالم، دراسات في تاريخ العرب، ص: ١٢٨.

(٦) ياقوت، معجم البلدان، مج ٢، ص: ٧.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص: ٤٤٢.

(٨) سالم، دراسات في تاريخ العرب ص ١٣٩.

(٩) العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص: ٢١، سالم، دراسات، ص: ١٤٠.

عاصمة الدولة الحميرية وكان موقعها على الطريق الموصل من صنعاء إلى ذمار وتريم من الجنوب.

٢ - ظهور ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية :

يرى بعض الباحثين المحدثين^(١) أن الزراعة وتربية الماشية وظهور القرى والتجمعات السكانية هي معالم الحضارة الأقدم في جنوب شبه الجزيرة العربية منذ حوالي عام (٩٠٠-٥٠٠ ق.م). واعتمدوا في اعتقادهم هذا على ما ذكره من القرائن التاريخية في المصادر التاريخية السماوية والعربية لتحديد هوية ذلك العصر الذي عدّه عصر حضارة عاد الأولى.

ويرون أن ممالك الجنوب أقدم مما يعتقد بعض العلماء إذ يرون أن مملكة سبأ قامت من خلال توحيد اليمن بزعامه الملك سبأ بن يشجب عام (٣٠٠ ق.م) حيث قام ببناء مدينة (سبأ) كعاصمة للبلاد وباسمه تسمت الدولة وعاصمتها، وفي هذه الفترة وقعت هجرة عدد من القبائل والشعوب من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين وبلاد الشام ومصر، مثل الأكاديين والآشوريين والكنعانيين، وهجرة قدماء المصريين من اليمن إلى مصر. ويدعم أصحاب هذا الرأي اعتقادهم بالنقوش السومرية والأكادية والبابلية التي تحدثت عن علاقة دولة سبأ في الألف الثالث قبل الميلاد، وبالنصوص المصرية الفرعونية عن العلاقات والروابط مع جنوب شبه الجزيرة العربية في ذلك العصر والذي يعتبره الأقدم والأول لحضارة سبأ.

في عام (٢١٢٠ ق.م) دخلت دولة سبأ عصرها الثاني بزعامه الملك سبأ عبد شمس بن وائل، وهو الذي قام بتشييد سد وادي مأرب الشهير، وأكدت ذلك تنقيبات بعثة المعهد الألماني في اليمن حيث تشير إلى وجود تقنية الري منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وإن زمن أقدم منشآت سد مأرب تعود إلى عام (٢٠٠ ق.م). على أن هناك من قسم تاريخ اليمن في هذه الفترة إلى الأدوار التالية:

أ : الدور الأسطوري (الخرافي) :

يُعتبر أصحاب هذا الرأي أن التاريخ الأسطوري أو «الميثولوجي» للدول مرحلة تسبق عادة تاريخها الفعلي. وفقاً لما ورد في الروايات العربية، فإن أول ملوك اليمن

(١) الفرّح، محمد حسين: الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحِمير (معالم تاريخ اليمن الحضاري عبر ٩٠٠ سنة)، مج ١، (صنعاء: وزارة الثقافة والسياحة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص: ٧.

المذكورين هو قحطان بن عابر، الذي يُنسب إليه عرب الجنوب، ويربط نسبه بسام بن نوح عليه السلام. يُقال إن قحطان اتخذ صنعاء عاصمة له، وارتدى الناج، وكان حاكماً عادلاً ومُحسن التدبير.

بعده تولى الحكم ابنه يعرب، الذي يُنسب إليه أنه أول من تكلم باللغة العربية، وأول من قيل له: «أنعم صباحاً وأبيت اللعن». يُقال أيضاً إنه قاد العديد من الفتوحات، ومنها غزو الحجاز، حيث عين أخاه جرهما والياً عليها. كما أكل حكم جبال الشحر لأخيه عاد بن قحطان، وحكم عمان لأخيه عماد بن قحطان. ويُنسب إلى يعرب أيضاً أنه كان بارعاً في التخطيط العمراني، وكان أول من أنشأ المدن. وقد ورد ذكر يعرب في شعر حسان بن ثابت الأنصاري، الذي قال:

تعلمتم من منطق الشيخ يعرب	أبينا فصرتم معربين ذوي نضر
وكنتم قديماً ما لكم غير عجمة	كلام وكنتم كالبهائم في القفر
منازلكم كوئى ومنها درجتُم	إلينا كأفراخ درجن من الوكر
فنحن وأنتم كالذي قال لم أزل	أعلمه رمياً ليمنع لي ظهري
فلما نشأ واشتد ساعده رمى	فلم يُخطِ ظهري إذ رمى لا ولا نحري

تُشير الروايات إلى أن يعرب، حين حضرته الوفاة، أوصى أبناءه بحسن التعامل مع الرعية، وطلب العلم، ونبذ الحسد، وتحقيق العدالة. وبعد وفاته، تولى ابنه يشجب ابن يعرب الحكم، لكنه كان ضعيف الرأي وقليل العزيمة، مما أتاح لأعمامه السيطرة واستقلال كل منهم بإدارة مناطقه. تولى الحكم بعده ابنه عبد شمس، المعروف بسباً.

ب - دور مملكة بونت (بنط) :

لا يُعرف على وجه التحديد متى ظهرت دولة بونت (بنط)، لكن المصادر المصرية القديمة تشير إلى رحلات تجارية إلى الجنوب للحصول على سلع ثمينة مثل البخور، والصمغ العطري، والراتينج، والأخشاب العطرية، وكانت هذه السلع ضرورية للأغراض الدينية وغيرها. يعود تاريخ تلك العلاقات التجارية إلى عصر الأسرة الخامسة المصرية؛ حيث قاد الملك ساحورع (القرن السادس والعشرين قبل الميلاد) أول حملة بحرية إلى أرض البخور، أو بلاد بنط، التي اعتقد البعض أنها تقتصر على الصومال الحديثة. لكن الأبحاث الحديثة أثبتت أن بنط تشمل الأراضي الواقعة عند الطرف الجنوبي للبحر الأحمر وعلى جانبي باب المندب، سواء في أفريقيا أو آسيا.

دعم هذا الرأي عدد من البحوث، بما في ذلك دراسة أجريت في كلية الآداب بالجامعة المصرية عام (١٩٣٧م)، وأبحاث أخرى نشرت في كتاب: «في أعالي اليمن»، لمؤلفه (هيو سكوت) عام (١٩٤٢م). كما جاء هذا الرأي متوافقاً مع ما اقترح في خريطة وضعت عام (١٩٢٩م) ضمن الأطلس الجغرافي التاريخي لزكي الرشيد ومبروك نافع، حيث وضعوا بلاد بنط على جانبي باب المندب.

ظل المصريون القدماء يُطلقون اسم «بنط» على هذه الأراضي الجنوبية، التي أطلقوا عليها أيضاً «نانتر»، بمعنى أرض الله. وفي عهد الملكة حتشبسوت، من الأسرة الثامنة عشرة (حوالي ١٥٠٠ ق.م)، أرسلت حملة بحرية مكونة من خمس سفن إلى بنط لجلب أشجار البخور، والأخشاب النادرة، والجواهر، والعنبر، وسن الفيل.

استقبل أمير بنط باريهو وزوجته أني وأولادهما الحملة المصرية بحفاوة بالغة، وتبادلوا الهدايا. عاد الأسطول محملاً بالعديد من الكنوز، بما في ذلك أشجار المر، والتبر، والذهب، والصمغ الثمين، وجلود الفهود. كما نجح مبعوثو حتشبسوت في غرس بعض الأشجار المستوردة في حدائق معبد الإله آمون، وأقنعوا سكان بنط بالخضوع للنفوذ المصري. يمكن الاطلاع على تفاصيل هذه الحملة وما حقته من نجاح على جدران معبد الدير البحري، الذي شيّده الملكة حتشبسوت تخليداً لهذه الرحلة.

ج - ممالك وحكومات في جنوب شبه الجزيرة العربية :

شاع بين العلماء من المستشرقين والآثاريين الأوروبيين وغيرهم الذين عنوا بدراسة تاريخ دول وحضارات اليمن القديم تقسيم تاريخ اليمن إلى فترتين زمنيتين رئيسيتين.

أولهما : عصور ممالك القوافل ويقصد بها الممالك الأربع معين وسبأ وقتبان وحضرموت.
وثانيهما : عصر الدولة الحميرية.

وحدد الأوائل من هؤلاء المستشرقين القرن الخامس عشر والرابع عشر زمناً لبداية معين ثم دولة مكاربة سبأ. غير أن هذا التحديد الزمني ما لبث أن تلاشى، فبينما كان أوائل العلماء يحددون بداية معين بأواخر الألف الثاني قبل الميلاد أصبح المتأخرون منهم يجعلون هذه البداية تتراوح ما بين عام (٥٠٠) وعام (٣٥٠) قبل الميلاد^(١).

(١) بافقيه، مرجع سابق، ص: ٣٥.

لهذا السبب يبقى الخلاف بين المؤرخين في تحديد بداية ونهاية ممالك الجنوب قائماً لم يفصل فيه بشكل قطعي حتى وقتنا الحاضر، خاصة وأن المكتشفات الأثرية المختلفة لم تنته بعد الأمر الذي يجعل التسرع في إعطاء تواريخ قطعية لبداية ونهاية كل دولة أمراً غير مقبول.

لكن من المؤكد ظهور ممالك في جنوب شبه الجزيرة العربية كان لبعضها مستوطنات تجارية في وسط وشمال شبه الجزيرة العربية، ومن أهم الممالك العربية التي قامت في جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام، وهي:

١- مملكة سبأ (١٣٠٠ ق.م - ٢٧٥ م):

مملكة سبأ هي واحدة من أقدم وأهم الممالك في شبه الجزيرة العربية. اشتهرت بالزراعة ونظام الري المتطور، وأيضاً بتجارة البخور. ويقسم المؤرخون تاريخ سبأ إلى عصور أربعة، معتمدين في ذلك على أن لقب الحكام لم يكن لقباً ثابتاً، إنما كان يتغير من عصر لآخر، طبقاً لظروف الدولة نفسها، وأما هذه العصور الأربعة فهي:

(*) العصر الأول (عصر المكارية):

يمتد هذا العصر من حوالي (١٣٠٠ ق.م. إلى عام ٦٥٠ ق.م.) وفيه كان الحكام يحملون لقب (مُكَرَّب)، وهو لقب غلبت عليه الصبغة الدينية. وفي عهد المكارب يلاحظ أن نشاطاتهم الدينية بصفة عامة اقتصرت على مهمتين اثنتين أولهما: خوض حروب واسعة ثم تلاها محاولات لإيجاد وحدة سياسية تضم مجموعة من الشعوب (القبائل). وكانت مدينة صرواح هي قاعدة الدولة وعاصمتها في عصر المكارية. وثانيهما: العمل على إقامة عدد من المشاريع العامة مثل مشاريع الري، كبناء سدهم علي بنوف وابنه يتبع أمر أجزاء من سد مأرب، بالإضافة إلى الحرص على بناء المدن كمدينة حريب، وتحصين مدن أخرى كمدينة نشق.

أما في المجال الديني فقد انصب اهتمامهم على بناء المعابد وصيانتها، وإقامة الشعائر الدينية كالولائم الدينية، والصيد المقدس، والذبح وتقديم القرابين والندور. ومما يلاحظ - كذلك - على حكام عصر المكارية عدم انفرادهم بالسلطات التشريعية في المجالات الاقتصادية، حيث كان يشاركونهم في هذا الجانب سلطات محلية أخرى^(١).

(١) لمعرفة المزيد من التنظيمات والتشريعات في جنوب الجزيرة العربية وتحديداً في عصر المكارية راجع: النعيم، نوره بنت عبد الله بن علي: التشريعات في جنوب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، (الرياض: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص: ١١٨، ١١٩.

(*) أهم مكاربة هذا العصر:

- ١- الملك مكارب (حوالي ١٠٠٠ ق.م): يُعد من أوائل الملوك المعروفين، ويُعتقد أنه أسس العديد من المدن.
- ٢- سمه علي ينوف من أبرز مكاربة هذا العصر.
- ٣- يدع إل ذريح ابن سمه علي ويعتقد أنه حكم في عام (٨٠٠ ق.م) .
- ٤- الحاكم يكرب ملك (حوالي ٦٠٠ ق.م): يذكر كأحد الملوك الذين وسعوا حدود المملكة.
- ٥- الملك كرب إيل وتر (حوالي ٧٠٠ ق.م): يُعرف بأنه أحد أشهر ملوك سبأ، وقد خلف العديد من النقوش التي توثق حروبه وأعماله.

(*) العصر الثاني (عصر الملوك):

يمتد العصر الثاني من حوالي عام (٦٥٠ ق.م.، وحتى العام ١١٥ ق.م. أو عام ١٠٩ ق.م). وفيه حمل الحكام لقب (ملك)، كما اتخذوا من مأرب عاصمة لهم، بدلاً من صرواح. وقد بدأ هذا العصر المُكْرَب إيل وتر الذي كان آخر من حمل لقب (مُكْرَب). وفي هذا العصر تطور وتغير نشاط الحكام عن العصر السابق وخاصة في مجالات التشريعات الدينية وما يتعلق بالشعائر الدينية، حيث نجد أن النصوص التي تتحدث عن بعض الشعائر الدينية بدأت تتضاءل. كما اختفت النصوص التي تتحدث عن بعض التشريعات والتنظيمات التي كانت توضع تحت حماية معبود معين، وظهر بدلاً منها عقود وتنظيمات ذات طابع اقتصادي بحث وتكون في العادة بين فئتين مختلفتين من حيث التركيب الاجتماعي. كما زاد عدد النصوص التشريعية في هذا العصر، وأصبحت التشريعات تصدر من الملك، مع ملاحظة أن ذلك لم يكن حقاً مطلقاً بشكل دائم، فقد يشاركه بعض السلطات الأخرى في بعض الأحيان كسلطة الشعب التي كانت تشارك في اتخاذ بعض القرارات^(١).

(*) العصر الثالث:

بدأ من عام (١١٥ ق.م. أو عام ١٠٩ ق.م.، حتى عام ٣٠٠ م)، وفيه حمل حكام سبأ لقب (ملك سبأ وذو ريدان) إشارة إلى ضم ريدان إلى التاج السبئي، وربما يشير كذلك إلى ضم دولة قتبان أو حمير فيما يراه البعض (Shahd, I., Pre Islamic Arabia, CHI, p.9). ولهذا وجدنا بعض الباحثين يطلق عليه تجاوزا عصر الدولة الحميرية الأولى.

(*) العصر الرابع:

يمتد هذا العصر من حوالي (٣٠٠ م)، وحتى عام (٥٢٥ م)، وفيه تغير لقب ملوك سبأ حيث أصبح لقب الملك في هذه الفترة «ملك سبأ» وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في المرتفعات وفي التهائم»، وهو (عصر الدولة الحميرية)، وآخر دور من أدوار الحكم السبئي وخاتمة الأدوار، حيث تبدأ البلاد بعد ذلك تعاني الأمرين من التدخلات الأجنبية والمتمثلة في الغزو الحبشي ثم الفارسي للبلاد، واستمرت البلاد تحت السيطرة الأجنبية إلى أن شاع نور الإسلام في مكة المكرمة، واستجاب أهل اليمن للدين الجديد ودخلوا في حوزة الإسلام عام (٦٢٨ م)، وبهذا انتهى التاريخ اليمني القديم.

(*) أهم الملوك:

- ١- الملك إيل شرح يحصب (حوالي ٥٠٠ ق.م): ساهم في تعزيز النفوذ السياسي والديني للمملكة.
- ٢- الملك سامي بن وهب إل (حوالي ٤٠٠ ق.م): يُعرف بإصلاحاته الإدارية.
- ٣- الملك كرب إيل يحضب (حوالي ٣٠٠ ق.م): استمر في تعزيز نفوذ المملكة.
- ٤- الملكة بلقيس (حوالي ٩٥٠ ق.م): تذكر في القرآن الكريم وفي كتب التاريخ العربية كحاكمة حكيمة وزعيمة عظيمة، وكان لها علاقة مع النبي سليمان.

٢ - مملكة معين (١٢٠٠ ق.م - ٦٥٠ ق.م):

المصادر الأصيلة عن دولة معين هي النقوش التي تركها أصحاب هذه المملكة، فضلاً عن كتابات الرحالة القدامى من الإغريق والرومان (Philby, 1947.p. 141)، من أمثال "ديدور الصقلي" (القرن الأول الميلادي)^(١)، و(استرابو) (٦٦ ق.م - ٢٤ م)^(٢)، ودار خلاف كبير حول سكان المكان الذي ظهر فيه المعينيين في بداية الأمر، وأرجح الآراء أنهم من جنوب شبه الجزيرة العربية، ولم يفدوا من الشمال كما يزعم البعض (Guidi, 1921). (P.64).

على أي حال، نقول في الشمال الغربي من مأرب تقع منطقة الجوف (جوف اليمن)

(١) لمزيد من المعلومات عن حديث الصقلي عن معين والمعينيين راجع:

Didorus : ,Didorus of Sicily, trans. BY: c. H Old father, B.3. New York, 1933

(٢) لمعرفة ما قاله استرابو عن معين وجنوب شبه الجزيرة العربية راجع: إسترابو: جغرافية إسترابو والجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (٦)، ترجمة السيد جاد، تعليق: مسفر سعد الخثعمي، الرياض: داره الملك عبد العزيز، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م).

الذي كان جزءاً من دولة سبأ ثم في فترة لاحقة استقلت به مملكة معين التي حققت ازدهاراً اقتصادياً تمكنت من خلاله من تكوين امبراطورية تجارية سيطرة على معظم الطريق التجاري، وأسست لها مستوطنات تجارية خارج جنوب شبه الجزيرة العربية لحماية هذا الطريق، ولإحكام قبضتها عليه، وكان لهم مستعمرة تجارية في العلا شمال غرب المملكة العربية السعودية حالياً تقوم على رعاية مصالحها التجارية وحماية الطريق التجاري^(١).

كشفت لنا النقوش المعينية مدى العلاقات الواسعة التي حققها المعينيون في علاقاتهم التجارية من خلال ورود أسماء عدد من البلدان أو الشعوب في نصوصها مثل مصر، غزة، صيدا، أمون، مؤاب، يثرب وغيرها، ونظراً لاحتكار معين لتجارة البخور أطلق عليه بعض علماء الاغريق اسم البخور المعيني^(٢).

(*) من ملوكها :

- ١- الملك إل شرح يحصب: كان من الملوك المؤسسين الذين ساهموا في استقرار المملكة.
- ٢- الملك يثع أمر بين (حوالي ٥٠٠ ق.م): ساهم في تنظيم وتطوير الطرق التجارية.
- ٣- الملك يدع إل بين (حوالي ٤٠٠ ق.م): قاد المملكة في فترة ازدهار تجاري.

٣- مملكة حضرموت (١١٠٠ ق.م - ٣٠٠ م):

ظهرت مملكة حضرموت إلى الشرق من مملكة قتيان واتخذت من شبوة عاصمة لها، ولم يكن هذا الاختيار اعتباطاً أو عشوائياً بل كان لموقعها الاستراتيجي أهمية بالغة في اختيارها كقاعدة للدولة، وله دلالاته التجارية، إذ أن شبوة تقع على أطراف الصحراء فكانت بذلك تتحكم في الطرق التجارية المتجهة شمالاً نحو جوف اليمن حيث قرنا ونجران، ويبدو أن أراضي حضرموت كغيرها من أراضي جنوب غرب شبه الجزيرة العربية كانت في بداية الأمر تحت سيطرة السبئيين وتحديداً في بداية النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد، وظلت كذلك حتى ظهرت مملكة حضرموت في حوالي القرن الرابع قبل الميلاد، وتمكنت حضرموت بفضل سيطرتها على مناطق إنتاج المواد العطرية من الوصول إلى مكانة مهمة وأدت بذلك دوراً كبيراً في اقتصاد جنوب شبه الجزيرة العربية فترة من الفترات^(٣).

(١) لمزيد من المعلومات انظر: بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص: ٣١.

(2) Pliny, Gaius, *Natural History*. Trans by Rackham, 1986, BK 12. p.39,

(٣) بافقيه، المرجع السابق، الصفحات من ٣٩-٥٠: عبد الله، أوراق في تاريخ اليمن، (١٩٩٠ م)، ص: ٢٤٣-٢٤٦.

هناك من يعتقد أن الممالك الأربع استطاعت أن تتعايش لمدة قرن من الزمان بسبب التكامل والتكافؤ الاقتصادي القائم بينهم، وتمكنت تلك الدول خاصة سبأ وقبتان من مد نفوذهما على المرتفعات الجنوبية وأسست مستوطنات منذ وقت مبكر، وأصبحت هذه المرتفعات تحت سلطة الدول سياسياً واقتصادياً وحضارياً، وفي مرحلة تالية تحول مركز الثقل إلى تلك المستوطنات الجبلية، وتم التحول بصورة تدريجية وعلى مدى بعيد، وساعد على ذلك تحول طرق التجارة من البر إلى البحر وإن لم يكن ذلك تحولاً بشكل كامل، ثم تدهورت أنظمة الري نتيجة الإهمال^(١).

ولا يفهم من هذا أن السهول الداخلية قد فقدت مركزها الحضاري والسياسي بشكل نهائي، بل استمرت المدن تحتل مكانة عالية، فنجد في مأرب أن معبد أوام ظل المركز الديني الرئيسي في منطقة النفوذ السبئي سواء في المرتفعات أو في السهول، كما أن مأرب ظلت تقوم بدور الحاضرة الرئيسية لمملكة سبأ على الرغم من أن صنعاء أصبحت بمثابة العاصمة الثانية^(٢).

وفي أواخر القرن الأول قبل الميلاد (٢٤/٢٥ ق.م.) تعرضت المنطقة إلى خطر خارجي تمثل في حملة إليوس جاليوس والي مصر من قبل الرومان، وتمكن قائدها من الوصول إلى مأرب، لكنه فشل في تحقيق أهداف الحملة إذ أن عوامل الفشل كانت تصاحب الحملة منذ البداية، فعادت أدراجها دون أن تحقق ما كانت تخطط له^(٣).

كما سقطت في تلك الأثناء مملكة قتبان ووقعت فريسة للممالك المجاورة لها، ففي الشرق احتلت حضرموت عاصمتها تمنع وأحرقها ثم أنشأت عدد من المدن الحضرمية في أراضي قتبان^(٤).

استطاعت سبأ كذلك من الحصول على بعض أجزاء المناطق الشرقية من مملكة قتبان، وفي الركن الجنوبي الغربي واصلت قبائل حمير الزحف نحو أراضي سبأ

(١) بافقيه، المرجع السابق، الصفحات من (٣٠-٤٠) عبد الله، أوراق في تاريخ اليمن، (١٩٩٠م)، ص ٢٤٦-٢٤٣.

(2) Korotakyer, A., Ancient Yemen, Journal of Semkeickkiotic Stukdiks, Skupplements, Oxford

(٣) عن الحملة الرومانية على جنوب الجزيرة أنظر دراسة نشرت حديثاً فيها كثير من التفاصيل والرؤى الجديدة: الخثعمي، مسفر سعد: «قراءة جديدة في المصادر الكلاسيكية والرد على بعض افتراءاتها على العرب (استرابون أنموذجاً)»، بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية والتربوية بجامعة بيشة، العدد (٧) محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م، صص ٣٢١-٣٨٢.

(4) Wissman. H. Von. «Himyar», Le Mus, 1964, Vol. 72, p.464.

وقتبان، وكانت قبائل حمير تخضع لمملكة قتبان غير أنها استطاعت بعد ضعف قتبان وتدهورها من الاستقلال، وكان أول ذكر لحمير في النقوش الجنوبية يعود إلى القرن الأول الميلادي، عندما أشار أحد النقوش الحضرية إلى بناء سور لحماية الأراضي الحضرية من هجوم القبائل الحميرية^(١).

(*) أهم ملوكها :

مملكة حضرموت اشتهرت بتجارة البخور والمر، وكانت من الممالك المزدهرة في جنوب الجزيرة العربية. من ملوكها:

- ١- الملك إل عز يلط: ساهم في تأسيس العديد من المدن وتطوير الاقتصاد.
- ٢- الملك يدع إل (حوالي ٥٠٠ ق.م): شهدت فترة حكمه نموًا اقتصاديًا وتجاريًا.
- ٣- الملك إل شرح يها من (حوالي ٤٠٠ ق.م): أسهم في توسيع نفوذ المملكة وتعزيز قوتها العسكرية.

٤ - مملكة قتبان (١١٠٠ ق.م - ٥٠ م):

تقع مملكة قتبان (Qatabān) في الزاوية الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة العربية (في اليمن)، وتمتد أراضيها الزراعية الخصبة في موقع استراتيجي على طريق القوافل، إلى الجنوب والجنوب الغربي من أراضي دولة سبأ، وكان يفصل بينها وبين شواطئ المحيط الهندي أراضي مملكة أوسان (Awsān).

كان النمساوي إدوارد غلازر (Eduard Glaser) أول من استنسخ نقوشاً لها علاقة بهذه المملكة، وذلك في أثناء زيارته لليمن في الفترة الواقعة بين (١٨٨٢ و ١٨٩٤ م).

واختلف الباحثون في تعيين تاريخ بداية ظهور الكيان السياسي لقتبان، وجعلوه ما بين منتصف القرن التاسع (ق.م) وبين القرن السابع (ق.م)، واستمر هذا الكيان حتى منتصف القرن الأول (ق.م) ومرت الدولة القتبانية عبر هذا التاريخ بمراحل متعددة من القوة والضعف وتبدل في الألقاب الملكية.

ويبدو أن الحكام الأول في هذه الدولة حملوا لقب (مكرب)، التي تترجم بكلمة (مقرب) العربية للدلالة على منزلتهم الدينية. وكان المكرب «يدع أب ذبيان بن شهر» أول من حمل اللقب الملكي، وذلك نحو منتصف القرن الخامس (ق.م).

(1) Beeston, A.F.L. «The Himyaritic Problem» PSAS, 1975, Vol. 5, p.4.

أما المرحلة الثانية من تاريخ هذه الدولة، فتمتد ما بين (٣٥٠ و٢٥٠ ق م)، وأشهر ملوكها هو «شهر يجل» الذي ورد اسمه في نقش، هو مرسوم ملكي يحدد كيفية جمع الضرائب من «طائفة معبد الإله عم في أرض لبخ».

وأشهر ملوك الفترة الثالثة والممتدة من (٢٥٠ إلى ٢٥ ق م) هو «شهر يجل يهر جب» الذي ينسب إليه بناء المدخل الجنوبي للعاصمة تمنع (موقع هجر كحلان الحالية)، وكان ابنه «وروال غيلان يهنعم» أول من صك عملة ذهبية في مدينة حريب.

من الواضح أن العصر الذهبي لقتبان كان بين (٣٥٠ و٥٠ ق م)، فنصوص هذه الفترة تبين أن قتبان كانت تعد من أهم الممالك اليمنية، وأنها تمكنت من فرض سلطتها على كل من معين وسبأ. لكن حدث في العام (٥٠ ق م) تقريباً أن تعرضت العاصمة القتبانية لهجوم مدمر نتج منه إحراق المدينة وتدميرها ومن ثم انتقال العاصمة إلى «ذو غيل»، إلى الجنوب من تمنع، قبل أن تزول المملكة وتلحق بحضرموت في القرن الثاني الميلادي. وكشفت التنقيبات الأثرية التي جرت في المواقع التابعة لمملكة قتبان عن معابد وقصور ووثائق كتابية وفنية أضاءت جوانب كثيرة في تاريخ اليمن القديم^(١).

(*) أهم ملوكها :

- ١ - الملك يدع أب ذبيان (حوالي ٧٥٠-٧٣٥ ق م) : كان أول من حمل لقب ملك إلى جانب (مُكْرَب)، وساهم في توسيع نفوذ المملكة والتحالفات العسكرية.
- ٢ - وأشهر ملوك الفترة الثانية الذي يمتد من (٣٥٠-٢٥٠ ق م). فهو شهر يجل
- ٣ - الملك شعرم أوتر (حوالي ١٠٠ ق م) : كان من الملوك القادة الذين واجهوا تحديات عديدة.

٥ - مملكة حمير (١١٠ ق م - ٥٢٥ م) :

بعد قرن ونصف من الاضطرابات، تمكن شمر يهرعش من توحيد ممالك اليمن القديم وإخضاعها تحت حكم مملكة واحدة، ولا توجد دلائل على أنه أبقى على بعض الأقيال لتحكم أراضيها ذاتياً كما كان يفعل المكاربة والملوك في عصور مضت. قام الحميريون بترميم سد مأرب وأنهوا النزاعات وأخضعوا القبائل من جديد فنعمت اليمن بعصر من الاستقرار مكن الحميريين من مواصلة سياسة أسلافهم. ورد اسم

(١) انظر: الشيبه، عبد الله حسن: دراسات في تاريخ اليمن القديم (تعز: مكتبة الوعي الثوري، ٢٠٠٠)؛ مرعي، عيد سعيد: تاريخ الجزيرة العربية القديم، (بيشة: مكتبة الخبتي، ط١، ١٤٢٥/٥/٢٠٠٤م)، ص ٥٠، ٥١.

شمر يهرعش لثلاثة ملوك حميريين وهناك إجماع أن شمر يهرعش الثالث حكم مع والده ثم انفرد بالحكم. شمر يهرعش هو «شمر يهرعش» في كتابات أهل الأخبار الذين اختلقوا الأساطير وراء هذه التسميات، إذ جعلوه معاصراً للملك سليمان وحاكماً بعد بلقيس. هذه الأخبار الموضوعية تثبت أن الإخباريين واليمنيين منهم تحديداً كانوا على علم بماضي أجدادهم ولكنهم لم يستطيعوا قراءة رموز خط المسند واعتمدوا على قصص كبار السن والذاكرة الشعبية لتدوين هذا التاريخ. توفي شمر يهرعش عام (٢٣٠) للميلاد حسب معظم التقديرات.

نقوش بخط المسند في «مأسل الجمح» في محافظة الدوادمي تحكي انتصاراً حققه أسعد الكامل على المناذرة تولى الحكم بعد شمر عدد من الملوك واختلف الباحثون في ترتيبهم إلى أن ظهر ملك حميري يدعى أسعد الكامل. ورد في مسند الإمام أبي حنيفة النعمان أنه أول من ضرب الدينار. تولى الحكم عام (٢٧٨) ميلادية. عثر على اسمه مدوناً بخط المسند في موضع يقال له «مأسل الجمح» في محافظة الدوادمي السعودية حالياً. قد بني الحصن ليكون موقعاً لقوات حميرية تحمي القوافل الخارجة من اليمن والعائدة إليه. وهو موقع مهم يصل اليمن بنجد وشرق الجزيرة العربية. عاش هذا الملك فترة طويلة فهو تولى الحكم قرابة (٢٧٨م) للميلاد إلى جانب والده حينها، ويبدو أنه كان لا يزال شاباً يافعاً وتوفي عام (٤٣٠م) ميلادية أو بعدها بقليل فتكون مدة حكمه قرابة الخمسين عاماً. كان ملكاً قوياً ولذلك كثر ذكره ولم تنساه الذاكرة العربية فقد ذكر الطبري أنه وصل الصين وهي مبالغة بلا شك ولكنها انعكاس للأثر الذي تركه. توفي الكامل وتولى الحكم بعده ملوك اختلف الباحثون في ترتيبهم وذكرهم بعض أهل الأخبار.

اكتشف نص في (٤٥٠م) ميلادية يشير إلى تصدع كبير أصاب سد مأرب مما جعل الملك يستعين بعشرين ألف عامل لقص الأحجار من الجبال وبناء أبواب ومنافذ جديدة لخروج الماء وصرف معاشات للعمال. وكان لذلك أثر سيئ على كثير من القبائل التي تركت مواطنها خوفاً من الموت. وللأسف لم يخبر النص عن أسماء هذه القبائل وفيه دليل على وجود أصل تاريخي للروايات العديدة التي يرويها الإخباريون عن تهدم سد مأرب وتفرق سباً وإن كان يشوبها الخرافة والأساطير. هناك اختلافات بين الباحثين في ترتيب وأعداد الملوك إلا أن الإجماع أن سقوط حمير كان بمقتل يوسف أسار عام (٥٢٥م) ميلادية.

(*) أهم ملوكها :

- ١ - الملك شمر يهرعش (حوالي ٢٧٥ م) : يُعتبر من أشهر ملوك حمير، وقد وسع نفوذ المملكة بشكل كبير.
- ٢ - الملك ذونواس (يوسف أسار) (حوالي ٥١٧ م) : اشتهر بمحاربة المسيحيين واعتناق اليهودية.
- ٣ - الملك أب كرب أسعد (حوالي ٢٨٥ م) : قاد حملات عسكرية ناجحة.
- ٤ - الملك سيف بن ذي يزن (حوالي ٥٧٠ م) : استعان بالفرس لطرد الأحباش من اليمن واستعادة الحكم.

(*) سقوط مملكة حمير :

بعد مقتل يوسف، نصبت أكسوم حاكمًا دمية يدعى سميغ أشوع. ذكر المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس أن عددًا من الجيش الأكسومي أثر البقاء في أرض الحميريين لأنها جيدة جدًا على حد تعبيره. أحد هؤلاء كان أبرهة الأشرم قائد الجيش الذي أعلن نفسه «ملكًا باسم المسيح والروح القدس». استمر الاقتتال لفترة حتى وصل لأسماع المتقاتلين عن تصدع هو الثالث وقبل الأخير أصاب سد مأرب كما يقرأ من النص المسندي الذي يعود لعام (٥٤٢م). توصلوا لهدنة لإعادة ترميم السد وكان آخر ترميم يجري عليه. نسبوا إلى أبرهة، هذا قصة بعد الإسلام لم يرد عنها نص مدون بخط المسند ولا كتابات البيزنطيين.

دخل اليمن عصرًا من الانحطاط قبيل الإسلام مما مكن مكة بأن تصبح مركزاً تجارياً مهماً بل ربما الأهم في الجزيرة العربية لبعدها عن مراكز الصراع. لم تكتشف كتابة تشير إلى الحقبة الفارسية في اليمن فتاريخ البلاد يكاد يكون مجهولاً خلال هذه الفترة سوى ما توارد عن كتابات بيزنطية بسيطة عن وجود الفرس في عدن. حكم ملوك حمير كأذواء بدون سلطة فعلية إلا على قبائلهم، واستفرد أحدهم بالحكم في العام (٥٩٨م) ميلادية ودخل أحد هؤلاء إلى الإسلام. طردهم الأسود العنسي وأعلن نفسه ملكاً ونبياً إلى أن قتله مسلمون يمنيون وفقاً لمصادر متأخرة.

٦ - ممالك وحكومات أخرى :

أ - ممالك صغيرة :

كانت القوة في يد أربع ممالك رئيسية وهي سبأ وحضرموت وقتبان ومعين، ويندرج تحت هذه الممالك ممالك صغيرة يشار إليها بألفاظ تدل على تبعيتهم لإله المملكة

الكبرى. من هذه الممالك مملكة سمعي وهي مملكة صغيرة وأساس وأصل همدان، وكانت تحت اللواء السبئي طيلة وجودها. ومملكة هرم وإنابة ونشق ورعين والمعافر لي ست ممالك مؤثرة بل صغيرة وإن جمع بعض من طقوسها التعبدية وألهتها.

ب - مملكة أوسان :

عرفت هذه المملكة باسم «أوسن» وقامت جنوب مملكة قتبان، دمرها كرب إيل وتر وبقيت مملكة صغيرة تابعة في غالب تاريخها وكانوا من أبناء الإله ود. وجدت الكثير من التماثيل المصنوعة من الذهب منقوش تحتها أسماء الملوك لكن يظهر أنها تعرضت لكسر قد يكون لحملة سبأ عليها سبب في ذلك، إذ دمر السبئيون قصرهم الملكي وأمر كرب إيل وتر بإزالة كل النقوش وتدمير الكتابات عنها كما ورد في «نقوش صرواح» التي دونها هذا الملك في القرن السابع (ق.م.)، ويبدو أنها كانت مملكة قوية في بدايتها إذ جاء في كتابات اليونان أنها كانت تسيطر على ساحل زنجبار في أفريقيا. ولم يكونوا ليتجاوزوا الساحل الغربي لليمن لشرق أفريقيا لو لم تكن مملكتهم قوية ولها سيطرة محكمة على مناطق واسعة. إلا أن أطماعها في التوسع انتهت بعد قضاء السبئيين عليها.

ج - مملكة دمت :

مملكة صغيرة قامت في شمال أثيوبيا في القرن الثامن (ق.م.) والكتابات عنها قليلة للغاية دونت بخط المسند، وهي أقدم الممالك بشواهد أركيولوجية في أثيوبيا. لا يُعرف الكثير عن هذه المملكة وهناك اعتقاد أنها مملكة قامت من قبل السكان الأصليين لتلك المناطق بتأثير سبئي والبعض يعتقد أن مؤسسها كانوا سبئيين قدموا من اليمن واختلطوا بسكان تلك المناطق. بالكاد يمكن الكتابة عنها وعن تاريخها أي شيء. وليس من المعروف ما إذا كانت هذه المملكة مرحلة سابقة لمملكة أكسوم أم أنها إحدى الممالك الصغيرة التي سيطر عليها هؤلاء الأكسوميون؛ فتاريخ إثيوبيا شبه مظلم قبل مملكة أكسوم التي قامت في القرن الأول للميلاد.

د - مملكة نجران :

يحمل اسم نجران مكاناً مميزاً في تاريخ الجزيرة العربية. وتمتاز هذه الواحة بموقعها المرتفع الذي يضفي عليها مناخاً معتدلاً، مما يجعل الإقامة فيها ممتعة. عبر التاريخ، كانت نجران ذات أهمية سياسية وتجارية كبرى، إذ أكسبها غناها الزراعي وموقعها الاستراتيجي دوراً محورياً كممر للقوافل المتنقلة بين اليمن والشرق الأدنى.

(*) التاريخ القديم لنجران :

يرجع تاريخ نجران إلى نحو (٧٠٠) قبل الميلاد، حينما كانت تتبع لمملكة صغيرة تُدعى «مهامر» (Muhamir). وقد اكتسبت شهرة تخطت حدود الجزيرة، حيث ذكرت عاصمتها "رعمة" مرتين في التوراة. وفي حوالي (٧٠٠) قبل الميلاد، حاول أحد ملوك سبأ السيطرة على هذه المملكة، لكنه اكتفى بنهبها وفرض الجزية عليها. وتشير النقوش التي وثقت انتصاراته إلى مقتل (٥,٠٠٠) شخص وأسر (١٢,٠٠٠) آخرين، إلى جانب الاستيلاء على مائتي ألف من المواشي، مما يعكس ثراء نجران في تلك الحقبة.

تظهر النقوش المكتشفة في نجران (حضريات الزهراني) واليمن أن مملكة مهامر امتدت لفترة طويلة، إذ ورد ذكرها في القرن الخامس قبل الميلاد، وعُرف من ملوكها ثلاثة أسماء. وكان سكان نجران، مثل أغلب القبائل، يعبدون آلهتهم الخاصة، وأهمها الإله "ذو السماوي" الذي بُني له معبد عُرف باسم "كأبة"، والذي بقي في ذاكرة المؤرخين باسم "كعبة نجران". كما ذكرت آلهة أخرى مثل "يغوث" و"اللات" و"العزى"، وهي أسماء وردت في القرآن الكريم.

(*) لغات نجران وعلاقتها بالممالك المحيطة :

كتب أهل نجران نقوشهم بالأبجدية السبئية، لكن يبدو أنهم لم يتحدثوا السبئية أو المعينية، بل استخدموا لغات متنوعة من شمال الجزيرة العربية. في بداية العصر الهلنستي، فقدت مملكة مهامر السيطرة على نجران لصالح قبيلة «أمير الحليفة»، ثم أصبحت الواحة لاحقاً تحت سيطرة مملكة معين اليمنية.

(*) نجران تحت سيطرة القوى المختلفة :

في عام (٢٥) أو (٢٦) قبل الميلاد، مر بها جيش روماني خلال محاولته غزو بلاد اللبان، وتمكن من احتلالها بسهولة. بعد ذلك، أصبحت نجران تحت حكم مملكة سبأ، ثم انتقلت إلى سيطرة مملكة حمير في حوالي (٢٧٥م). في بداية القرن الثالث، اجتاح الأحباش غرب الجزيرة العربية وسيطروا على نجران لفترة، قبل أن يستعيدها السبئيون في عام (٢٥٠م)، حيث ارتكبوا مذبحه طالت (٩٢٤) رجلاً وأسروا (٥٦٣) آخرين.

(*) انتشار المسيحية ومأساة القرن السادس :

في القرن الخامس الميلادي، انتشرت المسيحية في نجران، لكن هذا التبشير أزعج ملوك اليمن المتعاطفين مع اليهودية. في عام (٥٢٣م)، رفضت نجران الاعتراف بسلطة

الملك يوسف «ذو نواس»، الذي أعلن يهوديته وأرسل جيشاً لاستعادة السيطرة على الواحة. رغم استسلام النجرانيين بعد وعود بالعفو، غدر بهم يوسف وأحرق الكنيسة وقتل العديد من المسيحيين، منهم الحارث بن كعب، الذي أصبح شهيداً مكرماً في الكنائس السريانية واليونانية والأثيوبية.

استغلت الحبشة هذه المجزرة للتدخل العسكري، فقتلت يوسف واحتلت اليمن، ونصبت ملكاً يمينياً مسيحياً. وتعاقب الملوك المسيحيون حتى (٥٧٠-٥٧٥م)، وكان أبرزهم أبرهة الحبشي (٥٣٥-٥٦٥م).

(*) نجران قبل الإسلام:

عشية ظهور الإسلام، ظلت نجران مركزاً تجارياً وثقافياً مهماً، وثاني أكبر مدينة بعد مكة من حيث النشاط التجاري. ارتبطت نجران بعلاقات اقتصادية مع مكة، ويتردد أن الوليد بن المغيرة أوصى أبناءه بدفع (١٠٠) أونصة من الذهب لأسقف نجران لسداد دين تجاري. ويذكر أن الوليد هو والد خالد بن الوليد، القائد الإسلامي الذي قاد الفتح في بلاد الشام.

(*) نجران كمركز ثقافي وتعليمي:

كانت نجران من بين المدن القليلة في الجزيرة التي افتتحت مدارس، إلى جانب المدينة (يثرب). وكان الشاعر الجاهلي ميمون بن قيس «الأعشى» من زوارها الدائمين، حيث كان يستمتع بكرم استقبال النجرانيين الذين يرحبون به بالأناشيد البيزنطية والخمر.

(*) الفتح الإسلامي وتراجع مكانة نجران:

مع الفتح الإسلامي وتوسع الدولة الإسلامية في بلاد الشام والعراق، تراجعت مكانة نجران تدريجياً، لتصبح منطقة محلية متواضعة ضمن الدولة الإسلامية.

هـ - مملكة كندة:

كانت تتنظم معظم بلاد نجد مما يلي الحجاز شرقاً وتمتد إلى طرف الشام والعراق من ناحية الشمال، وتمارس نفوذاً على قبائل عمان في الجنوب، ولم تكن دولة على غرار دولتي المناذرة والغساسنة، بل كانت عبارة عن اتحاد أو تحالف يجمع عدة قبائل، وبدأ ظهورها في منتصف القرن الخامس الميلادي، واستمرت قائمة أكثر من قرن ونصف قرن.

الكنديون ربما أصلهم من عرب الجنوب، والظاهر أن التبابعة لجؤوا إليهم ليهيمنوا لهم على الطرق التجارية الشمالية التي كانت ترتادها قوافل اليمن التجارية حتى يأمنوا اعتداء قبائل البدو الشمالية عليها، ولم يكن للكنديين مدن كما كان للمناذرة والفساسنة، ولكن الظاهر أنهم - بعد أن توطد سلطانهم - أصبحوا منافسًا خطرًا لهاتين الدولتين، وخاصة دولة المناذرة التي تمكنوا بممالة الفرس من طرد ملكها المنذر الثالث، وضمها إلى حلفهم.

ولا نجد ذكرًا في النقوش اليمنية للكنديين؛ لكن الذي نستخلصه مما كتبه العرب هو: أن الكنديين كانوا يعيشون في الأصل في بلاد اليمن، ثم تفرقوا فنزلوا إلى حضرموت، وساكنا الحضرميين في موضع يُعرف بكندة وهو الذي يُسبون إليه، ثم حدث بينهم وبين الحضرميين خلاف وحروب كادت تأتي عليهم، ثم ضعفت كندة وظهر عجزها عن مواصلة الحرب، فهاجروا إلى الشمال، وتصادف في ذلك الوقت أن خلافاً وقع في قبيلة بكر التي تسكن شمال نجد فغلب السفهاء فيها على العقلاء، وأكل القوي الضعيف، فلجأ زعماءها إلى تبع اليمن حسان، وطلبوا إليه أن يولي عليهم ملكاً، فاختار حجر بن عمرو زعيم الكنديين وكان أخاه من الرضاع أو أخاً غير شقيق له، وكان ذا رأي ووجاهة، وهو أول ملوك الكنديين في أغلب الروايات.

(*) حجر بن عمرو الملقب بأكل المرار حوالي (٤٨٠ م):

قدم حجر إلى نجد وكان المناذرة قد ملكوا كثيراً منها، ولا سيما مواطن البكرين فحاربهم واستخلصها منهم، فأجمع القوم على احترامه، وما زال كذلك حتى مات، ويقال إنه لقب بأكل المرار؛ لأنه بلغه أمراً أغضبه فاستشاط غضباً، وجعل يأكل المرار (وهو نبات مر إذا أكلته الإبل تقلصت مشافرها).

وبعد موت حجر ولي ابنه عمرو بن حجر مكانه، ولم يضاف إلى المملكة أو الحلف قبائل جديدة ومن أجل ذلك سُمي بالمقصور.

(*) الحارث بن عمرو:

ولي بعد أبيه عمرو، وهو أشجع ملوك كندة، كان معاصراً لقباز ملك الفرس وكان ملكاً كثير المطامع، في أيامه فتح الأحباش اليمن، وأذهبوا دولة التبابعة، فضعف شأن ملوك كندة؛ لأنهم إنما كانوا يستمدون نفوذهم من اليمن، فوجه الحارث التفاته إلى المناذرة، وما زال يحسدهم على تقربهم من الأكاسرة، ويتربص الفرص لضم الحيرة

إلى دولته حتى حانت عندما تغير قباذ ملك الفرس على المنذر الثالث وطرده من الحيرة بسبب رفضه اعتناق المزدكية، فاعتنقها الحارث وظفر من قباذ بتوليته الحيرة بدلًا من المنذر كما بينا ذلك آنفًا؛ ورحبت قبائل معد وغيرها بملكه على الحيرة وتقربوا إليه بالطاعة، وطلبوا إليه أن يُولي عليهم من أبنائه من يحكمهم ليبطل ما قام بينهم من القتل، ففرق أولاده فيهم على النحو الآتي:

- (*) حجر بن الحارث على أسد وغطفان.
- (*) شرحبيل بن الحارث على بكر بن وائل بأسرها.
- (*) معد يكرب بن الحارث على قيس عيلان بأسرها.
- (*) سلمة بن الحارث على تغلب والنمر بن قاسط.

على أن مقام الحارث في الحيرة لم يطل، فما هو إلا أن مات قباذ سنة ٥٢١م وآل الملك إلى أنوشروان حتى أعاد المنذر الثالث وطرد الحارث، ففر بماله وأولاده فتبعتهم خيل المنذر، ولحقهم بأرض كلب؛ فهرب الحارث تاركًا ماله وإبله فانتهبها المنذر، وأسر ثمانية وأربعين من بني أكل المرار من بينهم عمرو ومالك ابنا الحارث، فأمر المنذر بهم فقتلوا في ديار بني مرين، وفيهم يقول امرؤ القيس الشاعر الكندي:

ملوك من بني حجر بن عمرو	يساقون العشية يقتلوننا
فلو في يوم معركة أصيبوا	ولكن في ديار بني مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل	ولكن في الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفة عليهم	وتنتزع الحواجب والجفونا

أما الحارث فظل في بني كلب حتى قُتل، وقيل: مات عقب تتبعه ظبيًا مدة ثلاثة أيام.

أما أبنائه فقد ظلوا على ما خلفهم أبوهم عليه، لكن المنذر الثالث أخذ يسعى بينهم بالوقعية انتقامًا لنفسه منهم ومن أبيهم حتى تحاربوا، فقتل شرحبيل ملك بكر في معركة تُعرف عند العرب بيوم الكلاب «وهو ماء بين البصرة والكوفة» قتله رجال أخيه سلمة الحاكم على تغلب، وبلغ أخاه معد يكرب قتله فجزع، وكذلك أدرك سلمة في الآخر نوايا المنذر السيئة، فخرج من تغلب، والتجأ إلى بكر بن وائل فأذعن له، وقالوا: لا يملكننا غيرك، فبعث إليهم المنذر الثالث يدعوهم إلى طاعته فأبوا، فسار إليهم وكانت بينه وبينهم المعركة المعروفة عند العرب بيوم أواره الأول الذي انتصر فيه المنذر عليهم، وأسأل دمهم على جبل أواره، وأحرق النساء.

كان طبيعياً بعد قتل الأخوين سلمة وشرحبيل أن يضعف أثر ملوك كندة ويتضعع نفوذهم، وأول ما ظهر ذلك كان في خروج بني أسد على حجر بن الحارث ونبذهم طاعته ورفضهم دفع الإتاوة إليه، فحاربهم عليها وأخضعهم، وأباح أموالهم، وحبس أشرافهم، وكانت النتيجة أنهم حقدوا عليه، واغتموا فرصة قتلوه.

(*) امرؤ القيس بن حجر الكندي؛

كان حجر قبل موته قد عهد إلى أحد أصحابه أن يدفع بتركته من سلاح وخيل إلى أي واحد من أبنائه الكثر لم يجزع لموته، ونفذ الصديق الوصية فمر على أبناء حجر الواحد بعد الآخر، وروى لهم حكاية مقتل حجر، فكل جَزَع، حتى إذا أتى امرؤ القيس وكان ببعض أرض اليمن يلعب النرد مع بعض أصحابه فلم يجزع، وقد نوى الثأر لأبيه على الرغم من أن أباه كان مهملاً له في صباه بسبب قوله الشعر وتشبيهه بالنساء، فأسلم إليه الصديق المال والسلاح، وأخذ امرؤ القيس يطوف بقبائل العرب يستصرها على قتلة أبيه بني أسد، فمنهم من كان يمهده، ومنهم من كان يرفض خشية بطش بني أسد، وإغضاب المناذرة والفرس، حتى انتهى به الأمر إلى أن يستودع أمواله ودروعه الشاعر اليهودي السموأل الذي كتب له كتاباً إلى الحارث ابن أبي شمر الغساني يطلب إليه فيه أن يتوسط لأمرئ القيس عند قيصر الروم ليساعده على الانتقام من قتلة أبيه وبخاصة لأن ملوك الحيرة - وهم عمال الفرس أعداء قيصر - ساعدوهم.

قبل الحارث ما أشار به السموأل، وسار امرؤ القيس يقصد قيصر، ولكنه مات في الطريق عند أنقرة في خبر تجد تفصيله في كتب الأدب، فارجع إليه. ولم يبق بعد موت امرئ القيس من ملوك كندة إلا معد يكرب على قيس عيلان وبعض أمراء صغار لهم شبه سيادة على بعض قبائل العرب التي كانت ضمن مملكة كندة قبل تضععها، وما زال الأمر كذلك حتى جاء الإسلام فاكسح هذه الدويلات إن صح هذا التعبير، كما اكسح دولتي المناذرة والغساسنة فلم نعد نسمع عنها شيئاً في التاريخ.

ليس للكنديين حضارة خاصة؛ لأنهم كما أسلفنا كانوا بدوا ليس لهم مدائن أو حصون، والشيء المهم في قيام دولتهم القصيرة العمر هو أنه كان أول محاولة في داخل بلاد العرب لتوطيد مجموعة من القبائل حول سلطة مركزية لها زعيم واحد، ولم تخلد أو تنجح هذه المحاولة؛ لأن التوحيد العام نجح على يد نبي الإسلام محمد عليه السلام.

وتطبق أوضاع وأحوال حال العرب الاجتماعية في الشمال على الكنديين؛ لأنهم على الرغم من إرجاع معظم المؤرخين أصلهم إلى الجنوب، لا يختلفون عن عرب الشمال في كثير أو قليل.

و - مملكة ديدان ولحيان:

ديدان مملكة تابعة لمملكة معين من القرن الخامس (ق.م) حتى بدايات الأول (ق.م.)، قامت في الأجزاء الشمالية الغربية من شبه الجزيرة العربية، وأغلب الظن أنها مرحلة سابقة لمملكة لحيان حيث يعتقد بعض الباحثين أن اللحيانيين كانوا من سكان العربية الجنوبية لورود نص يشير إلى قيل لحياني في اليمن اسمه "أب يدع ذو لحيان" واستوطنوا ديدان جنوب أراضي الأنباط فلما ضعفت حكومة المعينيين في اليمن استولى اللحيانيون على المملكة وأسموها على اسم قبيلتهم لحيان. وليس بين الباحثين اتفاق على أصولهم تحديدًا ويرى جواد علي أن المعينيين كونوا مستعمرات في أعالي الحجاز منذ القرن الخامس قبل الميلاد ووصفهم باللحيانيين أيام قوة المعينيين، وهدف هذه المستعمرات هو تأمين الطريق التجارية من اليمن إلى الشام. ووفقاً، لرواية كاسكل^(١).

الجدير بالذكر أن العهد القديم لديه الكثير من المعلومات بشأن السبئيين وواضح أنه صامت بشأن المعينيين، ولكننا نجد ذكراً لديدان وظاهر في سلسلة الأنساب الموضوعة في العهد القديم كأخ لسبأ (سفر التكوين ١٠: ٧) وهو ما له تفسير واحد، عندما يتحدث العهد القديم عن الديدانيين فإن المقصود هو معين، والسبب في ذلك الاستخدام واضح، وذلك لأن قوافل مملكة معين العربية الجنوبية كانت تتوقف في ديدان ولا تجاوزها، فيقوم مواطنوهم في تلك المستعمرة بنقل البضائع إلى محطات أخرى؛ هدف هذه المستعمرة هو تقصير مشقة السفر على المعينيين.

وأغلب بضائعهم تأتي من جنوب شبه الجزيرة العربية، وكانت ديدان (العلا حالياً) موجهة لمصر واليونان ويعتقد كاسكل أن اللحيانيين استولوا عليها في منتصف القرن الثاني (ق.م.) وقراية (١٥٠ ق.م) فقد كان المعينيون يسيطرون على أعالي الحجاز من القرن الخامس (ق.م) بمساعدة من الأنباط، بدلالة أن أول ملوكهم كان نبطيا، ثم عادت للحيان مستغلين ضعف مملكة معين وحروبها مع مملكة سبأ.

ز - الفترة الحبشية (٥٢٥ م - ٥٧٥ م):

غضب إمبراطورية بيزنطة لمحرقه نصارى نجران التي ارتكبتها الملك الحميري يوسف ذو نواس واتخذتها ذريعة لغزو اليمن بحجة الانتقام لنصارى نجران وحماية المسيحية، فأرسل الإمبراطور البيزنطي إلى ملك الحبشة التابع له وكانت الحبشة

(١) معلومات إضافية عن مملكة ديدان ولحيان راجع: الخثعمي، «بين ديدان ولحيان- رؤية جديدة-»، يناير (٢٠٠٢م/شوال ١٤٢٣هـ) من ص ٧-٢٦.

قد اعتنقت المسيحية، قائلًا له: سأعطيك الأسطول وعليك الجند، فتم حمل الجند الأحباش على الأسطول البيزنطي إلى الساحل الغربي لليمن. وعندما علم الملك الحميري يوسف ذو نواس بقدوم الحملة الحبشية والأسطول البيزنطي بهدف غزو اليمن، توجه إلى مشايخ وعقال القبائل الحميرية يستنصرهم ويدعوهم لمواجهة الغزو الحبشي البيزنطي القادم لاحتلال اليمن، ولكن معظم القبائل الحميرية لم تستجب لنداء الملك الذي بذل جهود جهيدة في محاولة إقناع القبائل اليمنية ومشايخها بخطورة الغزو ووقوع البلاد تحت الاحتلال الحبشي البيزنطي، لم يجبه سوى البعض من أتباعه والموالين له، لأن المجتمع اليمني في ذلك الوقت كانت قد مزقته الصراعات الدينية شر ممزق وأنهكته حروب الملك يوسف ذو نواس الذي أثقل كاهل الناس بالجبايات المتنوعة وعم الفقر حياة الناس وبرزت المجاعات كما أدت الحروب إلى كساد التجارة التي تأثرت بفعل الحروب والصراعات التي أدت إلى انهيار اقتصاد الدولة الحميرية التي كانت أغنى بلدان الأرض والتي كان يطلق عليها في كتابات اليوناني والرومان (بلاد العربية السعيدة) كما أن أتباع الملك مارسوا أشكال الظلم والبطش والقهر، لذلك لم تنهض القبائل اليمنية لصد الغزو وتلبية دعوة الملك بل أن القبائل اليمنية كانت تنتظر من يخلصها من الملك وأتباعه.

فتوجه الملك بمن معه من الجيش وبعض القبائل التي لبث نداء الملك لصد الغزو. وصلت الحملة إلى الساحل الغربي لليمن عند المخا عام (٥٢٥م)، وهناك دارت رحى معركة عنيفة غير متكافئة فلم يكن بمقدور جند الملك ومن معه من بعض القبائل مواجهة الحملة الحبشية فأنهزم الملك الحميري يوسف وأتباعه هزيمة شنعاء وانتحر الملك يوسف حيث خاض بفرسه البحر الأحمر فمات غرقاً، ووقعت اليمن فريسة سهلة للاحتلال الحبشي البيزنطي (٥٢٥ - ٥٧٦) وعانت اليمن والمجتمع اليمني أشكال الظلم والقهر والفقر تحت الاحتلال الحبشي.

(*) خلال هذه الفترة، سيطر الأحباش على اليمن. ومن أبرز حكامها:

- ١- الملك أرياط (حوالي ٥٢٥ م): بدأ حملة احتلال اليمن.
- ٢- الملك أبرهة الأشرم (حوالي ٥٣١ م): اشتهر بحملته الشهيرة إلى مكة ومحاولته هدم الكعبة، والمعروفة في التاريخ الإسلامي بسنة الفيل.

ح - الحكم الفارسي (٥٧٥م - ٦٢٨م):

بعد تحرير اليمن من الحكم الحبشي، جاء الفرس ليديروا اليمن، بعد أن استتجد سيف بن ذي يزن بكسرى فارس الذي كان ينتظر الفرصة السانحة للتدخل في شؤون

اليمن ومنافسة بيزنطة التي كانت موجودة في البحر الأحمر وبلاد اليمن من خلال اتباعها الأحباش ، فأرسل كسرى مع سيف بن ذي يزن حملة تتألف من ثمان مائة شخص من السجناء في سجون كسرى بقيادة وهرز، تمكنت الحملة الفارسية ومعهم عشرون ألف من اليمنيين المناصرين لسيف بن ذي يزن من التخلص من الاحتلال الحبشي وتم طرد الأحباش وحل محلهم الاحتلال الفارسي الذي استمر حتى دخول اليمن في الإسلام عام (٦٢٨ م) .

من ذلك نجد أن الصراع الديني يعد أنجح الطرق لغزو الشعوب والبلدان بل إن الصراع الديني سبب مباشر وأساس في انهيار الدول من داخلها وسيادة الفقر وانتشار المجاعات والحروب الداخلية وعائقاً رئيسياً لبناء الإنسان والمجتمع.

(*) إذا ما رجعنا لمناقشة الأسباب التي أدت إلى تخلي القبائل اليمنية عن الملك يوسف ذونواس الحميري وعدم تلبية دعوته للدفاع عن اليمن وصد الغزو الحبشي البيزنطي ووقوع اليمن فريسة سهلة لذلك الغزو، فيمكن إيجاز تلك الأسباب في النقاط التالية :

(*) الملك يوسف ذونواس نفسه ، لم يكن كسابقه من ملوك حمير الأوائل من حيث الحنكة والكفاءة وحسن القيادة، فقد زج بالبلاد في إتون الصراعات الدينية العالمية المسيحية واليهودية والمجوسية، واستقدم الديانة اليهودية وحاول إكراه المجتمع اليمني على اعتناقها بالقوة فأثار الصراع الديني في اليمن بين أتباع الديانات الأخرى مما أدى إلى تدخل الدول الكبرى الطامعة في السيطرة على اليمن تحت مبرر حماية أتباعها فتدخلت بيزنطة لحماية أتباع المسيحية وتدخلت فارس لحماية أتباع اليهودية ومساندة يوسف ذونواس الحميري (على الرغم أن الفرس مجوس ولا صلة لهم باليهودية) وذلك من أجل السيطرة ومنافسة بيزنطة في اليمن .

(*) كثرة الحروب والصراعات التي تزعمها الملك يوسف ذونواس وإنهاك قوى اليمن في تلك الصراعات الداخلية التي سأمتها القبائل اليمنية قبل مجيء الغزو الحبشي البيزنطي.

(*) الوضع الاقتصادي المنهار في اليمن والفقر والمجاعات التي برزت في المجتمع اليمني بسبب الحروب والصراعات الدينية التي أدت إلى تعطيل التجارة وطرقها وتأثرت الزراعة فزادت معاناة الناس وبؤسهم .

(*) الظلم وعدم المساواة وغياب العدل في عهد الملك ذونواس حيث أطلق يد أتباعه وأنصاره في التسلط على الناس.

(*) إرهاب القبائل اليمنية بكثرة الجبايات المالية والتشدد في جباية الأموال من الناس وما رافق ذلك من بطش وفساد زاد من معاناة المواطنين وكراهيتهم لنظام الملك يوسف ذو نواس وأنصاره فأصبح المجتمع اليمني يتوق إلى الخلاص من حكمه، فلم يعد هناك فرق لدى القبائل اليمنية بين حكامهم الذين هم من بني جلدتهم وبين المستعمر الخارجي الذي ربما يكون أقل قسوة من حكام اليمن أنفسهم.

لذلك لم تتحمس القبائل اليمنية ولم تحركها الحمية والغيرة اليمنية لقتال الغازي المحتل وتلبية دعوة الملك يوسف ذو نواس للدفاع عن البلاد، الذي لم يعد يحظى بحب القبائل اليمنية له والرغبة في نصرته واستمرار نظام حكمه؛ فالشعوب تصل إلى مرحلة من كراهية الحاكم ونظام حكمه فلا تلبى له طلباً حتى لو كان الأمر يتصل باستباحة البلاد واحتلالها حيث يصبح المجتمع لا يرى فرقاً بين حكمه من أبناء بلده وبين المستعمر الخارجي. ومن حكامهم:

١- المرزبان شهرزاد (حوالي ٥٧٠ م): كان أحد الحكام الفرس الذين أداروا شؤون اليمن.

٢- المرزبان باذان (حوالي ٦٢٠ م): اشتهر بأنه اعتنق الإسلام وأصبح أول حاكم إسلامي لليمن^(١).

سادساً: صلات بلاد تهامة والسراة بحضارات جنوب شبه الجزيرة العربية عبر العصور التاريخية:

١ - الصلات الحضارية بين ممالك الجنوب وسكان السراة وتهامة:

أ - الصلات الثقافية واللغوية:

(*) **اللغات والخطوط:** التأثير اللغوي كان واضحاً حيث تأثرت اللهجات المحلية في السراة وتهامة باللغة السبئية أو الحميرية. كما أن أنظمة الكتابة والخطوط المستخدمة في ممالك الجنوب قد انتشرت بين سكان السراة وتهامة، ما ساهم في تطوير المهارات الكتابية والتوثيقية في تلك المناطق.

(*) **الرموز الثقافية والدينية:** بالإضافة إلى التأثير اللغوي، كانت الرموز الدينية والتقويمات الفلكية المستخدمة في الجنوب تنقل إلى السراة وتهامة عبر المهاجرين والتجار. وهذا أدى إلى نشر بعض العبادات والمعتقدات الدينية الجنوبية في تلك المناطق.

(١) عن ظهور وتطور ممالك الجنوب راجع كل من: جواد علي، المفصل، الجزء الثاني، ١٩٩٣. محمد عبد القادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ١٩٨٥. يوسف محمد عبد الله، أوراق في تاريخ اليمن، ١٩٩٠. محمد مبروك نافع، عصر ما قبل الإسلام، ٢٠١٧، ص: ٦١-٨٥.

Kitchen, K. A., Documentation for Ancient Arabia Sources, 1994.

(*) التجارة والتبادل الثقافي: كانت طرق التجارة تمر عبر السراة وتهامة، ما جعل هذه المناطق نقاطاً مهمة للتبادل الثقافي مع الجنوب. والتجار القادمون من ممالك الجنوب حملوا معهم ليس فقط بضائع مثل البخور واللبان، بل أيضاً أفكاراً وثقافات ومعتقدات دينية. وهذه التأثيرات ساعدت في تشكيل الهويات المحلية في السراة وتهامة.

(*) كان جنوب الجزيرة العربية مركزاً لحضارات متقدمة تمتلك لغة سامية جنوبية، وقد انتقلت تأثيرات حضارات الجنوب وبخاصة حضارة سبأ إلى مناطق تهامة والسراة. وهذه التأثيرات قد ظهرت بلا شك في العمارة، والفن، وحتى بعض العناصر اللغوية التي انتقلت عبر التفاعل الثقافي، كما ظهرت في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والمعتقدات الدينية.

(*) النقوش القديمة الموجودة في مناطق تهامة والسراة تحتوي أحياناً على أشكال من الخط المسند، الذي كان مستخدماً في حضارات اليمن القديم مما يدل على استخدام سكان هذه المناطق لنفس اللغة والخط.

ب - الصلات السياسية والعسكرية :

العلاقات السياسية والعسكرية بين ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية، مثل مملكة سبأ وحمير ومعين، وبين سكان السراة وتهامة تأثرت بعدة عوامل، بما في ذلك المصالح الاقتصادية، وطرق التجارة، والتحالفات القبلية. هذه العلاقات كانت في كثير من الأحيان محكومة بالتنافس على النفوذ، وكذلك الحاجة إلى تأمين الطرق التجارية المهمة. حيث عقدت ممالك الجنوب، مثل سبأ وحمير، تحالفات مع القبائل التي تسكن السراة وتهامة من أجل تحقيق مصالح مشتركة. وهذه القبائل كانت تمتلك نفوذاً محلياً على المناطق الجبلية (السراة) والساحلية (تهامة)، مما جعلها شريكاً مهماً للممالك الجنوبية.

من خلال هذه التحالفات، كانت الممالك الجنوبية تحاول تأمين طرق التجارة التي كانت تمر عبر السراة وتهامة، وكانت تلك المناطق محطة مهمة للقوافل التجارية القادمة من الجنوب والمتجهة إلى مناطق الشام والحجاز، واتضح ذلك في عدة أمور:

١. التوسع العسكري:

(*) الصراعات العسكرية كانت تنشأ أحياناً عندما تتعارض مصالح الممالك الجنوبية مع القبائل المحلية، خاصة فيما يتعلق بالسيطرة على الطرق التجارية. لكن غالباً ما كانت تنتهي هذه الصراعات بتحالفات جديدة أو ترتيبات سياسية تضمن للطرفين مصالحهم.

(*) مملكة حمير، على سبيل المثال، كانت معروفة بتوسعها العسكري والسياسي شمالاً. وحاولت هذه المملكة وغيرها فرض نفوذها على السراة وتهامة بالقوة العسكرية لضمان السيطرة على هذه المناطق الاستراتيجية.

٢. النزاعات الداخلية في الجنوب؛

(*) النزاعات بين الممالك الجنوبية نفسها، مثل النزاعات بين سبأ وحمير، كانت أحياناً تؤدي إلى تدخل القبائل في السراة وتهامة لدعم طرف ضد آخر. وهذا كان يعزز أحياناً من قوة هذه القبائل ويمنحها نفوذاً أكبر في المناطق المتنازع عليها.

(*) في أوقات ازدهار ممالك اليمن القديم، كانت بعض هذه الممالك تسعى لتوسيع نفوذها إلى المناطق الشمالية، بما في ذلك بلاد تهامة والسراة. فمملكة سبأ، على سبيل المثال، كانت تمتد في بعض الفترات إلى مناطق الشمال فوصلت حتى وسط نجد (وادي مأسل في محافظة الدوادمي حالياً)، ونجران، وجُرش، وشمال سروات منطقة عسير حالياً، (بيشة، وتبالة، والعبلاء). وكان لمملكة سبأ تأثيرات كبيرة من الناحية السياسية على منطقة تهامة، وقد سجلت لنا النقوش السبئية عدد من الحملات العسكرية التي سيرها ملوك سبأ لتأديب سكان تهامة والسراة التي كانوا يطلقون عليهم الأعراب في الجبال والتهائم. وفي عهد الدولة الحميرية كانت هناك تأثيرات سياسية كبيرة على منطقة نجران، ومملكة كندة (قرية ذات كهل). وأدى ذلك إلى تداخل سياسي واقتصادي بين سكان مناطق السراة وتهامة وحضارات جنوب شبه الجزيرة العربية.

(*) كانت الدول والحضارات في جنوب الجزيرة تستخدم، بعض الأحيان، المناطق الجبلية (السراة) كمناطق دفاعية أو استيطانية لحماية طرق التجارة.

(*) والخلاصة؛

أن العلاقات السياسية والعسكرية بين ممالك جنوب شبه الجزيرة وسكان السراة وتهامة متشابكة ومعقدة. وكانت مبنية على المصالح المشتركة مثل تأمين التجارة، وأحياناً التنافس العسكري للسيطرة على المناطق الاستراتيجية.

٣. دور الدين في العلاقات السياسية والعسكرية؛

(*) كانت الديانات تلعب دوراً هاماً في تشكيل التحالفات والنزاعات. والممالك الجنوبية كانت تستخدم الرمزية الدينية لتعزيز سلطتها، وكان للزعماء القبليين في السراة

وتهامة أيضاً ممارساتهم الدينية التي غالباً ما ارتبطت بتأمين الحماية الإلهية في الحروب والنزاعات.

(*) التأثير الديني اليهودي والمسيحي الذي انتشر في بعض مناطق الجنوب تأثر به أيضاً سكان السراة وتهامة، وهذا التأثير أدى أحياناً إلى تشكيل تحالفات على أساس ديني ضد أعداء مشتركين أو لتحصيل دعم ديني من الممالك القوية.

(*) مع توسع مملكة حمير إلى المناطق في تهامة والسراة، انتقلت بعض المفاهيم الدينية التي كانت تستخدم لتبرير الحكم وتوحيد القبائل تحت سلطة مركزية. وكان للتحالفات القبلية بين سكان السراة وبعض ممالك الجنوب تأثير في نقل الطقوس الدينية أو توجيه الممارسات الروحية.

(*) كان الحميريون والسبئيون قوى سياسية ودينية مهمة، وكان لديهم تأثير ديني قوي على المناطق المجاورة. وتبنت بعض القبائل العربية في السراة وتهامة تقاليد دينية مشابهة أو متأثرة بشكل مباشر بالديانات السبئية والحميرية، بما في ذلك عبادة النجوم والكواكب وبعض المعتقدات الروحانية.

ج - التأثيرات الدينية على سكان السراة وتهامة :

كانت حضارات سبأ وحمير ومعين وقتبان، تمتلك تأثيرات دينية وثقافية قوية امتدت إلى المناطق المجاورة مثل السراة وتهامة ومن أبرز تلك التأثيرات ما يلي:

(*) انتشار الديانات الجنوبية : الديانات الوثنية والممارسات الدينية التي كانت منتشرة في الجنوب، مثل عبادة «المقة» و«عثر»، فقد انتقلت مع المهاجرين إلى مناطق السراة وتهامة. كما أن اليهودية والمسيحية، اللتين انتشرتا في جنوب الجزيرة في فترة لاحقة، وصلتا إلى تلك المناطق عن طريق الهجرات، مما ساهم في التنوع الديني في المنطقة.

(*) نقل الطقوس الدينية : سكان الجنوب جلبوا معهم طقوسهم الدينية وشعائرتهم، بما في ذلك الأعياد والتقويمات الدينية المرتبطة بالتغيرات الموسمية والطقوس الزراعية. وهذه الطقوس كانت تتبناها بعض القبائل المحلية وقد شمل ذلك سكان السراة.

(*) انتشار العبادات المحلية والمعابد المشتركة : كان هناك تبادل ديني بين ممالك الجنوب ومناطق تهامة والسراة، حيث تأثرت القبائل هناك بعبادات آلهة مثل

«المقه» (إله القمر) و«ذات بعدان». ويُعتقد أن بعض القبائل في تهامة والسراة تبنت جوانب من الديانات الجنوبية أو إضافتها إلى ممارساتها التقليدية، وهذا يدل على التفاعل الفكري والعقدي بين المنطقتين.

(*) الحج والمزارات: كان لبعض المواقع الدينية في جنوب الجزيرة دور مهم في استقطاب الحجاج من مختلف المناطق، بما فيها تهامة والسراة. يُعتقد أن هذه الطقوس كان لها دور في تعزيز الروابط الدينية بين السكان في المنطقتين. ومن المرجح أن بعض القبائل في تهامة والسراة شاركت في الاحتفالات الموسمية التي كانت تقام في ممالك الجنوب، مما زاد من تأثرهم بالأديان هناك.

(*) التجارة ودور الكهنة: كانت جنوب الجزيرة العربية مركزاً تجارياً مهماً بفضل موقعها على طرق التجارة القديمة، خصوصاً طريق اللبان (البخور). وهذا النشاط التجاري ساعد في نقل الأفكار والمعتقدات الدينية إلى مناطق السراة وتهامة. ومن المؤكد أن الكهنة الذين كانوا يحكمون في المعابد الدينية كانوا أيضاً قادة دينيين ينشرون معتقداتهم إلى هذه المناطق.

(*) المسيحية واليهودية: مع توسع الإمبراطورية الحميرية في القرون الأولى للميلاد، تأثرت أيضاً بالمسيحية واليهودية. وكانت هناك مستوطنات يهودية في جنوب الجزيرة، وبعض السكان في السراة وتهامة تأثروا بهذه الديانات نتيجة للهجرة والتبادل الثقافي.

(*) الدور التبشيري وتأثير اليهودية والمسيحية: في أواخر فترة ممالك الجنوب، خصوصاً بعد انتشار اليهودية في مملكة حمير، وصل التأثير إلى تهامة والسراة، حيث اعتنقت بعض القبائل اليهودية أو تأثرت بأفكارها. كذلك لعبت المسيحية دوراً في مناطق تهامة عبر بعض التجار أو المبشرين، خاصة من خلال الاتصال مع ممالك الحبشة المجاورة، وذلك أضاف تنوعاً دينياً في هذه المناطق.

(*) الاستعداد لتلقي الإسلام: يُقال إن التأثيرات الدينية السابقة، مثل تقاليد الحج والاحتكاك بأديان توحيدية كالوثنية الجنوبية واليهودية والمسيحية، ساهمت في إعداد سكان تهامة والسراة لتلقي الإسلام وتقبل الدعوة المحمدية بسرعة عند ظهورها في القرن السابع الميلادي. وإجمالاً، يمكن القول إن الأديان في ممالك الجنوب تركت بصمة واضحة في الطقوس الدينية والمعتقدات لدى سكان تهامة والسراة.

(*) **الأضرحة والمعابد:** انتشرت في تلك المناطق معابد وأضرحة لعبادة الآلهة المحلية، مثل معابد تهامة التي كانت تحظى بتقدير القبائل المحلية. وكانت الأضرحة تمثل مركزاً دينياً واجتماعياً مهماً، وعادة ما تتعلق بعبادة الأسلاف أو القوى الطبيعية، وهي ممارسات دينية تأثرت بالجنوب.

وكانت هناك معابد مخصصة لعبادة الآلهة التي كانت تُعبد في الجنوب مثل الإله "المقة" في سبأ. هذا التفاعل الديني يظهر في انتشار طقوس العبادة المشتركة بين سكان جنوب شبه الجزيرة وسكان مرتفعات السراة وتهامة (الخنثمي، ٢٠٠٩، ص ١٠٩-٢١٩).

(*) **نختم بالقول:**

إن التأثيرات الدينية من جنوب شبه الجزيرة العربية كانت متنوعة وشملت تعدد الآلهة والممارسات الروحانية والديانات السماوية، وانتقلت إلى سكان السراة وتهامة بطرق مختلفة، خاصة عبر التجارة والتواصل الثقافي وقد وجدت في منطقة عسير بعض التماثيل لبعض معبودات شبه الجزيرة العربية مما يوحي بأن سكان السراة قد عبدوا آلهة مشتركة مع سكان جنوب الجزيرة، (الخنثمي، ٢٠٠٩، ص ١٠٩-٢١٩). كما أكدت بعض النقوش المكتشفة في جبال القنة بتثليث بمنطقة عسير تعبد سكان المنطقة لمعبودات جنوبية، (القحطاني، ٢٠٠٧).

د - الهجرات والتفاعل الاجتماعي:

كان للهجرات والتفاعل الاجتماعي بين ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية وسكان السراة وتهامة تأثيرات كبيرة على النسيج الاجتماعي والثقافي والاقتصادي. وممالك الجنوب، مثل سبأ وحمير ومعين، مراكز حضارية قوية، وكانت تتأثر بالتحولات السياسية والاقتصادية، مما أدى إلى هجرات جماعية وتفاعلات اجتماعية مع المناطق المجاورة.

(*) **الهجرات الداخلية:** بسبب الضغوط الاقتصادية أو الحروب أو التحولات المناخية، شهدت جنوب الجزيرة العربية عدة موجات هجرة. وسكان ممالك سبأ وحمير وغيرها قد هاجروا في أوقات مختلفة إلى السراة وتهامة. وتلك الهجرات أدت إلى نشر الثقافة الجنوبية والأنظمة الاجتماعية والدينية في المناطق المستقبلية.

(*) **تأثير الهجرات على سكان السراة وتهامة:** أثرت الهجرات التي تلت انهيار سد مأرب على سكان السراة وتهامة، حيث استقر العديد من المهاجرين في هذه المناطق. وهؤلاء المهاجرون جلبوا معهم تقنيات زراعية متقدمة على سبيل المثال،

نظم الري المعقدة المستخدمة في ممالك الجنوب تم نقلها إلى المناطق الجبلية في السراة، مما أدى إلى تحسين الإنتاج الزراعي هناك. أيضاً نقلوا علوم ومعارف اجتماعية وسياسية ساعدت في تحسين الوضع المحلي في السراة وتهامة. كما ساهمت الهجرات في نشر الثقافة الجنوبية، بما في ذلك العادات والتقاليد الدينية والاجتماعية.

هـ - التأثيرات الاقتصادية:

(*) التأثير على الممارسات الزراعية:

سكان السراة وتهامة تأثروا بتقنيات الزراعة التي جلبها معهم المهاجرون من الجنوب. وتقنيات الري التي كانت مستخدمة في سبأ تم تبنيها وتطويرها في أرض السراة، مما ساعد على تحسين الإنتاج الزراعي، خاصة في المناطق الجبلية.

(*) التنافس على الموارد:

كانت الموارد الطبيعية مثل المياه والأراضي الزراعية في بعض الأحيان محلاً للصراع بين ممالك الجنوب والقبائل في السراة وتهامة. كانت هذه الموارد ضرورية لتأمين استمرار التجارة والقوافل، لذلك كان من المهم لكلا الطرفين التوصل إلى ترتيبات سياسية أو عسكرية لضمان استقرارها.

(*) حرفة التجارة:

عملت التجارة على تبادل السلع والموارد التجارية، وكانت مناطق تهامة والسراة جزءاً من طرق التجارة المهمة التي ربطت جنوب الجزيرة العربية بالمناطق الشمالية (كالحجاز والشام) والجنوبية (كاليمن والحبشة). وازدهرت تجارة البخور واللبان، ويتم نقله من ممالك الجنوب عبر تهامة إلى الحجاز والشام. كما صدرت قبائل تهامة والسراة سلعاً محلية مثل الجلود، والعسل، والمنتجات الزراعية. ولا شك أن التجارة ساعدت في تحقيق تكامل اقتصادي بين ممالك الجنوب والمناطق المجاورة.

كما أسهمت التجارة في التواصل الاجتماعي والثقافي وبشكل مكثف بين القبائل في تهامة والسراة والتجار القادمين من ممالك الجنوب، مما ساهم في نقل عادات وتقاليد وأساليب حياة جديدة. فعلى سبيل المثال، تأثرت بعض المجتمعات في الديار النهامية والسروية بنظم التجارة والإدارة التي كانت مستخدمة في ممالك الجنوب، كما ظهرت بعض المصطلحات والمعارف المرتبطة بالتجارة والاقتصاد.

ومن خلال قوافل التجارة، انتقلت المعتقدات الدينية من ممالك الجنوب إلى مناطق السروات، وبعض القبائل تبنت عبادات مشابهة أو تأثرت بأفكار دينية مثل تلك المتعلقة بالأوثان المحلية أو الديانات التوحيدية (كالديانة اليهودية في فترة مملكة حمير). كما أن وجود التجار في هذه المناطق أسهم في نشر الديانات التوحيدية مثل اليهودية والمسيحية، خاصة مع التجار الحبشيين واليهود.

وكان للتجارة دور في تعزيز الروابط بين القبائل في تهامة والسراة والممالك الجنوبية، مما أدى إلى ظهور تحالفات سياسية واقتصادية، خاصة مع توسع مملكة حمير في مناطق تهامة لتحقيق السيطرة على الطرق التجارية. واستثمرت ممالك الجنوب هذه العلاقات لضمان استقرار طرق التجارة وضمان وصول البضائع بأمان، مما جعل القبائل في تهامة والسراة شركاء استراتيجيين في النشاط التجاري.

وعملت التجارة على رفع النمو الاقتصادي وتحسين مستوى المعيشة، والأوضاع الاقتصادية بشكل عام للتهاميين والسرويين لسكان تهامة والسراة، حيث استفادت القبائل من موقعها الجغرافي الذي جعلها وسيطاً مهماً في نقل السلع. كما تطورت بعض المراكز التجارية في هذه المناطق إلى محطات تجارية مهمة، مما أتاح فرص عمل واسعة ورفع مستوى المعيشة للسكان.

ساعد الاتصال التجاري المستمر بين سكان السراة وتهامة وممالك الجنوب في نشر الأفكار والمعتقدات التي مهدت لاحقاً لاستقبال الإسلام. فقد كان السكان على دراية بأفكار التجارة الدولية والتواصل مع الثقافات المتعددة، مما ساعد في تقبلهم للدعوة الإسلامية وانتشارها في هذه المناطق. وباختصار، شكلت التجارة حلقة وصل قوية بين تهامة والسراة وممالك الجنوب، مما أدى إلى تعميق الروابط الاقتصادية والثقافية والدينية. وكانت تلك العلاقات التجارية عاملاً أساسياً في استقرار هذه المناطق وتطورها، وأسهمت في صياغة ملامح المجتمع المحلي وتأهيله لاستقبال التحولات الكبرى، بما في ذلك انتشار الإسلام في مرحلة لاحقة. وأدت الهجرات إلى تعزيز النشاط التجاري بين الجنوب والشمال. كان المهاجرون يجلبون معهم المعرفة بطرق التجارة الدولية والمحلية. وتلك التبادلات التجارية حققت تقوية العلاقات الاقتصادية بين السراة وتهامة والمناطق الجنوبية.

(*) **حرفة الصناعة :**

اشتهرت بعض الصناعات عند العرب في مناطق متفرقة، فمثلاً عُرفت اليمن بصناعة النسيج والسيوف والبرود اليمنية المشهورة، وبرعوا في دباغة الجلود، وقد تأثرت مناطق السراة وتهامة بهذه الصناعات فمدينة جُرش في السراة على سبيل المثال كانت من المناطق المشهورة بدباغة الجلود، وانتشرت بكثرة في الطائف وجُرش واليمن. كما أن مدينة جُرش من المدن المهمة في صناعة الدبابات والعرادات في فترة ما قبل الإسلام. ومن الحرف المشهورة في بلاد تهامة والسراة النجارة، وهي من الحرف الهامة، وقد عثر على نماذج مصنوعة من الخشب تشير إلى مهارة النجارين وذكائهم. والحدادة، وتمثلت في صناعة الأدوات المستخدمة في حراثة الأرض من الحديد. وصناعة الحلبي، مثل الذهب والفضة وخاصة صناعة الخلاخيل. والصياغة، وتمثلت في صياغة الذهب والفضة.

(*) **حرفة التعدين :**

لا شك أن ممالك جنوب الجزيرة نتيجة للنشاط التجاري والاقتصادي عرفت فوائد المعادن وعملت على استخراجها من باطن الأرض وتصنيعها، ويدل على ذلك عدد من الشواهد: الشاهد الأول يأتي من القرآن الكريم في القرن السابع الميلادي حيث نجد إشارات مباشرة وصريحة إلى معرفة سكان الجزيرة بفوائد الحديد وإلى خبرتهم بصهر المعادن وصناعة الحلبي والأدوات المعدنية. والشاهد الثاني نجده فيما تركه لنا الكتاب الكلاسيكيون من وصفهم لموارد شبه الجزيرة حيث يشير أرتيميدوروس (أوائل القرن الثاني ق. م) إلى وجود الذهب في المنطقة القريبة من الساحل الغربي لشبه الجزيرة شمالي سبأ وفي الحجاز أو نجران، سواء في صورة تراب الذهب أو في صورة معدن على هيئة قطع يصلون إليها عن طريق التعدين، كما يشير إلى أن سكان المنطقة يبادلون به الفضة والنحاس من الأماكن المجاورة لهم، ولنا أن نرجح أن الإشارة هنا يُقصد بها بلدان تهامة والسراة. كذلك يشير الكاتب الروماني بلينيوس (أواسط القرن الأول الميلادي) إلى وجود الذهب في بعض الأماكن على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة^(١).

(١) أشارت بعض الكتب والمصادر الكلاسيكية إلى وجود الذهب والفضة والنحاس في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية بما في ذلك الأجزاء الجنوبية منها: strabo: XVI, 4: 18, plinius: HN, VI150. والإشارة إلى وجود الحديد وفوائده في القرآن الكريم: سورة الحديد، (٢٥) وإلى صهر المعادن وصناعة الحلبي وغيرها في سورة الرعد: (١٧). كذلك هناك آية قرآنية في سورة الشعراء تشير إلى الصناعة: (١٢٩)،

من بين هذه الشواهد الألفاظ العديدة التي استعملها كُتَّابُ العصر الإسلامي كأسماء للذهب في حالاته المختلفة مثل «التبر» وهو الذهب الذي لم يعالج بعد، و«العسجد» وهو اسم يبدو أنه كان عامًّا يطلق على الذهب والجواهر كالدرر والياقوت، و«السحالة» وهي تراب الذهب و«الإبريز» و«العقيان» وهو الذهب الخالص. وهذا التعدد في الأسماء نجده كذلك فيما يخص بعض المعادن الأخرى مثل الفضة التي كانت تعرف كذلك باسم «اللجين» كما كانت تعرف باسم «الصريف» في حالتها الخالصة و«الرضراض» في حالتها المنفوقة كما كانت تعرف سبيكتها أو القطعة المجلوة منها باسم «الوذيلة». ومثل الرصاص الذي عرف سكان جنوب شبه الجزيرة العربية نوعين منه، الأبيض وكانوا يسمونه «الأسرب» أو «الآبار» والأسود وكانوا يسمونه «الصرفان» أو «القلعي» وهكذا.

إلى جانب ذلك فنحن نجد لدى كتاب العصر الإسلامي كذلك ذكرًا لأماكن عديدة كانت توجد بها المناجم «أو المعادن حسبما كانوا يسمونها، جمع معدن وهو المنجم أو مكان التعدين»، التي كانوا يستخرجون منها المعادن التي أشاروا إليها في كتاباتهم^(١). وطبيعي أن تعدد الأسماء التي كانت تطلق على كل معدن في حالاتها المختلفة ووفرة عدد الأماكن

حيث يلوم هود - عليه السلام - قومه عاد: ﴿وَتَتَخَذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾، ولكن تبقى لفظة مصانع هنا حائرة بين المصنع بمعنى القرية والمصنع بمعنى مكان الصناعة. كذلك تجد في التوراة: سفر أخبار الأيام الثاني، إصحاح (٩: ١٠)، أن عبید سليمان قد أحضروا له ذهباً من أوفير. وقد كثر النقاش حول أوفير، ومن بين الآراء التي ظهرت في هذا الصدد أن أوفير يجب أن تكون موجودة في الهند؛ لأن الموضوع المشار إليه في التوراة يجعل من بين السلع المستوردة إلى جانب الذهب، خشب الصندل وهو غير موجود في شبه الجزيرة العربية، راجع: (a.hourani: arab seafaring.9). لكن الرأي يمكن أن يكون مردوداً عليه إذ إن هذه السفن التي أرسلها سليمان قد تكون وصلت إلى الهند حيث جلبت شجر الصندل، ولكنها وهي في طريقها جلبت ذهباً من إحدى موانئ الساحل الشرقي لشبه الجزيرة حيث يذكر الكاتب الروماني بلينيوس أن الذهب كان موجوداً بها راجع بداية هذه الحاشية. لكن الرأي الغالب هو أن أوفير، موجودة فعلاً على الشاطئ الشرقي لشبه جزيرة العرب وذلك اعتماداً على ما جاء في التوراة من أن أوفير، هو أحد أبناء يقطان "أي قحطان - والتوراة تمزج بين أسماء الأشخاص والأماكن"، وقد ذكر أن موطن اليقطينيين هو ما بين أسماء وأنتأت نحو سفار جبل المشرق، "سفر التكوين، إصحاح (١٠: ٢٦) وما بعدها" وحيث إن ميسا هي في أغلب الظن ميسان عند الطرف الشمالي للخليج وأن سفار هي ظفار، فتكون الإشارة إلى شرقي شبه الجزيرة. هذا ويدعم جواد علي "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، ج ١، صفحات ٦٢٩-٦٤٠، هذا الترجيح بما ذكره الهمداني "صفة جزيرة العرب" عن معدن "منجم" من معادن اليمامة اسمه "حفير" ويجد في هذا الاسم اقترباً من أوفير. ورغم أن اليمامة بعيدة عن الساحل إلا أن الكاتب يرى أن ذهب "الحفير" كان ينقل إلى الساحل لبيعه في إحدى الموانئ، وأن ملاحي سليمان اشتروه من هناك، ولما كان معروفاً بذهب حفير فقد ذكرت التوراة أن الذهب من أوفير التي يرى الكاتب أنها هي حفير.

(١) عن بعض أسماء المعادن راجع تاج العروس، مواد: ذهب، عسجد، عقي، سحل - عن الذهب، ومواد: صرف، لجين، وذل - عن الفضة، ومواد: رص، صرف، قلع - عن الرصاص. راجع عن تصنيف واف لهذه المعادن ولمعادن أخرى، جواد علي: "المفصل في تاريخ العرب"، ج ٧، صفحات ٥١٢ وما بعدها.

التي كانت تستخرج منها المعادن شاهدان يدلان على المعرفة المفصلة بالمعادن والتعدين، وهو أمر لا يمكن أن يكون قد ظهر فجأة في العصر الإسلامي وإنما كان موجوداً، على الأقل في نسبة منه، في عصور ما قبل الإسلام.

أما الشاهد الأخير في هذا الصدد فهو الآثار التي خلفها لنا سكان شبه الجزيرة في الفترة السابقة للإسلام. وفي هذا المجال فقد عثرت في أثناء دراستي الميدانية لإعداد موسوعة منطقة عسير على أدوات ترجع إلى عصر ما قبل الإسلام كانت تستخدم لاستخراج الذهب واستخلاصه من شوائبه من بينها رحي وأدوات تنظيف ومدقات ومصاييح، كما وجدت آثاراً تدل على قيام عمال بالحفر في هذه المناجم لاستخراج الذهب منها، وقد رصدت كما هائلاً من مراكز التعدين في منطقة سراة وتهامة عسير (الخثعمي، ١٤٢٩هـ). الأمر الذي يعطي لنا انطباعاً عن النشاط الذي لعبه سكان هذه المناطق في سبيل استخراج المعادن، وربما يكون تم ذلك بفعل إشراف سلطات حكومية ذات نفوذ واسع، وقد يكون بجهود محلية لسكان المنطقة.

كما عثر الأثريون على بقايا من الرصاص في المباني الأثرية بجنوب شبه الجزيرة العربية تشير إلى أن أهل المنطقة كانوا يصبون الرصاص المصهور في أسس الأعمدة لتثبيتها وبين مواضع اتصال الحجارة لتشدّها إلى بعضها^(١).

لم تقتصر معرفة المجتمع العربي قبل الإسلام على هذه المعادن وعلى معالجتها وحدها، فقد عرف عرب شبه الجزيرة في تلك الفترة معادن أخرى مثل: الملح والعقيق والزمرّد وغيرها، كما عرف أهل اليمن قدراً متقدماً من صناعة النسيج والحيّاكة. وورد ذكر هذه الصناعة الأخيرة في النصوص العربية الجنوبية كما ورد في أشعار الجاهليين ما يشير إلى المستوى المرموق سواء للنسيج اليمني أو للمهارة في هذه الصناعة^(٢).

يبقى في نهاية الحديث عن الصناعة وما يتصل ببعض جوانبها من تعدين تساؤل هو: إلى أي حد نظر سكان شبه الجزيرة العربية إلى هذا المورد بعين الاهتمام؟ وإلى

(١) لمزيد من المعلومات عن النشاط التعديني في جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام راجع: جواد علي: المرجع نفسه، ج٧، صفحات ٥١٤-٥١٦.

(٢) عن الإشارة إلى النسيج في النقوش العربية الجنوبية راجع نص GLASER 1000 A. راجع بيت لطرفة في شيخو والبستاني، ص٧٦، البيت ٢، وهو:

وبالسنح آيات كأن رسومها يمان وشتها ريدة وسحول

وعن صناعة النسيج ذاتها، راجع بيت ذي الرمة في تاج العروس، مادة: حاك. والبيت هو:

كأن عليها سحق لفق تأنقت به حضرميات الأكف الحوائك

أي حد كان استغلالهم له؟ وهل وصل هذا الاستغلال للقدر الذي يجعل المصنوعات سلعة للتصدير تسهم في زيادة دخل المجتمع أو المجتمعات التي وجدت في شبه الجزيرة؟ إن الإجابة على هذا التساؤل لا يمكن إلا أن تكون مختلطة ومتداخلة. فالشواهد التي عرضت طرفاً منها تدل على قدر غير قليل من الاهتمام بهذا المورد وباستغلاله. وقد وصل هذا الاستغلال في بعض الأحيان إلى تصدير بعض السلع على الأقل من منطقة إلى أخرى، في داخل شبه الجزيرة العربية، مثل السيوف اليمانية والنسيج اليماني، وهما سلعتان يبدو من أشعار الجاهليين أنهما كانتا تصلان من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى بقية مناطقها المختلفة.

نجد أن نشاط التعدين أو الصناعة لم يكن على نفس المستوى في الأقسام المختلفة من شبه الجزيرة. وفي هذا الصدد يذكر لنا الكاتب اليوناني أرتيميدوروس في وصفه لسكان المنطقة التي تقع إلى شمالي سبأ أن بعض هؤلاء السكان يحصلون على الذهب في هيئة كتل أو كرات صغيرة عن طريق الحفر «يقصد التعدين بالضرورة» وهم إما أن يأخذوا هذه الكرات كما هي ولا يصنعون فيها شيئاً أكثر من ثقبها لكي يصنعوا منها العقود والأسورة، أو أنهم يبيعونها «بسر رخيص إلى جيرانهم، بسبب عدم مقدرتهم على صياغة الذهب»^(١). وفي هذا دليل واضح على أن جيرانهم هؤلاء، وفي ترجيحي أنهم السبئيون أنفسهم حسبما يشير سياق الكلام عند هذا الكاتب، أكثر منهم مقدرة على هذه الصياغة.

في الواقع نجد من الشواهد التي أسلفت الإشارة إليها أن أغلب نشاط التعدين والنشاط الصناعي عموماً يكاد يكون مركزاً في جنوب شبه الجزيرة حيث توجد منطقة سبأ والمناطق الأخرى المجاورة لها ومنها السراة. وتفسير ذلك في رأيي أن هذه المناطق كانت أكثر استقراراً من غيرها، ففي هذه المنطقة كانت ظروف التربة الخصبة والأمطار الموسمية المنتظمة تساعد على اقتصاد زراعي وافر وثابت. كذلك كانت مواردها الطبيعية من الطيوب مادة أولية ثابتة ومستمرة للتجارة، وكان موقعها عند بدء الخطوط التجارية البرية إلى سورية ووادي الرافدين، وعند مفترق الطريق التجاري البحري بين البحر الأحمر والمحيط الهندي «ومن ثم بين تجارة الشرق والغرب» ما يجعلها في مأمن مما قد يصيب تجارة العبور من هزات تسببها الظروف الطارئة. وطبيعي أن مثل هذا الاستقرار يجعل في إمكان المجتمع الموجود بالمنطقة أن يقبل على النشاط الصناعي.

(1) Strabo: XVI, 4: 18;

إسترابو: جغرافية إسترابو والجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية، مرجع سابق، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م.

لكن مع ذلك يبدو أن الحجم الحقيقي للمصنوعات لم يكن بالقدر الذي قد تنتظره لأول وهلة. فرغم أن جنوب شبه الجزيرة على سبيل المثال، قد صدرت السيوف اليمانية وبعض أنواع النسيج إلى عدد من أقسام شبه الجزيرة، إلا أن تصدير هاتين السلعتين أو غيرهما من السلع المصنعة ظل قاصراً على هذا الإطار المحلي ولم يعرف طريقه إلى الخارج، إذ لا نصادف في المصادر التي بين أيدينا ما يشير إلى ذلك. بل أكثر من هذا، فرغم الإشارات المتواترة إلى وجود الذهب ومعادنه «مناجمه» في جنوب الجزيرة وفي تهامة والسراة وإلى وجود صناعة نسيج قوية بها، إلا أننا نجد أحد الكتّاب اليونانيين يذكر لنا أن ميناء أبولوجوس «أبله» الفارسية كانت تصدر إلى اليمن عدداً من السلع من بينها الأقمشة والذهب^(١). «وأغلب الظن أن هذا لم يكن ذهباً خاماً، لكنه ذهب قد تمت صياغته».

أما عن تفسير هذا التناقض فأغلب الظن أنه يكمن في النظرة التي كان ينظر بها العرب إلى العمل اليدوي. فرغم أنهم كانوا بحاجة إلى السلع المصنوعة ذاتها، ورغم تغنيهم بها في أشعارهم، إلا أنهم كانوا يعتبرون ممارسة العمل في صنع هذه السلع أمراً متدنياً في قيمته كمهنة يحترفونها إذ «لا يليق بالعربي الشريف الحر» على حد تعبير باحث معاصر «أن يكون صانعاً؛ لأن الصناعة من حرف العبيد والخدم والأعاجم والمستضعفين من الناس» وهي نظرة يبدو أنها استمرت بين عرب شبه الجزيرة في العصر الإسلامي، إذ نجد أحد الكتّاب المسلمين في هذا العصر يذكر لنا عن أحد المعادن «المناجم» أن به ألوفاً من المجوس الذين يعملون المعدن حتى إنه كان لهم بيتا نار للعبادة في ذلك المكان^(٢).

(*) نقل المهارات الزراعية والتجارية:

سكان ممالك الجنوب كانوا يمتلكون مهارات متقدمة في الزراعة والري، خصوصاً في المناطق الجافة. وعند توسعهم ومد نفوذهم إلى السراة وتهامة، ساهموا في تحسين أساليب الزراعة والري في هذه المناطق، مما أدى إلى تحسين الإنتاجية الزراعية. كما أن المناطق الجبلية في السراة كانت تمتاز بخصوبتها، واستفادت حضارات جنوب الجزيرة من هذه الأراضي للزراعة، خصوصاً في إنتاج الحبوب والبن في فترات لاحقة.

(١) الإشارة في 35-36. periplos maris erythraei. وهذا الاسم "الطواف حول البحر الإريتري" هو العنوان اللاتيني لكتاب كتبه في أواسط القرن الأول الميلادي كاتب يوناني لم يصل إلينا اسمه حتى الآن.

(٢) انظر: جواد علي: الفصل، ج ٧، ص ٥٠٦. عن عمل المجوس في المناجم «المعادن» انظر الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٤٩.

أضف إلى ذلك التفاعل الزراعي الأمر الذي أدى إلى تبادل المعرفة بين سكان تهامة والسراة وسكان ممالك جنوب الجزيرة العربية.

(*) حرفة الرعي:

كانت من المهن الأساسية في تهامة والسراة قبل الإسلام وخاصة رعي الإبل في المناطق الصحراوية قليلة المياه، واحترف أهل تهامة تربية المواشي مثل: الغنم، والبقر، والإبل، أما أهل السراة فقد مارسوا الرعي لوجود منطقة غابات وهي مناطق رعوية بحتة، وكانت القبائل تتنازع على أماكن الرعي؛ حيث أصبحت تستولي عليها بالقوة والغارات المتكررة والهجرة، واعتمدت حياة البدو في الأجزاء الشرقية من السراة على الترحال والغارات للسيطرة على قطعان الماشية الخاصة بالغير. وقد تعززت كل هذه الحرف والمهن في بلاد تهامة والسراة وبشكل أكبر خاصة بعد الهجرات التي وفدت من بلاد اليمن بعد انهيار سد مأرب.

(*) التجارة وتأمين الطرق:

كانت طرق التجارة تمر من جنوب الجزيرة العربية عبر السراة وتهامة إلى الشمال، وهذا جعل من هذه المناطق نقاطاً استراتيجية هامة. لذلك، كان لممالك الجنوب مصلحة في إقامة علاقات ودية مع القبائل المحلية لضمان استمرار التدفق التجاري وتأمين القوافل.

كانت القبائل في السراة وتهامة تستفيد أيضاً من هذه التجارة، وكانت لديها دوافع للتحالف مع الممالك الجنوبية لحماية المصالح المشتركة.

(*) عوامل إضعاف الاقتصاد الجنوبي:

سد مأرب كان أحد أبرز المشاريع الهندسية في التاريخ القديم في جنوب شبه الجزيرة العربية، وله تأثير كبير على حياة سكان ممالك الجنوب وأيضاً على المناطق المجاورة مثل السراة وتهامة. ويُعتبر سد مأرب أحد العوامل الرئيسية في ازدهار حضارة سبأ وازدهارها الزراعي، لكن انهياره فيما بعد أدى إلى تغييرات اجتماعية واقتصادية مهمة ومنها:

١ - انهيار السد أدى إلى تراجع القوة الاقتصادية لمملكة سبأ وغيرها من الممالك

الجنوبية. هذا الضعف الاقتصادي أثر على النشاط التجاري الذي كان يعتمد على تدفق البضائع من الجنوب إلى الشمال. وقد تأثرت التجارة في السراة وتهامة نتيجة لانخفاض الإنتاج الزراعي في الجنوب.

٢- انهيار السد وهجرات السكان: بعد انهيار سد مأرب، الذي حدث بشكل متكرر عبر الزمن، تعرضت المناطق المحيطة للسد لجفاف شديد وانهيار للنظام الزراعي الذي كان يعتمد على مياه السد. وهذا الانهيار دفع الكثير من سكان الجنوب إلى الهجرة نحو مناطق أخرى بحثاً عن موارد جديدة، ومن بين هذه المناطق السروات وتهامة.

٣- التأثير على التوازن الاجتماعي: الهجرات الكبيرة التي حدثت بعد انهيار سد مأرب غيرت التوازن الاجتماعي في السراة وتهامة. والسكان الأصليون في هذه المناطق استقبلوا موجات من المهاجرين الجدد، وهذا التداخل بين الثقافات المختلفة أدى إلى تنوع اجتماعي وثقافي جديد. وأوجد أيضاً تكوين تحالفات جديدة بين القبائل، وفي أحيان أخرى نشأت صراعات على الموارد والأراضي.

٤- التغيرات المناخية والبيئية: انهيار سد مأرب أدى إلى تغيرات بيئية في جنوب الجزيرة العربية، وتحول الكثير من الأراضي الزراعية إلى صحاري. وهذا التغير في البيئة دفع السكان إلى البحث عن مناطق أخرى أكثر ملاءمة للحياة، مثل السراة وتهامة التي تمتاز بمناخها الأكثر استقراراً وتنوعها الجغرافي.

٥- انهيار مملكة سبأ وتداعياته: وانهيار سد مأرب أدى إلى ضعف هذه المملكة وانهيار سلطتها المركزية. وهذا الضعف السياسي ساعد بعض القبائل في السراة وتهامة على تعزيز نفوذها وزيادة استقلالها، واستفادت بعض القبائل من هذا الانهيار لتعزيز مكانتها الإقليمية وتكوين تحالفات جديدة مع القوى الناشئة.

٦- الصراعات على السلطة: الهجرات الناتجة عن انهيار السد جلبت معها أيضاً نزاعات وصراعات على الأراضي والموارد، وكانت القبائل المحلية في السراة وتهامة تحاول حماية مصالحها في وجه القادمين الجدد من الجنوب.

٢- أهم المدن والمراكز الحضرية في السراة:

أ - جرش:

كانت مدينة جرش، في منطقة السراة تتمتع بعلاقات تجارية وثقافية مع ممالك جنوب الجزيرة العربية مثل سبأ وحميز. وهذه العلاقات نشأت بسبب موقع جرش الاستراتيجي على طرق التجارة التي ربطت جنوب الجزيرة العربية بشمالها والشام.

(*) أبرز ملامح العلاقة بين جرش وممالك جنوب الجزيرة:

١. التجارة:

كانت جرش محطة مهمة على الطريق التجاري الذي يمر من اليمن في الجنوب إلى مكة ومنها إلى الشام. وهذا الطريق يُستخدم لتبادل السلع مثل البخور واللبن والتوابل والأقمشة، وهي سلع كانت تأتي بشكل رئيسي من ممالك سبأ وحمير.

ممالك جنوب الجزيرة، مثل سبأ وحمير، على تصدير المنتجات الزراعية والصناعية إلى المناطق الشمالية، وكانت جرش جزءاً من هذه الشبكة التجارية.

٢. التأثير الثقافي:

- من خلال التجارة والتفاعل المستمر، تأثرت جرش بالثقافات الجنوبية، وخاصة في مجالات العمارة واللغة والدين. ومن الممكن أن يكون هناك تبادل فكري وديني بين جرش والممالك الجنوبية، حيث كانت المنطقة الجنوبية تشتهر بتعدد الآلهة والنقوش المعمارية المتقدمة.

٣. الحكم والنفوذ السياسي:

على الرغم من أن جرش لم تكن جزءاً مباشراً من ممالك جنوب الجزيرة العربية، إلا أن نفوذ هذه الممالك قد وصل إلى شمال الجزيرة العربية من خلال الطرق التجارية. وكانت ممالك سبأ وحمير تهتم بتأمين طرق التجارة والحفاظ على العلاقات مع المدن الرئيسية مثل جرش لضمان استمرارية مصالحها الاقتصادية.

يعد موقع جرش الأثري جنوب غرب المملكة العربية السعودية، من المواقع التي حظيت باهتمام علماء الآثار في البلاد، نظراً لما أظهرته البحوث والاكتشافات الأثرية الأخيرة من مكتشفات أثرية لحضارات قديمة، وذلك يمثل مرحلة ما قبل الميلاد، واستمر الاستيطان فيه إلى الفترة الإسلامية، ويتزامن مع موقع الأخدود بنجران، وهو موقع تجاري وصناعي واقتصادي قدم خدمة كبيرة لتجارة العبور التي كانت تمر بالشرق عبر طريق التجارة القديم. وتعود الحضارات المكتشفة في موقع جرش الأثري لفترة ما قبل الميلاد، وازدهر الاستيطان فيه خلال القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادي، استمر الاستيطان خلال الفترات اللاحقة في وسط الموقع.

كان لمدينة جُرش الدور الحضاري الكبير في خدمة التجارة لوقوعها على الطرق التجارية الرئيسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها، واشتهرت جرش بحرفة صناعة الأدم (دباغة الجلود).

وبرز في موقع جرش الأثري من خلال الأعمال الميدانية التي قامت بها فرق من الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني، لسبعة مواسم، كثير من الظواهر الأثرية، منها حصن جرش، كما تنوعت المعثورات الأثرية بين الأواني الزجاجية والمصنوعات الحجرية، وأوان فخارية من فترة ما قبل الإسلام، إضافة إلى نقش على صخرة لأسد وثور مكتوب أسفل منهما بخط المسند، حيث نفذ هذا الرسم بالحفر البارز، ويرمز إلى النماء والقوة التي كانت تتمتع بهما مدينة جرش آنذاك.

كما عثر الفريق في الطبقات السفلى من الموقع على أجزاء من أوان فخارية على أشكال مختلفة تمثل جراراً وطاسات وأكواباً متوسطة الحجم صنعت جميعها من عجينة لونها أحمر إلى أحمر فاتح أو بني، مسامية، صلبة ويظهر على بعضها طلاء بالمغرة الحمراء، وجاءت الزخارف إما مصبغة أو حزوز أو منقطة أو خطوط متموجة، كما توجد زخارف هندسية تمثل مثلثات أو دوائر، وبعضها على هيئة شبكية، أما الصناعة، فقد تمت بواسطة عجلة الفخاراني (الدولاب)، وتشابه ما عثر عليه في موقع الأخدود بنجران من حيث لون العجينة والزخرفة. وتجسد هذه المعثورات الصلاة الحضارية بين مناطق السراة وحضارات جنوب الجزيرة العربية^(١).

ب - واحة بيشة والمراكز القريبة منها (العباء ، وتباله) :

ارتبطت منطقة السراة عامة وواحة بيشة على وجه الخصوص بصلات حضارية وثيقة مع ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية. وتمثل بيشة حضوراً تاريخياً مهماً، فهي واحدة من أغنى الأمكنة بالمواقع التراثية والأثرية. وكما نعلم فقد اشتهر في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام طريقان تجارياً يصلان قارة آسيا بأوروبا في شقيها الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي، وهما: طريق البخور، وطريق الحرير.

(١) للاطلاع على معلومات أكثر تفصيلاً عن جُرش انظر: الخثعمي، مسفر سعد محمد: «جُرش في فترة ما قبل الإسلام - دراسة تاريخية وحضارية: (بحث تم القاؤه في اللقاء العلمي الثاني عشر الذي عقد في مدينة أبها في الفترة ما بين ١٨-١٩/٥/١٤٣٠هـ) والبحث منشور في مجلة جامعة الملك خالد في الأعداد المفقودة من أرشفة المجلة.

كانت بيشة واحدة من معابر الطرق التجارية المهمة القادمة من الجنوب إلى الشمال في طريقها إلى حضارات بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام وحضارات نهر النيل، والبحر الأبيض المتوسط. وقد نجم عن مرور طرق التجارة ببیشه نشوء محطات ومراكز تجارية تطورت إلى قرى ومدن، حيث كان التجمعات السكانية تنتشر على طول الطريق التجاري لتقديم الخدمة للقوافل التجارية من حيث المأكل والمشرب ويقومون بدور الأدلاء لتلك القوافل التجارية؛ فضلاً عن عمل أهلها كجمالة وخفراء للقوافل التي كانت تمر بأراضيهم. وتشير المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية إلى أن بيشة وقرائها ومدنها، كانت حواضر عربية قديمة مزدهرة؛ بسبب وقوعها على طول القطاع الجنوبي من مسار درب البخور التاريخي، الذي يربط المراكز الحضارية في جنوب الجزيرة العربية بشمالها.

لا شك إن المنطقة استفادت فائدة كبيرة من هذه التجارة فانتشرت الأسواق وحقق الناس الثراء واستفادوا من ذلك في استصلاح أراضيهم وزراعتها، وأنشؤوا السدود والقنوات المائية التي ما تزال معالمها شاهدة على براعة أهلها في استصلاح أراضيهم، وتطوير بيئتهم من خلال الاستفادة من مياه الأودية، غير أن معظم تقنيات الري القديمة قد اندثرت — للأسف — بفعل عوامل الزمن، والتعدي على المواقع التي أقيمت فيها تلك المنشآت نتيجة للتمدد العمراني الذي لا يولي أي اهتمام أو قيمة لتلك المنشآت، وربما تسفر المسوحات والتنقيبات الأثرية التي تجرى في موقع العبلاء حالياً — وهي في موسمها السابع — عن إعطاء صورة أوضح لهذه المواقع التاريخية.

من البين أن الحضارات القديمة اعتمدت في نشوئها وازدهارها على حسن استغلال شعوبها لميزات بلادهم الجغرافية، واستغلال مواردها الطبيعية وابتكار وسائل ومنشآت مائية، تعيينهم على تطوير ظروف بيئتهم وجعلها صالحة، ليس فقط للسكن والاستقرار، بل لإنشاء حضارات متميزة، كما أن التطور والإنتاج الحضاري عموماً ليس وليد عوامل الصدفة، ولم يكن تعبيراً عن عبقرية احتكرها شعب ما وحرمت منها شعوب أخرى، بل أن ذلك حصيلة صراع واع للإنسان مع الطبيعة التي عاش فيها ونتيجة واضحة لتفاعله مع البيئة المحيطة به، ولما برته وإصراره على تحقيق المزيد من السيطرة على الطبيعة وتطوير مواردها المختلفة لتلبية حاجياته، وهذا الأمر تؤكد الاكتشافات الأثرية التي خلفها الإنسان هنا وهناك.

من الواضح أن الري هو العمود الفقري للحياة الاقتصادية لرقى المجتمعات الإنسانية وتطورها، وخلاصة ذلك يمكن القول إن الماء من أهم العوامل الحضارية

التي ساعدت على نشوء الحضارات وتطور الشعوب يضاف إلى ذلك جهد الإنسان الذي يعمل على تحكمه في عنصر الماء خزناً وجرياناً من أجل أن يوفر طعامه وسقياه، ويعمل على بناء حضارته حيث نجد أن أكثر الحضارات الإنسانية تطوراً هي تلك الحضارات التي تولي مشاريع الري وأنظمتها أهمية خاصة، وحينما تهمل مشاريع الري أو تشح المياه تختفي تلك الحضارات وتلاشى.

كثيراً ما يقف المرء مندهشاً إزاء أسماء الأماكن التي تذكرها المصادر التاريخية، على أنها كانت يوماً ما أماكن عامرة بالسكان، وأرضاً خصبة للزراعات المختلفة، لكنها تصحرت فيما بعد لعوامل مختلفة وأسباب متعددة. إذ تذكر المصادر في هذه المنطقة أسماء قرى ومناطق اشتهرت بوفرة المياه وقيام الزراعة المنتظمة فيها عن طريق حفر الآبار وتنظيم مياه الأمطار والسيول في سدود وخزانات كالعبلاء والقريحا وتباله، لكنها اندثرت - للأسف - في فترات لاحقة وأصابها الخراب والدمار لظروف لا مجال لتفصيلها هنا (الخنثمي، ٢٠١٨ م، ص ١٧-٨٣).

إن من أعظم الإنجازات التقنية للسكان الذين استوطنوا قديماً هذه المنطقة هو اختراع نظام الري بالقنوات، أي القنوات التي تسير تحت الأرض أو فوقها حتى تصب في خزانات أو أحواض ضخمة شيدت لتخزين وتوزيع المياه على المناطق الزراعية. فبفضل هذا النظام المتطور نشأت مستوطنات وعاشت أمم، ووجدت زراعات بأراض ليس بها ما يكفي من الأمطار أو الأنهار.

نلفت الانتباه هنا إلى أن الحفريات التي أجريت مؤخراً في موقع العبلاء قد أسفرت عن وجود مستوطنة حضارية ضخمة ومهمة من الناحية الاستراتيجية لوقوعها على طريق القوافل التجارية التي كانت تمر في هذه البلاد، وأشارت نتائج التقارير الأولية إلى أن نظام المباني في هذه المستوطنة تشبه إلى حد كبير مثيلاتها في جنوب شبه الجزيرة العربية مما يساعد على الاعتقاد بأن هذه المستوطنة ربما كانت تابعة لسلطة الدولة السبئية في اليمن الأمر الذي يوحي بأنها ربما أشرفت على أنظمة الري في المنطقة إماً بصورة مباشرة، أو من خلال السلطة المحلية في مستوطنة العبلاء؛ خاصة إذا ما علمنا أن النقوش السبئية تشير إلى أن ملوك سبأ قد شنوا حملات عسكرية لتأديب عدد من القبائل في مرتفعات عسير، بل وصلت بعض حملاتها إلى وادي ماسل بوسط شبه الجزيرة العربية.

(*) أبرز المراكز الحضارية في واحة بيشة :

١- العبلاء :

من المراكز الحضارية في واحة بيشة العبلاء وهي من المراكز المهمة التي تقع غرب بيشة إلى الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية، واشتهرت بأنها مركز تعدين وتجاري رئيسي قبل الإسلام. ولعبت العبلاء دوراً مهماً في الشبكة الاقتصادية التي ربطت ممالك جنوب الجزيرة العربية مثل سبأ وحميز بباقي شبه الجزيرة.

(*) علاقة العبلاء بممالك جنوب الجزيرة العربية :

أ. التعدين وتصدير المعادن :

كانت العبلاء معروفة بثرائها بالمعادن، خاصة الذهب والنحاس. وكان استخراج هذه المعادن وتصنيعها يتم في المدينة. والثروات المعدنية جعلت من العبلاء شريكاً اقتصادياً مهماً لممالك جنوب الجزيرة مثل سبأ وحميز، التي كانت تهتم بالموارد المعدنية لتقوية اقتصادها وزيادة نفوذها. لذا، كانت ممالك جنوب الجزيرة تحتاج إلى المعادن الثمينة لدعم التجارة والصناعات الحرفية، وكانت العبلاء تزودها بهذه الموارد من خلال شبكات التجارة.

وتجدر الإشارة إلى وجود معادن أخرى في جنوب بيشة كمعدن بنات حرب^(١)، ومعدن بيشة بعبطان قال الهمداني بعد ذكره معدن الهجيرة: ولا شك أن معدن بيشة مثله في وضوحه التبر للجوار، ولم يعمل معدن بيشة في عصرنا وله مدة منذ انقطع عمله. وقال بعد أن أورد من أرجوزة الرداعي:

نجد ثور، ضَمرا سهوما يجشمن منها المعدن المجشوما

وقال: نجد ثور: معدن بيشة بعبطان، معدن الذهب. وآثار هذا المعدن لا تزال مشاهدة، وموقعه شرق بلدة بيشة بميل نحو الشمال^(٢).

ب. التجارة :

العبلاء، كونها تقع في منطقة استراتيجية على طريق التجارة الذي يربط جنوب الجزيرة العربية بشمالها، فقد كانت تلعب دوراً حيوياً في نقل السلع بين الممالك الجنوبية والمناطق الأخرى.

(١) قرية بنات حرب تعرف الآن باسم المعدن في جنوب بيشة على وادي هرجاب جنوب صمخ بحوالي (٩٠) كم.
(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص: ٣٧٧؛ الجاسر، حمد: المعادن القديمة في بلاد العرب، (الرياض: دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع، (١٣٨٨هـ).

اعتمدت ممالك مثل سبأ وحمير على العبلاء كمحطة لنقل السلع مثل البخور واللبن والمنتجات الزراعية إلى الشمال، وفي المقابل، كانت تستورد المعادن والبضائع الأخرى من مناطق شمال الجزيرة.

ج - النفوذ السياسي والتأثير الثقافي؛

على الرغم من أن العبلاء لم تكن جزءاً سياسياً من ممالك سبأ أو حمير، إلا أن تأثير هذه الممالك كان يمتد إلى العبلاء عبر التجارة والتبادل الثقافي. من المحتمل أن يكون للملوك الجنوبيين علاقات غير مباشرة مع العبلاء لضمان استمرار تدفق الموارد التجارية، مما ساعد على نشر الثقافة الجنوبية إلى المنطقة.

د - التأثير المعماري والتقني؛

قد تكون ممالك جنوب الجزيرة، التي كانت متقدمة في مجالات الهندسة والهيكل المعمارية، قد أثرت على التطورات المعمارية والتقنية في العبلاء، خاصة في مجال التعدين واستخراج المعادن وأقول: كانت العبلاء ترتبط ارتباطاً وثيقاً بممالك جنوب الجزيرة العربية من خلال التجارة وتبادل المعادن والسلع. هذه العلاقات جعلت من العبلاء مركزاً اقتصادياً مهماً ساعد على تعزيز الروابط بين جنوب الجزيرة العربية وبقية شبه الجزيرة.

٢ - تبالة؛

مدينة تاريخية تقع إلى الغرب من بيشة قبل الإسلام، وكانت تبالة من المراكز المهمة قبل الإسلام، وتعتبر مركزاً تجارياً وزراعياً مهماً على طرق القوافل التي ربطت جنوب الجزيرة العربية بشمالها، وخاصة تلك التي كانت تصل إلى مكة والمدينة. موقعها الجغرافي يجعلها محطة طبيعية للقوافل التجارية التي تنقل السلع بين اليمن والحجاز.

(*) مميزات تبالة في فترة ما قبل الإسلام؛

(*) الموقع الاستراتيجي؛

احتلت تبالة موقعاً استراتيجياً على طريق التجارة الدولي الذي يربط جنوب الجزيرة العربية بالشمال وبدول حوض البحر المتوسط، مروراً بمكة والمدينة. وهذا جعل منها محطة مهمة للقوافل التجارية التي تنقل السلع من اليمن مثل البخور واللبن والتوابل والمنتجات الزراعية وغيرها.

(*) الزراعة :

كانت تباله تُعرف بجودة تربتها ووفرة المياه، مما جعلها مركزاً زراعياً مزدهراً. واشتهرت المنطقة بزراعة الحبوب والنخيل، وكانت تنتج كميات كبيرة من التمور التي كانت تُصدّر إلى مناطق مختلفة من الجزيرة.

(*) التجارة :

نظراً لموقع تباله الاستراتيجي، فقد كانت مركزاً لتبادل السلع، والقوافل تتوقف فيها للتزود بالمؤن أو لبيع المنتجات الزراعية. والسلع التي مرت عبر تباله متنوعة، وكانت تربط بين ممالك جنوب الجزيرة العربية، مثل سبأ وحميز، والمناطق الشمالية منها.

(*) الاقتصاد المحلي :

بالإضافة إلى الزراعة والتجارة، يُعتقد أن هناك أنشطة صناعية محدودة تُمارس في تباله، مثل صناعة الأدوات البسيطة أو معالجة المنتجات الزراعية، التي كانت تُساهم في دعم الاقتصاد المحلي.

(*) التأثير الديني والثقافي :

كانت تباله مركزاً لعبادة الأصنام مثل العديد من مدن الجزيرة العربية. وكان بها صنم يُدعى «ذو الخُلصة»، وربما كان أكبر الأصنام التي كانت تُعبد في تلك المنطقة. وكانت القبائل تأتي لزيارته وأداء الطقوس الدينية، مما أضاف إلى أهمية تباله الثقافية والدينية. ويتضح لنا أن تباله كانت قبل الإسلام مركزاً تجارياً وزراعياً مهماً على طرق القوافل، مع تأثير ديني من خلال عبادة الأصنام. وموقعها على هذه الطرق التجارية الحيوية جعلها محطة مهمة في شبكة التجارة التي تربط بين جنوب وشمال الجزيرة العربية، وهذا ساعد على تعزيز أهميتها الاقتصادية والدينية.

ج - نجران :

نجران من المواضع القديمة منذ عصور ما قبل الميلاد، سواء أكان اسم نجران اسم أرض أو اسم مدينة، وتقع في منطقة خصبة جداً ذات ماء، وصارت طريقاً مهماً للقوافل المتجهة من العربية الجنوبية نحو الشمال، أو الآتية من الشمال في طريقها إلى العربية الجنوبية. ولموقعها المهم فقد تعرض للغزو وطمع الطامعين فيها، فأصيب بأضرار فادحة مراراً، وقد عرفت نجران عند «بطلميوس باسم» نجران ميثربوليس

(Nagara Metropolis، -أي-مدينة "نجر"، (Beitrage, 1944.p:10) وذكرت في نقش «النمارة» الذي يعود عهده إلى سنة (٣٢٨م) .

تُعد نجران واحدة من أهم المراكز الحضارية والتجارية في جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام. بفضل موقعها على الحدود بين اليمن وشمال الجزيرة العربية، وكانت مركزاً حضارياً وتجارياً ودينيًا مهمًا في تلك الفترة. وزاد من أهميتها إلى جانب موقعها الاستراتيجي خصوبة أرضها ووفرة مياهها فأصبحت بذلك نقطة اتصال رئيسية بين شمال الجزيرة العربية وجنوبها خلال الألف الأول (ق.م) وحتى ظهور الإسلام.

(*) كانت الطرق البرية الرئيسية للتجارة تنطلق من جنوب الجزيرة نحو

الشمال وبالعكس تمر عبر نجران وهي:

١- طريق يبدأ من قنا (حصن الغراب) بحضرموت ويتفرع منه فرعان؛ يتجه الأول شرقاً على امتداد وادي ميفعة ومنه إلى شبوه. ويتجه الثاني من قنا إلى وادي حجر ثم يمر بوادي أرماح فشبوه ومنها إلى عدن حتى يصل إلى نجران ثم يتجه منها شمالاً بشرق إلى قرية الفاو ثم الأفلاج واليمامة، حيث يتفرع منه طريقان يتجه أحدهما شرقاً نحو الخليج العربي، والآخر إلى وادي الرافدين وبلاد الشام.

٢- طريق يبدأ من جنوب غرب الجزيرة العربية ومر بممالك سبأ ومعين وقتبان وحمير، ومن هنالك إلى نجران ومنها يتجه إلى دادان (الغلا) ثم إلى مدين (البدع) ومنها يواصل الطريق مسيرته إلى إبله (العقبة) ثم سلع (البتراء) ومنها يتفرع إلى فرعين: يتجه أحدهما إلى بلاد الشام، والآخر إلى غزة ثم يتجه غرباً إلى مصر.

٣- طريق يبدأ من حضرموت ويتجه إلى نجران ومنها إلى واحة بيرين ثم يواصل مسيره إلى الجرهاء (القرية) ميناء قرية الفاو على الخليج العربي ومنها إلى العراق أو يتجه من بيرين إلى اليمامة.

لقد ارتبط اسم نجران بحادثة أصحاب الأخدود وهم رعيّة آخر ملوك حمير؛ وهو زرع بن تبان أسعد الحميري المعروف بذي نواس، وكان هذا الملك يهودياً اعتنق عدداً من رعيته النصرانية، فسار إليهم بجيش من حمير؛ حتى يجبرهم على الرجوع عن دينهم الذي اعتنقوه، وخيّرهم بين القتل، أو الرجوع إلى دينه، فاختاروا القتل والصبر على هذا المحنة، فشقت لهم الأخاديد، وتم رميهم فيها، ثم أضرمت بهم النيران إلى أن احترقوا وماتوا. وكان الملك وحاشيته ينظرون إليهم، أمّا فيما يتعلق

بعددهم، فقد قيل إنهم كانوا سبعين ألفاً، وقيل عشرين ألفاً، وقيل اثني عشر ألفاً، وذكر أن أصحاب الأخدود لا يقصد بهم من وُضعوا في النار وأُحرقوا فيها، وإنما من شق الأخاديد وحضرها؛ ولذلك يقول الله - تعالى - في كتابه العزيز: (قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ)؛ أي لعن أصحاب الأخدود بسبب فعلهم الشنيع، وهو حفر الأخاديد، وإشعال النيران بالمؤمنين^(١).

أهمية نجران قبل الإسلام:

أ - التجارة:

كانت نجران مركزاً تجارياً مزدهراً بفضل موقعها على طرق القوافل. كانت تُصدّر البضائع المحلية، مثل الجلود والمنتجات الزراعية، وتتلقى البضائع من المناطق الأخرى مثل اليمن والهند وأفريقيا. كما كانت بمثابة نقطة توزيع للسلع المتجهة إلى شمال الجزيرة والشام.

ب - الزراعة:

كانت نجران معروفة بخصوبة أراضيها ووفرة المياه، بفضل وجود (وادي نجران) الذي يمر بالمنطقة. وهذا جعل منها مركزاً زراعياً مهماً لزراعة الفواكه والخضروات والحبوب، وكانت منتجاتها الزراعية تشكل مصدراً هاماً للتجارة.

ج - الدين والثقافة:

كانت نجران مركزاً دينياً متنوعاً، تتعايش فيها عدة ديانات قبل الإسلام. واشتهرت بوجود المسيحية التي دخلت إليها عن طريق التجارة والعلاقات مع الرومان وبلاد الحبشة. وهناك جالية مسيحية كبيرة في نجران، وأصبحت مركزاً للمسيحية في شبه الجزيرة العربية.

كانت توجد ديانات وثنية يعبد أهلها الأصنام كما هو الحال في باقي مناطق الجزيرة العربية.

حدثت مواجهة دينية هامة في نجران عندما تعرضت الجالية المسيحية للاضطهاد من قبل الملك الحميري «ذو نواس»، الذي كان يعتنق اليهودية. وأدت هذه الحادثة إلى تدخل الحبشة والبيزنطيين في اليمن لاحقاً.

(١) جواد علي، المفضل، ج ٦، ١٤٩.

د- العمارة؛

كانت نجران تحتوي على مبان ومعابد متطورة، سواء لأغراض دينية أو تجارية. وُبنيت الكنائس والمعابد في نجران لتعكس الثروة والتنوع الثقافي والديني في المدينة.

هـ - العلاقات مع الممالك المجاورة؛

كانت نجران ترتبط بعلاقات سياسية وتجارية مع ممالك حمير وسبأ في الجنوب. واعتمدت هذه الممالك الجنوبية على نجران كنقطة وصل تجارية لتأمين وصول البضائع إلى شمال الجزيرة العربية. وكانت نجران تلعب دوراً سياسياً في بعض الأحيان كمنطقة نزاع بين الممالك المختلفة.

نخلص إلى أن نجران في عصورها التاريخية القديمة مركزاً تجارياً وزراعياً ودينياً مهماً في شبه الجزيرة العربية. بحكم موقعها الاستراتيجي على طرق القوافل الذي جعلها نقطة عبور رئيسية للتجارة بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها. كما أنها كانت مركزاً للتنوع الديني والثقافي، حيث وجدت فيها المسيحية إلى جانب الأديان الوثنية، ولعبت دوراً مهماً في تاريخ المنطقة السياسي والديني.

تعد بلاد تهامة والسراة إحدى أهم المواقع الاستراتيجية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام. فقد كانت من المعابر المهمة على الطرق التجارية، وكان للطرق التجارية البرية الممتدة من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها دور رئيسي في حياة سكان تهامة والسراة لأنها كانت عاملاً مهماً في اتصالهم بالأمم الأخرى. وبسبب ازدهار الحركة التجارية نهضت مرافق الحياة المختلفة. وكانت الحبوب والطيوب والنسيج والأحجار الكريمة والمعادن والذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص أهم السلع التي تاجر فيها أهل السراة وتهامة عبر هذه المسارات التجارية. وقد انعكس ثراء أهل المنطقة على ما بنوه من دور وقصور وأسواق ومقابر ومعابد.

في أوائل القرن الرابع الميلادي تدهورت تجارة القوافل بسبب كساد أسواق البخور في جنوب الجزيرة العربية؛ لأن البخور كان أهم سلع التجارة في العالم القديم؛ لاستخدامه في الطقوس الدينية التي تمارس في المعابد والقصور وحتى في بيوت عامة الناس.

هناك ثلاثة أسباب محتملة لهذا الانهيار، وهي: انتشار المسيحية في الإمبراطورية الرومانية وما تبعه من قلة استخدام البخور في الطقوس الدينية الكنسية، وضعف الإمبراطورية الرومانية مما أدى إلى انفلات الأمن على طرق البخور المتجهة صوب

البحر الأبيض المتوسط. أما السبب الثالث فهو الحروب الداخلية بين دويلات الجزيرة العربية؛ وما نجم عنها من انهيار هذه الدول وانزوائها. ورغم ذلك استمرت طرق التجارة البرية وحركة القوافل بشكل متقطع حتى قبيل ظهور الإسلام.

(*) أبرز الآثار والمكتشفات في نجران؛

أولاً: موقع الأخدود الأثري وأهميته؛

يكشف موقع الأخدود الأثري عن ثراء حضارة نجران القديمة من خلال اكتشافات أثرية متنوعة، تتضمن أواني فخارية وحجرية، وأدوات معدنية، وعملات تعكس العلاقات التجارية للموقع مع الممالك المجاورة. ويعد هذا الموقع شاهداً على تطور العمران، ويقدم صورة واضحة عن الحياة الاجتماعية والثقافية والتجارية في جنوب الجزيرة العربية خلال العصور القديمة.

يعد موقع الأخدود الأثري نموذجاً مميزاً لمدن حضارة جنوب الجزيرة العربية، وهو المكان الذي كانت تقوم عليه مدينة نجران القديمة، والتي ورد ذكرها في نقوش جنوب الجزيرة العربية باسم «نجرن». يعود تاريخ القلعة أو «القصبة» - العنصر الأبرز في الموقع - إلى الفترة بين (٥٠٠ ق.م) وحتى منتصف الألف الأول الميلادي، وهي الحقبة الرئيسية للاستيطان في المنطقة.

(*) تصميم القلعة؛

تتخذ القلعة شكلاً مستطيلاً تحيط به أسوار دفاعية بطول (٢٣٥) متراً، وفق نظام التحصين الذي كان شائعاً في مدن جنوب الجزيرة. وتتميز الأسوار بوجود نتوءات وتجاويف غير منتظمة، وتندمج المباني المحاذية للسور معه لتشكل جزءاً من المحيط الدفاعي. يصل عرض جدران المباني الواقعة على السور إلى (١٥٠ سم)، بينما تتراوح سماكة جدران المباني الداخلية بين (٨٠-١١٠ سم).

أما داخل السور، فتنتشر العديد من المباني التي تعرضت لعوامل التعرية بمرور الزمن. شُيدت الأجزاء السفلية من المباني بكتل حجرية منحوتة بأشكال مستطيلة أو مربعة، يصل طول بعضها إلى (٢٥٠) سم. في حين أن الأجزاء العلوية كانت غالباً مبنية من الطين أو الطوب اللبن، لكنها تحولت إلى ركام يغطي معظم الموقع حالياً. ويظهر أسلوب البناء في استخدام صفوف متتالية من الحجارة، حيث يتميز كل صف بارتفاع موحد دون أن يكون هناك تطابق بين أحجام الصفوف في جميع المباني.

(*) الحفريات والاكتشافات الأثرية :

أجرت الهيئة العامة للسياحة والآثار سلسلة من الحفريات في الموقع، وأسفرت عن نتائج مهمة، منها اكتشاف مسجد شمال شرق القلعة يعود إلى القرن الأول الهجري (السابع/ الثامن الميلادي)، مما يجعله أقدم مسجد معروف في المنطقة. ولا تزال أعمال التنقيب مستمرة، لتكشف المزيد من أسرار الموقع.

(*) المعثورات في موقع الأخدود :

١. الجرار الفخارية :

عُثر على كسر فخارية أعيد ترميمها لتشكل مجموعة من الجرار التي كانت تُستخدم للتخزين. تتميز هذه الجرار بشكلها الكمثري وهي مصنوعة من عجينة بنية مخلوطة بالحجارة الصغيرة والتبن لتقويتها. تظهر آثار أصابع الصانع على الجانبين، ما يدل على صناعتها بالعجلة وبتقنيات حرق جيدة.

٢. الطاسات الفخارية :

تم العثور على طاسات متنوعة من حيث الشكل وطريقة الصناعة. وبعضها كبير الحجم وله قاعدة مستديرة وبدن بارز للخارج ينتهي بحافة مستقيمة. وهناك طاسات متوسطة الحجم ذات قواعد مقعرة وأبدان منتظمة، صنعت أيضاً بالعجلة، وتظهر آثار طلاء بني غامق على أسطحها.

٣. الأواني ذات الحافات المتموجة :

عُثر على أوان شبه كاملة تتميز بحافات متموجة وبدن كمثري الشكل، مصنوعة من عجينة بنية فاتحة. ويتراوح سمك بدن هذه الأواني بين (٣-٦) ملم، وصُنعت بواسطة العجلة وحُرقت بجودة عالية.

٤. الأقداح :

عُثر على أقداح غير مكتملة مصنوعة من عجينة بنية اللون مخلوطة بالحجر الرملي. تتميز بقاعدة مسطحة أو مقعرة وبدن منتفخ يضيق باتجاه الحافة المقلوبة للخارج، وصُنعت باستخدام العجلة مع حرق جيد.

٥. الأفران الفخارية :

تم العثور على أفران فخارية من نوع التنور، مصنوعة من عجينة بنية داكنة تحتوي على حجارة صغيرة. صُنعت هذه الأفران بالعجلة، ما يشير إلى استخدامها في الخبز أو الطهي.

٦. الأواني المزججة :

وجد في الموقع أجزاء من أوان مزججة متوسطة الحجم، مصنوعة من عجينة نقية نسبياً بلون أصفر ومطلية بطبقة زجاجية خضراء متأثرة بعوامل التعرية.

٧. أواني الحجر الصابوني :

كُشف عن أجزاء من أواني حجرية متنوعة، مثل القدور والأقداح والطاسات، وصُنعت من الحجر الصابوني بطريقة النحت. تحتوي بعض هذه الأواني على مقابض معدنية ملتصقة بها، ويظهر عليها أثر الأكسدة الخضراء. كما عُثر على نقش بالقلم المسند على إحدى الكسر الحجرية، إلا أن جزءاً منه فقد.

٨. المعادن :

تم العثور على قطع معدنية تشمل مقابض استخدمت لترميم أواني الحجر الصابوني، وأجزاء من أوان نحاسية، وأدوات دقيقة مثل الإبر والمخارز والسكاكين أو الخناجر. إضافة إلى ذلك، عُثر على قضيب من الفضة بطول (٩) سم وسمك (١) سم، جاهز للتصنيع ويظهر عليه أثر الطرق على أوجهه الأربعة.

٩. العملات :

عُثر على عملات برونزية دائرية الشكل بأحجام تتراوح بين (١-٢) سم، لكنها تعرضت لعوامل التعرية التي طمست معالمها. كما كشف عن عملات فضية تعود لممالك سبأ، وقتبان، وحمير.

١٠ - الخز :

عُثر على عدد من الخز، بعضها كروي الشكل مصنوعة من الزجاج وذو لون أسود ودوائر بيضاء، وبعضه مصنوع من أصداف، كما عثر على خز مصنوع من الفخار ذي اللون الأصفر، وعليه آثار تزجيج.

١١ - المصنوعات الخشبية :

عُثر على قطع خشبية تمثل أجزاء من أمشاط مزخرفة بخطوط غائرة ومتقاطعة.

١٢ - الزجاج :

عثر على العديد من الكسر الزجاجية تمثل أجزاء من أبدان وحافات ألوان زجاجية ذات لون أزرق داكن وأخضر فاتح، وعليها من الخارج خطوط متوازية تمثل زخارف.

١٣ - المباخر :

عُثر على مباخر مكتملة مكعبة صغيرة الحجم ذات أربعة قواعد مصنوعة من حجر رمادي اللون، وتبدو آثار كتابات بالخط المسند (ضرو)، والضرو أحد أسماء الطيوب، كما عثر على أجزاء من مباخر مصنوعة من الحجر الرملي عليها زخرفة مثلثات ولها أرجل، كما وجدت بالموقع أجزاء من مباخر مصنوعة من الفخار صنعت من عجينة غير نقية، وتبدو آثار أصابع الصانع وعليها طلاء وآثار كتابة بالخط المسند يمكن قراءتها وهي اسم من أسماء الطيوب (رند).

١٤ - المساحق :

عثر على عدد من المساحق مصنوعة من الحجر تختلف في أشكالها وألوانها، فمنها ما هو دائري الشكل ومقعر من الداخل وله مصب، وحافة بارزة تحيط به من الخارج، وهذه الأنواع ذات أرجل بعضها ذو شكل مستطيل.

١٥ - الرحى :

وجد على الجزء العلوي والسفلي لعدد من الرحى وأحياناً جزء واحد فقط، وهي مصنوعة من حجر رمادي اللون، وقد لوحظ أن بعضها غير مكتمل أو أن الغرض الذي صنعت من أجله لا يتطلب دقة في الصناعة وتتراوح أقطار هذه الرحى بين (٤٠-٥٠) سم تقريباً.

١٦ - الأحواض الحجرية :

اكتشف في الموقع حوضين حجريين أحدهما لونه رمادي، والآخر يميل للاصفرار مصنوعان بطريقة النحت من الحجر الرملي، ويلاحظ وجود مصب أو مجرى للسوائل على قاعدة الحوض.

١٧ - أواني الحجر:

كشفت عن كسر أوان مصنوعة من الرخام، ومن المصنوعات الرخامية أيضاً عثر على جزء من إفريز رخامي تظهر عليه خطوط غائرة متوازية بشكل منظم وحوض من المرمر.

١٨ - النقوش والكتابات :

عثر على نقوش غير مكتملة وأخرى مكتملة ومن هذه النقوش ما هو موجود على جدران المباني فعلى أحد أحجار الجدران يوجد نقش ربما يتحدث عن صاحب المنزل ويعرفنا به كما توجد رسوم منقوشة لحيوانات وزواحف أحدها يصور فرساً وآخر يمثل حية أو ثعباناً يتضح رأسه وجزء كبير من جسمه، ووجدت بالموقع مسلتان بالخط المسند^(١).

ثانياً: آبار خطمة:

يقع هذا الموقع في الجهة الغربية من جبال العارض الجنوبية على بعد حوالي (٢٥) كيلاً من أم الوهط في منطقة تكثر فيها الأحجار الجيرية البيضاء، بها بئران عميقتان مطويتان بالحجارة بإتقان، إحداهما له فوهة مربعة، والأخرى دائرية، وتنتشر الأدوات الحجرية، وبعض الكسر الفخارية في الموقع.

ثالثاً: عرق البير:

يقع على بعد (٢٠٢) أكياًل شرق نجران إلى الشمال من طريق شروره نجران في منطقة تغطيها الكثبان الرملية قرب مركز المنخلي، ويمثل عدة مواقع تفصلها تلال رملية، وتعد من أبرز مواقع العصر الحجري الحديث من حيث كثافة الأدوات وتنوعها ودقة صناعتها وتشمل الشفرات والرقائق والمكاشط، ورؤوس السهام الدقيقة، والمصقولة بشكل جيد، ويبدو أن معظم هذه المواقع لها امتداد تحت الكثبان الرملية.

رابعاً: القصبة:

تقع عند الحافة الجنوبية لسلسلة جبال طويق، في منطقة مسطحة قرب آبار خطمة، حيث تم التقاط مجموعة من الأدوات الصوانية الدقيقة والمتنوعة، وتشمل شفرات، ورقائق، ومخارز، ورؤوس السهام، تمثل أدوات العصر الحجري الحديث.

(١) الغبان وآخرون، ص: ٣٥٥-٣٥٩.

خامساً: آبار حمى:

كانت آبار حمى من أهم محطات طرق القوافل القادمة من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها وبالعكس، وهي من أهم مواقع الرسوم الصخرية في المملكة العربية السعودية حيث يوجد بها أكثر من ثلاثة عشر موقعاً تحتوي على رسوم لمناظر صيد ورعي وأشكال آدمية رسمت بأكبر من الحجم الطبيعي إلى جانب كتابات بالخط الثمودي والمسند الجنوبي والخط الكوفي يمتد تاريخها من (٧٠٠٠ ق.م إلى ١٠٠٠ ق.م)، كما يوجد بالموقع العديد من النقوش أشهرها نقش الملك يوسف أساريثار الذي سجل فيه انتصاره على الأحباش سنة (٥١٨ م)، كما توجد بالموقع مجموعة من الآبار القديمة التي كانت محطة القوافل التجارية كما تبين في النقوش التي تمثل القتال أو الصيد في الغالب على هيئة رماح تزدان أعوادها عند الوسط بزخارف كما تظهر في الرسوم تروس وأقواس وسهام وتوجد رسوم أخرى تظهر فيها السكاكين والنصال وكلها استخدمت في الصيد أو الحرب .

د - بلاد غامد وزهران (منطقة الباحة) :

في حقيقة الأمر أن المسوحات الأثرية التي جرت إلى الآن في منطقة الباحة لا تقدم لنا على حد علمي معلومات وافية عن النشاط البشري والاستقرار الإنساني في هذه المنطقة خلال العصر الحجري القديم، الذي يمثل أقدم الفترات الحضارية التي عرفتها الجماعات البشرية حسب ما دلت على ذلك البقايا الأثرية التي وجدت خارج نطاق الجزيرة العربية^(١). ويصعب على الدارسين لحضارات عصور ما قبل التاريخ إعطاء صورة واضحة عن نشاط السكان في هذه المنطقة بسبب غياب الأدلة الأثرية في المنطقة مدار المسح مقارنة بالمناطق المجاورة لها، وقد يكون السبب في ذلك الظروف المناخية التي دمرت آثار النشاط السكاني في المنطقة مدار الحديث، علاوة على أن برنامج المسح الأثري في منطقة الباحة لم يشمل جميع أجزائه^(٢). مع وجوب الإشارة إلى أنه عُثر في منطقة العقيق إلى الشرق من الباحة حاضرة المنطقة على كهف يُعتقد أنه كان يستخدمه الصيادون في هذه الجهات، ويؤرخ له بأواخر العصر الحجري القديم (Hester, 1984,) (p:118)

(١) لمزيد من الإيضاح راجع: صالح، ١٩٨١، ص: ١٩ وما بعدها.

(٢) الزهراني وآخرون، آثار منطقة الباحة، ص: ٤٨.

ولذلك فمن المحتمل ظهور بعض الشواهد والأدلة الأثرية التي تدل على وجود حضارات العصر الحجري في منطقة الباحة شريطة أن يشمل المسح الأثري كافة جغرافية المنطقة في المرتفعات الجبلية، والسهول الساحلية الغربية، والهضاب والنجد الشرقية.

ونظراً لندرة المسوح الأثرية في الباحة فضلاً عن عدم القيام بالتنقيبات الأثرية التي يمكن من خلالها معرفة التطور الحضاري للمنطقة في المراحل المبكرة من استيطان الإنسان فيها؛ إلا أنه يمكننا تصور ذلك التطور الحضاري من خلال ما كشف عنه من آثار المناطق المجاورة لها كمكة المكرمة وعسير وجازان التي أثبتت الدراسات المسوحات والدراسات الأثرية قدم الاستيطان البشري في أجزاء مختلفة منها، وهذا ما شاهدناه سابقاً. من هنا ينبغي أن ينظر إلى منطقة الباحة في إطار السياق الجغرافي لهذه المناطق ذات الطبيعة المتشابهة.

وقد رأينا فيما سبق وجود دلالات أثرية واضحة وعديدة في المنطقة التي تعد الباحة أحد أبعادها الجغرافية، وهي تشير إلى أن الاستقرار البشري في تلك البلاد موغل في القدم، ومن أبرز تلك الدلالات وجود عشرات المواقع الأثرية المنتشرة في بيئات مختلفة من المنطقة الجنوبية والغربية من المملكة العربية السعودية (Zarins, 1981, p. 14).

(*) النواحي الأثرية؛

تتوزع الباحة بالعديد من المواقع الأثرية الموزعة في القدم، لتعطي دلالات واضحة على أنها من أقدم مواقع الاستيطان البشري، وفق ما سجله بعض الأثريين والباحثين، من واقع ما وجد من معثورات ورسومات تبين هذه الحقيقة منذ العصر الحجري وما بعده. ولعل طبيعتها الجغرافية التي وفرت بيئة تلائم حرفة الرعي، والصيد والنشاط الزراعي ووقوعها في طريق التجارة. وهذه العوامل ساهمت جميعها في الاستيطان البشري في المنطقة، عبر العصور المختلفة. أما عن أبرز الآثار في هذه البلاد فهي كالتالي:

١ - آثار عصور ما قبل التاريخ :

تتوزع الآثار التي يعود تاريخها إلى العصور الحجرية في منطقة الباحة على ثلاثة مواقع، هي:

- أ - موقع بني كبير، ويتكون من رجوم حجرية من الجرانيت، ونقوش صخرية تضم رسومًا آدمية وحيوانية، وبقايا معمارية، وأدوات حجرية، تعود إلى (٢٠٠٠) عام ق.م.

- ب - موقع هضبة أبي الحصين، يحتوي على صخرة من الجرانيت تضم نقوشاً غائرة، وبالقرب منه دوائر حجرية مختلفة الحجم.
- ج - موقع القرى، يعود تاريخه إلى الألف الثالث قبل الميلاد، ويضم رسوماً صخرية لحيوانات متنوعة، وبقايا آثار معمارية مكونة من وحدات مختلفة المساحة^(١).

٢ - آثار عصور ما قبل الإسلام :

شهدت منطقة الباحة في عصور ما قبل الإسلام كثافة سكانية دلت عليها الشواهد الأثرية، ومنها:

أ - طريق التجارة القديم (طريق الفيل) :

طريق التجارة القديم المعروف بطريق الحج اليمني الأعلى الذي يمر عبر الأطراف الشرقية لمنطقة الباحة، يعد واحداً من أبرز المعالم الأثرية في المنطقة، ويبعد مسار الطريق عن مدينة الباحة حوالي (٧٥ كم)، ويسمى الطريق كذلك بطريق الفيل حيث سلكه أبرهة الحبشي في أثناء حملته المشؤومة على مكة. وقام برصفه بالحجارة حتى يسهل للحملة المسير عبر الحرات التي يقطعها، ويمتد الطريق بشكل متعرج حسب التضاريس الأرضية، ويتراوح عرضه ما بين (٢،٥م - ٥م) وهو طريق مرصوف بالحجارة وبين كل مسافة وأخرى هناك عتبة تقطع الطريق بالعرض، ربما لتصريف مياه الأمطار وتخفيف قوة انسيابها، كما يلاحظ وجود آثار لمحطات صغيرة أنشئت في العصور الأولى للإسلام لراحة المسافرين.

ب - مراكز التعدين :

كثرة المناجم القديمة في شرقي المنطقة وغربها، لاستخراج الذهب والنحاس التي كانت تحمل إلى مواقع بعيدة. ومن بين تلك المناجم (المعملة)، قرب العقيق، حيث ما زالت بقايا المنجم واضحة حتى الآن.

وهناك مناجم أخرى ليست بعيدة عنها، وأهمها منجم العبلاء الذي يقع ضمن الحدود الإدارية لمنطقة عسير، مع أنه قريب جداً من منجم العقيق، وتوجد مناجم أخرى بعيدة عنه لاستخراج الذهب، وبعض المعادن على امتداد قطاع قلوة والمخواة بتهامة. وحولها بقايا بعض الرحي التي كانت تستخدم في عمليات طحن الأحجار

(١) الزهراني وآخرون، آثار منطقة الباحة، ص: ٦٠.

قبل وضعها في المصاهر، وأيضاً كميات من خبث المعادن التي توضح الاشتغال الكبير بالتعدين في عهود ما قبل الإسلام، وهذه المناجم قريبة من منجم عشم الذي ذكر الهمداني بأنه من أجود أنواع الذهب.

ج - الرسوم والنقوش الصخرية:

كما أن الكتابات والنقوش والملتقطات الخزفية والرحي؛ تمثل شواهد حية لازدهار الحياة في تلك البلاد، في بعض الحقب التاريخية. المدرجات الجبلية التي بُنيت على سفوح المرتفعات لزراعتها، وصحب ذلك حفر الآبار، وشق مجارٍ وصرف للسيول، موجهة نحو منطقة الأصدار التي تتحدّر باتجاه الساحل الغربي. ومن الشواهد الحضارية على هذه الفترة:

- ١- موقع وادي الأخية، ويتكون من بقايا معمارية تضم قبوراً على هضبة مرتفعة.
- ٢- موقع قرية لقمان، يتكون الموقع من نقش وكتابات بأحرف غير معروفة على حجر جرانيتي يُحتمل أن تكون حروفاً بخط المسند لكن بطريقة رديئة.
- ٣- موقع المطاحة في بني كبير، يتكون من صخور في منطقة مرتفعة تضم نقوشاً وكتابات مختلفة منها رسوم آدمية وحيوانية.
- ٤- موقع بني كبير، يتكون من (١٥) نقشا، ورجوم حجرية نُقشت على أحدها رسوم حيوانية^(١).

أبرز أنشطة سكان الباحة في العصور التاريخية:

أ - نشاط الرعي:

من مميزات الباحة الموقع الجغرافي، حيث جعل منها على مر التاريخ نقطة اتصال مهمة بين منطقة الحجاز وجنوب شبه الجزيرة العربية سواء في السرعة أو في تهامة، كما أن تنوع بيئتها الجغرافية والمناخية قد ساعد على تنوع أنشطة السكان حيث وفرة الغابات الكثيفة والأحراش إلى توفر مراعي جيدة لتربية الحيوانات ومختلف المواشي، فضلاً عن كونها بيئات مساعدة للطيور المختلفة التي اعتمد عليها سكان المنطقة في معاشهم^(٢).

من المحتمل أن المنطقة شهدت تطوراً ملحوظاً في نهاية العصر الحجري الحديث، وربما شهدت المنطقة خلال هذه الفترة كثافة سكانية عالية، ولا بد أن هذا التنامي

(١) الزهراني وآخرون، المرجع السابق، ص: ٦٠.

(٢) المرجع نفسه، ص: ٦٠.

السكاني قد صاحبه تزايد في الموارد الطبيعية، وزيادة في النشاط السكاني^(١). ومن الطبيعي أن يتفاعل سكان المنطقة مع موارد بيئتهم وفق إمكانياتهم وظروفهم، وقد جَسَدُوا ذلك من خلال ما تركوه لنا من الرسوم الصخرية والنقوش الكتابية التي سطروها على واجهات الصخور، ومدخل الكهوف، وفي أماكن متفرقة من المنطقة، الأمر الذي يؤكد لنا أن المنطقة لم تكن بمعزل عن النشاط السكاني الذي ساد بقية مناطق السراة في عصورها التاريخية المختلفة^(٢). وفي المجمل نقول: لقد اعتمد السكان في الباحة على تربية الأغنام والماعز والإبل كمصدر للغذاء والكساء. كما وفرت المناطق الجبلية مراعي صالحة لهذه الأنشطة، مما جعلها جزءاً مهماً من الاقتصاد المحلي.

ب - النشاط التجاري؛

لاشك أن مورد التجارة كان أهم الموارد الاقتصادية التي اعتمد عليها نشاط سكان السراة بما في ذلك منطقة الباحة، وساهم موقع الباحة على طرق التجارة القديمة بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها في ازدهار التجارة. ومن المحتمل أن القبائل المحلية كانت تتاجر في السلع مثل البخور واللبان والجلود، وربما شاركت في القوافل التجارية المتجهة إلى الشام واليمن. حيث كان يمر بها أبرز الطرق التجارية في العالم القديم وهو طريق اللبان أو ما يعرف عند الكتاب الكلاسيكيين بـ "درب البخور"، وقد استخدم من قبل القوافل التجارية القادمة من جنوب شبه الجزيرة العربية والمتجهة إلى المراكز والحواضر التجارية الواقعة على الأطراف الشمالية من شبه الجزيرة العربية وعلى سواحل البحر المتوسط^(٣).

واستخدم الطريق كذلك من قبل حملة أبرهة الأشرم المشؤومة على مكة المكرمة، واستمر هذا الطريق يؤدي دوره التجاري في نقل تجارة جنوب شبه الجزيرة العربية، وبعد تحول الوضع التجاري من جنوب شبه الجزيرة لصالح قبيلة قريش ظل الطريق معبراً ومسلوكاً مهماً لتجارة قريش المتمثلة في رحلتي الشتاء والصيف واستخدموا الطريق بفرعيه السروي والتهامي^(٤). وتتضح لنا معالمه في عشرة مواقع تابعة لمحافظة العقيق، ومنها موقع جُرب التابع لمحافظة العقيق. وتبرز لنا معالم الطريق من آثار رصفه بالحجارة بين جدارين متوازيين وبشكل متقطع وبمسافات مختلفة وبخاصة في منطقة الحرة^(٥).

(١) المرجع نفسه، ص: ٦١.

(٢) الخثعمي، موسوعة المملكة، مج ١٦، ص: ١٢٢.

(٣) النعيم، الوضع الاقتصادي، ص: ٢٠٦ وما يليها.

(٤) الراشد، تقرير ميداني، ١٤١٢هـ/٢٠٠١م، ص: ٩٩-١٤٩.

(٥) الخثعمي، المرجع السابق، ص: ١٢٢.

بعد اضمحلال تجارة قريش وظهور الدعوة الإسلامية استخدم الطريق من قبل الغزوات والسرائيا التي كان يبعث بها الرسول (ﷺ) والخلفاء من بعده إلى جنوب شبه الجزيرة العربية^(١). ومن المؤكد أن الطريق كان يمر بالأطراف الشرقية من منطقة الباحة^(٢).

ج - النشاط الزراعي؛

اشتهرت المنطقة بزراعة الحبوب مثل القمح والشعير، إلى جانب بعض المحاصيل الموسمية مثل التمر والعنب. وساعد المناخ المعتدل ووفرة المياه في بعض الأودية على ازدهار الزراعة، كما استخدمت المدرجات الزراعية في المرتفعات. حيث تنتشر المدرجات في سرة الباحة بشكل يدعو إلى الإعجاب^(٣). ليس هذا فحسب بل عمد سكان المنطقة إلى تحويل واجهات التلال والمرتفعات إلى سلسلة من المدرجات الأفقية وساد هذا النوع في شبه الجزيرة العربية خصوصاً في المرتفعات الغربية، والجنوبية، والجنوبية الغربية، ويعود السبب في ذلك إلى كونها عرضة لسقوط كميات كبيرة من الأمطار بفعل الرياح الموسمية التي تهب عليها من المحيط الهندي في فصل الصيف. ويعتقد البعض أن من أسباب قيام المدرجات الزراعية هورغبة السكان في سكنى المناطق المرتفعة، والبعد عن السهول وبطون الأودية لعدم ملائمتها صحياً وكثرة الحمى فيها، فضلاً عن كونها غير مناسبة للاستقرار من الناحية الأمنية^(٤). وربما يعود السبب الحقيقي في ظهور مثل هذه المدرجات إلى زيادة الكثافة السكانية سواء في السهول الساحلية أو في المرتفعات الجبلية. الأمر الذي دفعهم لاستصلاح كل جزء من الأرض التي كانوا يستقرون فيها^(٥).

د - النشاط الصناعي والتعديني؛

بلا شك أن الصناعة والتعدين كانت من أبرز أنشطة سكان المنطقة في عصورها التاريخية القديمة. ودلت المسوحات الأثرية التي تمت في بعض جهات المنطقة سواء في السرة أو تهامة على وجود عدد من مناجم التعدين التي يعتقد أنها استغلت في فترة ما قبل الإسلام. ويأتي العقيق كأبرز المواقع التي عثر فيها على مناجم كان يستخرج منها معدن

(1) Al-Thenayan, *Archaeological Study*, 1999, p: 52-64

(٢) السلوك وآخرون، *مسح طريق التجارة القديم*، ص: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص: ١٤٥-١٥٦.

(٣) الزهراني وآخرون، *آثار منطقة الباحة*، ص: ٥٨.

(4) Irvin, « *A Survey of old South Arabia* », 1962, p: 139.

(٥) الخثعمي، *موسوعة المملكة*، مج ١٦، ص: ١٢٤.

الذهب^(١). ويعد العقيق أكبر منجم للذهب. وتنتشر المناجم في منطقة العقيق وبيدة^(٢).

كما مارسوا بعض الحرف مثل النسيج، وصناعة الأدوات الحجرية والفخارية، وازدهرت الصناعات اليدوية لتلبية احتياجات المجتمع المحلي، مثل صناعة السيوف والخناجر والأدوات الزراعية.

هـ - النشاط الاجتماعي والسياسي:

كان سكان منطقة الباحة قبل الإسلام ينتمون إلى قبائل عربية عريقة، أبرزها قبائل غامد وزهران وخثعم. وقد مارسوا عدة أنشطة اقتصادية واجتماعية تتناسب مع طبيعة المنطقة الجبلية وتنوع تضاريسها، وكان النظام القبلي هو السائد، حيث تحكمه العادات والتقاليد التي تنظم العلاقات بين الأفراد والقبائل. وانتشرت التحالفات بين القبائل إما لأغراض الحماية والدفاع أو التجارة، مما يعكس نمط حياة مشترك قائم على التعاون والولاء القبلي. والواقع أن منطقة الباحة قبل الإسلام جزء من النشاط الحضاري الذي ميز جنوب الجزيرة العربية، حيث أسهمت في الاقتصاد والتجارة على مستوى واسع.

و - النواحي الدينية:

من الطبيعي ألا تقتصر أنشطة سكان المنطقة على الجانب المادي فقط، بل صاحب ذلك نشاط في المجال الروحي الذي يعد عنصراً حيوياً في حياة الناس المادية والفكرية لأي أمة من الأمم، وساعدت الرسوم والكتابات الصخرية من جهة وآثار المعابد والطقوس الدينية من جانب آخر على إيضاح بعض الطقوس والشعائر الدينية عند شعوب ما قبل الإسلام.

لم تكن منطقة الباحة بمعزل عما كان يحدث في بقية مناطق شبه الجزيرة العربية من حيث اعتناق معظم سكانها للديانة الوثنية، حيث تعددت المعبودات لدى سكانها، ولعل من أبرز معبوداتها ذو الخلصة، وذو الكفين، وذو الشرى. ولتقديس هذه المعبودات أقاموا لها معابد كانوا يؤدون فيها طقوسهم الدينية^(٣).

(1) Hester, «Preliminary Report 1403H/1983», 1984.p127.

(٢) للمزيد من المعلومات عن حرفة التعدين في الباحة والعقيق تحديداً راجع: الخثعمي، المرجع السابق، ص: ١٢٦، ١٢٥.

(٣) لمزيد من المعلومات والإيضاحات عن هذه المعبودات وأماكن وجودها انظر: الخثعمي، موسوعة الآثار، ج٣، ١٤٢٩، ص: ٨٩-٩٢.

٣ - أهم المدن والمراكز الحضارية في تهامة :

يعد ساحل تهامة، الممتد على طول البحر الأحمر في غرب شبه الجزيرة العربية، منطقة ذات أهمية كبيرة في فترة ما قبل الإسلام بفضل موقعه الاستراتيجي ودوره كمحور رئيسي للتجارة البحرية والبرية. وتهامة تضم العديد من المدن والموانئ الحيوية التي كانت تربط بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها، بالإضافة إلى الربط بين الجزيرة وأجزاء أخرى من العالم عبر البحر الأحمر.

أ - أهمية ساحل تهامة قبل الإسلام :

(*) الموقع الاستراتيجي :

١ - يشمل ساحل تهامة منطقة طويلة تمتد من شمال اليمن مروراً بمنطقة عسير، وجازان، ومكة، وصولاً إلى مناطق أبعد شمالاً. وهذا الامتداد الساحلي جعل تهامة نقطة ربط أساسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها، وخاصة بين ممالك سبأ وحمير في الجنوب والمناطق الشمالية مثل مكة ويثرب.

٢ - كانت تهامة تقع على طرق التجارة البرية والبحرية، مما زاد من أهميتها للتجار القادمين من إفريقيا، والهند، ومناطق البحر الأبيض المتوسط.

(*) التجارة البحرية :

أ - كانت موانئ تهامة، مثل القنفذة وميناء البرك، محطات حيوية للتجار البحريين الذين يعبرون البحر الأحمر من مناطق مثل الحبشة وشرق إفريقيا ومصر. وكانت السلع المتداولة تشمل البخور، اللبان، العاج، الذهب، والتوابل التي كانت تنقل عبر البحر الأحمر ومن ثم توزع عبر القوافل البرية في الجزيرة العربية.

ب - كانت تهامة مركزاً لاستقبال السلع القادمة من جنوب الجزيرة مثل اللبان والبخور الذي يُصدّر إلى مناطق شمالية كالشام ومصر.

(*) التجارة البرية :

بالإضافة إلى التجارة البحرية، كانت تهامة محطة مهمة للقوافل التجارية البرية التي كانت تمر عبرها. وكانت القوافل تنقل السلع مثل الحرير، البخور، التوابل، الجلود من الجنوب إلى الشمال، وكان ساحل تهامة جزءاً أساسياً من هذه الشبكة التجارية.

(*) دورها في التنوع الثقافي والتواصل الحضاري؛

نظراً لموقعها على البحر الأحمر وكونها منطقة تجارية مهمة، فقد شهدت بلاد تهامة تنوعاً ثقافياً وحضارياً. وكان التجار من مختلف مناطق العالم، بما في ذلك إفريقيا والهند والبحر الأبيض المتوسط، يمرون عبر الديار التهامية، ما أدى إلى تفاعل ثقافي وتبادل الأفكار بين الشعوب المختلفة.

(*) دورها في مجالات الدين والمعتقدات؛

كانت تهامة قبل الإسلام، مثل باقي مناطق الجزيرة العربية، تتبع المعتقدات الوثنية. وكان هناك العديد من المعابد والأصنام التي كانت تُعبد في مناطقها. وكانت بعض القبائل تأتي إلى مكة والقرى المجاورة لتأدية الطقوس الدينية.

(*) دورها في الزراعة والصيد؛

بالرغم من أن منطقة تهامة كانت تعتمد بشكل كبير على التجارة، إلا أن سكانها اعتمدوا أيضاً على الزراعة في الأودية والواحات القريبة، وعلى الصيد من البحر الأحمر كمصدر رئيسي للغذاء.

ب - الموانئ المهمة؛

يوجد على ساحل تهامة العديد من الموانئ المهمة مثل:

١ - ميناء القنفذة؛

أ - كان لموقع القنفذة على ساحل البحر الأحمر أهمية استراتيجية، وهو ما جعلها ميناءً طبيعياً للسفن التجارية القادمة من مناطق مختلفة مثل شرق إفريقيا، والهند، وجنوب الجزيرة العربية.

ب - موقعها الجغرافي على الساحل أكسبها دوراً حيوياً كمحطة لتبادل السلع وتوفير المؤن للسفن التجارية.

ج - تُعتبر القنفذة جزءاً من الطرق التجارية البحرية التي ربطت بين شبه الجزيرة العربية وبقية مناطق البحر الأحمر والمحيط الهندي. عبر ميناء القنفذة، وكانت السلع مثل البخور، التوابل، العاج، الأقمشة، وغيرها تنتقل بين السفن التجارية، مما جعلها محطة مهمة للتجار.

د- كانت القوافل التجارية تنطلق من القنفذة إلى المدن الداخلية مثل مكة، مما ساهم في توفير البضائع الأساسية للمناطق البعيدة عن الساحل.

(*) دوره في التواصل مع الحضارات الأخرى؛

بحكم موقعها على البحر الأحمر، كانت القنفذة تتمتع بعلاقات مع الحضارات الشرقية والغربية. من خلال التجارة البحرية، وكانت المدينة تتواصل مع مناطق في شرق إفريقيا والهند وحتى مصر، مما أثر في تطورها الثقافي والاقتصادي.

كانت التجارة البحرية تتيح تبادل ليس فقط السلع، ولكن أيضاً الأفكار والتقنيات، وهو ما أسهم في تنمية المجتمعات المحلية.

(*) دوره في الربط بين الشمال والجنوب؛

تعد القنفذة محطة استراتيجية في نقل البضائع بين ممالك جنوب الجزيرة العربية (مثل سبأ وحميز) وبين المناطق الشمالية مثل مكة ويثرب، عبر البحر ومن خلال طرق القوافل، كان يتم نقل السلع من الجنوب إلى الشمال عبر ميناء القنفذة.

(*) دوره في المجال الاقتصاد المحلي؛

كان الاقتصاد في القنفذة قبل الإسلام يعتمد بشكل كبير على التجارة البحرية والزراعة المحلية التي استفادت من الأراضي الخصبة في المنطقة المحيطة بها.

كانت المدينة توفر منتجات زراعية وسمك بحري مثل الأسماك والملح للسفن التجارية والمناطق المجاورة.

٢ - ميناء البرك؛

يمثل ميناء البرك محطة تجارية بحرية مهمة للسفن التجارية، في منطقة ساحل تهامة، وكان ميناءً بحرياً مهماً قبل الإسلام نظراً لموقعه الاستراتيجي على طرق التجارة البحرية التي تربط بين جنوب شبه الجزيرة العربية وشمالها وبين الجزيرة وأجزاء أخرى من العالم عبر البحر الأحمر. وبالرغم أن المعلومات التاريخية حول ميناء البرك قبل الإسلام ليست مفصلة بشكل كبير، إلا أن دوره التجاري والبحري يمكن استنتاجه من السياق العام لمنطقة تهامة في تلك الفترة.

(*) أهمية ميناء البرك قبل الإسلام؛

- أ - يقع ميناء البرك على طريق بحري رئيسي يربط بين مناطق جنوب الجزيرة العربية مثل سبأ وحمير في اليمن وبين شمالها مثل مكة ويثرب. وهذا الموقع جعله محطة مهمة للتجار والسفن التي تمر عبر البحر الأحمر.
- ب - كان ميناء البرك جزءاً من شبكة موانئ تهامة التي استقبلت السفن التجارية القادمة من مناطق شرق إفريقيا، والهند، ومصر. وكان البرك محطة لاستيراد وتصدير السلع.
- ج - السلع التي كانت تمر عبر الميناء تشمل البخور، والتوابل، والعاج، والأخشاب، والذهب، وكانت تنقل من اليمن وشرق إفريقيا عبر البحر الأحمر إلى مناطق شمال الجزيرة العربية والعالم الخارجي.
- د - كانت السلع التي تصل إلى ميناء البرك عن طريق البحر تنقل لاحقاً إلى الداخل عبر طرق القوافل التجارية البرية. وكانت هذه الطرق تربط الميناء بالمدن والمراكز التجارية الأخرى في الجزيرة العربية، مما عزز من أهمية البرك كمحور للتجارة.
- هـ - كان ميناء البرك يقدم الخدمات اللوجستية للسفن التجارية التي تمر عبر البحر الأحمر. ويوفر المياه العذبة والمؤن للسفن التي تحتاج إلى التوقف خلال رحلاتها الطويلة.
- و - شهد ميناء البرك تبادلاً ثقافياً وحضارياً مع الحضارات المجاورة، بما في ذلك الحبشة ومصر وشرق إفريقيا. وهذا التفاعل الثقافي جعل من البرك مركزاً للتواصل بين مختلف الشعوب.

(*) دوره في مجالات الدين والمعتقدات؛

كانت تهامة، مثل باقي مناطق الجزيرة العربية، تتبع المعتقدات الوثنية. وكان فيها العديد من المعابد والأصنام. وكانت بعض القبائل تأتي إلى مكة والقرى المجاورة لتأدية الطقوس الدينية.

يتبين مما سبق أن ساحل تهامة كان في العصور القديمة محوراً تجارياً استراتيجياً يربط بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها وبين الجزيرة والدول المجاورة عبر البحر

الأحمر. وبفضل موانئها وموقعها الجغرافي المتميز، كانت تهامة نقطة أساسية في طرق التجارة البحرية والبرية، وشهدت تفاعلاً ثقافياً وحضارياً مع العديد من الشعوب المجاورة، وهذا مما ساعد في ازدهارها الاقتصادي والاجتماعي.

٣ - ميناء جازان؛

كانت جازان قبل الإسلام ذات أهمية كبيرة بفضل موقعها الجغرافي المتميز في منطقة تهامة. وهي جزء من الشبكة التجارية الكبرى في الجزيرة العربية التي تربط بين الجنوب والشمال، وأيضاً بين الجزيرة العربية وأفريقيا والهند عبر البحر الأحمر.

(*) الموقع استراتيجي؛

١- إذا ما نظرنا إلى موقع جازان على خارطة شبه الجزيرة العربية، وجدنا إنها تحتل موقعا استراتيجيا لوقوعها على طرق التجارة القديمة بين اليمن والحجاز من جهة، وبلاد الشام وما وراءها من جهة أخرى.

٢- موقع جازان: بين المرتفعات والبحر الأحمر أعطاهما ميزة جغرافية استثنائية، حيث كانت تتحكم في الوصول إلى السواحل وطرق التجارة البرية المتجهة نحو الداخل

(*) التجارة البحرية؛

١- كانت جازان ميناء حيويًا في تهامة، حيث لعبت دوراً في استقبال وتصدير السلع عبر البحر الأحمر. وكانت السفن التجارية القادمة من مناطق شرق إفريقيا والهند واليمن تتوقف في موانئ تهامة مثل جازان لتبادل السلع.

٢- من بين السلع التي مرت عبر جازان البخور، والتوابل، والعاج، والجلود، والأخشاب، وهي سلع ذات أهمية كبيرة في التجارة العالمية آنذاك.

(*) التجارة البرية؛

١- كان يتم نقل السلع من ممالك اليمن مثل سبأ وحميز عبر طرق القوافل إلى الشمال، مروراً بجازان كمحط رئيسية في هذا الطريق التجاري.

٢- كان دورها مهماً في تسهيل نقل السلع التجارية عبر طرق برية تربط بين الداخل اليمني والساحل التهامي.

(*) الزراعة والاقتصاد المحلي؛

- ١ - نظراً لخصوبة الأراضي المحيطة بجازان، والمنطقة معروفة بالزراعة، والأودية الخصبة فيها دعمت نمو محاصيل زراعية مهمة مثل الحبوب، والفواكه، والتمور، وهذا مما جعل هذه البلاد ذات اكتفاء ذاتي في الإنتاج الغذائي على مر العصور.
- ٢ - دعمت الزراعة الاقتصاد المحلي وأسهمت في تأمين الموارد للقوافل التجارية التي تمر بالمنطقة.

(*) التفاعل الثقافي والحضاري؛

إن موقع جازان على ساحل البحر الأحمر جعلها مركزاً للتفاعل الحضاري بين الجزيرة العربية والدول المجاورة مثل الحبشة ومصر وشرق إفريقيا. والتجارة لم تقتصر على تبادل السلع فحسب، بل ساعدت في تبادل الأفكار والثقافات بين مختلف الشعوب التي مرت بأوطان تهامة.

(*) علاقتها بممالك جنوب الجزيرة العربية؛

المعلومات قليلة عن منطقة جازان في فترة ازدهار ممالك الجنوب، وقد عثر في بعض جهاتها على عدد من المستوطنات التي دلت المواد المكتشفة فيها على معاصرتها من الناحية الزمنية لحضارة جنوبي الجزيرة العربية. أما من الناحية السياسية فالصورة تبدو غير واضحة، وإن كانت الدلائل الأثرية تحمل على الاعتقاد بأن سكان الديار الجازانية لم يكونوا على وفاق دائم مع الممالك المجاورة، وأنها كانت تتصرف في هذه المنطقة ووفق مصالحها الخاصة (الخثعمي، موسوعة المملكة، مج ١١، ١٤٢٨هـ، ص: ١٣١).

جدير بالذكر الإشارة إلى أن ممالك جنوبي الجزيرة العربية القديمة كانت تلجأ إلى الحروب لأسباب عديدة منها: الرغبة والسيطرة على الطريق التجاري وتأمينه، وحب التوسع والغزو، أو الرغبة في كسب أمجاد، أو لأسباب دفاعية أو شخصية وانتقامية. وكان بعض ملوك الجنوب يسجلون بعد عودتهم من الحروب على قبائل تهامة والسراة نقوشاً نذرية يتقربون بها إلى معبوداتهم التي منّت عليهم بالنصر وبالعودة سالمين (يوسف، أوراق، ١٩٩٠م، ص ٧٣). وأشارت بعض النقوش السبئية إلى أسماء عدد من القبائل التي أخضعها في هذه المنطقة ووصلت إليها جيوش ملوك سبأ وذي ريدان^(١).

(١) لمزيد من المعلومات والإيضاحات عن تلك القبائل والمواقع الجغرافية انظر: الإرياني، نقوش مسندية، ١٩٩٠م، ص: ٣٤٩-٣٩٣.

يتضح لنا أن قبائل المنطقة لم تكن على وفاق مع ممالك الجنوب ولم تكن في حال خضوع تام لها، أو أنها كانت تقوم بالثورات المتعاقبة على حكام هذه الممالك. والدليل على ذلك هو اهتمام الملك أب كرب أسعد نحو (٣٧٨-٤٢٠م) الذي حمل أطول لقب في تاريخ اليمن القديم وهو «ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت (يمانه) وأعراهم في نجد وتهامة»، بالسيطرة على تهامة الممتدة من عدن والحديدة إلى مكة المكرمة. وقد امتدت رقعة المملكة السبئية في عهده إلى قلب شبه الجزيرة العربية تقريباً، وسيطرت على ساحل تهامة بدليل إضافتها إلى اللقب الملكي^(١)، ويبدو أن بلاد جازان وما حولها لم تحكم حكماً مباشراً إلا في عهد هذا الملك.

من المرجح أن ذلك لم يستمر طويلاً؛ إذ إن القبائل في جازان والمناطق القريبة منها عادت إلى الثورات والتمرد. ويظهر ذلك بوضوح من خلال اعتناق قبائل الأشعرين وأهل فرسان للديانة النصرانية^(٢).

٤- خلاصة القول:

إن كل العوامل المذكورة في المحاور والصفحات السابقة أثرت بشكل مباشر على سكان المنطقة مدار البحث، وهذه التأثيرات والتفاعل الاجتماعي بين ممالك الجنوب وسكان السراة وتهامة أسهمت في تشكيل هوية هذه البلاد من خلال نقل المهارات والتقنيات الزراعية، وتوسيع شبكات التجارة، ودمج العادات والتقاليد الاجتماعية، والفكرية، والمعتقدات الدينية بين سكان المنطقة. وهذا التفاعل كان عاملاً مهماً في تعزيز العلاقات بين الجنوب والشمال وتكوين هوية ثقافية مشتركة. عبر العصور التاريخية المختلفة، كما كان هناك هجرات وتفاعل بين سكان تهامة والسراة وحضارات الجنوب.

إن بلاد تهامة (الساحل الشرقي للبحر الأحمر) ومنطقة جبال السروات، والهضاب والنجود الشرقية لمرتفعات السراة شكلت معبراً تجارياً هاماً بين حضارات جنوب الجزيرة العربية ومناطق الشمال. وكان طريق البخور يمتد عبر هذه المناطق، وهو أحد أهم الطرق التجارية القديمة التي ربطت بين الجنوب والشمال.

وتجارة البخور والعطور، بالإضافة إلى سلع أخرى مثل الذهب، والفضة، والأقمشة، كانت تمر عبر تهامة والسراة إلى ممالك سبأ ومعين وقتبان وحضرموت في الجنوب، ومنها إلى الشمال وحتى بلاد الشام والعالم المتوسطي.

(١) عن أطول لقب ملكي في دولة سبأ راجع: صالح، ١٩٨٨م، ص ١٢٦.

(٢) لمزيد من المعلومات عن تنصير سكان المنطقة وأسبابه راجع: يوري ميخايل فيتش، ١٩٨٨م، ص: ٢٥ وما بعدها.

(*) الرسوم الصخرية:

لا يمكن الحديث عن العصور الحجرية في بلاد تهامة والسراة دون التطرق إلى الفنون الصخرية، التي تعد من أبرز آثار تلك الفترة من حيث تنوعها وإتقانها. وتنتشر هذه الفنون في مختلف مناطق السراة، وتظهر في أشكال متعددة مثل الرسومات آدمية والرسوم الحيوانية ورسوم الطيور والزواحف، والنقوش الصخرية. وتتميز بعض المواقع بوفرة هذه الفنون، مما جعلها من السمات المهمة للتراث الحضاري في البلاد.

تكمن أهمية هذه الرسومات كونها مصدراً من مصادر التاريخ البشري، فالرسومات تمثل علامات تساعد في فهم الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية، والاقتصادية في حقبة ما قبل التاريخ، كما تمثل أيضاً إبداعاً فنياً يترجم فهم القاطنين في تلك الفترة للعالم. وتلقي الضوء على أنماط الحياة القديمة، وطرق معيشة السكان، وعاداتهم عبر الزمن، وملابسهم وأدوات الزينة الخاصة بهم والقلائد التي استعملت في ذلك العصر، وكذلك الناحية الاقتصادية مثل الزراعة والرعي والصيد والتجارة. بل وتساعد الرسوم الصخرية على معرفة المعتقدات الدينية والفكرية والطقوس التي كانت تمارس في ضوء تلك المعتقدات وكانت سائدة بين الناس. ونتعرف من خلال النقوش على شكل البيئة القديمة وأنواع الحيوانات والنباتات.

وتنتشر الفنون الصخرية في معظم مناطق تهامة والسراة، وبخاصة في نجران وتثليث، وتم تسجيل موقع حمى بمنطقة نجران في قائمة التراث العالمي لليونسكو. أمّا الرسوم الصخرية في السراة وتهامة فهي بشكل عام متكررة وتوضح نسبياً عالم الحيوان البري وعلاقة الإنسان به من خلال الصيد والحروب والتدجين. وقد نلاحظ بعض التغييرات، فمثلاً يمكننا معرفة تغير مناخ العصر البرونزي مباشرة من خلال مشاهد الصيد. وقد رافق فجر العصر الحديدي (بداية الألف الأولى قبل الميلاد) ولادة القوى الأولى والممالك التي رافقتها إنتاجات غنية من الرسوم الصخرية. وتظهر تلك الرسوم الصخرية مشاهد عنف لم تعد موجهة إلى عالم الحيوان فقط بل للإنسان. ويتضح بزيادة مشاهد الاشتباكات والمعارك بين البشر حتى أصبحت الفكرة الرئيسية للرسوم الصخرية في القرن العشرين.

(*) النقوش (الكتابات):

النقوش أو الكتابة إحدى أهم وأبرز طرق التواصل بين الناس منذ العصور القديمة إلى العصور الحالية، ولشدة أهميتها عبر التاريخ الإنساني، فقد عُدَّ المتخصصون

اكتشاف الكتابة واحدة من أهم الإنجازات الإنسانية، وصاروا يصنفون الأحداث التاريخية بناءً على بعدها أو قربها زمنياً من هذه اللحظة المفصلية من حياة البشر. لم تزل الكتابة هذه الأهمية من فراغ، بل لما تقدمه من خدمات جليلة للإنسانية، وفيما يلي إيضاح موجز لأهمية الكتابة .

ظهرت الكتابة واهتدى إليها الإنسان في العصور القديمة، لتكون نقطة تحول رئيسية في تاريخ البشرية أجمع، فالعصور قبل معرفة الكتابة هي فترة ما قبل التاريخ، واجتهد العلماء المتخصصون في فهمها وتحليلها من خلال تحليل الصور والرسومات والرموز التي خلفها إنسان العصر الحجري. في هذا التقرير تسلط (واس) الضوء على المراحل المختلفة التي مرت بها الكتابة، والأدوات التي استخدمها البشر، فقبل ما يزيد على خمسة آلاف سنة قبل الميلاد تبلورت في الشرق الأوسط نتائج تجارب طويلة من محاولات الإنسان الأولى للكتابة.

عرفت شعوب العالم قديماً الكتابة كأداة للتعريف بلغتهم، وعاداتهم، وثقافتهم للأجيال اللاحقة، وعملوا على توظيف جميع الوسائل المتاحة لهم، من أجل توصيل أفكارهم، ووجد في المواقع الأثرية التي بقيت بشكل كامل العديد من الكتابات، والرسومات التي توضح الحقبة التاريخية التي كانت توجد فيها تلك المجموعات، وكيف أنهم حرصوا على التوثيق وإسهاماتهم في نقل العديد من الصناعات، والاختراعات البسيطة، إلى الأمم التي أتت بعدهم، ليكون للكتابة التي استخدمت بجميع أشكالها دور مهم في صياغة التاريخ البشري.

تكشف أدوات الكتابة عن تطور حياة الشعوب من خلال تطور هذه الأدوات؛ ففي بدايات العصور التي عرفت الإنسانية فيها الكتابة واتخذتها وسيلة من وسائل التعبير والدلالة اللغوية، كان الكتاب يؤدون مقاصدهم التعبيرية ومفاهيمهم بالنقش والحفر على واجهات الصخور، بواسطة أداة صلبة بحيث تترك أثراً واضحة لمن يقرأها فيدرك معانيها اللغوية.

ومن البين أن النقوش الكتابية تنتشر بشكل لافت في منطقة السراة مثل: نجران، وتثليث، وظهران الجنوب، وبيشة، وتقل الرسوم والنقوش الكتابية في تهامة عمّا هي عليه في مناطق السراة، ولعل ذلك يعود إلى اختلاف البيئة. واستخدم سكان تهامة والسراة لغة المسند العربي القديم الذي شاع بين سكان ممالك الجنوب، مما يدل على مدى التأثير الثقافي للسكان الإقليميين بشعوب جنوب شبه الجزيرة العربية.

سابعاً : خاتمة الدراسة :

(*) علاقة بلاد تهامة والسرارة بحضارات جنوب الجزيرة العربية سواء فيما قبل التاريخ أو في العصور التاريخية قبل الإسلام كانت علاقة معقدة ومتعددة الأبعاد، شملت الجوانب السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والدينية ويمكن أن نلخص ذلك في النقاط التالية :

- ١- في فترة العصر الحجري القديم بفترتيه، الألدوانية والآشولية، تتوافق المعطيات والشواهد الأثرية في تهامة والسرارة مع ما هو معروف في إفريقيا وآسيا إذ وجد فيها أدلة وشواهد تدل على انتشار أقدم السلالات البشرية. الأمر الذي يوضح الدور الذي لعبته هاتان المنطقتان بصفة عامة كمعبر لانتقال الجماعات البشرية المبكرة بين شرقي أفريقيا وآسيا.
- ٢- أثبتت الدراسة أن منطقة تهامة والسرارة تأثرت كثيراً بحضارات عصور ما قبل التاريخ، فالأدوات الحجرية التي عثر عليها في هاتين المنطقتين تتشابه وتتزامن في كثير من الحالات مع تلك التي عثر عليها في مناطق العالم القديم وبخاصة في شرق أفريقيا.
- ٣- شجع الانتقال التدريجي من اقتصاد يعتمد على الصيد إلى اقتصاد إنتاجي من تقدم المجتمعات الحضرية المستقرة. ومكن الإتقان المتزايد لعملية الري من إقامة هذه التجمعات عند مصاب الوديان حيث تتوفر فيها المياه وتتدفق إليها السيول بقوة. وهو ما يعني زيادة في المحاصيل وضمان لقمة العيش وزيادة في عدد السكان. فعمرت الهضاب المرتفعة والوديان المحاذية للصحراء بشكل تدريجي. وظهرت المجتمعات التي تعيش في قرى صغيرة محصنة تمتد في بعض الأحيان على مساحة من هكتار إلى هكتارين خلال الألفية الثانية قبل الميلاد. ففي نهاية الألفية الثانية قبل الميلاد كان جنوب شبه الجزيرة العربية يضم العديد من المدن الهامة في الوديان الرئيسية وفي المرتفعات وعلى السهل الساحلي. في عام (١٠٠٠) قبل الميلاد تقريباً حدثت نقطة تحول رئيسية تمثلت في إتقان الزراعة المروية التي قامت بها أولى المدن الواقعة على مصب الأودية الكبيرة المنحدرة باتجاه الصحراء. وزاد التفاعل بين هذه المدن مع التوسع في التبادل التجاري. وبالتوازي ظهرت كتابة واحدة يطلق عليها لغة جنوب شبه الجزيرة العربية. ثم تشكلت نقوش حضارة جنوب شبه الجزيرة العربية بشكل تدريجي بعدما كانت مقتصرة

في البداية على الأحرف الكبيرة المحفورة على الخزف بنفس طريقة نقشها على الحجر، لتكشف لنا عن تاريخ هذه المناطق النائية.

٤- منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد أصبح مناخ شبه الجزيرة العربية مشابهاً لما هو عليه اليوم. فقد كان جنوب شبه الجزيرة العربية عبارة عن أرض قاحلة تهطل الأمطار الموسمية على مرتفعاتها بواقع شهرين في السنة الواحدة. ثم تتحدر مياه الأمطار إلى الوديان وبذلك تتشكل السيول ثم تختفي في الصحراء الداخلية أو في السهول الساحلية. وسرعان ما تم استغلال نعمة المطر الربانية هذه فظهرت القرى الصغيرة في مختلف مناطق اليمن لتسكنها تجمعات صغيرة من الرعاة والمزارعين.

٥- أثرت الهجرات المتبادلة في الأنماط الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، والدينية، ونقلت بعض العناصر الحضارية جنوباً وشمالاً.

٦- منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد وحتى القرن السادس الميلادي لاحظنا ظهور وتطور ومن ثم اختفاء بعض الممالك التي كانت تتقاسم ثقافة مشتركة في جنوب شبه الجزيرة العربية، ونفس الكتابة وأساليب ري متماثلة وطرق معمارية ودينية متطابقة، ونظام سياسي واجتماعي مشترك. وكل ذلك يجسد حضارة جنوب شبه الجزيرة العربية. وقد أطلق على دراستها اسم علم السَّبْيَّة نسبة إلى أشهر تلك الممالك: مملكة سَبَأ. وحظيت تلك الفترة باهتمام خاص من قبل علماء الآثار والمؤرخين نظراً لعراقة فنها المعماري ونقاوة وسحر نقوشها، والذين عملوا في اليمن منذ أواخر القرن التاسع عشر وبشكل خاص منذ سبعينات القرن العشرين. وقد رأينا كيف أثرت هذه الممالك على سكان تهامة والسراة في شتى مناحي الحياة.

٧- يرجع ازدهار هذه الحضارة إلى الإلتقان الفريد للزراعة المروية وإلى تطوير تجارة قوافل التوابل. وهو ما يوضح المدى الذي لم تكن فيه الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام عبارة عن منطقة صحراوية يتجول فيها البدو فحسب كما كنا نتصورها بكل بساطة.

٨- كانت بلاد تهامة والسراة في عصورها التاريخية القديمة مركزاً تجارياً وزراعياً ودينياً مهماً في شبه الجزيرة العربية. بحكم موقعها الاستراتيجي على طرق القوافل الذي جعلها نقطة عبور رئيسية للتجارة بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها. كما أنها كانت مركزاً للتنوع الديني والثقافي، حيث وجدت فيها المسيحية إلى جانب الأديان الوثنية، ولعبت دوراً مهماً في تاريخ المنطقة السياسية والدينية.

٩- تعد بلاد تهامة والسراة إحدى أهم المواقع الاستراتيجية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام. فقد كانت من المعابر المهمة على الطرق التجارية، وكان للطرق التجارية البرية الممتدة من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها دور رئيسي في حياة سكان تهامة والسراة لأنها كانت عاملاً مهماً في اتصالهم بالأمم الأخرى. وبسبب ازدهار الحركة التجارية نهضت مرافق الحياة المختلفة. وكانت الحبوب والطيوب والنسيج والأحجار الكريمة والمعادن والذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص أهم السلع التي تاجر فيها أهل السراة وتهامة عبر هذه المسارات التجارية. وانعكس ثراء أهل المنطقة على ما بنوه من دور وقصور وأسواق ومقابر ومعابد.

١٠- في أوائل القرن الرابع الميلادي تدهورت تجارة القوافل بسبب كساد أسواق البخور في جنوب الجزيرة العربية؛ لأن البخور كان أهم سلع التجارة في العالم القديم؛ لاستخدامه في الطقوس الدينية التي تمارس في المعابد والقصور وحتى في بيوت عامة الناس.

١١- هناك ثلاثة أسباب محتملة لهذا الانهيار، وهي: انتشار المسيحية في الإمبراطورية الرومانية وما تبعه من قلة استخدام البخور في الطقوس الدينية الكنسية، وضعف الإمبراطورية الرومانية مما أدى إلى انفلات الأمن على طرق البخور المتجهة صوب البحر الأبيض المتوسط. وأما السبب الثالث فهو الحروب الداخلية بين دويلات الجزيرة العربية؛ وما نجم عنها من انهيار هذه الدول وانزوائها. ورغم ذلك استمرت طرق التجارة البرية وحركة القوافل بشكل متقطع حتى قبيل ظهور الإسلام.

١٢- بلاد تهامة والسراة شكلتا معبراً تجارياً هاماً بين حضارات جنوب الجزيرة العربية ومناطق الشمال، بسبب عبور طريق منها، وهو: أحد أهم الطرق التجارية القديمة التي ربطت بين الجنوب والشمال.

١٣- كانت تجارة البخور والعطور، بالإضافة إلى السلع الأخرى مثل الذهب، والفضة، والأقمشة، تمر عبر تهامة والسراة إلى ممالك سبأ ومعين وقتبان وحضرموت في الجنوب، ومنها إلى الشمال وحتى بلاد الشام وما حولها، وانعكس ذلك التواصل على حياة السكان فيهما.

١٤- كشفت النقوش الأثرية منذ القرن الثامن قبل الميلاد عن وجود قبائل مهمة في أهم الأودية في جنوب شبه الجزيرة العربية وكان يرأسها شخص يحمل لقب الملك والأهم منه من يحمل لقب مُكْرَب «موحد». وكان لكل قبيلة مجموعة آلهة. ويوجد

عند مصب الأودية واحات واسعة مزروعة وفي وسطها مدن وتسكنها النخبة القبلية وتمارس فيها عبادة الآلهة الرئيسية المحلية.

١٥- شكلت العديد من القبائل في القرن الثامن والسابع قبل الميلاد الممالك. واشتهرت بالأسماء التالية مهامير ونشّان وكَمْنَاهو وعنابة ومَعِين وسَبَاء وقَتْبَان وأَوْسَان وحَضْرَمَوْت وسَمْع ودّهاس إلخ...

١٦- شهدت مملكة سبأ بداية القرن السابع الميلادي اتساعاً لم يسبق له مثيل في عهد كرب إيل وتر بن ذمار علي، وصارت منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية نفسها موحدة ولفترة قصيرة فانتشرت الأنماط المعمارية والفنية المشتركة في جميع أنحاء البلاد وخارجها. وتلك الفترة انتقل فيها سكان جنوب شبه الجزيرة العربية إلى الحبشة المجاورة ونشروا فيها أساليبهم المعمارية وفنهم وكتابتهم. وهو ما نجده بأشكال الحروف في لغتهم الحالية.

١٧- في القرن السادس قبل الميلاد تقهقرت مملكة سبأ أمام مملكة مَعِين وقَتْبَان المجاورتين. ولم يطرأ على اقتصاد ومجتمع جنوب شبه الجزيرة العربية وسلعه التجارية تغير كبير. ومع ذلك كان أواخر القرن الثاني قبل الميلاد فترة إعلان عن حدوث تغييرات كبيرة. ففي الواقع تطلبت أنظمة ري الواحات صيانة متقدمة لم يكن في مقدور النخب القبلية القيام بها. الأمر الذي أدى إلى تلاشي الواحات الموجودة على الأراضي المنخفضة. وانتهى التوازن الهش الذي كان يحكم العلاقات بين البدو الرحل وسكان الحضر وزعزع تغلغل القبائل العربية استقرار الأنظمة السياسية القائمة، وتجزأت الممالك الضعيفة. كما عانت عدة مراكز حضرية من أزمة أكثر خطورة تجسدت بالحملة الرومانية عام (٢٥) قبل الميلاد وتم الاستغناء عن تجارة القوافل بشكل تدريجي لصالح الطريق البحرية. وفي هذه الفترة بدأ تقهقر مملكة مَعِين وانفصال القبائل عن مملكة قَتْبَان لتشكل ممالك مستقلة وتم حرق وتدمير مدن حضرموت. وأدت هذه التغيرات إلى تحول كبير في الخارطة السياسية لجنوب شبه الجزيرة العربية واستيطانها.

١٨- في الوقت الذي كان يتسارع فيه تقهقر ممالك القوافل في الأراضي المنخفضة في اليمن لعبت جماعات قبلية جديدة دوراً متزايداً في المرتفعات. وإحدى تلك القبائل كونت مملكة حمير التي فرضت نفسها في غضون بضعة قرون كسلطة إقليمية كبيرة وذلك بضم جيرانها وغزوها لجزء كبير من شبه الجزيرة العربية. وأوجد

حكاهما نظام تقويم جديد يبدأ الحساب فيه من عام (١١٠) قبل الميلاد، ويطلق عليه العهد الحميري. وكان تركيز السلطة في المرتفعات واحدة من الظواهر الأكثر أهمية في ذلك العصر، ولاحظنا فيها ظهوراً لمراكز استيطان جديدة مثل العواصم الملكية ظَفَار وصَنْعَاء ومراكز قبلية كبيرة مثل نَاعِط وحَصِي.

١٩- بالإضافة إلى المدرجات الزراعية شيدت السدود الضخمة في هذه المنطقة وتم استصلاح الأراضي الزراعية وصاحب ذلك زيادة في المحاصيل. ولم يتم هجر الأراضي بشكل كلي في بداية العصر الميلادي، كما يظهر ذلك من خلال الأبحاث التي جرت في بعض مناطق جنوب الجزيرة، إلا أنه تم التخلي عنها في المرحلة الثانية بسبب الظاهرة الثانية الأهم في تلك الفترة وهي التخلي عن تجارة القوافل لصالح التجارة البحرية.

٢٠- في عام (٢٤٥ و٢٤٠) قبل الميلاد فشلت روما في السيطرة على تجارة القوافل. وكلف أوغسطس حاكم مصر إيلْيُوس جالْيُوس باستطلاع جنوب الجزيرة العربية والحبشة والتفاوض على تحالف مع الشعوب العربية أو غزوها بالقوة. ووصل هذا القائد إلى نَجْرَان ومن بعدها الجَوْف ومَارِب عاصمة الدولة السبئية على رأس جيش جرار قوامه عشرة آلاف رجل بالإضافة إلى القوات المساندة من مصر. ومع ذلك عادت هذه القوات وهي تجر أذيال الهزيمة ورائها. لكن إذا لم تتمكن روما من السيطرة عن طريق البر فقد مكنتها الطرق البحرية الجديدة من الوصول مباشرة إلى شواطئ جنوب شبه الجزيرة العربية والحصول على مصدر التوابل العطرية الثمينة.

٢١- مع الاستيلاء على مصر التي أصبحت إقليماً رومانياً عام (٣٠) قبل الميلاد وصار لروما من ذلك الحين واجهة بحرية على البحر الأحمر وكان بمقدورها متابعة السير في فتح طرق تجارية كان بدايتها مع بطليموس الذي أدى إلى فتح التجارة مع بلاد الهند والجزيرة العربية دون وسيط. وفي هذه الفترة تم تأسيس عدة مواقع لموانئ مخصصة لتجارة التوابل في جنوب شبه الجزيرة العربية مثل المَخَا وَعَدَن وَقَنَا .

٢٢- غيرت هذه الأحداث المختلفة من ملامح ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية واستحوذت مملكة سبأ على ممالك الجوف الصغيرة وأصبحت أَوْسَان وَقَتْبَان تابعة لمملكة حضرموت. لدرجة أنه لم تبق حتى القرن الثالث سوى مملكة

حضر موت وسباً وحمير التي تحالفت فيما بينها وكذلك تصارعت ثم اجتمعت في وجه الأحباش الذين حاولوا مراراً وتكراراً التوغل من سهل تهامة الساحلي باتجاه المرتفعات.

٢٣- أدى التنافس المتنامي بين هذه الممالك في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الميلادي إلى قيام مملكة حمير وضم مملكة سبأ ومن بعدها حضر موت التي وحدثت في ذلك الوقت جميع أراضي جنوب شبه الجزيرة العربية تحت سلطتها. ولم يتوقف ملوكها عند غزو جنوب الجزيرة العربية. ففي عهد أبي كرب أسعد (حوالي ٣٨٠م - ٤٤٠م)، بدأت سياسة توسعية باتجاه شمال شبه الجزيرة العربية مكنت الملك من توسيع حدود المملكة حتى قلب الجزيرة العربية وإنشاء محمية الحجاز ونجد. وفضلاً عن ذلك، ففي عهده أيضاً اعتنق الملك ومن بعده أمراء كبرى القبائل الديانة اليهودية كدين رسمي. وتم هجر المعابد الوثنية. وتوقفت النقوش الأثرية عن ذكر الآلهة القديمة لصالح «رب السماء والأرض».

٢٤- في أوائل القرن السادس الميلادي، كان الحكام من ملوك حمير وتارة يهوداً يتلقون دعماً من الفرس وتارة أخرى مسيحيين تابعين للنجاشي يتلقون دعماً من بيزنطة. وعين الأحباش الملك المسيحي معدي كرب يعصر على العرش عقب الملك اليهودي يوسف أسعريعثر حولي عام (٥٢١م). وقد أرغم هذا الأخير سكان جنوب الجزيرة العربية المسيحيين اعتناق الديانة اليهودية وأحرق المدن التي عارضت ذلك وعذب المسيحيين الذين رفضوا ذلك. ونظراً لعنفه غير المسبوق، فقد لقيت مذبحه مسيحيي نجران صدى واسعاً في جميع أنحاء العالم البيزنطي وأدت إلى قيام حملة انتقامية قادها ملك أكسوم الذي قضى على الملك يوسف ونصب على العرش تابعاً مسيحياً أطاح به قائد حبشي اسمه أبرهة (٥٢٥م - ٥٥٨م).

٢٥- اتسمت فترة الحكم هذه بانحسار حضارة جنوب الجزيرة العربية وتراجعت التجارة البحرية وفقد الحكام شرعيتهم وضعفت سلطاتهم. وهناك صورة أخرى لهذا الانحسار تمثلت في توقف حفر النقوش الأثرية التي تعود لحضارة جنوب الجزيرة العربية منذ منتصف القرن السادس. وقد تولى الحكم بعد أبرهة اثنان من أبنائه وتميزت فترة حكمهم بقصرها وشيوع الاستبداد. وكان موت ملك حميري مسروق حداً لحضارة جنوب شبه الجزيرة العربية، وقد تمت الإطاحة به بمساعدة من بلاد فارس الساسانية. وحدثت فترة الفوضى التي تلت تدخل فارسي ثانٍ انتهى بتنصيب حاكم على رأس كل إقليم أصبح تحت السيطرة

الفارسية حوالي عام (٥٧٥م). وفي النهاية اعتنق بأذان آخر حاكم فارسي الدين الإسلام وأعلن الولاء للرسول ﷺ عام (٦٣٠م).

٢٦- أدى التقدم في البحوث خلال العقود الأخيرة إلى تحسن كبير في معرفتنا بماضي جنوب الجزيرة العربية لما قبل الإسلام. وقد أظهرت تلك الأبحاث الطريقة التي تمكن من خلالها الإنسان من السيطرة على بيئة صعبة، جافة وجبلية، ثم تطوير نظم الري الطموحة التي تمكنهم من البقاء وحتى بناء حضارة أصلية.

٢٧- كما تظهر الدراسات الحديثة والمعاصرة كيف ساهمت تجارة البخور والمر في ثراء ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية الجنوبية حيث تعد النقوش الأثرية نافذة على الحياة اليومية لسكان اليمن القديم، وعبادتهم، وتاريخ حكامهم وممالكهم. ونعرف اليوم الكثير عن الجغرافيا التاريخية القديمة للمنطقة وتسلسلها الزمني ومدنها وأريافها. وتظهر بعض الرؤى الأخيرة إلى أن الإسلام يدين بالكثير إلى الماضي الجاهلي لهذه البلاد الجنوبية التي سادت فيها الديانات السماوية أو الممارسات الوثنية قبل القرن السابع الميلادي بفترات طويلة.

ثامناً: المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر والمراجع العربية والمعربة:

- ١- الأمين، يوسف مختار: «العصور الحجرية في المملكة العربية السعودية-دراسة تقويمية، أدماتوا، ٨٤، (جمادى الأولى ١٤٢٤هـ/ يوليو (تموز) ٢٠٠٣م)، ص: ٧-٤٠.
- ٢- الإرياني، مطهر علي: نقوش مسندية وتعليقات، (صنعاء: مركز البحوث والدراسات اليمني، ١٩٩٠م).
- ٣- إدريس جمال الدين محمد: جذور العلاقات التاريخية بين العربية الجنوبية الغربية (اليمن) والقرن الإفريقي أدلة أثرية، مجلة سبأ أقسام التاريخ والآثار جامعة عدن العدد ١٤ - ١٥ عدن يوليو ٢٠٠٧م.
- ٤- إسترابو: جغرافية إسترابو والجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (٦)، ترجمة السيد جاد، تعليق: مسفر سعد الخثعمي، الرياض: دار الملك عبد العزيز، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م).

- ٥- برامكي، ديمتري: « الإنسان موجود في الشرق الأوسط من نصف مليون سنة- العالم العربي في العصر الحجري»، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة الأولى، (١٤، تشرين الثاني، (نوفمبر) ١٩٧٨م).
- ٦- بيتر مافي: « أنماط الاستيطان لجنوبي شرق الجزيرة العربية في العصر الحديدي»، مجلة أدماطو، العدد الأول (شوال ١٤٢٠هـ/ يناير كانون الثاني ٢٠٠٠م)، ص: ٢٩-٣٩.
- ٧- جوريس زارنس وآخر: « التنقيبات الأثرية جنوب تهامة الموسم الثاني بالإضافة إلى سهي ٢١٧-١٠٧ والشرجة ٢١٧-١٧٢ عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م»، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد العاشر، (الرياض: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص: ٤٣-٧٠.
- ٨- الجرو، أسمهان سعيد: موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية: اليمن القديم، د.ت، د.ن.
- ٩- جيف بيلي وآخرون: «أعمال مشروع جنوبي البحر الأحمر وجزر فرسان للبعثة السعودية البريطانية (٢٠٠٩م)»، أطلال، العدد الرابع والعشرون، (الرياض: الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني، قطاع الآثار والمتاحف، ١٤٢٨هـ/ ٢٠١٧م)، ص: ١٣٣-١٤٦.
- ١٠- -----: « تقرير أولي عن الاستطلاع الميداني في جنوب غربي المملكة العربية السعودية (مايو-يونيو ٢٠١٢م)»، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد الرابع والعشرون، (الرياض: الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني، قطاع الآثار والمتاحف، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م)، ص: ١٦٣-١٧٤.
- ١١- -----: «تقرير أولي عن العمل الميداني للبعثة السعودية البريطانية في جزر فرسان وجازان (نوفمبر/ديسمبر ٢٠١٢م)»، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد السادس والعشرون، (الرياض: الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني، قطاع الآثار والمتاحف، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م)، ص: ١٠٤-١٠٧.
- ١٢- جاري مومبر، وآخرون: «تقرير مسح مبدئي بجنوب غربي المملكة العربية السعودية مشروع (دسبيرس) (٢) (دراسة الآثار الغارقة بجزر فرسان) ١٤٣٥هـ، (٢٠١٤م)، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد الثلاثون، (الرياض: وزارة السياحة، قطاع الآثار والمتاحف، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م)، ص: ٦٧-٧٠.

- ١٣- حمد، الجاسر: المعادن القديمة في بلاد العرب، (الرياض: دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع، ١٣٨٨هـ).
- ١٤- الخزاعي، دعبل بن علي بن رزين (١٤٨- ٢٤٦هـ / ٧٦٥- ٨٦٠ م): وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان، (د.م. دن، د.ت)، (النسخة الإلكترونية عدد الصفحات ٤٣، غير موافق للمطبوع).
- ١٥- الخنعمي، مسفر سعد محمد: «الأثر السياسي والحضاري لدرب البخور في عصور ما قبل الإسلام»، دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية عبر العصور، الجزء الثالث، تحرير أحمد عمر الزيلعي وآخرون، (الرياض، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) ص ٢٥-١٠٨.
- ١٦- -----: «بين ديدان ولحيان- رؤية جديدة-»، منشور في مجلة العصور، المجلد الثالث عشر، الجزء الأول (لندن: دار المريخ، يناير ٢٠٠٣م / شوال ١٤٢٣هـ) من ص ٧-٢٦.
- ١٧- -----: عصور ما قبل الإسلام، ضمن موسوعة المملكة العربية السعودية، منطقة عسير، مج ٩، (الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٨هـ)، ص:
- ١٨- -----: عصور ما قبل الإسلام، ضمن موسوعة المملكة العربية السعودية، منطقة جازان، مج ١١، (الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٨هـ)، ص: ١١٧-١٣٦.
- ١٩- -----: عصور ما قبل الإسلام، ضمن موسوعة المملكة العربية السعودية، منطقة نجران، مج ١٥، (الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٨هـ)، ص: ١٠٩-١٢٠.
- ٢٠- -----: عصور ما قبل الإسلام، ضمن موسوعة المملكة العربية السعودية، منطقة الباحة، مج ١٦، (الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٨هـ)، ص: ١١١-١٣٢.
- ٢١- -----: التسلسل الحضاري لعصور ما قبل التاريخ في الساحل الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، العدد الثامن والخمسون، السنة (٢٠٠٨م)، ص ١٨٥-٢٢٤.

- ٢٢- ----- : موسوعة الآثار والتراث والمعالم السياحية في منطقة عسير « دراسة توثيقية »، الطبعة الأولى، (جدة: مطابع السروات، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م).
- ٢٣- ----- : «منطقة عسير في عصور ما قبل التاريخ-دراسة حضارية في ضوء المخلفات الأثرية»، مجلة السياحة والآثار، جامعة الملك سعود، (الرياض) (٢٠٠٩م / ١٤٣٠هـ)، ص ١١٩-١٤٨.
- ٢٤- ----- : «تقنيات الري القديمة وحفظ المياه بمحافظة بيشة - بلدة الثنية أنموذجاً»، مجلة كلية الآداب والعلوم التربوية، بجامعة بيشة، العدد الثالث، (ربيع الأول / ١٤٤٠هـ - نوفمبر ٢٠١٨م)، ص ١٧-٨٣.
- ٢٥- ----- : «قراءة جديدة في المصادر الكلاسيكية والرد على بعض افتراءاتها على العرب (استرابون أنموذجاً)»، بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية والتربوية بجامعة بيشة، العدد (٧) (محرم ١٤٤٢هـ / سبتمبر ٢٠٢٠م)، صص ٣٢١-٣٨٣.
- ٢٦- دانيال غلين: «موجز تاريخ علم الآثار»، نقله على العربية: سيد أحمد محمد علي، (الرياض: مؤسسة العبيكان للنشر والطباعة، ٢٠٠٠م).
- ٢٧- ديمترس سكيلاريو وآخرون: تقرير أولي عن مسح الآثار الفارقة في جزر فرسان على متن السفينة اليونانية (Rv Aegaeo) ١٤٣٤هـ / مايو-يونيو ٢٠١٣م)، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد السابع والعشرون، (الرياض: الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني، قطاع الآثار والمتاحف، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م)، ص: ١٢٨-١٤٠.
- ٢٨- الراشد، عبد الله سعد، وآخرون: «تقرير مبدئي عن أعمال الطريق التجاري، طريق الحج اليمني الأعلى القديم النجدي»، الموسم الثاني، أطلال وكالة الآثار والمتاحف، العدد السادس عشر، (الرياض: ١٤١٢هـ / ٢٠٠١م)، ص: ٩٩-١٤٩.
- ٢٩- روبين إجنليس، وآخرون: «التقرير الأولي للأعمال الميدانية في جنوب غربي المملكة مشروع دسبيرس: منطقة جازان وعسير» (١٤٣٤هـ / فبراير - مارس ٢٠١٣)، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد الثامن والعشرون، (الرياض: وزارة السياحة قطاع الآثار والمتاحف، ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م)، ص: ٧١-٧٦.

- ٣٠- -----: "التقرير الأولي للأعمال الميدانية في جنوب غربي المملكة العربية السعودية، مشروع (ديسبيرس) منطقتي جازان وعسير (١) ١٤٣٥هـ (٢٠١٤م)" ، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد التاسع والعشرون، (الرياض: وزارة السياحة قطاع الآثار والمتاحف، ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م)، ص: ٩٧-١٠٨.
- ٣١- الزهراني، عوض بن علي السبالي وآخرون: «حفرة الأخدود بمنطقة نجران، تقرير مبدئي عن أعمال الموسم الثاني (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) ، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد السادس عشر، (الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م)، ص: ١٣-٣٦.
- ٣٢- -----: "تقرير مبدئي عن حفرة الأخدود بمنطقة نجران الموسم الثالث (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)" ، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد السابع عشر، (الرياض: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، ص: ١٢-٢٨.
- ٣٣- -----: "تقرير مبدئي عن حفرة الآثار بمنطقة نجران الموسم الرابع (١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م) ، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد الثامن عشر، (الرياض: ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، ص: ١١-٣٤.
- ٣٤- -----: "تقرير مبدئي عن حفرة الآثار بمنطقة نجران الموسم الخامس (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٤م) ، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد التاسع عشر، (الرياض: ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م)، ص: ١١-٣٤.
- ٣٥- -----: "تقرير عن حفرة جرش (الموسمان الرابع والخامس ١٤٣١-١٤٣٢هـ ٢٠١١-٢٠١٢م)" ، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد التاسع عشر، (الرياض: وكالة الآثار والمتاحف والتربية والتعليم، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م) ، ص: ٧-١٦.
- ٣٦- -----: "تقرير حفرة نجران الموسم السادس والسابع (١٤٢٩هـ / ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م - ٢٠١٠م) ، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد الثاني والعشرون، (الرياض: الهيئة العامة للسياحة والآثار قطاع الآثار والمتاحف، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م)، ص: ٦-٢٦.

- ٣٧- -----: « تقرير مبدئي عن حفرة الأخدود بمنطقة نجران الموسم الخامس ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م»، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد الرابع والعشرون، (الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م)، ص: ١١-٣٤.
- ٣٨- -----: «تقرير أولي عن حفرة نجران (الموسم الثامن ١٤٢٤هـ / ٢٠١٣م)، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد السابع والعشرون، (الرياض: وزارة السياحة، قطاع الآثار والمتاحف، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م)، ص: ٩٧-١٠٤.
- ٣٩- -----: «تقرير مبدئي عن حفرة الأخدود بمنطقة نجران الموسم الخامس ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م»، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد التاسع عشر، (الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٣م)، ص: ١١-٣٤.
- ٤٠- -----: «تقرير حفرة جرش (الموسم السادس والسابع ١٤٣٥- ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م)، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد الثامن والعشرون، (الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م)، ص: ٦١-٧٠.
- ٤١- -----: آثار منطقة الباحة، (الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م).
- ٤٢- الزيلعي وآخرون، أحمد عمر: آثار منطقة عسير، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، (الرياض: مطابع دار الهلال للأفست، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م).
- ٤٣- السلوك، محمد بن علي وآخرون: «مسح طريق التجارة القديم، بمنطقتي عسير والباحة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م»، أطلال، وكالة الآثار والمتاحف، ١٧٤، (الرياض: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، ١٥٥-١٥٦.
- ٤٤- الشارخ: عبد الله بن محمد: رؤية جديدة لتقسيم فترات العصور الحجرية بالمملكة العربية السعودية، العصور، مج ١٣ (الجزء الثاني) (يوليو ٢٠٠٣م) جمادى الأولى ١٤٢٤هـ).
- ٤٥- الشيبه، عبد الله حسن: دراسات في تاريخ اليمن القديم (تعز: مكتبة الوعي الثوري، ٢٠٠٠).

- ٤٦- عبد الله، يوسف محمد: أوراق من تاريخ اليمن وآثاره بحوث ومقالات، (بيروت: دار الفكر المعاصر-دمشق دار الفكر، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).
- ٤٧- الشريف، عبد الرحمن صادق: جغرافية المملكة العربية السعودية، ج١، (الرياض: دار المريخ، للنشر، د.ت.).
- ٤٨- صالح، عبد العزيز: تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، (القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، ١٩٨٨م).
- ٤٩- طيران، سالم وآخرون: تقرير أولي لأعمال البعثة السعودية الفرنسية المشتركة مشروع مسح آثار منطقة نجران الموسمان (٢٠٠٧ و ٢٠٠٨ م)، أطلال، العدد الرابع والعشرون، (الرياض: الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني وقطاع الآثار، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ص: ١٤٦-١٥٤.
- ٥٠- -----: «تقرير أولي لأعمال البعثة السعودية الفرنسية المشتركة (مشروع مسح آثار منطقة نجران ٢٠١٠م)، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد الخامس والعشرون، (الرياض: الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني وقطاع الآثار، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م)، ص: ١٣٣-١٤٤.
- ٥١- عبد المنعم، محمد: «آثار ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية»، تعريب عبد الرحيم محمد خبير، (الرياض: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).
- ٥٢- عبده، طلعت أحمد محمد: الجغرافيا التاريخية لشبه الجزيرة العربية في عصور ما قبل التاريخ، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م).
- ٥٣- الغبان، علي إبراهيم وآخرون: دليل معرض طرق التجارة القديمة، روائع آثار المملكة العربية السعودية (الرياض: الهيئة العامة للسياحة والآثار، باريس، متحف اللوفر ١٤ يوليو - ٢٧ سبتمبر ٢٠١٠)
- ٥٤- القحطاني، سالم بن هذال: نقوش جبالا القنة في محافظة تثليث، وزارة التربية والتعليم وكالة الآثار والمتاحف، (الرياض: ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- ٥٥- القحطاني، سالم بن هذال: نقوش جبالا القنة في محافظة تثليث، وزارة التربية والتعليم وكالة الآثار والمتاحف، (الرياض: ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

٥٦- ماثيو مرديث وليامز وآخرون: «تقرير أولي عن العمل الميداني في جنوب غربي المملكة العربية السعودية جزر فرسان (١) ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م»، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد السابع والعشرون، (الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م)، ص: ١٢٣-١٢٨.

٥٧- محمد علي، العباس سيد أحمد: «ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية»، مجلة الدارة، العدد الثلاثون، السنة السادسة والعشرون، (١٤٢١هـ)، ص: ٨٩-١٣١.

٥٨- المعمرى، عبد الرزاق راشد: «إضافات جديدة في تقسيم العصر الحجري الحديث في صحراء الجزيرة العربية، أدما تو، (العدد الخامس)، ذوالقعدة ١٤٢٢هـ/يناير (كانون الثاني)، ٢٠٠٢م)، ص ٢٣-٤٤.

٥٩- -----: «النمط الأثري الصحراوي وعلاقته بمرتفعات جنوب الجزيرة العربية وبتهامة وعمان»، أدما تو، (العدد الثاني عشر)، جماد الآخرة، ١٤٢٦هـ/ يوليو (تموز، ٢٠٠٥م)، ص: ٧-٢٨.

٦٠- -----: «موروث العصور الحجرية ودوره في تشكيل قرى ومُدن حضارة جنوبي الجزيرة العربية المبكرة، مجلة أدوماتو، أبحاث ندوة «المدينة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الأثرية: النشأة والتطور، الجوف، المملكة العربية السعودية، ٥-٢ ذو القعدة ١٤٢٦هـ / ٧-٥ ديسمبر ٢٠٠٥م)، ص ٧-٣٤.

٦١- -----: «ثقافتان من العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية»، مجلة أدما تو، العدد الأول (شوال ١٤٢٠هـ / يناير كانون الثاني ٢٠٠٠م)، ص: ٧-٢٩.

٢٦- والتر دوستال: «تأثيرات أنثروبولوجية على التحولات الحضارية كما يعكسها تطور الحضارات قبيل الإسلام»، مجلة أدما تو، العدد الأول (شوال ١٤٢٠هـ / يناير كانون الثاني ٢٠٠٠م)، ص: ٤٧-٤٠.

٦٣- مرعي، عيد سعيد: تاريخ الجزيرة العربية القديم، (بيشة: مكتبة الخبتي، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

٦٤- النعيم، نوره بنت عبد الله بن علي: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، (الرياض: دار الشواف للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

٦٥- -----:التشريعات في جنوب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، (الرياض: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

٦٦- الهمداني، لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب: صفة جزيرة العرب، (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

٦٧- يوريس زارينس وآخرون: «برنامج المسح الأثري الشامل لأراضي المملكة العربية السعودية: (أ) التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية:» أطلال، العدد الخامس، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص: ٩-٣٦.

٦٨- -----: «الاستكشافات الأثرية الحديثة في سهل تهامة الجنوبي موقعي عثروسي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)»، حولية الآثار العربية السعودية، العدد التاسع، (الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ٥٦-٦٨.

٦٩- -----: «التقرير المبدئي عن مسح المنطقتين الوسطى الجنوبية الغربية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)»، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد الرابع عشر، (الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص: ٩-٣٤.

٧٠- اليحيى، عبد العزيز وآخرون: تقرير حفرة جرش بمنطقة عسير (الموسم التاسع ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد التاسع والعشرون، (الرياض: قطاع الآثار والمتاحف بوزارة السياحة، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)، ص: ٧-١٤.

٧١- -----: «تقرير حفرة جرش بمنطقة عسير) الموسمان العاشر والحادي عشر ١٤٤٠-١٤٣٩هـ/٢٠١٩م»، أطلال، العدد الحادي والثلاثون، (الرياض: هيئة التراث بوزارة الثقافة، ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، ص: ٧-٢٦.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- 1- Abdulla Al-Shoorman. " Hima: Center of Prehistoric Art and Culture in Southern Arabia", Adumatu Journal. Issue No. 6. July 2002.pp:27- 34.
- 2- AL-Thenayan, M. A. R. An Archaeological Study of the Yemeni high land pilgrim route between Sana and Makkah, Deputy Ministry of Museums, (Riyadh. 1999, pp: 52- 64.

- 3- Doe., B. South Arabia (London: Thames & Hudson 1971) at 60102-.
- 4- Beeston, A.F.L. "The Himyaritic Problem" PSAS, 1975, Vol. 5. Pliny, Gaius, Natural History. Trans by Rackham, London, loeb Classical Library, 1986, BK.12.
- 5- Jean-Francois Breton, Arabia Felix (University of Notre Dame 1999.
- 6- Daum., W., (ed) Yemen: 3000 Years of Art and Civilization in Arabia Felix, Innsbruck, penguin, 1988.
- 7- Didorus, Didorus of Sicily: Trans. BY: c. H Old father, B.3. New York, 1933.
- 8- Dostal., W. "Thorough the Development on High Culture in pre-Islamic Time". Adumatu Journal. Issue No. 1, January 2000, p: 29-39.
- 9- Irvin, K., : " A Survey of old South Arabia Lexical Material connected Irrigation techniques", unpublished ph. D. thesis, Oxford University, 1962.
- 10- Felinof., F. & others: "Preliminary Report on Archaeological investigations around Urkhabeel, Faresan Island Saudi-French Missions 2005 -2014" Atlal, The Journal of Saudi Arabian Archaeology Vol.28, part two.(Riyadh. 1441/ 2020) p: 148 -158.
- 11- Jamme, A., Sabaeen Inscription from Mahram Bilqis (Marib), Baltimore, John Hopkins, 1962.
- 12- Jegger. I., Rose: "Survey of Prehistoric Sites in Mahra, Eastern Yemen". Adumatu Journal. Issue No. 6. July 2002. Pp: 7 -20.
- 13- Khalid, L., & Others. (2013), Considering the Arabian Neolithic through a reconstitution of interregional obsidian distribution patterns in the region, Arab. Arch. epig, Vol. 24, pp. 59- 67.
- 14- Al-khathami, M, S., The kingdom of Lhyân-history society, and Civilization in pre-Islamic Arabia, (1999.

- 15- Kitchen, K. A., Documentation for Ancient Arabia: Part 1, Chronological frame Work & Historical Sources, Liverpool, Liverpool; University Press, 1994.
- 16- Korotayer, A., Ancient Yemen, Journal of Semeiotic Studies Supplements. Oxford, Oxford University, press, 1995.
- 17- McClure, H., Late Quaternary Palaeoenvironments of the Rub Al Khali, A thesis submitted for the degree of Doctor of philosophy, in the university of London. 1984.
- 18- Norman, M., & others: "Early Pleistocene Migrations into Saudi Arabia", Atlal, The Journal of Saudi Arabian Archaeology Vol. 12. Part: 111, Pp: 81 -100.
- 19- -----: " The Lower Paleolithic in Southwestern Oman". Adumatu Journal. Issue No. 5 Jan. 2002. pp: 27 -34.
- 20- Hester, j. et. al. "Preliminary Report on the third phase ancient mining survey Southwestern province-1403H/1983", atlal. The Journal of Saudi Arabian Archaeology. vol.8.1984.
- 21- Zarins, N. & others. "Preliminarily Report Central and Southwestern Provinces Survey". atlal. The Journal of Saudi Arabian Archaeology, vol.4.1980.pp: 9- 36.
- 22- Zarins, I., et.al. "Preliminary Report on The Southwestern, province-atlal. The Journal of Saudi Arabian Archaeology, vol.4.1980.
- 23- Zarins, I., et. al "The second preliminary Report on The Southwestern, province- atlal. The Journal of Saudi Arabian Archaeology, vol.5.1981.
- 24- Zarins, I., & Zahrani, A. " Recent Archaeological Investigations in Southren Tihama Plain The Sites of Ather and Sihi, Atlal, The Journal of Saudi Arabian Archaeology. vol 9. 1985, P: 65- 107.


- 25- Zarins, I. H. al-Badr. "Archeological Investigation in the Southern Times plan, 11 (in clouding Sihi, 107 -217 and Sharja 217- 172), Atlal, The Journal of Saudi Arabian Archaeology., vol. 10. 1986. Pp: 42 -57.
- 26- Mackintosh-Smith, Yemen (London: John Murray, at 8, 1997).
- 27- Eduard Glaser, Glaser, Punt and the South Arabian empires Mitteilungen in the Front the Asiatic Society, 1899.
- 28- Van Beek. G: "Recovering the Ancient Civilization of Arabia", BA. New Haven, Vol 22, 1960.
- 29- Wissman. H. Von. "Himyar", Le Mus, Louvian 1964, Vol.3072-
- 30- Vishwas.D. Gogte., " Indo-Arabian Maritime Contacts during the Bronze Age: Scientific Study of Pottery from Ras al-Junayz (Oman)", ". Adumatu Journal. Issue No. 2. July 2000, p: 7- 14.
- 31- Redman, c. l., The Rise of Civilization, from Early Farmers to Urban Society in the Ancient near East. 1978.
- 32- McClure, H. A., The Arabian Peninsula and prehistoric Populations, Field Research project, Coconut Grove, Miami. Florida, Edited by Field, H. 1971.
- 33- Whalen, N. & others. "Early Pleistocene Migrations into Saudi Arabia", Atlal, 12. 1989, 59 -75.
- 34- Gowlett, J. Ascent to Civilization, the Archaeology of Early Man. Rox by Archaeology Limited, 1984, 40- 41





القسم الثاني

موضوعان علميان في تاريخ
وحضارة جنوب الجزيرة العربية
(سراة وتهامة)
في عصر ما قبل الإسلام



القسم الثاني

موضوعان علميان في تاريخ وحضارة جنوب الجزيرة العربية (سراة وتهامة) في عصور ما قبل الإسلام

م	الموضوع	الصفحة
أولاً :	مدخل.	١٣٦
ثانياً :	نمط الأسير المبشر في الرواية المبكرة عن دخول المسيحية جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام . بقلم . أ. د. عبدالعزيز بن محمد رمضان.	١٣٩
ثالثاً :	رد أوهام المؤرخين والنقاد حول جنوب الجزيرة العربية (تهامة وسراة) والشعر الجاهلي . بقلم . الدكتور محمد أحمد فتحي .	١٥٨
رابعاً :	رأي ووجهات نظر.	٣٤٩

أولاً : مدخل :

عندما نقول: جنوب الجزيرة العربية، فالمقصود بذلك الديار التهامية والسروية الممتدة من جنوب مكة المكرمة والطائف إلى مدن وقرى اليمن مثل: صنعاء، وتعز، وعدن، والحديدة وغيرها. هذه الديار الواسعة في مساحاتها، والمتباينة في تركيبتها السكانية، والجغرافية، والتاريخية، والحضارية لها تراث معرفي (مادي ومعنوي) عبر أطوار التاريخ، ومنه الموثق والمدرّس، وآخر مازال يحتاج إلى جهود علمية كبيرة لنبشه، ودراسته وتحليله، ثم طباعته ونشره^(١).

عرف جنوب الجزيرة العربية (تهامة وسراة) الكثير من الأقوام والحضارات في عصور ما قبل الإسلام . لكنها غير مخدومة علمياً وبحثياً بشكل يجعلنا نعرف تاريخها وحضارتها بوضوح عبر العصور القديمة. نعم هناك العديد من الأعمال العلمية القديمة التي كتبت وصدرت عن مدن وحضارات في بلاد اليمن، مثل: مأرب، وشبوة، وصنعاء، ونجران، ومواقع أخرى عديدة في محيط جمهورية اليمن الحديثة^(٢).

(١) من يبحث في قوائم المكتبات الورقية والرقمية في أنحاء العالم، فسوف يجد آلاف الكتب، والبحوث، والمقالات، والرسائل الجامعية التي أرخت لجزئيات كثيرة في جنوب الجزيرة العربية ، وبلغات عديدة وفي مقدمتها اللغتين العربية والإنجليزية . (ابن جريس).

(٢) إن حديثي عن عصور ما قبل الإسلام ، فالمصادر العربية والكلاسيكية الأجنبية فصلت الحديث عن

وهناك أمكنة أخرى كثيرة لم تُدرس أو يلتفت إليها بحثياً وتوثيقياً، مع أنها ضمن جغرافية جنوب شبه الجزيرة العربية. وفي مقدمتها السروات وتهامه الممتدة من الطائف وجنوب مكة المكرمة إلى أرض قحطان ونجران في السراة، وجازان وما حولها في تهامة. بل يوجد قريباً من حواضر اليمن القديمة مواضع عديدة تم تجاهلها ونسيانها معرفياً وبحثياً^(١).

لو أطلقت العنان لفكري وقلمي، والحديث والمقارنات عن مستوى البحث العلمي الذي حظيت به بلدان جنوب شبه الجزيرة العربية وتحديدًا في العصور القديمة، والقرون الإسلامية العشرة الأولى (ق ١ - ق ١٠ هـ / ق ٧ - ق ١٦ م)، فذلك ميدان كبير يحتاج إلى عشرات الدراسات. لكنني في هذه السطور اكتفي بالإشارة إلى أهمية هذا الموضوع الذي مازال جديرًا بالعناية والاهتمام الكبير من قبل المتخصصين ومراكز البحوث العلمية الجادة، أمل أن نرى من يدعم ويخدم هذا المجال أثرياً وتاريخياً، مع التركيز على الأوطان التي لا نعرف عن تاريخها وحضارتها القديمة أي شيء، وأخص بذلك الأجزاء السروية والتهامية الواقعة بين مدن اليمن والحجاز الكبيرة.

(*) دأبت منذ أربعة عقود على دراسة وتشجيع أي عمل له صلة بجنوب شبه الجزيرة العربية عبر عصور التاريخ. وقد كتبت ونشرت وراجعت دراسات لباحثين آخرين عن جنوب شبه الجزيرة العربية^(٢). وفي هذا القسم ننشر دراستين علميتين لأستاذين كريمين، هما:

١ - الأستاذ الدكتور/ عبدالعزيز محمد رمضان (مصري الجنسية)، وبحثه بعنوان: نمط الأسير المبشر في الرواية المبكرة عن دخول المسيحية جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام^(٣).

تواريخ وأمم متعددة ظهرت في أقصى جنوب الجزيرة العربية. وصدر عن هذه الحضارات الكثير من التراث العلمي المعرف المنشور بلغات عديدة. هذا الذي عرفته واطلعت على شيء منه في مكتبات عربية وأجنبية شرقية وغربية. (ابن جريس).

(١) لا أقول هذا الكلام من فراغ، إنما هي الحقيقة، فقد قضيت عشرات السنين أجمع وأبحث في تاريخ وحضارة جنوب شبه الجزيرة العربية. ووجدت قرى وبلدانا وأمكنة عديدة في هذه الديار الواسعة غير مذكورة في التاريخ القديم وحتى الإسلام المبكر والوسيط، مع أنها مستوطنات بشرية من قديم الزمان، وفيها الكثير من المؤهلات المعيشية والمصادر والثروات الطبيعية التي تساعد على الحياة. (ابن جريس).

(٢) جنوب الجزيرة العربية مخزن كبير من العلوم والمعارف المتنوعة. وهناك العديد من الدراسات العربية والأجنبية التي تم إنجازها في تاريخ وحضارة هذه البلاد قبل الإسلام وبعده. وما زال هناك موضوعات كثيرة تستحق دراسات علمية جادة ورسنية وبخاصة الأوطان الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز الكبرى (تهامة وسراة) وبخاصة في العصور السابقة لعصر الإسلام، والقرون الإسلامية المبكرة والوسيطة. (ابن جريس).

(٣) الدكتور ابن رمضان أستاذ متخصص في تاريخ العصور الوسطى، ويجيد لغات عديدة، وله أبحاث كثيرة

٢- الدكتور محمد بن أحمد فتحي (سعودي الجنسية)، وعنوان دراسته:
رد أو هام المؤرخين والنقاد حول جنوب الجزيرة العربية (تهامة وسراة)
والشعر الجاهلي .

البحثنان يناقشان قضايا مهمة في تاريخ جنوب شبه الجزيرة العربية القديم. ولا ندعي الكمال فيما تم إنجازه، إلا أن الدراستين قد تفتح آفاقاً أوسع لإنجاز بحوث علمية أخرى تستكمل ما لم يأت في هذين العملين، أو عمل دراسات أخرى جديدة تصب في خدمة البلاد علمياً ومعرفياً^(١). (والله من وراء القصد).



باللغة العربية، ولغات أوربية أخرى. قدم لنا مشكوراً بضعة بحوث علمية رصينة عن نجران وعن جنوب شبه الجزيرة العربية، وجميعها منشورة في أجزاء من (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب). (ابن جريس).

(١) الهدف الأكبر من طرح مثل هذه الأعمال التوثيقية، خدمة البحث العلمي، وبخاصة في موضوعات مهمة لها صلات بالإنسان والأرض التي لم تتلحقها الكافية من الدراسات العلمية الجادة . (ابن جريس).

ثانياً: نمط الأسير المبشر في الرواية المبكرة عن دخول المسيحية جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام. بقلم. أ. د. عبدالعزيز رمضان^(١).

م	الموضوع	الصفحة
١-	ثيوفيلوس الهندي .	١٤٠
٢-	الراهبة الأسيرة ثيوغنوستا (Theognosta).	١٤٩
٣-	الأسقف بولس القنطوسي (Paul gentos) والقس يوحنا الرهاوي (John of Edessa) والتأثير على الرواية العربية.	١٥٣
٤-	الخاتمة.	١٥٦

تزودنا المصادر الرومانية المتأخرة، منذ القرن الرابع، بإشارات متفرقة عن سمات نمط من المبشرين الأوائل لم يعره الباحثون المحدثون الكثير من الاهتمام؛ وهو النمط الذي يمكن تسميته "الأسير المبشر". ولعل المتخصصين في التاريخ المبكر للمسيحية، بمجرد اقتراح هذا المصطلح، ستتجه أذهانهم إلى حالة أسلاف أولفيلاس (Ulfilas) (حوالي ٣١٠-٣٨١م)، المعروف باسم "حواري القوط" (apostle of the Goths)^(٢). وفقاً لمؤرخ الكنيسة فيلوستورجيوس (Philostorgius) في القرن الرابع الميلادي، ينحدر أولفيلاس من أسرة رومانية تضم العديد من الكهنة المسيحيين، الذين تم أسرهم أثناء الهجوم القوطي على كبادوكيا وغلاطية في النصف الثاني من القرن الثالث^(٣). يقول فيلوستورجيوس: "إن هؤلاء الأسرى الأتقياء، بمخالطتهم البرابرة، جلبوا أعداداً كبيرة إلى الإيمان الصحيح، وأقنعوهم باعتراف الدين المسيحي بدلاً من الخرافات الوثنية. وكان من بين هؤلاء الأسرى أسلاف أولفيلاس نفسه"^(٤). والآن، بصفته قوطياً رومانياً

(١) للمزيد عن سيرة الدكتور عبدالعزيز رمضان أنظر موسوعة: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، القسم الأول في الأجزاء التالية (١٨، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٧). (ابن جريس).

(2) Sivan, Hagith. "Ulfila's Own Conversion", *The Harvard Theological Review* 89, no.4 (Oct., 1996): 373-386; Scott, Charles. *Ulfilas, Apostle of the Goths*, Kessinger Publishing., 2009.

(٣) سجل المؤرخ الكنسي سوزومين Sozomen هذا الحدث دون أي إشارة إلى أولفيلاس. ووفقاً له، (... كثير من كهنة المسيح الذين تم أسرهم سكنوا بين هذه القبائل؛ وأثناء إقامتهم بينهم قاموا بشفاء المرضى... وقد اندهش البرابرة من السلوك المثالي والأعمال الرائعة لهؤلاء القديسين...).

Sozomen, *History of the Church*, trans. E. Walford, London, 1855, 60.

(4) Philostorgius, *Church History*, trans. Ph. A. Amidon, Atlanta: Society of Biblical Literature, 2007, 20.

(حوالي ٣٤٠ م)، أرسل ملك القوط أولفيلاس كسفير ورهينة إلى القسطنطينية، حيث تم ترسيمه أسقفًا، ثم عاد بعد ذلك. ليبشر في شعبه لسبع سنوات^(١).

بالرغم من أن أولفيلاس وأسلافه هم الحالة الأكثر شهرة للمبشرين الأسرى، إلا أن هذا النمط يتكرر بشكل لافت للنظر في روايات المصادر المتعلقة بظروف ظهور المسيحية في جنوب شبه الجزيرة العربية خلال القرن الرابع. ونسبت بعض هذه الروايات تحول عرب الجنوب إلى مبشرين أسرى من الذكور أو الإناث. والأمر الأكثر إثارة للدهشة أن لهذه الروايات فيما يبدو صدى في الرواية العربية ذات الصلة. يهدف هذا البحث إلى جمع النصوص المتفرقة المتوفرة حول هذا النمط، ومحاولة إعادة بنائها في سياق يمكن من خلاله استنباط الدلالات التاريخية المحيطة به. ويركز على حالتين رئيسيتين: الرهينة ثيوفيلوس (Theophilus) والأسير ثيوغنوستا (Theognosta)، لكنه لا يغفل حالات أخرى تتوفر عنها إشارات موجزة، مثل حالة الأسرى فيميون (Phimion) وفرومنتيوس (Frumentius) وغيرهما.

١ - ثيوفيلوس الهندي؛

يعد فيلوستورجيوس أيضًا أقدم شاهد على المبشرين الأسرى والرهائن المرتبطين بتنصير جنوب شبه الجزيرة العربية. وبالرغم من أنه يقدم شخصية رهينة معاصرة لأولفيلاس، ذهب في سفارة إلى جنوب شبه الجزيرة العربية في نفس الوقت تقريبًا الذي كان فيه أولفيلاس يبشر بين القوط (حوالي ٣٤١-٣٤٨ م)، فإن رهيئتنا في هذه الحالة لم يكن من أصل روماني. وفقًا لفيلوستورجيوس، أراد الإمبراطور قسطنطيوس الثاني (٣٢٧-٣٦١ م) استكشاف الوضع الديني في جنوب شبه الجزيرة العربية وأرسل سفارة إلى "الشعب الذي كان يسمى بالسبئيين قديماً ويعرف الآن باسم الحميريين". وكان الهدف النهائي من هذه السفارة هو "تحويلهم إلى المسيحية"^(٢). وكان من قادة هذه السفارة، كما يشير فيلوستورجيوس، ثيوفيلوس الهندي. وقد تم وصفه على النحو التالي: (قبل وقت طويل، عندما كان صغيرًا جدًا، في عهد قسطنطين [٣٠٧-٣٣٧ م]، الإمبراطور السابق، تم إرساله إلى الرومان كرهينة من قبل الشعب المعروف باسم الديفيين (Divaeans). الجزيرة التي يسكنونها تسمى ديفا Diva، وهم أيضًا من بين أولئك المعروفين بالهنود. والآن فإن ثيوفيلوس، خلال الفترة الطويلة التي قضاها بين

(1) Philostorgius, *Church History*, 20.

(2) Philostorgius *Church History*, 40 ; Greek: Philostorgius, *Kirchengeschichte*, Berlin, 1981, 32.

الرومان، قد كون شخصيته وفق أعلى درجة من الفضيلة، ومعتقداته وفقاً للأرثوذكسية. ... ولما تولى السفارة نال كرامة الأسقفية بيد من يشاركه معتقده^(١).

إن التشابه بين حالتي أولفيلاس وثيوفيلوس الهندي، وكذلك تزامن مهمتهما التبشيريتين، أمر ملفت للنظر^(٢). كلاهما كانا رهينتين، على الرغم من أن أولفيلاس كان في الأصل أسيراً رومانياً، على عكس ثيوفيلوس، الذي لا يمكن التأكد من وضعه السابق^(٣). يشير عرفان شهيد إلى أنه كان من سلالة ملكية^(٤)، حيث كان أخذ النبلاء البرابرة كرهائن في البلاط الملكي الروماني ممارسة شائعة في ذلك الوقت^(٥). وكان كل منهما ينتمي، كلياً أو جزئياً، إلى أصل أجنبي. وقد سيموا أساقفة ثم تولوا مهمة التبشير بين الشعوب الأجنبية. والأغلب أنه عندما كلف نفس الإمبراطور الروماني قسطنطيوس الثاني كلاهما بمهامه، أخذ في الاعتبار أنهم يشتركون في نفس العرق والثقافة واللغة مع هذه الشعوب، وهذه كلها اعتبارات من شأنها أن تساهم في نجاح مهمتهما^(٦). وكما بينت في دراسة سابقة، فإن اعتماد السلطات الرومانية على مبعوثين من نفس عرق وجهتهم الدبلوماسية كان أحد المعايير الأساسية لاختيارهم. والراجع

(1) Philostorgius, *Church History*, 40 ; Greek: Philostorgius, *Kirchengeschichte*, 33.

(٢) من الجدير بالذكر أن أنا لانكينا تناولت بعثات كل من يوليفيلاس وثيوفيلوس دون ملاحظة أي من أوجه التشابه بينهما.

Lankina, Anna. *Reclaiming the non-Nicene Past. Theophilus the Indian and Ulfila the Goth as Missionary Heroes*, MA diss., University of Florida, 2011.

(٣) في سياق معالجتها لرواية يوحنا أسقف نقيوس عن حالة الأسيرة ثيونوستا، والتي سأسير إليها لاحقاً، يبدو أن أندريا ستيرك تلمح إلى اعتقادها بأن ثيوفيلوس كان في الأصل - مثل أولفيلاس - أسيراً. إذ تقول: "يتجاهل يوحنا تقليد الرسول برتلمائوس والمبشر ثيوفيلوس، وهو أسير تنصر في القسطنطينية وأرسله الإمبراطور قسطنطيوس، ويركز بدلاً من ذلك على امرأة قديسة اسمها ثيونوستا".

Sterk, Andrea. "Mission from Below: Captive Women and Conversion on the East Roman Frontiers", *Church History* 79, no.1 (March 2010): 11.

(4) Shahid, Irfan. *Byzantium and the Arabs in the Fourth Century*, Washington, D.C.: Dumbarton Oaks, 1984, 96-7.

(5) Allen Joel. *Hostages and Hostage-taking in the Roman Empire*, Cambridge/New York, 2006: 245-53; Kosto A. J. "Transformation of Hostageship in Late Antiquity", *Antiquité Tardive* 21 (2013): 265-82.

(٦) كما يقترح ألكسندر أنجيلوف، "نظراً لأن التصير الملكي مذكور هنا، نحتاج إلى ملاحظة أن قسطنطينوس على الأرجح قد عين ثيوفيلوس رئيساً للسفارة بسبب إلمامه المفترض بالثقافة واللغات المحلية."

Angelov, A.B. *Conversion and Empire: Byzantine Missionaries, Foreign Rulers, and Christian Narratives (ca. 300-900)*, PhD diss., The University of Michigan, 2011, 213.

أن القاعدة التي اتبعها أباطرة الرومان في علاقاتهم الدبلوماسية، خاصة مع العرب، كانت إرسال مبعوثين من نفس العرق^(١).

رغم أن إشارة فيلوستورجيوس لديفوس (Διβός) باعتبارها موطن ثيوفيلوس تبدو غامضة ومثيرة للجدل بين الباحثين الحديثين، خاصة أنه لم يحدد موقعها، إلا أن نعتة بالهندي (Ivδός) يمكن تفسيره لصالح أصله العربي الجنوبي. فقد استخدمت المصادر الكلاسيكية هذه التسمية للإشارة إلى شعوب مختلفة، وتحديداً الهنود، والإثيوبيين [الأحباش]، وسكان جنوب شبه الجزيرة العربية^(٢). وعلى نحو مماثل، تشير معظم النصوص المتعلقة بالتبشير في جنوب الجزيرة العربية إليها باسم الهند فقط. يشير جيروم (٣٤٧ - ٤٢٠م) إلى بانطائينوس (Pantaenos)، الذي "أرسله ديميتريوس أسقف الإسكندرية إلى الهند، حيث وجد أن برثولماوس (Bartholomew)، أحد الرسل الاثني عشر، كان قد بشر بمجيء المسيح وفقاً لإنجيل متى بين الهنود المعروفين باسم "السعداء" [Ivδοῖς τοῖς καλουμένοις Eὐδαίμοσιν]، وعند عودته إلى الإسكندرية أحضر معه هذا الإنجيل مكتوباً باللغة العبرية"^(٣). من المرجح أن صفة "السعداء" [Eὐδαίμοσιν] هنا تشير إلى Arabía Eὐδαίμων [Arabia Eudaímōn] إلى بلاد العرب السعيدة وهو اسم آخر استخدمه الكتاب

(١) في القرن السادس، على سبيل المثال، تخصصت عائلة يوفراسيوس Euphrasius في البعثات الدبلوماسية مع العرب. وفي سنة ٥٠٢م خرج في سفارة للتفاوض مع الحارث الكندي [أريثاس]. وفي عام ٥٢٤م، خرج ابنه إبراهيم في سفارة إلى المنذر. وفي سفارة أخرى عام ٥٢٨م إلى قبائل كندة ومعان. أخيراً شارك الحفيد نونسوس Nonnosos في سفارة إلى قيس Kaisus عام ٥٣١م. عبد العزيز رمضان: معايير اختيار المبعوثين الدبلوماسيين في العصر البيزنطي الباكر، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، جامعة القاهرة، ٢٠١٦م، ص ٥٩-٦٠.

(٢) استخدمت المصادر الكلاسيكية، بدءاً من هوميروس وهيرودوتس فصاعداً، مصطلح «الهنود» للإشارة إلى هذه الشعوب. انظر:

Nadeau, J.Y. "Ethiopians", *Classical Quarterly* 20(1970): 339-349; Dihle, A. "The Conception of India in Hellenistic and Roman Literature", *Proceedings of the Cambridge Philological Society* 190= new ser. 10(1964): 15-23. This tradition was inherited by early Byzantine sources. See: Mayerson, Ph. "A Confusion of Indias: Asian India and African India in the Byzantine Sources", *Journal of the American Oriental Society* 113, no.2 (Apr.-Jun., 1993): 169-174; Schneider, P. *L'Éthiopie et l'Inde: Interférences et confusions aux extrémités du monde antique (VIIIe siècle avant J.-C.-VIe siècle après J.-C.)*, École française de Rome, 2004.

(3) Hieronymus. *De Viris Illustribus, Liber ad Dextrum*, PL 23, cols. 683-686; Eng. trans. E.C. Richardson, in: *Nicene and Post-Nicene Fathers*, ed. Ph. Scaff, New York, 1893, vol.3, ch. xxxvi.

الكلاسيكيون للإشارة إلى جنوب شبه الجزيرة العربية^(١). ويصف فيلوستورجيوس نفسه الهنود الذين زارهم ثيوفيلوس قائلاً: "كان المنتمون إلى هذا الشعب الهندي يُسمون قديماً بالسبتيين، نسية لعاصمتهم سبأ، بينما يُعرفون اليوم بالحميريين^(٢)". [τὰ νῦν δὲ Ὀμερίας καλεῖσθαι]

وقدّمت اقتراحات مختلفة مفادها أن جزيرة ديفوس ربما المقصود بها جزر المالديف^(٣) أو جزيرة سقطرى^(٤) أو سيلان^(٥) أو جزيرة أخرى في البحر الأحمر^(٦). إلا أن لانا لانكينا (Anna Lankina) وجهة نظر أخرى تبعد عن هذه الاقتراحات، وهي أن ثيوفيلوس لم يُسمى بـ "الهندي" إلا لأن فيلوستورجيوس أشار إليه على هذا النحو، وأن هذا اللقب ربما ظهر نتيجة لارتباط ثيوفيلوس بالمناطق التي ذهب إليها كمبشر^(٧).

(١) انظر مثلاً:

Pliny HN, 5.12.65; 6. 31. 38; 12. 30. 51. Text edition used here is: Pliny, *Natural History* ed. with an English translation. H. Rackham, 10 vols. [LCL], Harvard University Press 1986-1999; Kosmas Indicopleustes *Christian Topography* III, 66, 2-3, ed. Wanda Wolska-Conus, *Cosmas Indicopleustes, Topographie Chretienne*, I-III, Paris 1968-1973, [Sources Chrétiennes 141, 159, 197] vol. I, 505; Harland, Philip. "Arabians: Agatharchides and Diodoros on peoples of Arabia Felix on the eastern coast of the Red Sea (second-first centuries BCE)," *Ethnic Relations and Migration in the Ancient World*, last modified May 7, 2023, <https://philipharland.com/Blog/?p=13760>

(2) Philostorgius, *Church History*, 22.; Greek: Phiostorgius, *Kirchengeschichte*, 18.

(3) Philostorgius, *Church History*, p.40; Fiaccadori, G. "Teofilo Indiano," *Studi Classici e Orientali* 33(1984): 295–331, esp.315f.

(4) Klein, R. *Constantius II und die christliche Kirch*, Darmstadt, 1977, 270; Lightfool, C.S. *The Eastern Frontier of the Roman Empire with Special Reference to the Reign of Constantius II*, PhD dissertation, St. John's College, Oxford, 1981, 35 n.105; Trimmingham, J.S. *Christianity among the Arabs in Pre-Islamic Times*, London, New York, 1979, 291. For the proposal of either the Maldives or Socotra, see: Dihle, A. "L'ambassade de Théophile l'Indien ré-examinée," in *L'Arabie préislamique et son environnement historique et culturel: Actes du Colloque de Strasbourg 24–27 Juin 1987*, ed. T. Fahd, Leiden: Brill, 1989, 461; Fernandez, G. "The Evangelizing Mission of Theophilus 'the Indian' and the Ecclesiastical Policy of Constantius II," *Klio* 71 (1989): 361-366, esp.361; Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 98.

(5) Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 97.

(٦) يرى بعض الباحثين تشابهاً بين اسمي جزيرة ديفوس وضبا Dībā على ساحل البحر الأحمر شمال غربي المملكة العربية السعودية. إلا أنه من الصعب تصور أن ثيوفيلوس أبحر من جنوب الجزيرة العربية إلى الشمال

ثم عاد مرة أخرى ليعبر إلى الحبشة. انظر المناقشة الموسعة: 300f. Fiaccadori, "Teofilo Indiano",

(7) Lankina, *Reclaiming the Non-Nicene Past*, 10 n.8

ويبدو رأي لانكينا وجيهاً، غير أن وصف فيلوستورجيوس لديفوس بأنها موطن ثيوفيلوس، عندما يقترن بإشارة المؤرخ أميانوس مارسيلينوس في القرن الرابع، "لقد تنافست الأمم الهندية حتى الديفيين (Divi) والسيرنديفين (Serendivi) في إرسال رجالهم البارزين بالهدايا"، قد يشير إلى الأصل الهندي [العربي الجنوبي] لثيوفيلوس^(١).

لعل هذا يؤيده ما ذكره اللاهوتي الكبادوكي غريغوريوس النيصي (٣٢٥-٣٩٤م) في كتابه الجدلي "ضد يونوميوس" (Contra Eunomium)، حيث يصف ثيوفيلوس بأنه بليمي (Βλεμμις)، وينسبه إلى قبيلة البليميين البدوية^(٢). وقد استوطنت هذه القبيلة خلال الفترة بين القرنين الرابع والسادس في وادي النيل بجنوب مصر، في المنطقة الواقعة بين الجندين الأول والخامس، وانتشرت شرقاً عبر الصحراء الشرقية المجاورة لهذه المنطقة حتى ساحل البحر الأحمر^(٣). وعلى هذا فإن رواية غريغوريوس النيصي قد تمثل دليلاً إضافياً على ارتباط ثيوفيلوس بجزيرة أو منطقة ما على ساحل البحر الأحمر^(٤).

- (1) [inde nationibus Indicis certatim cum donis optimates mittentibus ante tempus ab usque Divis et Serendivis.]. Ammianus Marcellinus, *Res Gestae*, trans. J.C. Rolfe, vol. II, [Loeb Classical Library], London, 2000, 212-213.
- (2) Gregory of Nyssa, *Contra Eunomium I*, ed. M. Brugarolas, Brill: Leiden, Boston, 2018, 81.[=PG 82, col. 1072].
- (3) Christides, V. "Ethnic Movements in Southern Egypt and Northern Sudan: Blemmyes-Beja in Late Antique and Early Arab Egypt until 707 A.D.", *Listy Filologické* 103, no.3(1980): 129-143; Barnard, H., "Additional Remarks on Blemmyes, Beja and Eastern Desert Ware", *Egypt and the Levant: International Journal for Egyptian Archaeology and Related Disciplines* 17(2007): 23-31.

(٤) حول سيطرة البليميين على أجزاء من ساحل الصحراء الشرقية على البحر الأحمر منذ القرن الثالث الميلادي، انظر: Thomas, R.I. "Port Communities and the Erythraean Sea Trade", *British Museum Studies in Ancient Egypt and Sudan* 18(2012): 169-199, esp. 171. يقترح فرانك م. سنودن Frank M. Snowden أن غريغوريوس النيصي يشير هنا إلى أصل ثيوفيلوس الحبشي.

suggests that Gregory of Nyssa is referring here to Theophilus' Abyssinian origin. Snowden, F.M. *Blacks in Antiquity: Ethiopians in Greco-Roman Experience*, Harvard University Press, 1970, 208. في حين يرى جيانفرانكو فياكدوري Gianfranco Fiaccadori أن تسمية ثيوفيلوس بـ «Βλεμμις» كانت لأنه كان أريوسياً يتبع يونوميوس، ولأن غريغوريوس خصص كتابه خصيصاً لمهاجمة هذه الطائفة، كان من الطبيعي أن يسعى إلى إهانة ثيوفيلوس وربطه بالبليميين الوثنيين الذين اشتهروا في ذلك الوقت باللصوصية. أي أن هدف غريغوريوس هو الوصف في حد ذاته، وليس الانتماء. Fiaccadori, G. "Teofilo Indiano: Parte II. Il Viaggio", *Studi Classici e Orientali* 34(1985): 271-307, esp. 289-290.

ويشير فيلوستورجيوس إلى أن "ثيوفيلوس، بعد أن حسم المسائل المختلفة مع الحميريين بقدر ما كان ذلك ممكناً في كل حالة، أبحر إلى جزيرة ديفا Diva، التي قيل إنها كانت موطنه. ومن هناك ذهب إلى بقية البلاد الهندية"^(١). ويشير فيلوستورجيوس أيضاً إلى أن المحطة التالية في مهمة ثيوفيلوس، بعد مغادرة "بلاد العرب الكبرى" (Arabia Magna)، هي أنه "أبحر إلى أرض أولئك الإثيوبيين الذين يُطلق عليهم اسم الأكسوميين (Aksumites)، والذين يعيشون على طول شواطئ البحر الأحمر الأكثر قرباً"^(٢). وعلى ذلك؛ يمكن القول بدرجة من الاطمئنان أن "جزيرة ديفوس" التي ذكرها فيلوستورجيوس هي إحدى جزر البحر الأحمر الواقعة بين ساحل الجزيرة العربية الجنوبي، أو على الأقل بالقرب منه، والساحل الأفريقي.

يدعم هذه الفرضية أيضاً حقيقة أن ثيوفيلوس على الأرجح اتبع الطريق المعتاد للتجار والمبعوثين الرومان للوصول إلى أكسيوم [الحبشة]؛ فوفقاً لمؤرخ القرن السادس يوحنا مالالاس (John Malalas): "يوجد إمبراطور الأكسوميين (Axoumitai) في الداخل أكثر من الحميريين (Homeritai)، بينما يوجد إمبراطور الحميريين بالقرب من مصر. ومن خلال بلاد الحميريين يصل التجار الرومان إلى أكسيوم والإمبراطوريات الهندية في الداخل"^(٣). وثمة شاهد آخر قد يتصل بمهمة ثيوفيلوس نفسها، ربما يدعم سفره على نفس الطريق. إنه مرسوم أصدره الإمبراطور قسطنطينيوس (Constantius) إلى الحاكم البرايتوري موسونيانوس (Musonianus) [في عام ٣٥٦ م] بشأن مبعوثيه في الإسكندرية المتجهين إلى الأكسوميين والحميريين^(٤). وعلى ذلك، من الممكن أن

(1) Philostorgius, *Church History*, 42.

(2) Philostorgius, *Kirchengeschichte*, p.35; Eng. trans. Philostorgius, *Church History*, p.43. [Ἐκ δὲ ταύτης τῆς μεγάλης Ἀραβίας εἰς τοὺς Αὐξουμίτας καλουμένους ἀπαίρει Αἰθίοπας, οἱ κατὰ τὰς πρώτας ὄχθας κατφεκνται τῆς ῥυθρᾶς θαλάσσης.].

(3) John Malalas, *The Chronicle*, trans. E. Jeffreys and R. Scott, Byzantina Australiensia 4, Brill: Leiden, Boston, 2017, 251.

وفيما يتعلق بالسفراء يشير ملالاس [ص ٢٦٨] إلى إحدى السفارات، فيقول: "أبحر السفير الروماني إلى الإسكندرية ووصل إلى الأراضي الهندية عن طريق النيل والبحر الهندي"

(4) *The Theodosian Code and Novels and the Sirmondian Constitutions*, trans. C. Pharr, New York, 1969, p.380. [... nullus ad gentem axumitarum et homeritarum ire praeceptus ultra annui temporis spatia debet alexandriae de cetera demorari nec post annum percipere alimonias annonarias.].

[لا يجوز لأي شخص مأمور بالذهاب إلى قبيلة الأكسوميين أو الحميريين أن يبقى في الإسكندرية بعد عام من الفترة الزمنية المحددة].

نتخيل أن مهمة ثيوفيلوس بدأت من مصر إلى جنوب الجزيرة العربية، ثم إلى أحد الموانئ أو الجزر المقابلة لها على الساحل الأفريقي، ومن هناك إلى الحبشة.

وبحسب فيلوستورجيوس، كان الهدف النهائي لهذه السفارة هو تحويل سكان جنوب الجزيرة العربية إلى المسيحية. ويقول إن الإمبراطور قسطنطيوس "خطط لكسب زعيم الشعب من خلال روعة وعدد هداياه، وبالتالي إتاحة الفرصة لغرس بذور الإيمان فيه. كما طلب أن يُسمح ببناء كنيسة للرومان الذين يسافرون إلى هناك ولأي شخص من السكان المحليين قد يتحول إلى الإيمان. ومنح السفارة مبلغاً سخياً لتكلفة البناء"^(١). ويبدو أن فيلوستورجيوس وجد أن مجرد الإشارة إلى هدايا الإمبراطور الروماني ليس كافياً لجذب حاكم الجنوب نحو المسيحية، لذلك شرع في إشارة لاحقة إلى تقديم تفاصيل هذه الهدايا: "قام قسطنطيوس بتجهيز السفارة على نحو فخم وبأقصى قدر من الروعة، حيث أرسل معها مائتي حصان من أفضل سلالات الخيول من كبادوكيا تم نقلها على متن سفن مصممة لنقل الفرسان، بالإضافة إلى العديد من الهدايا الأخرى المعدة لإثارة الدهشة من فخامة هذه الهدايا وإبهار الناظر إليها"^(٢).

لعل الحرص على تسجيل هذه التفاصيل يشير إلى رغبة فيلوستورجيوس في إظهار مدى اهتمام الإمبراطور الروماني بتحقيق هدفه من المهمة، أو الترويج له باعتباره "مبشراً" لا يبخل بما هو غال ونفيس من أجل نشر المسيحية^(٣). ولعل هذا كان أيضاً مقدمة للهدف الذي سعى فيلوستورجيوس لاحقا إلى التلميح إليه، وهو أن هذه الهدايا، على كثرتها وتعددتها -مقارنة بالمغريات الأخرى الكامنة في المسيحية ذاتها - لم تكن العامل الفعال في جذب حاكم الجنوب إلى المسيحية. ولكي يمهد الطريق لدعايته

(1) Philostorgius, *Church History*, 40.

(٢) Philostorgius, *Church History*, 40-41. يعلق عرفان شهيد على هذه الهدايا قائلاً: "كانت مائتا حصان كبادوكي هدية مبتكرة ومناسبة لشعب بقدر الخيل". ويشير الباحثون إلى وجود صلة قوية بين هذه الهدايا وحصان برونزي يحمل نقوشاً سبئية محفوظة في مجموعة مؤسسة دمبارتون أوكس في واشنطن Dumbarton Oaks Foundation in Washington. انظر: Jamme, A. "Inscriptions of the Sabaeen Bronze Horse of the Dumbarton Oaks Collection", *Dumbarton Oaks* 315-330; Ryckmans, J. "The Pre-Islamic South Arabian Bronze :Papers 8(1954) Horse in the Dumbarton Oaks Collection", *Dumbarton Oaks Papers* 29(1975), 275-303; Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 88.

(٣) عن واجب الإمبراطور كمبشر، انظر بشكل عام:

Christou, P., "The Missionary Task of the Byzantine Emperor", *Byzantina* 3(1971): 279-286

الدينية اللاحقة في تمجيد الأثر المسيحي - المتجسد في شخص الأسقف ثيوفيلوس - في تنصير حاكم الجنوب، يتوقف فيلوستورجيوس عند فقرة ينتقل فيها إلى الحديث عن أصل وتدين ثيوفيلوس وكيف اختار الحياة الزهدية، وترقى في الرتب الكهنوتية، حتى رُسم أسقفًا عند اضطراره بالمهمة^(١).

يستأنف فيلوستورجيوس الحديث عن ظروف لقاء ثيوفيلوس بالحاكم الحميري فيقول: "عندما وصل ثيوفيلوس إلى السبئيين، حاول إقناع حاكمهم بعبادة المسيح ونبذ الخطأ الوثني. والآن حاول اليهود بطريقتهم المعتادة مقاومته، غير أن ثيوفيلوس عندما أظهر بأعماله العجيبة في أكثر من مناسبة مدى قوة الإيمان المسيحي، تقلصت المعارضة ولجأت، وإن كان ذلك على مضض، إلى الصمت التام"^(٢). يشير هذا النص بوضوح إلى أنه على الرغم من وثنية الحاكم وشعب الجنوب، إلا أن اليهود كانوا يتمتعون بنفوذ قوي وشكلوا مجموعة ضغط داخل البلاط، لدرجة تدخلهم المباشر لعرقلة مهمة ثيوفيلوس. ربما أراد فيلوستورجيوس أن يوضح سبب اتخاذ اليهود - وليس الوثنيين - لهذا الموقف من خلال الإشارة المستترة إلى عدائهم التقليدي للمسيحية. ومن المفهوم أيضاً من النص أن ثيوفيلوس خاض نقاشاً دينياً مع خصومه اليهود، وإن لم يذكر ذلك صراحة، وأنه نجح بفضل قدراته الخاصة كأسقف - أو كما يشير النص، بفضل "أعماله العجيبة" - في تحقيق النصر للمسيحية وتأكيد تفوقها. والواقع أن هذه الدعاية، بما تحمله من معجزات، كانت نمطاً مألوفاً في الروايات الرومانية المتأخرة عن التنصير^(٣). وكما يشير عرفان شهيد: "لقد قطعت المعجزات التي قام بها ثيوفيلوس أثناء مهمته في جنوب الجزيرة العربية شوطاً طويلاً في تحويل حاكمه إلى المسيحية. وكان المبشر المتحمس المتسلح بموهبة صانع المعجزات، فعالاً بشكل خاص كأداة لتنصير البرابرة"^(٤).

(1) Philostorgius, *Church History*, 40.

(2) Philostorgius, *Church History*, 41.

(٣) استُخدم نفس النمط في الروايات المتعلقة بالتنصير بين عرب شمال الجزيرة العربية. فقد نُسب اعتناق العديد من العرب هناك للمسيحية خلال القرن الخامس الميلادي إلى المعجزات العلاجية التي قام بها القديسان يوثيميوس Euthymius وشمعون العمودي Simeon the Stylite. Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 89 n.55. وعن دور المعجزات في تحويل الملكة العربية ماوية Mavia/ Mauia إلى المسيحية، انظر: Sozomen, *History of the Church*, 307-310. حول استخدام المعجزات كأداة للتنصير في أواخر العصر الروماني، خاصة بين الحكام الأجانب، انظر: Angelov, *Conversion and the Empire*, 10, 64, 100, 125, 131, 133.

(4) Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 89.

رغم أن الغرض الأصلي للإمبراطور قسطنطينوس من المهمة كان تحويل حاكم الجنوب إلى المسيحية وبناء كنيسة للمسافرين الرومان ولأي من السكان المحليين الذين قد يعتنقون المسيحية، فإن ما حققه ثيوفيلوس كان أبعد من ذلك بكثير. وفي هذا الصدد، يقول فيلوستورجيوس: "كانت سفارته ناجحة؛ فقد تحول حاكم الأمة إلى الإيمان بكل إخلاص، وبنى ليس كنيسة واحدة بل ثلاث كنائس في بلاده. ولم يفعل ذلك من الأموال الإمبراطورية التي جلبتها السفارة، بل من خلال ما تبرع به هو بنفسه بحماس؛ وقد تأثر بأعمال ثيوفيلوس إلى الحد الذي جعله حريصاً على منافسة حماسه. فبنى إحدى [هذه] الكنائس في عاصمة الأمة بأكملها، والمعروفة باسم تافرون (Tapharon) [ظفار]. والكنيسة الأخرى في مركز السوق الروماني، باتجاه المحيط الخارجي. في المكان المعروف باسم عدن، وهو المكان الذي اعتاد المسافرون من الأراضي الرومانية النزول فيه. وكانت الكنيسة الثالثة تقع في الجزء الآخر من البلاد، حيث يوجد مركز سوق فارسي معروف عند مصب الخليج الفارسي هناك" ^(١).

ثمة جدل علمي حول مدى التغيير الديني الذي أحدثته مهمة ثيوفيلوس في جنوب الجزيرة العربية. يعتقد أكثر الباحثين أن هذه الكنائس الثلاث كانت مخصصة للتجار والمقيمين الأجانب في المقام الأول وليس للسكان المحليين. ويقترح أميدون Amidon - مترجم نص فيلوستورجيوس من اليونانية إلى الإنجليزية - أن "الكنائس الثلاث كانت تقع في العاصمة وفي مركزين ساحليين، حيث يعيش الأجانب المقيمون" ^(٢). ويقترح كريستيان روبن (Christian Robin) أن الهدف الواضح من بناء هذه الكنائس هو أن تكون وجهة للأجانب العابرين ^(٣). ويتجه كل من ألبريشت ديل (Albrecht Dihle) وفرانسوا شاتونيه (Françoise Chatonnet) إلى التشكيك في رواية فيلوستورجيوس لكونها لم تصل إلينا من خلال أي مصدر آخر ^(٤). ويتابع شاتونيه قائلاً: "إذا افترضنا

(1) Philostorgius, *Church History*, 41.

(2) Philostorgius, *Church History*, 41 n.10.

(3) Robin, Ch.J. "Najrān vers l'époque du massacre: notes sur l'histoire politique, économique et institutionnelle et sur l'introduction du Christianisme", in *Le massacre de Najrān II: juifs et chrétiens en Arabie aux Ve et Vie siècles regards croisés sur les sources*, ed. J. Beaucamp et al., Paris, 2010, 64-106, esp.64; Idem, "Le judaïsme de Himyar", *Arabia* 1(2003): 97-172, esp.103-104.

(4) Dihle, "L'ambassade de Théophile", 467; Chatonnet, F.B. "L'expansion du christianisme en Arabie: l'apport des sources syriaques", *Semítica et Classica* 3(2010): 177-187, esp.183.

أي أساس حقيقي لهذه القصة، فسيبدو أن أماكن العبادة الشار إليها كانت للتجار المسيحيين الأجانب المقيمين بشكل مؤقت في البلاد وليس لتلبية احتياجات المسيحيين المحليين^(١).

يبدو هذا الطرح وجيهًا فيما يتعلق بكنيستي عدن وهرمز، وهما ميناءان تقرر طبيعتهما التجارية صعوبة اكتشاف درجة تغير الوضع الديني فيهما، مع الوضع في الاعتبار أن كنائسهما كانت مخصصة للتجار الأجانب الذين كانوا مسيحيين في الأصل، إلا أن وجود كنيسة ثالثة في العاصمة الحميرية ظفار، مخصصة - بحسب رواية فيلوستورجيوس - للحاكم المسيحي الجديد وشعبه، يثير تساؤلات حول التأثير الديني لمهمة ثيوفيلوس في الداخل الحميري. وهذا يدعونا إلى مناقشة ما سجلته المصادر المسيحية الشرقية الأخرى، خاصة تاريخ يوحنا النقيوسي (John of Nikiu) (بعد ٦٨٠-٦٩٠ م)، عن ظهور المسيحية في جنوب الجزيرة العربية.

٢- الراهبة الأسيرة ثيوغنوستا Theognosta :

تتفق روايتان مصدريتان لاحقتان، من القرنين السابع والثامن الميلاديين، ورغم اتساقهما بالتشوش والغموض، على أن ظهور المسيحية في جنوب الجزيرة العربية تم على يد أسيرة أنثى. أول هاتين الروايتين يقدمها لنا التاريخ الزوكتين السرياني، الذي تم تأليفه عام (٧٧٥م)، في شكل إشارة بالغة الإيجاز تنص على أنه "في سنة ستمائة وستة عشر (٣٠٤/٣٠٥م): تقبل أهل حمير إيمان المسيحيين عبر أسيرة"^(٢). وفي الرواية الثانية، الأكثر تفصيلاً وقابلية للتحليل، يصف يوحنا أسقف نقيوس ظهور المسيحية في جنوب الجزيرة العربية على النحو التالي: "... بعد وفاته [الإمبراطور قنسطانز Constans]، عرف شعب اليمن الله، واستناروا بتسبيح المسيح عن طريق قديسة اسمها ثيوغنوستا. وهي عذراء مسيحية أخذت أسيرة من دير على حدود الإمبراطورية الرومانية، وسيقت إلى ملك اليمن وقدمت له كهدية. وأصبحت هذه المرأة المسيحية غنية جدًا بنعمة الله وأجرت معجزات علاجية كثيرة. وأدخلت ملك الهند إلى

(1) Chatonnet, "L'expansion du christianisme", 183.

(2) *The Chronicle of Zuqninn, Parts I and II. From Creation to the Year 506/7 AD*, ed. & trans. A. Harrak, Gorgias Press, 2017, 252.

تقدم لنا الحولية المنحولة لديونيسيوس التلمحري نفس الإشارة الموجزة:

Nau, F. "Analyses des parties inédites de la chronique attribuée de Denys de Tellmahre", *Revue de l'Orient chrétien* 2 (1897): 49.

الإيمان، وصار بها مسيحياً مثله مثل جميع أهل الهند. ثم طلب ملك الهند ورعاياه من الإمبراطور المحب لله هونوريوس (Honorius) أن يكرس لهم أسقفًا. وابتهج بفرح عظيم لأنهم آمنوا ورجعوا إلى الله، فأقام لهم أسقفًا قديسًا اسمه ثيونوس (Theonius)... وهكذا كان الحال أيضًا في الهند، الهند الكبرى، لأن رجال ذلك البلد كانوا قد استقبلوا قبلاً رجلاً اسمه (أفروديت Afrūdīt) (فرومنتوس Frumentius). وكان نبيل المولد من بلاد الهند وجعلوه أسقفًا عليهم، بعد أن كرسه ورسمه أثاناسيوس الرسولي (Athanasius the apostolic) بطريك الإسكندرية^(١).

في دراستها عن النساء الأسيرات والتحول إلى المسيحية على الحدود الرومانية الشرقية، تناقش أندريا ستيرك (Andrea Sterk) قصة ثيوجنوستا في سياقها الأسطوري، إلى جانب حالتين أخريين تنتميان إلى أرمينيا وجورجيا^(٢)، كنموذج للتاريخ من الأسفل. وخلصت إلى أن "روايات المبشرات الأسيرات قد تخبرنا المزيد عن المفاهيم الشعبية والحقائق الملموسة للتبشير أكثر مما تم الاعتراف به عادةً في التبشير بالمسيحية كأداة للإمبريالية الرومانية والبيزنطية المتأخرة"^(٣). ومع ذلك، فإن طبيعة هذه الروايات دفعت ستيرك إلى الاعتراف بأنه "بسبب الجودة الأسطورية أو الرومانسية لهذا الموضوع، مال المؤرخون إلى إهمال مثل هذه الروايات؛ ومن المؤكد أنها، على أحد المستويات، لا تأخذنا بعيداً في كشف التفاصيل التاريخية لتتصير هذه الأمم^(٤). وعلى النقيض من هذا الطرح، أرى أنه في حالة جنوب شبه الجزيرة العربية، قد تقودنا دراسة قصة ثيوجنوستا في سياق الروايات التبشيرية المرتبطة بالمنطقة، خاصة تلك المتعلقة بثيوفيلوس الهندي، إلى استنتاج بعض أوجه التشابه المذهلة حول ظهور المسيحية هناك.

(1) *The Chronicle of John, Bishop of Nikiu Translated From Zotenberg's Ethiopic Text*, trans. R.H. Charles, Oxford, 1916, 69-70.

(٢) تدور أحداث إحدى القصتين الأخريين حول امرأة رومانية مسيحية ريسيم Rhipsime، هربت من روما إلى أرمينيا في عهد الإمبراطور دقلديانوس، حيث أسرها الملك الأرمني الوثني تردات Trdat، فقتلته بأحدى معجزاتها. أما القصة الثانية بتعلق بأسيرة جورجية أذهلت «البرابرة» بزهداها ومعجزاتها ومن بينها شفاء الملكة. وأخيراً، نجحت بإحدى معجزاتها في تحويل الملك والأمة بأكملها. وبناءً على نصيحته، تم إرسال سفارة إلى الإمبراطور قسطنطين Constantine تطلب كهنة لتعليم الجورجيين عقيدتهم الجديدة. Sterk, "Mission from Below", 1-39.

(3) Sterk, "Mission from Below", 39.

(4) Sterk, "Mission from Below", 29-30.

على الرغم من المسحة الهجوجرافية [مسحة سير القديسين ومعجزاتهم] الواضحة لهذه القصة، مثل العديد من قصص التنصير التي ترجعه إلى المعجزات التي قام بها المبشر، إلا أنها تتفق مع رواية فيلوستورجيوس في عدة جوانب. تدور أحداث كلتا القصتين في عهد الإمبراطور قسطنطيوس الثاني. يبدأ يوحنا النقيوسي روايته بوضع الأحداث مباشرة بعد وفاة الإمبراطور قنسطانز (Constans) (٣٢٧-٣٥٠ م). كما تشير القصة إلى تأثير روماني متأخر واضح في ظهور المسيحية في جنوب الجزيرة العربية، وإن استبدلت شخصية المبشر ثيوفيلوس بالراهبة الأسيرة. والأهم من ذلك أن الروايتين تخبرنا أن الملك الحميري اعتنق المسيحية وأنشأ دور للعبادة. وكانت رواية فيلوستورجيوس أكثر تحديداً بالإشارة إلى إنشاء ثلاث كنائس في عدن وظفار وعند مصب الخليج الفارسي (العربي). وتتناغم ضرورة وجود تنظيم كنسي وهيئة كهنوتية في هذه الكنائس مع رواية يوحنا النقيوسي بشأن طلب الملك الجنوبي من الإمبراطور [الروماني] إرسال أسقف للإشراف على هذه المؤسسة الكنسية الناشئة، على الأرجح في كنيسة العاصمة من ظفار.

بوصفه أسقف قبلي بعيد عن جنوب الجزيرة العربية، وكتب بعد أكثر من ثلاثة قرون من الأحداث، فإن ارتباك يوحنا النقيوسي في تحديد شخصيات رواياته قد يلقي بظلال من عدم الموثوقية عليها. إنه يذكر هونوريوس الذي حكم من عاصمة الغرب الروماني في الفترة (٢٩٥ - ٤٢٣ م)، كإمبراطور معاصر طلب منه ملك الجنوب تعيين أسقف. هناك فجوة زمنية مداها نصف قرن بين تاريخ وفاة الإمبراطور قنسطانز واعتلاء الإمبراطور هونوريوس. كما أن المسافة البعيدة بين رافنا وظفار لا تجعل من الممكن تصور وجود علاقات وثيقة بين العاصمتين. كذلك فإن جميع الأدلة المصدرة، بما في ذلك فيلوستورجيوس، تشير بما لا يدع مجالا للشك إلى أن شبه الجزيرة العربية كانت مجالاً حيواً لاهتمام أباطرة الشرق وليس الغرب. وقد أشارت ستيك Sterk بالفعل إلى أن جنوب الجزيرة العربية لم يحظ بعلاقات دبلوماسية مهمة مع الغرب، وكان يقع كنسياً وسياسياً بين مملكة أكسيوم في إثيوبيا والإمبراطور الروماني الشرقي في القسطنطينية، لكنها فسرت ذلك على أنه "في ضوء النضال من أجل الاستقلال عن كل من أكسيوم وبيزنطة، ليس من المستغرب أن يحاول الملك التنصل من السلطات القريبة من وطنه"^(١). وهنا، تقبل ستيك صحة هوية الإمبراطور التي حددها يوحنا النقيوسي، متجاهلة تماماً رواية فيلوستورجيوس، التي تشير إلى إلى مهمة ثيوفيلوس

(1) Sterk, "Mission from Below", 26-27.

كأول محاولة رومانية شرقية لتنصير الجنوب في عهد قسطنطيوس، وبعد وفاة أخيه قسطنانز، وتقتراح بدلاً من ذلك فرضية غير موثوقة مفادها أن الملك الجنوبي سعى إلى إبعاد نفسه عن كل من بيزنطة وأكسيوم، رغم أنه من المنطقي أن فيلوستورجيوس، المعاصر للحدث الذي يسجله، قد يكون أكثر مصداقية ودقة من يوحنا النقيوسي، الذي سجل روايته بعد الحدث بأكثر من ثلاثة قرون.

مع ذلك، قد تحتوي رواية يوحنا النقيوسي على مضامين تشير إلى توقيت الحدث وتؤكد تشوش روايته في تحديده بدقة. بالإضافة إلى إشارته التمهيدية "بعد وفاته" [أي وفاة الإمبراطور قسطنانز]، فإنه يقدم ملاحظة أخيرة لحدث سابق - سجلته مصادر معاصرة أخرى - بقوله إن شعب الهند الكبرى [أكسيوم] استقبل قبلاً رجلاً نبيل المولد اسمه أفروديت (فرومنتيوس) وجعلوه أسقفاً لهم، بعد أن عيّنه ورسمه أثناسيوس الرسولي بطريك الإسكندرية^(١). ويبدو أن إشارة يوحنا النقيوسي غير المتوقعة لفرومنتيوس في سياق حديثه عن دخول المسيحية إلى جنوب الجزيرة العربية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بإحدى المهام التي عهد بها الإمبراطور قسطنطيوس الثاني إلى ثيوفيلوس الهندي، وهي تسليم رسالة إلى ملك أكسيوم عيزانا (Ezana)، يطلب فيها استبدال فرومنتيوس (النقيي) بثيوفيلوس الهندي (الأريوسي)، وإرسال فرومنتيوس إلى الإسكندرية ليرجع عن عقيدته ويقومها بتبني المذهب الأريوسي، وهو الطلب الذي رفضه الملك الأكسومي^(٢). ومن المحتمل أن العلاقة الوثيقة بين كنيسة الإسكندرية وأكسيوم دفعت يوحنا النقيوسي - كما تشير ستيرك - إلى تجريد الإمبراطور الأريوسي قسطنطيوس الثاني من فضل تنصير ملك الجنوب وشعبه ونسب ذلك إلى شخصية أخرى. ويبدو في نسج ملامح هذه الشخصية أنه تأثر بنموذج فرومنتيوس. وبحسب مؤرخي الكنيسة في القرنين الرابع والخامس، فإن فرومنتيوس - مثل الراهبة ثيوجونوستا - كان أسيراً من صور، تم اقتياده إلى ملك أكسيوم الشاب عيزانا، وسرعان ما نال ثقته، ونجح بمعجزاته في جذب الملك وشعبه إلى المسيحية^(٣).

(1) *Chronicle of John of Nikiu*, 69-70.

(٢) ونص هذه الرسالة محفوظ في PG [Athanasius's *Apologia ad Imperatorem Constantium*, 25, cols. 593f]. ويبدو أن فشل مهمة ثيوفيلوس في أكسيوم دفع فيلوستورجيوس - خلافاً لتناوله حالة جنوب الجزيرة العربية - إلى تجاهل توضيح طبيعة مهمته هناك، واكتفى بإشارة مختصرة جداً قائلاً: "لقد قام وصل إلى أكسيوم، وتولى الأمور هناك، ثم عاد إلى الإمبراطورية الرومانية." Philostorgius, *Church History*, 43

(٣) وفقاً لبقيّة القصة، استخدم فرومنتيوس تأثيره لنشر المسيحية. وشجع التجار المسيحيين الأجانب على ممارسة طقوسهم علناً، ونجح في تنصير عدد من السكان المحليين. ثم سافر إلى الإسكندرية وطلب

رغم الميل إلى افتراض فرومنتيوس، أو حتى ثيوفيلوس، كنموذج أثر على رواية يوحنا النقيوسي، يبدو أن نمط الأسير المبشر قد ساد على الحدود والمناطق الرومانية الشرقية. بل بما أنه أسقف قبطي، فمن المرجح أن نموذج له للراهبة الأسيرة كان أكثر تأثيراً بالتقليد القبطي. وحسب رواية السنكسار القبطي، كانت ثيوجونستا عذراء رومانية مسيحية "معاصرة للإمبراطورين الصالح هونوريوس وأركاديوس". تم أسرها من قبل مبعوث ملك الهند إلى الإمبراطورين أثناء رحلة عودته إلى الوطن، وأصبحت رئيسة خدم الملك وزوجاته. وفي وقت لاحق، حولته هو وشعبه إلى المسيحية على نحو إعجازي^(١).

٣- الأسقف بولس القنطوسي Paul of Qentōs والقس يوحنا الرهاوي John of Edessa

والتأثير على الرواية العربية :

من بين الروايات الهجيوجرافية [المنتمية إلى نمط سير القديسين ومعجزاتهم]، يزودنا كاتب "تاريخ الأعمال العظيمة للأسقف بولس من قنطوس والقس يوحنا الرهاوي" بقصة أخرى عن رجلي دين أسيرين نسب إليهما دوراً رئيساً في تنصير الحميريين بجنوب الجزيرة العربية. وبحسب القصة؛ غادر بولس أسقفيته في إيطاليا عازماً على خبر حياة نسكية في الرها، وهناك تعرف يوحنا على معجزاته وناشده رفقته في أسفاره. وبالفعل غادر الإثنين الرها في زيارة لرهبان جبل سيناء، لكنهما لم يبلغا غايتهما؛ إذ اختطفهما جماعة من العرب "البدو"، واقتادوهما إلى بلاد الحميريين ليكونا قرباناً لشجرتهم المقدسة. وبعد أن نجحت معجزات الرجلين في جذب الكثيرين إلى المسيحية، ومع غضب الملك لذلك، دار نقاش معه انتهى بقدرة الرجلين على إهلاك شجرتهم المقدسة على نحو إعجازي. ونتيجة لذلك أقبل الملك وجميع نبلائه وعامة شعبه على تلقي طقس المعمودية^(٢).

من أسقفها أثناسيوس أن يرسل أسقفًا وبعض الكهنة كمبشرين إلى أكسيوم، لكن أثناسيوس رأى أن فرومنتيوس نفسه هو الأصل لهذه المهمة، فرسمه أسقفًا. عاد فرومنتيوس إلى أكسيوم، ونجح في تحويل الملك عيزانا وبقية شعبه إلى المسيحية.

Sozomen, *History of the Church*, 85-88; Rufinus of Aquileia, *History of the Church*, trans. Ph. R. Amidon, The Catholic University of America Press, Washington, D.C., 2016, 394-396; Socrates Scholasticus, *History of the Church*, London, 1853, 51-52..

وعن تأثير هذه الرواية على نظيراتها الإثيوبية فيما يتعلق بطروف تحول عيزانا إلى المسيحية، انظر: Vila, M. "Frumentius in the Ethiopic Sources: Mythopoeia and Text-Critical Considerations", *Rassegna di Studi Etiopici* - 3rd Serie 1 (2017): 87-111.

- (1) *Coptic Synaxarium*, Lives of Saints, Oxford: Oxford Publishing House, 2006, 35-36.
- (2) *The History of the Great Deeds of Bishop Paul of Qentōs and Priest John of Edessa*, trans. H. Arneson et al., Gorgias Press, 2010, p.50-56.

رغم أن هذه الرواية تحدد تاريخاً مختلفاً لدخول المسيحية جنوب الجزيرة العربية، إلا أن التاريخ المحدد فيها، وهو أوائل القرن الخامس الميلادي، لا يبتعد كثيراً عن مهمة ثيوفيلوس البيزنطية عام ٣٥٦م، أو عن رواية يوحنا النقيوسي بعد ضبط تاريخها بفترة ما بعد وفاة الإمبراطور قنسطانز عام (٣٥٠م). كذلك ثمة قواسم مشتركة تجمع الروايات الثلاث، أهمها أن أبطالها كانوا في الأصل رجال دين أو رهبان، نجحوا بفضل معجزاتهم في تحويل شعب الجنوب وملكهم إلى المسيحية.

يعقد هانز أرنيسون (Hans Arneson) مترجم "تاريخ الأعمال العظيمة" صلة بين قصة كل من بولس ويوحنا والرواية العربية المتداولة في المصادر العربية الإسلامية عن ظروف دخول المسيحية جنوب الجزيرة العربية، وذهب إلى تأثيرها المباشر على القصة التي أوردها الطبري عن ظهور المسيحية في نجران على يد الزاهد الورع "فيميون" صانع المعجزات، ورفيقه "صالح"، اللذان تم أسرهما على يد قافلة من العرب، نقلتهما إلى نجران، حيث تم أيضاً اقتلاع نخلة النجرانيين المقدسة على نحو إعجازي^(١). ويبدو طرح أرنيسون وجيهاً في ظل التماثل الواضح بين القصتين، غير أن هذا الاقتباس الذي يبدو مباشراً وصريحاً لا ينفي تأثيرات أخرى -ربما أقدم- على الرواية العربية نبتت من شيوع نمط "الأسير المبشر" على الحدود العربية-البيزنطية، خصوصاً أن هناك رواية عربية أخرى -سيأتي ذكرها لاحقاً- حملت ذات القواسم المشتركة.

يبدو شيوع هذا النمط ساعد على اقتباسه في العديد من الروايات المسيحية. ورغم أن قصة اعتناق الملكة العربية مافيا/ماويا للمسيحية معروفة وموثقة بالكامل^(٢)، إلا أن ذلك لم يمنع من استعارة التقليد فيها؛ فحسب المؤرخ البيزنطي ثيوفانيس (Theophanes): "في هذا العام [٣٧٦/٣٧٧م] طلبت ماويا، ملكة السراقنة [العرب]، التي ألحقت ضرراً كبيراً بالرومان، الصلح. وطلبت أن يُعيّن موسى، أحد نساك الصحراء، أسقفاً على أولئك السراقنة الذين اعتنقوا المسيحية... يقولون إنها كانت مسيحية ورومانية بالعرق، وبعد أن تم أسرها، أغرت إمبراطور السراقنة بجمالها،

(١) الطبري، محمد بن جرير (ت ٢١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار التراث، بيروت، ١٩٦٧م، ج٢، ص ١٢٠-١٢١. 9. The History of the Great Deeds,

(٢) عن نصير مافيا/ماويا انظر:

Angelov, *Conversion and Empire*, 275-278; Mayerson, P. 'Maui, Queen of the Saracens - A Cautionary Note', *Israel Exploration Journal* 30 (1980): 123-131; Monferrer-Sala, J.P. "New skin for Old Stories: Queen Zenobia and Māwiya, and Christian Arab groups in the Eastern Frontiers during the 3rd-4th Centuries CE", In *Mapping Knowledge: Cross-Pollination in Late Antiquity and the middle Ages*, ed. Ch. Burnett and P. Mantas-España, Córdoba: CNERU-The Warburg Institute, 2014, 72-98.

وهكذا سيطرت على الإمبراطورية" ^(١). وحرص ثيوفانيس هنا على التأكيد على أنه كان ينقل قصة يتداولها البعض، دون الحكم على موثوقيتها. ويبدو أيضاً أنه حرص على عدم الإشارة صراحة إلى تأثير الأسيرة في تنصير الملك وشعبه، وإن بدا أنه يلمح إلى ذلك. لقد بقيت هذه القصة حية في الأذهان حتى القرن الثالث عشر، عندما أدرجها ويخائيل السرياني في تاريخه، وأضاف إليها: "كانت هذه الملكة من أصل روماني، أسرت، وكان ملك العرب يقدرها لجمالها.. ولم تتخل عن إيمانها، وعندما أصبحت ملكة، تحول بفضلها عدد كبير من السكان إلى المسيحية" ^(٢).

من المهم ملاحظة - كما هو واضح في حالات ثيوفيلوس وثيوجونستا وبولس ويوحنا- أن الأسير المبشر فيها اقترن بتأثير واتصال مباشر مع ملوك الجنوب، ومن خلال تنصيرهم تبعهم أهلهم. إن حياة الأسير النسكية ومعجزاته، خاصة معجزات الشفاء، كانت دائماً العامل الحاسم في التحول إلى المسيحية. ومن اللافت للنظر أيضاً أن هذا النمط فيما يبدو أثر في الرواية العربية المتعلقة ببداية المسيحية في الجنوب، وتحديدًا في نجران. وبالإضافة إلى رواية الطبري - المذكورة قبلاً - عن فيميون وصالح، يروي عدد من المصادر التاريخية وكتب السيرة قصة أخرى عن الأسير المسيحي "فيميون" ودوره في ظهور المسيحية بنجران. وقد رووا ذلك عن وهب بن منبه (٦٥٤ - ٧٢٨ م). وينحدر وهب من عائلة يهودية يمنية اعتنقت الإسلام. لقد تعمق في الكتب القديمة والكتاب المقدس، وكان مهتماً بالكتابة عن عصور ما قبل الإسلام ^(٣). ولسوء الحظ، ضاعت معظم أعماله، لكن روايته عن فيميون حفظها ابن إسحاق (٧٠٤ - ٧٦٨ م)، ثم ابن هشام (ت ٨٢٣ م) وآخرون كثيرون. وبحسب ابن هشام، كان فيميون زاهداً متجولاً، عاش في قرية بالشام، وجرت على يديه معجزات كثيرة. ذهب ذات مرة إلى حدود العرب، فأسره بعض العرب وجاءوا به إلى نجران، حيث اشتراه أحد أشرافها. وبسبب زهده وانخراطه في معجزات أخرى، تبعه أهل نجران ^(٤). وفي قصة كهذه يبدو التأثير المسيحي واضحاً. من الممكن أن يكون وهب، الذي يعرف اللغتين العبرية والسريانية كما أشار هو نفسه في أحد أعماله الباقية ^(٥)، قد استمد روايته عن فيميون من إحدى

(1) *The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern History AD 284-813*, trans. C. Mango and R. Scott, Oxford: Clarendon Press, 1997, 99.

(2) *Chronique de Michel le Syrien*, ed. & trad. J.-B. Chabot, Paris, 1899, I, p. 294.

(3) Horovitz, J. "Wahb b. Munabbih", *Encyclopaedia of Islam*, 1st edition, VIII, 1084a-1085b; Khoury, R.G. "Wahb b. Munabbih", *Encyclopaedia of Islam*, 2nd edition, XI, 34a-36a.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق محمد السقا وآخرون، القاهرة، ١٩٥٥ م، ص ٣٢-٣٤.

(٥) وهب بن منبه، كتاب التيجان في ملوك حمير، صنعاء، ١٩٢٨ م، ص ٢١.

القصص المتداولة عن نمط المبشر الأسير. وتشير أوجه التشابه الواضحة بينها وبين قصص ثيوجونستا وفرومونتوس إلى ذلك.

ويذكر وهب في كتابه "التيجان في ملوك حمير" في سياق الحديث عن ملك اسمه عبد كليل بن يانوف أنه "كان مؤمناً بدين عيسى وكنتم إيمانه". ويؤرخ وهب حكم هذا الملك بأربع وستين سنة، وجعله الملك السادس قبل عهد يوسف ذو نواس الذي حكم في العشرينيات من القرن السادس الميلادي، بفاصل زمني نحو قرنين من الزمان^(١). وهذا يعني أن عبد كليل حكم في منتصف القرن الرابع تقريباً. وعلى الرغم من الطابع الأسطوري العام الذي يهيمن على الكتاب، ومبالغته الواضحة في تأريخ فترات حكم الملوك الحميريين، إلا أن مثل هذه الرواية لا تخلو من أهمية. وقد يكون متسقاً مع روايات فيلوستورجيوس ويوحنا النقيوسي حول وجود ملك مسيحي في جنوب شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت. وإذا صح هذا الافتراض فمن الممكن الربط بين روايتي وهب عن كل من الملك عبد كليل والأسير فيميون لنفترض أن الأخير - بحسب وهب - كان معاصراً في نفس الفترة تقريباً للرهيثة ثيوفيلوس والأسير ثيوجونستا.

٤- الخاتمة:

من الصعب الحكم على دقة هذه الروايات وتحديد هوية الشخص الذي دخلت المسيحية على يديه إلى جنوب الجزيرة العربية، خصوصاً أن هناك روايات أخرى تنسب ذلك إلى تاجر نجراني اسمه حنان (Hannān) عاش في زمن يزدجرد (Yazdgrid)^(٢)، أو إلى نجراني آخر يسمى حيان (Hayyān) عاش في فترة ما خلال القرن الخامس، أو ربما القرن الرابع^(٣)، أو إلى كاهن نجراني، السجين أزقير (Azqir) الذي عاش في الفترة (٤٥٥-٤٧٥م)^(٤).

(١) المصدر نفسه، ص ٣١٠.

(2) *Histoire nestorienne: (chronique de Séert)*, ed. A. Scher, *Patrologia Orientalis* 5 (1910): 219-340, esp.330-331.

(3) Moberg, A., (ed.) *The Book of the Himyarites: Fragments of a Hitherto Unknown Syriac Work*, Acta Regiae Societatis Humaniorum Litterarum Lundensis 7. Lund, 1924, 123.

(4) Bausi, A. "Il Gadla Azqir", *Adamantius Rivista del Gruppo Italiano di Ricerca su "Origene e la tradizione alessandrina"*, 23 (2017): 341-380, esp.379.

كل هذه الروايات ذات مسحة هجيوجرافية واضحة، ومعظمها ينسب دخول المسيحية في سياق تمجيد نضال الأسير أو السجين أو المضطهد ضد المعارضين الوثنيين أو اليهود. وهدفهم الأسمى هو انتصار الحق على الباطل وتأكيد تفوق المسيحية على الوثنية. لقد واجه ثيوفيلوس الهندي معارضة من فريق يهودي مؤثر في بلاط الملك الحميري وانتصر بفضل معجزاته. ونجح الأسرى ثيوجونستا وفيميون وفرومنتيوس في مواجهة نير الوثنيين بهدايتهم باستخدام نفس سلاح المعجزات. وعلى الرغم من تعرض أزيقر للسجن والاضطهاد على يد ملك يهودي، إلا أنه تمكن من تحويل أهل نجران إلى المسيحية بنفس الأداة. حتى النبيلة النجرانية حبصة، التي عانت من الاضطهاد على يد الملك اليهودي يوسف ذو نواس، كان لابد أن تنسب الفضل إلى جدها حيان في غرس المسيحية في نجران.

يبدو أن هذا الهدف اقتضى استخدام الأسرى كمبشرين في أكثر من سياق مختلف. ومن المهم أن نأخذ في الاعتبار اختلاف مؤلفي النصوص واختلاف أصولهم وخلفياتهم. لقد اختار فيليستورجيوس شخصية ثيوفيلوس الهندي، رهينة ثم أسقفا في عهد قسطنطيوس. واختار الأسقف المصري يوحنا النقيوسي راهبة قبطية أسيرة. واختارت الروايات العربية أسيراً سورياً كان ناسكاً متجولاً. ولذلك فإن ظهور المسيحية في جنوب الجزيرة العربية يُعزى إلى أكثر من شخصية. إلا أن اتفاق هذه الروايات على القرن الرابع، باعتباره زمن ظهور المسيحية في جنوب الجزيرة العربية، قد يوحي بأنها نسجت حول حدث تاريخي اكتنفه الغموض نتيجة حرص كل مؤلف على توظيفه لصالح بطله، ومن ثم إضافة نكهته الهجيوجرافية.



ثالثاً: رد أوهام المؤرخين والنقاد حول جنوب الجزيرة العربية (تهامة وسراة) والشعر الجاهلي . بقلم. الدكتور محمد أحمد علي فتحي^(١).

م	الموضوع	الصفحة
أولاً	مقدمة.	١٥٩
ثانياً:	جنوب البلاد السعودية هو اليمن القديم	١٦٨
ثالثاً:	صفحات من تاريخ الشعر والشعراء في جنوب الجزيرة العربية في العصر الجاهلي.	١٩٤
	١- شعراء وشاعرات.	١٩٤
	أ- شعراء جنوبيون ذكروهم ابن سلام في طبقاته .	١٩٤
	ب- شعراء آخرون .	٢٢٢
	ج- شواعر من جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام.	٢٦٦
	٢- أثر الجغرافيا الطبيعية في شعر جنوب الجزيرة العربية .	٢٧٧
	٣- مقتطفات من التاريخ الاجتماعي والأدبي والفني في شعر جنوب الجزيرة العربية .	٢٩٥
	أ- صور من التاريخ الاجتماعي.	٢٩٥
	١- الدين	٢٩٦
	٢- المرأة	٢٩٩
	٣- الحرب .	٣٠٢
	٤- الارتحال والغربة	٣٠٤
	٥- مكارم الأخلاق	٣٠٦
	٦- أنشطة يومية أخرى	٣١١
	ب- بعض الجوانب الفنية والأدبية في شعر جنوب الجزيرة العربية	٣٢٦
رابعاً:	الخاتمة : بعض النتائج والتوصيات.	٣٣٨
خامساً	المصادر والمراجع.	٣٤١

(١) ولد الأستاذ محمد أحمد فتحي في بلدة قنا في محافظة محايل عسير عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) . بدأ تعليمه مراحل الأولى في دبرته ومسقط رأسه، ثم حصل على درجة البكالوريوس في قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. والماجستير والدكتوراة من جامعة المدينة العالمية في ماليزيا. شارك في العديد من الصحف المحلية والإقليمية، وعمل في مجال التربية والتعليم حتى تقاعده. له العديد من المؤلفات المطبوعة والمنشورة، مثل: (١) قراء في أخطاء النقد الأدبي الحديث. (٢) الحداثيون والمحافظون: قراءة موضوعية في معطيات متناقضة. (٣) الواد عند العرب بين النصوص والآراء. (٤) قبلة أولى على وجنة الليل (ديوان شعر). (ابن جريس).

أولاً: مقدمة :

اضطرب كثيرٌ من القدماء، والمحدثين في كثير من المسائل التي تتعلّق بالعصر الجاهلي، وبحياة القبائل الجاهلية، وبالشعر الجاهلي اضطراباً كثيراً، وسقط كثيرٌ منهم في أوهام لا يصحّ منها شيء في موازين الدراسات العلمية الجادة، وطفّت على كثير من الدراسات - القديمة والحديثة - المتعلقة بالعصر الجاهلي ظواهرٌ دراسية تشرح الشعر الجاهلي شرحاً لا علاقة له بالشعر ذاته، بل هي شروحات تقوم على تصوّرات ذهنيةٍ مسبّقةٍ بها، وهي تصوّرات لا تصحّ، ولا يقبلها العقل الموضوعي الناقد.

بناءً على تلك التصورات الخاطئة، والأوهام المتوارثة، شرح كثيرٌ من الشّراح الشعرَ الجاهليّ واضعين في أذهانهم أنّه شعر بيئة صحراوية فقيرة، لا تملك من مقومات الحياة إلا القليل، وأنّه نتاج مجتمع لا يعرف أفرادَه من المهن إلا رعي الماشية، وأنّهم لذلك يستقرون في موضعٍ بعينه، إلا ريثماً ويجفّ ماؤه، وتجذب أرضه، وهم يرون أنّ ذلك الجفاف يكون سريعاً.

بهذه النظرة الواهمة، التي تغضّ الطرف عن كلّ ما جاء به الشعر الجاهلي من تصوير لا يكاد يترك شيئاً مما حوله إلا وصفه، مع أنّهم يرددون مقولةً صادقة، لو اتبعوها لما سقطت كتاباتهم في الأوهام، وهي قولهم (الشعر ديوان العرب) أي أنّ الشعر هو أصدق السجلات التي يمكن للباحث أن يأخذ منها أخبار الجاهليين، وأحوالهم، وصور معيشتهم، ودينهم، وغيرها من الأمور. لكنّهم يهملون تلك المقولة كما يهملون الشعر ذاته، ويميلون إلى ما رواه الرواة إلا الشعر.

الشعر الجاهلي - في نظر الباحث - هو الشاهد الأقرب إلى التصديق مما سواه، ولكن أولئك الشّراح تجاهلوا تماماً الصور الشعرية التي ملأ بها الشعراء الجاهليون قصائدهم، وهي صورٌ توضّح مقومات البيئة التي عاش فيها أولئك الشعراء، وطرائق العيش في ذلك العصر، وأساليب الحياة التي مارسوها، وغضّ الطرف عنها أولئك الشّراح، وهم في أمسّ الحاجة إلى أكثر المصادر مصداقية، وأكثرها التصاقاً بذلك الزمان، وبذلك البيئة.

ستورد الدراسة صوراً من تلك الأوهام التي ملأت الدراسات، والتفسيرات الخاطئة التي أعرضت عن الشعر، واحتفت بالقصص التي لا تثبت، وسوف نذكر صوراً من ذلك الاضطراب الذي أخذه اللاحقون عن السابقين، وهو اضطرابٌ صور الجزيرة العربية تصويراً يعتمد على الوهم، لا على المعطيات التي جاء بها الشعر، أو التي جاءت بها آثار أولئك الجاهليين، في تلك البيئة المؤثرة في التاريخ العربي، وفي الشعر.

في جانب آخر وصف الواهمون الشنفرى الأزدي ذا البشرة البيضاء - كما ستثبت الدراسة - بأنه أسود البشرة، من أغربة العرب، وظنوا - بلا دليل من اللغة ولا من الشعر - أن لفظة (الشنفرى) تعني غليظ الشفة وهو ظنٌ ستثبت الدراسة خطأ، واضطربوا في ذكر صفاته الشخصية، وفي وصف البيئة الطبيعية التي عاش فيها، والحقيقة التي جاء بها ديوان الشنفرى تنفي ما قال الواهمون، فهو ليس من أغربة العرب، وهو أبيض البشرة وبياضه مذكور في شعره، والشنفرى في اللغة لا تعني غليظ الشفة، فلم ترد في معاجم اللغة بهذا المعنى، وأمّ الشنفرى حرّة بيضاء، وليست قينة سوداء كما توهم الواهمون، وهكذا يكون انصراف كثير من القدماء والمحدثين عن تتبع المعلومات التي يحملها الشعر الجاهلي، سببا في طرح آرائهم طرحا يكون أقرب إلى الخطأ، الذي لم يكن بعيدا عنهم؛ بل كان مبنوثا في قصائد الجاهليين، ولم يكونوا في حاجة إلا إلى أن يتأملوا في ذلك النتاج الشعري الجميل. على سبيل المثال يجد الباحث عند أحمد عمار، صاحب كتاب دراسة في نصوص العصر الجاهلي قوله عن الشنفرى: "وهو أحد أغربة العرب ... وكان هؤلاء الأغربة ينبذهم آبائهم لعار ولادتهم لأنهم ليسوا بأولاد حرائر ومن معاني الشنفرى الغليظ الشفتين، وغلظ الشفتين من سمات الجنس الأسود كما يقرر ذلك علماء الأجناس"^(١). وهو وهمٌ يقع فيه أكثر الذين تناولوا سيرة الشنفرى، أو شعره، ومنهم خالد زغريت كما سيرد في الدراسة.

لورجع هؤلاء إلى معاجم اللغة أولاً، وإلى ديوان الشنفرى ثانياً لعلّمو أن الشنفرى لا تعني غليظ الشفة، وأنّ الشنفرى ليس من أغربة العرب، فمعاجم اللغة لا تذكر أنّ من معاني الشنفرى غليظ الشفتين، فلم يذكر ذلك الخليل في كتاب العين، ولا الزبيدي في تاج العروس ولا ابن منظور في لسان العرب ولا الفيروز آبادي في القاموس المحيط، ولا غيرهم في غيرها! وفي الوقت ذاته يجد الباحث أنّ الشنفرى يوضح في شعره أنّ بشرته بيضاء، وأنّ أمّه حرّة، ومثل ذلك يذكره تأبط شراً عن الشنفرى، فمن أين أتى أولئك بما قالوه؟!

لقد عدد ابن قتيبة في الشعر والشعراء أغربة العرب دون أن يذكر الشنفرى يقول ابن قتيبة عند حديثه عن عنبرة العبيسي: «وهو أحد أغربة العرب، وهم ثلاثة: عنبرة، وأمّه زبيبة، سوداء، وخفاف بن عمير الشريدي، من بنى سليم، وأمّه ندبة، وإليها ينسب، وكانت سوداء، والسليك بن عمير السعدي، وأمّه سلكة، وإليها ينسب، وكانت سوداء»^(٢).

(١) عمار، دراسة في نصوص العصر الجاهلي، ط ١، ص ٢.

(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، د ط، ١/ ٢٤٤.

أخطأ كثير من المهتمين بالعصر الجاهلي عند الحديث عن بيئة الجزيرة العربية، فيجد الباحث عند إميل بديع محقق ديوان الشنفرى حديثاً عن البيئة الجغرافية التي عاش فيها الشنفرى، هو أبعد ما يكون عن الحقيقة التي يصورها شعر الشاعر نفسه، وأقرب ما يكون إلى الأوهام التي امتلأت بها كتب كثير من الدارسين عن طبيعة الجزيرة العربية، فبديع يتحدث عن: «تصوير اللامية لبيئة الصحراء العربية القاحلة التي عاش فيها الشنفرى»^(١). وهذا وهم واضح من إميل بديع، إذ يؤكد الباحث أن الشنفرى أزدى، والأزد أهل السراة المسماة باسمهم، وهي سلاسل جبلية خصيبة، كثيرة الأمطار، كثيفة الغطاء النباتي، حيث عاش الشنفرى في قبيلة بني سلامان بن مفرح، أو مفرج الزهرانية تارة، وفي بني الأواس تارة، ومساكن القبيلتين بين أحضان جبال السراة، في بيئة جبلية لا صحراوية، وخصيبة لا جديبة، فمن أين جاء بديع - وغيره - بالصحراء القاحلة؟! ولو تأمل إميل بديع - وغيره - في لامية الشنفرى فإنهم لن يجدوا فيها بيتاً واحداً يتحدث فيه الشاعر عن صحراء قاحلة، ولكن إميل بديع - وغيره من الباحثين - لا يمنح الشعر الجاهلي فرصة الحديث عن بيئته، وهو منهج انتهجه كثير من الذين تناولوا ذلك العصر بالدراسة، فهم يصدرن أحكاماً تتكئ على الحكايات، دون أن تنظر بتمعن الشعر.

هكذا جنت كثير من الدراسات التي تناولت العصر الجاهلي - دون قصد - على المتلقين لما تأتي به تلك الدراسات، فهي تنسب القبائل إلى غير ديارها، وتوصف الديار بغير ما هي عليه في الحقيقة، دون مراعاة لما أورده الشعر الجاهلي من صور توضح تماماً أسماء الأماكن، وصفات البيئة التي عاش فيها قائلوه.

ستثبت الدراسة أن البيئة التي عاش فيها الجاهليون أبعد ما تكون عن تصورات كثير من المتقدمين، وتصورات من سار على خطاهم من التالين، وأنها بيئة غنية إلى حد كبير، ومتنوعة تنوعاً يحقق للإنسان الجاهلي فرص اختيار المكان الذي يعيش فيه حياة مستقرة تحقق له من وسائل العيش ما ظن الواهميون أنها لا تحققه. فالجزء الجنوبي من جزيرة العرب كان - وما زال - مطيراً وخصيباً، والجزء الأوسط كان إقليماً زراعياً ينتج من الحبوب - كالحنطة، والشعير - ما يفيض عن حاجة أهله حتى امتن أهله تصدير الفائض منه إلى أقاليم الجزيرة الأخرى، ويقال مثل ذلك عن الأقاليم الأخرى - ما عدا صحراء الربع الخالي القاحلة - وهي مكان لم يكن الجاهليون مضطرين إلى العيش فيه، لاتساع مساحة الأقاليم الصالحة للحياة.

كانت نتائج اضطراب دارسي الشعر الجاهلي، وواصفى بيئة الجزيرة العربية مؤثرةً تأثيراً كبيراً في دراستهم لذلك الشعر، إذ أدّت تلك الأوهام إلى شرح الشعر الجاهلي شرحاً يخالف في كثير من جوانبه الحقيقة، لأن تلك الشروحات جاءت معتمدة على تصورات خاطئة، أسست لها افتراضات غير صحيحة، أدّت إلى إيراد معلومات غير مهتمة بإثبات، ولا مستندة إلى دليل. ومن أمثلة اضطراب بعض القدماء، والمحدثين أنّ الباحث يراهم يتحدثون عن بيئة الشعر الجاهلي بناءً على تصوّر خاطئ مسبق به عن وهم أنّ الجزيرة العربية صحراء قاحلة، ورمال متحرّكة، وجدب وقحط، ولم يبنوا حديثهم عن الشعر الجاهلي على ما جاء به الشعر نفسه من رسائل تحمل تصويراً واضحاً لبيئة الجزيرة العربية التي لا تبدو في شعر الجاهليين صحراء قاحلة، ولذلك أتت شروحاتهم للشعر الجاهلي مخالفة للحقائق، ومسيرة للأوهام.

مثل ذلك الاضطراب يجده الباحث في حديثهم عن أساليب الحياة الجاهلية، حيث امتلأ حديث كثير منهم عنها بأوهام الترحال الذي لا يكاد يتوقف، والدراسة سوف تثبت خطأ هذا القول، وأن القبائل الجاهلية استوطنت منازل لم ترحل عنها في العصر الجاهلي كله، وأن أكثر تلك القبائل ما زالت متمسكة بتلك المنازل إلى اليوم. ومن الخلط السائد ما يجده الباحث في حديث كثير من المهتمين بالعصر الجاهلي عن الشعراء الصعاليك، إذ يتضح أنّ تلك الأحاديث سارت خلف وهم أنّ الشعراء الصعاليك كانوا خارجين على قوانين قبائلهم، وأنهم اجتمعوا في الصحراء مكونين عصاة لا يمكن الوصول إليها، وستثبت الدراسة أنّ ذلك كله غير صحيح، وإنّ من العجيب أنّ يتداوله المهتمون بالكتابة عن ذلك العصر لاحقاً عن سابق، وواهما عن واهم! وظهر للباحث أنّ تلك الأخطاء كان من أقوى أسبابها تساهل كثير من الدارسين في مسألة التثبت من المعلومات التي وصلتهم عن طبيعة أرض الجزيرة العربية، ومساكن القبائل الجاهلية، وطبيعة تفاعل تلك القبائل مع مقومات تلك الديار، وأساليب عيشهم فيها، وانصرافهم عن البحث في الشعر الجاهلي الذي صوّر تلك الطبيعة.

والكثير من اللاحقين تسلموا أخطاء السابقين دون تمحيص، ونقلوها عنهم دون تثبّت، وأمنوا بها دون دليل، فجاءت دراساتهم عن العصر الجاهلي، وشروحاتهم للشعر الجاهلي، منبعثة من تلك الأفكار الواهمة، وحاملة للتصورات البعيدة عن الواقع، وبالتالي كان من البدهي أن تأتي تلك الشروحات متسقة مع تلك المعلومات غير الصحيحة في كثير من جوانبها.

لو أمعن الدارسون النظر فيما بين أيديهم من معلومات يقدمها الشعر الجاهلي، وتثبتوا مما نقل إليهم من أوصاف، ومنحوا الشعر الجاهلي المساحة الكافية لنقل الصورة الحقيقية عن عصره، لوجدوا أن ذلك الشعر يحمل بين طياته الكثير من المعلومات التي يمكن الاستناد إليها، والكثير من الصور التي تمنح المتأمل فكرة واضحة عن البيئة التي قيل فيها، وأسلوب الحياة التي نشأ الشعر الجاهلي في أحضانها. ولو منح الدارسون الشعر الجاهلي المبسوط بين أيديهم قدرًا من التركيز لأظهرهم على الكثير من مقومات البيئة التي عاش فيها قائلو ذلك الشعر، ولبيّنت لهم صورته الكثير مما كانت تتميز به تلك البيئة من مقومات، ولمنحهم ما يحمله الشعر من معان كبيرة والحكم الصحيح على البيئة الجاهلية، وعلى حقيقة الحياة التي عاشها الجاهليون.

من هنا رأى الباحث أن من حقّ العصر الجاهلي، ومن حق التراث الشعري الجاهلي، أن تقف هذه الدراسة وقفات طويلة أمام ما سطره الواهمون من أقوال، يرفضها النظر في الشعر الجاهلي، وترفضها التحليلات المنطقية لما حمله ذلك الشعر من إشارات تخص البيئة، وترفضها الطبيعة الحقيقية لجغرافية الجزيرة العربية، تلك الطبيعة التي عرفها الباحث كونه أحد أبنائها.

هذه الدراسة ستحاول ما استطاعت تدارك ما وقع فيه كثير من القدماء والمحدثين من أوهام، وما سطره من أفكار بعيدة عن الصحة، خالية من التحقيق، لا تدعمها أدلة ثابتة من المنقول عن العرب من الشعر، ولا من المعقول من ظروف الحياة التي تهيأت للجاهليين. واعتمدت الدراسة في سعيها إلى تصويب النظرة إلى الحياة الجاهلية على دراسة الشعر الجاهلي نفسه، وعلى منح الشعر الجاهلي المساحة الأكبر للتعبير عن بيئته، والاستفادة من كل ما حمله ذلك التراث القولي الفريد من رسائل، وما قدّمه من صور. واعتمد البحث أيضاً الدراسة على الأخذ من المصادر القديمة التي تحدثت عن العصر الجاهلي حديثاً يبتعد عن الوهم، ويقترب من الحقيقة، واشترطت الدراسة فيما تأخذ أن يوافق المنطق، وأن يقترب من الموضوعية في نقل الشعر الجاهلي، ونقده. ورأى الباحث أن التركيز على ما جاء به الشعر الجاهلي سوف يوضح بعض الصور التي وقع فيها كثير من المهتمين بأمر العصر الجاهلي، والنظر في القضايا البيئية التي اشتملت عليها قصائد الشعراء، ومنحت الشعر الجاهلي فرصة الحديث عن بيئته، وأنصت له حين ذكر أسماء الأماكن، وأنواع النبات، وتفكرت في وصفه للجبال، وذكره للوديان، وعاشت تفاصيل حديثه عن مظاهر الحياة، وأنواع الحيوان، وتأملت في تغنيه بالظواهر المناخية، وفي نقله لأساليب الحياة الجاهلية.

(*) لقد اجتمعت ظروف مختلفة أدت - في رأي الدارس - إلى اضطراب المهتمين من القدماء، ثم المحدثين بأمر الجاهلية في مسائل تحديد الأمكنة التي استوطنتها القبائل الجاهلية، وأساليب الحياة في ذلك العصر، وما أنتجه الشعراء فيه، ومن أبرزها ما يلي:

١- أن تدوين تاريخ القبائل الجاهلية، ومحاولة اكتشاف أخبارها، والخوض في مسائل معيشتها وثقافتها، قد تأخر عن الزمن الحقيقي الذي عاشت فيه تلك القبائل، وكان شاهداً على أحداثها، حيث لم يبدأ ذلك التدوين لتلك الأخبار إلا في عهد الدولة الأموية على استحياء، ثم في عهد الدولة العباسية بتوسّع أكبر، ثم اشترك في تدوين ما يتعلق بالجزيرة وجاهليتها أناسٌ من شمال إفريقيا، ومن الأندلس، مما يعني أنّ التدوين تأخر عشرات السنين، وبدأ من خارج الجزيرة لا من داخلها، وفي ذلك ما فيه من كتابة غائب عن غائب، وبعيد عن بعيد. واقترن ذلك التأخير في التدوين بمشكلات لا تقل تأثيراً على مصداقية تلك الدراسات في هذا الباب، ومن تلك المشكلات أن الدارسين اعتمدوا على أحاديث المجالس غالباً، وركنوا إلى تسجيل حكايات الأحياء عن الأموات، وفي ذلك ما فيه من غياب الموضوعية.

٢- أنّ الثقافة الكتابية في العصر الجاهلي كانت ضعيفة، وهي كذلك في عصر صدر الإسلام، وبذلك فإنّ القدماء لم يجدوا تاريخاً مدوناً يمكن البناء عليه، وهذا أدّى إلى أن تكون المعلومات التي يمكن استقاؤها عن العصر الجاهلي خاضعة للذاكرة الفردية، وللأمانة الشخصية، يقول توفيق برو: «ومما يزيد الصعوبة في تأريخ هذه الحقبة أن قدامى المؤرخين المسلمين لم يبذلوا أي جهد في تحقيق وتمحيص ما وصلهم من أخبار عرب الجاهلية، تلك التي أوردوها كما سمعوها من أفواه الرواة، على ما فيها من تناقض ومن قصص خيالية مليئة بالأساطير»^(١). ولذلك وجد القدماء أن المصدر الوحيد الذي أمامهم ينحصر في سؤال الأحياء من الناس عن موتاهم — بعد أن أهملوا الأخذ بما جاء به الشعر الجاهلي — وحيث إنّ عشرات السنين قد انقضت، فإنّ من المؤكّد أنّ المسؤول في هذه الحالة إما أن يكون شيخاً قد أدرك العصر الجاهلي وعاش فيه مدّة تتيح له الاطلاع على أخبار القبائل، وأماكنها، وأشعارها، وإيامها، ثم عاش في الإسلام إلى أن بدأ المؤرخون في التدوين، فيسكون عمره آنذاك كبيراً جداً، وفي ذلك ما فيه من ضعف الذاكرة واختلاط الذهن، أو أن

يكون إنساناً حديث السنّ، لم يشهد الأحداث التي يرويها، وإنما ينقل ما سمعه من الأقدمين، وفي كل هذا ما فيه من مظنة الخطأ.

٣- أن من دون تلك الأخبار، وسجل تلك الأحداث، ووصف المنازل والديار، كان يعيش في بلدان بعيدة عن مواطن تلك القبائل وديارها، فهو إما في الشام أو في العراق، بل إن بعضهم عاش في أقاصي المغرب والأندلس، على بعد المسافة، وضعف وسائل الاتصال، وهكذا اجتمع بعد المسافة مع النقل الشفهي غير المكتوب، فلا عجب أن تأتي الأحكام غير دقيقة. فابن الكلبي صاحب كتاب جمهرة النسب عاش في العراق، قال عنه الزركلي «من أهل الكوفة»^(١)، والأصفهاني صاحب الأغاني عاش في إيران ثم في العراق، قال عنه الزركلي: «ولد في أصبهان، ونشأ وتوفي ببغداد»^(٢)، وياقوت الحموي صاحب معجم البلدان تنقل في بلاد كثيرة ليس منها جزيرة العرب، ومثل ذلك يقال عند الحديث عن الأصمعي، وابن الأثير، والآمدي في العراق، وعاش أبو بكر بن أيوب شارح ديوان امرئ القيس في الأندلس، والأحول شارح ديوان سلامة بن جندل في العراق، وعاش الأعلام الشنتمري شارح ديوان طرفة في الأندلس، ومثل ذلك أصحاب دواوين الحماسة، والشعر والشعراء، وغيرهم من دارسي العصر الجاهلي.

٤- أن الجزيرة العربية - فيما عدا مكة والمدينة - انزوت في الظل منذ أن انتقلت الخلافة إلى العراق في عهد عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ثم إلى بلاد الشام، ثم عادت إلى العراق، فقل ذكر أقاليم الجزيرة العربية الأخرى، وتواري شأنها، وقلت الأحداث المؤثرة فيها، وبالتالي فهي لم تكن منطقة مكشوفة للباحثين، ولا غنية بالأحداث التي تلفت إليها الأعناق.

٥- أن بعض القبائل العربية في عصر التدوين كانت قد انتقلت من ديارها الأولى إلى ديار جديدة، وأحياناً يكون الانتقال للقبيلة كلها، أو لبعض بطونها دون غيره، والانتقال حدث في أواخر العصر الجاهلي أو في صدر الإسلام، ولكل أسبابه، فمنها من انتقل إثر الحروب التي خاضتها كما حدث لبكر وتغلب، وما حدث لبني أسد، وما حدث لإياد، وكتب، ومنها من انتقل في أوائل العصر الإسلامي تقريباً إلى منارة الوحي، وسعيّاً إلى الاستقاء من معين النور، ومنهم من نقلته مشاركته في الفتوحات الإسلامية.

(١) الزركلي، الأعلام، ط ١٥، ٨/٨٨.

(٢) مرجع سابق، ٤/٢٧٨.

٦- أن أكثر الذين كتبوا عن بيئة الجزيرة، وقبائلها، وشعرائها قد جعلوا الروايات الشفهية حاكماً على الشعر الجاهلي، بدلاً من أن يحكموا الشعر الجاهلي في تلك الروايات، فهم — على سبيل المثال — يجعلون الروايات غير الثابتة حكماً على بيت المهلهل بن ربيعة الذي يقول فيه:

فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعَ أَهْلَ حَجْرٍ صَلِيلُ الْبَيْضِ تُقَرِّعُ بِالذُّكُورِ

فيجعلون البيت أكذب بيت قالته العرب، لا لدليل صحيح، بل لأن الروايات قالت إن المهلهل عاش على شاطئ الفرات من أرض الشام، وحجر اليمامة بعيد عنها بعداً كبيراً، فحكموا بكذبه — وستورد الدراسة قول ابن جني، وجواد علي في ذلك — بينما الحقيقة التي يرويها شعر المهلهل تقول إنه عاش قريباً من حجر اليمامة، فهو صادق في هذا الوصف — مع شيء مقبول من المبالغة — وأبعد ما يكون عن بلاد الشام، فأخطأ مكذوبه.

من تحكيم الروايات غير الصحيحة، وتجاهل الشعر الجاهلي الأقرب إلى الصدق في الشهادة، ما روي عن عيش طرفة بن العبد في البحرين، فإن الحديث عن عيشه في البحرين إنما كان بسبب انتقال قبائل بكر وتغلب بعد انتهاء حرب البسوس، وهو انتقال متأخر عن عصر طرفة الذي شهد تلك الحروب، بينما يحدث الشعرُ الدارسين بخلاف ما ذكره الواهمون من نسبته إلى البحرين، فديوان طرفة بن العبد يخلوا خلواً تاماً من أي ذكر لأي موضع في البحرين، أو حولها، ويمتلئ شعره بذكر مواضع في جنوب الجزيرة العربية — قرب بيشة — وهي بلا شك الموضع التي عاش فيها، ويرد مثل ذلك من الأوهام عند الحديث عن الجاهلية، وما فيها، ومن فيها كثيراً. والباحث في الشأن الجاهلي سيجد أن الحياة فيه تعتمد على مقومات معيشية واضحة، وهي تحتاج إلى شروط بيئية معينة، وتلك المقومات والشروط يمكن من خلالها قبول ما زعمه الأقدمون حين دونوا أماكن عيش القبائل الجاهلية أو رفضه.

من هنا رأى الباحث أنه من الواجب أن تدرس تلك المعلومات القديمة، دراسة تحاول الجمع بين ما تورده المراجع، وما يمكن استنباطه من طبيعة الحياة، بشرط منح شواهد الشعر الجاهلي فرصة المساهمة في إثبات النتائج، أو نفيها، وهو أصدق الشواهد على ذلك العصر، وأصدق من يصف تلك البيئة. والباحث يرى أن من الأوهام التي غيرت نتائج دراسات الدارسين للعصر الجاهلي ما يتعلق بأسماء الأماكن، وأوصافها، فهم يسجلون أسماء المواضع دون بحث عن صحة نسبتها إلى هذا الإقليم أو ذاك، ويوردون صفاتها دون عناية بالبحث عن صحة تلك الصفات قبل تدوينها،

وهم يهملون الاستشهاد بالشعر الجاهلي الذي يمكنه الشهادة على صحة ما يوردون أو خطئه، ولكنهم يكتفون بنقل ما يصل إليهم دون عرضه على المنقول من الأخبار، والمحفوظ من الأشعار، ودون فحصه فحصاً علمياً دقيقاً. وسوف نجتهد في تخطي المشكلات العلمية التي وقع فيها من لم يحكم الشعر الجاهلي في عصره، ومن أجل ذلك سوف نذكر ما قد يرد في وصف الجزيرة العربية، أو العصر الجاهلي، وما ينقل عن أنواع النبات، والبيئات التي تبث فيها، وما يذكر من ظواهر الطقس، ومواسم الأمطار، والبرد، والحر، وغير ذلك مما قد يفيد في تحديد الأماكن، ووصف المساكن، بالشعر الجاهلي الذي هو أقرب الشهود إلى التصديق.

من الأخطاء التي يرى الباحث أن الدراسات التي لم تتكئ على الشعر الجاهلي قد ارتكبتها، تلك الأحاديث التي تكاد تتفق - دون دليل - على أن عرب الجزيرة العربية الجاهليين كانوا يعيشون في صحراء، إذ إن العارف بطبيعة الجزيرة يدرك أن فيها مساحة تزيد على المليون ونصف المليون من الكيلومترات ليست صحراء، بل هي مناطق غنية بالموارد، صالحة للحياة، وهي تعادل في اتساعها مساحة العراق، وسوريا، وفلسطين، والأردن، ولبنان، وتونس، والمغرب مجتمعة، وتلك المساحة هي التي اختار الجاهليون العيش فيها، وهي مساحة واسعة جداً جعلت العرب - لقلة عددهم - يشعرون برحابتها، ويتحدثون عن المساحات غير المأهولة منها، والعقل يختار تصديق اختيارهم لأفضل الأقاليم منها، تلك الأقاليم التي كانت الظروف فيها أكثر من غيرها مناسبة لأسلوب حياتهم، وهي بلدان كانت كافية لسكنى ملايين الناس.

الدراسة ستثبت أن القبائل العربية في العصر الجاهلي كانت مستقرة في أقاليم بعينها، لا تخرج من تلك الأقاليم إلى غيرها إلا نادراً، ويساعدها في ذلك أن تلك الأقاليم كانت تفي بحاجة تلك القبائل من مقومات الحياة، ومن أوضح الأمثلة أن كثيراً من القبائل العربية منذ العصر الجاهلي إلى اليوم ما زالت تعيش في أقاليمها، لم تغيرها، ولم تنتقل عنها.



ثانياً : جنوب المملكة العربية السعودية هو اليمن القديم.

١- يمن اليوم ليس يمن الجاهلية وصدر الإسلام:

من المسائل التي أخذت هذه الدراسة على عاتقها مهمة تصحيحها مسألة المقصود بمسمى اليمن في المصادر القديمة، إذ إنَّ تحديد الإقليم الذي كان يسمى اليمن في العصر الجاهلي له تعلق بما سنذكره، ولهذا اجتهدت في إيضاح هذه المسألة قبل الولوج في تفاصيل موضوعها.

وقف الباحث كثيراً على اختلاط واضح في تحديد الإقليم الذي كان يحمل هذا الاسم، إذ إنه يقرأ نسبة الرجال تارةً، والأماكن تارة أخرى إلى اليمن، في الوقت نجد أنَّ أولئك الرجال، وتلك الأماكن أبعد ما يكونون عن حدود دولة اليمن الحالية، وأقرب ما يكونون إلى مكة، أو إلى وسط الجزيرة، كما حدث في نسبة قبيلة غامد في كتب البلدانين، والمؤرخين إلى اليمن، وكما حدث في نسبة جرير بن عبد الله البجلي إلى اليمن، وكذلك في نسبة أبي هريرة.

الأمر الآخر أن اللغات التي كانت تسود في دولة اليمن الحالية في العصر الجاهلي — الحميرية — بعيدة جداً عن اللغة العربية الفصيحة التي يتحدث بها الشعراء، والخطباء الجاهليون المنسوبون إلى اليمن، في العصر الذي تسود فيه الحميرية اليمن فكيف يصدر الشعر الجاهلي الذي أصبح مقياساً للفصاحة والبلاغة من بلاد لا تتحدث العربية بفصاحة في ذلك الزمان؟! وحملت النقوش كثيراً من ألفاظ اللغات التي كانت سائدة في الإقليم الذي يعرف الآن باليمن، في عصور قريبة من العصر الذي نقلت فيه قصائد الجاهليين الجنوبيين، وهو أمرٌ يدل بوضوح على أنَّ اللغتين مختلفتان كل الاختلاف، فاليمن الحالي كان في تلك العصور بلاد حضارة وازدهار، لكن بلسان مختلف، لا يقترب من فصاحة الشعر الجاهلي الذي تناقلته الدواوين. وعدم معرفة المهتمين بالفرق بين اليمن الجهة، واليمن الدولة هو الذي أوقع طه حسين في مشكلة نفي الشعر اليمني في الجاهلية، فهو كان يعلم أنَّ اليمن (الدولة الحالية) لا تتحدث بالعربية الفصيحة، بينما الشعر المنسوب إلى شعراء منسوين إلى اليمن فصيح.

لم يتنبه طه حسين إلى أنَّ اليمن الجاهلية كانت تعني الإقليم الذي يبدأ من جنوب مكة إلى شمال اليمن الحالية، وهو الإقليم الذي اشتهر بأنه أفصح أقاليم الجزيرة، لأنَّ فيه الأزديين قال عنهم الخليل بن أحمد أفصح الناس، وهذيل اشتهروا بالفصاحة، ولا تعني اليمن الدولة الحالية. لقد عشت بدايات حياتي في بيئة ساعدتني

على فهم ما كان يقصده الأولون حين يطلقون الأسماء على المسميات. إذ إنَّ الناس في بيئة الباحث كانوا يتحدثون عن الجهات مستخدمين المصطلحات القديمة ذاتها، فيطلقون على كلِّ ما كان شمال المتكلم الشام، وما يقع جنوب المتكلم اليمن، إلى الحد الذي جعل قرية الباحث الصغيرة مقسمة بحسب موقع المتكلم بين شاميين، ويمنيين، ويقصدون الساكنين شمال المتحدث، وجنوبه، وهو الأمر الذي اعتاد الناس عليه في العصور المتقدمة، وبما أنَّ أغلب الروايات المرتبطة بهذا الجانب نقلت عن أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة في عصر صدر الإسلام، فإنَّ ما كان يطلق عليه الشام لم يكن سوى ما كان شمال المتحدث، وما كان يطلق عليه اليمن هو ما كان جنوب الرواية.

حين وجد اللاحقون أنَّ هناك بلاداً تسمى الشام، وبلاداً تسمى اليمن، ظنَّ كثير منهم أنَّها المقصودة بالتسمية، دون أن يفطنوا إلى كثير من الشواهد التي ستسوقها هذه الدراسة. فقد ذكر محمد سليمان الطيب في كتابه: (موسوعة القبائل العربية) مصطلح الشام واليمن مقصوداً بهما الشمال والجنوب، فهو يقول عند الحديث عن بني شعبة: «وتقسم بنو شعبة في سكانها إلى: شعبة الشام، وشعبة اليمن، فشعبة الشام تمتد ديارها من وادي الأبيار (٥٥) كيلاً جنوب مكة جنوباً إلى دوقة شمالاً، مع فاصل جغرافي أما شعبة اليمن ففي الدرب وعتود»^(١). فهو يستبدل الشمال والجنوب بلفظتي الشام واليمن، بينما المكان المقسم موضع جغرافي يقع بين مكة وجازان، ولا علاقة له بالشام واليمن الحاليين.

لعل من أوضح المسائل، حديث رسول الله (ﷺ) الذي ذكر فيه الشام واليمن، فقد ورد في مسند أحمد «حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا سعيد، حدثنا عبد الرحمن بن عطاء، عن نافع، عن ابن عمر، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا» مرتين فقال رجل: وفي مشرقنا يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من هنالك يطلع قرن الشيطان»^(٢). والواضح أنَّ الصحابة فهموا الشام واليمن على أنَّهما جهة الشمال وجهة الجنوب، بدليل أنَّ الصحابي حين سأل الرسول ﷺ سألته لجهة المشرق، لا لبلد معين. ولا يستقيم أن يفهم المتأمل من هذا الدعاء أنَّ الرسول ﷺ كان يقصد الشام الحالية، واليمن الحالية لأسباب منها:

(١) الطيب، موسوعة القبائل العربية، ط٢، ١٠/٥٥٦.(٢) أخرجه أحمد بن حنبل، في مسند أحمد، باب مسند عبد الله بن عمر، ١٦١/٥.

أ - لو كان المقصود الشام واليمن الحاليتين، لكان رسول الله (ﷺ) ترك الدعاء لمكة والمدينة بالبركة، وخصَّ غيرهما، وهذا لا يمكن أن يكون.

ب - أنَّ الصحابة (رضوان الله عليهم) سألوه أن يدعو للمشرق بمثل ذلك فلم يفعل، ولم يسألوه أن يدعو لمكة والمدينة، ولو أنهم فهموا - كما فهم كثير من اللاحقين - أنَّ شامنا ويمنا يقصد بها الشام الحالية، واليمن الحالية، لكانوا فهموا أنه سكت عن الدعاء لمكة والمدينة، ولغيرهما من البلدان كما سكت عن الدعاء للمشرق، وكانوا سألوه (ﷺ) أن يدعو لمكة والمدينة كما سألوه للمشرق، ولكنَّ طلب الدعاء للمشرق يدلُّ على أنهم فهموا أنه استغرق بدعائه جهة الشمال، وجهة الجنوب، فطلبوا منه (ﷺ) أن يدعو لجهة الشرق، وأما الغرب فليس من قبله إلا البحر فلم يهتموا به.

ج - أنَّ الرسول (ﷺ)، والصحابة جعلوا المشرق في مقابل الشام واليمن، فهم يسألوهم أن يدعو للمشرق كما دعا للشمال والجنوب، وهو (ﷺ) يذكر الجهة أيضا حين يقول: إنَّ الجفَاءَ بالمشرقِ وذكره (ﷺ) للمشرق دليل على أنه كان يعني الشمال والجنوب.

من الأدلة أنَّ القدماء حينما يتحدَّثون عن اليمن لا يعنون بلاد اليمن الحالية، بل يعنون ما كان جنوب مكة من البقاع، ونجد أنَّ ياقوت الحموي يجعل شنوءة مخلافا يمانيا. والمتأمل يرى بوضوح أنَّ ديار شنوءة تبدأ من جنوب الطائف الذي يبعد عن الحدود اليمنية الحالية ما يقارب ست مئة كيلومترا: «شنوءة: بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة ثم همزة مفتوحة، وهاء: مخلاف باليمن، بينها وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخا، تسب إليها قبائل من الأزد يقال لهم أزد شنوءة»^(١). ومن ذلك قصة نسبة جرير بن عبد الله (رضي الله عنه) إلى اليمن فيما أورده الإمام أحمد في مسنده، قال الإمام أحمد: «حدَّثنا إسحاق بن يوسف، حدَّثنا يونس، عن المغيرة بن شبيب قال: قال جرير: لما دنوت من المدينة أنخت راحلتي، ثم، حلت عيبتي، ثم لبست حلتِي، ثم دخلت المسجد، فإذا النبي (ﷺ) يخطب، فرماني النَّاسُ بالحدق قال: فقلتُ لجليسي: يا عبد الله، هل ذكر رسول الله (ﷺ) من أمري شيئا؟ قال: نعم، ذكركَ بأحسن الذكر، بينما هو يخطب إذ عرض له في خطبته فقال: "إنه سيدخل عليكم من هذا الفج من خير ذي يَمَنٍ، ألا وإن على وجهه مسحة ملك" قال جرير: "فحمدتُ الله عزَّ وجلَّ"^(٢).

(١) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ٣٦٨.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل، في مسند أحمد، باب حديث جرير بن عبد الله، ٥٥٥/٣١.

والشاهد قول الرسول (ﷺ): خير ذي يمن، حيث نسب جرير بن عبد الله إلى اليمن، مع أن جريراً بجلي، وديار بجيلة آنذاك — وما زالت إلى اليوم — تقع جنوب الطائف ولا تبعد عن مكة إلا ما يقارب الستين كيلاً في خط مستقيم، فأين هو من اليمن الحالية؟ ورد في كتاب (أبو هريرة راوية الإسلام) للدكتور محمد عجاج الخطيب ما نصّه «لا نعرف شيئاً كثيراً عن أبي هريرة قبل إسلامه، إلا ما كان يرويه عن نفسه، حيث ولد باليمن»^(١). وأبو هريرة دوسي، واليمن التي عناها الرواة إنما يقصدون بها ديار دوس التي تقع جنوبي مكة المكرمة، ومن الثابت أن قبيلة دوس كانت تسكن في منطقة الباحة القريبة من مكة المكرمة، بينما هي تبعد عن الحدود اليمنية الحالية ما يقارب ستّ مئة كيلومتر. جاء في كتاب: مجلد اللغة لابن فارس: «وغامد حيٌّ من اليمن، والنسبة إليهم غامدي»^(٢).

وقبيلة غامد تسكن جنوب الطائف منذ العصر الجاهلي، وما زالت مساكنها هناك حتى اليوم.

من يبحث ويدقق فيما ينقل من أخبار العصر الجاهلي سيجد تناقضاً كبيراً بين ما ورد في مسألة استشهاد المفسرين كعبد الله بن عباس بالشعر الجاهلي، وكثير من ذلك الشعر ينسب إلى شعراء قيل في سيرهم إنهم من أهل اليمن، وما نقل عن علماء اللغة والأدب من أمثال أبي عمرو بن العلاء من تأكيدهم على ضعف لغة اليمن، وبعدها عن اللغة العربية الفصحى. فابن عباس يستشهد — مثلاً — في تفسيره للآية الكريمة (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) (بقول عبید بن الأبرص الذي عاش في جنوب الجزيرة).

فَجَاءُوا يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَكُونُوا حَوْلَ مَنْبَرِهِ عِزِينَ^(٣)

ويصرّح أبو عمرو بن العلاء فيما نقله محمد بن سلام الجمحي في كتابه: (طبقات فحول الشعراء) بقوله: «ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم كعربيتنا»^(٤).

وفي هذا التناقض تجلّية لغموض التعميم في مسألة النسبة إلى اليمن في المصادر القديمة، فشعراء شواهد ابن عباس من اليمن الذي هو نقيض الشام، أي الجهة التي

(١) الخطيب، أبو هريرة راوية الإسلام، ط ٢، ص ٦٨.

(٢) ابن فارس، مجمل اللغة، ط ٢، ص ٦٨٥.

(٣) الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ط ١، ٥٩/١.

(٤) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، د-ت، ص ١١.

تقع جنوب مَكَّة، مهما كانت قريبة من مَكَّة، كما رأينا في نسبة أبي هريرة الدوسي، وجابر بن عبد الله البجلي، وقبيلة غامد إلى اليمن، وفي اليمن ذاك - أي في البلاد التي تقع جنوب مَكَّة المكرمة - فصحاء هذيل، وأزد شنوءة أفصح العرب، وهم قريبون إلى مَكَّة مكاناً، بعيدون عن حدود اليمن الحالية. ويتحدث أبو عمرو بن العلاء عن يمن آخر، يمن بعيد، بقوله (حمير وأقاصي اليمن) وهو دولة اليمن الحالية، أو معظم أجزائها على الأقل.

وجاء في التقرير الذي نشرته قناة الجزيرة في تاريخ (١٩/١٢/٢٠١٨م) للباحث اليمني محمد الحميري ما نصّه: «أما الاتجاه الآخر الذي يتبنى منطق اختلاف اليمنية عن العربية، فهو ينطلق من واقع النقوش المكتشفة والتي يتضح من خلالها عدم قدرتنا على فهم الألفاظ والتراكيب بمقارنتها مع العربية، وهو ما يعني انقطاعاً عن العربية»^(١). ويضيف «حيث إنّ اللغة اليمنية القديمة تؤلف مع اللغة الحبشية الشُعْبة السامية الجنوبية، فصلات القرابة التي تربط بين هذين الفرعين أقوى بكثير من صلات القرابة التي تربطها بشُعْبة اللغات السامية الشمالية كما يبدو من الموازنة بينها في أصول الكلمات والأصوات والقواعد»^(٢). وهذا يعني أنّ اليمن يمنان، يمن حقيقي، مختلف بلغته، ويمن مجازي يُقصد به ما كان جنوب المتكلم - وورد في الروايات ما كان جنوب مَكَّة - دون أن يتجاوز الحد الشمالي من الحدود اليمنية الحالية، وإن تجاوزه فليس بكثير.

وأورد الدكتور رفعت هزيم في بحثه المنشور في مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق، عدداً من الروايات توضح اختلاف لغة حمير عن العربية، وصعوبة فهمها لغير أهل اليمن (دولة اليمن اليوم) الذين عناهم الأصمعي. فمن ذلك ما رواه عن الهمداني في قوله: «روى الهمداني أنه وجد مسند بحقل قتاب في قبر (أنا شمعة بنت ذي مرثد كنك إذا وحمك أول بانقشم من أرض انهند بطله زاهدا) وذيله بهذه الشروح (أول: أتي به، يريد الفواكه، زاهدا: يريد طرياً، وثمار الخريف تسمى القشم عند حمير»^(٣). ثم علق الدكتور رفعت هزيم بقوله: «فإذا أضفنا إلى ذلك استعمال الكاف ضميراً للمتكلم في: كنك، و: حمك، وإبدال اللام نونا في أداة التعريف في: القشم و (الهند) فإنه يقرأ هكذا:

(١) الحميري، اللغة اليمنية القديمة. <https://www.aljazeera.net/midan/reality/community>.

(٢) الحميري، اللغة اليمنية القديمة. <https://www.aljazeera.net/midan/reality/community>.

(٣) هزيم، العربية في جنوب الجزيرة العربية. مجلة مجمع اللغة العربية ع ٨٨، ص ٩٤٣.

أنا فلانة كنت إذا وحتمت أتى لي بالفاكهة من أرض الهند بطلها طرية»^(١). وما سوف نورده من أسماء القبائل، وديارها، وأشعارها، خاصّ بجنوب الجزيرة العربية الذي يبدأ حدّه الشمالي من الطائف شمالاً، وينتهي في حدّه الجنوبي بجازان وما جاورها، وهي المناطق التي تعرف الآن بمناطق الباحة وعسير ونجران وجازان، وبعض المنازل التي تتبع الطائف ومكة، وهذه البلدان تجاور اليمن الحميري من جهة الشمال.

٢- نجد الجاهلية من الجنوب إلى الوسط.

جاء في لسان العرب «النَّجْدُ من الأرض: قفافها وصلابها وما غُلْظَ منها وأشرفَ وارْتَفَعَ واستَوَى. ولا يكون النَّجْدُ إِلَّا قَفَاً أو صَلَابَةً من الأرض في ارتفاع مثل الجبل معترضاً بين يديك يرد طرفك عما وراءه»^(٢). فيجمع النجد هنا صلابة الجبال، وارتفاعها، وينطبق هذا التعريف تماماً على الطبيعة الجغرافية لجنوب الجزيرة العربية، فهي جبال عالية شامخة، تعلو متنها أراض صخرية أو شبه صخرية، وهي تردّ الطرف عما ورائها لمن استقبلها من جهة الغرب.

أما تحديد المكان الذي كان يطلق عليه مسمّى نجد في الجاهلية، فقد توصّلنا إلى ما لا يمكن لمنصف تخطّئته، وحددنا ذلك الإقليم بناء على معطيات نقلية، وعقلية واضحة، فأما النقل فقد ورد في معجم ما استعجم للبكري قوله: «وأعراض نجد هي ببشة، وترج، وتباله، والمراعة، ورنية»^(٣). وهذه البلدان ما زالت قائمة إلى اليوم، ويقول الهمداني: «وبلد وادعة النجدية بقعة وعودان والثويلة، وغيل علي، ووادي عرد وأعلى وادي نجران»^(٤). ويقول ابن خلدون: «بلاد نجد أعلاها في الجنوب تبالة وجرش إلى عكاظ من الشمال»^(٥). ووسع البكري الدائرة إلى أن أوصلها العراق، لكنّه يذكر أنها تضمّ جنوب الجزيرة أيضاً، إذ يقول: «وأما نجد، فما بين جرش إلى سواد الكوفة، وآخر حدوده مما يلي المغرب الحجازان: حجاز الأسود وحجاز المدينة، والحجاز الأسود سراة شنوءة»^(٦). ويضيف البكري أيضاً: «وتربة من مخاليف مكة النجدية، وهي الطائف، وقرن المنازل، ونجران، وعكاظ، وتربة، وببشة، وتباله، والهجير، وكتنة وجرش،

(١) مرجع سابق، ص ٩٤٣.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ط ٣، ٤١٣/٣.

(٣) البكري: معجم ما استعجم، ط ٣، ٩/١.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ط ١، ص ١١٥.

(٥) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ط ٢، ٧٤/١.

(٦) البكري: معجم ما استعجم، ط ٢، ١٣/١.

والشَّراء»^(١). وهذه الأماكن التي ذكرها البكري كلها في جنوب الجزيرة. ويقول ابن خرداذبة: «مخاليف مكة بنجد الطائف ونجران»^(٢). وقال: «تثليث واد بنجد، وهو على يومين من جرش، في شرقيها إلى الجنوب، وعلى ثلاث مراحل ونصف من نجران، إلى ناحية الشمال»^(٣). ويذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب: «جرش هي كورة نجد العليا وهي من ديار عنز»^(٤).

وعلى هذا فإن تسمية جنوب الجزيرة نجداً ثابتٌ في المصادر القديمة، ومتداول. على أن مسمّى نجد قد ورد في أشعار الجاهليين موصوفاً بأنه مكان الاصطياف، ولن يلجأ الإنسان في الصيف إلا إلى مكان يقيه لهيب الصيف، ومعلوم أن الجزء الوحيد من الجزيرة العربية الذي يكون فيه الطقس جميلاً في الصيف هو جنوب الجزيرة، إذ لا تتجاوز درجات الحرارة العظمى فيه (٣٠) درجة مئوية إلا قليلاً. والشعراء الجاهليون يذكرون أن أغصان النباتات الجديدة تنبت في نجد في فصل الصيف، ولا يعرف في الجزيرة إقليم يمكن لأغصان النبات الفتية أن تظهر فيه في الصيف غير جنوب الجزيرة، من الطائف إلى مرتفعات فيفاء التابعة لجازان، حيث يطيب الهواء، ويكثر المطر، بعد انسلاخ أشهر الشتاء الباردة في الإقليم.

بناء على ما تقدم فإن المنطقة الواقعة بين الطائف شمالاً، وأقصى بلاد عسير، ونجران جنوباً، وتمتد لتشمل ما كان على أكتاف جبال السراة ممتداً شرقاً حتى يصل رمال صحراء الربع الخالي شرقاً، كانت تعرف في الجاهلية باسم نجد. وهذا يعني أن نجداً كانت تمتد من عسير ونجران إلى حدود نجد الحالية في القصيم. ويؤيد ذلك ما ورد في الشعر الجاهلي، إذ يرتبط فيه مسمّى نجد بحواضر بعينها، تقع في جنوب الجزيرة، ومنها نجران، وتثليث، ووادي جاش، التي ذكرها طرفة بن العبد البكري حين قال:

أَتَعْرِفُ رَسْمَ الدَّارِ قَصْرًا مَنَازِلُهُ كَجَفْنِ الْيَمَانِيِّ زَخْرَفِ الْوَشِيِّ مَائِلُهُ^(٥)
بِتَثْلِيثٍ أَوْ نَجْرَانٍ أَوْ حَيْثُ نَلْتَقِي مِنْ النَّجْدِ فِي قِيَعَانِ جَاشٍ مَسَائِلُهُ

(١) مرجع سابق، ٣٠٩/١.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، د ط، ص ١٢٣.

(٣) البكري: معجم ما استعجم، ط ٢، ٣٠٥/١.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ط ١، ص ١١٧.

(٥) الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ط ٢، ص ١٢٦.

فيؤكد طرفه بأن اللقاء كان في نجد، ثم يذكر أن اللقاء تم في وادي جاش النجدي، وجاش واد في تثليث الجنوبية، وما زال معروفاً باسمه حتى يومنا هذا، وتثليث حاضرة تبعد عن أبها أكثر من (١٥٠) كيلومتر، وأما نجران فهي المدينة التاريخية التي حدثت فيها قصة أصحاب الأخدود. وذكر حسان بن ثابت (رضي الله عنه) أن بني أم البنين من بني عامر بن صعصعة من أهل نجد، وتذكر المصادر أن بني عامر مساكنهم بين بيشة والطائف:

بَنِي أُمِّ الْبَنَيْنِ أَلَمْ يَرْعُكُمْ وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدٍ^(١)
تَهَكُّمُ عَامِرٍ بِأَبِي بَرَاءٍ لِيُخْفِرَهُ وَمَا خَطَا كَعَمَدٍ

والشعراء حينما يوردون ذكر نجد، يتحدثون عن طيب أجوائها، وجمال أرضها، دون أن يذكروا اشتداد الحرارة فيها، ومعلوم أن كل أقاليم الجزيرة - ما عدا جنوبها - تكون شديدة الحرارة ثلاثة أرباع العام، فلو كان نجد في غير جنوب الجزيرة فإنه سيكون من المستغرب أن يتجنب الشعراء الحديث عن ذلك الطقس الذي يلزمهم فيه عند حديثهم عن نجد.

وقلة النصوص الشعرية الجاهلية التي تتحدث عن اشتداد الصيف، وقلة المطر، وجفاف الأرض، في مقابل ولوع الشعراء الجاهليين بذكر الأجواء الماطرة، ووصف السماء الملبدة بالغيوم، وامتلاء القصائد الجاهلية الطوال بالحديث عن امتلاء الأودية بالسيول، وانتشار الحيوانات الوحشية في الأرجاء، وغير ذلك من الموصوفات الجاهلية التي تظهر بيئة طبيعية غنية، لا تشبه صور البيئة التي نقلها الأقدمون، ومن تبعهم من المتأخرين عن بيئة الجزيرة العربية. وعلامات الغنى الطبيعي التي امتلأ بها الشعر الجاهلي دليل على أن الأماكن التي يتحدثون عنها تحت مسمى (نجد) أماكن باردة مطيرة، لا تكون جافة وحارة ثلاثة أرباع العام. وذكر طرفه شيئاً من خصائص النجد، فإنه يلتجئ الناس في فصل الصيف، ولو كان حاراً في الصيف - كما هو حال وسط الجزيرة، وشمالها - ما التجأوا إليه، يقول طرفه:

حَيْثُمَا قَاطَبُوا بَنَجْدَ وَشَتَا حَوْلَ ذَاتِ الْحَاذِ مِنْ ثَنِيٍّ وَقُرَّ^(٢)
كَبَنَاتِ الْمَخْرِ يَمَادُنْ كَمَا أَنْبَتَ الصَّيْفُ عَسَالِيَجَ الْخُضَرِ

(١) مهنا، ديوان حسان بن ثابت، ط٢، ص ٧١

(٢) الشنتمري، شرح ديوان طرفه بن العبد، ط٢، ص ٦٤.

فقلوه قازلو بنجد يعني أنهم يلتجئون إلى نجد وقت القيظ، لأنها تناسب أسلوب معيشتهم، فأغنامهم ترعى نباتات نجد التي تجود في الصيف، والمكان الذي تجود نباتاته في الصيف هو جنوب الجزيرة، حيث اعتدال الهواء، وكثرة المطر، فأما بقية أقاليم الجزيرة فشديدة الحرارة صيفا، وأما عساليج الخضر فالأغصان الجديدة، اللينة، وكونها تطلع في الصيف فهذا يدل على أن مطر نجد صيفي، وعلى أن طقس ذلك الإقليم ليس حاراً جافاً يقتل النبات، بل هو معتدل رطب، يساعد على نمو الأغصان الجديدة للنباتات، ويدل على أن نجداً الواردة في الأبيات ذات أجواء معتدلة لا تحرق تلك الأغصان الغضة، وكل ذلك لا يكون إلا في جنوب الجزيرة.

للوصول إلى تحديد موضوعي لجنوب الجزيرة العربية قاس الباحث المسافة بين الحدود السعودية اليمنية والحدود السعودية الأردنية وتم استبعاد اليمن الحالية من القياس لأنها كانت إقليمًا مختلفًا في لغته، وحياته فكانت المسافة تساوي ألفاً وخمس مئة كيلومتر تقريباً، ثم قسم تلك المسافة إلى ثلاثة أقسام، طول كل قسم خمس مئة كيلومتراً تقريباً، حتى القسم الأول جنوب الجزيرة، والثاني وسطها، والثالث شمالها.

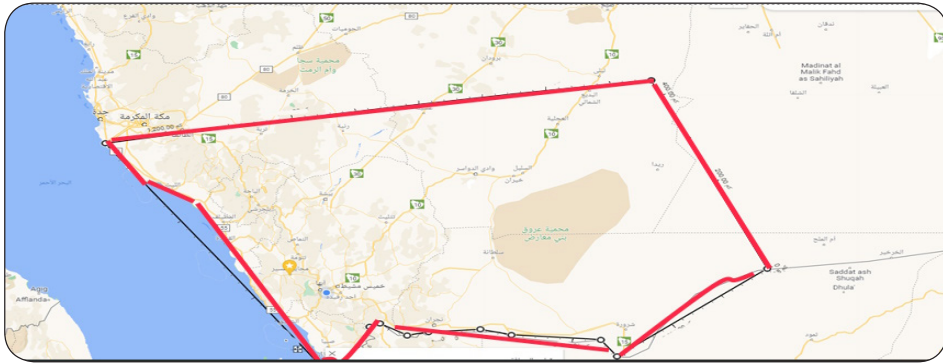


جرى قياس المسافة بين الجنوب والشمال من الجهة الشرقية، ابتداءً من الحدود السعودية العمانية، وتنتهي عند الحدود السعودية العراقية فكانت المسافة ألفاً وثلاث مئة كيلومتر تقريباً، وتوضح الصورة التالية، هذه النتيجة، ثم قسمت تلك المسافة إلى ثلاثة أثلاث فكان طول الثلث الجنوبي قريباً من أربع مئة وثلاثين كيلومتراً.



اكتملت لدى الباحث صورةً تقريبيةً توضح ما قصده بجنوب الجزيرة العربية التي تعتنى بهذه الدراسة، وتوضح الصورة التالية ذلك الجزء:

الصورة التالية توضح المساحة المقصودة في هذا البحث، والرسم تقريبي.



ينبسط إقليم جنوب الجزيرة العربية على مساحة واسعة، تضم أربع مناطق إدارية في العصر الحديث هي مناطق عسير، وجازان، ونجران، وأباجة، إضافة إلى بعض الأقاليم التابعة للطائف، وهذه البلاد تمتد على مساحة جغرافية كبيرة، يبدأ حدها الجنوبي من حدود الجمهورية اليمنية الحالية، وينتهي من جهة الشمال بشمال ببيشة، والطائف وما تبعهما من مراكز، وتشير التقارير الرسمية أن مساحة هذه المناطق الأربع هي على النحو التالي:

أ - تقع منطقة عسير في وسط الجزء الجنوبي الغربي للمملكة، وتمتد منطقة عسير من حدود الدرب والشقيق وبيش (منطقة جازان) في الجنوب الغربي إلى حدود اليمن في الجنوب الشرقي، ومن حدود وادي الدواسر (منطقة الرياض) في الشمال إلى رنية (منطقة مكة المكرمة) إلى غامد وزهران (منطقة الباحة) إلى منطقة مكة المكرمة في السهل الساحلي التابع للقنفذة، كما تحدها من الشرق إمارة منطقة نجران، ومن الغرب محافظة القنفذة وجزء من ساحل البحر الأحمر، وتقدر مساحة المنطقة بنحو (٨٠,٠٠٠) كلم^٢.^(١)

ب - تقع منطقة جازان في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية... وتبلغ المساحة الإجمالية لمنطقة جازان نحو (١٣,٤٥٧) كلم^٢، بخلاف ما يقارب (٨٠) جزيرة بالبحر الأحمر أشهرها جزيرة فرسان.^(٢)

ج - نجران تزيد مساحتها على (٣٠٠) ألف كلم^٢، وورد في موقع أمانة منطقة نجران ما يلي: «تقع منطقة نجران في الجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية بين خطي عرض (٢٠ و ١٧) درجة شمالاً وخطي طول (٤٤ و ٥٢) درجة شرقاً وتبلغ مساحتها نحو (٣٦٥) ألف كم^٢... يتميز مناخها بالتباين تبعاً لاختلاف مناسيب التضاريس ويتصف بصورة عامة بأنه حار صيفاً مع سقوط الأمطار على الأجزاء الجبلية ومعتدل يميل للبرودة في فصل الشتاء، وتتراوح درجات الحرارة في متوسطها صيفاً وشتاءً بين (١٤ و ٣٧) درجة مئوية»^(٣).

(١) وزارة الداخلية، «إمارة منطقة عسير» www.moi.gov.sa/wps/portal/Home/emirates/aseer.

(٢) أمانة منطقة جازان، «عن جازان» www.jazan.sa/ar/Pages/AboutJazan.aspx.

(٣) أمانة منطقة نجران، «نجران جغرافياً».

د - تقع منطقة الباحة جنوب غرب المملكة العربية السعودية، وتعتبر من أفضل الأماكن في مجال السياحة جنوب المملكة. ويحد منطقة الباحة منطقة مكة المكرمة من الشمال والغرب، وعسير من الجنوب والشرق. وتقدر المساحة الإجمالية لمنطقة الباحة ب (٣٦٠٠٠) كلم^٢ (١).

ويتضح من هذه التقارير الرسمية أنّ مساحة هذه المناطق الأربع تزيد على (٤٠٠) ألف كلم^٢، وهي مساحة كبيرة تعادل مساحة العراق كلها، وهي في الوقت نفسه تزيد عن مساحة سوريا، والأردن، ولبنان، وفلسطين مجتمعة.

يتمتع إقليم جنوب الجزيرة العربية بتنوع جغرافي، وتباين نباتي، تسهل معه الحياة لمن عاش من الجاهليين على الرعي، والزراعة، أو احتاج إلى التنقل من برد الشتاء في مرتفعاته، إلى دفء سواحلها، وسفوحها، أو من حر الصيف في السواحل إلى اعتدال المرتفعات، ولمن أراد السعي خلف مساقط الأمطار، وجداول الماء في نطاق الإقليم الواحد، والحدود القبلية الواحدة.

الإقليم الوحيد في جزيرة العرب الذي تجاوزت فيه بيئتان مختلفتان تماماً في الجغرافيا والمناخ، لا تتجاوز المسافة بينهما خمسين كيلومترا، وهو إقليم يضم طبيعتين جغرافيتين متناقضتين، ومتجاورتين في الوقت نفسه، إذ يتكوّن الجزء الشرقيّ منه من جبال شاهقة الارتفاع، يصل ارتفاعها إلى ما يزيد على ثلاثة آلاف وست مئة متر، تمتدّ على جانبها الشرقي هضبة منبسطة، تصل في امتدادها الشرقي إلى صحراء الربع الخالي، بطول من الشرق إلى الغرب يصل إلى ما يزيد على أربع مئة كيلومتر، وتصل في امتدادها من الشمال إلى الجنوب إلى ما يتجاوز سبع مئة كيلومتر. بينما يتكوّن جزؤه الغربي من سهول ساحلية في غربه، وسفوح منبسطة في شرقه، يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب ما يزيد عن سبع مئة كيلومتر، بينما يبلغ عرضها ما لا يتجاوز ثمانين كيلومتر.

هذان الجزءان ملتصقان تماماً، بحيث ينتقل الإنسان من نهاية قسمه الشرقي الذي يسمى بالسراة، وهو القسم الذي تتدنى فيه درجات الحرارة في الشتاء لتصل إلى درجة الصفر، ليكون الوصول إلى بداية مناطق الدفء في السواحل واعتدالها، في وقت قصير، وجهد قليل، والأمر ذاته حين يرحل الإنسان من السواحل التي تصل درجات

(١) وزارة الداخلية، «إمارة منطقة الباحة».

الحرارة فيها خمسين درجة، ليتمتع باعتدالها في السراة، التي لا تتجاوز فيها درجات الحرارة صيفا ثلاثين درجة. وذلك يعكس تصوّراً جيداً لما لهذا التجاور من فوائد للإنسان الجاهلي، الذي تدفعه منافعه، وأسلوب معيشته، إلى التنقل داخل الإقليم الواحد، مستفيداً من تباين الحالة الجويّة، وتنوّع الغطاء النباتي، دون أن يحتاج إلى قطع مسافات كبيرة، لا تساعده إمكانيات المواصلات في عصره على قطعها، ولا تستطيع قطعان ماشيته الانتقال إليها.

هذا الانتقال الذي يمكن الحديث عنه، وليس الانتقال الذي يعني الرحيل من إقليم إلى إقليم، إذ ظنّ كثيرٌ من المهتمين بالحديث عن العصر الجاهلي أنّ الراحل يقطع بماشيته المسافات التي لا يمكن للماشية الجياح قطعها، وهو تعميمٌ لا يستند إلى دليل عقلي يمكن قبوله، فالانتقال من إقليم إلى إقليم، يتمّ باصطحاب أنواع المواشي التي لا يمكنها السير مسافات بعيدة، إلا إن كان سيرا بطيئاً يحتاج معه السائر إلى أشهر، على أن تكون المسافة المقطوعة غنيّة بالعشب والماء اللازمين لحياة الماشية، ومن البدهي أنه لو توفر العشب والماء لانفتحت الحاجة إلى الانتقال.

والتقارب الشديد بين إقليمين متباينين في الطبيعة الجغرافية، وفي الأحوال المناخية، وفي الوقت ذاته يبدوان غنيين بتنوّع الغطاء النباتي وكثرتهم، وسيجعل الدارس يطمئن إلى مسألة اختيار كثير من القبائل الجاهلية للعيش في هذا الإقليم، واستغلال موارده، بعيداً عن فرضيات الأرتحال الطويلة، خاصة أنّ الإقليم يضع بين يديه أهمّ مقومات الحياة التي تتناسب مع طبيعة معيشتهم، وتمنحه ما يحتاج إليه في فصول الصيف والشتاء وما بينهما.

هذا الإقليم ما زال أكثر بلدان الجزيرة العربية خصوبة، وأوفرها مطراً، إذ تبلغ نسبة تساقط الأمطار السنوية في الوقت الحالي ما يتراوح بين ثلاث مئة إلى خمس مئة ملميمتر. وذلك يعطي صورة واضحة عن مؤهلات هذا الإقليم الطبيعية، خاصة إذا علمنا أنّ التغيرات المناخية الكبرى لا تحدث إلا بعد مرور مدد زمنية كبيرة جداً، بغض النظر عن التغيرات المناخية التي تحدث في عصرنا الحاضر، نتيجة لما فعله الإنسان بالبيئة، وما ينبعث من المصانع وغيرها من انبعاثات تؤثر في المحيط الخارجي.

كان لفقر التدوين في العصر الجاهلي أثره في اختلاف الباحثين في مسألة مساكن القبائل الجاهلية، إضافة إلى كون الكثير من المؤلفين في العصور الإسلامية كتبوا عن تلك القبائل عن غير علم يقيني بها، أو تصوّر متكامل عنها، إذ إنّ من يكتب وهو في

بغداد أو دمشق، عن قبيلة جاهلية عاشت قبل الإسلام في جنوب الجزيرة العربية، لن يكون ملماً إماماً حقيقياً بما يكتب عنه. ومن القبائل التي استوطنت جنوبي الجزيرة في العصر الجاهلي (أزد شنوءة)، وهم قبائل كثيرة منها عسير، وغامد، وزهران وخزاعة، وحوالة، والبقوم، ورجال الحجر وهم بنو عمرو وبنو شهر، وبنو الأحمر، وبنو الأسمر، والدواسر، ومازن، وبارق، وأمع، وبلقرن. ومن رجالات الأزد في العصر الجاهلي النعمان بن خميصة البارقي، كان حكيماً وهو صاحب المقولة الخالدة: (إِنْ قَوْلَ الْحَقِّ لَمْ يَدَعْ لِي صَدِيقًا) ومنهم حاجز بن عوف الأزدي أحد شعراء الجاهلية، وأحد الصعاليك العدائين، ومنهم الشنفرى الأزدي الشاعر المشهور، صاحب لامية العرب.

(*) ممن استوطن جنوب الجزيرة بنو أسد؛ مما يؤكد أنهم سكنوا جنوب الجزيرة أول أمرهم وجود إخوتهم كنانة في تهامة جنوب الجزيرة، ولا خلاف في أن بني كنانة سكنوا ما بين مكة وجازان، وقد ورد في كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام بنص صريح يفيد بأن بني أسد بن خزيمة كانوا سدة الكعبة، وهذا الخبر يتسق تماماً مع كون بني أسد إخوة لكنانة التي منها قريش، يقول الفاسي: "وممن ولي الكعبة من مضر - على ما ذكر الفاكهي - أسد بن خزيمة؛ لأنه قال فلما مات، صار البيت في أسد بن خزيمة، فكان سادن الكعبة"^(١). ويقول الفاكهي: "وكان البيت في ضبة من مضر فلما أن مات صار البيت من مضر في سعد بن ضبة فلما مات صار البيت في أسد بن خزيمة فكان سادن الكعبة"^(٢). وذكر عاتق البلادي أن بني أسد كانوا مع إخوتهم كنانة في مكان واحد: «حبي: موضع بتهامة كان لبني أسد، وكنانة"^(٣).

أورد المفضل في الفاخر أن بني أسد كانوا في تهامة مع كنانة: وأنه كان للحارث ابن حج ففقدته، فأتهم به رجل من بني أسد يقال له حبال بن نصر بن غاضرة، فأخبر بذلك الحارث، فأقبل حتى ورد تهامة أيام الحج، وبنو أسد بها. فطلبهم، فهربوا منه. فأمر منادياً فتأدى من أوى أسدياً قدمه جبار. ثم إن الملك عفا عنهم وأعطى كل واحد منهم عصاً أماناً له. وبنو أسد يومئذ قليل. فأقبلوا إلى تهامة ومع كل رجل منهم عصا. فلم يزالوا بتهامة حتى هلك الحارث، فأخرجتهم بنو كنانة، وسموا عبيد العصا، بالعصا التي أخذوها^(٤).

(١) الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ط١، ص٣٥.

(٢) الفاكهي، أخبار مكة، ط٢، ص١٥١.

(٣) البلادي، معجم معالم الحجاز، ط٢، ص٤٠٤.

(٤) ابن سلمة، الفاخر، ط١، ص١٩٢.

ويصرّح بجوار بني أسد لقبيلة الأزد الجنوبية، ما أورده ابن الأثير من رفض الأزد نصره امرئ القيس على بني أسد، فقد أورد ابن الأثير أنّ امرأ القيس استنجد بقبيلة الأزد «فأبوا أن ينصروه، وقالوا إخواننا وجيراننا»^(١). وقول الأزديين عن بني أسد (جيراننا) يدل دلالة واضحة على تجاور القبيلتين.

من قبائل جنوب الجزيرة إياد: استوطنت الجنوب أول أمرها، قبل أن ترتحل عنها إثر منازعات مع قبائل أخرى، قال الزركلي: «وكانت ديار الإياديين في الجاهلية جهات الحرم وما بين تهامة وحدود نجران»^(٢). وقال البكري: «وقال ثعلبة ابن غيلان الإيادي يذكر خروج إياد من تهامة ونفي العرب إياها:

تَحْنُ إِلَى أَرْضِ الْمُغَمَّسِ نَاقَتِي	وَمِنْ دُونِهَا ظَهْرُ الْجَرِيبِ وَرَاكِسُ
فَيَا حَبْدًا أَعْلَامُ بَيْشَةَ وَاللَّوَى	وَيَا حَبْدًا أَجْشَامُهَا وَالْجَوَارِسُ
أَقَامَتْ بِهَا جَسْرُ بْنُ عَمْرٍو وَأَصْبَحَتْ	إِيَادُ بِهَا قَدْ ذَلَّ مِنْهَا الْمَعَاطِسُ ^(٣)

(*) من القبائل بنو بجيلة: واستوطنت جنوب الجزيرة، وهم بنو أنمار بن أراش بن عمرو، وأمهم بجيلة من بني سعد العشيرة، ثم من مذحج وبها عرفوا، وفي معجم قبائل العرب: "كانت بلادهم مع إخوتهم خثعم في سروات اليمن والحجاز إلى تبالة"^(٤). قال أبو عبيد البكري يذكر انتقال بجيلة من تهامة إلى جبال السراة: "فلعنّت بجيلة وخثعم ابنا أنمار إلى جبال السروات، فنزلوها، وانتسبوا فيهم... وأهلها يومئذ حي من العاربة الأولى، يقال لهم بنو ثابر، فأجلوهم عنها، وحلوا مساكنهم منها، ثم قاتلوهم، فغلبوهم على السراة، ونفوهم عنها، ثم قاتلوا بعد ذلك خثعم أيضا، فنفوهم عن بلادهم، فقال سويد ابن جدعة:

وَنَحْنُ أَزْحَنُ ثَابِرًا عَنْ بِلَادِهِمْ	وَحَلِي أَبْحَنَاهَا فَنَحْنُ أَسْوَدُهَا
إِذَا سَنَةٌ طَالَتْ وَطَالَ طَوَائِلُهَا	وَأَقْحَطَ عَنْهَا الْقَطَرُ وَأَسْوَدَ عَوْدُهَا
وَجَدْنَا سَرَاةً لَا يُحَوِّلُ ضَيْفُنَا	إِذَا خُطَّةٌ تَعْيَا بِقَوْمٍ نَكِيدُهَا

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط ١، ص ٤٦٦.

(٢) الزركلي، الأعلام، ط ١٥، ٣٢/٢.

(٣) البكري، معجم ما استعجم، ط ٢، ١٦٢/٥.

(٤) كحالة، معجم قبائل العرب، د ط، ٣٨٢/١.

وقال عمرو بن الخثارم وهو يذكر نفيهم إياهم عن السّراة، وقتالهم إياهم عنها:

نَفَيْنَا كَأَنَّا لَيْتُ دَارَةَ جُلْجُلٍ مُدِلٌّ عَلَى أَشْبَالِهِ يَتَهَمُهُمْ
فَمَا شَعَرُوا بِالْجَمْعِ حَتَّى تَبَيَّنُوا بَنِيَّةَ ذَاتِ النَّخْلِ مَا يَتَصَرَّمُ
لَمْ يَنْجُ إِلَّا كُلُّ صَعْلٍ هَزَلَجَ وَيُخَفِّفُ مِنْ أَطْمَارِهِ فَهُوَ مُحْرَمُ
مَنْحُنَا حَقًّا لَا آخِرَ الدَّهْرِ قَوْمَنَا بَجِيلَةٍ كِي يَرْعَوُا هَنِيئًا وَيَنْعَمُوا

فصارت السّراة لبجيلة، إلى أعالي التّربة^(١). ومن أعلام بجيلة جرير بن عبد الله البجلي، الذي قطع رسول الله (ﷺ) خطبته ليقول لأصحابه عنه: "يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن"^(٢).

(*) من قبائل الجنوب بكر وتغلب ابنا وائل: واضطرب كثير من المهتمين بأمر

العصر الجاهلي اضطرابا كثيرا في مسألة تحديد مساكن قبيلتي بكر، وتغلب، فزعم أكثرهم - دون دليل - أنهم عاشوا في البحرين، وبناء على هذا الوهم نسبوا شعراء القبيلتين إلى البحرين، ونقلوا طرفة بن العبد البكري إلى البحرين، والمهلل إلى الشام، وغير ذلك كثير. في الوقت الذي يخلو فيه شعر أولئك الشعراء من أي ذكر للبحرين، أو للشام وما حولهما، ويمتلئ بذكر المواضع التي عاشت فيها القبيلتان قبل حرب البسوس في جنوب الجزيرة. على أن الصحاري في كتابه الأنساب يقول: (كانت ربيعة قبل انتشارها وتفرقها في البلاد يسكنون بطن عرق وما والاها من البلدان فلما كثرت انبسطت فصارت فيما بين بيشة وتباله والدفينة وبطن الجريب)^(٣). ومن الأدلة على أن مساكن بكر وتغلب كانت في جنوب الجزيرة العربية ما يلي:

١ - أنه لا خلاف بين المؤرخين في استقرار إخوتهم لأبيهم وأمهم عنز بن وائل في جنوب الجزيرة العربية، والأصل أن يسكن الإخوة متجاورين على الأقل في أول أمرهم، وهو ما يؤمن به الباحث، ويدل عليه شعر شعراء القبيلتين.

٢ - أن شعراء القبيلتين ذكروا مواضع كثيرة في جنوب الجزيرة العربية، ولم يذكروا مواضع في البحرين، أو في بلاد الشام، فما الذي يجعل أولئك الشعراء يكثرون في قصائدهم من ذكر مواضع لم يعيشوا فيها، ويمنعهم من ذكر الأماكن التي قضوا

(١) البكري، معجم ما استعجم، ط٣، ١/٥٨.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل، في مسند أحمد، باب حديث جرير بن عبد الله، ٣١/٥٥٥.

(٣) الصحاري، الأنساب، ط٤، ص١٧٦.

فيها أعمارهم! ومن أوضح الأمثلة على ذلك أن طرفة بن العبد البكري، يذكر نجران، وتثليث، ووادي جاش، وتباله، والدكادك، وثهمد وكلها مواضع في جنوب الجزيرة، بينما لا يأتي ذكر البحرين في ديوانه، ولا شيء من مواضعها ولو مرة واحدة.

٢- من الأدلة على أن مساكن تغلب في جنوب الجزيرة، أن أغلب حروبهم كانت هناك، ولا تكون الحروب إلا بين المتجاورين، فأسباب الخلاف لا تكون إلا بينهم، فإما خلاف على حدود قبيلة، أو على مرعى، أو لأغراض السيطرة، أو لأي سبب آخر مما تأتي به الأيام بين المتجاورين، ولا يتصور العقل أن تكون ربيعة شمالية ثم لا تكون حروبها إلا مع قبائل الجنوب، ويجد أنها خاضت معاركها ضد قبائل جنوبية خالصة، ومن أشهر تلك المعارك التي خاضتها يوم السلان: وهو يوم لربيعة على مذحج، ومذحج كانت وما زالت جنوبية باتفاق المؤرخين.

قال الفند الزماني التغلبي في حربهم ضد مذحج:

وَكَفَيْنَاهُ عِيَانًا مَذْحِجًا بِضِرَابٍ مِثْلَ تَضْرَامِ الْحَرِيقِ^(١)

وأشكل على كثير من الدارسين وجود جيل في القصيم اسمه خزاز، وهو الإشكال ذاته الذي سببه وجود دولة باسم اليمن عند تلقي كلام القدماء عن اليمن، لكن كلام البلدانيين، والمؤرخين، إضافة إلى النظر العقلي في الأحداث المروية، ينفي أن يكون خزاز القصيم هو المقصود في حرب ربيعة مع اليمن لأسباب منها:

أ- أن المهتمين بالشأن الجاهلي حددوا موضع خزاز الذي جرت عنده المعركة، قال ياقوت: "السلان واد فيه ماء وحلفاء وكان فيه يوم بين حمير ومذحج وهمدان وبين ربيعة ومضر، وكانت نزار على خزاز، وهو جبل بإزاء السلان، وهو ممّا بين الحجاز واليمن"^(٢). فقول الحموي عن حمير، ومذحج، وهمدان: "وكانت هذه القبائل من اليمن بالسلان" وقوله: «وكانت نزار على خزاز. وهو جبل بإزاء السلان، وهو ما بين الحجاز واليمن»^(٣). دليل واضح على أن تلك الحرب كانت في الجنوب، لا في الشمال. وذكر البغدادي أن بني ربيعة كانوا يسكنون تهامة في الوقت الذي حدثت فيه

(١) الضامن، شعر الفند الزماني، مجلة المجمع العلمي، م ٣٧، ج ٤، ص ١٩.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ٢٣٥/٣.

(٣) مرجع سابق، ٢٣٥/٣.

معركة السِّلَان، وسَمَّاهم أهل تهامة، إذا يقول: «يوم السِّلَان وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن»^(١) فلا ذكر هنا لقبائل جاءت من القصيم. وذكر النويري مثل ذلك في نهاية الأرب حين قال: «يوم السِّلَان، وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن»^(٢). فكل هذه الأقوال اتفقت على أن المعركة كانت بين أهل تهامة (ربيعة) وأهل اليمن (مذحج وحمير) وأن السِّلَان جنوبية، وأن خزازا يقابل السِّلَان، فلا يقبل النظر العقلي أن يكون أهل تهامة وهم جنوبيون وأهل اليمن وهم جنوبيون قد التقوا عند جبل خزازي الذي في القصيم. وإنما يعوّل الباحث في تحديد الموضع المقصود على ما تساندت الأدلة على تصحيحه حين يرد في شعر شاعر جاهلي، أو حديث مهتم بالشأن الجاهلي.

ب - ومن الأدلة على أن السِّلَان في جنوب الجزيرة، أنها وردت في شعر شعراء جنوب الجزيرة، حيث أورد الحموي عن السِّلَان وخزاز ما يفيد وقوعهما هناك، إذ إنه يستشهد بشعر شعراء جنوبيين باتفاق، يقول ياقوت: روضة السِّلَان: بالضم؛ جبل بإزاء خزاز كانت فيه وقائع للعرب، وقد ذكر في السِّلَان بأنهم من هذا، قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ويروى للنجاشي الحارثي:

لَمِنَ الدِّيَارِ بِرَوْضَةِ السِّلَانِ فَالرَّقْمَتَيْنِ فَجَانِبِ الصُّمَّانِ^(٣)

وسواء أكان البيت لعمر بن معدي كرب أو للنجاشي فهما جنوبيان باتفاق.

٤ - من الأدلة على أن بكراً تغلب جنوبيون أن الحارث بن حلزة البكري ذكر بوضوح أن قتلى القبيلتين في جنوب الجزيرة العربية، وتحديدًا بين ملحّة التي تقع في طريب، والصاقب الذي يقع شمال رنية، فالحارث حين أراد أن ينهي بني تغلب عن العودة إلى أحقاد الماضي، وينهاهم عن تذكر قتلى الفريقين، يحدد أن أولئك القتلى سقطوا في تلك الأماكن، وهي أماكن جنوبية ما زالت تحتفظ بأسمائها إلى الآن، يقول ابن حلزة:

إِنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةٍ فَالصَّاقِبِ فِيهَا الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ^(٤)

(١) البغدادي، خزنة الأدب، ط ٤، ١٦٦/٢.

(٢) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط ١، ٣٩٧/١٥.

(٣) مرجع سابق، ٩١/٣.

(٤) العطية، ديوان الحارث بن حلزة، ط ١، ص ٦٩.

ويقصد بالأموات القتلى الذين لم تتأثر تغلب لهم، وبالأحياء القتلى الذين تأثرت لهم بكر، والشاهد في بيت ابن حلزة أنه ربط القتلى الذين سقطوا من القبيلتين بمكانين في جنوب الجزيرة العربية معروفين، فملحة قريبة من طريب التي تقع شمال خميس مشيط بحوالي (٦٥) كيلومترا، والصاقب شمال رنية وبينهما ما يقترب من (١٣٠) كيلومترا.

٥- من الأدلة أن القتال الكلابي ذكر أن ديار تغلب قريبة من حوضي، وحوضي في رنية شمالي بيشة، والقتال متأخر أدرك الإسلام وأسلم، وهذا يعني أن تغلب بعد أن انتقلوا في حروب البسوس وصلوا إلى شمالي بيشة، قال القتال:

سَرَى بَدِيَارَ تَغْلَبَ بَيْنَ حَوْضَى وَبَيْنَ أَبَارِقِ الثَّمْدَيْنِ سَارِ^(١)
سَمَاكِي تَلَالُأَ فِي ذُرَاهُ هَزِيمُ الرُّعْدِ رِيَانِ الْقَرَارِ

وأوضح ياقوت في موضع آخر أن الذنائب في جنوب الجزيرة، وأن فيها قبر كليب يقول ياقوت: «ذو سلم: واد ينحدر على الذنائب. وسوق الذنائب: قرية دون زبيد من أرض اليمن وبه قبر كليب وائل، قال مهلهل يرثي أخاه كليباً:

فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَائِبِ طَالَ لَيْلِي فَقَدْ أَبْكِي مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ^(٢)
فَلَوْ نُبِشَ الْمَقَابِرُ عَنْ كُلِّبٍ فَتُخْبِرَ بِالذَّنَائِبِ أَيُّ زِيرِ

وقد وردت الذنائب في شعر كثير عزة مقرونة بريعان، وكثير مكّي، وذكرها الحموي وقال عنها إنها: «موضع في شعر هذيل»^(٣). وأورد بيتا لربيعة بن الكودن وهو من شعراء هذيل يقول فيه:

نَظَرْتُ، وَأَصْحَابِي بَرِيعَانَ مُوهِنًا تَلَالُؤَ بَرْقٍ فِي سَنَا مُتَأَلِّقِ^(٤).

ولأن المكان المسمى ريعان في بيت ابن الكودن قد قرنه كثير عزة بالذنائب، فهذا يدل على أنهما متقاربان، يقول كثير:

أَمِنْ آلِ سِلْمَى دِمْنَةُ بِالذَّنَائِبِ إِلَى الْمَيْثِ مِنْ رِيعَانَ ذَاتِ الْمَطَارِبِ^(٥)

(١) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ١٠/٦٠.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ٨/٣.

(٣) مرجع سابق، ١١٣/٣.

(٤) مرجع سابق، ١١٣/٣.

(٥) عباس، ديوان كثير عزة، د ط، ص ٣٣٩.

٦- من الأدلة الواضحة على سكنى تغلب جنوب الجزيرة، ومجاورتها لقبائل الجنوب التي منها مذحج، تلك الأبيات من الرجز التي قالها كليب التغلبي، يجير فيها عصفورة باضت في حماه، فيذكر أنه حمى حماه من حمير ومذحج، والقبيلتان جنوبيتان لا خلاف في ذلك، ولا يخشى المرء في الجاهلية على أملاك قبيلته إلا من جيرانه، لأن الأسباب التي تؤدي إلى القتال لا تكون إلا بين المتجاورين:

يَا طَيْرَةَ بَيْنَ نَبَاتٍ أَخْضَرَ جَاءَتْ عَلَيْهَا نَاقَةٌ بِمُنْكَرٍ^(١)
إِنَّكَ فِي حِمَى كَلِيبٍ الْأَزْهَرِ حَمِيَّتُهُ مِنْ مَذْحِجٍ وَحَمِيرٍ
فَكَيْفَ لَا أَمْنَعُهُ مِنْ مَعْشَرِي

المنطق يقول إنه لو لم تكن تغلب مجاورة لمذحج، وحمير لما كان لكليب أن يقول إنه منعه منهما، وكان عليه أن يقول إنه منعه من القبائل التي تعيش في الشام، أو في البحرين، لأنها ستكون مجاورة له.

٧- أن من أيام بكر وتغلب يوم النهي، قال جواد علي: "وتولى مرة بن ذهل قيادة قومه من بني شيبان من بكر. فكانت معارك وملاحم ذكر أسماءها أهل الأخبار. منها "يوم النهي" وهو أول يوم من أيام حرب البسوس على رواية، ويوم عنيزة، وهو أول يوم من هذه الأيام على رواية أخرى"^(٢). والنهي في جنوب الجزيرة العربية، ذكره طفيل الغنوي مقرونا بترج، وترج ما زال معروفا باسمه إلى اليوم، وهو في بيشة، قال البكري: «ترج بفتح أوله، وإسكان ثانيه، وبالجم». قال أبو حاتم عن الأصمعي: "هو موضع ببيشة، مأسدة، وهو من بلاد خثعم، ويشهد لك أن ترجاً قبل تبالة باليمن" قول طفيل:

وَقَدْ حَلَّ بِالْجَفْرَيْنِ جَفْرٌ تَبَالَةٌ فَتَرَجٌ فَنَهْيٌ فَالشُّرُجُ الْقَوَابِلُ^(٣).

وما يهم الباحث هنا هو أن طفيلاً ذكر ترجاً، والنهي، وتبالة فدل ذلك على أنها مواضع متقاربة.

وذكر النهي النابغة الجعدي، وقرنه بحوضي، وكور أثال، وكلها قريبة من بيشة:

(١) شيخو، شعراء النصرانية قبل الإسلام، ط٤، ص ١٥٦.

(٢) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، ص ٨٧.

(٣) البكري: معجم ما استعجم، ط٢، ٢٠٩/١.

أَقْضَرَتْ مِنْهُمْ الْأَجَارِبُ فَالْتَهَيَّ وَحَوْضَى فَرَوْضَةَ الْأَدْحَالِ^(١)
فَحَبِيٌّ فَالْتَغَرُ فَالْصَفْحُ فَالْأَجْدُ سَدَادُ قَفْرٍ فَالْكُورُ كُورُ أَثَالِ

٨- أَنَّ أَبْرَهَةَ الْحَبَشِي حِينَ غَزَا الْكَعْبَةَ أَمَرَ زَهِيرَ بْنَ جَنَابِ الْكَلْبِيِّ عَلَى بَكْرٍ وَتَغْلِبَ، وَزَهِيرٌ خَثْعَمِي، يَسْكُنُ جَنُوبَ الْجَزِيرَةِ، وَلَوْ كَانَتْ بَكْرٌ وَتَغْلِبُ فِي الْبَحْرَيْنِ كَمَا قِيلَ لَمَا كَانَ لِأَبْرَهَةَ أَنْ يُؤَمِّرَ زَهِيرًا عَلَيْهِمْ، فَكَيْفَ يُؤَمِّرُ جَنُوبِيًّا عَلَى شِمَالِيَيْنِ، وَمَلِكٌ أَبْرَهَةَ لَمْ يَصِلْ شَرْقِيَّ الْجَزِيرَةِ، فَكَانَ تَأْمِيرُهُ زَهِيرًا عَلَيْهِمْ لَدَلِيلٍ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا فِي جَنُوبِ الْجَزِيرَةِ أَثْنَاءَ حَمَلَتِهِ.

٩- أَنَّ زَهِيرَ بْنَ جَنَابٍ قَاتَلَ بَكْرًا وَتَغْلِبَ حِينَ حَاولُوا قَتْلَهُ فِي مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ (حَبِيٌّ) قَالَ الْبَيْطَارُ: «فَلَمَّا بَلَغَ زَهِيرُ أَرْضَ قَوْمِهِ جَمَعَ لِبَكْرٍ وَتَغْلِبَ الْجُمُوعَ مِنْ قَوْمِهِ وَمِنْ شَذَاذِ الْعَرَبِ وَالْقَبَائِلِ، فَغَزَاهُمْ وَهَمَّ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ (الْحَبِيٌّ)، وَكَانُوا قَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ نَجَا وَجَمَعَ لَهُمْ، فَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ، فَانْهَزَمَتْ بَنُو بَكْرٍ، ثُمَّ انْهَزَمَتْ تَغْلِبَ، وَأَسْرَ كَلِيبٌ وَمَهْلَهْلُ ابْنَا رَبِيعَةَ، وَاسْتَيْقَتِ الْأَمْوَالُ، وَقَتَلَتْ كَلْبٌ فِي تَغْلِبَ قَتْلَى كَثِيرَةً، وَأَسْرَوْا جَمَاعَةً مِنْ فَرَسَانِهِمْ وَوُجُوهِهِمْ»^(٢).

وَحَبِيٌّ فِي تَهَامَةٍ، قَالَ صَاحِبُ مَرَاصِدِ الْإِطْلَاعِ: «(حَبِيٌّ) بِالضَّمِّ، ثُمَّ الْفَتْحُ، وَبِأَيِّ مُشَدَّدَةٍ، بِلَفْظِ التَّصْغِيرِ: مَوْضِعٌ بِتَهَامَةٍ، كَانَ لِبْنَى أَسَدٍ وَكُنَانَةً»^(٣). وَقَوْلُهُ (وَهُمْ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ حَبِيٌّ) دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ دِيَارَهُمْ هُنَاكَ. وَذَكَرَهُ الْحَمُويُّ وَقَالَ عَنْهُ: «مَوْضِعٌ بِتَهَامَةٍ كَانَ لِبْنَى أَسَدٍ، وَكُنَانَةً»^(٤).

١٠- مِنَ الْأَدْلَةِ أَنَّ عَمِيرَةَ التَّغْلِبِيِّ الَّتِي قَالَ عَنْهُ الزَّرْكَلِيُّ: «شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ» يَذْكُرُ دِيَارَهُ فَيَذْكُرُ أَنَّ مِنْهَا الْبَرْدَانَ، وَالْبَرْدَانُ قَرِيبٌ مِنْ دِيَارِ بَنِي هَلَالِ بْنِ عَامِرٍ:

أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالْبَرْدَانِ خَلَتْ حَجَجٌ بَعْدِي لَهْنٌ ثَمَانٍ^(٥).

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «وَلَهُمْ بِالْحِجَازِ الْبَرْدَانُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ هَلَالِ بْنِ عَامِرٍ»^(٦).

(١) الصمد، ديوان النابغة الجعدي، ط ١، ص ١٤٢

(٢) البيطار، ديوان زهير بن جناب الكلبي، ط ١، ص ٣٤.

(٣) القطيعي، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط ١، ١/٣٧٩.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ٢/٢١٦.

(٥) الضبي، الفضليات، ط ٦، ص ٢٥٨.

(٦) الزمخشري، الحبال والأمكنة والمياه، ط ١، ص ٤١.

وقال ياقوت: "وقال الأصمعي: البردان ماء بنجد لبني عقيل ابن عامر بينهم وبين هلال بن عامر، وقال أبو زياد: البردان في أقصى بلاد بني عقيل وأول بلاد مهرة"^(١).

والبردان شمالي رنية، ويسمى اليوم برودان، وقد أورد تقرير في صحيفة عكاظ السعودية ما يلي: «وهناك آثار مستوطنة قديمة في وسط حوض تثليث قرب منهل برودان (البردان سابقا) لم يبق منها إلا أطلالها ورسومها»^(٢).

(*) من قبائل جنوب الجزيرة بنو تميم : وتميم قبيلة عربية كبيرة، لها وجود في أجزاء كثيرة من الجزيرة العربية، ولكن المؤكد أن التراث الشعري الجاهلي يخبرنا بأن قبائل من بني تميم سكنت تبالة، وتثليث، وما حولهما، وتبالة، وتثليث جنوبيتان بلا شك، فهذا شاعر تميمي جاهلي مشهور هو أوس بن حجر التميمي يقول:

بَكَيْتُمْ عَلَى الصُّلْحِ الدُّمَاجِ وَمِنْكُمْ بِذِي الرِّمْتِ مِنْ وَادِي تَبَالَةَ مَقْنَبٌ^(٣).

ويصرح شاعر تميمي آخر، هو سلامة بن جندل التميمي بسكانهم في تثليث وهي جنوبية، فقد جاء في البيان والتبيين: «وقال سلامة بن جندل هذه الأبيات وبعث بها إلى صعصة بن محمود بن مرثد، وكان أخوه أحمر بن جندل أسيرا في يده فأطلقه له:

سَأْهَدِي وَإِنْ كُنَّا بِتَثْلِيثٍ مَدْحَةً إِلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بُيُوتُكَ لَعَلْعَاً^(٤).

قال البكري معلقاً على البيت: «فدل قوله أن تثليث من ديار بني تميم»^(٥).

(*) من القبائل قبيلة جَنْب : وهي إحدى فروع قبيلة مذحج التي استوطنت جنوب الجزيرة العربية، والنسبة إليها جنبيّ، قال السمعاني: «الجنبيّ بفتح الجيم وسكون النون وفي آخرها الباء المنقوطة بواحدة، هذه النسبة إلى جنب - قبيلة من اليمن - ينتسب إليها جماعة من حملة العلم»^(٦).

وسيكون لهذه القبيلة المذحجية الجنوبية دور في استدلال الباحث على جنوبية حرب البسوس بين بكر وتغلب، إذ إن قبيلة جنب كانت مشتركة في تلك الحرب، حيث قاتلت

(١) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ٢٧٥/١.

(٢) صحيفة عكاظ، تثليث محافظة تهض من آثارها لتستشرف التنمية، عدد ١٥ يناير ٢٠٠٩م.

(٣) نجم، ديوان أوس بن حجر، ط ٢، ص ٧.

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، د ط، ص ٢١٠.

(٥) البكري: معجم ما استعجم، ط ٢، ٢٠٤/١.

(٦) السمعاني، الأنساب، ط ١، ٢/٢٤١.

مع تغلب ضد بكر، قال صاحب مسالك الأبصار: "ومنهم معاوية الخير الجنبي صاحب لواء مذحج في حرب بني وائل، وكان مع تغلب"^(١). وهذا يؤكد ما يقوله الباحث في مسألة كون مساكن بكر وتغلب جنوبية قبل حرب البسوس، وفي بدايات تلك الحرب، إذ إن اشتراك بعض بطون مذحج في الحرب مع ما عرف من سكانهم في جنوب الجزيرة يؤكد أن تلك الحرب كانت قريبة منهم، ولو كانت شمال الجزيرة أو شرقها لما كان لقبيلة جنب أن تشتبك فيها.

(*) من القبائل قبيلة خثعم: إحدى أشهر القبائل التي سكنت جنوب الجزيرة منذ العصر الجاهلي، وما زالت تلك القبيلة معروفة في بلادها التي كانت تقيم بها منذ العصر الجاهلي إلى اليوم، فهي تسكن المركز المسمى باسمها إلى اليوم (مركز خثعم) وهو موضع يتبع إدارياً لمحافظة بلقرن، وينبسط ليصل إلى مركز تبالة التابع لمحافظة بيشة، ومن أشهر ديارهم تبالة، وبها كان صنمهم في الجاهلية، واسمه ذو الخلصة. وجاء في كتاب الأعلام للزركلي «خثعم جد جاهلي، كانت منازل بنيه في سروات اليمن والحجاز، صنمهم في الجاهلية ذو الخلصة»، وذكر ما نقله عن عرام أن من منازل خثعم جبال السراة»^(٢).

وقال أنس بن مدرك الخثعمي، وهو فارس خثعم وقائدها:

تَبَالَةُ وَالْعَرَضَانِ تَرْجُ وَبِيشَةُ وَقَوْمِي تَيْمُ اللَّاتِ وَالْأَسْمُ خَثْعَمُ^(٣).

(*) من قبائل جنوب الجزيرة زبيد: إحدى قبائل سعد العشيرة من مذحج، وهي قبيلة الفارس الجاهلي المشهور، عمرو بن معدي كرب الزبيدي، يقول الهمداني في صفة جزيرة العرب: «بلد زبيد: بلاع واد فيه نخل وهو غير بلاع في بلد خثعم أسفل الخنقة إلى الورة والأعدان وهي مراع لرنية»^(٤). قال البكري: «وتثليث لبني زبيد، وهم فيها إلى اليوم، وبها كان مسكن عمرو بن معدي كرب»^(٥).

وأشهر مشاهير زبيد عمرو بن معدي كرب الزبيدي، أحد الفرسان الكبار في الجاهلية.

(١) العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، ص ٢٦١.

(٢) الزركلي، الأعلام، ط١٥، ٢٠٢/٢.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ط٢، ٢١/٢.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ط١، ص ١١٦.

(٥) البكري؛ معجم ما استعجم، ط٢، ٢٠٥/١.

(*) من قبائل الجنوب بنو عامر بن صعصعة : وقد تفرّعت منها قبائل كثيرة، أشهرها بنو هلال، وبنو عقيل، وسبيع، وجعدة، وكانت مساكنهم في بيشة وما حولها، ومن أعلام العامريين عامر بن الطفيل، وعمرو بن عامر فارس الضّحياء، ومنهم الشاعر الجاهلي النابغة الجعدي، ومنهم علقمة بن علاثة، وملاعب الأسنة أبو براء عامر بن مالك.

(*) من القبائل الجنوبية قبيلة عدوان : وقد سكن أبنائها ما سمّي بسراة عدوان مع أخوتهم من قبيلة فهم، وسراة عدوان تقع جنوب الطائف، قال ياقوت الحموي: «وقال الأصمعي: أول السّروات سراة ثقيف، ثم سراة فهم وعدوان، ثم سراة الأزد»^(١). وهذا ترتيب من الشمال إلى الجنوب، فإنّ ثقيف في الطائف، وفهم وعدوان يجاورونهم من الجنوب. ومن ديار قبيلة عدوان بقران الذي قال فيه ذو الإصبع العدواني:

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ بَقْرَانَ قُبَاً تَجُوبُ الْأَرْضَ فَجَاءَ بَعْدَ فَجٍّ^(٢)

وبقران في السراة، ويقع جنوب شرق الطائف، ما زال معروفا باسمه إلى اليوم، وقال الهمداني: «من السراة يصاع والسوار وبطن قوت والنجار وبقران»^(٣).

(*) من القبائل عنز بن وائل : إخوة بكر وتغلب ابني وائل، استوطنوا جنوب الجزيرة العربية منذ العصر الجاهلي إلى الآن، قال الدارقطني في المؤتلف والمختلف: «أما عنز، فهو عنز بن وائل، أخو بكر وتغلب»^(٤). وقال الهمداني في صفة جزيرة العرب: «جرش هي كورة نجد العليا وهي من ديار عنز»^(٥).

(*) من القبائل الجنوبية فهم : قبيلة جاهلية كانت تسكن جنوب مكة المكرمة، اشتهرت بالفصاحة مثلما اشتهرت بها قبائل الأزد، وهذيل، وهم إخوة عدوان، قال عنها فؤاد حمزة: «قبيلة قليلة العدد تعمل في رعي الماشية والإبل، وأنسابها من أصرح الأنساب وأقربها إلى قريش. وأكثر فهم في وادي الوغار، وهم مشهورون بالفصاحة»^(٦). وقال عاتق البلادي: «حثن: واد كبير لفهم، يأخذ من شفا بني سفيان فيدفع في صدر يلملم»^(٧).

(١) الحموي، معجم البلدان، ط٢، ٢٥٢/٢.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ط١، ص١٢٣.

(٣) مرجع سابق، ص١٢٣.

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ط١، ٣١٨/٢٥.

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ط١، ص١١٧.

(٦) حمزة، قلب جزيرة العرب، ط١، ص١٨٧.

(٧) البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، ط١، ص٧٦.

(*) من قبائل الجنوب كلب بن وبرة: قال صاحب كتاب (شعراء كلب بن وبرة) «فمنزلهم القديمة التي انتقلوا منها إلى غيرها كانت في تهامة ... ثم إن حزيمة بن نهد القضاعي قتل يذكر بن عنزة أحد بني ربيعة بن نزار بن معد في خبر لهم فكانت بينهم أول حرب وقعت بين بني معد، فقهرت قضاة وأجلوا عن منازلهم فمالت كلب بن وبرة إلى حضن ... فما زالت كلب بن وبرة ومن معها بمنازلها في حضن وما والاه»^(١).

وحضن جبل في بلدة تربة بين الطائف وبيشة، قال حمد الجاسر: «الْقُرُوفُ: واحدٌهم قَرْيٌ. في تربة ونواحي حَضْن»^(٢). وقد انتقلت قبيلة كلب بن وبرة في وقت لاحق إلى شمال الجزيرة.

وقال البكري: «كانت كلب بن وبرة ... بمنازلها من حضن، وما والاه من ظواهر أرض نجد، ينتجعون البلاد، ويتبعون مواقع القطر، حتى انتشرت قبائل بني نزار بن معد وكثرت، وخرجت من تهامة إلى ما يليها من نجد والحجاز، فأزالوهم عن منازلهم، ورخلوهم عنها»^(٣).

(*) من القبائل الجنوبية قبيلة كنانة: كانت ديارهم في تهامة، ما بين مكة وجازان، وقد ذكر عاتق البلادي في كتابه معالم مكة التاريخية أن ديار قبيلة كنانة في الجاهلية «كانت تمتد من وراء حلي في الجنوب إلى وادي الصفراء في الشمال»^(٤). وتقع حلي التي يتحدث عنها البلادي في جنوب الجزيرة العربية على ساحل البحر الأحمر، جنوب مدينة القنفذة، وقريبة من البرك التاريخية المشهورة.

وقد ذكر ياقوت الحموي أن عتود ماء لكنانة، يقول: «عتود: بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح الواو وآخره دال كذا حكى عن ابن دريد وقيل هو اسم، موضع بالحجاز، قال ولم يجيء على فصول غير هذا وخروج، والأزهري ذكره بالراء كما ذكرته بعده وقال العمراني عتود بفتح أوله واد، قال ويروي بكسر العين. قال ابن مقبل:

جُلُوساً بِهِ الشُّمِّ الطَّوَالُ كَأَنَّهُمْ أَسُودٌ بِتَرْجٍ أَوْ أَسُودٌ بِعُتُودَا^(٥)

(١) البيطار، شعراء بني كلب بن وبرة، ط١، ص٥٨.

(٢) الجاسر، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، ط١، ص١٥٢.

(٣) البكري، معجم ما استعجم، ط٢، ١/٤٥.

(٤) البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، ط١، ص٥.

(٥) حسن، ديوان ابن مقبل، ط١، ص٦٥.

(*) من قبائل الجنوب كندة : ومملكة كندة من الممالك العربية الشهيرة في العصر الجاهلي، كانت عاصمة تلك المملكة قرية الفاو التي ما زالت آثارها باقية إلى اليوم، وتقع الفاو جنوب غرب محافظة السليل بحوالي (١٠٠) كم، وجنوب محافظة وادي الدواسر بالمسافة ذاتها تقريبا، وشمال نجران بما يقارب (٢٠٠) كلم.

وقرية الفاو من أكبر وأشهر المواقع الأثرية في السعودية.

قال أحمد تمام: "ونجد قبائل كندة التي تنتسب إلى قحطان تقيم مملكة مركزها وادي الدواسر (قرية الفاو) وتمتد إلى ما كان يعرف بالبحرين" ^(١).

من قبائل الجنوب الكبرى مذحج : قال الهمداني: «وقال طرفة فججمع طرفا من بلد مذحج في بيت:

أَتَعْرِفُ رَسْمَ الدَّارِ قَضْرًا مَنَازِلُهُ كَجَفْنِ الْيَمَانِي زَخْرَفَ الْوَشْيِ مَآثِلُهُ ^(٢).
بِتَثْلِيثٍ أَوْ نَجْرَانٍ أَوْ حَيْثُ نَلْتَقِي مِنْ النُّجْدِ فِي قِيْعَانٍ جَاشٍ مَسَائِلُهُ

وقيل إن قبيلة طيء من مذحج، وفي ذلك يقول الطرمّاح الطائي:

نَحْنُ الرُّؤُوسُ عَلَى مَنَاجِ أَوْلِنَا مِنْ مَذْحِجٍ مَنْ يُسَوِّي الرُّأْسَ بِالذَّنَبِ ^(٣).

وكانت طيء قبل انتقالها إلى جبلي أجا وسلمى تسكن موضعاً في جنوب الجزيرة اسمه طريب، وهو ما زال إلى اليوم معروفاً بالاسم ذاته، قال البكري: طريب بفتح أوله، وكسر ثانيه واد باليمن، كان منازل طيء قبل أن تخرج إلى الجبلين، وهو اليوم لهمدان. وقد تقدّم ذكره في رسم جوف الخنقة وقال بعض طيء في مخرجه من طريب:

أَجْعَلْ طَرِيباً كَحَدِيثٍ يُنْسَى لِكُلِّ يَوْمٍ مَصْبَحٍ وَمَمْسَى ^(٤)

(*) من قبائل الجنوب نهد : قال جواد علي: «أما نهد فقد سكن أكبر بطونها في منطقة نجران، وقد دخلت بطون منها في قبائل أخرى واندمجت» ^(٥). وجاء في معجم ما استعجم: «وسارت قبائل جرم ونهد إلى بلاد اليمن فجاوروا مذحج في منازلهم من

(١) تمام، العرب نشأتهم، أنسابهم، أزمانهم، آدابهم، ط١، ص ٣٩.

(٢) الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ط٢، ص ٦٣.

(٣) حسن، عزة، ديوان الطرمّاح، ط١، ص ٥٦.

(٤) البكري، معجم ما استعجم، ط٢، ٨٩٠/٢.

(٥) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، ٢١/٨.

نجران وتثليت؛ وغلبوا على بعض تلك البلاد فقال عمرو بن معدي كرب الزبيدي:
لَقَدْ كَانَ الْحَوَاضِرُ مَاءً قَوْمِي فَأَصْبَحْتُ الْحَوَاضِرُ مَاءً نَهْدٍ^(١).

(*) من قبائل الجنوب هذيل : كانت مساكنهم ممتدة من جبل غزوان في الطائف، إلى مكة المكرمة، ومنازلهم في السراة مجاورة لقبيلتي فهم، وعدوان، وأشهر أوديتهم وادي نعمان بين مكة والطائف، ومن جنوب الطائف سكنوا ما يسمى الآن بشفا هذيل، ومن أوديتهم دفاق، قال عاتق البلادي: «واد لهذيل، يسيل من السراة قرب شفا بني سفيان ثم ينحدر غرباً مع ميل تدريجي إلى الشمال حتى يصب في مكان بعد ضيم على (٣٢) كيلا جنوب مكة»^(٢).

ثالثاً: صفحات من تاريخ الشعر والشعراء في جنوب الجزيرة العربية في العصر الجاهلي :

١- شعراء وشاعرات :

أ- شعراء جنوبيون ذكرهم ابن سلام في طبقاته

١- امرؤ القيس بن حجر الكندي

هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار، أشهر الشعراء الجاهليين، وصاحب المعلقة الأشهر في الشعر الجاهلي. وامرؤ القيس شاعر جنوبي بلا شك، فأبوه حجر بن الحارث هو آخر ملوك كندة، وكندة كانت في جنوب الجزيرة، تدل على ذلك أمور منها:

١. أن عاصمة مملكة كندة هي مدينة الفاو، وهي مدينة جنوبية ما زالت آثارها باقية حتى الساعة، وتقع في الجنوب الغربي من محافظة وادي الدواسر، وبينهما مسافة (١٠٠) كيلومتر تقريباً في خط مستقيم، وهي إلى الشرق من مدينة تثليت، وشمالى مدينة نجران.

٢. أن من أخبار وأشعار امرئ القيس ما يدل دلالة واضحة على أنه عاش في جنوب الجزيرة، وقد ورد في البداية والنهاية «وذكر الكلبي أن امرأ القيس أقبل براياته يريد قتال بني أسد حين قتلوا أباه، فمر بتبالة وبها ذو الخلصة

(١) البكري، معجم ما استعجم، ط٣، ١/٤١.

(٢) البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، ط١، ص ١٧.

- وهو صنم - وكانت العرب تستقسم عنده، فاستقسم^(١) وتبالة بلدة تاريخية تقع في جنوب الجزيرة العربية، وموقعها غرب بيشة، وما زالت قائمة حتى الساعة، محتفظة باسمها إلى اليوم. وقد وقف الباحث على مكان الصنم في تبالة، حيث أرشد سكان المنطقة إلى جبل صغير يسمونه الآن (جبل الطاغوت) ولعل في التسمية ما يدل على ارتباط ذلك الجبل بذي الخصلة.

٢. إن في أخبار المعركة الأولى لامرئ القيس مع قتلة أبيه بني أسد، ما يدل على أن تلك المعركة كانت في تهامة جنوب الجزيرة، فقد أورد شارح ديوان امرئ القيس ما نصّه: «وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب، حتى انتهى إلى بني كنانة، وهو يحسبهم بني أسد، فوضع السلاح فيهم وقال: يا لثارات الملك! يا لثارات الهمام! فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت: أبيت اللعن لسنا لك بثأر، نحن من كنانة فدونك ثأرك، فاطلبهم فإن القوم قد ساروا بالأمس، وفي ذلك يقول امرؤ القيس:

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بَنِي أَبِيهِمْ وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ^(٢).

وكنانة جنوبيون، وامرؤ القيس حين هاجمهم في منازلهم لا شك يعلم أنها منازل بني أسد إخوة كنانة.

٤. أن شعر امرئ القيس محمّل بذكر مواضع جنوبية كثيرة، وهذا يدل على أنه عاش في تلك المواضع من جنوب الجزيرة، فهو أولاً يذكر المكان الذي كان يعيش فيه حين جاءه نبأ مقتل أبيه حجر، والمكان هو (صيلع) قال امرؤ القيس:

أَتَانِي وَأَصْحَابِي عَلَى رَأْسِ صَيْلَعٍ حَدِيثُ أَطَارِ النَّوْمِ عَنِّي وَأَنْعَمَا^(٣).

وصيلع جنوبي قال عنه البكري: «صيلع موضع من اليمن كثير الوحش والظباء»^(٤).

وأما قول من قال: إن امرأ القيس كان بعيداً في رحلة صيد فهو من باب الظن لا من باب اليقين، وهو قول - حتى لو افترض الباحث صحته - فإنه لا ينفي كونه كان على بعد مسيرة أيام قليلة عن ديار قومه، فالصيد في زمانهم كثير، ومسيرة أيام على اعتبار ما كان لديهم من وسائل المواصلات لا يعني الابتعاد كثيراً عن الديار.

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، د ط، ٢٧٠/٣.

(٢) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط ٥، ص ١١.

(٣) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط ٥، ص ١٦٠.

(٤) البكري؛ معجم ما استعجم، ط ٢، ٨٤٨/٣.

وجاء في المجلس الصالح والأنيس الناصح: «قال: حدثني فروة بن سعيد بن عفيف بن معدي كرب، عن أبيه، عن جده، قال: بينا نحن عند رسول الله (ﷺ) إذ أقبل إليه وفد من اليمن، فقالوا: يا رسول الله! لقد أحيانا الله عز وجل بيبتين من شعر امرئ القيس، قال: وكيف ذاك؟ قالوا: أقبلنا نريدك حتى إذا كنا ببعض الطريق أخطأنا الطريق فمكثنا ثلاثاً لا نقدر عليه، فتفرقتا إلى أصول طلع وسمر ليموت كل رجل منا في ظل شجر، فبينما نحن بآخر رمق إذ راكب يوضع على بعير معتم، فلما رآه بعضنا قال والراكب يسمع:

وَمَا رَأَتْ أَنْ الشَّرِيعَةَ هَمَهَا وَأَنْ الْبَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دَامِي
تَيَمَّمَتِ الْعَيْنُ الَّتِي عِنْدَ ضَارِجٍ يَفِيءُ عَلَيْهَا الظِّلُّ عُرْمُضُهَا طَامِي

قال الراكب من يقول هذا الشعر؟ وقد رأى ما بنا من الجهد، قال: قلنا: امرؤ القيس بن حجر، قال: ما كذب وإن هذا لضارجٌ أو ضارج عندكم، فنظرنا فإذا بيننا وبين الماء نحو خمسين ذراعاً، فحبونا إليه على الركب، فإذا هو كما قال امرؤ القيس عليه العرمض يفيء عليه الظل، فقال رسول الله (ﷺ): «ذاك رجل مذكور في الدنيا منسي في الآخرة، شريف في الدنيا خامل في الآخرة، بيده لواء الشعراء يقودهم إلى النار»^(١).

وعلى الرغم من أن هناك من ضعف الحديث، فإن من رواه لم يتعارض عنده كون الوفد جاء من جهة الجنوب، وكون الأبيات لامرئ القيس، ولو كان مشهوراً أن امرأ القيس ليس جنوبياً لانتبه لذلك رواة الحديث. كذلك فإن الذين ضعفوا الحديث لم يقل أحد منهم إن من أسباب تضعيفهم له، أن امرأ القيس ليس جنوبياً، وعلى هذا فإن وصفه للماء الواقع في الجنوب غير ممكن، ولو كان امرؤ القيس ليس جنوبياً لكانت هذه من أقوى حجج القائلين بأن الحديث لا يصح. ويؤيد هذا أن البكري في معجم ما استعجم ذكر ضارج، على أنه موضع باليمن، يقول البكري: «وقال الطوسي: ضارج: موضع باليمن. وأنشد لامرئ القيس:

قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ وَبَيْنَ الْعُذَيْبِ بَعْدَ مَا مُتَأَمَّلٌ»^(٢).

ورد ذكر ضارج في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، حيث ذكره عمرو في معرض وصفه ليوم ممطر، وعمرو على عادة الشعراء الجاهليين يذكر الأماكن القريبة التي

(١) ابن زكريا، المجلس الصالح والأنيس الناصح، ط ١، ص ٨٣.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ط ٢، ٢/٨٥٢.

أصابها المطر، وعمر بن معدي كرب جنوبي بلا خلاف، وهو في الأبيات يؤكد أنّ المطر يمانى / جنوبي، يقول عمرو:

أَلَمْ تَأْرُقْ لَذَا الْبَرْقِ الْيَمَانِي يَلُوحُ كَأَنَّهُ مَضْبَاحُ بَانَ^(١)
فَرَوَى ضَارِجاً فَذَوَاتِ خَيْمٍ فَحَزَّةٌ فَاَلْمَدَافِعَ مِنْ قِنَانِ

ومن الأماكن التي ذكرها امرؤ القيس أخرب حين قال:

خَرَجْنَا نُرِيغُ الْوَحْشَ بَيْنَ ثُعَالَةٍ وَبَيْنَ رُحَيَّاتٍ إِلَى فَجٍّ أَخْرَبٍ^(٢)

قال ياقوت: «أَخْرَبُ: بفتح الراء، ويروى بضمها، فيكون أيضا جمعا للخرب المذكور قبل وهو موضع في أرض بني عامر بن صعصعة، وفيه كانت وقعة بني نهد وبني عامر»^(٣).

وبلاد بني عامر بن صعصعة بيشة وما حولها.

وذكر امرؤ القيس الدخول، وحومل في مطلعته الشهيرة:

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ^(٤)

قال الشدوي عن الدخول وحومل «التي اشتهرت في شعر امرؤ القيس تقع في نجد العالية وهي شمال رنية بنحو (١٥٠) كيلا»^(٥). وقال البلادي: «والدخول وحومل مكانان من رنية معروفان»^(٦).

وذكر امرؤ القيس أورال في قوله:

تَخَطَّفَ خِزَانَ الشَّرِبَةِ بِالضُّحَى وَقَدْ جَحَرَتْ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَالٍ^(٧).

وأورال موضع جنوبي، ذكر البكري أنه قريب من مكة، واستشهد لذلك ببيت امرئ القيس، وبيت لعباس بن مرداس السلمي، وثالث لابن مقبل، قال البكري: «أورال: بفتح

(١) الطرايشي، شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ط٢، ص١٧٦.

(٢) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط٥، ص٢٤.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ط٢، ١/١٢٠.

(٤) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط٥، ص١١٠.

(٥) الشدوي، تهامة مسرح حروب امرئ القيس الانتقامية

<https://www.alriyadh.com/1799987?fbclid>

(٦) البلادي، معجم معالم الحجاز، ط٢، ص٦١٣.

(٧) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط٥، ص١٢٩.

أولّه، وإسكان ثانيه، وفتح الراء المهملة، على لفظ جمع ورل: ضفرة دون مكة، قال ابن مقبل:

يَا هَلْ تَرَى ظُلْعَنَا كُبَيْشَةً وَسُطْهَا مُتَذَنَّبَاتِ الْخَلِّ مِنْ أَوْرَالِ^(١)
وذكر حليّ فقال:

فَغُولٍ فَحَلِيَّتٍ فَأَكْنَفٍ مُنْعَجٍ إِلَى عَاقِلٍ فَالْجُبِّ ذِي الْأَمَرَاتِ^(٢).
قال البكري: «حليّ: أولّه مكسور، وثانيه مكسور أيضا مشدد، بعده الياء أخت الواو، ثم التاء المعجمة باثنتين من فوقها: موضع في ديار بني عامر»^(٣).

وذكر من المواضع الجنوبية عرعر، وقوّا فقال:

سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قُوٍّ فَعَرَعَرَا^(٤).

والموضعان جنوبيان، فأما قوّفقال زرعة بن تميم الجعدي، وهو من بني عامر، ثم من بني جعدة الذين سكنوا شمال بيشة:

وَإِنْ تَكُ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةُ خَيَّمَتْ بِقُوٍّ، فَإِنِّي وَالْجَنُوبُ يَمَانِ^(٥).

وأما عرعر فقد ذكر عاتق البلادي أنه جنوب شرق مكة إذ يقول: «عَرَعَر: بفتح العين المهملة وسكون الراء والتكرار واد يصب في وادي نعمان من الجنوب، به آبار سقي، وبيوت مدر متباعدة، ومزارع عشية، كل ذلك لهذيل، قال الأبح بن مرة الهذلي:

لَعَمْرُكَ سَارِيَّ بْنَ أَبِي زُنَيْمٍ لَأَنْتَ بَعَرَعَرِ الثَّأْرِ الْمُنِيمِ^(٦).

٢- أوس بن حجر:

أوس بن حجر بن عتاب، أحد كبار شعراء تميم في الجاهلية، وقد جعله ابن سلام على رأس الطبقة الثانية من طبقات الشعراء الجاهليين، تزوّج أمّ زهير بن أبي سلمى

(١) البكري، معجم ما استعجم، ط٣، ٢١١/١.

(٢) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط٥، ص٥٠.

(٣) البكري، معجم ما استعجم، ط٣، ٤٦٢/٢.

(٤) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط٥، ص٥٩.

(٥) الحموي، معجم البلدان، ط٢، ٤١٦/٤.

(٦) البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، ط١، ١٨١.

الشاعر الجاهلي المشهور، وكان أوس من المعمرين ولم يدرك الإسلام، وهو شاعر مجيد، قال المرزباني: «أخبرنا ابن دويد، قال: أخبرنا أبو حاتم، قال: حدثني الأصمعي، قال: طفيل الغنوي أشبه الشعراء الأولين من زهير. قال: ثم قال أبو عمر بن العلاء - وسأله رجل وأنا أسمع - النابغة أشعر أم زهير؟ فقال: ما يصلح زهير أن يكون أجيرا للنابغة. ثم قال: أوس بن حجر أشعر من زهير»^(١).

ويدل شعر أوس بن حجر على أنه عاش في جنوب الجزيرة العربية، حيث يحمل ذلك الشعر أسماء مواضع جنوبية خالصة، وهذا يعني أن قسما من بني تميم عاشوا في تلك المواضع، فهو يذكر صلحا تم الاتفاق عليه في وادي تباله، وتباله في بيشة، فيقول:

بَكَيْتُمْ عَلَى الصُّلْحِ الدُّمَاجَ وَمَنْكُمُ بَنِي الرُّمَثِ مِنْ وَادِي تَبَالَةَ مَقْنَبٌ^(٢).
فَأَحْلَلْتُمْ الشَّرْبَ الَّذِي كَانَ آمِنًا مَحَلًّا وَخِيَمًا عُوْدُهُ لَا تَحَلُّبُ

ويذكر أوس جبل قسا فيقول:

حَلَلْتُ تُمَاضِرُ بَعْدَنَا رَبِّبَا فَالْغَمَرُ فَالْمُرَيْنِ فَالشُّعْبَا^(٣).
حَلَلْتُ شَامِيَةً وَحَلَّ قَسَا أَهْلِي فَكَانَ طَلَابُهَا نَصْبَا
لِحِقَّتْ بِأَرْضِ الْمُنْكَرِينَ وَلَمْ تُمَكِّنْ لِحَاجَةِ عَاشِقِ طَلْبَا

قال البكري: «قسا: بفتح أوله، مقصور، على وزن فعل، يكتب بالالف: جبل بيلاد باهلة»^(٤).

وجبل قسا شرقي الطائف، في بلدة تربة، وقال الزمخشري: «قسا: جبل، قال رجل من بني ضبّة:

لَنَا إِبِلٌ لَمْ نَدْرِ مَا الدُّعْرُ بَيْنَهَا بَتَعْشَارَ مَرْعَاهَا قَسَا فَصَرَائِمُهُ^(٥)

وتعشار موضع في أرض كلب، قال البكري: «وقال الطوسي: تعشار أرض لكتب»^(٦).

(١) المرزباني، محمد، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، ط ١، ص ٤٩.

(٢) نجم، ديوان أوس بن حجر، ط ٣، ص ٧.

(٣) مرجع سابق، ص ١.

(٤) البكري، معجم ما استعجم، ط ٣، ١٠٧٣.

(٥) الزمخشري، الجبال والأمكنة والمياه، د ط، ٢٧٦/١.

(٦) البكري، معجم ما استعجم، ط ٢، ٢١٥/١.

وكانت منازل كلب في الجاهلية شرقي الطائف، قال البكري: «وكانت كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وجرم بن ربان، وعصيمة بن اللبو بن امرئ مناة بن فتيّة بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان، بمنازلها من حضن، وما والاها من ظواهر أرض نجد، ينتجعون البلاد، ويتبعون مواقع القطر، حتى انتشرت قبائل بني نزار بن معد وكثرت، وخرجت من تهامة إلى ما يليها من نجد والحجاز، فأزالوهم عن منازلهم، ورخلوهم عنها، ونافسوهم فيها»^(١).

فَحَضَنُ جَبَلٍ فِي بِلْدَةِ تَرِيَّةَ بَيْنَ الطَّائِفِ وَبَيْشَةَ، قَالَ حَمْدُ الْجَاسِرِ: «الْقُرُوفُ: وَاحِدُهُمْ قَرِيْفٌ. فِي تَرِيَّةٍ وَنَوَاحِي حَضَنٍ»^(٢). وما زال جبل حضن معروفا باسمه إلى اليوم، وهو يَقَعُ شَرْقِيَّ الطَّائِفِ، وَيَبْعَدُ عَنْهَا مَسَافَةَ (١٠٠) كَلَمٍ فِي خُطِّ مُسْتَقِيمٍ. وَقَالَ الْبَكْرِيُّ: «قَسَا بِفَتْحِ أَوَّلِهِ، مَقْصُورٌ، عَلَى وَزْنِ فَعْلٍ، يَكْتُبُ بِالْأَلْفِ: جَبَلٌ بِبِلَادِ بَاهِلَةَ»^(٣). وديار باهلة شرقي الطائف، وقد تقدم بيان ذلك عند الحديث عن غني، وباهلة.

وذكر أوس مواضع جنوبية أخرى منها قو، والسليل، ومطار في قوله:

تَنَكَّرَ بَعْدِي مِنْ أَمِيمَةٍ صَائِفُ	فَبَرَكُ فَأَعْلَى تَوَلَّبَ فَالْمَخَالِفُ ^(٤)
فَقَوُّ فَرَهْبِي فَالسُّلَيْلُ فَعَاذِبُ	مَطَافِيلُ عُوذِ الْوَحْشِ فِيهَا عَوَاطِفُ
فَبَطْنُ السُّلَيْيِ فَالسَّخَالُ تَعَذَّرْتُ	فَمَعْقَلَةٌ إِلَى مَطَارِ فَوَاحِفِ

أما السليل فما زال يعرف باسمه إلى الآن شمال شرق بيشة، ومطار قال عنه البكري: «مطار بضم أوله، وبالراء المهملة في آخره: واد بين البوياة والطائف»^(٥). واستشهد ببيت أوس السابق، وقو جنوبي تم ذكره في الدراسة كثيرا. وقال أوس بن حجر يذكر مواضع جنوبية منها (ضلفع):

تَكَنَّفْنَا الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ لَيَنْتَزِعُوا عِرْقَاتِنَا ثُمَّ يَرْتَعُوا^(٦)

(١) مرجع سابق، ٤٥/١.

(٢) الجاسر، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، ط١، ص٦٥٢.

(٣) البكري، معجم ما استعجم، ط٢، ١٠٧٣/٢.

(٤) نجم، ديوان أوس بن حجر، ط٢، ص٦٣.

(٥) البكري، معجم ما استعجم، ط٢، ٢٨٤/١.

(٦) مرجع سابق، ص٨٧.

جاء في مراصد الاطلاع: «ضلفع: بالفتح، ثم السكون، ثم الفاء المفتوحة، وعين مهملة: اسم موضع باليمن»^(١). وضلفع جبل ما زال يعرف باسمه إلى اليوم في بلدة رنية، شمال بيشة.

٣- النابغة الجعدي :

قيس بن عبد الله، من بني جعدة، ثم من عامر بن صعصعة الذين كانت ديارهم في بيشة وما حولها من جنوب الجزيرة، وقد اختلف في اسمه، ف قيل قيس بن عبد الله، وقيل عبد الله بن قيس، وقيل حبان بن قيس بن عبد الله، يكنى بأبي ليلي، عمر طويلاً، وأدرك الإسلام فأسلم، وقال في طول عمره:

لَقِيتُ أَنْسَاءً فَأَفْنَيْتُهُمْ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ أَنْسَاءِ أَنْسَاءً^(٢)

ذكره ابن سلام في الطبقة الثالثة من طبقات الشعراء، وقال عنه: «أبوليلي نابغة بنى جعدة وهو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة»^(٣).

وقال عنه أيضاً: «وكان النابغة قديماً شاعراً مفلحاً طويلاً البقاء في الجاهلية والإسلام»^(٤).

قيل إنه ولد في الأفلاج، والأفلاج تقع جنوبي مدينة الرياض حالياً، وحاضرة الأفلاج ليلي، وهي في منتصف المسافة تقريبا بين الرياض وبيشة، وقد بين النابغة في وضوح تام منازل قومه، فذكر أنهم يسكنون بيشة وما حولها في قوله:

جَلَبْنَا مِنَ الْأَكْوَارِ وَالسِّيِّ وَالْقَفَا وَبَيْشَةَ جَيْشاً ذَا زَوَائِدَ جَحْفَلَا^(٥).

فأما جبال الكور فعلى يسار القادم إلى رنية من بيشة، يجدها قبل رنية بقريب من (١٧) كيلا، ويقابلها من الشرق جبل الورك، وفيه منتزه الورك العام. وأما السِّيِّ فذكر البكري في معجم ما استعجم أن السِّيِّ قريب من بلدة (تربة) قال «ثم تنزل بطن تربة، فتصدّق هلال بن عامر والضّباب، ثم تنزل تريم، وهي لبنى جشم، ثم تنزل السِّيِّ،

(١) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ٤٦١/٣.

(٢) الصمد، واضح، ديوان النابغة الجعدي، ط ١، ص ٩.

(٣) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، د- ت، ١٢٣/١.

(٤) مرجع سابق، ١٢٤/١.

(٥) الصمد، ديوان النابغة الجعدي، ط ١، ص ١٣١.

فتصدّق بنى هلال»^(١). فقرن السيّ بتربة، وتربة بلدة تقع بين الطائف وبيشة في جنوب الجزيرة العربية.

وذكر النابغة الجعدي الذهاب ومريع وغيرها من المواضع الجنوبية، وقد أوردت الدراسة قول الهمداني: إن مريع من ديار زبيد في جنوب الجزيرة، قريب من تثليث، يقول النابغة:

أَتَاهُنَّ أَنْ مِيَاهَ الذَّهَابِ فَالْأَوْقُ فَالْمَلْحُ فَالْمَيْثَبُ^(٢)
فَنَجْدِي مُرِيْعَ فَوَادِي الرِّجَاءِ إِلَى الْخَانَقَيْنِ إِلَى أَخْرَبِ
تَجْرِي عَلَيْهِ رَبَابُ السَّمَاءِ شَهْرَيْنِ مِنْ صَيْفٍ مُخْصَبِ

بينما يقول الحازمي في كتاب الأماكن: «وأما الثالث - مريع - بفتح الميم وياء تحتها نقطتان من ديار بني أسد على الطريق المختصر من حضرموت إلى مكة، بين نجران وتثليث»^(٣).

وهذا القول يثبت أمرين: الأول: موضع مريع الذي تحدّث عنه النابغة الجعدي. والثاني: أن ديار بني أسد جنوبية، فالحازمي يذكر أنها بين نجران وتثليث، وربما كان هذا قبل تفرقها بعد أن قتلت حجرا، وهاجمها ابنه امرؤ القيس.

واستشهد البكري في معجم ما استعجم بأبيات النابغة هذه، حيث يقول: «الذهب بكسر أوله ... موضع من أرض بلحارث ... قال الجعديّ: وذكر الأبيات»^(٤).

وقال أبو عبيدة في شرح نقائض جرير والفرزدق: «الذهب غائط من أرض بني الحارث بن كعب أغار عليهم فيه عامر بن الطفيل، وعلى أحلافهم من أهل اليمن»^(٥).

كذلك فإن الجعدي حين يفخر بانتصار قومه على القبائل لا يكاد يذكر إلا قبائل الجنوب، فحروبهم كانت مع خثعم، ومذحج، وهمدان، وحمير، وهم يحاربون في نجران، وترج، وعثر:

(١) البكري، معجم ما استعجم، ط ٢، ٤/١٢٣٦.

(٢) الصمد، ديوان النابغة الجعدي، ط ١، ص ٣٨.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ط ١، ص ٨٤.

(٤) البكري، معجم ما استعجم، ط ٢، ٦١٦/٢.

(٥) أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ط ٢، ٤٠٣/٢.

وَنَحْنُ أَزَلْنَا مَذْحِجاً عَنْ دِيَارِهَا وَهَمْدَانُ أَسْقَيْنَا السَّمَامَ وَحَمِيرًا^(١)
وَنَحْنُ أَزَلْنَا خَثْعَمًا عَنْ دِيَارِهَا فَزَالَتْ وَكَانَتْ أَهْلَ تَرْجٍ وَعُثْرًا
وَقَدْ عَلِمَتْ عَلَيَا مَعَدٌ بَلَاءَنَا وَنَجْرَانُ زُرْنَا بِاللِّهَامِيمِ ضُمْرًا

وأكد النابغة أنَّ تلك الديار هي ديار قومه فقال بوضوح:

فَذَهَابُ الْكُورِ أَمْسَى أَهْلُهُ كُلُّ مَوْشِيٍّ شَوَاهُ ذُو رَمَلٍ^(٢)
دَارُ قَوْمِي قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُمْ عَنَتُ الدَّهْرُ وَعَيْشُ ذُو خَبَلٍ

واستشهد البكري بقول النابغة الجعدي عن أثال فقال: «وقال الجعدي في أثال الذي عنى امرؤ القيس، فأضافه إلى الكور والكور: من ناحية نجران أيضا — قال:

فَحَبِيُّ فَالْصَّفْحُ فَالْتَّغَرُ فَالْأَجْدَادُ قَفَرُوا وَالْكُورُ كُورُ أَثَالٍ^(٣)

وجبال الكور ما تزال تعرف باسمها إلى اليوم في رنية شمال بيشة.

وذكر النابغة ذا الرمث الذي في ديار قومه بني عامر فقال:

عَقِيلِيَّةٌ أَوْ مِنْ هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ بِذِي الرَّمْثِ مِنْ وَادِي الْمِيَاهِ خِيَامُهَا^(٤).

قال شارح ديوان النابغة الجعدي: «ذو الرمث وادي تبالة لأنه كثير الرمث، وهو نبات بري يشبه الغضا، ترعاه الإبل»^(٥). وذكر أوس بن حجر التميمي ذا الرمث، وبين أنه في بلدة تبالة في قوله:

بَكَيْتُمْ عَلَى الصُّلْحِ الدُّمَاجِ وَمِنْكُمْ بِذِي الرَّمْثِ مِنْ وَادِي تَبَالَةَ مِقْنَبُ^(٦)

وصرح النابغة بأن من ديار قومه تثليث فقال:

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ تَثْلِيثٍ حَتَّى أَتَيْنَ عَلَى أَوَارَةِ فَالْعَدَانِ^(٧)

(١) الصمد، ديوان النابغة الجعدي، ط١، ص٧٣.

(٢) مرجع سابق، ص١١٣.

(٣) الصمد، ديوان النابغة الجعدي، ط١، ص١٤٢.

(٤) مرجع سابق، ص١٥٣.

(٥) مرجع سابق، ص١٥٣.

(٦) نجم، ديوان أوس بن حجر، ط٢، ص٧.

(٧) الصمد، ديوان النابغة الجعدي، ط١، ص١٨٠.

أَتَيْنَ عَلَى الْمَنْقَى مُسَكَّاتٍ خَفَافَ الْوَطْءِ مِنْ جَذَبِ الزَّمَانِ

وذكر أنّ من ديارهم السليل، وهو واد يقع إلى شمال خميس مشيط بقرب من ثلاث مئة كلم، وجنوب الرياض بما يزيد على (٥٠٠) كيلو متر فقال:

أَلَمْ تَسْأَلِ الدَّارَ الْغَدَاةَ مَتَى هِيَ عَدَدَتْ لَهَا مِنَ السِّنِّينَ ثَمَانِيَا^(١)
بَوَادِي الظُّبَاءِ فَالَسَّلِيلَ تَبَدَّلَتْ مِنْ الْحَيِّ قَطْرًا لَا يُفِيقُ وَسَافِيَا
عَهَدَتْ بِهَا الْحَيِّ الْجَمِيعَ كَأَنَّهُمْ عِظَامُ الْمُلوْكَ عِزَّةً وَتَبَاهِيَا

وذكر النابغة جبل سلي في بيت من شواهد المحكم لابن سيده، وسلي هو جبل يقع على ضفة وادي رنية، على بعد (١٥) كلم تقريبا من وسط المحافظة حاليا:

كَأَنَّ غَدِيرَهُمْ بِجَنُوبِ سَلْيٍ نَعَامٌ فَاقَ فِي أَرْضٍ قِفَارٍ^(٢).

٤- أبو ذؤيب الهذلي:

خويلد بن خالد بن محرث، جاهلي أدرك الإسلام وأسلم، شاعر من كبار شعراء هذيل، لقي شعره عناية كبيرة من الدارسين، واشتهرت قصيدته العينية التي مطلعها: أمن المنون وريبها تتوجع.

ولم يذكر أبو ذؤيب - إلا نادرا - مواضع جنوبية في قصائده، ولعله من الهذليين الذين عاشوا شمال مكة المكرمة، ولكن ذكره لمواضع في جنوبي مكة كواذي عشر، والشمراء يثبت معرفته بها، وبالتالي أثبتته الدراسة:

عَرَفْتُ الدِّيَارَ لَأَمْ الرَّهْهَيْنِ بَيْنَ الظُّبَاءِ فَوَادِي عُسْرٍ^(٣)
أَقَامَتْ بِهِ وَابْتَنَتْ خِيْمَةً عَلَى قَصَبٍ وَفُرَاتِ النَّهْرِ

وقوله:

وَيْلٌ أَمْ قَتَلَى فُوقِ الْقَاعِ مِنْ عُسْرٍ مِنْ آلِ عُجْرَةَ أَمْسَى جَدُّهُمْ هَضْرًا^(٤)
كَانَتْ أَرِبَتُهُمْ بِهِزْ وَغَرَّهُمْ عَقْدُ الْجَوَارِ وَكَانُوا مَعْشَرًا غُدْرًا

(١) مرجع سابق، ص ١٨٤.

(٢) الصمد، ديوان النابغة الجعدي، ط ١، ص ٩٧.

(٣) بطرس، انطونيوس، ديوان أبي ذؤيب الهذلي، د ط، ص ٩٨.

(٤) المرجع السابق، ص ١٠٤.

ومن تلك المواضع الجنوبية ذكر الثمراء، قال البكري: «الثمراء هضبة بالطائف»^(١)
قال أبو ذؤيب:

يَظَلُّ عَلَى الثَّمَرَاءِ مِنْهَا جَوَارِسُ مَرَضِيْعُ ضُحْبُ الرِّيشِ زُغْبٌ رَقَابُهَا^(٢)
فَلَمَّا رَأَاهَا الْخَالِدِيُّ كَانَهَا حَصَى الْخَذْفِ تَهْوِي مُسْتَقْلًا إِيَابُهَا
أَجَدَ بِهَا أَمْرًا وَآيَقَنَ أَنَّهُ لَهَا أَوْ لِأُخْرَى كَالطَّحِينِ تَرَابُهَا

وأورد السكري البيت، وعلق عليه بقوله: «عقبة يقال لها الثمراء بشق الطائف مما يلي السراة»^(٣)

٥- لبيد بن ربيعة :

لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر، من بني عامر بن صعصعة، نشأ في أسرة ذات حسب ونسب، أبوه ربيعة بن مالك كان يسمّى - ربيعة المقترين - لفرط كرمه، وعمّه عامر بن مالك ملاعب الأسنة، فارس من الفرسان المشهورين، ولبيد أحد الشعراء الجاهليين الكبار، وصاحب المعلّقة التي يقول مطلعها:

عَفَتْ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمَقَامُهَا بِمَنْى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا

عاش لبيد مع قومه بني عامر في جنوب الجزيرة العربية، في شمال شرق منطقة عسير، في محافظة بيشة الغنيّة، وهناك دلائل كثيرة تؤكّد هذا القول، بعض تلك الدلائل أتت به أخبار البلدانيين والإخباريين، وبعضها واضح في شعر لبيد بن ربيعة نفسه. ففي معجم ما استعجم: «ومنازل أزد شنوءة السّراة، وهي أودية مستقبله مطلع الشمس بتثليث وتربة وبيشة، وأوساط هذه الأودية لخنعم، على ما تقدّم، وأحياء مذحج. وهذه الأودية تدفع في أرض بني عامر بن صعصعة»^(٤).

في هذا التعريف ما يدلّ على أنّ ديار بني عامر بن صعصعة جنوبية، فوادي بيشة يمتدّ بين جبال السراة إلى وادي الدواسر، وكلها مناطق جنوبية، وهذا يعني أنّ لبيد بن ربيعة جنوبى. وقال الزوزنى: «من مواقف لبيد الأولى مشاركته لقومه بني جعفر في

(١) البكري: معجم ما استعجم، ط ٣، ١/٢٤٦.

(٢) بطرس، ديوان أبي ذؤيب الهذلي، د ط، ص ٣٢.

(٣) السكري، شرح أشعار الهذليين، د ط، ص ٥١.

(٤) البكري: معجم ما استعجم، ط ٣، ١/٩٠.

الارتحال عن ديارهم قاصدين أرض نجران، لأن جواب بن عوف زعيم بني أبي بكر بن كلاب حكم عليهم بالنفي^(١). وقد ذكر لبيد مواضع جنوبية كثيرة بما يدل دلالة لا لبس فيها على أنه عاش في تلك المواضع، ومن تلك المواضع مدينة نجران، حيث سكنها مع قومه حين تم نفيهم من بيشة:

وَيَوْمَ مَنَعْتُ الْحَيَّ أَنْ يَتَفَرَّقُوا بَنَجْرَانَ فَقَرِي ذَلِكَ الْيَوْمَ قَاقِرُ^(٢)

وتحدث عن منازل حبيبته شمال بيشة، حيث ذكر جبل ضلفع الذي ما زال يحتفظ باسمه في رنية، وجبال سلي وهي كذلك ما زالت تحتفظ باسمها هناك:

لَهْنَدُ بِأَعْلَامِ الْأَغَرِّ رُسُومٌ إِلَى أَحَدٍ كَأَنَّهُنَّ وَشُومٌ^(٣)
فَوْقَ فُسْلِي فَأَكْنَفُ ضَلْفَعٍ تَرْبَعٌ فِيهِ تَارَةٌ وَتَقِيمُ
بِمَا قَدْ تَحَلُّ الْوَادِيَيْنِ كِلَيْهِمَا زَنَانِيرُ فِيهَا مَسْكَنٌ فَتَدُومُ

وذكر جبل حمومة، وهو جبل ما زال معروفا باسمه إلى اليوم في مدينة خميس مشيط، التي فيها مدينة جرش الأثرية، حاضرة نجد في الجاهلية:

فَإِمَّا تَرِينِي الْيَوْمَ عِنْدَكَ سَالِمًا فَلَسْتُ بِأَحْيَا مِنْ كِلَابٍ وَجَعْفَرٍ^(٤)
وَلَا مِنْ أَبِي جُزْءٍ وَجَارِي حُمُومَةٍ قَتِيلَاهُمَا وَالشَّارِبُ الْمُتَقَطِّرُ

ومن تلك المواضع تحتم، قال البكري: «تحتم ... بلد باليمن، قال لبيد:

وَهَلْ يَشْتَأِقُ مِثْلُكَ مِنْ دِيَارٍ دَوَارَسَ بَيْنَ تَحْتَمٍ فَالْخِلَالِ^(٥)

وذكر عرعر فقال:

لَمْ أَخْشَ عُلوِيَّةَ يَمَانِيَّةٍ وَقَدْ قَطَعْنَا مِنْ عَرَعَرٍ شُعْبَا^(٦)

وعرعر جنوبي سبق إيضاح مكانه عند الحديث عن امرئ القيس الكندي.

(١) الزوزني، شرح المعلقات السبع، ط١، ص١٥٧.

(٢) طماس، ديوان لبيد بن ربيعة، ط١، ص٤٢.

(٣) مرجع سابق، ص١١٧.

(٤) طماس، ديوان لبيد بن ربيعة، ط١، ص٤٤.

(٥) مرجع سابق، ص٩٧.

(٦) مرجع سابق، ص١٥.

وذكر عماية فقال:

فَحَدَّرَ الْعُصْمَ مِنْ عَمَايَةِ لِّلْسَهْلِ وَقَضَى بِصَاحَةِ الْأَرَبَا^(١)

قال صاحب مراصد الاطلاع: عمايتان (تثنية عماية) بفتح أوله، وتخفيف ثانيه، وياء مثناة من تحت: اسم جبلين؛ عماية العليا للحريش وقشير والعجلان وعماية القصوى شرقيها لتيم، وجنوبيها لباهلة، وغربيها للعجلان^(٢). وقد ورد في الدراسة أن بلاد بني قشير بين بيشة والنماص، وأن بلاد باهلة جنوب شرق الطائف. وذكر لبيد الضمرين فقال:

غَضَبْنَا لِلَّذِي لَا قَتَ نُفَيْلٌ وَخَيْرُ الطَّالِبِي التَّرَةِ الْغَضُوبُ^(٣)
جَلَبْنَا الْخَيْلَ سَائِلَةً عِجَافاً مِنْ الضُّمَرِينَ يَخْبِطُهَا الضَّرِبُ

والضمران في ديار بني سلول، وقد أوضحت الدراسة أن ديار بني سلول قريبة من بيشة، وقال القطيعي: «مجبسة: ماء لبنى سلول في الضمرين»^(٤).

وذكر لبيد البدي فقال:

لَا قَى الْبَدْيِ الْكِلَابَ فَاعْتَلَجَا مَوْجُ أَتْيَيْهِمَا لَمَنْ غَلَبَا^(٥)
فَدَعَدَمَا سِرَّةَ الرِّكَاءِ كَمَا دَعَدَعَ سَاقِي الْأَعَاجِمِ الْغَرَبَا

قال البكري: «قال أبو حاتم عن الأصمعي: البدي واد لبنى سعد» لها أَوْلَاخُرى كَالطَّحِينَ تَرَابُهَا^(٦). وبلاد بني سعد جنوب الطائف إلى الآن.

٦- طرفة بن العبد البكري:

طرفة بن العبد بن سفيان، من بني بكر بن وائل من ربيعة، واسمه عمرو، قال الشعر منذ حداثة سنّه، ويعدّ في الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية، قيل إنّه مات ولم يتجاوز السادسة والعشرين من عمره، وهو أحد أصحاب المعلّقات، ومعلّته مطلعها:

(١) طماس، ديوان لبيد بن ربيعة، ط١، ص١٧.

(٢) القطيعي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، ٩٥٩/٢.

(٣) طماس، ديوان لبيد بن ربيعة، ط١، ص٢٨.

(٤) القطيعي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، ١٢٣٠/٣.

(٥) طماس، ديوان لبيد بن ربيعة، ط١، ص١٧.

(٦) البكري: معجم ما استعجم، ط١، ٢٢٣/١.

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِبَرْقَةٍ تَهْمَدُ تَلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ^(١)

خلط الباحثون القدماء الخيال بالواقع في سردهم لحياة طرفة وشعره، متجاوزين ما أكده طرفة نفسه في شعره حين ذكر المواضع التي عاش فيها، إلى قصص لا يمكن أن يقبلها عقل متأمل. فمن ذلك ما قيل عن قصّة موته، فقد قيل إنّ طرفة زار أحد ملوك الحيرة - مع خاله المتلمّس - طلباً للجوائز، ولكنّ الملك أرسل طرفة وخاله بكتابين فيهما الأمر بقتلها إلى والي البحرين، لأنهما هجياه من قبل! والقصّة تنتهي بفرار المتلمّس بعد أن قرأ له أحد من لقيه الرسالة، ومقتل طرفة الذي أبى أن يقرأ له الرجل الرسالة، على الرغم من إلحاح خاله عليه. ولكنّ العقل لا يطمئن لتلك القصّة لوجوه عدة منها:

أ- أنّ الباحث لا يجد في ديوان طرفة مدحاً لأحد من المناذرة، مع أنّ طرفة مدح غيرهم ممن هم أقلّ منهم شأنًا كقتادة بن سلمة الحنفي، ولوأنّه ذهب فعلاً إلى المناذرة لكان قد قال فيهم مديحاً نجده في ديوانه، فأبى شاعر يفد على ملك كان قد هجاه، ثم لا يحمل في وفادته قصيدة في مدح الملك تذهب ما كان قد قدّمه من الهجاء!

ب- أنّ المنطق يرفض أن يتجرّأ طرفة على الذهاب إلى ملك كان قد هجاه، خاصّة أنّ القصّة تروي أنّ المتلمّس خال طرفة قد قال لطرفة بعد أن أرسلها الملك: (يا طرفة إنك غلام حديث السنّ، والملك من قد عرفت حقه وغدره، وكلانا قد هجاه فلست آمنا أن يكون قد أمر فينا بشر، فهلّم فلننظر في كتبنا هذه)^(٢). وفي الرواية ما ينقض ما أراد الرواة بناءه، فكيف يذهب إلى ملك تيقنا من جوره وغدره، ثم هما قد هجياه كما قيل، ثم لا نجد مديحاً يغسل ما في قلب الملك، بل إنّ الأبيات التي أوردها القصّاصون لطرفة في هجاء عمرو بن المنذر لا تبدو من الناحية الفنية شبيهة بشعر طرفة:

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرُو رَغُوثًا حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُورُ^(٣)
مِنَ الزَّمَرَاتِ أَسْبَلَ قَادِمَاهَا وَضَـرَّتْهَا مُرْكَنَةُ دَرُورُ
يُشَارِكُنَا لَنَا رَخْلَانِ فِيهَا وَتَعْلُوها الْكِبَاشُ فَمَا تَنُورُ
لَعَمْرُكَ إِنَّ قَابُوسَ بْنِ هِنْدٍ لَيَخْلُطُ مَلَكُهُ نُوكُ كَثِيرُ

(١) الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ط ٢، ص ٢٢.

(٢) مرجع سابق، ١١١.

(٣) الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ط ٢، ص ١٠٨.

ركاكة الأبيات واضحة، وفيها من الملحوظات ما لا تستقيم معه القصة، فالقصة تقول إنَّ الأبيات في هجاء عمرو بن هند حين كان ملكاً، وأنَّ عمرو بن هند قد أمر بقتل طرفة فقتل، ولكنَّ البيت الأخير يتحدث عن ملك قابوس بن هند أخي عمرو، وقابوس بن هند ملك بعد أخيه عمرو، فكيف يستقيم أن يتحدث طرفة عن ملك قابوس الذي لم يحدث إلا بعد مقتله! يقول محمد بيومي مهران: «وجاء بعد «عمرو بن هند» أخوه «قابوس بن المنذر»، والذي كان موضع ثقة أخيه، وقائد جيوشه ضد الرومان»^(١).

ج - أن الأبيات الوحيدة التي رويت، وقيل إنَّ طرفة قالها ليعتذر من الملك عمرو فيها مع اختلافها عن أسلوب طرفة ما يشبه التهديد لا الاعتذار، فقد روي أن طرفة قال للملك:

إِنِّي وَجَدْتُكَ مَا هَجَوْتُكَ وَالْأَنْصَابُ يُسْفَحُ بَيْنَهُنَّ دَمٌ
وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِذَاكَ إِذْ حُبِسْتُ وَأُمِرُّ دُونَ عُبَيْدَةَ الْوَدَمِ
أَخْشَى عِقَابَكَ إِنْ قَدَرْتُ وَلَمْ أَغْدِرْ فَيُؤْثَرُ بَيْنَنَا الْكَلِمُ

إنَّ المتأمل في الأبيات يجد فيها الكثير من الانتقاص من مقام الملك، فطرفة يقول إنَّه همَّ بأن يهجو، ويقول إنَّه خشى عقاب الملك إن قدر عليه، وهذا تشكيك في قدرة الملك على الانتقام منه، وكل هذا لا يليق في حضرة الملك، إضافة إلى أنَّه لم يمدحه بكرم، ولا بشجاعة، ولا بعفو، ولا بحلم، ولا بشيء مما تمدح به الملوك.

د - أن ملك الحيرة ليس في حاجة إلى أن يرسل أمر القتل إلى أحد ولاته، بل لم يذكر أن أحداً من المنادرة قد أرسل أحداً إلى بعض عماله ليقبله، وإنما كانوا يقتلون بين أيديهم.

هـ - أن القصة ذاتها تروي أن المتلمس قرأ صحيفته فإذا فيها الأمر بقتله، ولكنَّ طرفة رفض أن يقرأ صحيفته حتى بعد أن علم بما في صحيفة خاله، وهذا لا يقبله العقل.

و - ومنها أنَّه قيل إنَّ والي البحرين أخبر طرفة بما في الصحيفة وأتاح له فرصة للهرب، ولكنَّ طرفة رفض، وهذا أيضاً لا يقبله العقل.

(١) مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، ط ٢، ٥٢٨.

(٢) الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ط ٢، ص ١١٢.

ز — ومنها أنه لم يذكر أن للمناذرة واليا على البحرين.

ومثل ذلك يقال في مسألة نسبتهم طرفة إلى البحرين، إذ إن الباحث لا يجد في شعر طرفة ذكراً لأي موضع في البحرين أو حولها، في الوقت الذي يمتلئ فيه ديوان طرفة بذكر مواضع في جنوب الجزيرة العربية؛ ولا يجد الباحث تفسيراً لهذه الظاهرة أوضح من الاعتراف بأن طرفة كان يعيش مع قومه في جنوب الجزيرة العربية.

حاول كثير من الباحثين تفسير ما وجدوه في شعر طرفة من ذكر لأماكن كثيرة في جنوب الجزيرة، مع ما ظنوه من سكناه في البحرين، فلم يجدوا بداً من اختراع قصة لا تسندها الأدلة، تماماً كما اخترعوا قصة موته التي لا تسندها الأدلة، فقد قالوا إن طرفة سافر بتجارة إلى اليمن، وأنه مكث هناك بضع سنوات، وكأنهم أرادوا أن يبرروا ذكر أقاليم جنوب الجزيرة في شعر طرفة، فلم يجدوا حجة أخرى لتبرير ذلك. وبعيدا عن انعدام الأدلة التي تؤكد ما قالوه عن سكناه في إقليم البحرين، فإن الباحث يرى أن الأخبار التي وردت عن طرفة تدل على أنه عاش فقيراً، فأين هو من التجارة، كذلك تشير إلى أنه مات صغيراً، فأين هو من التجارة التي قد يسافر بها من البحرين إلى اليمن! وما الذي يجعل طرفة يسافر إلى نجران، وتثليث، وتباله، وجاش، وغيرها بقصد التجارة كما يقولون، ثم يبقى دهرًا، يقول فيه شعراً، دون أن يذكر سوق عكاظ وهو أشهر أسواق الجزيرة، أو حباشة وهو سوق جاهلية جنوبية شهيرة؟

إن الآتي من البحرين أو من العراق يصل إلى عكاظ قبل أن يصل الأماكن التي ذكرها طرفة في شعره، فطرفة ليس في حاجة إلى المرور على بيشة وتثليث وغيرها من أجل التجارة، بل إن أول وصول له سيكون إلى عكاظ، وستكون أمامه فرص التجارة في مجنة، وذو المجاز، وحباشة، وكلها أسواق كبرى تفي بغرضه في التجارة، والمتأمل في شعر طرفة لا يجد ذكراً لتلك الأسواق أو لمواضع قريبة منها، وإذا قلنا بأن طرفة قد تجاوز تلك الأسواق ليصل إلى أسواق صنعاء وحضرموت فلم يقتصر في ذكره للمواضع على بيشة وما حولها، لم لا يمارس عاداته فيتحدث عن مواضع قريبة من تلك الأسواق؟ ثم كيف يذكر طرفة ثمهد، والشريف، وتباله، وتثليث، ونجران، وجاش، وقو، وإضم، وجرثم، وغيرها من المواضع الجنوبية، وهو قد جاءها — كما قالوا — زائراً لا مقيماً، ثم لا يذكر مواضع في البحرين التي قالوا إنه عاش فيها؟

إن امتلاء شعر طرفة بذكر مواضع جنوبية، في دائرة جغرافية ضيقة، وخلوه من ذكر أماكن في شرق وشمال الجزيرة لهو من أوضح الشواهد على أن طرفة عاش في

جنوب الجزيرة لا في شمالها، أو شرقها. فأما الشَّريف، وتباله، وتثليث، ونجران، وجاش، وقو، وإضم، وجرثم، فجنوبية خالصة سترد كثيرا في الرسالة، وأما تهمد فيقول يا قوت الحموي: "قال نصر: تهمد جبل أحمر فارد من أخيلة الحمى، حوله أبارق كثيرة في ديار غني، وقال غيره: تهمد موضع في ديار بني عامر"^(١). ويقول أبو عبيد البكري: «تهمد: بفتح أوله، وإسكان ثانيه، وبالميم المفتوحة، والدال المهملة: جبل في حمى ضريبة، قد ذكرته في رسمها؛ وينبئك أنه تلقاء السَّتار قول دريد بن الصَّمّة:

وَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْأَحَالِيفَ أَصْبَحَتْ مُخِيْمَةً بَيْنَ السَّتَارِ فَتَهْمَدُ^(٢)

في شعر طرفه ما يدل دلالة لا لبس فيها على أنه عاش في جنوب الجزيرة العربية، فهو يصف المنطقة التي يعيش فيها وصفا يدل على أن نباتها يخضر ويتمايل في فصل الصيف، وهذا يعني أن مطر تلك المنطقة صيفي، وأن أجواءها تزين في الصيف، ولا ينطبق هذا الوصف إلا على أقاليم جنوب الجزيرة العربية، حيث إن مطرها صيفي، وبرد شتائها يذهب فتخضر الأرض، وتعود الحياة، وأما في أقاليم الجزيرة الأخرى، فإن صيفها جاف لا مطر فيه، حار تصل الحرارة فيه إلى خمسين درجة، وتموت النباتات، وتصفّر الأرض، يقول طرفه:

لَا تَلُمْنِي إِنَّهَا مِنْ نَسْوَةٍ رُقِدَ الصَّيْفُ مَقَالَيْتَ نُزُرُ^(٣)
كَبَنَاتِ الْمَخْرِيمِ أَدْنُ كَمَا أَنْبَتَ الصَّيْفُ عَسَالِيَجَ الْخُضَرِ

ومن ذلك قوله يذكر ديار حبيبته التي أصبحت قفرا بعد أن ارتحل أهلها، وتلك الديار جنوبية، بين تثليث، ونجران، ووادي جاش:

أَتَعْرِفُ رَسْمَ الدَّارِ قَفْرًا مَنَازِلُهُ كَجَفْنِ الْيَمَانِي زَخْرَفَ الْوَشْيِ مَآثِلُهُ^(٤)
بِتَثْلِيثٍ أَوْ نَجْرَانَ أَوْ حَيْثُ نَلْتَقِي مِنْ النَّجْدِ فِي قِيْعَانٍ جَاشٍ مَسَايِلُهُ

وقال أيضا يذكر تباله، وتباله بلدة جنوبية مشهورة، ما زالت تحتفظ باسمها إلى اليوم:

(١) الحموي، معجم البلدان، ط٢، ٨٩/٢.

(٢) البكري: معجم ما استعجم، ط٢، ٢٤٧/١.

(٣) الشنتمري، شرح ديوان طرفه بن العبد، ط٢، ص ٦٧.

(٤) ناصر الدين، ديوان طرفه بن العبد، ط٢، ص ٦٣.

رَأَى مَنْظَرًا مِنْهَا بِوَادِي تَبَالَةٍ فَكَانَ عَلَيْهِ الزَّادُ كَالْمَقْرِ أَوْ أَمَرَ^(١)

ومن المواضع التي ذكرها الشريف، والشريف جنوبي، قال الهمداني: «قال الجرمي: الشريف الذي ينسب إليه عقبان الشريف لبني تميم»^(٢). يقول طرفة عن الشريف:

لَهْدٌ بِحُزَانِ الشُّرَيْفِ طُلُولٍ تَلُوحُ وَأَدْنَى عَهْدِهِنَّ مُحِيلٌ^(٣)
وَبِالسَّفْحِ آيَاتٌ كَأَنَّ رُسُومَهَا يَمَانٍ وَشَتَهُ رَيْدَةٌ وَسَحُولُ

ويقول فضل العماري، في مقاله في مجلة الواحة الفصلية: «وأما قول الجاسر: طرفة من بكر، وهؤلاء كانوا من أهل البحرين فهو لم يلتفت إلى قول البكري: قال طرفة — وهو يومئذ بناحية تبالة وبيشة وما يليها — ، وهذه هي ديار طرفة، وهذا هو موطنه، وكانت بكر، آنذاك، هناك»^(٤).

ومما يؤكد أنَّ طرفة جنوبي لا بحريني قوله:

حَيْثُ مَا قَاطَظُوا بِنَجْدٍ وَشَتَوْا حَوْلَ ذَاتِ الْحَاذِ مِنْ ثَنِيٍّ وَقَرَّ^(٥)

قال ياقوت الحموي: «الحاذ: بالذال المعجمة: موضع بنجد»^(٦).
وقال طرفة يذكر مواضع جنوبية بعيدة كل البعد عن البحرين:

لِخَوْلَةٍ بِالْأَجْزَاعِ مِنْ إِضْمٍ طَلَلٍ وَبِالسَّفْحِ مِنْ قُوٍّ مَقَامٌ وَمُحْتَمَلٌ^(٧)

وقوَّ جنوبي، ذكره أوس بن حجر مقروناً بالبرك، والسليل، ومُطَارٌ وكلُّها مواضع تحدثت عنها الرسالة عند الحديث عن أوس بن حجر:

تَنَكَّرَ بَعْدِي مِنْ أُمَيْمَةٍ صَائِفٌ فَبِرْكٌ فَأَعْلَى تَوَلَّبَ فَالْمَخَالَفُ^(٨)
فَقُوٌّ فَرَهْبَى فَالسُّلَيْلُ فَعَاذِبٌ مَطَافِيلُ عُوذِ الْوَحْشِ فِيهَا عَوَاطِفُ

(١) الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ط٢، ص ١٦٠.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ط١، ص ١٦٩.

(٣) الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ط٢، ص ١٦٠.

(٤) العماري، العقل الشعبي نسب طرفة إلى البحرين ومولده في نجد،

<https://www.medi.u.edu.my/rules-and-regulation/scientific-thesis-guidelines/?lang=ar>

(٥) الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ط٢، ص ٦٠.

(٦) الحموي، معجم البلدان، ط٢، ٤٠٤/٢.

(٧) الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ط٢، ص ٩٨.

(٨) نجم، ديوان أوس بن حجر، ط٢، ص ٦٣.

فَبَطْنُ السُّلَيْيِّ فَالسَّخَالُ تَعَذَّرَتْ فَمَعْقَلَةٌ إِلَى مُطَارِ فَوَاحِفُ

وذكر طرفة مواضع أخرى منها الأملاح، والأمواه، والموان:

عَظَا مِنْ آلِ لَيْلَى السَّهْ بُفَالْأَمْلَاحُ فَالْغَمْرُ
فَعَرَقُ فَالْرَمَاحُ فَالْ لَوَى مِنْ أَهْلِهِ قَضْرُ
وَأُبْلَى إِلَى الْغَرَا ءُفَالْمَأْوَانُ فَالْحَجْرُ
فَأَمَوَاهُ الدَّنَا فَالْجَنْجَرُ دُفَالصَّحْرَاءُ فَالنَّسْرُ^(١)

فأما الأملاح فقال عنه عاتق البلادي: «وهو يتردد في شعر هذيل كثيرا»^(٢). وهذيل جنوبيون، وقال عن الغمر، والحجر: «والغمر غمر ذي كندة معروف قرب نخلة الشامية. وخيف منى والحجر معروفان كذلك»^(٣). وأما الأمواه فما زال معروفا باسمه إلى اليوم، وهو موضع شرقي خميس مشيط.

٧- عبيد بن الأبرص :

هو عبيد بن الأبرص بن عوف من بني سعد بن ثعلبة ثم من بني أسد، من شعراء الجاهلية الكبار، شهد مقتل حجر الكندي والد امرئ القيس، ثم شهد انتقام امرئ القيس من قبيلة عبيد بني أسد، وكانت بينهما مهاجاة، ومن شعر عبيد الذي ذكر فيه مواطن قومه بني أسد في جنوب الجزيرة منها تبالة، وتبالة في الجاهلية لها شأن كبير، وكان فيها الصنم المسمى ذا الخلصة، يقول عبيد:

أَلَا تَقْفَانِ الْيَوْمَ قَبْلَ تَفْرُقِ وَنَأْيَ بَعِيدٍ وَاخْتِلَافَ وَأَشْغَالِ^(٤)
إِلَى ظُعْنٍ يَسْلُكْنَ بَيْنَ تَبَالَةٍ وَبَيْنَ أَعَالِي الْخَلِّ لَاحِقَةَ التَّأَلِي

ويذكر عبيد مواطن جنوبية عاش فيها مع قومه، ويدل على جنوبيتها اقترانها في شعر عبيد بتبالة:

أَقْضَرُ مِنْ مَيَّةِ الدَّوَاغِ مِنْ خَبْتِ فَلْبُنَى فَيَحَانَ فَالرَّجَلِ^(٥)

(١) الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ط٢، ص ١٥٦

(٢) البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، ط١، ص ٢٣

(٣) السابق، ط١، ص ٢٥٨

(٤) عدرة، شرح ديوان عبيد بن الأبرص، ط١، ص ١٠٦.

(٥) مرجع سابق، ص ٩٠.

فَالطَّلَبُ فَالْحَدُّ مِنْ تَبَالَةٍ لَا عَهْدَ لَهُ بِالْأَنْيَسِ مَا فَعَلُوا

وذكر مواضع أخرى منها راكس في قوله:

أَقْضَرَ مَنْ أَهْلُهُ مَلْحُوبٌ فَالْقُطَبِيَّاتُ فَالذُّنُوبُ^(١)
فَرَاكِسٌ فَتُعْلِبَاتٌ فَذَاتُ فَرْقَيْنِ فَالْقَلِيبُ

وقد ذكر الهمداني أن راكس إحدى قرى جرش في قوله: «والذي يصالي جنب من ديار عنز الرفيد والغوص وأداي وعنقة والراكس ... والراكس يسكنه بنو غنم من عنز»^(٢).

وذكر عبيد أثال، وأثال في رنية، قال عبيد:

لَيْسَ رَسْمٌ عَلَى الدَّفِينِ بِبَالِي فَلَوْ ذِرْوَةٌ فَجَنَّبِي أَثَالُ^(٣)

٨- خدّاش بن زهير:

هو خدّاش بن زهير بن ربيعة، أحد بني عامر بن صعصعة، من أشراف بني عامر وفرسانهم، جعله ابن سلام على رأس الطبقة الخامسة، وقال عنه: «قال أبو عمرو بن العلاء: هو أشعر في قريحة الشعر من لبيد، وأبى الناس إلا تقدمة لبيد»^(٤).

وعده ابن سلام من شعراء الطبقة الخامسة، ذكر خدّاش في شعره أنه شارك ضد قريش في يوم شمظة من أيام حروب الفجار، وقصيدته تلك من المنصفات التي يمدح فيها الشعراء أعداءهم:

فَأَبْلُغْ إِنْ عَرَضْتَ بَنَا هَشَامًا وَعَبَدَ اللَّهُ أَبْلُغْ وَالْوَلِيدَا^(٥)
بَأَنَّا يَوْمَ شَمْظَةَ قَدْ أَقَمْنَا عَمُودَ الْمَجْدِ إِنْ لَهُ عَمُودَا

كذلك ذكر خدّاش يوماً آخر من أيام الفجار وهو يوم العباء، والعباء موضع بين بيشة والطائف ما زال معروفا باسمه إلى اليوم، يقول خدّاش في يوم العباء:

(١) مرجع سابق، ص ١٩.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ط ١، ص ١١٨.

(٣) عذرة، شرح ديوان عبيد بن الأبرص، ط ١، ص ٩٥.

(٤) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، د - ت، ١/ ١٤٤.

(٥) الجبوري، شعر خدّاش بن زهير، د ط، ص ٤٣.

أَلَمْ يَبْلُغْكُمْ أَنَّا جَدَعْنَا لَدَى الْعَبْلَاءِ خَنْدَفٌ بِالْقِيَادِ^(١)
ضَرْبَانَاهُمْ بِبَطْنِ عُكَازٍ حَتَّى تَوَلَّوْا ظَالِعِينَ مِنَ النَّجَادِ

٩ - تميم بن أبي بن مقبل:

قال عنه الزركلي: «تميم بن أبي بن مقبل، من بني العجلان، من عامر بن صعصعة، أبو كعب: شاعر جاهلي، أدرك الإسلام وأسلم، فكان يبيكي أهل الجاهلية. عاش نيفا ومئة سنة. وعد في المخضرمين»^(٢)، وعده ابن سلام في الطبقة الخامسة، وقال عنه: «تميم بن أبي بن مقبل شاعر مجيد مغلب غلب عليه النجاشي ولم يكن إليه في الشعر وقد قهره في الهجاء»^(٣).

وأورد ابن سلام له قوله:

وَمَا لِي لَا أَبْكِي الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا وَقَدْ زَارَهَا زَوَارُ عَكٍّ وَحَمِيرَا^(٤)
وَجَاءَ قَطَا الْأَجْبَابِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَوَقَّعَ فِي أَعْطَانِنَا ثُمَّ طَيَّرَا

وقال عنه الجاحظ: «أبو كعب، تميم بن أبي مقبل، من بني العجلان، من عامر بن صعصعة، شاعر جاهلي أدرك الإسلام وأسلم، وكان يبيكي أهل الجاهلية، توفي نحو سنة (٣٧هـ)»^(٥).

ومن شعره الذي ذكر فيه مواضع من ديار قومه قوله:

تَأْمَلْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ يَمَانٍ مَرَّتَهُ رِيحُ نَجْدٍ فَفْتَرَا^(٦)
يَمَانِيَّةٌ تَمُرِي الرَّبَابَ كَأَنَّهُ رِئَالُ نَعَامٍ بَيْضُهُ قَدْ تَكَسَّرَا
أَقَامَ بِشُطَّانِ الرِّكَاءِ وَرَاكِسٍ إِذَا غَرِقَ ابْنُ الْمَاءِ فِي الْوَبْلِ بَرَبْرَا

وقد ربط الهمداني الرِّكَاءَ ببيشة وما حولها في قوله: «وبشط غمرة مما يلي الرِّكَاءِ إحساء معصبة، فتد الدخول وله علم يقال له منخر هضبة، ثم تقع في رملة عبد الله

(١) مرجع سابق، ص ٦٤.

(٢) الزركلي، الأعلام، ط ١٥، ٨٧/٢.

(٣) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، د-ت، ١٥٠/١.

(٤) مرجع سابق، ١٥٠/١.

(٥) الجاحظ، البيان والتبيين، د ط، ٤٤٤/٧.

(٦) حسن، ديوان ابن مقبل، ط ١، ص ١٠٧.

بن كلاب ثم ترد الأخضر بأسفل وادي تربة ثم بيشة»^(١). والركاء هو ما يعرف اليوم بوادي الركا، ويقع شمالي مدينة رنية.

ومن شعر تميم الذي ذكر فيه أماكن جنوبية قوله:

دَعَتْنَا بِكَهْفٍ مِنْ كُنَابَيْنَ دَعْوَةٍ عَلَى عَجَلٍ دَهْمَاءُ وَالرَّكْبَ رَائِحُ^(٢)
فَقُلْتُ وَقَدْ جَاوَزَنَ بَطْنَ خُمَاصَةٍ جَرَتْ دُونَ دَهْمَاءِ الظُّبَاءِ الْبَوَارِحِ

قال البكري: «خماصة: بضم أوله، وبالصاد المهملة على بناء فعالة: وادٍ بالركاء»^(٣).

١٠- الحارث بن حلزة اليشكري:

هو الحارث بن حلزة بن مكروه، من بني جشم من يشكر البكرية، أحد شعراء المعلقات، على أن شعره المروي قليل مقارنة بالشعراء الجاهليين، ومطلع معلقته:

أَذْنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رَبُّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثُّوَاءُ^(٤).

بنو يشكر جنوبيون كغيرهم من إخوانهم من ربيعة، وإن كانوا أقرب من إخوانهم إلى وسط الجزيرة العربية، ولكنهم لم يكونوا كما ظن المهتمون بالعصر الجاهلي في البحرين، وقد علق د. فضل العماري في مقال له في المجلة العربية على ما أورده الهمداني من مساكن بني يشكر بقوله: «فإذا كانت (الشعبتان) في هذه الجهة، أي: جهة (برك) حتى (نساح): جنوب الحوطة، حتى وادي (لحاء): جنوب الخرج»^(٥).

فإذا كانت مساكن بني يشكر بين الحوطة والخرج كما أورد العماري، وقبله الهمداني، فإن هذا يعني أنها أقرب إلى جنوب الجزيرة، خاصة وقد أوردت الرسالة ذكر الحارث لمواضع جنوبية خالصة.

وإذا كان الحارث بن حلزة قد توفي كما ذكر محقق ديوانه نحو عام (٥٨٠ م)، فإن هذا يعني أنه قد عاش شيئاً من أجواء حرب البسوس التي لم تشارك فيها قبيلته بنو يشكر، فمن الثابت أن أبرهة الحبشي الذي غزا الكعبة في عام الفيل، أي حوالي سنة

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ط١، ص ١٥١.

(٢) حسن، ديوان ابن مقبل، ط١، ص ٤٨.

(٣) البكري: معجم ما استعجم، ط٢، ٥٠٩/٢.

(٤) العطية، ديوان الحارث بن حلزة، ط١، ص ٦٦.

(٥) العماري، الدعوة إلى السلم بين الحارث بن حلزة وزهير بن أبي سلمى، المجلة العربية، ٣١ أكتوبر ٢٠٢١ م.

(٥٧١م) ، قد عاصر كليياً ، والمهلل إذ تذكر الروايات أنه أمر زهير بن جناب على تغلب ويكر ، وهذا أدى فيما بعد إلى معركة بينهم أسر فيها زهير كليياً ومهللاً ، وهذا لا شك أنه سيكون قبل حرب البسوس التي كان من أسبابها مقتل كليب ، فإن صح ذلك فإن ذكر الحارث بن حلزة لمواضع جنوبية إنما يدل على قرب دياره منها .

وكانت ديار بني يشكر بين نجد جنوب الجزيرة واليمامة ، وربما كانت إلى اليمامة أقرب ، ولكن ذلك يعني — من جانب آخر — أنه لم يكن بعيداً عن جنوب الجزيرة ، ولا غرباً عنه ، وذلك مما يعين على معرفة أسباب ذكر الحارث لمواضع جنوبية منها ملحّة ، والصاقب في قصيدته التي نهى فيها التغلبيين عن إحياء الأحزان القديمة ، وملحّة والصاقب موضعان في جنوب الجزيرة ، قال صاحب أطلس أسماء الأماكن «ملحّة في بيشة»^(١) .

ونجد أن الموضع المسمى (ملحّة) ما زال يحتفظ باسمه إلى اليوم ، وهو يقع شرقي خميس مشيط ، ولا يبعد عنها أكثر من (٨٠) كيلاً في خط مستقيم . وذكر الحارث بن حلزة لما بين ملحّة والصاقب من قتلى بكر وتغلب دليل آخر من أدلة كثيرة توردها الدراسة ، وفيها من الوضوح ما لا يجعل لمن طلب الحق ردها ، فالحارث إنما يذكر الموضعين في معرض نهيهِ تغلب أن تبش الأحقاد القديمة ، لأن نبش الأحقاد يذكرهم بقتلى الفريقين ما بين ملحّة والصاقب ، يقول الحارث :

إِنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةٍ فَالْصَّا قَبِ فِيهِ الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ^(٢) .

والصاقب جبل ما زال يعرف باسمه إلى اليوم ، ويقع شمالي بيشة . وذكر البكري في معجمه أن : «الصاقب: بالقفاء المكسورة ، ثم الباء: جبل معروف ضخّم ، وهو تلقاء ملحّة»^(٣) .

ويشير البيت بوضوح إلى أن في الموضعين قتلى حرب البسوس التي وقعت بين القبيلتين ، فالحارث يذكر تلك الآثار في معرض دفاعه عن قبيلته بكر في خصومتهم مع تغلب بين يدي ملك الحيرة ، وهو يخبر القوم بأن نبش الماضي سيعيد ذكريات من قتلوا ما بين ملحّة والصاقب ، وهو يذكر أيضاً أن بعض الأحياء ما زالوا هناك ، وهذا يعني

(١) الراشد ، والعنيزان ، أطلس أسماء الأماكن في الشعر العربي ، ط١ ، ص ٣٦ .

(٢) العطية ، ديوان الحارث بن حلزة ، ط١ ، ص ٨٤ .

(٣) البكري : معجم ما استعجم ، ط٢ ، ٢٢٣/٢ .

أَنَّ بَقِيَّةَ مِنَ الْقَوْمِ مَا زَالُوا فِي تِلْكَ الْأَمَاكِنِ، أَوْ يَعْنِي أَنَّ الْأَحْيَاءَ هُمْ قَتَلُوا بَكَرَ الَّذِينَ أَخَذَ الْبَكْرِيُّونَ بِثَأْرِهِمْ، وَالْأَمْوَاتُ هُمْ قَتَلُوا تَغْلِبَ الَّذِينَ لَمْ تَتَأَرْ تَغْلِبَ لَهُمْ، وَالْمَعْنِيَانِ يُوَكِّدَانِ أَنَّ الْقَبِيلَتَيْنِ جَنُوبِيَّتَانِ، وَيُؤَكِّدُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْبَاثُ مِنَ الْإِسْتِدْلَالِ بِالْبَيْتِ أَنَّ الْحَارِثَ يُوَكِّدُ مَعْنَاهُ بِأَبْيَاتٍ بَعْدَهُ فِيهَا: وَيَكْثُرُ الْحَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوَاضِعِ الْجَنُوبِيَّةِ، فَهُوَ يَذْكُرُ الصَّفَاحَ، وَالصَّفَاحَ مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنْ مَلْحَةِ الَّتِي سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْهَا، وَهُوَ يَقَعُ شَرْقِيَّ خَمِيسٍ مَشِيطٌ بِحَوَالِي (١٠٠) كَلَمٍ، وَمَا زَالَ يَحْتَفِظُ بِاسْمِهِ إِلَى الْيَوْمِ، وَيَتَّبِعُ مَحَافِظَةَ ثَارِ الَّتِي تَتَّبِعُ مَنَاطِقَةَ نَجْرَانَ، وَهُوَ تَقْرِيبًا فِي مَنَاصِفِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ نَجْرَانَ وَخَمِيسٍ مَشِيطٍ. وَالْمَسَافَةُ بَيْنَ مَلْحَةِ وَالصَّفَاحِ لَا تَتَجَاوَزُ (٣٠) كَلَمٍ فِي خَطِّ مُسْتَقِيمٍ.

وَذَكَرَ الْحَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ الْحَبْسَ فِي قَوْلِهِ:

لَمَنْ الدِّيَارُ عَضُونٌ بِالْحُبْسِ آيَاتُهَا كَمَهَارِقِ الْفُرْسِ^(١)

وَعَثَرْنَا عَلَى مَوْضِعَيْنِ، أَوَّلُهُمَا الْحَبْسُ الَّذِي هُوَ الْآنَ أَحَدُ الْمَرَكَزِ التَّابِعَةِ لِمَحَافِظَةِ قَلْوَةٍ، الَّتِي تَتَّبِعُ إِدَارِيًّا مَنَاطِقَةَ الْبَاحَةِ، وَالْحَبْسُ يَقَعُ شَرْقَ مَحَافِظَةِ قَلْوَةٍ، وَبَعِيدٌ عَنْهَا أَقْلُ مِنْ (٢٠) كِيلَا، وَقَلْوَةٌ تَبْعُدُ عَنِ الْبَاحَةِ بِاتِّجَاهِ الْغَرْبِ أَقْلُ مِنْ (٤٠) كِيلَا. وَالثَّانِي يَقَعُ فِي مَحَافِظَةِ الدَّائِرِ، الَّتِي تَتَّبِعُ مَنَاطِقَةَ جَازَانَ، وَلَا نَعْتَقِدُ أَنَّ الْمَقْصُودَ، بِسَبَبِ بَعْدِهِ عَنْ مَلْحَةٍ، وَالصَّاقِبِ، وَالصَّفَاحِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْحَارِثُ.

١١- سلامة بن جندل التميمي :

هُوَ سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ عَمْرٍو، مِنْ بَنِي كَعْبِ بْنِ سَعْدٍ مِنْ تَمِيمٍ، شَاعِرٌ جَلِيلٌ مِنْ قَدَمَاءِ الشُّعْرَاءِ، وَكَانَ مِنْ فَرَسَانَ تَمِيمٍ الْمَعْدُودِينَ، عَاشَ مَعَ قَبِيلَتِهِ فِي تَبَالَةٍ وَمَا حَوْلَهَا، وَتَبَالَةُ جَنُوبِيَّةٌ بَلَا شَكٍّ. وَقَدْ أَكَّدَ سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ نَفْسَهُ سَكَنَى قَبِيلَتَهُ فِي تَتْلِيثٍ وَهِيَ جَنُوبِيَّةٌ:

سَأْهْدِي وَإِنْ كُنَّا بِتَتْلِيثٍ مِدْحَةً إِلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بِوُتُكَ لَعْلَعًا^(٢)

قَالَ الْبَكْرِيُّ: «فَدَلَّ قَوْلُهُ أَنَّ تَتْلِيثَ مِنْ دِيَارِ بَنِي تَمِيمٍ»^(٣).

(١) العطية، ديوان الحارث بن حلزة، ط١، ص ١١٩.

(٢) الأحول، ديوان سلامة بن جندل، ط١، ص ٥٢.

(٣) البكري؛ معجم ما استعجم، ط٢، ٢٠٤/١.

وقد وردت أسماء أماكن جنوبية أخرى في شعر سلامة منها أضَم، وقو، والدكادك:

يا دارَ أَسْمَاءَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ إِضَمٍّ بين الدَّكَادِكِ مَنْ قُوٍّ فَمَعْصُوبٍ^(١)
كانتْ لَنَا مَرَّةً دَاراً فَغَيَّرَهَا مَرُّ الرِّيحِ بِسَائِي التُّرْبِ مَجْلُوبٍ

ويذكر سلامة بن جندل الواديين في قوله:

لَوْ كُنْتُ أَبْكِي لِلْحُمُولِ لَشَاقَنِي لَيْلَى بِأَعْلَى الْوَادِيَيْنِ حُمُولٍ^(٢)

والواديين — هكذا ينطق الاسم — موضعٌ في منطقة عسير، قريبٌ من مدينة خميس مشيط، مازال يعرف باسمه إلى اليوم، قال عنه الحموي: «الواديّين: هكذا وجدته، والصواب الواديان إلا أن يكون نزل منزلة الأندرين ونصيبين: وهي بلدة في جبال السّراة بقرب مدائن لوط، وإياها عنى المجنون في قوله:

أَحَبَّ هَبُوطِ الْوَادِيَيْنِ وَإِنِّي لَمُسْتَهْزَأٌ بِالْوَادِيَيْنِ غَرِيبٍ»^(٣)

وذكر الهمداني أنّ الواديين رنية وأبيدة: “بلد هلال: الواديان رنية وأبيدة ومن القرى القريحا وقد خربت، والعبلاء»^(٤).

ووجدنا مكانا يسمّى قرى الواديين تقع بين بيشة، ورنية، وهي إلى بيشة أقرب.

١٢- أمية بن الأسكر:

صنّفه ابن سلام في الطبقة العاشرة، وقال عنه «أمية بن حرثان بن الأسكر»^(٥).

وأميّة من أهل الطائف، شاعرٌ، فارسٌ، وهو أحد سادات قومه، عاش في الجاهلية طويلا، وأدركه الإسلام فأسلم وهو شيخ كبير، ومن شعره:

أَصْبَحْتُ فَنَّا لِرَاعِي الضَّأْنِ أُعْجِبُهُ ماذا يَرِيبُكَ مِنِّي رَاعِي الضَّأْنِ^(٦)
يا ابني أُمِيَّةَ إِلَّا تَشْهَدُ كِبَرِي فَإِنْ نَأْيَكُمْ أَوِ الْمَوْتُ سَيَّانٍ

(١) الأحول، ديوان سلامة بن جندل، ط١، ص ٥٢.

(٢) مرجع سابق، ص ٥٢.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ط٢، ٣٤٦/٥.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ط١، ١١٩.

(٥) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، د-ت، ١٨٩/١.

(٦) مرجع سابق، ١٩٢/١.

وأشار الطبري على أنّ العرب تقول أخطأ وخطئ بقول أمية:

وإنّ مهاجرين تَكْنَفَاهُ لَعَمْرُ اللَّهِ قَدْ خَطِئًا وَحَابَا^(١)

واستشهد أبو عبيدة بالببيت ذاته في حوب بمعنى إثم، حيث قال: «(إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا) أي إثمًا، قال أمية بن الأسكر الليثي:

وإنّ مهاجرين تَكْنَفَاهُ غداة إذ لقد خطئًا وحابا»^(٢)

واستشهد أبو سلمة الخلال في نصحه لأبي مسلم الخراساني بأبيات لأمية، حيث أورد صاحب المصون في الأدب قوله: ”وقال أبو سلمة للسفاح: يا أمير المؤمنين، إنّ أمية ابن الأسكر وقف على ابن عمّ له حال عمّا كان يعهده فقال:

وإنّ معشرٌ دبّت إليك عداوةٌ عقاربهم دبّت إليهم عقاربي»^(٣)

ذكر أمية من الأماكن الجنوبية وادي وجّ، وهو من أودية الطائف:

لمن شيخان قد نشدا كلابا كتاب الله إن رقب الكتابا^(٤)
إذا هتفت حمامة بطن وجّ على بيضاتها دعوا كلابا

وأورد ابن حجر العسقلاني خبر مشاركة أمية بن الأسكر في حرب الفجار فقال: «ولأمية بن الأسكر خبر في حرب الفجار، ذكره ابن إسحاق في السيرة الكبرى، قال: فقال ابن أبي أسماء بن الضريبة:

نَحْنُ كُنَّا الْمُلُوكَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ وَحُمَاةَ الدِّيَارِ عِنْدَ الذَّمَارِ
وَضَرَبْنَا بِهِ كِنَانَةً ضَرْبًا حَالَفُوا بَعْدَهُ سَوَامَ الْعِشَارِ

فأجابه أمية بن الأسكر:

أَبْلَغَا حِمَّةَ الضَّرِيبَةِ أَنَا قَدْ قَتَلْنَا سُرَاتِكُمْ فِي الْفُجَارِ
وَسَقَيْنَاكُمْ الْمَنِيَّةَ صَرْفًا وَذَهَبْنَا بِالنَّهْبِ وَالْأَبْكَارِ»^(٥)

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، د ط، ١٦/٢٤٦.

(٢) أبو عبيدة، مجاز القرآن، د ط، ١١٢/١.

(٣) العسكري، المصون في الأدب، ط ٢، ص ١٠٣.

(٤) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، د ط، ١٩١/١.

(٥) العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ط ١، ١/٢٦٦.

ولأمية بن الأسكر قوله:

هَلَّا سَأَلْتَ بَنَا إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً فُضِيَ السُّؤَالُ مِنَ الْأَنْبَاءِ شَافِيهَا^(١)
تُخْبِرُكَ عَنَّا مَعَدُّ إِنْ هُمْ صَدَقُوا وَمِنْ قِبَائِلِ نَجْرَانَ يَمَانِيهَا

١٣- أبو دوداد الرؤاسي:

أبو دوداد الرؤاسي، قال ابن جني: «واسم أبي دوداد: يزيد بن معاوية بن عمرو بن عبيد بن رؤاس بن كلاب شاعر فارس»^(٢). ونص أبو زيد الأنصاري على أنه جاهلي حيث قال في النوادر: «وقال أبو دوداد الكلابي جاهلي:

بِكُلِّ كُمَيْتٍ مُشْرِفٍ حَجَبَاتِهِ تَعَاوَنْتِ الرَّعْشَاءُ فِيهِ وَأَعْوَجَ
وَأَجْرَدَ خَاطِي الْمَتْنَتَيْنِ كَأَنَّهُ إِذَا اقْوَرَّ حِمْلَاجٌ مِنَ اللَّيْفِ مُدْمَجٌ^(٣)

عده ابن سلام من شعراء الطبقة العاشرة، وأورد له قصائد منها:

دَفَعْنَا وَالْأَحْبَةَ مَنْ دَفَعْنَا وَكُنَّا مَلْجَأَ لِبْنِي نُمَيْرٍ^(٤)
حَوَيْنَا حِجْرَنَا لَهُمْ فَحَلُّوا إِلَيْنَا بَعْدَ تَظْعَانَ وَسَيْرٍ

وأورد له ابن سلام شعراً يذكر فيه مواضع جنوبية منها عثران، ويسمى الآن غثران، وهو واد بين بيشة ورنية، يقول الرؤاسي:

وَنَحْنُ حَبَسْنَا الْجَيْشَ عَنَّا وَقَدْ بَدَا لَهُمْ نَعَمَ حُومٌ بَعِثْرَانِ مُحْدَجٍ^(٥)

كذلك أورد أبو تمام في الحماسة الصغرى للرؤاسي قوله:

عَجِبْتُ أَثِيلَةً أَنْ رَأَيْتَنِي شَاحِباً خَلَقَ الْقَمِيصَ مُخَرِّقَ الْأُرْدَانِ^(٦)
لَا تَعْجِبِي مِنِّي أَثِيلٌ فَإِنِّي سُوِّرُ الْأَسْنَةِ كُلِّ يَوْمٍ طَعَانٍ

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، د ط، ٥١/٣.

(٢) ابن جني، الخصائص، ط ٤، ص ٣٩٩.

(٣) الأنصاري، النوادر في اللغة، ط ١، ص ٤٤٥.

(٤) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، د - ت، ٧٨٣/٢.

(٥) مرجع سابق، ٧٨٩/٢.

(٦) الميمني، الحماسة الصغرى، ط ٢، ص ٨٨.

وذكر ابن منظور في لسان العرب بيت لأبي دواد فقال: "وَعَلَّطَهُ بِسَهْمٍ عَلَّطًا: أَصَابَهُ بِهِ وَنَاقَهُ عَلَّطًا: بَلَاسِمَةٍ كَعُطِّلَ، وَقِيلَ: بَلَاسَخَطًا؛ قَالَ أَبُو دَوَادَ الرَّؤَاسِي:

هَلَا سَأَلْتَ جَزَاكَ اللَّهُ سَيِّئَةً إِذَا أَصْبَحْتَ لَيْسَ فِي حَافَاتِهَا قَرْعَةٌ
وَرَأَحَتْ الشَّوْلُ كَالشَّنَاتِ شَاسِفَةً لَا يَرْتَجِي رَسْلَهَا رَاعٍ وَلَا رُبْعَةٌ
وَأَعْرُورَتِ الْعُلُطِ الْعَرْضِيِّ، تَرَكَضُهُ أُمُّ الْفَوَارِسِ بِالِدِّدَاءِ وَالرَّبْعَةِ»^(١)

ويشير إلى بيت في مسألة العنوان، والعلوان فقال: «قَالَ اللَّيْثُ: الْعُلَّوَانُ لُغَةٌ فِي الْعُنَّوَانِ غَيْرُ جَيِّدَةٍ، وَالْعُنَّوَانُ، بِالضَّمِّ، هِيَ اللُّغَةُ الْفَصِيحَةُ؛ وَقَالَ أَبُو دَوَادَ الرَّؤَاسِي:

لَمَنْ طَلَّلَ كَعُنَّوَانِ الْكِتَابِ بَبَطْنِ أَوَاقٍ، أَوْ قَرْنِ الذُّهَابِ»^(٢)

كذلك استشهد ابن منظور في اللسان بيت الرؤاسي في باب الجيم فقال: "وَجَاءَ: اسْمٌ رَجُلٍ؛ قَالَ أَبُو دَوَادَ الرَّؤَاسِي:

ظَلَّتْ يُحَابِرُ تُدْعَى وَسَطُ أَرْحُلِنَا وَالْمُسْتَمِيتُونَ مِنْ جَاءٍ وَمِنْ حَكَمٍ»^(٣)

ب- شعراء آخرون:

سوف نذكر الشعراء مرتبين ترتيباً أبجدياً، ثم نوثق بعض التفاصيل التي تؤكد انتسابهم إلى جنوب الجزيرة العربية (تهامة وسراة).

١- الأسعر الجعفي :

اسمه محمد، فهو «من القلائل الذين سموا محمداً في الجاهلية، وقيل، بل اسمه مرثد بن حمران»^(٤). وهو من بني جعفي من سعد العشيرة من مذحج، شاعر جاهلي، عاصر امرأ القيس الكندي، وقال فيه امرؤ القيس:

أَبْلَغَا عَنِّي الشَّويعِرَ أَنِّي عَمْدُ عَيْنٍ نَكَبْتَهُنَّ خَزِيمًا^(٥)

(١) ابن منظور، لسان العرب، ط ٨، ٣٥٤/٧.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ط ٨، ٢٩٤/١٣.

(٣) مرجع سابق، ١٢٨/١٤.

(٤) الطيار، شعر الأسعر الجعفي جمع ودراسة في مقصودته، مجلة بابل، م ٥، ع ١، ص ٤٣.

(٥) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ط ١، ٣١٤/١.

وكان امرؤ القيس أرسل إلى الأسعر في فرس يبتاعها منه فمنعه، فهجاه امرؤ القيس، وردّ عليه الأسعر بقوله:

أَتَتْنِي أُمُورٌ فَكَذَّبْتُهَا وَقَدْ نَمَيْتَ لِي عَامَا فَعَامَا
بَأَنَّ أَمْرًا الْقَيْسُ أَمْسَى كَثِيبًا عَلَى آلِهِ مَا يَذُوقُ الطَّعَامَا^(١)
لَعَمْرُ أَبِيكَ الَّذِي لَا يُهَانُ لَقَدْ كَانَ عَرْضُكَ مِنِّي حَرَامَا
وَقَالُوا هَجَّوْتَ وَلَمْ أَهْجُهُ وَهَلْ يَجِدَنَّ فِيكَ هَاجَ مَرَامَا

تعدّ مقصورة الأسعر إحدى القصائد الجاهلية التي لقيت عناية كبيرة، وتناقلتها الدراسات الأدبية، ومن تلك المقصورة قوله:

هَلْ بَانَ قَلْبُكَ مِنْ سُلَيْمَى فَاشْتَفَى وَلَقَدْ غَنَيْتَ بِحَبِّهَا فِيمَا مَضَى^(٢)
أَبْلَغُ أَبَا حُمَرَانَ أَنَّ عَشِيرَتِي نَاجُوا وَلِلنَّفَرِ الْمُنَاجِينَ التَّوَى
مَنْ كَانَ كَارَهُ عَيْشَهُ فَلْيَأْتِنَا يَلْقَ الْمَنِيَّةَ أَوْ يَوُوبَ لَهُ غَنَى
وَلَقَدْ عَلِمْتُ عَلَى تَجَنُّبِي الرَّدَى أَنَّ الْحُصُونَ الْخَيْلُ لَا مَدْرُ الْقَرَى
إِنِّي وَجَدْتُ الْخَيْلَ عِزًّا ظَاهِرًا تُنْجِي مِنَ الْغَمَى وَيَكْشِفْنَ الدُّجَى
وَيَبْشَنَ بِالثَّغْرِ الْمَخُوفَ طَوَالِعَا وَيُثْبِنَ لِلصُّعْلُوكِ جُمَّةَ ذِي الْغَنَى
وَكَتِيبَةً لِبَسْتِهَا بَكْتِيبَةً حَتَّى تَقُولَ سَرَائِهِمْ: هَذَا الْفَتَى
لَا يَشْتَكُونَ الْمَوْتَ غَيْرَ تَغْمُغُمٍ حَكَ الْجَمَالَ جُنُوبَهُنَّ مِنَ الشَّدَا

٢- الأفوه الأودي:

صلاة بن عمرو من أود، وينتهي نسبه إلى مذحج، قال ابن فضل الله العمري: «ومن مذحج أود قبيلة الأفوه الأودي الشاعر»^(٣). من فرسان العرب المشهورين، كان سيد قومه وقائدهم. والأفوه لقب له، قيل لقب به لجودة كلامه، قال ابن جني: «قالوا: رجل مفوه إذا أجاد القول؛ لأنه يخرج من فيه. ومنه الأفوه الأودي»^(٤). عاش الأفوه مع قومه أود في جنوب الجزيرة العربية، فقبيلة أود من سعد العشيرة من مذحج، وقد تقدّم أن مذحج سكنوا نجران وما حولها، ومن شعره:

(١) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط ٥، ص ١٦٢.

(٢) الأصمعي، الأسمعيات، ط ٧، ص ١٤٢.

(٣) العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط ١، ص ٢٦١.

(٤) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ط ١، ٩١/٢.

نَحْنُ أَوْدٌ وَلَاوُدُ سُنَّةٌ شَرَفٌ لَيْسَ لَنَا عَنْهُ قَصَارُ^(١)
 سُنَّةٌ أَوْرَثْنَاهَا مَذْحِجٌ قَبْلَ أَنْ يُنْسَبَ لِلنَّاسِ نَزَارُ
 عَنْكُمْ فِي الْأَرْضِ إِنَّا مَذْحِجٌ وَرُويْدَا يَفْضَحُ اللَّيْلَ النَّهَارُ

ومن حكم الأفوه الأودي قوله:

بَلَوْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ فَلَمْ أَرْ غَيْرَ خِلَابٍ وَقَالَ^(٢)
 وَذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ جَمْعًا فَمَا طَعْمُ أَمْرٍ مِنَ السُّؤَالِ
 وَلَمْ أَرْ فِي الْخُطُوبِ أَشَدَّ هَوْلًا وَأَصْعَبَ مِنْ مُعَادَاةِ الرِّجَالِ^(٣)

يذكر الأودي بعض مواطن قومه، وبعض أيامهم فيذكر ثجرا ودارات النصاب وهي مواضع جنوبية، قال ياقوت: «وقال الأفوه الأودي:

وَنَحْنُ الْمَوْرِدُونَ شَبَا الْعَوَالِي حِيَاضُ الْمَوْتِ بِالْعَدَدِ الْمُثَابِ
 تَرَكْنَا الْأَزْدَ يَبْرُقُ عَارِضَاهَا عَلَى ثَجْرِ فِدَارَاتِ النَّصَابِ
 فَأَبْلَغَ بِالْجَنَابَةِ جَمْعَ قَوْمِي وَمَنْ حَلَّ الْهَضَابَ عَلَى الْعِتَابِ

وثجر: بأرض اليمن قرب نجران لبني الحارث بن كعب»^(٤).

وما زالت ثجر تحتفظ باسمها إلى اليوم، وهي بلدة تقع إلى الشرق من خميس مشيط، وتبعد عنها ما يقارب (٢٠٠) كيلومتر في خط مستقيم، وإلى الشمال الشرقي من نجران، وتبعد عنها بحوالي (١٠٠) كيلومتر.

٣- أنس بن مدرّك:

أحد فرسان خثعم وشعرائها، وخثعم سكنت منطقة عسير في الجاهلية، وفي عسير مركز خثعم ما زال يعرف باسمه حتى اليوم، وهو تابع لمحافظة بلقرن، وتتصل مساكنهم بتبالة وبيشة، وفي تبالة كان صنم خثعم في الجاهلية، واسمه ذو الخلصة.

(١) التونجي، محمد، ديوان الأفوه الأودي، ط١، ص٧٦

(٢) مرجع سابق، ص١٠٤.

(٣) مرجع سابق، ص١٠٤.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ط٢، ٢/٤٣١.

أدرك أنس الإسلام وأسلم، قال جواد علي: «أنس بن مدرك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف» الخثعمي ثم الأكلبي، والمعروف بـ «أبي سفيان هو من الشعراء الجاهليين الذين أدركوا الإسلام. وكان شاعراً وقد رأس؛ إذ كان سيد خثعم في الجاهلية، كما كان فارسها. وهو الذي قتل «السليك بن سلكة» الشاعر، الفارس المعروف»^(١). وهو القائل في قتله سليكا:

إِنِّي وَقَتْلِي سُلَيْكًا ثُمَّ أَعْقَلُهُ كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عَافَتْ الْبَقَرُ^(٢).

وقال عنه ابن حجر: «ذكره أبو حاتم السجستاني في المعمرين، قال: وكان سيد خثعم في الجاهلية وفارسها، وأدرك الإسلام فأسلم، وعاش مئة وأربعا وخمسين سنة، وقال لما بلغها:

إِذَا مَا امْرُؤٌ عَاشَ الْهُنَيْدَةَ سَالِمًا وَخَمْسِينَ عَامًا بَعْدَ ذَاكَ وَأَرْبَعًا^(٣)
تَبَدَّلَ مَرَّ الْعَيْشِ مِنْ بَعْدِ حُلُوهِ وَأَوْشَكَ أَنْ يَبْلَى وَأَنْ يَتَسَعَّسَعَا

ونقل ابن حجر في الإصابة عن المرزباني: “كان أحد فرسان خثعم في الجاهلية، ثم أسلم وأقام بالكوفة، وهو القائل:

أَغْشَى الْحُرُوبَ وَسِرْبَالِي مُضَاعَفَةً تَغْشَى الْبَنَانَ وَسَيْفِي صَارِمٌ ذَكَرُ^(٤)

وأورد أبو تمام في الحماسة الصغرى لأنس بن مدرك قوله:

وَنَحْنُ جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ غَرْبِ أَرْضِنَا إِلَى جَنْبِ أَشْوَالِ فَذَاتِ بُصَاقِ^(٥)
وَكَائِنُ تَرَكْنَا فِي هَـوَازِنَ مِنْ دَمٍ إِلَى جَنْبِ أَشْوَالِ الْعَقِيقِ مُرَاقِ
وَأَرْمَلَةٌ تَسْعَى بَنَغْلَيْنِ طُلُقَتْ وَأَسْـَٔيَافُنَا أَذْنَهَا بِطَلَاقِ
وقال:

تَحَدَّثُ مَنْ لَاقَيْتَ أَنَّكَ قَاتِلِي قُرَاقِرُ أَعْلَى بَطْنِ أُمِّكَ أَعْلَمُ^(٦)
تَبَالَةُ وَالْعِرْضَانِ تَرْجُ وَبِيشَةُ وَقَوْمِي تَيْمُ اللَّاتِ وَالْأَسْمُ خَثْعَمُ

(١) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ٤، ١٨/٤٧٤.

(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، د ط، ١/٣٥٦.

(٣) السقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ط ٧، ١/٢٧٩.

(٤) مرجع سابق ١/٢٧٩.

(٥) الميمني، الحماسة الصغرى، ط ٢، ص ٤٨.

(٦) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ٢/٢١.

٤- تأبط شراً :

ثابت بن جابر بن سفيان الفهمي، الشاعر الفارس العداء، نشأ في حجر الشاعر الجاهلي المشهور أبي كبير الهذلي، حيث كان أبو كبير زوج أم تأبط شراً وله معه قصص. عاش مع قومه بين مرتفعات السراة وسهول تهامة جنوب مكة في وادي يلملم، من المشهورين في الجاهلية بالفروسية، والصلابة، وسرعة العدو، كان شاعراً مجيداً حفظت كتب الأدب قصائده، ومن أجملها تلك التي افتتح بها المفضل الضبي مفضلياته ومطلعها:

يا عَيْدُ مَالِكَ مِنْ شَوْقٍ وَإِيرَاقٍ وَمَرَّ طَيْفٍ عَلَى الْأَهْوَالِ طَرَّاقٍ^(١).

وظن بعض الواهمين أن تأبط شراً أسود البشرة، وذلك الوهم يأتي إليهم من انتشار فكرة ارتباط الصلابة بالسواد، ونبذ الآباء أبناءهم لأنهم أتوا من أمهات سود، ومن ذلك استشهاد الدكتور خالد زغريت بأبيات لتأبط شراً باعتباره (غراباً) أسود البشرة، حيث يقول زغريت: «قرن الشاعر الغراب السلاح والموت باللون الأصفر، كما ذهب تأبط شرا في وصف القتلى:

دنوت له حتى كأن قميصه تشرب من نضج الأخادع عصفرا»^(٢)

والأوهام في مسألة الصعاليك كثيرة، ستتطرق الرسالة إليها.

قتلت هذيل تأبط شراً، وألقيت جثته في غار يقال له رخمان، وغار رخمان يقع في دُفاق، ودُفاق مركز يقع جنوبي مكة المكرمة، ويبعد عنها حوالي (٥٠) كيلاً، والناس يسمّون الغار حالياً غار تلّبط، وربما هو تحريف عن تأبط. وقد بينت أخته المكان الذي قتل فيه بأنه في نمار - وقيل إن الشعر لأمه:

قَتِيلٌ مَا قَتِيلُ بَنِي قُرَيْمٍ إِذَا ضَنَنْتَ جُمَادَى بِالْقَطَارِ^(٣)
فَتَى فَهُمْ جَمِيعاً غَادَرُوهُ مَقِيماً بِالْحُرَيْضَةِ مِنْ نُمَارٍ

قال عاتق البلادي: «نمار: بضم النون، وفتح الميم المخففة وآخره راء. شعبتان بينهما ريع، تصب إحداهما شمالاً في دُفاق ثم في مَلْكان، وتصب الأخرى في الحويّة ثم

(١) الضبي، المفضليات، ط٦، ص ٢٧.

(٢) السابق، ص ١٠٤.

(٣) البكري: معجم ما استعجم، ط ٢، ٢٥٠/٢.

فِي يَلْمَلَمَ، والرَّيْعُ الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا يُسَمَّى نَمَاراً وَهُمَا مِنْ دِيَارِ هَذِيلَ، قَدِيمًا وَحَدِيثًا
وَفِي نَمَارِ هَذَا قِيلَ: قُتِلَ تَابُطٌ شَرًّا الْفَارِسِ الْفَهْمِيِّ الشَّهِيرِ، وَقِيلَ: قُتِلَ فِي الْحَرِيضَةِ إِحْدَى
فُرُوعِ نَمَارٍ وَتَقْدَمُ مَعْنَى فِي رَحْمَانَ أَنَّهُ قُتِلَ هُنَاكَ، وَكُلٌّ مِنْ رَحْمَانَ وَنَمَارٍ وَالْحَرِيضَةُ أَمَكْنُ
مُتَجَاوِرَةٌ»^(١).

ذَكَرَ تَابُطٌ شَرًّا أَمَاكِنَ كَثِيرَةً مِنْ دِيَارِ قَوْمِهِ كَالْكَرَابِ فِي قَوْلِهِ:

لَعَلِّي مَيِّتٌ كَمَدًا وَلَمَّا أَطَالَعَ أَهْلَ ضَيْمٍ وَالْكَرَابِ^(٢)

قَالَ الْبِلَادِيُّ: «الْكَرَابُ جِبَالٌ ضَخَامٌ تَجَاوَرُ عُرْوَانُ، وَهِيَ وَعُرْوَانُ تَدْفَعُ مِيَاهَهَا
الْجَنُوبِيَّةَ فِي يَلْمَلَمَ»^(٣).

وَقَالَ تَابُطٌ شَرًّا يَذْكُرُ هُضَاضَ:

إِذَا خَلَفْتُ بَاطِنَتِي سَرَارٍ وَبَطْنُ هُضَاضٍ حَيْثُ غَدَا صُبَاحُ^(٤).

وَمَا زَالَ هُضَاضٌ يَعْرِفُ بِاسْمِهِ إِلَى الْيَوْمِ، وَفِيهِ مَشْرُوعُ عَقْبَةِ تَرْبُطِ دِيَارِ بَنِي مَالِكٍ
جَنُوبِي الطَّائِفِ بِمَحَافِظَةِ إِضْمِ الَّتِي تَقَعُ جَنُوبِي مَكَّةَ، وَتَبْعِدُ عَنْهَا بِمَا يَقَارِبُ (١٥٠)
كِيلُومِتْرًا.

وَذَكَرَ الْعِيكَتَيْنِ وَهُوَ مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَجِيلَةَ، وَقَدْ ذَكَرْتُ الرِّسَالَةَ أَنَّ دِيَارَ بَجِيلَةَ جَنُوبِي
الطَّائِفِ:

لَيْلَةَ صَاحُوا وَأَغْرَوْا بِي سَرَاعَهُمْ بِالْعِيكَتَيْنِ لَدَى مَعْدَى ابْنِ بَرَّاقِ^(٥)
كَأَنَّمَا حَثَّحُوا حُصًّا قَوَادِمِهِ أَوْ أُمَّ خَشَفٍ بِذِي شَتٍّ وَطَبَّاقِ

وَلَأَنَّ دِيَارَهُ جَنُوبِيَّةٌ فَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ دِيَارِ الْأَزْدِ، وَخَتَمُ، وَغَيْرَهَا مِنْ قِبَائِلِ جَنُوبِ
الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَقَدْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ غَزَوَاتِهِ لَتِلْكَ الْقِبَائِلِ:

رَأَى قَدَمِيَّ وَقَعُهُمَا حَثِيثٌ كَتَحْلِيلِ الظَّلِيمِ دَعَا رِئَالَهُ^(٦)

(١) الْبِلَادِيُّ، مَعْجَمُ مَعَالِمِ الْحِجَازِ، ط ٢، ص ٣٠٩.

(٢) شَاكِرٌ، دِيْوَانُ تَابُطٍ شَرًّا وَأَخْبَارُهُ، ط ١، ص ٧٠.

(٣) الْبِلَادِيُّ، مَعْجَمُ مَعَالِمِ الْحِجَازِ، ط ٢، ص ١٠٧.

(٤) شَاكِرٌ، دِيْوَانُ تَابُطٍ شَرًّا وَأَخْبَارُهُ، ط ١، ص ٢١.

(٥) مَرْجِعٌ سَابِقٌ، ص ٢٨.

(٦) مَرْجِعٌ سَابِقٌ، ص ١٩٣.

رَأَى بِهِمَا عَذَاباً كُلُّ يَوْمٍ لَخَثَعَمَ أَوْ بَجِيلَةً أَوْ ثَمَالَةً
وَشَرّاً كَانَ صَبّاً عَلَى هَذِيلٍ إِذَا عَلِقَتْ حِبَالُهُمْ حِبَالَهُ

٥- حاجز الأزدي :

حاجز بن عوف بن الحارث بن الأختم من بني سلامان رهط الشنفرى، من الأزد، وقد يقال الأسدي بتسكين السين، وهي لغة في الأزد، شاعر جاهلي، وأحد العدائين الصعاليك الفرسان، عاش في جنوب الجزيرة مغيراً فاتكاً، وله أخبار مع خثعم القبيلة الجنوبية وغيرها.

وحاجز من الشعراء الذين يميلون إلى ذكر المواضع، فمن ذلك قوله:

سَأَلْتُ فَلَمْ تَكَلِّمْنِي الرُّسُومُ فَظَلَلْتُ كَأَنَّنِي فِيهَا سَقِيمٌ^(١)
بِقَارِعَةِ الْغَرِيفِ فَنَازِلُ مَشْيٍ إِلَى الْعَصْدَاءِ لَيْسَ بِهَا مَقِيمٌ
مَنَازِلُ عَذْبَةِ الْأَنْيَابِ خُودٍ فَمَا إِنْ مَثَلُهَا فِي النَّاسِ نِيمٌ
عَدَانِي أَنْ أَزُورَكَ حَرْبُ قَوْمٍ كَجَمْرِ النَّارِ ثَاقِبَةٌ عَذُومٌ
وَلَمَّا أَنْ بَدَتْ أَعْلَامُ تَرْجٍ وَقَالَ الرَّابِئُ أَنْ بَدَتْ رَنُومٌ
وَأَعْرَضْتَ الْجِبَالَ السُّودُ خَلْفِي وَخَنَدَفُ عَنْ شِمَالِي وَالْبَهِيمُ

ذكر عاتق البلادي الغريف فقال: «الفرع: ... هما فرعان: أحدهما جبل أحمر في شفا هذيل مكسو بأشجار الشث والعرعر، يسيل منه وادي قاوة إلى الشرق، وهو أحد روافد وادي وَّجٍّ، ويسيل منه وادي الغريف إلى الغرب فيذهب إلى ضيم، يقع جنوب غربي الطائف»^(٢). وقال البكري عن العصداء: «العصداء بفتح أوله، وإسكان ثانيه، بعده دال مهملة، ممدود كالذي قبله: أرض لبني سلامان»،^(٣).

وتَرَجَّ واد خصيب في بيشة ما زال يعرف باسمه إلى اليوم، وجندف جبل ما زال يحتفظ باسمه إلى اليوم، ويقع على ضفاف وادي ترج، ويبعد عن بيشة أكثر من (٥٠) كيلا في خط مستقيم.

(١) البكري، معجم ما استعجم، ط٢، ١٣٨/٢.

(٢) البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، ط١، ص ٢١٥.

(٣) البكري؛ معجم ما استعجم، ط٢، ٩٤٦/٣.

ويستمر الشاعر في ذكر المواضع، فيقول في قصة فراره من بني عامر بن صعصعة:

أَلَا هَلْ أَتَى ذَاتَ الْخَوَاتِمِ فَرَّتِي عَشِيَّةَ بَيْنِ الْحَزِّ وَالنَّجْدِ مَنْ يَعْرِ^(١)
عَشِيَّةَ كَادَتْ عَامِرٌ يَقْتُلُونَنِي لَدَى طَرْفِ السَّلْمَاءِ رَاغِيَةَ الْبَكْرِ

قال الحموي: "الحز: بالفتح ثم التشديد: موضع بالسراة، قال الأصمعي: من المواضع التي يخلص إليها البرد حز السراة، وهي معادن اللازورد بين تهامة واليمن، وفي كتاب الأصمعي: أول السراوات سراة ثقيف، ثم سراة فهم وعدوان، ثم سراة الأزد، ثم الحز آخر ذلك، فما انحدر إلى البحر فهو تهامة"^(٢).

قال الباحث: وفي خميس مشيط بلدة تسمى يعرى، فلعلها هي التي قصدتها حاجز بقوله من يعر. وتستمر مغامراته جنوبية خالصة، فالتبائل خثعم، وأزد شنوءة، وأكلب، والمكان عاقل:

وَكَاثِمًا تَبَعَ الْفَوَارِسُ أَرْبَابًا أَوْ ظَبْيَ رَايِيَةَ خُفَافًا أَشْعَبًا^(٣)
وَكَاثِمًا طَرَدُوا بَجَنَّبِي عَاقِلَ صَدْعًا مِنَ الْأَرْوَى أَحَسَّ مُكَلَّبًا
أَعْجَزْتُ مِنْهُمْ وَالْأَكْفُ تَنَالَنِي وَمَضَتْ حَيَاضُهُمْ وَأَبُوءَا خُبَا
أَدْعُو شَنْوَةَ غَثًّا وَسَمِينَهَا وَدَعَا الْمَرْقُوعُ يَوْمَ ذَلِكَ أَكْلَبَ

ويصرح حاجز بذكر تنومة، وهي أرض جنوبية خصيبة، تقع في جبال السراة، شمالي مدينة أبها، وبينهما ما يقارب (١٠٠) كيلومتر:

وَنَحْنُ صَبَحْنَا الْحَيَّ يَوْمَ تَنُومَةٍ بِمَلْمُومَةٍ يَهْوَى الشُّجَاعُ وَئِيدَهَا^(٤)

٦- الحارث بن عباد:

قال عنه الزركلي: «الحارث بن عباد بن قيس بن ثعلبة البكري، أبو منذر، حكيم جاهلي، كان شجاعاً، من السادات، شاعراً، انتهت إليه إمرة بني ضبيعة وهو شاب، وفي أيامه كانت حرب (البسوس) فاعتزل القتال، مع قبائل من بكر، منها يشكر وعجل وقيس، ثم إن المهلهل قتل ولداً له اسمه بجير، فثار الحارث ونادى بالحرب، وارتجل

(١) خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ط٢، ص ٢١٢.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ط٢، ٢٥٢/٢.

(٣) البحترى، الحماسة، ط١، ص ١٢٧.

(٤) خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ط٢، ص ٢٥٠.

قصيدته المشهورة التي كرر فيها قوله (قربا مربط النعامة مني) أكثر من خمسين مرة، والنعامة فرسه، فجاءوه بها فجز ناصيتها وقطع ذنبها - وهو أول من فعل ذلك من العرب فاتخذ سنة عند إرادة الأخذ بالثأر - ونصرت به بكر على تغلب، وأسر المهلهل فجز ناصيته وأطلقه»^(١).

للحارث قصيدة بلغت شهرة واسعة، قالها حين أراد الثأر لابنه بجير، ومنها:

قَرَبًا مَرْبُطَ النَّعَامَةِ مَنِّي	لَقَحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حَيَالٍ ^(٢)
قَرَبًا مَرْبُطَ النَّعَامَةِ مَنِّي	شَابَ رَأْسِي وَأَنْكَرْتَنِي رَجَائِي
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عِلْمَ اللَّهِ	وَأَنِّي بِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِي

جاء في خزانة الأدب: «قال أبو رياش في شرح الحماسة كان الحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس من حكماء ربيعة وفرسانها المعدودين كان اعتزل حرب بني وائل وتحنى بأهله وولده وولد إخوته وأقاربه وحل وتر قوسه ونزع سنان رمحه ولم يزل معتزلاً حتى إذا كان في آخر وقائعهم خرج ابن أخيه بجير بن عمرو بن عباد في أثر إبل له ندت يطلبها فعرض له مهلهل في جماعة يطلبون غرة بكر بن وائل فقال لمهلهل امرؤ القيس بن أبان بن كعب بن زهير بن جشم وكان من أشراف بني تغلب وكان على مقدمتهم زماناً طويلاً لا تفعل فو الله لئن قتلته ليقتلن به منكم كبش لا يسأل عن خاله من هو وإياك أن تحقر البغي فإن عاقبته وخيمة وقد اعتزلنا عمه وأبوه وأهل بيته وقومه فأبى مهلهل إلا قتله فطعنه بالرُمح وقتله وقال بؤ بشسع نعل كليب ... فبلغ فعل مهلهل عم بجير وكان من أحلم أهل زمانه وأشدهم بأساً فقال الحارث نعم القتل قتل أصلح بين أبنائي وائل فقيل له إنما قتل بشسع نعل كليب فلم يقبل ذلك وأرسل الحارث إلى مهلهل إن كنت قتلت بجيراً بكليب وانقطعت الحرب بينكم وبين إخوانكم فقد طابت نفسي بذلك فأرسل إليه مهلهل إنما قتلته بشسع نعل كليب فغضب الحارث ودعا بفرسه وكانت تسمى النعامة فجز ناصيتها وهلب ذنبها وهو أول من فعل ذلك بالخيـل»^(٣). وقد ذكر الحارث ابن عباد من المواضع الجنوبية سهام، وبرام في قوله:

حَيِّ الْمَنَازِلَ أَقْفَرَتْ بِسَهَامٍ وَعَفَّتْ مَعَالِمُهَا بِجَنْبِ بَرَامٍ^(٤)

(١) الزركلي، الأعلام، ط ١٥، ٢/١٥٦.

(٢) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط ١٥، ١٥/٤٠٣.

(٣) البغدادي، خزانة الأدب، ط ٤، ١/٤٧١.

(٤) عبد الهادي، ديوان الحارث بن عباد، ط ١، ٢٢٣.

جَرَّتْ عَلَيْهَا الرِّامِسَاتُ ذُيُولَهَا وَسِجَالِ كُلِّ مُخْلَخِلٍ سَجَامٌ
وبرام جنوبي، قال البكري: "برام بفتح أوله، على وزن فعال: موضع في ديار بني عامر" (١).

وقد ذكر عمرو بن معدي كرب الزبيدي برام، وقرنه بمواضع جنوبية، وعمرو من سكان بيشة:

لَقَدْ أَحْمَيْتُ ذَاتَ الرُّوْضِ حَتَّى تَرَبَّعَهَا أَدَا حَيَّيْ النِّعَامِ (٢)
يُسَيِّرُ بَيْنَ خَطْمِ اللُّوْذِ عَمْرُو فَلَوْذَ الْقَارَتَيْنِ إِلَى بَرَامِ
فَصَفَحَ حَبُونِنِ فَخَلِيفِ دُكْمِ فَخَلَّ إِلَى رَنْيِنِ إِلَى بَشَامِ
وقول عمرو إنه حمى تلك المواضع يدل على قربها منه، وقال البكري عن حبونين: «قال الهمداني: حبونين من ديار مذحج» (٣).

وقال ياقوت عن سهام: «قال أمية بن أبي عائذ الهذلي:

أَفَاطَمَ حُيَيْتَ بِالْأَسْعَدِ مَتَى عَهْدُنَا بِكَ لَا تَبْعِدِ
تَصَيَّفْتُ نُعْمَانَ وَاصْيَفْتُ جَنُوبَ سَهَامٍ إِلَى سُورِدِ
قال ابن الدمينة: "ووادي سهام: شامي قرب زبيد بيوم ونصف" (٤).

٧- حميد بن ثور:

شاعر مخضرم، قال عنه الأصفهاني: «هو حميد بن ثور بن عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار وهو من شعراء الإسلام؛ وقد أدرك الجاهلية أيضا» (٥).

(١) البكري: معجم ما استعجم، ط ٢، ٢٣٨/١.

(٢) الطرايشي، شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ط ٢، ص ١٦٢.

(٣) البكري: معجم ما استعجم، ط ٢، ٤٢١/٢.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ٢٨٩/٣.

(٥) ابن ميمون، منتهى الطلب من أشعار العرب، ط ١، ٣٥٠/٤.

وقال ابن الأثير: «شهد حينئذ مع الكفار ثم أسلم. قدم على النبي ﷺ فأسلم، وأنشده»^(١). ولم يذكر ابن الأثير الأبيات التي أنشدها. ومن شعره يذكر مواضع وقبائل جنوبية:

وما هاج هذا الشوق غير حمامة
إذا شئت غنتني بأجـزاع بيـشة
مطوقة ورقاء تسجعُ كلما
تغنى على فرع الغصون وترعوي
عجبت لها أنى يكون عناؤها
ولم أر محقورا له مثل صوتها

دعت ساق حري حمام ترنما^(٢)
أو النخل من تثليث أو بببما
دنا الصيف وأنجال الربيع فأنجما
إلى ابن ثلاث بين عودين أعجما
فصيحاً ولم تغفر بمنطقها فما
أحن وأخوى للحزين وأكلما

٨- دريد بن الصمة :

دريد بن معاوية بن الحارث، اشتهر بدريد بن الصمة، فارس شاعر جاهلي، أدرك الإسلام ولم يسلم، قتل يوم حنين، عمّر طويلا، خاله عمرو بن معدي كرب الزبيدي الفارس المشهور، عاش دريد مع قبيلته في سراة جشم المجاورة لسراة هذيل، وهو صاحب الأبيات الشهيرة التي تقول:

أرتَ جديـدَ الحبـل من أمّ مـعبد
وبانت ولم أحمد إليك نوالها
ولما رأيت الخيل قبلأ كأنها
أمرتهم أمري بمنعرج اللوى
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى
وهل أنا إلا من غزية إن غوت

بعاقبة وأخلفت كل موعـد^(٣)
ولم ترج فينا ردة اليوم أو غد
جرادُ تباري وجهه الريح مغتد
فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد
غوايتهم وأنني غير مهتدي
غويت وإن ترشد غزية أرشد

وذكر من مساكنهم العقيق، وهو الآن محافظة ما تزال تحتفظ بالاسم ذاته، وتقع إلى الشرق من مدينة الباحة في جنوب الجزيرة:

(١) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، د ط، ٧٨/٢

(٢) الميمني، الحماسة الصغرى، ط ٢، ص ٢٦.

(٣) عبد الرسول، ديوان دريد بن الصمة، د ط، ص ٦١.

مَنْ طَلَلْ بِذَاتِ الْخَمْسِ أَمْسَى عفا بين العقيقِ فَبَطْنِ ضرس^(١)
وذكر وادي دفاق في قوله:

فَلَوْ أَنِّي أَطَعْتُ لَكَانَ حَدِّي بِأَهْلِ الْمَرْخَتَيْنِ إِلَى دُفَاقِ^(٢)

ودفاق واد ينحدر من جبال السراة جنوبي الطائف ويصب جنوبي مكة، قال عاتق البلادي: «دُفَاق: بضم الدال المهملة وتخفيف الفاء، وآخره قاف: واد لهُذَيْل يسيل من السراة قرب شفا بني سفيان، فيصب في وادي ملكان على (٣٢) كلم جنوب مكة»^(٣). وذكر شمظة وهي قرية من عكاظ، ويوم شمظة من أيام حرب الفجار، وذكر الغيام:

أَتَوْعَدَنِي وَدُونَكَ بَرَقَ شَعْر ودوني بطن شمظة فالغيام^(٤)
قال البكري: الغيام: بفتح أوله: جبل دان من شمظة، وهو مذكور في رسم شمظة^(٥).

٩— ذو الإصبع العدواني:

حرثان بن الحارث، من عدوان، لقّب بذي الإصبع لأن حيّة نهشت إصبعه، شاعر فارس، قال عنه الأمدى: «وهو أحد الحكماء الشعراء، عمر دهرًا»^(٦). وفي طول عمره يقول ذو الإصبع:

أَصْبَحْتُ شَيْخًا أَرَى الشَّخْصِينَ أَرْبَعَةً والشَّخْصَ شَخْصِينَ لَمَّا مَسَّنِي الْكَبَرُ^(٧)
وَكُنْتُ أَمْشِي عَلَى الرَّجْلَيْنِ مُعْتَدِلًا فَصَرْتُ أَمْشِي عَلَى مَا تُنْبِتُ الشَّجَرُ

وقبيلته عدوان جنوبية، سكنت مع أختها فهم سراة فهم وعدوان جنوب الطائف، قال الحموي: «وفي كتاب الأصمعي: أول السّروات سراة ثقيف، ثم سراة فهم وعدوان، ثم سراة الأزد»^(٨).

(١) مرجع سابق، ص ١١٥.

(٢) مرجع سابق، ص ١٣٥.

(٣) البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، ط ١، ص ١٠٦.

(٤) عبد الرسول، ديوان دريد بن الصّمّة، د ت، ص ١٥٧.

(٥) البكري، معجم ما استعجم، ط ٢، ١٠١٠/٣.

(٦) الأمدى، المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء، ط ١، ص ١٤٩.

(٧) العدواني، والدليمي، ديوان ذي الإصبع العدواني، د ط، ص ٣٤.

(٨) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ٢٥٢/٢.

وقد ذكر ذو الإصبع من ديارهم بقران حيث يقول:

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ بَقْرَانٍ قُبَاً تَجُوبُ الْأَرْضَ فَجاً بَعْدَ فَجٍ^(١)

وما زالت قرى بقران تحتفظ باسمها إلى اليوم، وهي منازل تقع في ديار بني سعد، جنوبي الطائف، وتبعد عن الطائف ما يقارب (٤٠) كيلومتراً.

وذكر مواضع أخرى منها مرهَب، وصعر حيث قال:

إِنَّ دَارِي بِمَرْهَبٍ فَبِصُغْرٍ فَمَعُورٍ فَوَخْدَةٍ فَاَلْمَرَارِ^(٢)
وَلَنَا مَنَزَلٌ بِرُقْبَةٍ لَا يُسْمَعُ فِيهِ تَهَاذِي الْأَخْبَارِ
ثُمَّ بِالضَّرْعِ قَدْ نَزَلْنَا قَبِيلاً دَارَ صَدَقٍ قَلِيلَةَ الْأَقْدَارِ
مَأْوَانَا الْفَيْضُ لَا يَعَذِّبُنَا الْقَيْظُ وَلَا النَّزْعُ بِالرِّشَاءِ الْمُغَارِ

وهي مواضع قريبة من الطائف، قال البلادي عن صعر: «بالصاد والعين والراء المهملة جميعها، هضبة بطرف السر من الشمال، جنوب الطائف، من جلدان»^(٣).

وذكر قرى فقال: كأننا يوم قرى إنما نقتل إيانا^(٤). والبيت أورده البكري وعلق بقوله: «قرى: بضم أوله، وتشديد ثانيه، بعده ياء، على وزن فعلى: موضع ببلاد بني الحارث. وقال أبو حنيفة: قرى: ماءة قريبة من تبالة»^(٥).

١٠ - ربيعة بن مقروم:

ربيعة بن مقروم بن قيس بن جابر من بني ضبة، شاعر مخضرم، شهد القادسية^(٦)، عمّر طويلاً حتى وصف عجزه وضعفه بقوله:

وَمَشَيْتُ بِأَلَيْدٍ قَبْلَ رَجُلٍ خَطُوهَا رَسَفُ الْمُقَيَّدِ تَحْتَ صُلْبٍ أَخَذَ^(٧)
وَإِذَا رَأَيْتُ الشَّخْصَ قُلْتُ ثَلَاثَةً أَوْ وَاحِدٌ وَإِخَالُهُ لَمْ يَقْرَبِ

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ط١، ص ١٢٢.

(٢) مرجع سابق، ص ١٢٢.

(٣) البلادي: معجم معالم الحجاز، ط٢، ص ٩٨٦.

(٤) العدواني، والدليمي، ديوان ذي الإصبع العدواني، د ط، ص ٧٨.

(٥) البكري، معجم ما استعجم، ط٢، ١٠٦٢/٣.

(٦) انظر المفصل لجواد علي، والوائف بالوفيات للصفدي، وخزانة الأدب للبغداد.

(٧) حرفوش، ديوان ربيعة بن مقروم الضبي، ط١، ص ٢٧.

وَقَضَىٰ بَنِي الْأَمْرِ لَمْ أَشْعُرْ بِهِ وَإِذَا شَهِدْتُ أَكُونُ كَالْمَتَغَيَّبِ

ذكر ربيعة من المواضع الجنوبية قو، وغمازة في قصيدته التي منها قوله:

وماء آجن الجَمَاتِ قَفَرٍ
وَرَدْتُ وَقَدْ تَهَوَّرَتِ الثُّرَيَّا
كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهُ فَوْقَ جَابِ
تَجَانَفَ عَنْ شَرَائِعِ بَطْنِ قَوٍّ
وَأَقْرَبُ مَوْردٍ مِنْ حَيْثُ رَاحَا
فَأَوْرَدَهَا وَلَوْ أَنَّ اللَّيْلَ دَاجٍ
تَعَقَّمُ فِي جَوَانِبِهِ السَّبَاعُ^(١)
وَتَحْتَ وَلِيَّتِي وَهَمٌّ وَسَاعُ
أَطَاعَ لَهُ بِمَعْقَلَةِ التَّلَاعِ
وَحَادَ بِهَا عَنِ السَّبْقِ الْكُرَاعُ
أُثَالُ أَوْ غُمَازَةٌ أَوْ نُطَاعُ
وَمَا لَغَبَا فِي الْفَجْرِ انْصِدَاعُ

فأما قو فقال زرعة بن تميم الجعدي، وهو من بني عامر، ثم من بني جعدة الذين سكنوا شمال بيشة:

وَإِنْ تَكُ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةُ خَيَّمَتْ بِقَوٍّ، فَإِنِّي وَالْجَنُوبُ يَمَانُ^(٢).
وأما غمازة فقد قال عنها ياقوت: «غمازة: بضم أوله، وتخفيف ثانيه، وبعد الألف زاي، وهاء... قال أبو منصور: وعين غمازة معروفة بالسودة من تهامة»^(٣).

ويذكر ربيعة تيمن فيقول:

وَسَاقَتْ لَنَا مَذْحِجٌ بِالْكَلابِ
فَدَارَتْ رَحَانَا بِفُرْسَانِهِمْ
بَطْعُنَ يَجِيشُ لَهُ عَانِدٌ
وَأَضْحَتْ بِتَيْمَنَ أَجْسَادُهُمْ
مَوَالِيهَا كُلُّهَا وَالصَّمِيمَا^(٤)
فَعَادُوا كَأَنَّ لَمْ يَكُونُوا رَمِيمَا
وَضَرَبَ يُفْلِقُ هَامَا جُثُومَا
يُشَبِّهُهَا مَنْ رَأَاهَا الْهَشِيمَا

قال البكري: «تَيْمَنُ: بالفتح، وآخره نون: موضع بين تبالة وجرش من مخاليف اليمن... وقال ابن السكيت في قول عروة:

(١) مرجع سابق، ص ٣٥

(٢) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ٤/٤١٦.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ٤/٢٠٩.

(٤) حرفوش، ديوان ربيعة بن مقروم الضبي، ط ١، ص ٥٤.

وكيف ترجيها وقد حيل دونها، وقد جاورت حيا بتيمن منكرا
قال: "تيمن أرض قبل جرش في شقّ اليمن ثم كراء ... وقيل: «تيمن أرض بين بلاد
بني تميم ونجران، والقولان واحد لأن نجران قرب جرش»^(١).

١١- زهير بن جناب الكلبي:

زهير بن جناب بن هبل الكلبي، قال عنه ابن الكلبي: «فولد جناب بن هبل: زهيراً
الشاعر، عاش عشرين ومائة سنة، وكان من رجال العرب لساناً ورأياً ووفادة على
الملوك؛ وهم بطنٌ عظيمٌ»^(٢). وقال عنه محمد شفيق البيطار: «شاعرٌ كان له أثر في
تاريخ الجاهلية، وشعرها، فهو ممن اجتمعت على رياسته قبائل قضاة كلها، وهي
ثلث العرب، وقد عمّر زمنًا طويلاً أتاح له المشاركة في عدد من الأحداث الجاهلية
المشهورة»^(٣). عمّر طويلاً، وقال في ذلك:

لَقَدْ عُمِّرْتُ حَتَّى مَا أَبَالِي أَحْتَضِي فِي صَبَاحِي أُمَ مَسَائِي^(٤).
وَحُقِّ لِمَنْ أَتَتْ مِثْلَانِ عَامَا عَلَيْهِ أَنْ يَمَلَّ مِنَ الثَّوَاءِ

وقال في حرب قومه ضد غطفان:

وَلَمْ تَصْبِرْ لَنَا غَطَفَانُ مَا تَلَاَقَيْنَا وَأُخْرِزْتَ النِّسَاءُ^(٥).
فَلَوْلَا الْفَضْلُ مِنَّا مَا رَجَعْتُمْ إِلَى عُنْدَاءٍ شَيِمَتْهَا الْحِيَاءُ

وقال حين هزم بكرًا وتغلب، وكان أبرهة الحبشي في مروره بديارهم قد أمر زهيراً
عليهم، فحاولوا قتله، فسلم منهم، ثم قاتلهم فهزمهم، وأسر في تلك المعركة كليياً،
وأخاه مهلهلاً:

تَبَا لَتَغْلِبَ إِذْ تُسَاقِ نِسَاؤُهُمْ سَوَّقَ الْإِمَاءَ إِلَى الْمَوَاسِمِ عُظَلَا^(٦)
لَحِقَتْ أَوَائِلُ خَيْلِنَا سُرْعَانَهُمْ حَتَّى أَسْرَنَ عَلَى الْحَبِيِّ مَهْلَهَلَا

(١) الحموي، معجم البلدان، ط٢، ٦٨/٢.

(٢) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ط١، ٥٦٠/٢.

(٣) البيطار، ديوان زهير بن جناب الكلبي، ط١، ص٥.

(٤) مرجع سابق، ص٥٣.

(٥) مرجع سابق، ص٥٦.

(٦) البيطار، ديوان زهير بن جناب الكلبي، ط١، ص٩٨.

إِنَّا مُهْلَلٌ لَا تَطِيشُ رِمَاحُنَا أَيَّامَ تَنْقَفُ فِي يَدَيْكَ الْحَنْظَلَا

والحبيّ في تهامة، قال صاحب مراصد الاطلاع: «(حبيّ) بالضم، ثم الفتح، وباء مشددة، بلفظ التصغير: موضع بتهامة، كان لبنى أسد وكنانة»^(١).

وقال في أسره مهلهلا وكليبا:

أَيْنَ أَيْنَ الْمَفْرُ مِنْ حَدَرِ الْمَوْتِ وَإِذْ يَتَّقُونَ بِالْأَسْلَابِ^(٢)
إِذْ أَسَرْنَا مُهْلَلًا وَأَخَاهُ وَابْنُ عَمْرٍو فِي الْقَدِّ وَابْنُ شَهَابٍ
وَسَبِينَا مِنْ تَغْلِبَ كُلِّ بَيْضَاءَ رَقُودِ الضُّحَى بِرُودِ الرُّضَابِ
يَوْمَ يَدْعُو مُهْلَلٌ يَا لَبَكْرٍ هَا أَهْذِي حَفِيظَةُ الْأَحْسَابِ؟

هذه القصّة تبرهن ما يورده الباحث عن تغلب، وبكر، وحرب البسوس، فلا يمكن أن تدور أحداثها في غير جنوب الجزيرة العربية، إذ لو كانت بكر، وتغلب في البحرين لما كان لأبرهة أن يجعل زهيراً أميراً عليهم، فلم يتحدث أحدٌ عن خضوع شرق الجزيرة العربية، أو شمالها لأبرهة الحبشي، الذي لم يتجاوز حكمه إقليم نجران، ولم يتحدث أحدٌ عن سكنى خثعم في غير جنوب الجزيرة، فكيف لأبرهة أن يؤمّر جنوباً على شماليين!

١٢ - سَاعِدَةُ بْنُ جُوَيْة:

من هذيل، والغالب على الظنّ أنّه جاهلي، وقد قيل إنّهُ مخضرم، ولكنّ شعره لا يبدو - في نظر الباحث - شعر إنسان أدرك الإسلام وأسلم، إذ إنّهُ يخلو من آية إشارة إلى الدين الجديد.

وقد ذكر من المواضع الجنوبية وادي ضيم، ودفاق:

وَمَا ضَرَبَ بَيْضَاءَ يَسْقِي دُبُوبَهَا دُفَاقُ فَعَرَوَانَ الْكَرَاثِ فَضَيْمُهَا^(٣)
أُتِيحَ لَهَا شَثْنُ الْبَنَانِ مُكْرَمٌ أَخُو حَزَنٍ قَدْ وَفَّرْتُهُ كُلُّومُهَا
فَذَلِكَ مَا شَبَّهَتْ يَا أُمَّ مَعْمَرٍ إِذَا مَا تَوَلَّى اللَّيْلُ غَارَتْ نَجُومُهَا

(١) القطيعي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط ١، ٣٧٩.

(٢) البيطار، ديوان زهير بن جناب الكلبي، ط ١، ص ٦٢.

(٣) الشنقيطي، ديوان الهذليين، د ط، ٢٠٧/١.

قال عاتق البلادي: «ضيم: ضاد معجمة وياء مثناة من تحت وميم: واد لهذيل، يسيل من جبال الفرع وشعار من سرة طود الحجاز جنوب غربي الطائف... فيه مزارع أعظمها عين باشا، تبعد (٤١) كيلاً جنوب مكة إلى الشرق... والكرات الوارد في شعر ساعدة، صوابه الكراب، جبال تجاور عروان جنوب دفاق بينه وبين يلملم»^(١).

ومن شعر ساعدة قوله:

هَجَرَتْ غَضُوبٌ وَحُبٌّ مَن يَتَحَبَّبُ ذَكَرَ الْغَضُوبُ وَلَا عِتَابُكَ يُعْتَبُ
شَابَ الْغُرَابُ وَلَا فُؤَادُكَ تَارِكُ مَن دُونَهُ فَوْتُ عَلَيْكَ وَمَطْلَبُ
وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ أَنْ تَكْلَفَ نَائِيًا غَابَ تَشْيِمُهُ ضَرَامُ مُثَقَّبُ
أَقْمَنُكَ لَا بَرْقُ كَانَ وَمِيزُهُ عَكَرَ كَمَا لَبَجَ النُّزُولُ الْأَرْكَبُ
لَمَّا رَأَى نَعْمَانَ حَلَّ بِكَرْفَى مَا بَيْنَ عَيْنٍ إِلَى نُبَاتِ الْأَثَابُ
وَالسَّدْرُ مُخْتَلَجٌ وَأَنْزَلَ طَافِيًا وَالِدَوْمُ جَاءَ بِهِ الشُّجُونُ فَعُلْبُ

١٣ — السُّلَيْكُ بْنُ السُّلَكَةِ :

السليك بن عمرو، أو ابن عمير، من بني مقاعس من تميم، والسلكة أمه، قيل كانت أمة سوداء، وكان قد أخذ منها لونها، وبعض التقاطيع الزنجية إذ يجد الباحث في الأغاني ما يدل على ذلك، ويصرح السليك بصفاته الخلقية التي جعلته في عداد العبيد، على الرغم مما يتسم به من صفات الفروسية:

هَزِنْتُ أُمَامَةً أَنْ رَأَتْ بِي رِقَّةً وَفَمَا بِهِ فَقَمٌ وَجِلْدِي أَسْوَدُ^(٣)

وقال عنه البلاذري في أنساب الأشراف: «السُّلَيْكُ بْنُ يَثْرِبِي بْنِ سَنَانِ بْنِ عَمِيرِ بْنِ الْحَارِثِ، وَهُوَ مَقَاعَسُ، وَأُمُّهُ السُّلَكَةُ، وَكَانَتْ سَوْدَاءَ، وَهُوَ الرِّثْبَالُ، وَكَانَ يَغْيِرُ وَحْدَهُ، وَيُقَالُ هُوَ السُّلَيْكُ بْنُ سُلَكَةٍ، وَأَبُوهُ عَمْرُو بْنُ يَثْرِبِي بْنِ عَمِيرٍ. وَالْأَوَّلُ قَوْلُ الْكَلْبِيِّ وَهُوَ أَثْبَتُ»^(٤).

(١) البلادي؛ معالم مكة التاريخية والأثرية، ط ١، ص ١٦٣

(٢) الشنقيطي، ديوان الهذليين، د ط، ١٦٧/١

(٣) ثويني، وعواد، ديوان السليك بن السلكة، ط ١، ١٢.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، د ط، ٣٤٩/١٢

وتؤكد قصائده على أنه عاش في جنوب الجزيرة، ولعل من أوضح الدلائل قوله:

أَمُعَتْنَقِي رَيْبُ الْمُنُونِ وَلَمْ أَرْعُ عَصَافِيرَ وَادِ بَيْنِ جَاشٍ وَمَأْرِبٍ؟^(١)
وَأَذْعَرَ كَلَابِيَةً لُودِ كَلَابِهِ وَمَرْخَةً لَمَّا التَّمَسُّهَا بِمَقْنَبِ

فهو يحدد نيته للغزو، ويحدد أن من مقاصده بلدة جاش، وهي بلدة تقع على وادٍ خصيب ما زال يعرف باسمه إلى اليوم، ويقع جنوب مدينة تثليث، في جنوب الجزيرة.

كذلك فإن من مقاصده مأرب اليمنية، ويكرر ذكر المواضع الجنوبية في نص آخر إذ يقول:

لَخَنَعَمَ إِنْ بَقِيْتُ وَإِنْ أَبَوُهُ أَوَارُ بَيْنَ بَيْشَةَ أَوْ جُفَارٍ^(٢)
وبيشة جنوبية، وجفار قال عنه البكري: «جفار: بضم أوله، وبالراء المهملة موضع قبل بيشة»^(٣).

١٤- الشنفرى :

قال أحمد عمارة صاحب كتاب دراسة في نصوص العصر الجاهلي: «اختلف الرواة في اسمه كما اختلفوا في نسبه وأغلب الروايات تذكر أنه الشنفرى بن الأواس بكسر الهمزة أو ضمها بن الحجر بن الهنوابن الأزدي، فهو أزدي من أزدي شنوءة التي كان موطنها جبال السراة»^(٤). والشنفرى شاعر جنوبي، من الفرسان الصعاليك العدائيين الذين لا تلحقهم الخيل، أغلب شعره في الفخر والحماسة، وله اللامية الشهيرة التي تعرف بلامية العرب التي مطلعها:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيكِكُمْ فَإِنِّي إِلَى قَوْمِ سِوَاكُمْ لَأَمِيلُ^(٥)

وأورد بعض من لا يهتم بالاستدلال بشعر الشاعر في الحكم على القضايا المتعلقة به، مقولات عن الشنفرى تحسنها لهم الأوهام المتداولة، ويكذبها شعر الشنفرى، ونسبه، ومعاجم اللغة. ولوثأمل أولئك الشعر الذي بين أيديهم لدلهم على الحقيقة،

(١) ثويني، وعواد، ديوان السليك بن السلعة، ط ١، ٤٨.

(٢) مرجع سابق، ص ٥٦.

(٣) البكري: معجم ما استعجم، ط ٢، ٢٨٥.

(٤) عمارة، دراسة في نصوص العصر الجاهلي، د ط، ص ٢.

(٥) يعقوب، ديوان الشنفرى، ط ٢، ص ٥٨.

فمن من الأوهام المتداولة ما يرويه أحمد عمارة، صاحب كتاب دراسة في نصوص العصر الجاهلي حين يقول عن الشنفرى: «وهو أحد أغربة العرب، ويصرح في شعره بأنه هجين يقول: ألا ليت شعري والتلف ضلة... بما ضربت كف الفتاة هجينها، وكان هؤلاء الأغربة ينبذهم أبائهم لعار ولادتهم لأنهم ليسوا بأولاد حرائر ومن معاني الشنفرى الغليظ الشفتين، وغلظ الشفتين من سمات الجنس الأسود كما يقرر ذلك علماء الأجناس.»^(١)

من الأوهام أيضاً ما ذكره إميل بديع في شرحه لديوان الشنفرى أن معظم العلماء وقعوا في الوهم ذاته - وإميل هنا لم يذكر أنهم أخطأوا - فليس الأمر مقصوراً على عمارة، يقول بديع: «وذهب معظم العلماء إلى أن الشنفرى لقبه، وهو يعني غليظ الشفتين، وأن الشاعر لقّب بذلك لعظم شفثيه»^(٢).

ومن الأوهام - أيضاً - ما أورده خالد زغریت حين استشهد بشعر الشنفرى باعتباره أحد (الغربان) السود، فيقول زغریت في بحثه الذي يختصّ بما توهم أنه شعر الأغربة، وهو بعنوان (الأساس الواقعي لجماليات اللون في شعر الأغربة الجاهليين: «وقد نسب الأغربة الأشياء إلى ألوانها، فسموا السيف الأبيض، والقوس الحمراء، والدرع الأصفر على نحو ما تكرر في قول الشنفرى:

وحمرء من نبع أبي ظهيرة ترن كإرنان الشجي وتهتف
وقوله:

أركبها في كل أحمر غاطر وأقذف منهن الذي هو مقرف
وقوله:

وباضعة حمر القسي بعثتها ومن يغز يغنم مرة ويشمت»^(٣)

والواهمون قد ظنّوه زنجياً غليظ الشفتين بسبب لفظة (شنفرى) التي ربطوها - دون دليل لغوي - بالشفة، فهم بهذا يربطون - بغير دليل - بين الشفة، والشنفرة. ولا رابط بينهما، فاللفظتان مختلفتان تماماً، ولا تعني إحداها الأخرى، وليست مرتبطة

(١) عمارة، دراسة في نصوص العصر الجاهلي، ط ٢، ص ٢.

(٢) يعقوب، ديوان الشنفرى، ط ٢، ص ٩.

(٣) زغریت، الأساس الواقعي لجماليات اللون في شعر الأغربة الجاهليين، مجلة التراث، عدد ٢، ٢٠٠٥م، ص ١٠٥.

أيضا بمشفر البعير، فالمادتان مختلفتان، وكلّ معاجم اللغة لا تذكر أنّ من معاني الشنفرى غليظ الشفتين كما توهم المتوهمون. فالخليل في كتاب العين يقول: «شنفر: الشنفرية: السيء الخلق، قال: مثل جلاح أو أبي الجلوفق شنفرية ذي خلق زبعيق»^(١).

وتحدث الزبيدي في تاج العروس حديثا طويلا عن مادة شنفر لم يذكر فيه معنى غليظ الشفتين أبدا، يقول الزبيدي: «شنفر: الشنفرية، بالكسر، أهمله الجوهري هنا، وكذا الصّاغاني، وذكره في حرف: شفر، وهو نشاط الناقة وحدتها) في السير (كالشنفارة، بالكسر، قال الطرمّاح يصف ناقة: ذات شنفارة إذا همت الذفرى بماء عصائم جسده، يروى بتشديد الفاء، أراد أنها ذات حدة في السير. وقيل: ذات شنفارة، أي ذات نشاط. (و) الشنفرية: (الرجل السيئ الخلق) كالشنظيرة، والشنذيرة، وأنشد الليث: شنفرية ذي خلق زبعيق، والشنفار بالكسر: الخفيف مثل به سيبويه، وفسره السيرافي. وقال الصّاغاني: والشنافر: البعير الكثير الشعر في الوجه»^(٢).

وفي لسان العرب يقول ابن منظور: شنفر: رجل شنذيرة وشنظيرة وشنفرية إذا كان سيء الخلق؛ وأنشد: شنفرية ذي خلق زبعيق. وقال الطرمّاح يصف ناقة: ذات شنفارة، إذا همت الذفرى... بماء عصائم جسده. أراد أنها ذات حدة في السير، وقيل: ذات شنفارة أي ذات نشاط. والشنفار: الخفيف؛ مثل به سيبويه وفسره السيرافي. وناقة ذات شنفارة أي حدة. والشنفرى: اسم رجل^(٣). وفي القاموس المحيط للفيروز آبادي: «الشنفرية، بالكسر: نشاط الناقة وحدتها، كالشنفارة، بالكسر، والرجل السيئ الخلق. والشنفرى الأزدي: شاعر عداء، ومنه: "أعدى من الشنفرى، والشنفار: الخفيف"^(٤).

الذي يتأمل في المعاني التي توردها المعاجم، وفي حياة الشنفرى وصفاته، يجد أنّ (معظم العلماء) انصرفوا عن تلك الصفات التي تعنيها لفظة (شنفر) وتناسب حياة الشنفرى، وصفاته الشخصية، وهي الخفة، والسرعة، وسوء الخلق، وذهبوا إلى صفة خلقية لا تناسب معنى (شنفر) ولا تتفق مع ما جاء في شعر الشنفرى عن نفسه! وذكر من صفات الشنفرى الخلقية، ومن نسبه من جهة الأب ومن جهة الأم، ما ينقض ما قاله من ظنّ بأنّه أسود، وبأنّه ابن زنجية. يقول الشنفرى عن نسبه في الأواس، والأواس من أزد شنوءة:

(١) المخزومي، السامرائي، كتاب العين، د ط، ٣٠٣/٦

(٢) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ط ٢، ٢٥١/١٢

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ط ٢، ٤٣١/٤

(٤) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط ٨، ص ٤٢٠.

وَلَوْ عَلِمْتَ جُعْسُوسُ أَنْسَابِ وَالِدِي وَوَالِدَهَا ظَلَّتْ تَقَاصِرُ دُونَهَا ^(١)
أَلَيْسَ أَبِي خَيْرَ الْأَوَاسِ وَغَيْرِهَا وَأُمِّي ابْنَةُ الْخَيْرَيْنِ لَوْ تَعْلَمِينَهَا

ومن عجائب هؤلاء الواهمين أنهم لم يلتفتوا إلى قول الشنفرى عن نفسه في النص ذاته، موضحاً بأنه أبيض البشرة، لا أسودها:

إِذَا مَا أَرُومَ الْوَدَّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا يَوْمُ بَيَاضِ الْوَجْهِ مِنِّي يَمِينُهَا ^(٢)
هذا نص واضح الدلالة على أن الشنفرى أبيض البشرة، وأن أمه حرة كآبيه، وأنه أبيض!

والشنفرى في أشهر قصائده يخاطب أخواله فيقول:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطْيِكُمْ فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَا مِيلَ ^(٣)

كفيع يغفل الذين يقولون إن الشنفرى ابن زنجية عن هذا النص الواضح. والشنفرى يصف نفسه وأصدقاءه بأنهم بيض الوجوه:

خَرَجْنَا فَلَمْ نَعْهَدْ وَقَلَّتْ وَصَاتُنَا ثَمَانِيَةٌ مَا بَعْدَهَا مُتَعَتَّبٌ ^(٤)
سَرَاحِينُ فِتْيَانٍ كَأَنَّ وَجُوهَهُمْ مَصَابِيحُ أَوْ لَوْنٌ مِنَ الْمَاءِ مُذْهَبٌ

ففي قوله (كأن وجوههم مصابيح أو لون من الماء مذهب) ما يدل على بياضهم، وهو أحدهم.

ومن العجيب - كذلك - أن المتوهمين لم يلتفتوا إلى قول ابن قتيبة في الشعر والشعراء، فهو يقول - عند الحديث عن عنبرة -: "وهو أحد أغربة العرب، وهم ثلاثة: عنبرة، وأمّه زبيبة، سوداء، وخفاف بن عمير الشريدي، من بنى سليم، وأمّه ندبة، وإليها ينسب، وكانت سوداء، والسليك بن عمير السعدي، وأمّه سلكة، وإليها ينسب، وكانت سوداء" ^(٥).

(١) يعقوب، ديوان الشنفرى، ط٢، ص ٧٨.

(٢) مرجع سابق، ص ٧٨.

(٣) يعقوب، ديوان الشنفرى، ط٢، ص ٥٨.

(٤) مرجع سابق، ص ٢٧.

(٥) أبو عبيدة، الديباج، د ط، ص ٦.

ذكر معمر بن المثنى أغربة العرب فقال: «وأغربة العرب أربعة، منهم عنترة بن شداد العبسي وأمه زبيبة سوداء. ومنهم خفاف بن ندبة وأمه ندبة سوداء. ومنهم سليك بن السلكة وكانت أمه سوداء. قال أبو عثمان سعدان بن المبارك، وأما أبو عمرو الشيباني فقال: خفاف بن ندبة مكان ابن خازم. قال أبو جعفر: عبد الله بن خازم إسلامي لا يعد في الأغربة، ولو عدناه لوجدنا مثله في الإسلام كثيرا، ولكنهم عنترة، وخفاف بن ندبة، وسليك بن السلكة، والمنشدر بن قاسط الباهلي»^(١). فابن المثنى، وابن قتيبة يذكرون أنّ أغربة العرب الثلاثة، أو أربعة، ولا يذكرون منهم الشنفرى، ولو كان الشنفرى أسود البشرة فلا شيء يمنعهم من ذكره فيهم!

من الأوهام التي تناقلها المهتمون بالشأن الجاهلي، أنّ محقق ديوان الشنفرى حين يتحدث عن البيئة الجغرافية التي عاش فيها الشنفرى يخرج عن الحقيقة التي يصورها شعرُ الشاعر، ويدخل في الأوهام التي امتلأت بها عقول الدارسين عن طبيعة الجزيرة العربية، فإميل بديع يقول إنّ لامية العرب للشنفرى تصوّر البيئة الصحراوية القاحلة: «تصوير اللامية لبيئة الصحراء العربية القاحلة التي عاش فيها الشنفرى»^(٢).

وهذا قولٌ لبديع لا دليل عليه، بل الأدلة ضده، فالشنفرى عاش في جبال السّراة، وهي بيئة جبلية لا صحراوية، خصيبة لا جديبة، كثيرة الأمطار، كثيفة الغطاء النباتي، والشنفرى عاش في قبيلة بني سلامان بن مفرح، أو مفرج الزهرانية تارة، وفي بني الأواص تارة، وكلهم عاشوا في مرتفعات جبال سراة الأزدي الغنية. ومن جهة أخرى فإنّ الذي يتأمل لامية الشنفرى لا يجد فيها بيتاً واحداً يتحدث فيه الشاعر الصحراء قاحلة، ولا ينتظر من أزدّي عاش في مرتفعات جبال السراة ذلك الحديث. ومن شعره يذكر بعض المواضع الجنوبية، وأنواع من النبات الذي لا يعيش إلا في الجنوب:

فَإِنْ لَا تَزُرُنِي حَتَفْتِي أَوْ تُلَاقِنِي أَمْشُ بَدَهْرًا أَوْ عَدَافَ تَنُورًا^(٣)
أَمْشِي بِأَطْرَافِ الْحَمَاطِ وَتَارَةً تُنْفِضُ رِجْلِي بَسْبَطًا وَعَصَنَصْرًا

والحماط هو التين الشوكي، وهونبات يعيش في جبال السراة، وما زال الناس في عسير يسمونه الحماط. وقال يذكر تبالة وهي جنوبية:

(١) ابن المثنى، شرح نقائض جرير والفرزدق، ط ٢، ٥٤٢/٢.

(٢) يعقوب، ديوان الشنفرى، ط ٢، ص ١٨.

(٣) مرجع سابق، ص ٤٦.

قتيلا فخار أنتما إن قتلتما بجنب دحيس أو تباله تسمعا^(١)
 وذكر الشنفرى وادي منجل، وهو واد معروف بهذا الاسم إلى اليوم في المخواة، وهي
 بلدة تتبع منطقة الباحة، يقول الشنفرى:
 ويوماً بذات الرأس أو بطن منجل هنالك تلقى القاصي المتغورا^(٢)

١٥- صخر الغي :

جاء في أنساب الأشراف: «صخر بن حبيب بن سويد بن رياح بن كليب بن كعب بن
 كاهل»^(٣). بينما قال عنه الأصفهاني: «صخر بن عبد الله الخيثمي، من بني هذيل: شاعر
 جاهلي، لقب بصخر الغي لخلاسته وشدة بأسه وكثرة شره»^(٤).

عاش مع قبيلته في ديارها ما بين جبال السراة، وسهول تهامة، وذكر في قصائده
 عددا من المواضع الجنوبية، على عادة الشعراء الجاهليين، فهو يذكر أدام في قوله:

لقد أجرى لمصرعه تليد وساقته المنية من أداما^(٥)

قال عاتق البلادي: «أدام بكسر أوله وآخره ميم، واد فحل من أودية مكة على (٥٧)
 كيلومترا جنوبا، يقطعه طريق اليمن؛ وقال القالي عن ابن دريد: يقال: أدام وأدام
 بالذال المهملة وبالدال المعجمة لغتان؛ ولا يعرف اليوم بغيره، وبثره لا زالت تورده»^(٦).

وذكر نمار، وهو: «ربع بين وادي الحوية التهامي، ووادي دفاق»^(٧).

قال صخر الغي:

سمعت وقد هبطنا من نمار دعاء أبي المثلّم يستغيث^(٨)

ووادي نمار: واد يأخذ ماءه من جبال جنوب الطائف بما يقارب ستين كيلومترا.

(١) يعقوب، ديوان الشنفرى، ط٢، ص ٥١.

(٢) مرجع سابق، ص ٤٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، د ط، ١١/٢٤٤.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ط٢، ٥/٢٣.

(٥) البكري: معجم ما استعجم، ط٢، ١/١٢٦.

(٦) البلادي، معجم معالم الحجاز، ط٢، ص ٧٩.

(٧) مرجع سابق، ص ١٧٦٨.

(٨) السكري، شرح أشعار الهذليين، د ط، ص ٢٦٢.

وقال يصف آثار المطر:

فَأَصْبَحَ مَا بَيْنَ وَادِي الْقُصُورِ حَتَّى يَلْمَلَمَ حَوْضًا لَقِيفًا^(١)

ويللمم ميقات أهل اليمن، وهو إلى الجنوب من مكة المكرمة.

وذكر ألومة، قال البلادي: «قال ياقوت في ديار هذيل، قال صخر الغي:

هُمْ جَلَبُوا الْخَيْلَ مِنَ الْأُومَةِ أَوْ مِنْ بَطْنِ عَمَقٍ كَأَنَّهَا الْبُجْدُ

أما ألومة فواد يسيل بين وادي الأحسبة وقتونا، فيصب في الخبت شمال مدينة القنفذة»^(٢).

١٦ - طفيل الغنوي:

طفيل بن عوف، شاعر جاهلي من الفحول المعدودين، ومن أشعر شعراء قيس، ومن أوصف العرب للخييل حتى سموه طفيل الخيل لكثرة وصفه إياها. ومساكن غني قوم طفيل في جنوب الجزيرة العربية، يقول عبد الستار فراج: «ومساكن غني وباهلة متجاورة في نجد شرقي الطائف، وبعض بني باهلة كانوا يسكنون إلى الجنوب الشرقي في الطريق بين مكة واليمن في موضع يسمى تبالة»^(٣).

وقد ذكر طفيل مواضع جنوبية مثل بينبم:

أَشَاقَتْكَ أَظْعَانُ بِحَفْرِ يَبْنَبِمِ نَعَمْ بُكْرًا مِثْلَ الْفَسِيلِ الْمُكَمَّمِ^(٤).

ويبنبم قريب من تبالة، قال ابن عبد الحق: «يبنبم بفتح أوله وثانيه، وميم ساكنة، وباء موحدة أخرى، وميم: موضع قرب تبالة، عند بيشة وترج»^(٥).

وذكر تبالة ذاتها حين قال:

جَعَلْتَهُمْ كَنْزًا بِبَطْنِ تَبَالَةٍ وَخَيَّبْتَ مِنْ أَسْرَاهِمِ مَنْ تُخَيَّبُ^(٦)

(١) مرجع سابق، ص ٢٦٨.

(٢) البلادي، معجم معالم الحجاز، ط ٢، ص ١٣٠.

(٣) فراج، القبائل والقراءات، مجلة الرسالة، عدد ٨١٧، ص ١٩.

(٤) أوغلي، ديوان طفيل الغنوي، ط ١، ص ٩٩.

(٥) القطيعي، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط ١، ١٤٧٣/٢.

(٦) أوغلي، ديوان طفيل الغنوي، ط ١، ص ٦٩.

وجاء في الديوان أن طفيلًا كان مجاورًا لبني عبد المدان في نجران، واستشهد بقول طفيل يصف إبله:

تَبَيْتُ أَوَابِيهَا عَوَاكِفَ حَوْلِهِ عُكُوفَ الْعِذَارَى حَوْلَ مَيْتٍ مَفْجَعٍ^(١)
وَقَدْ سَمَنْتُ حَتَّى كَانَ مَخَاضُهَا تَفَشَّغَهَا ظَلْعٌ وَلَيْسَتْ بِظُلْعٍ
مُجَاوِرَةَ عَبْدَ الْمَدَانِ وَمَنْ يَكُنْ مُجَاوِرَهُمْ بِالْقَهْرِ لَا يَتَطَّلِعُ

وقال طفيل:

عَرَفْتُ لَيْلَى بَيْنَ وَقْطِ فَضْلَافٍ مَنَازِلَ أَقْوَتٍ مِنْ مَصِيفٍ وَمَرْبَعٍ^(٢)
أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا حُبَّهَا حَارِثِيَّةً تُجَاوِرُ أَعْدَائِي وَأَعْدَاؤَهَا مَعِي

وما زال جبل ضلفع معروفًا باسمه إلى اليوم، ويقع شمال مدينة بيشة، وبينه وبين رنية أقل من (٤٠) كيلو مترًا في خط مستقيم، وهو إلى الشرق من رنية.

وقد استشهد البكري بشعر طفيل الغنوي في تحديد مكان وادي ترج، يقول البكري: «ترج بفتح أوله، وإسكان ثانيه، وبالجميم. قال أبو حاتم عن الأصمعي: هو موضع ببيشة، مأسدة، وهو من بلاد خثعم؛ ويشهد لك أن ترجًا قبل تبالة باليمن قول طفيل:

وَقَدْ حَلَّ بِالْجَفْرَيْنِ جَفْرُ تَبَالَةٍ فَتَرَجٌ فَتَنْهِي فَالشُّرُجِ الْقَوَابِلِ^(٣).

١٧- عامر بن الطفيل :

فارس قيس، وأحد الشعراء الجاهليين، وهو ابن عم لبيد بن ربيعة الشاعر، أدرك الإسلام ولم يسلم، وهدد بغزو المدينة فدعا عليه الرسول ﷺ فمات في طريق عودته. خاض حروبًا كثيرة مع القبائل التي كانت تسكن جنوب الجزيرة، قتل والده في بيشة، في وادي هرجاب، وفيه يقول:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ رِسَالًا وَنَجْدَةً بِهِرْجَابَ لَمْ تُحْبَسْ عَلَيْهِ الرِّكَائِبُ^(٤)
وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنَّنِي لَوْ رَأَيْتُهُ يُسَاوِرُهُ ذُو لِبْدَتَيْنِ مُكَالِبُ

(١) مرجع سابق، ص ٧٢.

(٢) أوغلي، ديوان طفيل الغنوي، ط ١، ص ١٣٤.

(٣) البكري: معجم ما استعجم، ط ٢، ٢٠٩/١.

(٤) الأنباري، ديوان عامر بن الطفيل، د ط، ص ٢٤.

لَمَارَسْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ غَيْرَ مُهَلِّلٍ لَعَمْرُ أَبِي أَوْ تَشْتَعِبُنِي الشَّوَاعِبُ

فَقُتَّتْ عَيْنُ عَامِرٍ يَوْمَ فَيْفِ الرِّيحِ، وَهُوَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ الْمَشْهُورَةِ، بَيْنَ مَذْحَجٍ وَقَيْسٍ، طَعْنَهُ مَسْهَرُ بْنُ يَزِيدَ الْحَارِثِيُّ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَامِرُ ابْنُ الطَّفِيلِ:

لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَيَّ بِهِيْنِ لَقَدْ شَانَ حُرَّ الْوَجْهِ طَعْنَةً مُسْهَرٍ^(١)
فَبَيْسَ الْفَتَى إِنْ كُنْتَ أَعْوَرَ عَاقِرًا جَبَانًا فَمَا عُذْرِي لَدَى كُلِّ مُحْضَرٍ
وَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي أَكْرُ عَلَيْهِم عَشِيَّةَ فَيْفِ الرِّيحِ كَرَّ الْمُدَوَّرِ
فَلَوْ كَانَ جَمْعًا مِثْلَنَا لَمْ يَبْزُنَا وَلَكِنْ أَتَنَّا أَسْرَةً ذَاتَ مَفْخَرٍ
أَتُونَا بِشَهْرَانِ الْعَرِيضَةِ كُلِّهَا وَأَكْلَبَ طَرًّا فِي جِيَادِ السَّنَوَرِ

عاش ابن الطفيل مع قومه من بني عامر بن صعصعة في بيشة، وهي مدينة قديمة، تقوم على وادٍ شهير هو وادي بيشة، وبيشة تابعة لمنطقة عسير. والباحث في شأن المعارك التي خاضتها قبيلة عامر بن صعصعة يدرك أنَّ أكثر المعارك التي خاضها عامر مع قومه كانت ضدَّ قبائل جنوبية كشهران، ونهد، وبني الحارث، وخثعم. وقد ورد عند العسقلاني في الإصابة أنَّ عامر بن الطفيل: «حين عاد من المدينة إلى ديار قومه بعد أن دعا عليه الرسول ﷺ، أصيب بغدة أمرضته، فلجأ إلى أحد بيوت بني سلول، حتى إذا استيقن من الموت قال متفجعاً: (غدة كغدة البعير، وموت في بيت سلولية)»^(٢).

ما يهمُّ في القصة أنَّها تخبرنا عن ديار بني عامر، إذ إنَّ عامراً كان عائداً من المدينة إلى ديار بني عامر، فمرَّ في طريق عودته بديار بني سلول، وبنو سلول كانت ديارهم في بيشة، قال ابن عبد الحق: «ثنية الخيمات: نخل لبني سلول، ببطن بيشة»^(٣). وقال ياقوت: «قال أبو زياد: ولبني سلول ببطن بيشة الخيمات نخل وقد يزرع في بعضها الحب»^(٤). ويذكر عامر بن الطفيل القبائل التي له معها معارك، وثارات، فلا يجد الباحث فيما يذكره عامر بن الطفيل من القبائل إلا القبائل الجنوبية، ومنها زبيد، وأرحب، وخثعم:

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِيِّ مَا لَكَ بَعْدَمَا أَرَاكَ صَاحِحًا كَالسَّلِيمِ الْمُعَذَّبِ^(٥)

(١) مرجع سابق، ص ٦٤.

(٢) العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ط ١، ١٨٦/٦.

(٣) القطيعي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط ١، ٤٩٧/١.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ٤١٤/٢.

(٥) الأنباري، ديوان عامر بن الطفيل، د ط، ص ٢٦.

فَقُلْتُ لَهَا هَمِّي الَّذِي تَعْلَمِينَهُ مِنْ الثَّارِ فِي حَيِّي زُبَيْدٌ وَأَرْحَبُ
وَأَنْ أَغْزُ حَيِّي خَتَعَمَ قَدَمَائُهُمْ شِفَاءٌ وَخَيْرُ الثَّارِ لِلْمُتَأَوِّبِ
فَمَا أَدْرَكَ الْأَوْتَارَ مِثْلُ مُحَقِّقٍ بِأَجْرَدِ طَاوٍ كَالْعَسِيبِ الْمُشْدَبِ

كذلك يتحدث عن حروب عامر مع نهد، وبني عبد المدان، وكلب، وكلها قبائل جنوبية:

هَلَا سَأَلْتُ بِنَا وَأَنْتَ حَفِيَّةُ بِالْقَاعِ يَوْمَ تَوَرَّعْتَ نَهْدُ^(١)
وَالْحَيِّ مِنْ كَلْبٍ وَجَرَمٍ كُلُّهَا بِالْقَاعِ يَوْمَ يَحُثُّهَا الْجَلْدُ

وقال عن حروب قومه ضد أزد شنوءة، وخثعم:

بَقَرْنَا الْحَبَالِي مِنْ شَنْوَةِ بَعْدَمَا خَبَطْنَ بِفَيْفِ الرِّيحِ نَهْدًا وَخَثَعَمَا^(٢)
مُجَنَّبَةً قَدْ لَاحَهَا الْغَزْوُ بَعْدَمَا تُبَارِي مَرَاخِيهَا الْوَشِيحَ الْمُقَوَّمَا
وَنَحْنُ صَبَحْنَا حَيَّ نَجْرَانَ غَارَةً تُبِيلُ حَبَالَاهَا مَخَافَتَنَا دَمَا

هكذا ورد في الديوان (بقرنا) ولعلها بقرن مثل خبطن، حيث إن الحديث عن الخيل. وذكر عامر بن الطفيل أبيدة، وهي أرض جنوبية قريبة من الباحة، وعكاظ في الطائف فقال:

وَبِالنَّقْعِ مِنْ وَادِي أَبِيدَةَ جَاهَرَتْ أَنْيْسًا وَقَدْ أُرْدَيْنَ سَادَةً خُثَعَمَا^(٣)
وَيَوْمَ عُكَازٍ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَهُ شَهِدْنَا فَأَقْدَمْنَا بِهَا الْحَيِّ مُقَدَمَا

قال ياقوت: "أبيدة: بفتح أوله وكسر ثانيه وياء ساكنة ودال مهملة: منزل من منازل أزد السراة. وقال ابن موسى: أبيدة من ديار اليمانيين بين تهامة واليمن"^(٤). وقال البكري: «أبيدة بفتح أوله، وبالดาล المهملة: منزل بنى سلامان من الأزد بالسراة»^(٥). وذكر الهمداني أبيدة في صفة جزيرة العرب فقال: «ثم بلد عدوان وفهم ونبت بن عكل

(١) مرجع سابق، ص ٤١.

(٢) الأنباري، ديوان عامر بن الطفيل، د ط، ص ١١٨.

(٣) مرجع سابق، ص ١٢٩.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ١/ ٨٥.

(٥) البكري؛ معجم ما استعجم، ط ٢، ١/ ١٠٢.

في صدور أبيدة وبحذاء بلد الحجر أعلى ترج وجوانب بيشة التي تلي السراة»^(١). وأشار صاحب كتاب القطوف العذاب أنّ أبيدة هي ما يسمى اليوم تربة، وهي بلدة بين بيشة والطائف: «ومن كراء إلى تربة وهي أبيدة خمسة عشر ميلاً»^(٢).

١٨ — عبد الله بن سلمة الغامدي:

قال عنه الزركلي: «عبد الله بن سلمة (أو سليمة) القحطاني الأزدي الغامدي: شاعر لعله مخضرم بين الجاهلية والإسلام روى له المفضل قصيدتين ليس فيها ما يدل على عصره. ولم يذكره صاحب الإصابة، وفي اسم أبيه اختلاف «سلمة أو سليمة أو سليم» كما هو بخط التبريزي. وقد وضع علامة «صح» على سليمة»^(٣). وأورد المفضل الضبي لعبد الله بن سلمة قوله:

أَلَا صَرَمْتُ حَبَائِلَنَا جُنُوبُ فَفَرَعْنَا وَمَالَ بَهَا قَضِيبُ^(٤)
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ بِنْتِ أَبِي وَفَاءٍ غَدَاةَ بَرَاقٍ تَجَرَّ وَلَا أَحُوبُ

وثجر تقع في جنوب الجزيرة، إلى الشرق من مدينة خميس مشيط.

وأورد له من قصيدة أخرى قوله:

مَنْ الدِّيارُ بِتَوَلُّعٍ فَيَبُوسُ فَبَيَاضُ رَيْطَةٍ غَيْرِ ذَاتِ أَنْيسِ^(٥)
أَمَسَتْ بِمُسْتَنِّ الرِّيحِ مُفِيلَةً كَالْوَشْمِ رُجَّعٍ فِي الْيَدِ الْمَنَكُوسِ
وَكَاثِمًا جَرُّ الرَّوَامِسِ ذَيْلَهَا فِي صَحْنِهَا الْمَغْفُو ذَيْلُ عَرُوسِ

قال البكري: «تولع: بفتح أوله، وإسكان ثانيه، وبالعين مهملة: موضع في ديار أزد شنوءة»^(٦).

١٩ — عبد يغوث الحارثي:

عبد يغوث بن وقاص من بني الحارث بن كعب فارس سيد شاعر، قاد قومه في يوم

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ط ١، ص ١٢٢.

(٢) السبيعي، القطوف العذاب، تحقيقات تاريخية وجغرافية، ط ١، ٢/٣٣٦.

(٣) الزركلي، الأعلام، ط ١٥، ٤/٩٠.

(٤) الضبي، المفضليات، ط ٦، ص ١٠٢.

(٥) مرجع سابق، ص ١٠٥.

(٦) البكري؛ معجم ما استعجم، ط ٢، ١/٢٢٨.

الكلاب الثاني فأسر، وقُتل، وقال عند مقتله قصيدته التي سارت بها الركبان ومنها:

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللَّوْمَ مَا بَيَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفَعُهَا
فِيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرْضَتْ فَبَلَّغْنِ
أَبَا كَرْبٍ وَالْأَيُّهَمَيْنِ كَلِيهَمَا
جَزَى اللَّهُ قَوْمِي بِالْكَلابِ مَلَامَةً
وَلَوْ شِئْتُ نَجْتَنِي مِنَ الْخَيْلِ نَهْدَةً
وَلَكِنِّي أَحْمِي دِيَارَ بَنِيهِمْ
أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي وَأَوْثَقُوا
أَمْعَشَرَ تَيْمٍ قَدْ مَلَكْتُمْ فَأَسْجَحُوا
وَتَضَحْكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ
وَقَدْ عَلِمْتُ عَرَسِي مَلِيكَةً أَنَّنِي

وَمَا لَكُمْ فِي اللَّوْمِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا^(١)
قَلِيلٌ وَمَا لَوْمِي أَخِي مِنْ شَمَالِيَا
نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانٍ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
وَقَيْسًا بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ الْيَمَانِيَا
صَرِيحَهُمُ وَالْآخِرِينَ الْمَوَالِيَا
تَرَى خَلْفَهَا الْجَرْدَ الْجِيَادَ تَوَالِيَا
وَكَانَ الرَّمْحُ يُخْتَطِفُ الْمَحَامِيَا
أَمْعَشَرَ تَيْمٍ أَطْلَقُوا مِنْ لِسَانِيَا
فَإِنْ إِسَارِي لَمْ يَكُنْ عَنْ تَوَانِيَا
كَأَنَّ لَمْ تَرِي قَبْلِي أُسِيرًا يَمَانِيَا
أَنَا الْيَتِيمُ مَعْدِيَا عَلَيَّ وَعَادِيَا

٢٠ - عبيد بن عبد العزى السلامانى :

لم يقف الباحث على ترجمة كافية له، ولكن ابن ميمون صاحب كتاب منتهى الطلب في أشعار العرب أورد له قصيدة عينية طويلة وقال عنه: «وقال عبيد بن عبد العزى السلامانى، أحد بني سلامان بن مفرج، وهو ابن عم الشنفرى:

لَا هَلْ فَوَادِي إِذْ صَبَا الْيَوْمَ نَازِعٌ
وَهَلْ مِثْلُ أَيَّامٍ تَسْلُفُنَ بِالْحَمَى
كَأَنَّ لَمْ تَجَاوِرْنَا رَمِيمٌ وَلَمْ نَقَمْ
لِعَمْرِي لَقَدْ هَاجَتْ لَكَ الشُّوقُ عَرَصَةٌ
بِأَهْلِي خَلِيلٌ إِنْ تَحَمَّلْتُ نَحْوَهُ
وَكَيْفَ التَّعَزَّى عَنْ رَمِيمٍ وَحَبَّهَا
طَوَيْتُ عَلَيْهِ فَهُوَ فِي الْقَلْبِ شَامَةٌ

وَهَلْ عِشْنَا الْمَاضِيَ الَّذِي زَالَ رَائِعٌ^(٢)
عَوَائِدُ أَوْ عِيشُ السَّاتَرِينَ رَاجِعٌ
بَفَيْضِ الْحَمَى إِذْ أَنْتَ بِالْعِيشِ قَانِعٌ
بِمَرَانٍ تَعْفُوهَا الرِّيَّاحُ الزَّعَازِعُ
عَصَانِي وَإِنْ هَاجَرْتَهُ فَهُوَ جَارِعُ
عَلَى النَّأْيِ وَالْهَجْرَانِ فِي الْقَلْبِ نَاقِعُ
شَرِيكَ الْمَنَايَا ضَمِنَتْهُ الْأَضَالِعُ

(١) الضبي، المفضليات، ط٦، ص ١٥٥.

(٢) ابن ميمون، منتهى الطلب من أشعار العرب، ط١، ٨/٢٧٤.

وَإِنِّي لَصَرَامٌ وَلَمْ يَخْلُقِ الْهُوَى
وَإِنِّي لِأَسْتَبْقِي إِذَا الْعَسْرُ مَسَّنِي
وَحَسْبَكَ مَنْ جَهْلٍ وَسَوْءٍ صَنِيعَةٌ
لِعَمْرِي لَنَعَمَ الْحَيُّ إِنْ كُنْتَ مَادِحاً
كِرَامٌ مَسَاعِيهِمْ جَسَامٌ سَمَاعِهِمْ
لَنَا الْغَرْفُ الْعَلِيَا مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُلَى

وقال عبيد أيضاً:

أَرْسَمَ دِيَارَ الْبَسْتَارِينَ تَعْرِفُ
مَبْكِرَةً لِلدَّارِ أَيْمًا ثَمَامُهَا
فَلَمْ تَدْعِ الْأَرْوَاحَ وَالْمَاءُ وَالْبَلَى
رِسُوماً كَأَيَاتِ الْكِتَابِ مَبِينَةً بِهَا
كَأَنَّكَ لَمْ تَعْهَدْ بِهَا الْحَيَّ جِيرَةً
إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالْبِلَادُ بَغْرَةٌ
وَمَكْنُونَةٌ سُودُ الْمَجَاثِمِ لَمْ يَزَلْ
وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ هِيَ الْمُنَى
صَحَابَةُ فَتْيَانٍ عَلَى نَاعِجِيَّةٍ
وَكَأْسُ بَأْيَدِي السَّاقِيَيْنِ رَوِيَّةٌ
وَرَبَّةٌ خَدْرٍ يَنْفُخُ الْمَسْكَ جَيْبُهَا

وقال أيضاً :

أَتَعْرِفُ رَسَماً كَالرِّدَاءِ الْمَحْبَرِّ
جَرَتْ فِيهِ بَعْدَ الْحَيِّ نَكْبَاءُ زَعَزَعُ
وَمَرْتَجَزُ جَوْنٍ كَأَنَّ رَبَابَهُ
يَحْطُ الْوَعُولُ الْعَصَمَ مِنْ كُلِّ شَاهِقٍ
فَلَمْ يَتْرُكْهَا إِلَّا رَسُوماً كَأَنَّهَا

جَمِيلٌ فِرَاقِي حِينَ تَبْدُو الشَّرَائِعُ
بِشَاشَةٍ نَفْسِي حِينَ تُبْلَى الْمَنَافِعُ
مَعَادَاةُ ذِي الْقُرْبَى وَإِنْ قِيلَ قَاطِعُ
هُمْ الْأَزْدُ إِنَّ الْقَوْلَ بِالصَّدَقِ شَائِعُ
إِذَا أَلْغَتِ النَّاسُ الْأُمُورَ الشَّرَائِعُ
ظَفَرْنَا بِهَا وَالنَّاسُ بَعْدُ تَوَابِعُ

عَفَّتْهَا شِمَالُ ذَاتِ نِيرِينَ حُرْجَفُ^(١)
فَيَنْقَى وَأَيْمًا عَنْ حَصَاها فَتَقْرَفُ
مَنْ الدَّارِ إِلَّا مَا يَشُوقُ وَيَشْعَفُ
لِلْحَزِينِ الصَّبِّ مَبْكَى وَمَوْقِفُ
جَمِيعِ الْهُوَى فِي عَيْشِهِ مَا تَصْرِفُ
وَأَنْتَ بِهَا صَبُّ الْقَرِينَةِ مُؤَلَّفُ
يَهْوُئُهَا لِلْعَيْكَتَيْنِ التَّلْهُفُ
فَمَنْ نَالَهَا مِنْ بَعْدٍ لَا يَتَخَوَّفُ
مَنَاسِمُهَا بِالْأَمْعَزِ الْمَحَلِّ تَرَعَفُ
يَمْدَانِ رَاوُوقِيَهُمَا حِينَ تَنْزِفُ
تَضْوَعُ رِيَاهَا بِهِ حِينَ تَصْدَفُ

بِرَامَةٍ بَيْنَ الْهَضْبِ وَالْمَتَغَمَّرِ^(٢)
بَهْبُوءَةٌ جِيلَانِ مِنَ الثَّرْبِ أَكْدَرُ
إِذَا الرِّيحُ زَجَّتْهُ هَضَابُ الْمَشْقَرِ
وَيَقْدِفُ بِالثَّيْرَانِ فِي الْمَتَحِيرِ
أَسَاطِيرُ وَحِيٍّ فِي قِرَاطَيْسٍ مَقْتَرِي

(١) ابن ميمون، منتهى الطلب من أشعار العرب، ط ١، ٨/ ٢٨١.

(٢) مرجع سابق، ٨/ ٢٨٦.

منازل قوم دمنوا تلعاته وسنوا السوام في الأنيق المنور
قضوا ما قضوا من رحلة ثم وجهوا يمامة طود ذي حماط وعرعر
والقصيدة في منتهى الطلب في حوالي (٥٠) بيتا.

وفي قصة محمد بن الأزهر التي يذكرها في التهذيب وصف لموضع الستارين المذكور في بيت عبيد، حيث يذكر أن الستارين يكون باردًا في الصيف، ولا برد في الصيف إلا من الطائف إلى أبها فيقول: «امتحن بالأسر سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبير، كان القوم الذين وقعت سهمهم عربا نشأوا في البادية، يتبعون مساقط الغيث أيام النجع، ويرجعون إلى إعداد المياه في محاضرهم زمان القيظ، ويرعون النعم، ويعيشون بألبانها، ويتكلمون بطباعهم البدوية، ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش، فبقيت في أسرهم دهرًا طويلًا، وكنا نشتي بالدهناء ونرتبع بالصمان ونقيظ بالستارين، واستفدت من محاورتهم ومخاطبة بعضهم بعضًا ألفاظًا جمّة ونوادر كثيرة»^(١). وفي الأبيات ذكر موضعًا باسمه وهو (رامة) وقد استدلل البكري بذكر الشعراء لرامة مقرونا بعارمة أن رامة في ديار بني عامر، قال البكري عند الحديث عن عارمة: «عارمة: بالميم على وزن فاعلة: موضع في ديار بني عامر قال عامر بن الطفيل:

عرفت بجو عارمة المقاما تسلمى أو عرفت لها علاما

هكذا رواه ابن دريد عن أحمد بن يحيى. .. وقال الراعي: ألم تسأل بعارمة الديارا ... عن الحى المفارق أين سارا؟ بجانب رامة فوقفت فيها ... أسائل ربعهن فما أحارا، فذلك أن رامة في ديار بني عامر^(٢).

٢١- عمرو بن براقعة:

قال عنه ابن حجر: «عمرو بن الحارث بن عمرو بن منبه النهمي بكسر النون من همدان، ويعرف بعمرو بن براقعة، وهي أمه شاعر همدان قبيل الإسلام. له أخبار في الجاهلية. عاش إلى خلافة عمر بن الخطاب، ووفد عليه» ونقل عن الكلبي قوله: أذن عمر للناس فدخل عمرو بن براقعة وكان شيخا كبيرا يعرج^(٣). وتخبرنا أبيات ابن براقعة أنه أحد صعاليك العرب في الجاهلية، فهو يقول:

(١) الأزهرى، تهذيب اللغة، ط ١، ٨/١.

(٢) البكري: معجم ما استعجم، ط ٢، ٩١٢/٣.

(٣) العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ط ١، ١١٠/٥.

تقول سليمة لا تعرض لتلفة
وكيف ينام الليل من جل همّه
غموض إذا عض الكريهة لم يدع
ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم
إذا الليل أدجى واكفهر ظلامه
ومال بأصحاب الكرى غالباته
تحالف أقوام علي ليسلموا
أفاليوم أدعى للهوادة بعدما
متى تجمع القلب الذكي وصارماً
متى تطلب المال الممنع بالقنا
وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم
ونصر مولانا ونعلم أنه

وليلك عن ليل الصعاليك نائم^(١)
حسام كلون الملح أبيض صارم
لها طمعاً اليممين ملازم
قليل إذا نام الخلي المسالم
وصاح من الأفراط يوم جوائم
فإني على أمر الغواية حازم
وجروا علي الحرب إذ أنا سالم
أجيل على الحي المذاكي الصلادم
وأناً حمياً تجتنبك المظالم
تعش ماجداً أو تخترمك المخارم
فهل أنا في ذا يالهمدان ظالم
كما الناس مجروم عليه وجارم

وعمر بن برقة قليل الذكر للمواضع في أبياته، وإنما أثبتته الدراسة في شعراء الجنوب لكونه من نهد الجنوبية، ولكون المعارك التي ذكرها في شعره تنحصر في قبائل الجنوب كقوله:

ألا إن حرباً بين أفناء مذحج وبين أمين حيث حلت كرامها^(٢).

وأمين المذكورة عشيرة الشاعر من نهم الهمدانية.

٢٢- عمرو بن معدي كرب :

عمرو بن معدي كرب بن عبد الله بن عمرو، من سعد العشيرة، من مذحج، فارس من فرسان العرب المعدودين، أدرك الإسلام وأسلم. عاش عمرو مع قومه في جنوب الجزيرة حيث «استقرت زبيد... في رقعة واسعة من الأرض، من نجران إلى وادي الدواسر شمالاً، وقد بين الأستاذ حمد الجاسر أن عمراً وقومه بني زبيد يسكنون ما يعرف الآن بسراة عبيدة، وما سال منها من أودية مشرقة كوادي تثليث»^(٣). وشارك

(١) علاونة، عمرو بن برقة الهمداني، سيرته وشعره، ط١، ص ١٠٩.

(٢) علاونة، عمرو بن برقة الهمداني سيرته وشعره، ط١، ص ١٢٢.

(٣) الطراييشي، شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ط٢، ص ٩.

عمرو في حروب قومه في الجاهلية ومنها، يوم فيف الريح، ويوم تثليث، ويوم الغمير، ويوم لحج، ويوم الذنائب، ويوم ذي المروّت، ويوم رنية وغيرها. يقول في يوم رنية:

فَلَمَّا هَبَطْنَا بَطْنَ رَنِيَّةَ بِالقَنَا أَرَنَّ سَحَابٌ رَعْدَهُ مُتَجَاوِبٌ^(١)
فَكَلْنَا لَهُم بِالصَّاعِ صَاعِينَ عُنُوءَ فَأَلَوْا بِرَبِّ الْبَيْتِ أَنْ لَا يُحَارِبُوا

ورنية بلدة قديمة ما زالت تعرف باسمها إلى اليوم، وتقع شمال بيشة. وذكر تبالة فقال:

أَرَقْتُ وَأَمْسَيْتُ لَا أَرْقُدُ وَسَاوَرَنِي الْمَوْجِعُ الْأَسْوَدُ^(٢)
أَغْزَوْرِجَالُ بَنِي مَازَنٍ بِبَطْنِ تَبَالَةَ أَمْ أَرْقُدُ

وتبالة بلدة قديمة - كذلك - ما زالت تعرف باسمها إلى اليوم، وتقع غرب بيشة. وذكر برام، وحبون، وحبون الآن من المحافظات التابعة لنجران، وذكر الخليف وغيرها:

لَقَدْ أَحْمَيْتُ ذَاتَ الرُّوْضِ حَتَّى تَرَبَّعَهَا أَذَاهِي النُّعَامِ^(٣)
يُسَيِّرُ بَيْنَ خَطْمِ اللُّؤْذِ عَمْرُو فَلَوْذَ الْقَارَتَيْنِ إِلَى بَرَامِ
فَصَفَحَ حَبُونٌ فَخَلِيفٌ دُكْمِ فَخَلَّ إِلَى رَنِينَ إِلَى بَشَامِ

٢٣- القتال الكلابي:

عبيد بن مجيب بن المضرحي، قال عنه الزركلي "من بني كلاب بن ربيعة: شاعر فتاك، بدوي، من الفرسان، يكنى أبا المسيّب أدرك أواخر الجاهلية، وعاش في الإسلام إلى أيام عبد الملك بن مروان.^(٤)

والصحيح أنّ القتال من بني قشير، وإنّما قيل له الكلابي نسبة إلى أخواله، يقول القتال في نسبه:

وَأَنَا ابْنُ الْأَكْرَمَيْنِ بَنِي قُشَيْرٍ وَأَعْمَامِي الْكَرَامُ بَنُو كِلَابِ^(٥)
نُعَرِّضُ لِلطَّعَانِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهَهَا لَا تُعَرِّضُ لِلْسَّبَابِ

(١) مرجع سابق، ص ٦٠.

(٢) مرجع سابق، ص ٨٤.

(٣) مرجع سابق، ص ١٦٢.

(٤) الزركلي، الأعلام، ط ١٥، ١٩٠/٤.

(٥) المبرّد، الكامل في اللغة والأدب، ط ٢، ٩٨/١.

وذكر أبو زيد الأنصاري في نوادر اللغة أنَّ القتال جاهلي، وأورد له قوله:

وَمَا مُغْزِلُ تَرَعَى بِأَرْضِ تَبَالَةٍ أَرَاكَ وَسَدْرًا نَاعِمًا مَا يِنَالُهَا^(١)
وَتَرَعَى بِهَا الْبَرْدَيْنِ ثُمَّ مَقِيلُهَا غَيَاطُلٌ مُلْتَجٌّ عَلَيْهَا ظِلَالُهَا
تَتَّبَعُ أَفْئَانَ الْأَرَاكِ مَقِيلُهَا بِذِي الْعُشِّ يُعْرِي جَانِبِيهِ اخْتِصَالُهَا
بِأَحْسَنَ مِنْ لَيْلَى وَلَيْلَى بِشَبِّهَا إِذَا هَتَكَتْ فِي يَوْمِ عِيدِ حِجَالِهَا

وأورد له الحموي شعراً يذكر فيه حوضي، وحوضي في رنية شمالي بيشة ومنه:

سَرَى بَدِيَارٍ تَغْلِبُ بَيْنَ حَوْضَى وَبَيْنَ أَبَارِقِ الثَّمْدَيْنِ سَارِ^(٢)
سَمَاكِ تَلَالًا فِي ذَرَاهُ هَزِيمِ الرَّعْدِ رِيَانُ الْقَرَارِ

وأورد له أيضاً قوله:

وَمَا أَنْسَمَ الْأَشْيَاءُ لَا أَنْسَ نِسْوَةً طَوَالِعَ مِنْ حَوْضَى، وَقَدْ جَنَحَ الْعَصَرُ^(٣)
وَلَا مَوْقُضِي بِالْعَرَجِ، حَتَّى أَجْنَهَا عَلِيٍّ مِنَ الْعَرَجِينَ أَسْتَرَةً حُمْرُ
طَوَالِعَ مِنْ حَوْضَى الرَّدَاةِ كَأَنَّهَا نَوَاعِمُ مِنْ مُرَّانٍ، أَوْقَرَهَا النَّسْرُ

٢٤- قس بن ساعدة:

قال البغدادي في خزانة الأدب: «وفي نسبه خلاف، فقليل قس بن ساعدة بن حذافة ابن زفر ... وقيل هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك؛ ابن أفصى بن دعمي ابن إيراد. وقيل: هو ابن ساعدة بن عمرو بن شمر بن عدي بن مالك والله أعلم»^(٤).

عاش مع قومه في نجران، جنوب الجزيرة العربية، قال أحمد الربيعة: (فإن إيراداً بعد خروجها من تهامة نزلت وادي بيشة. وهو من أعظم أودية الجزيرة العربية وأخصبها؛ ولكن ما لبثت إيراد أن أصابها الجذب فوَقعت الحروب بينها وبين مضر وربيعة اللتين تحالفتا عليها، فجلت إلى العراق والبحرين)^(٥).

(١) الأنصاري، النوادر في اللغة، ط ١، ص ١٨٩.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ٦٠/١.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ٣٢١/٢.

(٤) البغدادي، خزانة الأدب، ط ٤، ٩١/٢.

(٥) الربيعة، قس بن ساعدة الإيادي، حياته، خطبه، شعره، د ط، ص ١٧٤.

وقال الصعدي: «كانت قبيلة إياد نازلة في قديم أمرها بين إخوتها من قبائل معد، في تهامة والحجاز ونجد، وكانت تقيم هي وأنمار معا في أرض تهامة، بين حد أرض مضر إلى حد نجران»^(١).

يعدّ قسّ من خطباء العرب المشهورين، وأول من قال أما بعد، وينسبون إليه قوله: (البينة على من ادعى واليمين على من أنكر)، ومن أشهر خطبه خطبته التي قالها في عكاظ وختمها شعرا بقوله:

فِي الْذَاهِبِ بَيْنَ الْأَوَّلِيِّ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي وَلَا
أَيَقَنْتُ أَنِّي لَا مَحَا
وَمِنْ شَعْرِهِ:

يَا نَاعِي الْمَوْتِ وَالْأَمْوَاتِ فِي جَدَثٍ
دَعُهُمْ فَإِنْ لَهُمْ يَوْمًا يُصَاحُ بِهِمْ
مِنْهُمْ عُرَاةٌ وَمَوْتَى فِي ثِيَابِهِمْ
وهو القائل:

مَنَعَ الْبَقَاءَ تَقَلُّبُ الشَّمْسِ
وَطُلُوعُهَا بَيَظَاءَ صَافِيَةٍ
تَجْرِي عَلَى كِبْدِ السَّمَاءِ كَمَا
الْيَوْمَ تَعْلَمُ مَا يَجِيءُ بِهِ
وَطُلُوعُهَا مِنْ حَيْثُ لَا تُمْسِي^(٢)
غُرُوبُهَا صَفْرَاءَ كَالْوَرَسِ
يَجْرِي الْحَمَامُ الْمَوْتَ فِي النَّفْسِ
وَمَضَى بِفَضْلِ قَضَائِهِ أَمْسِ^(٣)

(١) الصعدي، قس بن ساعدة الإيادي، <https://ar.wikisource.org/wiki/>

(٢) الربيعي، قس بن ساعدة الإيادي، حياته، خطبه، شعره، د ط، ص ٢٧٣.

(٣) الربيعي، قس بن ساعدة الإيادي، حياته، خطبه، شعره، د ط، ص ٤١٨.

(٤) مرجع سابق، ص ٤٠٧.

٢٥- المرقش الأكبر:

قال لويس شيخو في اسم المرقش، ونسبه: «هو عوف وقيل عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة... بن بكر بن وائل، والمرقش لقبٌ غلب عليه لقوله:

الْدَارُ قَرْ وَالرَّسُومُ كَمَا رَقَشَ فِي ظَهْرِ الْأَدِيمِ قَلَمٌ»^(١)

وقال عنه الزركلي: ”عوف أو عمرو بن سعد بن مالك ابن ضبيعة من بني بكر بن وائل: شاعر جاهلي، من المتيمين الشجعان... وشعره من الطبقة الأولى، ضاع أكثره. ولد باليمن، ونشأ بالعراق.“^(٢).

قال الباحث: وفي قول الزركلي إنه ولد باليمن ما يثبت ما قالته الرسالة من أن بكرًا جنوبيون.

وفي كتاب شعراء النصرانية قبل الإسلام يقول لويس شيخو عن المرقش الأكبر: «ولما بلغ خطب إلى عمّه عوف بن مالك ابنةً له تدعى أسماء بنت عوف، عشقها وهو غلام، فقال عمّه: لا أزوجه حتى تعرف بالأس. وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن»^(٣). وهذا دليل آخر على ما أورده الباحث، يثبت أن بكرًا وتغلب جنوبيون. ومن جيد الشعر الجاهلي قصيدة المرقش التي منها:

نَا مَحْيُوكَ يَا سَلْمَى فَحِينَا	وَإِنْ سَقَيْتَ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا ^(٤)
وَإِنْ دَعَوْتَ إِلَى جَلَى وَمَكْرَمَةٍ	يَوْمًا سَرَاةَ كِرَامِ النَّاسِ فَادْعِينَا
إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لَا نَدْعِي لِأَبٍ	عَنْهُ وَلَا هُوَ بِالْأَبْنَاءِ يَشْرِينَا
إِنْ تُبْتَدِرْ غَايَةً يَوْمًا لِمَكْرَمَةٍ	تَلُقَ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمَصْلَيْنَا
وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا	إِلَّا أَفْتَلَيْنَا غُلَامًا سَيِّدًا فِينَا
نَكْفِيهِ إِنْ نَحْنُ مَتْنًا أَنْ يَسْبَ بِنَا	وَهُوَ إِذَا ذَكَرَ الْأَبَاءَ يَكْفِينَا
بَيْضُ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلَنَا	نَأْسُوبُ بِأَمْوَالِنَا أَثَارَ أَيْدِينَا
إِنَّا لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ	قِيلَ الْكُمَاةُ أَلَا أَيُّنَ الْحَامُونَا

(١) شيخو، شعراء النصرانية قبل الإسلام، ط٤، ص ٢٨٢.

(٢) الزركلي، الأعلام، ط١٥، ٩٥/٥.

(٣) شيخو، شعراء النصرانية قبل الإسلام، ط٤، ص ٢٨٣.

(٤) مرجع سابق، ص ٢٨٦.

لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مَنَا وَاحِدٌ فَدَعَا
مَنْ فَارِسٌ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا
ومن شعره الذي ذكر فيه الأماكن قوله:

لَمَنْ الظُّعْنُ بِالضُّحَى طَافِيَاتٍ شَبَّهَهَا الدَّوْمُ أَوْ خَلَايَا سَفِينٍ^(١)
جَاعَلَاتِ بَطْنِ الضَّبَاعِ شَمَالاً وَبَرَّاقَ النُّعَافِ ذَاتَ الْيَمِينِ
رَافِعَاتِ رَقْمًا تَهَالُ لَهُ الْعَيْنُ عَلَى كُلِّ بَازِلٍ مُسْتَكِينِ
عَامِدَاتِ لَحْلٍ سَمَسَمَ مَا يَنْظُرْنَ صَوْتًا لِحَاجَةِ الْمُحْزُونِ

قال البكري: « الضَّبَاع: على لفظ جمع ضبع: واد في بلاد بني ضبيعة بن قيس بن ثعلبة »^(٢). وذكر الهمداني أَنَّ سَمَسَمَ في نجد قريبة من الأفلاج، والأفلاج جنوبي الرياض: « قال طفيل - وبمبهم من نجد العليا:

أَشَاقَتِكَ أَظْعَانُ بِحَضْرِ يَبْمَبِمْ غَدُوا بَكَرًا مَلِ النَّخِيلِ الْمَكْمَمِ،
ثم ذكر سَمَسَمَ من أرض الفلج:

أَسَفَ عَلَى الْأَفْلَاجِ أَيْمَنُ صُوبِهِ وَأَيْسَرُهُ يَعْلُو مَخَارِمَ سَمَسَمِ^(٣)

وضبيعة بن قيس هم قبيلة المرقش، والحارث بن عباد، وطرفة بن العبد، وفي الرسالة أَنَّهُمْ جنوبيون.

ومن شعر المرقش الجيد قوله:

ذكر المرقش من المواضع الجنوبية مكاناً خاض فيه مع قومه إحدى معاركهم، والمعركة في جُمُرَان، وجمران جنوبي، قال ياقوت عنه: « وقال نصر جمران جبل أسود بين اليمامة وفيد من ديار تميم أو نمير بن عامر، وقال أبو زياد: جمران جبل مرّت به بنو حنيفة منهزمين يوم التشنش في وقعة كانت بينهم وبين بني عقيل، فقال شاعرهم: ولو سئلت عَنَّا حنيفة أخبرت... بما لقيت منا بجمران صيدها »^(٤). ففي قوله ما يدل على أَنَّ جمران بين ديار بني حنيفة (اليمامة) وديار العقيليين (وادي الدواسر).

(١) الضبي، الفضليات، ط٦، ص ٢٢٧.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ط٢، ٨٥٤/٣.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ط١، ص ١٧٤.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ط٢، ١٦٢/٢.

مَحْسُورَةٌ بَاتَتْ عَلَيَّ إِغْضَائُهَا^(١)
مَا بَيْنَ مُصْبَحِهَا إِلَى إِمْسَائِهَا
حَالَتْ قُرَى نَجْرَانَ دُونَ لِقَائِهَا
فِي دَارِ كَلْبٍ أَرْضِهَا وَسَمَائِهَا
خُودَ كَرِيمَةٍ حَيَّاهَا وَنَسَائِهَا
قَبْلَ الصُّبْحِ كَرِيمَةٍ بِسَبَائِهَا
فَلَنَحْنُ أَسْرَعُهَا إِلَى أَعْدَائِهَا

مَا قَلَّتْ هَيَّجَ عَيْنُهُ لُبُكَائِهَا
فَكَأَنَّ حَبَّةَ فُلْفُلٍ فِي عَيْنِهِ
سَفَهَا تَذْكُرُهُ خُوِيلَةٌ بَعْدَمَا
وَاحْتَلَّ أَهْلِي بِالكَثِيبِ وَأَهْلُهَا
يَا خَوْلُ مَا يُدْرِيكَ رُبْتُ حُرَّةَ
قَدِ بَتُّ مَالِكِهَا وَشَارِبَ رِيَّةَ
هَلَّا سَأَلْتُ بَنَى فَوَارِسَ وَائِلَ

وقال أيضاً :

كَرِيمٌ لَدَى مَزْحَفٍ أَوْ مَكْرٍ^(٢)
كَقَشْرِ الْقِتَادَةِ غَبَّ الْمَطَرُ
وَمِنْ رَجُلٍ وَجْهُهُ قَدْ عُفِرَ

فَيَا رَبِّ شَلُّوْا تَخْطُ رَفْنَهُ
وَأَخْرَشَاصَ تَرَى جِلْدَهُ
وَكَائِنَ بِجُمْرَانَ مِنْ مُزْعَفٍ

ويوجد غرب مدينة الدوادمي جبال تسمى جمران فلعلها هي.

٢٦— معقر البارقي:

معقر بن حمار البارقي، قال عنه ابن سعيد الأندلسي: « ذكره صاحب الأغاني، وأخبر أن اسمه سفيان، وأنه لقب بذلك لقوله: كما نهدت للزوج حسناء عاقر»^(٣). وذكر ابن ميمون في منتهى الطلب نسبة: معقر بن حمار بن الحارث بن حمار بن شجنة بن مازن بن ثعلبة بن كنانة ابن سعد^(٤). ومعقر البارقي هو صاحب البيت الشهير الذي أصبح مثلاً يضرب، وهو من قصيدة له جيدة يقول فيها:

مَعَ الصُّبْحِ قَدْ زَالَتْ بِهِنَ الْأَبَاعِرُ^(٥)
فَلَيْسَ عَلَيْهَا يَوْمَ ذَلِكَ قَادِرُ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رَدٍّ لَا يُسَافِرُ
كَمَا قَرَّ عَيْنَا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ

أَمِنْ آلِ شَعَثَاءَ الْحُمُولِ الْبَوَاكِرُ
وَحَلَّتْ سُلَيْمَى فِي هَضَابٍ وَأَيْكَةٍ
تُهَيِّبُكَ الْأَسْفَارُ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى
وَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النُّوَى

(١) الضبي، المفضليات، ط٦، ص٢٢٤.

(٢) الضبي، المفضليات، ط٦، ص٢٣٦.

(٣) الأندلسي، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ط١، ص٢١٧.

(٤) ابن ميمون، منتهى الطلب من أشعار العرب، ط١، ٨٠/٢٦٠.

(٥) الأندلسي، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ط١، ص٢١٧.

شهد يوم شعب جبله، وفيه قتل لقيط بن زرارة، فقال معقر:

أَحَادَتْ أُمُّ جَعْدَةَ يَوْمَ لَاقُوا وَثَارَ النَّقْعُ وَاخْتَلَفَ الْأُلُوفُ
تُقَدِّمُ حَبِيرًا بِأَفْلَ عَضْبٍ لَهُ ظَبْطَةٌ لَمَّا نَالَتْ قَطُوفُ
فَغَادَرَ خَلْفَهُ يَكْبُو لَقِيطًا لَهُ مِنْ حَادٍ وَكَفِهِ نَصِيفُ

٢٧- المفضل النكري :

عامر بن معشر بن أسحم من بني نكرة من عبد القيس، شاعر جاهلي من أصحاب المنصفات قال ابن سلام في سبب تلقيبه بالمفضل: «فضلته قصيدته التي يقال لها المنصفة وأولها: ألم تر أن جيرتنا استقلوا»^(١)، وقد نقل الزركلي نسب قبيلة عبد القيس فقال: (عبد القيس بن أفضى بن دهمي، من أسد ربيعة؛ كانت ديار بنيته بتهامة، ثم خرجوا إلى البحرين، واستقروا بها)^(٢). وذكر المفضل النكري وادي أثال وهو واد معروف إلى الآن في مدينة الباحة جنوبي الجزيرة:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جِيرَتَنَا اسْتَقَلُّوا فَنَيْتَنَا وَنَيْتَهُمْ فَرِيقُ^(٣)
فَدَمَعْنِي لَوْلُؤُ سَلْسُ عُرَاهُ يَخْرُ عَلَى الْمَهَاوِي مَا يَلِيقُ
فَإِنَّكَ لَوَرَأَيْتَ غَدَاةَ جُنُنَا بِبَطْنِ أَثَالٍ ضَاحِيَةً نَسُوقُ
هُمْ صَبْرُوا وَصَبْرُهُمْ تَلِيدٌ عَلَى الْعِزَاءِ إِذْ بَلَغَ الْمَضِيقُ
وَهُمْ دَفَعُوا الْمَنِيَّةَ فَاسْتَقَلَّتْ دِرَاكًا بَعْدَ مَا كَادَتْ تَحِيقُ

واستشهد الحموي ببيته الذي يقول فيه:

صَبَحْنَا عَامِرًا بِبِرَاقٍ سَلَمَى طَعَانًا مِثْلَ أَفْوَاهِ الْمَزَادِ^(٤)

ولم يحدد الحموي موضع براق سلمى هذا، ولكن البيت يشير إلى أن الغارة تمت في بلاد بني عامر، وقد سبق ذكر أن بني عامر كانوا في بيشة وما حولها.

(١) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، د ط، ص ٢٧٥.

(٢) الزركلي، الأعلام، ط ١٥، ٤/٤٩.

(٣) ابن ميمون، منتهى الطلب من أشعار العرب، ط ١، ٨/٢٦٠.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ١/٣٥٦.

٢٨ — المهلهل بن ربيعة :

عدي بن ربيعة التغلبي أخو كليب، وخال امرئ القيس الشاعر الملك، كان المهلهل جميل الشعر، شديد البأس في الحرب، شهد يوم السلان مع أخيه كليب، وكان صاحب لهو، فلما قتل كليب قصر شعره، وثوبه، وهجر النساء وترك الغزل، وحرّم الشراب، وأعلن الحرب. ومن شعره قوله حين قتل كليب:

كُنَّا نَغَارُ عَلَى الْعَوَاتِقِ أَنْ تُرَى	بِالْأَمْسِ خَارِجَةً عَنِ الْأَوْطَانِ ^(١)
فَخَرَجْنَا حَيْثُ ثَوَى كُلِّبٌ حُسْرًا	مُسْتَيْقِنَاتٍ بَعْدَهُ بِهَوَانٍ
فَتَرَى الْكَوَاعِبَ كَالظُّبَاءِ عَوَاطِلًا	إِذْ حَانَ مَضْرَعُهُ مِنَ الْأَكْفَانِ
يَخْمِشْنَ مِنْ أَدَمِ الْوُجُوهِ حَوَاسِرًا	مِنْ بَعْدِهِ وَيَعِدْنَ بِالْأَزْمَانِ

والمهلهل — كغيره من الشعراء — يذكر الأماكن التي عاش فيها، أو شهدت أحداثاً تؤثر في حياته، ومن المواضع الجنوبية التي يذكرها المهلهل ذو حسم، والذئائب فيقول:

أَلَيْلَتْنَا بِذِي حُسْمٍ أَنْيَرِي	إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي ^(٢) .
فَإِنْ يَكُ بِالذَّئَابِ طَالٌ لَيْلِي	فَقَدْ أَبْكَى مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ
فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ بِوَارِدَاتِ	بُجَيْرًا فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ
هَتَكْتُ بِهِ بُيُوتَ بَنِي عُبَادٍ	وَبَعْضُ الْغَشْمِ أَشْفَى لِلصُّدُورِ

وحدد ياقوت الحموي موضع قبر كليب في جنوب الجزيرة، واستشهد على المكان بالأبيات السابقة، يقول ياقوت: «وسوق الذئائب: قرية دون زبيد من أرض اليمن وبه قبر كليب وأئل»^(٣).

جاء تقرير تاريخي كتبه الدكتور جمعان الغامدي في صحيفة عكاظ السعودية أنّ وادي الخيطان هو موقع ديار بكر وتغلب، وأنّ المكان هو الذي دارت فيه حرب البسوس، ووادي الخيطان يقع في جنوب الجزيرة، في محافظة المخوة، حيث يورد التقرير تأكيد الدكتور جمعان الغامدي المدرس في جامعة الباحة الذي يقول: "إن جميع الدلائل العلمية تؤكد أن بداية الحرب التي وقعت بين قبيلتي بكر وتغلب انطلقت من هذا الوادي" ومن

(١) حرب، شرح ديوان مهلهل بن ربيعة، د ط، ص ٨٣.

(٢) مرجع سابق، ص ٢٨.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ٨/٣.

تلك الدلائل: «وجود قبر يسمى قبر كليب عند نهاية تلفريك القمع، وحدة تسمى حدة كليب، وواد خصب يدعى وادي البسوس، وهذا تواتر شفهي يتناقله الأهالي كابراً عن كابر» ويكمل التقرير: «وتذكر المصادر التاريخية أن من أوائل معارك المهلهل معركة بماء يقال له النهي. وهناك وادي يجزع حوالة في السراة يسمى النهين تنحية نهى، وقد ورد ذكره في قصيدة ابن جياش الحجري فهو من المسميات القديمة» ويستدل الدكتور الغامدي برحيل المهلهل إلى قبيلة جنب من مذحج، فيقول: «ولكن اكتشاف هذا الموضوع في الجزيرة العربية قد يفسر السبب الحقيقي لعودة المهلهل من أواسط نجد إلى وادي الخيطان بتهامة ويتمثل في إثارة العودة إلى قبر أخيه لقضاء ما تبقى من عمره بجواره»^(١).

على أن أيام حرب البسوس لا يمكن أن تكون قد وقعت في موضع واحد، ولكنها تنتقل بانتقال القبيلتين، وإن كان ذلك الانتقال لا يخرج عن حدود إقليم واحد، أو إقليمين متجاورين. ولعل من الأدلة على جنوبية بكر وتغلب أن إختهم عنز بن وائل جنوبيون باتفاق، وأن قبيلة عنز لم تفارق الجنوب منذ العصر الجاهلي إلى اليوم. ومن أن مهلهلا عاش في جنوب الجزيرة، أن زهير بن جناب أسر المهلهل في معركة السلان، وزهير بن جناب فارس بني كلب وقائدها، وكلب قبيلة جنوبية، وهي إحدى قبائل خثعم، وخثعم قال شفيق البيطار صاحب كتاب ديوان زهير بن جناب الكلبي: «وكان بنو كلب يقيمون في قديم عهدهم مع سائر قبائل قضاة في تهامة، أيام كان أولاد معد جميعاً مقيمين فيها كأنهم قبيلة واحدة في اجتماع كلمتهم وائتلافهم»^(٢). لعل فلجة التي وردت في قول المبرد: «ومقتل كليب بالذنائب عن يسار فلجة مصعداً إلى مكة، وذلك قول المهلهل:

ولو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب أي زير»^(٣).

وبلدة تسمى اليوم (فاجة) تقع في مركز نمرة، الذي يقع في منتصف المسافة بين مكة المكرمة ومدينة محابيل التي تتبع لمنطقة عسير. وقال الحموي: «وسوق الذنائب: قرية دون زبيد من أرض اليمن، وبه قبر كليب وائل»^(٤).

(١) صحيفة عكاظ، حرب البسوس وقبر كليب، عدد ٢٢ سبتمبر ٢٠١٨.

(٢) البيطار، ديوان زهير بن جناب الكلبي، ط ١، ص ١٠.

(٣) المبرد، التغاوي والمراثي، ط ١، ص ٢٨٩.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ٨/٣.

وهذا واضح في النص على أن قبر كليب باليمن، وهو جنوب الجزيرة كما أوضحت الدراسة.

وهناك قرية تسمى زبيد قريبة من المظيلف التي تقع إلى الجنوب من مكة المكرمة، وتبعد عن وادي الخيطان بنحو (٥٠) كيلومتراً، وأهلها يطلق على واحد منهم الزبيدي. فإذا أضاف الباحث إلى ذلك ما ورد من ذكر لمواقع جنوبية كتهامة في قول المهلهل:

غَنَيْتْ دَارُنَا تِهَامَةً فِي الدَّهْرِ وَفِيهَا بَنُو مَعَدٍ حُلُولاً^(١).
وقال مهلهل:

وَلَمَّا رَأَى الْعَمَقَ قُدَامَهُ وَلَمَّا رَأَى عَمَرَ وَالْمُنِيفَا^(٢).
أَسَالَ مِنَ اللَّيْلِ أَشْجَانَهُ كَأَنَّ ظَاهِرَهُ كُنْ جَوْفَا

قال صاحب كتاب القطوف العذاب: «العمق بفتح العين وسكون الميم بعدها قاف وهو سهل واسع يقع جنوب شرق تثليث»^(٣). والعمق موضع ما زال معروفا باسمه إلى اليوم شرقي الأمواه، والأمواه شرقي خميس مشيط.

وقد ورد ذكر العمق في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، وهذا يدل على كونه جنوبياً، يقول عمرو بن معدي كرب:

مَنْ طَلَّ بِالْعَمَقِ أَصْبَحَ دَارِسَاً تَبَدَّلَ آرَامَاً وَعَيْنَا كَوَانَسَا^(٤)
بِمَعْتَرِكِ ضَنْكَ الْحُبِّيَّا تَرَى بِهِ مِنْ الْقَوْمِ مَحْدُوسَاً وَآخِرَ حَادِسَاً
وقال المهلهل يذكر وادي الأحص:

وَادِي الْأَحْصِ لَقَدْ سَقَاكَ مِنَ الْعَدَى فَيُضُّ الدَّمْعُ بِأَهْلِهِ الدَّعْسُ^(٥)

وإذا بحثنا في الأقوال التي قرنت وادي الأحص بغيره من المواضع، من أجل الاستدلال على مكانه، وجدنا ياقوت يذكر قصة مقتل كليب فقال: «ثم مروا على الأحص، فأراد

(١) حرب، شرح ديوان مهلهل بن ربيعة، د ط، ص ٦٥.

(٢) مرجع سابق، ص ٥٠.

(٣) السبيعي، القطوف العذاب، تحقيقات تاريخية وجغرافية، ط ١، ٢٠٢/٢.

(٤) الطرايشي، شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ط ٢، ص ١٢٥.

(٥) حرب، شرح ديوان مهلهل بن ربيعة، د ط، ص ٤٢.

جساس وقومه النزول عليه، فامتنع كليب قصداً للمخالفة. ثم مرّوا ببطن الجريب، فجرى أمره على ذلك، حتى نزلوا الذنائب، وقد كلّوا وأعيوا وعطشوا^(١). تجلية لغموض مكان وادي الأحصّ هذا، فقد ذكر ياقوت الأحصّ مقترناً ببطن الجريب، وهذا يعني أنهما متقاربان، وقد ورد بطن الجريب مقترناً براكس في أبيات شعرية مختلفة، وهذا يعني أنهما متقاربان، وراكس جنوبي، قال ياقوت: «وقال ثعلبة بن غيلان يذكر خروج إياد من تهامة ونفي العرب إياها:

تَحَنَّنْ إِلَى أَرْضِ الْمُغَمَّسِ نَاقَتِي وَمِنْ دُونِهَا ظَهَرَ الْجَرِيبُ وَرَاكُسُ^(٢)
فِيَا حَبِّذَا أَعْلَامَ بَيْشَةَ وَاللَّوَى وَيَا حَبِّذَا أَجْشَامُهَا وَالْجَوَارِسُ

وذكر الهمداني أن راكس إحدى قرى جرش في قوله: «والذي يصالي جنب من ديار عنز الرّفيد والغوص وأدای وعنقة والّرّاكس ... والّرّاكس يسكنه بنو غنم من عنز والعين يسكنه بنو العراص من عنز، وتمنية يسكنها بنو مالك من عنز والمسقي لشيبة من عنز»^(٣). وهذا يؤكّد أنّ وادي الأحصّ جنوبي. وذكر المهلهل معركة جمعتهم وبني بكر في سويقة فقال:

غداة كأننا وبني أبينا بجنب سويقة رحيا مدير^(٤)

وأورد محقق الديوان البيت (بجنب عنيزة) و(بجنب سويقة) ولكنّ ياقوت الحموي أوردته على أنّ الرواية (بجنب سويقة) وقال ياقوت: «وقال أبو زياد في موضع من كتابه: ومما يسمّى من الجبال في بلاد بني جعفر سويقة وهي هضبة طويلة مصعلكة، والمصعلكة: الدقيقة، قال: ولا يعرف بنجد جبل أطول منها في السماء، وقد كانت بكر ابن وائل وتغلب اقتتلوا عندها واستداروا بها، وقال في ذلك مهلهل: غداة كأننا وبني أبينا ... بجنب سويقة رحيا مدير»^(٥). وقول الحموي (في بلاد بني جعفر) تأكيد على أنّ الموضع في جنوب الجزيرة. وذكر المهلهل السلان وهو جنوبي فقال:

أضحّت منازل بالسلان قد درست تبكي كليباً ولم تفرغ أقاصيها^(٦).

(١) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ١١٣/١.

(٢) مرجع سابق، ١٦٢/٥.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ط ١، ص ١١٨.

(٤) حرب، شرح ديوان مهلهل بن ربيعة، د ط، ص ٤٢.

(٥) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ٢٨٦/٢.

(٦) حرب، شرح ديوان مهلهل بن ربيعة، د ط، ص ٨٩.

قال ابن عبد الحق في مراصد الاطلاع: «السَّلاَن بضم أوله، وتشديد ثانيه: هي أرض تهامة مما يلي اليمن، بها يوم للعرب»^(١).

٢٩- يزيد بن عبد المدان:

يزيد بن عبد المدان بن الديان بن قطن، من بلحارث بن كعب من مذحج سكاَن نجران في الجاهلية، كان سيّدا من سادات مذحج، وكان شاعرا شريفا، وهو من أشرف اليمن وشجعانها في الجاهلية^(٢). ومن شعره قوله يخاطب عامر بن الطفيل وكانت بينهما منافرة:

يَا عَامَ إِنَّكَ فَارِسٌ ذُو مَنَعَةٍ غَضُّ الشَّبَابِ أَخُونَدَى وَقِيَانِ^(٣)
فَإِذَا لَقِيتَ بَنِي الْحِمَاسِ وَمَالِكٍ وَبَنِي الضَّبَابِ وَحَيَّ آلَ قَنَانِ

كان يزيد وعامر بن الطفيل قد خطبا ابنة أمية بن الأسكر وتنافرا عنده، فزوّجها يزيد فقال يزيد:

أُمِّي يَا ابْنَ الْأَسْكَرِ بِنَ مُدَلِّجٍ لَا تَجْعَلُنْ هَوَا زَنَا كَمَذْحَجِ^(٤)
إِنَّكَ إِنْ تَلَهَّجَ بِأَمْرِ تَلْجُجٍ مَا النَّبْعُ فِي مَغْرَسِهِ كَالْعَوْسَجِ
وَلَا الصَّرِيحُ الْمُحْضَرُ

٣٠- يزيد بن مخرم الحارثي:

جاهلي كثير الشعر، قال عنه المرزباني: «يزيد بن مخرم بن حزن بن زياد الحارثي من بني الحارث بن كعب يعرف بابن فكهة وهي جدته أم أبيه»^(٥).

ومن شعره قوله:

أَلَا أَبْلُغُ بَنِي هَمْدَانَ عَنِّي رِسَالَةَ مَاجِدٍ وَارِي الزَّنَادِ^(٦)
بَأَنَّ شُيُوعِرَا مِنْكُمْ أَتَانِي لَهُ قَوْلٌ يُقَالُ بِلَا سَدَادِ

(١) القطيعي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط ١، ٢/٧٢٦.

(٢) الزركلي، الأعلام، ط ١٥، ٨/١٨٤.

(٣) شيخو، شعراء النصرانية قبل الإسلام، ط ٤، ص ٨١.

(٤) مرجع سابق، ص ٨١.

(٥) المرزباني، معجم الشعراء، ط ٢، ص ٤٩٤.

(٦) مرجع سابق، ص ٤٩٤.

يسامي معشراً كثروا وعزّوا
فلسْتُ بقائل هُجراً، ولكن
متى ما تلقني تعلم بأنّي
ومنه قوله:

وغارات كمُرسلة الجراد
ستعلم أيّ مَرَدَاة ترادي
شديد الأسر طلاع النجاد

ألم تعلموا علماً يقيناً بأنني
وقد أبقت الأيام مني بقيّة
وكم من كميّ قد تركت مجدلاً

أخو ثقة يشقى به من يحاربه^(١)
كخير حسام لم تخنه مضاربه
تنوح وتبكي معولات قرائبه

وذكر ابن ميمون في منتهى الطلب أبياتا له يقول في مقدمتها:

تعجبُ جارتني لما رأتني
كأنك لم تري قبلي أسيراً

كذات النوط مخدرتي جراحی^(٢)
يقادُ به على جملٍ رداح

وأورد السيرافي في كتبه (شرح أبيات سيويه): «قال سيويه في الترخيم، قال يزيد بن مخرم الحارثي:

أردناهم أن ينقموا أو يقاتلوا
وقالوا: تعال يا يزي بن مخرم

فكلتاها أعيتهمُ بعياء
فقلت لهم: إني حليفُ صُداء

ويروى: فقالوا نسالم يا يزي بن مخرم. الشاهد فيه أنه رخم (يزيد)^(٣).

ج- شواعر من جنوب الجزيرة قبل الإسلام :

لم تقتصر المهارة القولية في الإبداع العربي القديم على الرجال، بل اتسعت رقعة القول لتشمل النساء، وإن بدا ما حملته الرواة من شعر النساء قليلاً جداً مقارنة بشعر الرجال، ولكن ما حملته الذاكرة الأدبية يكشف أن القدرات القولية لم تكن حكراً على جنس دون جنس، حيث عبّرت النساء عن مكنوناتهن تعبيراً شعرياً يحمل الرسائل الأدبية التي أردن له أن يحملها، على أن جل شعر النساء الذي حفظته لنا الأيام يدور حول رثاء الأحباب، ومن أبرز شواعر جنوب الجزيرة في العصر الجاهلي:

(١) مرجع سابق، ص ٤٩٤.

(٢) ابن ميمون، منتهى الطلب من أشعار العرب، ط ١، ٨/٣٣١.

(٣) السيرافي، شرح أبيات سيويه، د ط، ٢/٢٥.

١- أسماء المريية :

قال عنها صاحب كتاب نشوة الطرب: "صاحبة عامر بن الطفيل في الجاهلية. من واجب الأدب أنها كانت من شواعر العرب"^(١). وقال عنها صاحب كتاب شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: «تزوجها رجل من تهامة ونقلها إليها. فقالت له: ما فعلت الريح التي كانت تهب من نجد يقال لها الصبا؟ إني ما أراها هاهنا» فقال التهامي: «يحجزها عنا هذان الجبلان» فقالت:

أَيَا جَبَلَيَّ نَعْمَانَ بِاللَّهِ خَلِيَا	نَسِيمُ الصَّبَا يَخْلُصُ إِلَيَّ نَسِيمَهَا ^(٢)
فَإِنَّ الصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَفَّسَتْ	عَلَى قَلْبٍ مَخْزُونٍ تَجَلَّتْ هُمُومَهَا
أَجْدُ بَرْدُهَا أَوْ تَشْفُ مِنِّْي حَرَارَةً	عَلَى كَبِدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا صَمِيمَهَا
وَكَيْفَ تَدَاوِي الرِّيحَ شَوْقًا مِمَّا طَلَا	وَعَيْنًا طَوِيلًا بِالدَّمْعِ سَجُومَهَا
وَقَوْلًا لِرُكْبَانٍ تَمِيمِيَّةٍ غَدَتْ	إِلَى الْبَيْتِ تَرْجُو أَنْ تَحُطَّ جُرومَهَا
بِأَنَّ بِأَكْنَافِ الرُّغَامِ غَرِيبَةً	مُؤَلَّهَةً تُكَلِّي طَوِيلًا نَثِيمَهَا

٢- جنوب الهذلية :

ذكرها صاحب كتاب (شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام): "لم تعرف لها ترجمة سوى ما جاء في مناسبات القصائد التي نسبت إليها"^(٣). وقال عنها صاحب كتاب الحماسة البصرية: «وَقَالَتْ جَنُوبُ أَخْتِ عَمْرُو ذِي الْكَلْبِ الْهَذَلِيَّةُ»^(٤). قال عاتق البلادي عن مقتل أخيها عمرو ذي الكلب الهذلي، عند حديث البلادي عن موضع يقال له شريان ذكرته جنوب الهذلية في شعرها: «ريع يسيل منه واديان أحدهما شمالاً ويللم من صدره، وآخر جنوباً يذهب إلى الليث... وسكانه بنو فهم بن عمرو القيسية. وفيه قتل عمرو ذو الكلب الهذلي»^(٥). والقصيدة التي رثت بها جنوب أخاها هي:

كُلُّ أَمْرٍ بِطَوَالِ الْعَيْشِ مَكْذُوبٌ وَكُلُّ مَنْ غَالَبَ الْأَيَّامَ مَغْلُوبٌ^(٦).

(١) الأندلسي، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ط١، ص ٥٧٨.

(٢) يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط١، ص ٦٢.

(٣) يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط١، ص ٩٩.

(٤) جمال، الحماسة البصرية، ط١، ٢٢٥/١.

(٥) البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، ط١، ص ١٤٤.

(٦) يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط١، ص ٩٩.

يَوْمًا طَرِيقَهُمْ فِي الشَّرِّ دُعُوبٌ
مُودٌ وَتَابَعُهُ الشُّبَّانُ وَالشَّيْبُ
سَيِّقٌ لَهُ مِنْ دَوَاهِي الدَّهْرِ شُؤْبُوبٌ

وَكُلُّ حَيٍّ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُمْ
وَكُلُّ مَنْ غَالِبَ الْأَيَّامِ مِنْ رَجُلٍ
بَيْنَا الْفَتَى نَاعِمٌ رَاضٍ بِعَيْشَتِهِ

ومن شعرها:

لَمْ يَغْزِ فَهْمًا وَلَمْ يَهْبِطْ بَوَادِيهَا^(١).

يَا لَيْتَ عَمْرًا وَمَا لَيْتَ بِنَافِعَةٍ

ومن شعرها أيضا:

فَأَفْظَعْنِي حِينَ رَدَوْا السُّؤَالَ^(٢)
فَنَالَا لِعَمْرِكَ مِنْهُ مَنَالَا
إِذَنْ نَبَهَا مِنْكَ دَاءُ عَضَالَا
مَضِيئًا مُضِيدًا نَضُوسًا وَمَالَا
وَلَا طَائِشًا دَهْشًا حِينَ صَالَا
إِذَا اغْبَرَّ أَفُقٌ وَهَبَتْ شِمَالَا
لَمَنْ يَعْتَضِيكَ وَكَنتِ الثَّمَالَا

سَأَلْتُ بِعَمْرٍو أَخِي صُحْبَةً
فَقَالُوا أَتَيْحَ لَهُ أَنْمُرًا
فَأَقْسَمَ يَا عَمْرٍو لَوْ نَبَهَاكَ
إِذَنْ نَبَهَا لَيْتَ عَرِيْسَةً
إِذَنْ نَبَهَا غَيْرَ رَعْدِيْدَةٍ
وَقَدْ عَلِمَ الضَّيْفُ وَالْمَرْمَلُونَ
بَأَنَّكَ كُنْتَ الرَّبِيعَ الْمَغِيْثَ

واستشهد ابن سيده ببيت لجنوب في معنى (دعوب): "والدُعُوب: الطريق المذلل الواضح. قالت جنوب الهدلية: وكل قوم وإن عزوا وإن كثروا ... يوما طريقهم في الشرِّ دُعُوبٌ"^(٣).

٣- ذبيبة بنت بيشة الفهمية:

من فهم، قبيلة تأبط شرًا، وقد سكنت فهم ما بين الطائف، وجنوب مكة. وجاء في كتاب الدر المنثور في طبقات ربات الخدور: "ذبيبة بنت ثبية الفهمية، كانت من أحسن بني فهم حسبا، وأعرقهن نسبا، وأكثرهن أدبا، وأبهاهن جمالا، وألطفن كمالا، لها شعار لطيفة، ورثاء مقبول منها: قولها ترثي قومها كأنوا قتلوا بصورة وهو مكان بأراضي مكة:

أَلَا إِنَّ يَوْمَ الشَّرِّ يَوْمٌ بِصُورَةٍ وَيَوْمٌ فَنَاءِ الدَّمْعِ لَوْ كَانَ فَانِيَا^(٤).

(١) مرجع سابق، ص ١٠٠.

(٢) ابن ميمون، منتهى الطلب من أشعار العرب، ط ١، ص ٣٠٧.

(٣) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ط ١، ٢/٣٠.

(٤) فواز، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ط ١، ص ١٩٦.

لعمري لقد أبكتَ فريم وأوجعوا
بجرعة بطن القيل من كان باكيا
قتلتهم نجومًا لا يُحوّل ضيفهم
ولا يذخرون اللحم أخضر ذاويا
عماد سمائي أصبحت قد تهدمت
فخري سمائي لا أري لك بانيا

وأورد ياقوت الحموي لذبيّة الأبيات ذاتها مستشهداً بها عند الحديث عن موضع في يلملم جنوب مكّة: "صورة: مكان في صدر يلملم من أراضي مكّة، ذكره في أخبار هذيل، وقالت ذبيّة بنت بيشة الفهمية ترثي قومها قتلوا بهذا الموضع"^(١). وذكر الأبيات.

٤- ربيعة بنت عاصم الهوازنية:

من هوازن من قيس عيلان، ولم تذكر لها ترجمة أوسع من ذلك.

أورد لها بشير يموت قولها في الرثاء:

وقفت فأبكتني بدار عشيرتي
غدوا بسيوف الهند ورّاد حومة
كأنهم تحت الخوافق إذ غدوا
فوارس حاموا عن حريمي وحافظوا
ولو أن سلمى نالها مثل رزنا
على رزئهن الباكيات الحواسر^(٢)
من الموت أعياء وردهن المصادر
إلى الموت أسد الغابتين الهواصر
بدار المنايا والقنا متشاجر
لهدت ولكن تحمل الرزء عامر

٥- زينب بنت مالك:

أخت عامر بن مالك الشهير بملاعب الأسنة، من بني عامر بن صعصعة سكّان بيشة في الجاهلية. «كان يزيد بن عبد المدان قد أسر أخويها ثم من عليهما فأطلقهما، فقالت ترثيه حين نعي إليها:

بكيّ يزيد بن عبد المدان
شريك الملوّك ومن فضله
فككت أسارى بني جعفر
ورھط المجالد قد جللت
خلت به الأرض أثقالها^(٣)
يفضل في المجد أفضالها
وكنّدة إذ نلت أقوالها
فواضل نعماك أجالها

(١) الحموي، معجم البلدان، ط٣، ٢، ٣٤٣.

(٢) يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط١، ص٤٧.

(٣) يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط١، ص٧٣.

وقالت وقد لامها قومها على رثاء رجلٍ من غير قومها:

ألا أيها الزاري عليّ بأنني نزاريةٌ أبكي كريماً يمانياً^(١)
ومالي لا أبكي يزيد وردني أجرٌ جديداً مدرعي وردائياً

٦- زينب اليشكرية:

قال بشير يموت: ”أبوها مهرة بن الرائد اليشكري، وزوجها كالم بن فند ... انخرط أبوها وزوجها في حرب البسوس بين بكر وتغلب وقتلا جميعاً فقالت ترثيهما:

أتاحتكم الدنيا لمنتَهش القنا أناخت عليكم خيل يوم كرية
أن لهما ديناً بذلك آلت تحمحم خيل بعد تقدمت
فما إن تملوها ولا هي ملت على مالك بن الفند أرزاه حسرة
مصارعكم فيها من الذل حلت أراني كسرب حيل عنه أليفه
تجدد لي حزناً إذا قالت ولت قوافزه في مهمه الخبت ضلت^(٢)

٧- السلكة أم السليك:

أمّ الفارس الشاعر الصعلوك السليك بن السلكة، وقد أوردت الرسالة ما يثبت أنّ السليك جنوبي، فأمه جنوبية كذلك. قال صاحب كتاب نشوة الطرب في جاهلية العرب: ”السلكة هي الحجلة، وكان الأصمعي يقدم قولها في رثاء ابنها:

طاف يبغي نجوة ليت شعري ضالة
من هلاك فهلك أي شيء قتلك أمريض لم تعد
أمن هلاك فهلك أي شيء قتلك أم عدو ختلك
غال في الدهر السلك لافتي حيث سلك
للفتى لم يك لك حين تلقى أجلك

(١) مرجع سابق، ص ٧٣

(٢) يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط ١، ص ٤٢

والمنايا رصَّـدُ للفتى حيث سلك

ثم يكمل المغربي فيقول: ”وكان الأصمعي يقول: أما ترون لهذه الأمة السوداء التي تلبس الشعر وتجمع البعر، وتقول مثل هذا!“^(١).

٨ - عمرة بنت الحباب التغلبية :

قال عنها صاحب كتاب «شاعرات العرب: لم ترد لها ترجمة»^(٢). كانت عمرة تحت لبيد بن عنبسة الذي كان والياً على ربيعة من قبل أحد ملوك اليمن، فقال لها: يوماً: ”ما بال كليب - عظيم ربيعة - ينصر مضر ويتهدد الملوك؟ قالت: لا أعلم في ولد إسماعيل ذا لبدة هو أشد منه! فهاج ذلك القول لبيدا حتى عمد إليها فلطمها وقال لها: أترين أنك حرة؟ أنت أمتي فاقبلي ما يأتيك منا معشر الملوك. قالت: أنا أكرم منك. ثم خرجت مغضبة حتى انتهت إلى كليب وهي تقول:

ما كنت أحسب والحوادث جمة أنا عبيد الحي من غسان^(٣)
حتى علتني من لبيد لظمة سجرت لها من حرها العينان
إن ترض تغلب وائل بفعالهم تكن الأذلة عند كل رهان
لولا الوجيهة قطعني بكرة جرباء مشعلة من القطران
فتصرها كليب، وقتل لاطمها.

٩ - عمرة الخثعمية :

من قبيلة خثعم، وهي إحدى قبائل جنوب الجزيرة العربية، تُرجم لها في كتاب الدر المنثور في طبقات ربات الخدور وقال الكتاب عنها: ”هي من نساء بني خثعم الشاعرات الأدبيات المتحمسات وشعرها مقبول ولها رثاء في أخوين لها قتلا فيبعض الغزوات:

لقد زعموا أنني جزعت عليهما وهل جزع أن قلت وا بأباهما
هما أخوا في الحرب من لا أخا له إذا خاف يوماً نبوة فدعاهما
هما يلبسان المجد أحسن لبسة شحيحان ما استطاعا عليه كلاهما^(٤)

(١) الأندلسي، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ط١، ص ٤٢٧

(٢) يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط١، ص ٣١

(٣) العفيفي، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، ط٢، ٥٩/١

(٤) فواز، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ط١، ص ٣٥٢.

وأورد صاحب كتاب شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام الأبيات السابقة وروى زيادة عليها:

أبى الناس إلا أن يقولوا هُما هُما ولو أننا استطعنا لكان سواهما^(١).
بنيا عجز حرم الدهر أهلها فليس لها إلا الإله سواهما

١٠ - فاطمة بنت مر:

قال عنها صاحب هواتف الجنان: "حدثنا علي بن حرب، قال: ثنا محمد بن عمار القرشي، قال: ثنا مسلم بن خالد الزنجي، قال: ثنا ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: لما انطلق عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه، مر به على كاهنة من أهل تبالة متهودة، قد قرأت الكتب، يُقال لها: فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة في وجه عبد الله، فقالت: يا فتى، هل لك أن تقع علي الآن وأعطيك مئة من الإبل؟ فقال عبد الله «من الرجز»:

أما الحرام فالمماتُ دونه والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه^(٢)

وجاء عنها في كتاب شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: "كانت من فضليات النساء في بني خثعم. رغبت بالزواج من عبد الله بن المطلب والد الرسول ﷺ، لكن عبد المطلب اختار له أمنة بنت وهب. وقد أحفظها ذلك وشعرت بالغيرة. قالت حين تزوج عبد الله بن عبد المطلب بأمنة بنت وهب:

إنِّي رأيتُ مخيله لمعت فتألاَّت بحَنَاتِمِ القَطْرِ^(٣).
فلمأتها نوراً يضيءُ له ما حوَّله كإضاءةِ البدرِ
فَرَجَوْتُهَا فخرًا أبوءُ به ما كُلُّ قَادِحٍ زَنَدُهُ يُوري
لله ما زهرية سلبت ثوبيك ما استلبت وما تدري

(١) يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط١، ص ١٠٦.

(٢) الخرائطي، هواتف الجنان، ط١، ص ٥٠.

(٣) يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط١، ص ١٢٣.

وأورد لها قولها:

بني هاشم قد غادرت من أخيكُم
كما غادر المصباح عند خموده
فما كل ما يحوي الفتى من تلاده
فأجمل إذا طابت أمراً فإنه
سيكفيك إماً يد مقفَعلة
أميننة إذ لباه تغتركان^(١)
فتائل قد ميشت له بدهان
لعزم ولا ما فاته لتوان
سيكفيك جدان يغتلجان
وإما يد مبسـوطة ببنان

١١- كبشة الزبيدية:

كبشة بنت معدي كرب الزبيدي أخت الفارس الشاعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي.

قال ابن الأثير في أسد الغابة: ”كبشة بنت معديكرب الكندية أم معاوية بن حديج. روي عن معاوية بن حديج أنه قال: قدمت على رسول الله ﷺ ومعي أُمي كبشة بنت معديكرب عمة الأشعث بن قيس، فقالت: يا رسول الله، إني آليت أن أطوف بالبيت حبا. فقال لها طويفي على رجليك سبعين: سبعا عن يدك، وسبعا عن رجلك.“^(٢)

من شعرها تؤنب أخاها عمرا، وترثي أخاها عبد الله:

وأرسل عبد الله إذ حان يومه
ولا تأخذوا منهم إفاًلاً وأبكرا
ودع عنك عمراً إن عمراً مسالماً
فإن أنتم لم تثاروا واتديتم
ولا تردوا إلا فضول نساءكم
إلى قومه لا تغفلوا لهم دمي^(٣)
وأترك في بيت بصعدة مظلم
وهل بطن عمرو وغير شبه لمطعم
فمشوا بأذان النعام المصلم
إذا ارتملت أعقابهن من الدم

١٢ - ليلى بنت سلمة:

لم تذكر المصادر إلا أن اسمها ليلى بنت سلمة، ولكن عبد الله العفيفي صاحب

(١) مرجع سابق، ص ١٢٣

(٢) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، د ط، ص ٢٥٠/٦

(٣) البحري، الحماسة، ط ١، ص ٨٥.

كتاب المرأة العربية في جاهليتها، وإسلامها قال: "ليلى بنت سلمى"^(١). ولعلّ الأصحّ سلمة. لم تنسبها المصادر إلى قبيلة، ولم تذكر من اسمها إلا ليلى بنت سلمة، ولكن شعرها الذي يحمل أسماء مواضع جنوبية منها بيشة منح الباحث ملمحاً إلى عيشها في جنوب الجزيرة.

قالت ليلى ترثي أخاها:

<p>أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الْخَلَاءِ أَلُومَهَا أَلَا تَفْهَمِينَ الْخَبَرَ أَنْ لَسْتُ لَاقِيًا وَكُنْتُ أَرَى بَيْنًا بِهِ بَعْضُ لَيْلَةٍ وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنَّنِي سَوْفَ أَغْتَدِي فَتَى كَلَنْ يَعْطِي السِّيفُ فِي الرُّوعِ حَقَّهُ فَتَى كَانَ يَدِينُهُ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ فَتَى لَا يَعُدُّ الْمَالَ رَبًّا وَلَا تَرَى فَنَعَمُ مُنَاخَ الرِّكَبِ كَانَ إِذَا انْبَرَتْ وَمَاوَى الْيَتَامَى الْمُحَلِّينَ إِذَا انْتَهَوْا</p>	<p>لَكَ الْوَيْلُ مَا هَذَا التَّجْلُدُ وَالصَّبْرُ^(٢) أَخِي إِذَا أَتَى مِنْ دُونِهِ أَكْفَانُهُ الْقَبْرِ فَكَيْفَ يَبِينُ دُونَ مِيعَادِهِ الْحَشْرِ عَلَى إِثْرِهِ يَوْمًا وَإِنْ طَالَ بِي الْعَمَرُ إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِيَ وَتَشْتَقِي بِهِ الْجَزْرُ إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى، وَيَبْعَدُهُ الْفَقْرُ لَهُ جَفْوَةٌ إِنْ نَالَ مَا لَا وَلَا كِبَرُ شَمَالٌ وَأَمْسَتْ لَا يَعْزِجُهَا سِتْرُ إِلَى بَابِهِ شُوعًا وَقَدْ قَحَطَ الْقَطَرُ</p>
--	---

وروى غير واحد الأبيات لغير ليلى، فالبحري في الحماسة البصرية ينسب البيت الأول إلى سلمة الجعفي: «وقال سلمة بن يزيد بن المجمع الجعفي:

أَقُولُ لِنَفْسِي فِي خَفَاءِ أَلُومَهَا لك الويل ما هذا التجلد والصبر»^(٣).

وكذلك فعل التبريزي في شرح ديوان الحماسة.

وقد روى لها البحري في حماسته أبياتاً تحمل أسماء مواضع جنوبية منها بيشة:

<p>سَقَى اللَّهُ قَبْرًا لَسْتُ زَائِرَ أَهْلِهِ تَضْمَنَ خِرْقًا كَالْهَلَالِ وَلَمْ يَكُنْ</p>	<p>بَيْشَةَ أَمَا أَدْرَكَتَهُ الْمَقَادِرُ^(٤) بِأَوَّلِ خِرْقٍ ضَمَنْتَهُ الْمُقَابِرُ</p>
--	--

(١) العنفي، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، ط ٢، ١٨٩/١.

(٢) يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط ١، ص ٦٧.

(٣) جمال، الحماسة البصرية، ط ١، ٢٤٢/١.

(٤) البحري، الحماسة، ط ١، ص ٥٢٤.

نَعَاهُ لَنَا النَّاعِي فَلَمْ نَلْقَ عِبْرَةً
كَأَنِّي غَدَاةٌ اسْتَعْلَنُوا بِنَعِيهِ
لَعَمْرِي لَمَا كَانَ ابْنُ سَلَمَةَ عَاجِزًا
نَاتِنًا بِهِ مَا إِنْ قَلِينَا شَبَابَهُ
بَلَى حَسْرَةً تَبَيَّضُ مِنْهَا الْغَدَائِرُ
عَلَى النَّعْشِ يَهْفُو بَيْنَ جَنْبَيَّ طَائِرُ
وَلَا فَاخِشًا يَخْشَى أَذَاهُ الْمُجَاوِرُ
صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرُ

١٣- مارية بنت الديان الحارثية :

لم يقف الباحث على ترجمة لها، لكن بني الديان سادة نجران في الجاهلية، فهي على هذا من جنوب الجزيرة، وقد أورد لها صاحب كتاب بلاغات النساء (وذكر أنها مارة بنت الديان) قولها في الرثاء:

قُلْ لِلْفَوَارِسِ لَا تَتَلَّ أَعْيَانَهُمْ
التَّارِكِينَ أَبَا الْحُصَيْنِ وَرَاءَهُمْ
لَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ قَدْ طَافَتْ بِهِ
وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى شَبَابِكَ حَقْبَةً
يَا مَعْشَرَ الْأَبْنَاءِ إِنْ فَرِثْتُمْ بِهَا
فَأَبُوكُمْ قَرُّوْ شَرِي كَهَلَانِكُمْ
مِنْ شَرِّ مَا حَذَرُوا وَمَا لَمْ يُحْذَرِ^(١)
وَالْمُسْلِمِينَ صَلَاءَةَ بَنِ الْعَنْبَرِ
شَنْجَتُ شِمَالُكَ فِي عَنَانِ الْأَشْقَرِ
حَتَّى كَبُرْتَ وَلَيْتَ أَنْ لَمْ تَكْبُرِ
فَوْزَ الزَّبِيرَةِ جَمَعْنَا لَمْ يَثَارِ
وَعَمُودُكُمْ صَلَبُ كَرِيمِ الْمَكْسَرِ

١٤- هند بنت الخُس :

هند بنت الخُس الإيادية، فصيحة، بليغة، شاعرة، خطيبة، قال عنها الزركلي: « هند بنت الخُس بن حابس بن قريط الإيادية: فصيحة جاهلية، كانت ترد سوق عكاظ، ولها أخبار فيه، قال الجاحظ في وصفها: من أهل الدهاء والنكراء، واللسن واللقن، والجواب العجيب، والكلام الصحيح، والأمثال السائرة، والمخارج العجيبة، ويقال في اسم أبيها: الخُس، والخص، والخسف، والأخس. وتلقب بالزرقاء. »^(٢). وأورد لها القالي في أماليه نصاً طويلاً هذا بعضه: «أتى رجل هند بنت الخُس الإيادية يستشيرها في امرأة يتزوجها، فقالت: انظر رمكاء جسيمة، أو بيضاء وسيمة، في بيت جد، أو بيت حد، أو بيت عز. قال: ما تركت من النساء شيئاً، قالت: بلى، شر النساء تركت: السويداء الممرض، والحميراء المحياض، الكثيرة المظاظ، وقيل لها: أي النساء أسوأ؟ قالت

(١) ابن طيفور، بلاغات النساء، د ط، ص ١٧٢

(٢) الزركلي، الأعلام، ط ١٥، ٨/ ٩٧

:التي تعقد بالفناء، وتملاً الإناء، وتمذق ما في السقاء، قيل: فأَي النساء أفضل؟ قالت: التي إذا مشت أغيرت، وإذا نطقت صرصرت، متوركة جارية، في بطنها جارية، يتبعها جارية. قيل: فأَي الغلمان أفضل؟ قالت: الأسوق الأعنق، الذي إن شبَّ كأنه أحرق. قيل: فأَي الغلمان أفضل؟ قالت: الأويقص القصير العضد، العظيم الحاوية، الأغير الغشاء، الذي يطيع أمه، ويعصي عمه»^(١).

ومن شعر هند قولها:

وجدتُ وخيرُ القولِ في الحكمِ نافعٌ
وليس الفتى عندي بشيءٍ أعدُّه
وذو الجُبْنِ مما يسعرُ الحربُ نفعُهُ
وكم من كثيرِ المالِ يقبضُ كَفَّهُ
وكم من صغيرٍ تزدريه لَعَلُّهُ
وآخرَ ذي طَمَرَيْنِ صاحبِ نيةٍ
وكم من سفيهٍ للجماعةِ مفسدٍ

ومن شعرها قولها:

لقد أيقنَت نفسُ الفتى غيرَ باطلٍ
ويشرب بالكأسِ الذعافِ شرابها
وكم من أخي دنيا يُثَمَّرُ ماله
عليك بأفعالِ الكرامِ ولينهم
ولا تك مزاحاً لدى القومِ لعبةٍ
تخوض بجهلٍ سادراً في فكاهاةٍ
ألا رب ذي حظٍّ يُبَصِّرُ فعله

(١) القالي، الأمالي، ط١، ٢٥٧/٢

(٢) يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط١، ٧٨

(٣) يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط١، ٧٨

ومن شعرها في الغزل قولها:

أَشْمُ كَنْصَلِ السَّيْفِ جَعْدٌ مَرَجَلٌ شَغَفْتُ بِهِ لَوْ كَانَ شَيْءٌ مَدَانِيَا^(١)
وَأَقْسَمَ لَوْ خَيْرْتُ بَيْنَ لِقَائِهِ وَبَيْنَ أَبِي لَاخْتَرْتُ أَنْ لَا أَبَالِيَا

٢- أثر الجغرافيا الطبيعية في شعر جنوب الجزيرة العربية :

وقع كثيرٌ من المهتمين بالبحث في تراث الجزيرة العربية في وهَم أن بيئة جزيرة العرب صحراوية، وأن القبائل العربية لم تعرف الاستقرار، وكانت تقضي حياتها متنقلة بمواشيها، ونسائها، وأطفالها، في صحراء قاحلة من مكان إلى مكان، سعياً وراء الغيث، وارتبداً لمواطن الكلاء، وأن الماء قليل، والنبات نادر. لعل مرد هذا الخطأ يعود إلى أن أغلب الذين كتبوا عن تلك البيئة لم يكونوا من أهلها، ولم يزوروها زيارة المنقّب الباحث، إنما اكتفوا بالسماع، وبنوا على الظنّ. من أجل ذلك تراكمت الأخطاء، وسادت الأوهام، فسار اللاحق على خطى السابق، فلا أحد منهم يعرف الجزيرة العربية حق المعرفة، ولا تشكّلت في ذهنه من معيشة الجاهليين إلا الصورة النمطية الخاطئة. وانسحبت تلك المشكلات العلمية على الجهل بالحالة الطبيعية للجزيرة، وعلى أساليب حياة الجاهليين، وتم حصر ذلك في حياة البدوي الساكن في الصحراء، الذي يتنقل بأغنامه من إقليم إلى إقليم.

حاولت هذه الدراسة أن تصحح ما رأته في الدراسات السابقة من الأخطاء، وأن تنبّه على ما ملأ الصفحات من الأوهام، معتمدةً على تقصُّ لكلِّ باب رأت أنه يعزز من صحّة المعلومات، وساعيةً إلى أن تبحث بحثاً موضوعياً يقوم على زيارة الأماكن، وتحليل المآثورات، وربط المعطيات، لاستخلاص ما يمكن استخلاصه من النتائج التي تكون أقرب إلى الحقيقة، وأبعد عن الأوهام. وهذا البحث يهتم بالإقليم الجنوبي من الجزيرة العربية، ويشكّل جزءاً كبيراً، وخصيباً، ومختلفاً منها.

أ - التعلق بمظاهر الحياة الطبيعية :

استوطنت قبائل جاهلية كثيرة بلاد تهامة والسراة التي حباها الله طبيعةً مميّزة، ومناخاً جميلاً، وتبدأ من فيفاء جنوباً إلى الطائف شمالاً، وهي بلاد تمتع بكل الخصائص البيئية التي لم تتطرق إليها الدراسات فيما سبق إلا قليلاً، ولم يهتم بها دارسو أدب

الجزيرة العربية إلا نادرًا. ففي المناطق الجبلية التي تمتد على أكتاف الجبال الجنوبية، تلك السلسلة الجبلية التي تمتد من نجران ومرتفعات جازان إلى الطائف، فيفاء جنوبًا، ويصل طولها أكثر من (٦٠٠) كيلومترا، وتصل درجات الحرارة في الشتاء إلى ما دون الصفر، ولا تزيد فيها الحرارة في الصيف عن (٣٠) درجة الإقليلا، وفيها معدل أمطار عالٍ، وتحظى بغطاء نباتي كثيف، وتقطنها أنواع كثيرة من الحيوانات البرية المتنوعة.

وأشهر الأماكن التي كان يُضرب بها المثل في كثرة الأسود، هي أماكن جنوبية، حيث تحدث الجاهليون عن أسد الشرى، والشرى في ديار دوس بمنطقة الباحة، وأسد بيشة، وأسود ترج وهو واد قريب من بيشة، وأسود عتود، واد يمتد ما بين خميس مشيط والدرب، وأسود عثر ومخلاف عثر في الجنوب وحاضرتة بيش التي تقع على ساحل البحر الأحمر، بمنطقة جازان، وأسود تَعَشْر، واد في مخلاف عثر، وأسود حلي موضع على ساحل البحر الأحمر، جنوبي مكة المكرمة، وأسود تباله وهي قريبة من بيشة، ووادي السباع في ديار إباد.

من المنطق أن يفهم الباحث أنّ كثرة السباع في تلك المواضع جعلت الإقليم مضرب الأمثال في هذا الجانب، وهذا يدل على أنّ الحيوانات العاشبة التي تتغذى عليها تلك السباع كثيرة، وذلك دليل على أنّ تلك المناطق غنيّة بالماء والكلا. وذلك يؤكد أنّ تلك البيئات كانت خصيبة ومناسبة للعيش المستقر، وحاملة لكل مقومات الحياة. وأن تكون تلك الأوطان قد احتضنت الكثير من القبائل العربية في العصر الجاهلي، ونشأ فيها كثير من شعراء ذلك العصر، وتحدثوا عن جبالها، ووديانها، وأكثرها من وصف الغيث ومقدماته، وتوابعه، ومن ذكر أنواع النبات والحيوان، على غير الصفة التي ظنّها من ظنّ أنّ الجاهلي يعيش في صحراء قاحلة، تهلكه قسوة البيئة، ويحمل خيمته من مكان إلى مكان.

نجد أنّ محيط الشاعر الجاهلي بضيقه وتقلباته، قد ساهم في تكوين شخصية ذلك الشاعر، وفي صقل ملكته الشعرية، فعندما يلتفت الشاعر الجاهلي إلى الطبيعة من حوله، فهو إنّما يستمدّ منها أدواته الإبداعية التي تساهم في تكوين شخصيته الشعرية. وحينما تجيش في صدره بواعث القول كالموت، أو الهجر، أو الحرب، أو التأمل، فإنّه يلتفت إلى محيطه البيئي ليستعين به على التعبير عن تلك الخلجات.

لقد استفاد الشاعر إلى حد بعيد من كلّ ما تقع عليه عيناه، فوظف مشاهداته في شعره، واستفاد منها في بناء فنّه، وبالتالي كان الشعر الجاهلي ناطقًا فصيحًا باسم

عصره، وناقلاً ثقةً لمظاهر بيئته، ومعبراً عن حياة الجاهلي في جوانب متعددة، وهي مشاهدات محدودة، وآفاق جغرافية ومعرفية ضيقة، ومن أجل ذلك تجد الشعراء الجاهليين مؤطرين بإطار واحد تقريباً، وينطقون عن تجارب حياتية متشابهة إلى حد بعيد، وقد تنبّه لهذا المعنى من النقاد الأوائل أبو هلال العسكري: إذ يقول: (وإذا كان القوم في قبيلة واحدة، وفي أرض واحدة، فإنّ خواطرهم تقع متقاربة) ^(١).

سوف ندرس التأثير الشعري الجاهلي فيما يتعلّق ببيئة النشاط الإنساني، وما يتعلّق بأمور الدين، والممارسات الإنسانية الأخرى كالمرأة، والحرب، وغيرها من الأنشطة. ولحسن حظّ الدراسات الأدبية أنّ شعراء جنوب الجزيرة في العصر الجاهلي قد شغفوا بكل ما يتعلّق بالبيئة الطبيعية من حولهم، وتفاعلو مع الحالات التي تشكل المكان أو تعتاده، فحفظوا بذلك الكثير من الإشارات عن محيطهم.

واتخذ الشاعر الجاهلي من مظاهر الطبيعة ملهماً، وأفرد لها في قصائده مساحات تليق بما لها في وجدانه من حضور، وما لها في حياته من تأثير. والشعراء قديماً يتحدثون عن الأيام الماطرة ولا يتعجلون الحديث عنها، بل يستعذبون تناول تفاصيل التفاصيل فيها، فيأخذون في وصف بشائر الغيث، ثم طريقة تراكم السحاب، ثم يرسمون أجمل الصور للمطر حين نزوله، ويتتبعون آثاره بعد أن يكوّن السيول الهدّارة، ومن ثم يصفون المواطن التي غشيتها تلك السيول، وهم في ذلك يعبرون عن ارتياحهم النفسي بالتوسّع في تفاصيل لا داعي لها في النصوص، إلا لأنها ترضي شغفهم، وتصور تفاعلهم مع محيطهم.

كما يحرص الشاعر الجاهلي على تصوير كلّ ما تقع عليه عيناه من التشكيلات الطبيعية، الثابتة، والطارئة، وكأنّه يريد أن يثبت أنّ هذا المكان متعلّق بوجدانه تعلقاً يجعله ينتبه إلى أدقّ تفاصيله. ونجد ذلك في التقاط الشعراء الجاهليين لأدقّ تفاصيل محيطهم، إلى درجة أنّهم يحشدون في قصائدهم أكثر الأشياء بعداً عن الاهتمام، وأقلّ الأشياء لغتاً للأنظار، وأبعد الأشياء عن إفادة الإنسان، كلّ ذلك لشدة ارتباطهم بالمحيط الطبيعي من حولهم، وإلا فما داعي لأن يذكر امرؤ القيس بحر الظباء المتناثر على الأرض في معرض حديثه عن أسفه لرحيل محبوبته، فلا قيمة للبعد في حياته، ولا هو متعلّق بمحبوبته، ولا هو من البروز بحيث يلفت انتباه الناس، بل إنّ امرؤ القيس لا يكتفي بمجرد ذكره، بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيبين مواضعه، ويدقق في نقله لصفته:

تَرَى بَعَرَ الآرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا وَقِيعَانَهَا، كَأَنَّهُ حَبُّ فُفْلٍ^(١)
كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ، يَوْمَ تَحَمَّلُوا لَدَى سَمُراتِ الْحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلٍ
وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ يَقُولُونَ: لَا تَهْلِكُ أَسَى، وَتَجَمَّلِ

ونلاحظ إصرار الشاعر على ذكر نبات السمر في قصيدته، على الرغم من أن ذكر ذلك النبات لم يزد في معناه شيئاً، ولم يحمل فكرة تصف شيئاً من أحواله، ومثل ذلك حين ذكر المطي التي يركبها أصحابه، لا شيء يضيفه كل ذلك إلا معنى التعلق بالطبيعة لا غير.

هكذا يوغل الشاعر في بيئة المكان إلى درجة تجعله يخلع على الحيوان خصال الإنسان، فإذا به يتحدث عن الوادي المظلم، وما يستبطنه من السباع، لا لينفر من السبع أو ينكره، بل ليصادقه، ويتقرب إليه، ويجاذبه أطراف الأحاديث، ويخلع عليه من الصفات ما يسر الإنسان أن تكون فيه، في إشارة واضحة لتعلق الجاهلي الشديد ببيئته، والتصاقه بمحيطه، وتفاعله مع الكائنات التي تقاسمه تلك البيئة:

وَوَادِ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَضَرَ قَطْعَتُهُ بِهِ الذَّنْبُ يَعْوِي كَالْخَلِيعِ الْمُعِيلِ^(٢)
فَقُلْتُ لَهُ لِمَا عَوَى: إِنَّ شَأْنَنَا قَلِيلُ الْغِنَى إِنْ كُنْتَ لِمَا تَمَوَّلُ
كِلَانَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئاً أَفَاتَهُ وَمَنْ يَحْتَرِثُ حَرْثِي وَحَرْثَكَ يَهْزِلُ

وعبر الشاعر الجنوبي عن أنسه بالوحوش، لا كما فهم بعضهم من أن ذلك بسبب انفراده عن الناس، بل على سبيل التحدث عن مغامراته الكثيرة في الإغارة على القبائل، تلك الكثرة التي جعلت الوحوش ترى الشاعر الفارس كثيراً، فهو يطرق المكان مرات ومرات، فإذا بالوحوش تأنس له، وهو من جانبه لا يخافها، كما لا يخاف الضياع في البراري الواسعة المفتوحة، فهو يعرف طريقه تماماً كما تعرف الشمس طريقها في السماء التي تشتبك فيها النجوم، يقول تأبط شراً في رثاء الشنفرى:

يَرَى الْوَحْشَةَ الْأَنْسُ الْأَنْسَى وَيَهْتَدِي بِحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ^(٣)

(١) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط٥، ص ١١١.

(٢) مرجع سابق، ص ١١٨.

(٣) حرب، ديوان تأبط شراً، ط١، ص ٥٣.

أكثر شعراء جنوب الجزيرة (تهامة وسراة من التفاعل مع المطر، فهو ظاهر في نصوصهم، مترجع على عروش أوصافهم، فهم يشيّمونه قبل أن يكتمل نوؤه، ويراقبون حركة السحب حين تبدأ في التشكل، ويستمتعون بلمع البرق، ثم يتتبعون مواقع القطر، ومدارج السيول يقول عبيد بن الأبرص:

يا مَنْ لَبَرَقَ أَبَيْتُ اللَّيْلَ أَرْقُبُهُ	من عارض كَبَيَاضَ الصُّبْحِ لَمَاحٌ ^(١)
دَانِ مُسَفٍّ فَوَيْقَ الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ	يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ
فَالْتَجَّ أَعْلَاهُ ثُمَّ ارْتَجَّ أَسْفَلُهُ	وَضَاقَ ذَرْعًا بِحَمْلِ الْمَاءِ مُنْصَاحِ
كَأَنَّمَا بَيْنَ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلِهِ	رِيْطٌ مُنْشَرَّةٌ أَوْ ضَوْءٌ مُصْبَاحِ
كَأَنَّ فِيهِ عَشَارًا جَلَّةً شُرْفًا	شَعْنًا لَهَا مَيِّمٌ قَدْ هَمَّتْ بِإِرْشَاحِ
بُحًّا حَنَاجِرُهَا هُدًى مَشَافِرُهَا	تُسَيِّمُ أَوْلَادَهَا فِي قَرْقَرٍ ضَاحِي

والشاعر هنا يفصل تفصيل العاشق، فهو يصف بدقة تفاصيل المشهد، منذ أن أخذ يراقب البرق، ثم ينظر إلى تكوّن السحب التي تكثفت حتى دنت من الأرض، حتى يخيل لعبيد أن الرجل يستطيع أن يلمس ذلك السحاب لفطر دنوّه، ولعل حديث عبيد بن الأبرص عن ذلك الدنو كان مؤشرا على قربها من نفسه، فهو المتعلّق بالبيئة، بل إنه يلتفت إلى المشبّه به فيطيل في الحديث عنه، كحديثه عن الإبل التي شبّه بها السحاب المتراكم، ليتحدّث عن أصواتها، ومشافرها.

ويحرص عبيد على نقل المشهد من زواياه كلّها، فيصف للمتلقي لون السحاب، فهو سحابٌ أبيض يشبه الصبح، ويشبه خاصرة الحصان الأبلق ساعة جريه، وكيف أن الرياح تسيّر ذلك السحاب، حتى انتهى به المطاف مطراً امتلأت به القيعان.

وأفردت القصائد الجاهلية حيّزاً كبيراً للبيئة الطبيعية، بغض النظر عن الغرض الذي نظمت من أجله تلك القصائد، فالبيئة الطبيعية حاضرة في قصائد الرثاء بالقوّة نفسها التي تحضر بها في قصائد الغزل، وهي مكوّن أساسي من مكونات قصائد الفخر، والحرب، والمديح، وغيرها. ويمكن للباحث أن يقيس تعلق الجاهلي بالبيئة، وانبهاره بمكوناتها الجامدة، والحيّة من خلال المساحات التي ذكرها في إبداعه، ولعلّ مما ساعد على ذلك غياب المؤثرات الجانبية التي كان من الممكن أن تتزعزّع مساحة من القصائد، فكانت الطبيعة بتأثيرها في وجدان الشاعر، ثم باستحواذها على مدى

الرؤية البصرية للشاعر، وبتقلباتها المختلفة، ومظاهرها المتعددة مؤثراً لا يمكن للشاعر الجاهلي تجاوزه. وبلغ من ارتباط الشعر الجاهلي بمكونات البيئة الطبيعية، وولوعه بالاستفادة من مظاهرها أنه يحاور المكان، ويستنطقه، ويطبعه بطابع شخصي يرى أن مكانته في وجدانه تستدعيه.

ولازم شعراء جنوب الجزيرة تسمية الأماكن في قصائدهم، وكأنهم يسعون إلى تخليد تلك الأسماء لفرط ما ارتبطت بحياتهم، ولشدة ما أثّرت في تلك الحياة. وللطبيعة تأثير كبير في حياة الجاهلي، وتكاد تكون العنصر الأهم في حياته، فهي حاضنته الأولى، ومجال حركته، وتأثيرها على معيشتة غير محدود، فالخصب يحييه، والجذب يقتله، والمطر يسعده، والبرق يشوقه، والغيم يحيي آماله، والشجر قوته، وظله، وكل مظاهر الطبيعة شديدة التأثير في أسلوب عيشه، لذا من البدهي أن يختار الجاهلي لسكناه أقدار الأماكن على تحقيق متطلباته. وبلغ من تأثير الطبيعة في حياة الجاهلي أنها كانت تقرر رحيله، أو بقاءه، أو دخوله، فالسائح من الطير يبهجه، ويقوّي عزمه على قصد حاجته، والبارح منها يحزنه، ويرجعه عن قصده، ومن الطيور التي تطير منها العرب الغراب، فهو عندهم نذير شؤم، ومنذر بفراق، ربما لسواد لونه، أو لنعيبه المفزع، يقول عبيد بن الأبرص:

زعم الأحبة أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغداف الأسود^(١).

بل وصل من تأثير الطبيعة عليه أنه يمنحها شرف تسمية أبنائه، ومن ذلك ما رواه ابن دريد في الاشتقاق حيث قال: «خرج وأئل بن قاسط وامرأته تمخض وهو يريد أن يرى شيئاً يسمي به، فإذا هو ببيكر قد عرض له فرجع وقد ولدت غلاماً، فسماه بكراً، ثم خرج خرجة أخرى وهي تمخض فرأى عنزاً من الظباء فرجع وقد ولدت غلاماً، فسماه عنزاً»^(٢). وهم لذلك يسمون أبناءهم بأسماء المكونات الطبيعية للبيئة من حولهم، فهناك الأسد، والثعلب، والضب، والكلب، والغراب، ومن الشجر بالطلع، والسمر وغيرها.

والشاعر الجاهلي وقّاف على الأطلال، متأثراً لخرابها، يبكي الراحين عنها، ويخاطبها في كثير من الأحيان مخاطبة من يتمنى أن تنطق، وهي عنده تحمل الكثير من المعاني التي تدكي مشاعره، وهي في الوقت ذاته مصدر للإلهام، وفرصة للتصوير.

(١) عدرة، شرح ديوان عبيد بن الأبرص، ط ١، ص ٥٠.

(٢) ابن دريد، الاشتقاق، ط ١، ص ٦.

ولا يترك الجاهلي فرصة دون أن يستفيد من عناصر الطبيعة في إيصال رسائله، واستكمال إبداعه، فالإبل التي تحمل الراحلين عنه تشبه شجر الدوم العظام، أو تشبه السفن، أو النخيل:

بَعَيْنِي ظَلْعُنُ الْحَيِّ لَمَّا تَحَمَّلُوا لَدَى جَانِبِ الْأَفْلَاجِ مِنْ جَنْبِ تَيْمُرًا^(١)
فَشَبَّهَتْهُمْ فِي الْأَلِّ لَمَّا تَكَمَّشُوا حَدَائِقَ دُومٍ أَوْ سَفِينًا مُقَيَّرًا
أَوْ الْمُكَرَعَاتِ مِنْ نَخِيلِ ابْنِ يَامِنٍ دُوَيْنَ الصَّفَا اللَّائِي يَلِينُ الْمُشْقَرَا

ويريد الجاهلي أن يعبر عن اشتداد بكائه، فلا يجد صورة أوضح من تشبيه نفسه بمن ينقف ثمر الحنظل، الذي يجعل الدموع تنهمر بشدة:

كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ، يَوْمَ تَحَمَّلُوا لَدَى سَمُرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفٌ حَنْظَلٍ^(٢).

لا يخفى على المتلقي للشعر الجاهلي حرص الشاعر على أن يذكر ما يقدر على ذكره من عناصر الطبيعة، وأن ينقل إلى المتلقي صورة متكاملة لما تقع عليه عيناه من مظاهر الطبيعة من حوله، وإن كان لا مبرر لوجودها في بعض الأبيات، فهي لا تحمل مزيدا من المعاني، وإنما يوردها لتعلقه بالطبيعة، من جهة، ولضيق مساحات الرؤية حوله من جهة أخرى، وهذا الأمر جعله حريصا كل الحرص على التقاط الأشياء المحيطة به. ويظهر ارتباط الجاهلي بالحياة الطبيعية في استقصاء طرفة بن العبد لأوصاف ناقتة، وليس من المعقول أن يسترسل الشاعر في نقل تلك الأوصاف التي لا تخدم الغرض الرئيس في قصيدته، إلا إن كانت تجمعها بتلك الناقاة علاقة مودّة تبدو في عينيه كاملة الأوصاف، وتسعده بالتحدث عنها:

وَإِنِّي لِأَمْضِي الهمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِهِوَجَاءِ مِرْقَالِ تَرُوحٍ وَتَغْتَدِي^(٣)
أُمُونِ كَأَلْوَاكِ الْإِرَانِ نَسَاتُهَا عَلَى لَحَبٍ، كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدٍ
جَمَالِيَّةً، وَجَنَاءَ تَرْدِي كَأَنَّا سَفَنَجَةً تُبْرِي لِأَزْعَرِ أَرْبَدٍ
تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ، وَأَتَبَعْتُ وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدٍ
تَرَبَّعْتُ الْقُضَيْنِ فِي الشُّؤْلِ تَرْتَعِي حَدَائِقَ مَوَلِي الْأَسِرَّةِ أَغْيَدٍ

(١) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط٥، ص ٦٠.

(٢) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط٥، ص ١١١.

(٣) الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ط٢، ص ٢٨.

لقد استرسل طرفة في وصف ناقته استرسال من يتحدث عن الحبيب، فكان نصيب الناقة ما يقرب من ثلاثين بيتا من قصيدته، لم يكد يترك شيئا في الناقة لم يصفه، حتى وصل به الحال إلى وصف قوة السمع لديها، وطريقة مشيها.

بذي خُصِّلَ رَوَعَاتِ أَكْلَفَ مُلْبِدِ
حَفَافِيهِ شُكَا فِي الْعَسِيبِ بِمُسَرِدِ
كَأَنَّهُمَا بَابَا مُنِيفَ مُمَرِدِ
لِتُكْتَنَفْنَ حَتَّى تُشَادَّ بِقَرَمَدِ
وَعَى الْمُلتَقَى مِنْهَا إِلَى حَرْفِ مَبَرِدِ
كَسَبَتِ الْيَمَانِي قَدُهُ لَمْ يُجَرِدِ
بِكَهْفِي حَجَاجِي صَخْرَةَ قَلْتِ مَوْرِدِ
كَمَكْحُولَتِي مَدْعُورَةَ أُمِّ فَرْقَدِ
لَهْمَسِ خَفِي، أَوْ لَصُوتِ مُنَدِّدِ
كَمُرْدَاةِ صَخْرِي فِي صَفِيحِ مُصَمِّدِ
مَخَافَةِ مَلُوي مِنَ الْقَدِّ مُحْصَدِ
وَإِنْ أَدْبَرْتَ قَالُوا تَقَدَّمَ فَاشْدُدِ

تَرِيعُ إِلَى صَوْتِ الْمُهَيْبِ، وَتَتَّقِي
كَأَنَّ جَنَاحِي مَضْرَحِي تَكْنَفَا
لَهَا فَخْذَانِ أَكْمَلَ النَحْضِ فِيهِمَا
كَقَنْطَرَةَ الرَّومِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا
وَجُمُجْمَةً مِثْلَ الْعَلَاةِ، كَأَنَّمَا
وَحْدُ كَقَرْطَاسِ الشَّامِيِّ وَمَشْفَرُ
وَعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَّتَيْنِ، اسْتَكْنَتَا
طَحُورَانِ عُورِ الْقَدَى، فَتَرَاهُمَا
وَصَادَقَتَا سَمْعَ التَّوَجَّسِ بِالسُّرَى
وَأَرْوَعُ نَبَاضٍ، أَحَدُ، مُلَمَّمٍ
وَإِنْ شَتَّتْ لَمْ تُرْقَلْ وَإِنْ شَتَّتْ أَرْقَلَتْ
إِذَا أَقْبَلَتْ قَالُوا تَأَخَّرَ رَحْلُهَا

نجد الاهتمام باستقصاء وصف ما حول الشاعر من مظاهر الطبيعة، وأنواع الحيوان عند امرئ القيس حين يتحدث عن حصانه، فهو يجمع في حصانه أجمل ما يمكن جمعه من الصفات، مقتبسا من مكونات الطبيعة من حوله ما يستطيع أن يقتبسه، وجامعا ما يرى أنه يفي بشرح ما في قلبه من إعزاز لذلك الرفيق الذي لا يخون:

بِمُنْجَرَدِ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ^(١)
كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ
كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُتَنَزِّلِ
وَيُلُوي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثْقَلِ
وَارْخَاءِ سَرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَتْفَلِ

وَقَدْ اغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا
مَكْرَ مَضْرْمُ قَبْلِ مُدْبِرٍ مَعَا
كَمَيْتِ يَزُلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَاذِ مَتْنِهِ
يُزِلُّ الْغُلَامُ الْخَفَّ عَنْ صَهَوَاتِهِ
لَهُ أَيُّطَلَا ظُبِّي وَسَاقَا نَعَامَةٍ

ضَلِيعٌ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ بِضَافٍ فَوْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعَزَلِ

إنّ مظاهر الطبيعة تسيطر على القصيدة كلّها في بعض الأحيان، فهذا امرؤ القيس يتحدث عن طول الليل فيلتفت إلى أركان الطبيعة من حوله، فيصوّر النجوم مشدودات بالحبال إلى الجبال، وحركة الليل البطيئة كالناقة الضخمة الهادئة، وعن لمع البرق في حدّته وخفوته، وعن موقعه الذي رصد منه ذلك البرق على الرغم من انتفاء الحاجة لبيان كثير من تلك التفاصيل، ولكنّها الرغبة في الحديث عن الحبيبة والطبيعة، والالتصاق بالبيئة، وهو يستمر بفعل ذلك حين يصف نزول الغيث، فهو يحدثنا عن المواضع التي أصابها ذلك المطر، ثمّ يصف كيف تكوّنت السيول، ثم يسمّي الأماكن التي تحركت من خلالها تلك السيول، ويصوّر منظر السيل حين يلتفّ حول الجبال، وهكذا يستمر في تصوير الطبيعة من حوله، فيذكر لنا أنّه ارتقى قمةً حادةً مشرفة، تشبه رأس حديدة الرمح، ويتحدث عن حصانه الذي أصابه المطر فيصف هيئته، ويصوّر طريقته في الحركة.

ويستمر امرؤ القيس في اصطحاب الطبيعة من حوله، فإذا به ينتقل فجأة إلى ذكر جدولهِ اليومي في أيام أخرى، غير يوم المطر هذا، ولكنّ الطبيعة لا تفارقه وهو يتحدث عنه، فهو حين يصف خروجه من داره مبكراً لا ينسى أن يقارن ذلك الغدوّ بغدوّ الطير، ثم يحرص على أن يبين على أنّه اصطحب حصانه في ذلك الغدوّ، كلّ ذلك من أجل أن يتيح لنفسه فرصة وصف ذلك الحصان، وبعد أن يشبع رغبته في الحديث عن حصانه يلتفت مرة أخرى إلى ما حوله من المكونات فصوّر الوحش الذي يلقاه في الطريق. وهكذا تمضي قصيدة امرئ القيس مليئة بالمظاهر الطبيعية، وكأنّه رسّام متقن لا يكاد يغفل عن شيء مما تقع عليه عينه:

أَعْنِي عَلَى بَرْقِ أَرَاهُ وَمِيضُ يُضِيءُ حَبِيأً فِي شَمَارِيخِ بِيضِ^(١)
وَيَهْدَأُ تَارَاتِ سَنَاهُ وَتَارَةَ يَنْوُءُ كَتَعْتَابِ الْكَسِيرِ الْمُهِيضِ
قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجِ وَبَيْنَ تِلَاعٍ يَثْلَثُ فَالْعَرِيضِ
أَصَابَ قَطَاتَيْنِ فَسَالَ لَوَاهُمَا فَوَادِي الْبَدْيِ فَانْتَحَى لِلْأَرِيضِ
فَأُضْحَى يَسُحُّ الْمَاءَ مِنْ كُلِّ فَيْقَةٍ يَحُوزُ الضَّبَابَ فِي صَفَاصِفِ بِيضِ
فَظَلْتُ وَظِلَّ الْجَوْنُ عِنْدِي بَلْبِدِهِ كَأَنِّي أَعْدِي عَنْ جَنَاحِ مَهِيضِ

فَلَمَّا أَجَنَ الشَّمْسَ عَنِي غَوَّورُهَا نَزَلْتُ إِلَيْهِ قَائِمًا بِالْحَضِيضِ
يُبَارِي شَبَابَ الرُّمَحِ خَدُّ مَذَلُّقٌ كَصَفْحِ السِّنَانِ الصُّلْبِيِّ النَحِيضِ

إنَّ إيراد هذه التفاصيل الدقيقة للحياة الطبيعية إنما يدلُّ على هذا الارتباط الوثيق بين الشاعر والطبيعة، وعلى كون تلك المظاهر الطبيعية هي المزود الوحيد للشاعر بثقافته الخاصة. الطبيعة هي المنهل الذي ينهل منه الشاعر الجاهلي مهما كان غرضه من بيته الشعري، فهي دليل مواقيت حركته، فامرؤ القيس يريد أن يخبر بأنَّه يخرج باكراً، فلا يجد أقرب دليلاً على إثبات بكوره من مقارنة ذلك البكور ببكور الطير، ويريد أن يصف سرعة جواده فلا يجد أقرب من مقارنة سرعته بسرعة الحيوانات الوحشية الهاربة:

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بَمُنْجَرْدِ عِبَلِ الْيَدَيْنِ قَبِيضِ^(١)
لَهُ قَصْرِيًّا عَيْرٌ وَسَاقًا نَعَامَةً كَفَحْلِ الْهَجَانِ يَنْتَحِي لِلْعُضِيضِ
يَجْمُ عَلَى السَّاقَيْنِ بَعْدَ كَلَالِهِ جُمُومَ عُيُونِ الْحَسَنِ بَعْدَ الْمَخِيضِ
ذَعَرْتُ بِهَا سَرَبًا نَقِيًّا جُلُودَهُ كَمَا ذَعَرَ السَّرْحَانُ جَنْبَ الرَّبِيضِ
وَوَالِي ثَلَاثًا وَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعًا وَغَادَرَ أُخْرَى فِي قَنَاةِ الرَّفِيضِ

من الملاحظ أنَّ عشق الشاعر الجاهلي للحديث عن تفاصيل الطبيعة من حوله، يصرفه أحياناً عن غرضه الرئيسي إلى تفاصيل تبدو غير ذات صلة أحياناً بما يريد أن يقول، فهذا امرؤ القيس حين يتحدث عن الحمر الوحشية يتَّجه إلى الحديث عن احتياجها للماء، وكيف أنَّ التجارب علَّمتها أنَّ الصيادين يختارون الانتظار حول موارد المياه، فهي تخاف على أنفسها من المتربِّصين عند الماء، فيأخذ في شرح خوفها الذي يصرفها عن (ماء الشريعة) القريب الذي يكثر حوله الصيادون، وقصدها إلى ماء آخر لعله يكون أكثر أماناً، ولكنَّ امرأ القيس لا يكتفي بذلك، بل يغرق في التفاصيل الطبيعية، وكأنَّه يسلط عدسة تصوير تلتقط كل شيء، فإذا به ينصرف عن غرضه الأساسي حتى يصل به الأمر إلى وصف الطحالب الطافية على ذلك الماء الذي يغشاه الظل:

فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ هَمَّهَا وَأَنَّ الْبَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دَامِي^(٢)
تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الَّتِي عِنْدَ ضَارِحٍ يَفِيءُ عَلَيْهَا الظَّلُّ عُرْمُظْهَا طَامِي

(١) مرجع سابق، ص ١١٨.

(٢) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط ٥، ص ١٦٢.

والإصرار على ذكر تفاصيل الطبيعة، أو التلذذ بالحديث عنها مقصود لا عارض، فامرؤ القيس في قصيدة أخرى يكرر الوصف الذي لا فائدة منه في إيصال المعنى، وإنما تكون فائدته الوحيدة في إرضاء روحه المتعلقة بتفاصيل الطبيعة من حوله:

وَلَيْلَ كَمْوَجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي^(١)
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِجَوْزِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكُلِّكَ
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِ بَصُوحٍ، وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلُ شُدَّتْ بِبَيْذُلِ
كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِقَتْ فِي مَصَابِهَا بِأَمْرَاسٍ كَتَانٍ إِلَى صَمِّ جَنْدَلِ

يلحظ القارئ أنَّ البيت الأخير ليس إلا تكراراً للبيت الذي قبله، فليس فيه زيادة معنى، فالثريا من النجوم التي تحدث عنها، والأمراس هي الحبال المفتولة التي ذكرها في البيت السابق، وصم الجنادل تأتي بمعنى يذبل الجبل المكوّن من الصخور. ويؤكد ما ساقته الدراسة عن تعلق الجاهلي بالطبيعة حرص عبيد بن الأبرص على حشد مظاهر الطبيعة في وصفه لدموعه، فيورد أربعة أنواع من تلك المظاهر ليشبه الدموع بها، بينما كانت تكفيه واحدة منها، ولكنه الحرص على استحضار الطبيعة في الشعر، واستعذاب الحديث عنها:

عَيْنَاكَ دَمْعُهُمَا سَرُوبٌ كَأَنَّ شَاشَانِيَهُمَا غَرُوبٌ^(٢)
أَوْ جَدُولٌ فِي ظِلَالِ نَخْلٍ لِمَاءٍ مِنْ تَحْتِهِ سُكُوبٌ
وَاهِيَةٌ أَوْ مَعِينٌ مُمَعِنٌ مِنْ هَضْبَةٍ دُونَهَا لُحُوبٌ
أَوْ فَلَجٌ مَاءٍ بِبَطْنٍ وَادٍ لِمَاءٍ مِنْ تَحْتِهِ قَسِيبٌ

فعبيد يشبّه دموعه بالماء المتسرب من القربة الواهية، ثم لا يكتفي بذلك، بل يسترسل في عرض صور أخرى من التشبيه، فيشبّه دموعه بمعين الماء، ثم يحرص على أن يستكمل صورة ذلك المعين حين يختار الماء الذي ينحط من مكان مرتفع، ثم لا يشفي غليله ذلك التشبيه فينتقل إلى وصف تلك الدموع بأنها تشبه النهر الصغير، ثم يستحضر صورة تشبيهية رابعة فيشبّه تلك الدموع بالجدول الذي ينساب في ظلال النخيل. والمتلقي لأبيات عبيد يعلم أنَّ الصورة تكتمل بواحد من تلك التشبيهات، ولكن

(١) مرجع سابق، ص ١١٧.

(٢) عدرة، شرح ديوان عبيد بن الأبرص، ص ١٧.

تعلق الجاهلي بالطبيعة يجعله يتلذذ بالحديث عنها، فلا عجب أن يكثر الجاهليون من الانغماس في تلك اللذة.

لم يفتح الشاعر الجاهلي على كثير من العلوم، ولم تكن لديه تجارب في ظروف بيئية مختلفة، ولم ينشأ على شيء كثير من القصص الخيالية والأساطير، لذلك كله نجده لا يذكر شيئاً في شعره مثل ذكره للطبيعة، فهذا جاهلي آخر يتشوق إلى أرضه، جبالات، وحيوانات، وطيورا، بل إنه يؤكد أن الحنين إليها لم يطله وحده، بل طال ناقته أيضاً، يقول لقيط بن معمر الإيادي:

تَحَنُّنٌ إِلَى أَرْضِ الْمُغَمَّسِ نَاقَتِي وَمِنْ دُونِهَا ظَهَرَ الْجَرِيبِ وَرَاكِسُ^(١)
فِيَا حَبِذَا أَعْلَامُ بَيْشَةَ وَاللَّوَى وَيَا حَبِذَا أَخْشَافُهَا وَالْجَوَارِسِ

وهذا لبيد بن ربيعة يتحدث عن الأحباب الذين انتقلوا، فلا يسترسل في وصف شوقه استرساله في استلها مظاهر الطبيعة من حوله، فأخذ يشبه الطاعنين بالغلزلان تارة، وبأشجار الأثل تارة:

شَاقَتَكَ ظُفْعُنُ الْحَيِّ، حِينَ تَحْمَلُوا فَتَكَنَسُوا قُطْنًا تَصِرُ خِيَامُهَا^(٢)
زَجَلًا، كَأَنَّ نَعَاجَ تَوْضَحَ فَوْقَهَا وَظَبَاءَ وَجَرَّةَ عُطْفَا أَرَامُهَا
حُفَزَتْ وَزَايِلُهَا السَّرَابُ كَأَنَّهَا أَجَزَاعُ بَيْشَةَ أَثْلُهَا وَرِضَامُهَا

لأن الطبيعة مؤثرة في حياة الجاهلي، فليس من العجيب أن نجده يفتخر بما يجده في دياره من موارد طبيعية معينة على العيش، فالأرض التي تمنح ماءها لأهلها دون عناء حفر الآبار، ونزع الدلاء، هي خير البلدان، والعيش فيها يدعو للفخر:

مَاؤُنَا الْفَيْضُ لَا يَعَذُّبُنَا الْقَيْظُ وَلَا النَّزْعُ بِالرِّشَاءِ الْمُغَارِ^(٣)

وتستمر الأبيات الشعرية الجاهلية شاهدة على أن البيئة تحتل مساحة كبيرة من وجدان الجاهلي، ولولا ذلك فما الداعي لأن يتحدث العاشق المفارق عن تفاصيل بيئة لا حاجة لذكرها في نصّه، وخاصة وهو في خضم حديثه عن الشوق الذي يكابده، والألم الذي يعتصره، وهي عادة جرى عليها شعراء الجاهلية في جنوب الجزيرة، وذلك

(١) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ١٦٢/٥.

(٢) طماس، ديوان لبيد بن ربيعة، ط ١، ص ١٠٨.

(٣) العدوان، والدليمي، ديوان ذي الإصبع العدواني، د ط، ص ٧٨.

ينسحب أيضا على المواعظ والحكم، فهذا قس بن ساعدة يتحدث عن متاع الدنيا القليل، ويذكر السامعين بأن الموت قريب، وأنه لا خلود على الأرض، ولكنه مع ذلك لا يركز على أهدافه في النصح، بل ينصرف إلى مظاهر الطبيعة فينغمس في وصفها، فهو لا يكتفي بإيراده لحركة الشمس شروفاً وغروباً في قوله:

مَنَعَ الْبَقَاءَ تَقَلُّبُ الشَّمْسِ وَطُلُوعُهَا مِنْ حَيْثُ لَا تَمْسِي^(١)

هذا معنى مكتمل الأركان، موصل للرسالة الوعظية التي أرادها قس، ولكن قساً على عادة الجاهليين يندمج في التفاصيل التي لا تضيف إلى المعنى شيئاً ذا بال، فيأخذه التصاقه بالطبيعة إلى وصف لون الشمس حين تطلع وحين تغرب دون أن تكون هناك حاجة لذلك شعرياً:

وَطُلُوعُهَا بَيَاضاً صَافِيَةً وَغُرُوبُهَا صَفَرَاءَ كَالْوَرَسِ^(٢)

وعلى الطريقة ذاتها يسعى السليك بن السلكة، إذا لا ينسى أن يصطحب معه عناصر الطبيعة في سعيه إلى ما يسعى إليه الصعاليك، فلا ينسى عصافير الأودية ما بين جاش في منطقة عسير ومأرب اليمنية، ولا ينسى أن ينقل صورة لصاحب الكلاب الذي يصطحب كلابه:

أَمُعْتَنَقِي رَيْبُ الْمُنُونِ وَلَمْ أَرُغْ عَصَافِيرَ وَادٍ بَيْنَ جَاشٍ وَمَأْرَبٍ
وَأَذْعَرُ كَلَاباً يَقُودُ كِلَابَهُ وَمَرْخَةً لَمَّا أَقْتَبَسَهَا بِمِقْنَبٍ

هذا الاسترسال في استلهاام الطبيعة بمظاهرها المختلفة يبدو صفة عامة في شعراء جنوب الجزيرة، فهذا حاجر الأزدي يصف سرعة جريه، فلا يكتفي بتشبيه نفسه بالغزال، وقد كان ذلك يكفيه للتدليل على سرعته الفائقة، وإنما يندمج في الطبيعة ويتعمق، ليشبه سرعته بالأرنب تارة، ثم يعود إلى الظباء فيشبه سرعته بسرعة أنثى الغزالان تارة أخرى:

وَكَأَنَّمَا ابْتَعَثَ الْفَوَارِسُ أَرْنبًا أَوْ ظَبْيَ رَابِيَةً خُفَافًا أَشْعَبًا^(٣)
وَكَأَنَّمَا طَرَدُوا بِجَنَبِي عَاقِلٍ صَدْعًا مِنَ الْأُرْوَى أَحْسَ مُكَلَبًا

(١) الربيعي، قس بن ساعدة الإيادي، حياته، خطبه، شعره، د ط، ص ٤٠٧.

(٢) مرجع سابق، ص ٤٠٧.

(٣) خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ط ٢، ص ٢٢٣.

أَعَجَزْتُ مِنْهُمْ وَالْأَكْفُ تَنَالْنِي وَمَضَتْ حَيَاضُهُمْ وَأَبُوا خِيَبَا

فلا شيء يضيفه إكثار حاجز الأزدي من أنواع المشبه به، إلا رغبته في نقل صور الطبيعة من حوله، وأما المعنى فقد كان يكفيه أن يشبه بواحدة مما أورد.

ب - تخليد أسماء الأماكن:

خلد شعراء جنوب المكان، وتقننوا في حشد أسماء المواضع، وكأنهم يعلنون مرة بعد مرة تعلقهم بها، وكأنهم يتلذذون بذكرها تلذذ الحب العاشق. فامرؤ القيس يخلد الدخول وحومل، وتوضح، والمقرة، إلى جانب غيرها من الأماكن التي حل فيها، جاء ذلك في كثير من قصائده فهو يبدأ معلقته على عادة الجاهليين بذكر المكان:

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذَكَرَى حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ بِسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ^(١)
فَتُوضِحُ فَالْمَقْرَةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لَمَّا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ

ثم يتنقل في الأغراض غزلاً، ووصفاً، وافتخاراً، ولكنه ما يلبث أن يعود إلى المكان فيذكره ذكر الحب المولع، ويحدده تحديد المستمتع باستعراضه، فيذكر البرق، ثم كيف أضاء ذلك البرق السحاب، ثم يصل إلى غايته من استعذاب ذكر الأماكن فيقول:

عَلَى قَطْنَا بِالشَّيْمِ أَيْمَنْ صَوْبِهِ وَأَيْسَرُهُ عَلَى السَّتَارِ فَيَذْبُلُ^(٢)
وَأَلْقَى بَبَيْسَانَ مَعَ اللَّيْلِ بَرَكَهُ فَأَنْزَلَ مِنْهُ الْعَصَمَ مِنْ كُلِّ مَنْزِلٍ
وَمَرَّ عَلَى الْقَنَانِ مِنْ نَفْيَانِهِ فَأَنْزَلَ مِنْهُ الْعَصَمَ مِنْ كُلِّ مَنْزِلٍ
وَتَيْمَاءَ لَمْ يَثْرُكْ بِهَا جَذَعُ نَخْلَةٍ وَلَا أَطْمَأَ إِلَّا مَشِيداً بَجَنْدَلٍ
كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينَ وَبَلِّهِ كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ
كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْمُجِيمِرِ عُدْوَةٌ مِنْ السَّيْلِ وَالْأَغْشَاءِ فَلَكَّةَ مَغْزَلٍ

ويمارس لبيد بن ربيعة الاستعذاب ذاته، ويسير على النهج نفسه فيقول:

عَضَّتِ الدَّيَّارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا بَمَنْى تَأْبَدَ غَوُّهَا فَرَجَامُهَا^(٣)
فَمَدَافِعُ الرِّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا خَلَقًا كَمَا ضَمِنَ الْوُحْيُ سِلَامُهَا

(١) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط ٥، ص ١١٠.

(٢) مرجع سابق، ص ١٢١.

(٣) طماس، ديوان لبيد بن ربيعة، ط ١، ص ١٠٧.

دَمَنْ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أَنْيْسِهَا حَجَّجْ خَلَوْنَ حَالِئُهَا وَحَرَامُهَا

ويتنقل في الأغراض مصطحبا أسماء الأماكن، فلا يكتفي حين يشبه بذكر المشبه به فقط، بل يتجاوزهُ إلى المكان الذي يحل فيه ذلك المشبه به، فالنعاج نعاج توضح، والطباء طباء وجرة، والشجر شجر بيشة، وهكذا يمضي في إصرار عجيب على ذكر أسماء الأماكن، فيذكر فيد، والحجاز، والجبلين، ومحجر، وفردة، ورخام، وصوائق، ومظنة، ووحاف القهر، وطلخام، وغيرها:

شَاقَتَكَ ظُعْنُ الْحَيِّ، حِينَ تَحْمَلُوا زَجَلًا، كَأَنَّ نَعَاجَ تُوَضِّحُ فَوْقَهَا
فَتَكْنَسُوا قُطْنًا تَصِرُ خِيَامُهَا^(١) وَطِبَاءَ وَجَرَّةَ عُطْفَا أَرَامُهَا
حُفَزَتْ وَزَايِلُهَا السَّرَابُ كَأَنَّهَا أَجْزَاعُ بِيْشَةٍ أَثْلُهَا وَرَضَامُهَا
بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نَوَارٍ، وَقَدْ نَأَتْ وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وَرَمَامُهَا
مُرِيَّةٌ، حَلَّتْ بِفَيْدٍ، وَجَاوَرَتْ أَهْلَ الْحَجَازِ، فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا
بِمَشَارِقِ الْجَبَلَيْنِ، أَوْ بِمُحَجَّرٍ فَتَضَمَّنَتْهَا فَرْدَةٌ، فَرَخَامُهَا

ويعدد طرفة الأماكن تعداد العاشق لذكرها:

أَتَعْرِفُ رَسْمَ الدَّارِ قَفْرًا مَنَازِلَهُ كَجَفْنِ الْيَمَانِيِّ زَخْرَفَ الْوَشِيِّ مَائِلُهُ^(٢)
بِتَثْلِيثٍ أَوْ نَجْرَانٍ أَوْ حَيْثُ نَلْتَقِي مِنَ النُّجْدِ فِي قِيْعَانٍ جَاشٍ مَسَائِلُهُ

ويحضر المكان في بيت أوس بن حجر التميمي وهو يذكر قومه بالعهود. وإنَّ التفصيل في ذكر المكان ليلفت انتباه المتلقي، فالمكان هو ذو الرَّمْث، لكنَّ الشاعر لا يكتفي بذلك مع كونه كافياً لإيضاح ما يريد، ولكنه يحدد بدقة المكان فيذهب إلى ذكر المكان العام وهو وادي تباله:

بَكَيْتُمْ عَلَى الصُّلْحِ الدُّمَاجِ وَمِنْكُمْ بِذِي الرَّمْثِ مِنْ وَادِي تَبَالَةٍ مِقْنَبُ^(٣)

ويرد المكان لديه في موضع آخر، فهو حين يريد أن يمدح بيذاً بتحديد مكانه، وكأنَّ المديح سيكون أكثر إقناعاً إن علم الممدوح مكان المادح، ثم لا يكتفي بذلك، بل يحدد مكان الممدوح وكأنَّ النصَّ في حاجة إلى ذلك التحديد، كل ذلك إنما يثبت تعلق الجاهلي

(١) طماس، ديوان لبيد بن ربيعة، ط١، ص١٠٨.

(٢) الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ط٢، ص١٢٦.

(٣) نجم، ديوان أوس بن حجر، ط٢، ص٧.

بالمكان، واستعذابه الحديث عنه، وكأنَّه توجَّه عامُّ قصد من خلاله الشعراء الجاهليون إلى تخليد أسماء المواطنين التي عاشوا فيها:

سَأُهِدِي وَإِنْ كُنَّا بِتَثْلِيثٍ مَدْحَةٍ إِلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بُيُوتُكَ لَعَلْعَاً^(١)

وشعراء جنوب الجزيرة (سراة وتهامة) يميلون إلى تعداد الأماكن، وكأنَّ لكل مكان من تلك الأماكن حقاً عليهم لا يريدون أن يبخسوه إياه، فالشاعر ثعلبة بن غيلان الإيادي يريد الحديث عن اشتياقه وناقته إلى المغمَّس، فيبدأ برسم الطريق الذي سينتقل عبره ذلك الشوق ليصل إلى ذلك المكان، فهو سيمرُّ على مواضع منها الجريب، وراكس، ثم حين يتمنى المكان لا يكتفي بذكر الاسم العام للمكان، بل يفصّل في عرض الأمنيات، فيتمنى الجبال، والطير، والوحش:

تَحْنُ إِلَى أَرْضِ الْمُغَمَّسِ نَاقَتِي وَمِنْ دُونِهَا ظَهَرُ الْجَرِيبِ وَرَاكْسُ^(٢)
فِيَا حَبِذاً أَعْلَامُ بَيْشَةَ وَاللَّوَى وَيَا حَبِذاً أَجْشَامُهَا وَالْجَوَارِسُ

وهذا الاحتفاء بذكر الأماكن خلّدها، وأعان المتأخرين على معرفتها، فالشاعر زهير الغامدي حين خلّد بلدة دوقَة أتاح لها أن تبقى خالدة في أذهان الدارسين، وهي بلدة جنوبية صغيرة، ربما لولا بيت زهير لما عرف المتأخرون أنَّها تسمية قديمة، ودوقَة بلدة تهامية تقع جنوب مكة:

أَعَاذَلْنَا مِنَ الْمَصْلُوتِ خَالَئَهُم كَأَنَّا وَإِيَاهُمْ بِدَوَقَةٍ لَاعِبِ^(٣)

ويبدو النابغة الجعدي مغتبطاً بالمكان، حريصاً على ملء بيته بأسماء الأماكن التي يحمل لها الكثير من الحب، ومذكراً بأنَّ تلك الأماكن غنيّة بالفرسان الشجعان:

جَلَبْنَا مِنَ الْأَكْوَارِ وَالسَّيِّ وَالْقَفَا وَبَيْشَةَ جَيْشاً ذَا زَوَائِدَ جَحْفَلَا^(٤).

وهذا التمسك بذكر المكان يشعر الدارس للشعر الجاهلي الجنوب (التهامي والسروبي) بذلك الارتباط الوثيق بين الشعراء والأماكن، فهذا النابغة الجعدي لا يكتفي بالإشارة إلى إجلالهم لخثعم الجنوبية الخالصة، التي لا يختلف الناس على جنوبيتها،

(١) الجاحظ، البيان والنبين، د ط، ص ٢١٠.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ط ٢، ١٦٢/٥.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ٤٨٥/٢.

(٤) الصمد، ديوان النابغة الجعدي، ط ١، ص ١٣١.

ولو اقتصر على ذلك لفهم الناس ما أراه، ولكن النابغة يأبى إلا أن يذكر وادي ترح، وإقليم عثر، ثم يزيد بذكر نجران:

وَنَحْنُ أَزْلُنَا خَشْعَمًا عَنْ دِيَارِهَا فَزَالَتْ وَكَانَتْ أَهْلَ تَرْجٍ وَعُثْرًا^(١)
وَقَدْ عَلِمْتَ عَلِيًّا مَعْدً بِلَاءِنَا وَنَجْرَانَ زَرْنَا بِاللِّهَامِيمِ ضَمْرًا

وإيراد أسماء الأماكن بكثافة، ممارسة يلتزم بها أوس بن حجر في تغزله، وكأنما يؤكد على ذلك التلازم الوثيق بين الجاهلي ومحيطه المكاني، فهو يحشد أسماء ثلاثة عشر مكاناً في ثلاثة أبيات:

تَنَكَّرَ بَعْدِي مِنْ أُمَيْمَةٍ صَائِفُ فَبِرْكُ فَأَعْلَى تَوَلَّبَ فَاَلْمَخَالِفُ^(٢)
فَقُوْ قَرْهَبِي فَالسُّلَيْلُ فَعَاذِبُ مَطَافِيلُ عُوذِ الْوَحْشِ فِيهَا عَوَاطِفُ
فَبَطْنِ السُّلَيْيِّ فَالسَّخَالُ تَعَذَّرْتُ فَمَعْقَلَةٌ إِلَى مُطَارٍ فَوَاخِفُ

وفي استعراضه لأحزانه على فقد كليب يمارس المهلهل المنهج ذاته، فيحدد الأماكن التي كانت شاهدة على تلك التجربة المريعة، بل يكرر ذكرها في أكثر من موضع من قصيدته، دون أن يضيف ذلك التكرار إلى المعنى شيئاً جديداً:

أَلَيْلَتْنَا بِذِي حُسْمٍ أَنِيرِي إِذَا أَنْتَ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي^(٣)
فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَائِبِ طَالُ لَيْلِي فَقَدْ أَبْكِي مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ
فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ بِوَارِدَاتِ بُجَيْرًا فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ

ويؤكد عمرو بن معدي كرب الزبيدي هذا التعلق بالمكان، فيحشد في بيتين أسماء ثمانية مواضع، فإذا بأحد البيتين يتكوّن كاملاً من أسماء الأماكن، لا تفصلها إلا حروف العطف والجر:

لَقَدْ أَحْمَيْتُ ذَاتَ الرُّوْضِ حَتَّى تَرَبَّعَهَا أَذَاحِي النَّعَامِ^(٤)
يُسَيِّرُ بَيْنَ خَطْمِ اللُّوْذِ عَمْرُو فَلَوْذَ الْقَارَتَيْنِ إِلَى بَرَامِ
فَصَفَحَ حَبُونِنِ فَخَلِيفِ دُكْمِ فَخَلَّ إِلَى رَنِينِ إِلَى بَشَامِ

(١) مرجع سابق، ص ٧٣.

(٢) نجم، ديوان أوس بن حجر، ط ٣، ص ٦٣.

(٣) مرجع سابق، ص ٣٨.

(٤) الطرايبشي، شرح عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ط ٢، ص ١٦٢.

ويكاد حاجر الأزدي يرسم خريطة واضحة للمكان الذي قصده وذلك لتعلقه به، فجبال ترج أمامه، والجبال السود خلفه، وجبال خندف والبهيم عن شماله، وهو احتفاء واضح بالمكان، إلى درجة جعلته لا يكتفي بذكر معلم واحد عن شماله، بل أصر على إيراد كل ما يمكنه من المعالم:

وَلَمَّا أَنْ بَدَتْ أَعْلَامُ تَرْجٍ وَقَالَ الرَّابُّانُ بَدَتْ رَتُومٌ^(١)
وَأَعْرَضَتْ الْجِبَالُ السُّودُ خَلْفِي وَخَنَدَفٌ عَنْ شِمَالِي وَالْبَهِيمُ

وسلك طفيل الغنوي ذات المسلك، فجمع في بيت واحد أماكن عدة فقال:

وَقَدْ حَلَّ بِالْجَفْرَيْنِ جَفْرُ تَبَالَةٍ فَتَرْجٍ فَتَنْهِي فَالشُّرُجُ الْقَوَابِلُ^(٢)

ويغري الولع بالمكان حميد بن ثور الهلالي، فيعدد مراتع صباه:

إِذَا شَتَّتْ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بَيْشَةٍ أَوْ النُّخْلُ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ بَيْنَئِمَا^(٣)
ويغري ربيعة بن مقروم بالفعل ذاته؛ فيقول:

تَجَانَفَ عَنْ شَرَائِعِ بَطْنِ قَوٍّ وَحَادَ بِهَا عَنْ السَّبْقِ الْكَرَاعِ^(٤)
وَأَقْرَبَ مَوْرِدٍ مِنْ حَيْثُ رَاحَا أَثَالُ أَوْ غَمَازَةٌ أَوْ نَطَاعُ

وي فعل ذلك ذو الإصبع العدواني، فيستعذب أسماء مساكن القبيلة:

إِنَّ دَارِي بِمَرْهَبٍ فَبَصْعَرٍ فَمَعُورٌ فَوَخْدَةٌ فَالْمَرَارِ^(٥)
وَلَنَا مَنْزِلٌ بَرْقَبَةٍ لَا يُسْمَعُ فِيهِ تَهَادِي الْأَخْبَارِ
مَنْزِلٌ أَحْرَزَ الْحَوَاضِنُ فِيهِ كُلُّ قَرْمٍ مُتَوَجِّجٌ جَبَّارِ
ثُمَّ بِالْفَرْعِ قَدْ نَزَلْنَا قَبِيلًا دَارَ صِدْقٍ قَلِيلَةَ الْأَقْذَارِ^(٦)

(١) البكري، معجم ما استعجم، ط ٢، ١٣٨.

(٢) مرجع سابق، ٣٠٩/١.

(٣) حرفوش، ديوان ربيعة بن مقروم الضبي، ط ١، ص ٣٥.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ط ٢، ٢٠٩/٤.

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ط ١، ص ١٢٣.

(٦) مرجع سابق، ص ١٢٣.

وعلى النسق ذاته ينسج عبید بن الأبرص لوحة لفظية يشبع فيها نهم الجاهلي إلى المكان:

أَقْرَمَ مِنْ مَيَّةِ الدَّوَاغِ مِنْ	خَبْتُ فَلْبَنَى فَيَحَانَ فَالْرَجَلِ ^(١)
فَالطَّلَبُ فَالْحَدُّ مِنْ تَبَالَةٍ لَا	عَهْدَ لَهُ بِالْأَنْيَسِ مَا فَعَلُوا
فَالْقَطَبِيَّاتِ فَالْدَكَادُ فَالْهَيْجُ	فَأَعْلَى هَبِيرَةِ السَّهْلِ
فَالطَّلَبُ فَالْحَدُّ مِنْ تَبَالَةٍ لَا	عَهْدَ لَهُ بِالْأَنْيَسِ مَا فَعَلُوا

٣. مقتطفات من التاريخ الاجتماعي والأدبي والفني في شعر جنوب الجزيرة العربية:

أ - صور من الحياة الاجتماعية:

إنَّ المتأمل في الصورة التي نقلها الشعر الجاهلي عن حياة الجاهليين ليرى بوضوح أنَّ حياة ذلك الإنسان كانت بعيدة عن الصورة التي رسمها كثيرٌ ممن كتب العصر الجاهلي قديماً، وحديثاً، وهذه الدراسة تأخذ على أولئك أنَّهم لم يمنحوا الشعر الجاهلي فرصة إظهار الحقائق حول تلك الحياة، مع اعترافهم بأنَّ الشعر الجاهلي هو أصدق مصادر المعرفة التي يصدق حكمها على ذلك العصر. فأولئك الذين رأوا أنَّ الإنسان الجاهلي فقير يكاد يميته فقره، لم يلتفتوا إلى قول النَّابِغَةِ الجعدي يصف كميَّة الفضة التي توضع زينة للسيوف، وهذا - بلا شك - يدل على مظهر من مظاهر حسن المعيشة في العصر الجاهلي.

نَحْلِي بِأَرْطَالِ اللَّجَيْنِ سَيُوفَنَا وَنَعْلُو بِهَا يَوْمَ الْهَيَاكِ السَّنَوْرَا^(٢)
بينما يذكر عمرو بن معدي كرب أنَّهم يستخدمون أنواع الطيب، وخلاصة الورد، وذائب العسل، من أجل تحسين رائحة الخمر، أو تحسين طعم الماء، والطعام، وهذا بلا شك مستوى لا يعتني به الفقراء الذين يسعون إلى قوت يومهم:

وَكَأَنَّ طَعْمَ مُدَامَةِ جَبَلِيَّةٍ بِالمسك والكافور والرَّيْحَانِ^(٣)
وَالشَّهْدَ شَيْبَ بَمَاءٍ وَرْدٍ بَارِدٍ منها على المتنفس الوهْنَانِ

(١) مرجع سابق، ص ٩٠.

(٢) الصمد، ديوان النَّابِغَةِ الجعدي، ط ١، ص ٧١.

(٣) الطرايبشي، شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ط ٢، ص ١٧٠.

وطرفة يذكر طرفاً من حلية النساء في ذلك العصر، وهو دليل على أنَّهن كنَّ يعشن حياة فيها من الاستقرار، والرفاهية، ما غفل عنه كثير من المهتمين، كيف لا يكون ذلك وهنَّ يتحلين باللؤلؤ، والزبرجد، وهذا يعني أنَّهن يعشن مستوى رفيعاً من الترف:

وفي الحيّ أحوى ينفض المرد شادنٌ مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد^(١)

١ - الدين:

مارس الجاهليون في جنوب الجزيرة العربية (تهامة وسراة) ما مارسه أقرانهم في بيئات الجزيرة الأخرى من طقوس دينية، وبعثوا رسائل شعرية تتعلق باعتقاداتهم الدينية، التي تراوحت بين الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى، ودعاء الآلهة الأخرى التي اتخذوها لتقربهم إلى الله بزعمهم، وهي آلهة تتراوح بين الأصنام التي يتم تشكيلها على هيئات مقصودة، والأنصاب التي لا تتجاوز كونها هياكل صخرية لم تمتد إليها الأيدي بالتشكيل، وغيرها من المعبودات.

وقد ورد ذكر الله في شعر شعراء السرويين والتهاميين، تارة لا يذكر معه غيره في النص، وتارة تذكر معه آلهة أخرى على سبيل التعدد، وأحياناً يذكر الله وتذكر معه الآلهة الأخرى، ولكن مع إيضاح أن الله سبحانه أعز وأعلى، وأصدق، وأعظم. ومن الملاحظ أن تبعية عرب جنوب الجزيرة العربية لتلك الأصنام لم تكن تمنعهم من اتخاذ قراراتهم الشخصية، مهما كانت قرارات ألتههم - كما يظنون - تلك النتيجة التي يتوصلون إليها من خلال طقوس الاستقسام بتلك الأصنام، وخاصة إذا جاءت نتيجة الاستقسام مخالفة لما يريدون، ومن أمثلة ذلك قصة امرئ القيس وذی الخلصة، حيث عصى الشاعر صنمه وقال:

لَوْ كُنْتَ يَا ذَا الْخُلُصِ الْمُؤْتُورَا مثلي وَكَانَ شَيْخُكَ الْمُقْبُورَا^(٢)
لَمْ تَنْهَ عَنْ قَتْلِ الْعُدَاةِ زُورَا

ويتضح من النص أن امرأ القيس لا يكتفي بالعصيان، بل يصرح بأن صنمه كاذب، وباطل. وجاء في ديوان امرئ القيس ما يدل - إن صحّت نسبة الأبيات - على معرفته بأن الله سبحانه هو المتصرف في شؤون عباده، ولعل ذلك من أسباب عدم اهتمامه بذی الخلصة، وشكّه في أمره، بل وتكذيبه له:

(١) الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ط٢، ص ٢٠.

(٢) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط٥، ص ١٢.

تِلْكَ السَّحَابُ إِذَا الرَّحْمَانُ أَرْسَلَهَا رَوَى بِهَا مِنْ مُحُولِ الْأَرْضِ أَبِي بَسَا^(١)

لكن الباحث يشك في نسبة البيت إلى امرئ القيس، أو أن تكون لفظة (الرحمن) بديلة للفظلة أخرى كانت في البيت، إذا لم نجد هذه اللفظة في الشعر الجاهلي من قبل.

ويقول:

والله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرحل^(٢)

فهذه إشارات لا لبس فيها إلى بقاء شيء من العقيدة الصحيحة في نفوس جاهليي السروات وتهامة، رغم ما لحق بتلك العقيدة من تصورات جاهلية وثنية.

يظهر التوحيد الخالص في معلقة عبيد بن الأبرص، إذ يتحدث عن الإله الواحد الذي لا شريك له، وهو الذي لا يخيب سائله، والذي يدرك به الخير، ومثل هذه الأفكار الإيمانية ربما شككت الباحثين في أنها ربما تكون أضيفت من قبل الرواة، والباحث يرى أن شك الباحثين في محله:

مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ يَحْرُمُوهُ وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ^(٣)
وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ فِي تَكْذِيبِ طُولُ الْحَيَاةِ لَهُ تَغْذِيبُ
بِاللَّهِ يُدْرِكُ كُلَّ خَيْرٍ، وَالْقَوْلُ فِي بَعْضِهِ تَلْغِيبُ
بَلْ رَبُّ مَاءٍ وَرَدْتُ أَجِنَ سَبِيلُهُ خَائِفٌ جَدِيبُ

كذلك يظهر تعظيمهم للبيت الحرام في مثل قول خدّاش بن زهير:

فَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغْنِي ... عَقِيلًا إِذَا لَاقَيْتَهَا، وَأَبَا بَكْرٍ سَبِيلُهُ خَائِفٌ جَدِيبُ^(٤)
بِأَنْتُمْ مَنْ خَيْرَ قَوْمٍ لِقَوْمِكُمْ عَلَى أَنْ قَوْلًا فِي الْمَجَالِسِ كَالْهَجَرِ
دَعُوا جَانِبًا أَنَا سَنَنْزِلُ جَانِبًا لَكُمْ وَاسْعَا، بَيْنَ الْيَمَامَةِ وَالْقَهَرِ
كَأَنْتُمْ خُـبِرْتُمْ أَوْ عَلِمْتُمْ مَوَالِي مَمَّنْ لَا يَنَامُ، وَلَا يَسْرِي
كَذَبْتُمْ، وَبَيْتَ اللَّهِ، حَتَّى تُعَالَجُوا قَوَادِمَ حَرْبٍ لَا تَلِينُ وَلَا تَمْرِي

(١) مرجع سابق، ص ٨٣.

(٢) عبد الشايف، ديوان امرئ القيس، ط ٥، ص ١١٣.

(٣) عدرة، شرح ديوان عبيد بن الأبرص، ط ١، ص ٢٢.

(٤) الجبوري، شعر خدّاش بن زهير، د ط، ص ٧٩.

ويرى المتأمل أنّ الإشراف بالله لدى بعضهم لا لبس فيه، فهذا أوس بن حجر يشرك بالله ويمجد اللات والعزى، مع يقينه بأن الله أكبر منها، ولكنها الروح الجاهلية التي انحرفت عن توحيد الله جل وعلا:

وباللات والعزى ومن دان دينها وبالله إن الله منهن أكبر^(١)

وبالحجارة المنصوبة يقسم بعضهم، فهذا عمرو بن جابر أحد بني الحارث يقول:

حلفت غطيفاً لا تنهه سربها وحلفت بالأنصاب ألا يرعدا^(٢)

وتشير قصائدهم إلى ضعف قناعتهم بما يمارسونه من طقوس شركية، ويتساءل الإنسان ما الذي يدفعهم إلى التمسك بتلك العادات التي يتضح أنهم غير مقتنعين بها، بل كانوا يصرّحون بأنهم يعلمون أنها طقوس لا تعود عليهم بنفع ديني ولا دنيوي، يقول ابن أبي حلاس الكلبي وقد نفرت ناقته حين أفزعته الذبائح عند أحد الأنصاب:

نَفَرْتُ قَلُوصِي مِنْ عَتَائِرِ صُرَعَتِ حَوْلَ السَّعِيرِ تَزُورُهُ ابْنَا يَاقِدِ^(٣)

وجموعٌ يَذْكُرُ مُهْطِعِينَ جَنَابَهُ مَا إِنْ يُجِيرُ إِلَيْهِمْ بِتَكَلَّمَ

ومع ذلك كانوا يمارسون تلك العادات خوفاً أو طمعاً، حيث تحدّث شعراء جنوب الجزيرة العربية (تهامة وسراة) عن نوع من القربات التي كانوا يمارسونها في شهر رجب، فذكروا الترقيب وهو ذبح الهدي على الأنصاب، وفي شعر سلامة بن جندل صورة لآثار سيل الدماء على الأنصاب:

يَوْمَانِ يَوْمُ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَةِ وَيَوْمُ سَيْرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيْبِ^(٤)

وَكُرْنَا خَيْلَنَا أَدْرَاجَهَا رُجْعاً كُسَّ السَّنَابِكُ مِنْ بَدءٍ وَتَعْقِيْبِ

وَالْعَادِيَاتُ، أَسَابِي الدِّمَاءِ بِهَا كَأَنَّ أَعْنَاقَهَا أَنْصَابُ تَرْجِيْبِ

ويظهر اضطراب جاهلي تهامة والسراة في توجهاتهم الدينية واضحة، فمثلاً حلفوا بالله موقنين أنه الأعظم ثم أشركوا معه في حلفه غيره، تشير أبياتهم الشعرية إلى جمعهم بين سوق الهدي إلى بيت الله في مكة المكرمة، تعظيماً له وإجلالاً، ثم في الوقت ذاته يسوقونه إلى الأنصاب لتذبح شركاً بالله:

(١) نجم، ديوان أوس بن حجر، ط ٢، ص ٣٦.

(٢) ابن الكلبي، الأنصاب، ط ١، ص ٤٢.

(٣) مرجع سابق، ص ٤١.

(٤) الأحول، ديوان سلامة بن جندل، ط ١، ص ١٣.

ففي قول أوس بن حجر:

حَلَفْتُ بِرَبِّ الدَّامِيَاتِ نَحُورَهَا وَمَا ضَمَّ أَجْمَادُ اللَّبِينِ وَكَبَّكَ^(١)
ما يوحى بأنَّ الهدي سيق إلى مكّة، حيث إنّ كبكب هناك.

واستخدم الجاهليون النَّار حين يعقدون الصلح، ويخافون الغدر، إذا كانوا يوقدون ناراً ثم يتحلّقون حولها فيحلفون أنَّهم يوفون ولا يخونون، وربما قرّبوا من يخافون خيانتهم من النار حتى تكاد تحرقه، تخويفاً له، وكأنهم بذلك يشيرون إلى ما ينتظره في الآخرة من عذاب. وقد ذكر أوس تلك النار في قوله:

إِذَا اسْتَقْبَلَتْهُ الشَّمْسُ صَدَّ بَوَجهه كَمَا صَدَّ عَنْ نَارِ الْمُهَوَّلِ حَالِف^(٢)

٢- المرأة :

للمرأة مكانتها الرفيعة التي تبوّأتها في الشعر الجاهلي بصفة عامة، فكانت رفيقة القصيدة الجاهلية، مهما كان الغرض من إبداع تلك القصيدة، فالمرأة في مقدمة قصائد الغزل وهذا مستساغ، مستحسن، ولكن الغريب أنَّها تسيطر على مقدمات القصائد في الأغراض التي لا يناسبها الغزل، فهي تتصدّر قصائد الفخر، والهجاء، والاعتذار، والطلب، والوصف، وغير ذلك من الأغراض. وكأنّ لدى شعراء العصر الجاهلي ما يجبرهم على البدء بالغزل مهما كان الغرض من القصيدة! بل إنّ الشاعر الجاهلي مهما علا شأنه، وقويت شكيمته، وذاع صيت بطولته، يحدثنا عن موافقه مع المرأة الأم، أو الزوجة، أو الحبيبة، ليكتشف المتأمل أنّ المرأة تعني الشيء الكثير لدى الجاهلي، فهي تشدّ همّته حيناً، وتلوم تأخره عن الأخذ بثأره حيناً، وتقم عليه إسراره حيناً. وللمرأة في حياته مكانة كبيرة، فمن أجلها يقاتل، وأمامها يفتخر.

لا يكون الحديث عن المرأة حديثاً عابراً، بل إنّ المرأة في الشعر الجاهلي تُمنح أقصى درجات الاهتمام، ولذا فالشاعر الجاهلي يستدعي أعرق خيالاته من أجل أن يخرج لنا صورة المرأة التي حوت كلّ أوصاف الجمال، فهي تشبه من كلّ شيء جميل أجمل ما فيه، فلو وجد الشاعر أجمل من عيون الأطباء البرية لاستلهمه، ومع علمه بأنّ عيون الأطباء جميلة، فإنّه يبحث في عيون الأطباء ذاتها عن أجمل حالاتها، فيجد أنّ

(١) الأحول، ديوان سلامة بن جندل، ط١، ص٧.

(٢) نجم، ديوان أوس بن حجر، ط٣، ص٦٩.

الطبية التي تراعي صغیرها تكون النظرة في عينها أرق ما تكون، فيذهب إلى تخصيص العام، وانتقاء خاص الخاص، يقول امرؤ القيس :

كَبُرَ الْمُقَانَاةُ الْبَيَاضُ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْمُحَلَّلِ^(١)
تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي بِنَاضِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مُطْفَلٍ
وَجَيْدٌ كَجَيْدِ الرِّيمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَتْهُ، وَلَا بِمُعْطَلٍ
وَفَرَعٌ يَزِينُ الْمَتْنَ أَسْوَدُ فَاحِمٍ أَثِيثٌ كَقَنْوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَثِّلِ

الشاعر الجاهلي دقيق في انتقاء صوره، مهتمٌّ بأدق تفاصيلها، حريص على ألا يدع زاوية يمكن أن تضيف إلى صورته إلا طرفها، كل ذلك من أجل أن يظهر موصوفه في أجمل صورة، دون أن يترك في النفس حاجة للاستزادة، فامرؤ القيس حين يصف المرأة بالبياض لا يكتفي بذلك، وكأنه يرى أن البياض وحده لا يكون جميلاً، فيسعى إلى إيصال مراده بدقة، فالبياض مشرب بصفرة تزيده جمالاً: ولا ينسى الشاعر أن يدقق حين يتحدث عن الماء الذي يغذي تلك المرأة، بل يلتفت إليه فيفصل فيه تفصيلاً يظهره كامل النقاء، صاف لم يكثر حوله الواردون فيتكدر.

ذلك ديدن الشاعر الذي لا يحيد عنه، فحين يصف جيد محبوبته فإنه يلتمس من الطبيعة ما يمكن أن يساعد على نقل الصورة التي يريد، ولا أجمل - في نظره - من جيد الغزال، ولكنه مع ذلك لا يكتفي بالتشبيه المجرد من الإضافات، بل يذهب إلى شيء من التفصيل الذي يريد منه أن ينقل الصورة التي يحرص على نقلها، دون أن تختلط في ذهن المتلقي بشيء مما قد يشوهها، ولذلك يحتاط غاية الاحتياط، فيؤكد أن ذلك الجيد طويل، ولكن طوله هو الطول الذي لا كراهة فيه، فهو معتدل لا أطول مما يحب ولا أقصر، ثم لا ينسى أن يخبر بأنه مزين بأنواع الحلي التي تحبها النساء: والأمر يتكرر لدى طرفة بن العبد، فهو حين يصف ثغر محبوبته لا يكتفي بالحديث عن بياضه، بل يحرص على أن يستقصي معاني الجمال فيه، فهو كنبات الأقحوان الذي تفتح زهره، وهو أقحوان نبت في رمل صاف لم تداخله العيوب، ونادٍ لم يؤذه الجفاف:

وتبسم عن ألمى كأنَّ مَنْوَرًا تخلل حرَّ الرمل دعص له ندي^(٢)

(١) عبد الشايف، ديوان امرؤ القيس، ط ٥، ص ١٢.

(٢) الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ط ٢، ص ٢٦.

وطرفة حين يشبه يلتفت إلى المرأة فيأخذ من صورتها معنى ينزله على موصوفه،
فالآثار الدارسة عنده تشبه ما بقي من آثار الزينة في يد الأنثى:

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالٌ بِبَرْقَةٍ تَهْمَدُ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد^(١)

والمرأة عند شعراء جنوب الجزيرة تستحق أن يفخر بين يديها بما يملكه من قوة،
وبما تقوم عليه حياته من كريم الخصال، يقول لبيد:

أو لم تكن تدري نوار بأنني وصّال عقد حبال جذاها^(٢)
تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يعتلق بعض النفوس حمامها

ولمكانة المرأة في نفوس الرجال، ولحرصهم عليها، وعنايتهم بها، ولكونها الشرف
الذين عنه يزودون، وفي سبيله يموتون، يكثر أن تفاخروا بقدرتهم على حماية نسائهم،
فهنّ المنيعات اللاتي لا يصل إليهن الغزاة، يقول الأفوه الأودي:

نقاتل أقواماً فنسبي نساءهم ولم ير ذو عزّ لنسوتنا حجالاً^(٣)
نقود ونأبى أن نقاد ولا نرى لقوم علينا في مكارمهم فضلا
وإنّا بطاء المشي عند نسائنا كما قيّدت بالصيف نجدية بؤلا
نظل غيارى عند كل ستيرة نقلب جيداً واضحاً وشوى عبلا

فإن سبيت المرأة فتلك سبة الدهر، ومبعث الحزن، ومناطق القهر، فالحزن عليها لا
ينقطع، والحياة بعدها لا تصفو، وهو ما عاشه عمرو بن معدي كرب حين سبيت أخته ریحانة:

أمن ریحانة الداعي السميع يؤرّقني وأصحابي هجوع^(٤)
سباها الصمة الجسمي غصباً كأن بيّاض غرّتها صديع

والمرأة هي المحرّض على الأخذ بالثارات، وردّ الغزوات بالغزوات، فإن تقاعس
الرجال أو تأخروا فلهم من سياط أسنة النساء ما يحملهم على القيام حملاً، تقول
كبشة أخت عمرو بن معدي كرب حين همّ عمرو بأن يأخذ الدية رفقا بقومه:

(١) مرجع سابق، ص ١٩.

(٢) طماس، ديوان لبيد بن ربيعة، ط ١، ص ١١٣.

(٣) التونجي، ديوان الأفوه الأودي، ط ١، ص ١٠٠.

(٤) الطرايشي، شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ط ٢، ص ١٤٠.

دُعْ عَنْكَ عَمراً إنَّ عَمراً مَسْأَلُكُمْ وَهَلْ بَطْنُ عَمْرٍ وَغَيْرُ شَبْرٍ لِمَطْعَمٍ^(١)
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَثَارُوا بِأَخِيكُمْ فَمُشُّوا بِأَذَانِ النَّعَامِ الْمَصْلَمِ

ليس من شك في أنَّ الأحوال تختلف في مسألة المرأة الجاهلية، فهنَّ درجات منهنَّ الحرائر المصونات، ومنهنَّ السبايا، ومنهنَّ القيان، ولكنَّ الغالب على ذلك أنَّ للمرأة مكانة مصانة، وأنَّ ما عدا ذلك حالات فردية لا يحسن تعميمها.

٣- الحرب :

لا يمكن الحديث عن الشعر الجاهلي دون الحديث عن الحروب، فهو عصر قام في أغلبه على الغزو والإغارة، وتمكَّن منه السلوك العدائي تجاه الآخرين. وللحرب في الجاهلية دواع كثيرة، يهمنها منها ما منحه للشعر الجاهلي في جنوب الجزيرة العربية (سروات وتهامة) من مساحات للتعبير، وما خلغته على الشاعر الجاهلي من حل الثناء، إذ يدافع عن قبيلته ويهاجم أعداءها. وكثيراً ما افتخر الجاهلي بفروسيته، وذكر مواطن انتصاره، وما مرَّ به وبحصانه من أهوال الحروب، وبصبره وقوَّته، والخيال في كل ذلك الرفيق الذي لا يخون، والخيال أحد أركان القوَّة ورمز السطوة، ولذلك فهي أثيرة عندهم، محبة إليهم، يؤثرونها بالرعاية، ويحادثونها حديث الأصدقاء، فمثلاً يحاور الرجل صديقه، يحاور الفارس حصانه، فهذا عامر بن الطفيل يتحدث إلى حصانه المزنوق، يحضُّه على الثبات، ويتواصل معه تواصل من يفهم عنه:

وَقَدْ عَلِمَ الْمَزْنُوقُ أَنِّي أَكْرُهُ عَلَى جَمْعِهِمْ كَرَّ الْمَنِيحِ الْمَشْهُرِ^(٢)
إِذَا أَزُورُ مِنْ وَقَعِ السَّلَاحِ زَجَرْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ: أَرْبَعٌ مُقْبِلًا غَيْرُ مَدِيرِ

والإغارة للأخذ بالثأر واجبة في عرف الجاهلي، بل إنَّ رد الدين الحربي يكون مفخرة، يحق للشاعر أن يسطرها، وأن يعلن انتصاف قومه من خلالها، يقول طفيل الغنوي:

أَغَرْنَا إِذْ أَغَارَ الْمَلِكُ فِينَا مَنَالاً وَالْقَبَابُ مَعَ الْقَبَابِ^(٣)
عَقَاباً بِابْنِ عَائِذَةَ بْنِ عَبْدِ وَكُنَّا فِي الْعَدُوِّ ذَوِي عَقَابِ

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، د ط، ١/٣٦٣.

(٢) الأنباري، ديوان عامر بن الطفيل، د ط، ص ٦١.

(٣) أوغلي، ديوان طفيل الغنوي، ط ١، ص ١٢٤.

وقسّم الجاهلي أيامه بين الحرب ولقاء الصحب في المجالس، فليست أيام الدعة والرخاء بأولى من أيام الحرب بالاهتمام، والجاهلي ينهض إلى الحروب نهوضه لشؤون حياته اليومية، وكأن الحرب إحدى المهام التي لا تطيب الحياة إلا بها، يقول سلامة بن جندل:

يومان يوم مقاماتٍ وأنديّةٍ ويوم سيرٍ إلى الأعداء تأويب^(١)

واتخذوا للحرب أنواع العدة والعتاد، واستعدوا بأنواع الأسلحة، واستعانوا بما استطاعوا من أسباب الاستعداد لخوض غمار الحروب، نصيرهم حصان أصيل، وسيف صقيل، ورمح طويل، ودرع سابغة، يقول عامر بن الطفيل:

وإن أغرُ حيي خثعمَ قدماهم شفاءً وخيرُ الثأر للمُتأوِب^(٢)
فما أدرك الأوتارَ مثلُ مُحَقِّقٍ بأجرَدَ طاوٍ كالعسيبِ المُشَدَّبِ
وأسمَرَ خَطِي وأبيضَ باترٍ وزَعَفَ دلاصٍ كالغديرِ المُثَوَّبِ
سِلاحٍ امرئٍ قد يَعْلَمُ الناسُ أنه طُلوِبٌ لثاراتِ الرجالِ مُطَلَّبِ

ولا تَقُلُّ الأدوات الدفاعية أهميةً عن أدوات الهجوم، فالتروس التي تتقى بها الضربات، وتصنع من الجلد حيناً، ومن الخشب حيناً، ومما استطاعوا تطويعه من المعادن أحياناً أخرى، من ضرورات الاستعداد للحروب عند الجاهلي، يقول طفيل الغنوي:

فلما فنى ما في الكنائس ضاربوا على القرع من جلد الهجان المجوَّب^(٣)

ولا مثل خوض غمار الحروب مع الإخوة وأبناء العم، الذين يثق المحارب بهم، ويركن إليهم، لذلك يفخرون بأنهم ذوو نسب واحد، لا دخيل فيهم، وذلك أولى بأن يكون دفاعهم على قلب رجل واحد، حمية، وأخوة، يتبارون في سعيهم إلى الحرب، يقول طفيل الغنوي:

قبائل من فرعي غنيّ تواهقت بها الخيل لا عزلٌ ولا متأشَّب^(٤)

(١) الأحول، ديوان سلامة بن جندل، ط ١، ص ١٩٩.

(٢) الأنباري، ديوان عامر بن الطفيل، د ط، ص ٢٧.

(٣) أوغلي، ديوان طفيل الغنوي، ط ١، ص ٤٥.

(٤) مرجع سابق، ص ٣٠.

٤- الارتحال والغربة؛

قامت حياة بعض أبناء القبائل العربية على الرعي، إذ تكون أغلب أموالهم الماشية التي تحتاج إلى مرعى وماء، ولكنّ الفكرة القديمة عن ترحال الجاهلي من إقليم إلى إقليم ليست - في نظر الباحث - صحيحة، إذ إنّ ارتحال هؤلاء الرعاة لا يكون إلا في سبيل البحث عن الماء، والكلاً، وهذا يعني أن الجاهلي سيحرص في البدء على أن تكون إقامته في إقليم يؤمّن ذلك في أغلب العام إن لم يكن كله، ومن جهة أخرى فإن مغبة الارتحال البعيد لا تسمح للجاهلي بالتنقل متى شاء، وحيث شاء، فالجاهلي بين خيارين هما:

- أ - إجبار الماشية التي لا تجد ماء ولا كلاً على السير مسافات طويلة، وهي فكرة غير عملية، وغير مجدية، فالماشية لا تستطيع الانتقال مسافات بعيدة حين تعاني الجوع.
- ب - اجتياز الأقاليم التي تقيم فيها قبائل غالباً ما تكون معادية، أو على الأقل طامعة، لا تغيب عنهم ثقافة سلب ما تستطيع سلبه من القبائل الأخرى.

وفي هذا الإطار نرى أنّ الفكرة العامة عن قطع عرب الجاهلية للمسافات الطويلة بأهلهم ومواشيهم، طلباً للماء والكلاً، ليست فكرة مقبولة، إذ إنّ التنقل الذي يصاحبه نقل المواشي لا يمكن أن يقطع مسافات طويلة، فالمواشي يهلكها الجوع والظمأ، ويمرضها السير الطويل. ولهذا نعتقد أنّ التنقل الجاهلي يحكمه أمران:

١. أن يكون ضمن حدود جغرافية لا يتجاوز السير فيها الأيام القليلة، حيث إنّ قطع المسافات الطويلة يقتل الماشية التي يكون الهدف من الانتقال في الأصل حمايتها من الهلاك.

٢. أن يكون قريباً من حدود القبيلة، فإنّ الدخول إلى حمى القبائل الأخرى يؤدي إلى الحرب، إلا إن كانت القبائل تحت مظلة المعاهدات، ومعلوم أن المعاهدات لا تكون إلا بين القبائل المتجاورة.

لقد عشنا جزءاً يسيراً من الحياة في زمن ما قبل الطفرة، التي عمّ الله سبحانه بها البلاد، وسمع فيه أباه، وأعمامه، وأقرباءه يتحدثون عن ارتحالهم في سنوات جدبهم إلى بلدان أخرى إن علموا بأنها مطرت، حيث يعملون مع أصحاب مزارع الذرة، فيرعون مواشيهم، ويصيبون بعض أكياس الذرة التي يقاتون عليها إلى أن يأتيهم المطر، وكانوا يصفون تلك الرحلات القاسية إذ يواجهون الجوع، والظمأ، والسباع، خلال مسيرة

تأخذ منهم بضعة أيام^(١).

يرى الباحث أن الارتحال بين الأقاليم لا يكون إلا في الهجرة الجماعية التي لا عودة منها، كهجرة إباد من بلاد تهامة حين ضيقت عليها القبائل الأخرى، وهجرة بكر وتغلب من جنوب الجزيرة حين أكلتهم حرب البسوس، وإن كانت هناك حالات قليلة ونادرة، لقبائل نزحت من إقليمها إلى أقاليم أخرى بنية العودة، كما حدث لقبيلة عبس حين هربت من غطفان حتى وصلت إلى بيشة وما حولها. والصحيح أن القبيلة كانت ترحل بين مناطق الخصب والجذب، ولكن في محيط الإقليم الواحد، كأن تنتقل قبيلة من سراة جنوب الجزيرة إلى تهامتها، أو من تهامتها إلى سراتها. والارتحال قد يكون لبعض القبيلة، مع بقاء بعضها، وحفظ لنا الشعراء ذلك النوع من الانتقال، إذ قام كثير منه على انتقال المرأة الحبيبة، وهو ما يجده الباحث كثيراً في قصائد الشعراء الجاهليين، وهذا يعني أن الارتحال جزئي وأحياناً يكون لأسباب ليس منها الجذب، فلعله لزوجها من غير قبيلتها، أو لأسباب أخرى لم يوضحها الشعر، يقول امرؤ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ بسقط اللوى بين الدخول فحول^(٢)

والغزو من أسباب الارتحال، وهو ارتحال جزئي، ينتهي بانتهاء غرضه، وهو في هذه الحالة دليل فروسية، ومظنة فخر واعتزاز، يقول تأبط شراً:

يظلُّ بمؤمّاة ويُمسي بغيرها جحيشاً ويَعْروري ظهورَ المهالك^(٣)
ويسبق وفد الريح من حيث ينتحي بمنخرقٍ من شدّه المتدارك

وربما يكون الارتحال بسبب اجتماعي، فتكون الغربة لحكم بالنفي يجري إصداره على القبيلة أو بعضها، مثلما حدث لقوم لبيد الأدنين حين تم نفيهم إلى نجران، وفي هذا يقول لبيد:

أبني كلابٍ كيف تنفى جعفر وبنو ضبيّنة حاضروا الأحباب^(٤)

(١) أشكرك يا دكتور محمد على كل ما تم توثيقه والكتابة عن الحياة الشاقة الصعبة قديماً يطول الحديث عنها. وللأسف أنني لا أجد دراسات علمية تؤرخ لأحوال الناس في السروات وتهامة خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة (٤-١٣هـ/١٠-١٩م)، وهذا الجانب يستحق أن يوثق في عشرات البحوث العلمية. (ابن جريس).

(٢) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط٥، ص ١١٠.

(٣) حرب، ديوان تأبط شراً، ط١، ص ٥٢.

(٤) طماس، ديوان لبيد بن ربيعة، ط١، ص ١٤.

قَتَلُوا ابْنَ عُرْوَةَ ثُمَّ لَطَوْا دُونَهُ حَتَّى نَحَاكَمَهُمْ إِلَى جَبَلٍ وَابٍ
وهناك ارتحال لطلب الدفء، أو للهرب من الحر الشديد، فينتقلون في الشتاء إلى
أماكن يعودون منها في الصيف، يقول لبيد:

كُبَيْشَةُ حَلَّتْ بَعْدَ عَهْدِكَ عَاقِلًا وَكَانَتْ لَهُ خَبَلًا عَلَى النَّأْيِ خَابِلًا^(١)
تَرَبَّعَتِ الْأَشْرَافُ ثُمَّ تَصَيَّفَتْ حَسَاءَ الْبُطَاحِ وَانْتَجَعْنَ الْمَسَايِلَا
تَخِيرُ مَا بَيْنَ الرِّجَامِ وَوَاسِطِ إِلَى سِدْرَةِ الرَّسَيْنِ تَرعى السَّوَابِلَا

٥- مكارم الأخلاق :

الشاعر الجاهلي لم يملأ قصائده بشيء مثملاً ملأها بالحديث عن مكارم الأخلاق،
ومردّ هذا أنّ أسلوب الحياة الجاهلية كان يجبرهم على التحلي بتلك الفضائل، فإكرام
الضيف ضرورة بقدر ما هو مفخرة، فلا شيء بين يدي المسافر الجاهلي من مأكّل إلا
ما يجود به عليه القاطنون في طريقه، والقاطن الذي أكرم المجتاز سيكون غداً مسافراً
يتمنى أن يلقي قاطناً يكرمه، فالحاجة والانقطاع في الطرق أسساً لثقافة تعاونية رفيعة
الشأن. وقل مثل ذلك في فضيلة الشجاعة، ومهارة الحرب، فالحياة التي يعيشها
الجاهلي أجبرته على اكتساب تلك الصفة، وعلى التغني بها، وتدريب الناشئة عليها،
فالخوف على النفس، والمال، والولد يدفع إلى تعزيز قدرات الدفاع عنها، والرغبة في
الحياة، وجلب القوت، وسلب الآخرين أموالهم، بحاجة إلى قوّة، وشجاعة. وما سبق
من الضرورات التي أنشأت ثقافات إنسانية رفيعة، هي ذاتها التي أوجدت ثقافة إجارة
الهارب، وإغاثة الملهوف، وغيرها من الصفات التي تمدح بها الجاهلي.

هناك مكارم لم تكن الضرورة وحدها سبب وجودها، وإنّما هي فروق فردية
اكتسبها بعضهم، سعيّاً منهم إلى استكمال أوجه الفروسية، أو القيادة، ومنها غصّ
البصر، والتعفف، وغيرها. والدليل على أنّ الأخلاق تتبع الضرورة، أنّ الجاهلي الذي
يكرم الغريب، ويجير المطارد، هو ذاته الذي يعتبر ابنه الذي من صلبه عبداً، ولا يمنحه
شيئاً من حقوق الابن على أبيه، بل يجعله راعياً لأنّ أمّ ذلك المسكين سبيّة، أو لأنّها
سوداء، فإنّ أبى هذا الابن العبودية فإنّ الأب يقوم بطرده ليصبح صعلوكاً طريداً، دون
أن يحظى هذا الابن بشيء من كرم أبيه، أو حسن جواره.

للتدليل على أن كثيراً من مكارم الأخلاق تفرضها الظروف؛ فالباحث فتح عينيه في بدايات حياته على صور من التكاتف والتآزر، إذ كان أهل القرية يخرجون جماعة واحدة إلى زرع من يطلب منهم حصاد زرعه، فيغدون من بعد الفجر في حصاد زرعه دون أن يأخذوا على ذلك أجراً، ومثل ذلك في إكمال عمليات سقف البيوت، وفي حمل قطع الأشجار الضخمة التي توضع على البيوت لحمل الأسقف، وفي الترحيب بالأضياف العابرين، وغير ذلك من العمليات التكافلية الرائعة، التي كان دافعهم فيها احتياجهم المستقبلي للآخرين، فإما لحصاد المزروعات، أو للمساعدة في بناء المنازل، أو غير ذلك من ضرورات الحياة التي لا يستطيع الفرد صنعها إلا بمساعدة الآخرين، فلما جاءت الآلات الحديثة، واستغنى الإنسان عن عون الإنسان، انقطعت تلك العادات الجميلة، وأصبحت شيئاً من الذكريات^(١). ومن الفضائل التي تغنى الجاهلي بها كثيراً الشجاعة، وحماية الحمى يقول عامر بن الطفيل:

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنُ سَيِّدٍ عَامِرٍ وَفَارِسُهَا الْمَشْهُورِ فِي كُلِّ مَوْكَبٍ^(٢)
فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وَارِثَةٍ أَبَى اللَّهُ أَنْ أَسْمُو بِجَدٍّ وَلَا أَبٍ
وَلَكِنِّي أَحْمِي حِمَاَهَا وَأَتَقِي أَذَاهَا وَأُرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكَبِي

ومنها الكرم، وطهارة النفس، وصون عرض الجار، وهي الفضائل التي يفخر ذو الإصبع العدوانى بأنه قضى حياته حريصاً على التمسك بها:

وَلَا أُرُومُ الْفِتَاةَ رُؤْيَيْهَا إِنْ نَامَ عَنْهَا الْحَلِيلُ أَوْ شَسَعَا^(٣)
إِنْ تَزَعَمَا أَتْنِي كَبَرْتُ فَلَمْ أُلْفَ بِخِيَالٍ نَكْسَاءُ وَلَا وَرَعَا
أَجْعَلُ مَالِي دُونَ الدَّنَا غَرَضاً وَمَا وَهِيَ مِنَ الْأُمُورِ فَاَنْصَدَعَا

ولا يقتصر التباهي بالكرم على القادرين عليه، بل يشترك في التغني به الفقراء المعدمون، وهو عند الفقير أدعى للفخر إذ إنه ينفق من غير زيادة موجود، قال تأبط شرا:

(١) تاريخ الناس قديماً في عموم السروات وتهامة كان مليئاً بالصفات الإيجابية والسلبية.. والتكافل الاجتماعي والتعاون من الأعمال الجيدة التي كانت منتشرة بين الناس. وتاريخنا المحلي خلال القرون الماضية المتأخرة جدير أن يكتب في العديد من الكتب والبحوث والرسائل الجامعية. وهناك الكثير من الوثائق والروايات الشفهية، التي تفيد في خدمة هذه المشاريع العلمية. (ابن جريس) .

(٢) الأنباري، ديوان عامر بن الطفيل، د ط ، ص ١٣.

(٣) العدوانى، والدليمي، ديوان ذي الإصبع العدوانى، د ط ، ص ٥٩.

عاذلتي إن بعض اللؤم معنفة وهل متاع وإن أبقىته باق^(١)

وبعض الأزمنة أشد قسوة على الجاهلي من سواها، لذا كان الشعراء يفتخرون بتمسكهم بمكارم الأخلاق في زمن القسوة تماماً كما كانوا في أزمان الرخاء، فإذا قست الحياة في فصل الشتاء، وعز على الجاهلي أن يجد زيادة في قوته يمكن له أن ينفقها، فإن المرء يجد حرجاً في إنفاق قوت عياله، إلا أن طرفة يفتخر بأن قومه كرام في جميع الأحوال:

وَإِنَّا إِذَا مَا الْغَيْمُ أَمْسَى كَأَنَّهُ
وَجَاءَتْ بِصُرَادٍ كَأَنَّ صَقِيْعَهُ
وَجَاءَ قَرِيْعُ الشَّوْلِ يَرْقُصُ قَبْلَهَا
نَرْدُ الْعِشَارِ الْمُتَنَقِيَاتِ شَطِيْئَهَا
تَبَيَّتْ إِمَاءُ الْحَيِّ تَطْهِي قُدُورَنَا
سَمَاحِيْقُ ثَرْبٍ وَهِيَ حَمَرَاءُ حَرْجَفُ^(٢)
خِلَالِ الْبُيُوتِ وَالْمَنَازِلِ كُرْسُفُ
إِلَى الدَّفْعِ وَالرَّاعِي لَهَا مُتَحَرِّفُ
إِلَى الْحَيِّ حَتَّى يُمِرَّعَ الْمُتَصَيِّفُ
وَيَأْوِي إِلَيْنَا الْأَشْعَثُ الْمُتَجَرِّفُ

كل ذلك طلباً للذكر الحسن، وإعلاء لشأن النفس، لكيلا يتحدث الناس عنهم بسوء يقول لبيد:

أَعَاذَلْ قُومِي فَاعْذُلِي الْآنَ أَوْ ذَرِي
أَعَاذَلْ لَا وَاللَّهِ مَا مِنْ سَلَامَةٍ
أَقِي الْعَرَضَ بِالْمَالِ التَّلَادِ وَأَشْتَرِي
وَكَمْ مُشْتَرٍ مِنْ مَالِهِ حُسْنُ صَيْتِهِ
أُبَاهِي بِهِ الْأَكْفَاءَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
فَلَسْتُ وَإِنْ أَقْصَرْتُ عَنِّي بِمُقْصِرٍ
وَلَوْ أَشْفَقْتُ نَفْسُ الشَّحِيحِ الْمُثْمَرِ
بِهِ الْحَمْدُ إِنَّ الطَّالِبَ الْحَمْدَ مُشْتَرِي
لَأَيَّامِهِ فِي كُلِّ مَبْدَى وَمَحْضَرٍ
وَأَقْضِي فُرُوضَ الصَّالِحِينَ وَأَقْتَرِي

ويكثر أن يوصي الجاهلي أبناءه بخصال الخير هذه، فهذا ذو الإصبع يوصي ولده:

أُسَيِّدُ إِنْ مَالًا مَلَكَتْ
أَخَ الْكَرَامِ إِنْ اسْتَطَعْتَ
وَأَشْرَبُ بِكَ أَسْهَمُ وَإِنْ
فَسَّرْ بِهِ سِيرًا جَمِيلًا^(٣)
إِلَى إِخَائِهِمْ سَبِيلًا
شَرَبُوا بِهِ السَّمَّ الثَّمِيلًا

(١) حرب، ديوان تأبط شرّاً، ط ١، ص ٥١.

(٢) الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ط ٢، ص ٥٥.

(٣) العدوان، والدليمي، ديوان ذي الإصبع العدواني، د ط، ص ٧٣.

أَهْنُ اللَّئَامِ وَلَا تَكُنْ
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا تَوَّأ
وَدَعِ الَّذِي يَعْدُ الْعَشِيرَةَ
أَبْنَىٰ إِنَّ الْمَالَ لَا
أَسِيدَ إِنْ أَزْمَعْتَ مِنْ
فَاحْفَظْ وَإِنْ شَحَطَ الْمَزَارُ
وَصَلِ الْكِرَامَ وَكُنْ لِمَنْ
لَاخِئْتَهُمْ جَمَلًا ذُلُولًا
خِيَهُمْ وَجَدْتَ لَهُمْ فَضُولًا
أَنْ يَسِيلَ وَلَنْ يَسِيلَا
يَبْكِي إِذَا فَقَدَ الْبَخِيلَا
بَلَدَ إِلَى بَلَدٍ رَحِيلَا
أَخَا أَخِيكَ أَوْ الزَّمِيلَا
تَرْجُو مَوْدَتَهُ وَصُولَا

والشجاعة من أجل الأمور في نظر الجاهلي، ولا تأتي العزة، والمنعة إلا ببذل النفس دون الأهل والمال، فإن تهاون الجاهلي أو تراخى فهي سبّة الدهر، يقول عمرو بن معدي كرب:

لَمَّا رَأَيْتُ نَسَاءَنَا
وَبَدَدْتُ مَحَاسِنُهَا الَّتِي
نَازَلْتُ كِبْشَهُمْ وَلَمْ
يُفْخَصْنَ بِالْمَغْرَاءِ شَدَاً^(١)
تَخَفَىٰ وَكَانَ الْأَمْرُ جَدَاً
أَرَمِنْ نَزَالِ الْكِبْشِ بَدَاً

وقد تكون الشجاعة في إلقاء النفس بين مصائب الطرق، فالوحش، وذؤبان العرب ينتظرون الفرصة للنهش، وهذا امرؤ القيس يصف شجاعته في هذا المقام بقوله:

وَوَادَ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَضَرَ قَطْعَتُهُ
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا عَاوَى: إِنَّ شَأْنَنَا
كِلَانَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئًا أَفَاتُهُ
بِهِ الذَّبُّ يَعْوِي كَالْخَلِيعِ الْمُعِيلِ^(٢)
قَلِيلُ الْغَنَىٰ إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَمَوَّلَ
وَمَنْ يَحْتَرِثُ حَرْثِي وَحَرْثُكَ يَهْزِلُ

وعفة النفس من الخصال الحميدة التي تغنى بها الجاهليون وإن جاعوا، وإن افتقروا، فهذا الشنفرى يؤكد أنه يستطيع أن يكون غنياً، وأن يتنوع طعامه، وشرابه، ولكنه يأبى ذلك لحاجة في نفسه:

أَدِيمُ مَطَالِ الْجُوعِ حَتَّى أُمِيتَهُ
وَأَضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحًا فَأَذْهَلَ^(٣)

(١) الطرايبشي، شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ط٢، ص ٨١.

(٢) عبد الشايف، ديوان امرئ القيس، ط٥، ص ١١٨.

(٣) يعقوب، ديوان الشنفرى، ط٢، ص ٦٢.

وأستف ترب الأرض كي لا يرى له
علي من الطول أمرؤ متطول
ولو لا اجتنب الذام لم يلف مشرب
يعاش به، إلا لذي ومأكّل
ولكن نفساً مرة لا تقيهم بي
على الضيم، إلا ريثما أتحوّل
ومن العفة حفظ اللسان من الوقوع في الأعراض، ومن فاحش القول، يقول ذو الإصبع:

إني لعمرك ما بابي بذى غلق
عن الضيوف، ولا خيرى بممنون^(١)
ولا لساني على الأدنى بمنطلق
بالفاحشات، ولا أغضي على الهون
لا يخرج القسر مني غير مأبية
ولا ألين لمن لا يبتغي ليني
والجاهلي يرى أن الحلم من شيم الكرام، خاصة إن كان عن قدرة، وبهذا مدح المهلهل أخاه كليبا:

سقاك الغيث إنك كنت غيثاً
يسراً حين يلتمس اليسار^(٢)
وإنك كنت تحلم عن رجال
وتعفو عنهم ولك اقتدار
وتمنع أن يمسهم لسان
مخافة من يحير ولا يجار

والوعد عندهم حقيق بالوفاء، فإن قرنه المرء بالعفو والصفح، ونسيان المودة والوعيد، فهي مرحلة عالية من التخلق بالخلق الرضي، يقول عامر بن الطفيل:

ولا يرهب ابن العم مني صولة
ولا أختي من صولة المتهدد^(٣)
وإني إن أوعدته أو وعدته
لأخلف إيعادي وأنجز مواعيدي

وكان مما يفخر به بعض الفتيان شرب الخمر مع الأصحاب، والانغماس في اللذات، وإنفاق المال دون حساب، رغم أن العقلاء من أقوامهم ربما لا موهم على ذلك، يقول طرفة:

وما زال تشرابي الخُمور ولذتي
وبيعي وإنفاقي طريفي ومُتلدي^(٤)
إلى أن تحامتنى العشيرة كلها
وأفردت أفراد البعير المعبد

(١) عبد الوهاب، وآخرون، ديوان ذي الإصبع العدواني، د ط، ص ٩٢.

(٢) حرب، شرح ديوان مهلهل بن ربيعة، د ط، ص ٣٢.

(٣) الأنباري، ديوان عامر بن الطفيل، د ط، ص ٥٨.

(٤) الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ط ٢، ص ٢٥.

٦- أنشطة يومية أخرى:

حفظ الشعر الجاهلي صورًا كثيرة من حياة الجاهليين في جزيرة العرب (سراة وتهامة)، ونقل ألوان الحياة الإنسانية، ومظاهر استفادة الإنسان الجاهلي من المقومات الطبيعية التي أتاحت له، ودلّ الشعر الباحثين على جوانب متعددة من أنشطة الحياة اليومية في المأكل، والملبس، وغيرها مما استغل فيه الإنسان الجاهلي ما وجده متاحا له في محيطه، وخلّد أشكال الممارسات التي اعتاد الجاهليون عليها، للضرورة حيناً، ولتحسين أنماط العيش حيناً آخر.

كان لشعراء جنوب الجزيرة العربية نصيبهم من تسجيل ظروف حياتهم، وما شهدته بيئتهم من نشاطات، وما استفادوه من مقومات مساعدة على العيش، فينقل الشعر أنواع اللباس، وما مارسه الجاهليون من الصناعات، وما عرفوه من المصوغات والحلي، وما اقتنوه من أنواع الطيب، وغير ذلك. ففي جانب ما استعملته العرب في جنوب الجزيرة من اللباس، يعرف الشنفرى الدارسين على نوع من الألبسة يسمى الأتحمي، وهو قماش ينسدل على الجسم كالعباءة، والأتحمي نسبة إلى صانعه الذي لم تقطع المصادر بماهيته، أهو رجل، أم قبيلة، أم مدينة، يقول الشنفرى في لاميته الشهيرة:

ويوم من الشعرى يذوب لعبه أفاعيه في رمضائه تتململ^(١)
نصبت له وجهي، ولا كنّ دونه ولا ستر إلا الأتحمي المرعبل

وقد يكون الأتحمي ما يوضع سقفا للخيمة من الأقمشة، حيث ورد في بيت لامرئ القيس أن سقف بيت الشعر كان من الأتحمي:

وقلت لفتيان كرام ألا انزلوا
ففتنا إلى بيت بعلياء مُردح
وأوتاده عادية وعماده
فعلوا علينا فضل بُرد مُطنب^(٢)
سماوته من أتحمي مُعصب
رُدينية فيها أسنة قعضب

ويؤيد هذا قول طفيل الغنوي:

وبيت تهبّ الريح في جراته
بأرض فضاء بابّه لم يحجب^(٣)

(١) يعقوب، ديوان الشنفرى، ط٢، ص ٧١.

(٢) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط٥، ص ٣٦.

(٣) أوغلي، ديوان طفيل الغنوي، ط١، ص ١٨.

سَمَاوَتُهُ أَسْمَالُ بُرْدٍ مَحْبَرٍ وصهوته من أتحمي مشرع

وذكروا النَّمَارِقَ، وهي الوسائد التي كانت تتخذ متكا، قال امرؤ القيس:

ظَلَلْتُ، رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِي، قَاعِدًا أَعَدَّ الْحَصَى مَا تَنْقُضِي عِبْرَاتِي^(١)
كَأَنِّي وَرْدِي وَالْقِرَابَ وَنَمْرُقِي عَلَى ظَهْرِ عَيْرٍ وَارِدِ الْحَبْرَاتِ

وفي جانب الألبسة يتحدث الشعراء عن الدرع، وهو من الألبسة التي تستتر بها المرأة، ويبدو أن الدرع لباس فضفاض طويل، إذ يتحدث عن قيام المرأة بجره على الأرض لطوله، ولذا قال امرؤ القيس إنها تمحو آثار أقدامه بسحب ذيل درعها على تلك الآثار:

وَبَيْتٌ يَفُوحُ الْمِسْكُ فِي حُجَرَاتِهِ بَعِيدٌ مِنَ الْآفَاتِ غَيْرُ مُرَوِّقٍ^(٢)
دَخَلْتُ عَلَى بَيْضَاءَ جُمٍّ عِظَامُهَا تَعْفِي بِذِيلِ الدَّرْعِ إِذَا جِئْتُ مَوْدِقِي
وَقَدْ رَكَدَتْ وَسَطَ السَّمَاءِ نَجْوُمُهَا رُكُودَ نَوَادِي الرَّبْرِبِ الْمُتَوَرِّقِ

كما يتحدثون عن نوع من الألبسة الفاخرة التي يلبسها على القوم، وهو الطيلسان، ويقال له السدوس، وهو لباس أخضر داكن يلبسه كبار القوم، أو يتوشحون به، يقول امرؤ القيس:

تَرَاءَتْ لَنَا يَوْمًا بَجَنْبِ عُنَيْرَةٍ وَقَدْ حَانَ مِنْهَا رَحْلَةٌ فَقُلُوصُ^(٣)
بِأَسْوَدَ مُلْتَفِّ الْغَدَائِرِ وَارِدٍ وَذِي أَشْرَ تَشَوُّفِهِ وَتَشَوُّصِ
مَنْابِتِهِ مِثْلُ السُّدُوسِ وَلَوْنُهُ كَشَوِّكِ السِّيَالِ فَهُوَ عَذْبٌ يَفِيصُ

وذكر الأفوه الأودي من أنواع لباس المرأة الريطة، وهي نوع من الملابس التي تلتف حول الجسم، وتكون قطعة واحدة كبيرة:

تَتَبِعُ أَسْلَافَنَا عَيْنَ مَخْدَرَةٍ مِنْ تَحْتِ دَوْلَجْهِنِ الرِّيطِ وَالضَّعْفِ^(٤)

والدولج هنا أراد به كناس الوحش التي تتخذها في أصول الشجر، وقصد أن يشبهها بغزال تنظر بعين كسلى من مكانها الذي تختبئ فيه.

(١) عبد الشافي، ديوان امرؤ القيس، ط ٥، ص ٥١.

(٢) مرجع سابق، ص ١٠٥.

(٣) مرجع سابق، ص ٩١.

(٤) التونجي، ديوان الأفوه الأودي، ط ١، ص ٩٥.

ومن أنواع اللباس التي تكون خاصّة بالنساء المتنعمات ما يسمى بالسابري، وهو لباس لين رقيق، دقيق الصناعة، يقول امرؤ القيس:

فبتنا تصدُّ الوحشُ عَنَّا كأننا قَتِيلَانِ لَمْ يَعْرِفْ لَنَا النَّاسُ مَضْجَعَا^(١)
تجافى عن المأثورِ بيني وبينها وَتُرْخِي عَلَيَّ السَّابِرِيَّ الْمُضْلَعَا

وتختلف ألبسة النساء البالغات عن ألبسة الفتيات الصغيرات، ففي الوقت الذي تلبس فيه المرأة البالغة الدرع، فإن الفتيات يلبسن ملابس خاصة بالأطفال تسمى المجول، يقول امرؤ القيس:

وَتُضْحِي، فَتَيْتُ الْمَسْكَ فَوْقَ فَرَاشِهَا نَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلِ^(٢)
وَتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَتْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِيْعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيْكُ إِسْحَلِ
تُضِيءُ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنهَا مَنَارَةٌ مَهْمَسَى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ
إِلَى مِثْلِهَا يَرْنُو الْحَلِيمُ صَبَابَةً إِذَا مَا اسْبَكَرَتْ بَيْنَ دِرْعٍ وَمِجْوَلِ

فامرؤ القيس هنا يصف المرأة التي يتحدّث عنها بأنها وصلت إلى مرحلة من الصبا أكبر من الفتيات اللاتي يلبسن المجول، والبالغات اللاتي يلبسن الدرع. وتحدّث شعراء جنوب الجزيرة عن العطور، وعن أنواع الزينة التي تستعملها النساء، ونقل الشعر الجاهلي ما يوضح معرفة العرب بأنواع من الزينة والعطور، فالشعراء يتحدّثون عن أنواع من الطيب، كالمسك، والكافور، وماء الورد، يقول عمرو بن معدي كرب:

وَكَأَنَّ طَعْمَ مُدَامَةٍ جَبَلِيَّةٍ بِالْمَسْكِ وَالْكَافُورِ وَالرَّيْحَانِ^(٣)
وَالشَّهْدِ شَيْبَ بَمَاءٍ وَرْدٍ بَارِدٍ مِنْهَا عَلَى الْمُتَنَفِّسِ الْوَهْنَانِ

ويقول امرؤ القيس واصفاً النساء بأنهنّ مصونات، منعّمات، يتحلين بأنواع من الأحجار الكريمة، ويتطيّبن بالمسك:

غَرَائِرُ فِي كَنٍّْ وَصَوْنٌ وَنَعْمَةٌ يُحَلِّينَ يَاقُوتَاً وَشَذْرًا مُفَقَّرَا^(٤)
وَرِيحَ سَنَا فِي حُقَّةٍ حَمِيرِيَّةٍ تُخَصِّبُهُ

(١) عبد الشافي، ديوان امرؤ القيس، ط٥، ص ١٠٠.

(٢) مرجع سابق، ص ١١٦.

(٣) الطرايشي، شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ط٢، ص ١٧٠.

(٤) عبد الشافي، ديوان امرؤ القيس، ط٥، ص ٦١.

وكان الجاهليون يعرفون الصبغ بالزعفران، يقول طفيل الغنوي يصف سهامه:

وأصفر مشهوم الفؤاد كأنه غداة النداء بالزعفران مطيب^(١)

كذلك وصفوا بعض الطرق التي كان الجاهليون يستخدمونها لغرض صناعة الطيب، وعن الأدوات التي يستعملونها لذلك، فامرؤ القيس يتحدث عن المداك، وهو الحجر الذي تطحن عليه أنواع الطيب ليسهل استخدامها:

كأن على الكتفين منه إذا انتحى مداك عروس أو صلاية حنظل^(٢)

كذلك نقل لنا الشعراء معرفة الجاهليين بأنواع من الحلي، حيث ينقل الشعراء أنهم استخدموا من أنواعها الذهب، والياقوت، والمرجان، فيقول عمرو بن معدي كرب:

لَمَنْ الدِّيارِ بِرَوْضَةِ السُّلَانِ الرِّقْمَتَيْنِ فَجَانِبِ الصُّمَّانِ^(٣)
دَارٌ لَعَمْرَ إِذْ تَرِيكَ مُفْلَجاً عَذِبِ المَذَاقَةِ وَاضِحِ الأَلْوَانِ
خَضِرًا يُشَبِّهُ وَرْدَهُ وَبِياضُهُ بِالثَّلْجِ أَوْ بِمُنُورِ القَحْوَانِ
وَأَغْرَمَ مَضْجُوقاً وَعَيْنِي جَوْدَرِ وَمُقَلَّدًا كَمُقَلَّدِ الأُدْمَانِ
سَنَّتْ عَلَيْهِ قلائدًا منظومة بِالشُّنْدَرِ وَالْيَاقُوتِ وَالمَرْجَانِ

ويكثر حديث الشعراء الجاهليين عن نوع من الحلي يسمى الجزع، وهو خرز يتخذ من العقيق، يكون فيه سواد وبياض، يلبس في العنق، يقول امرؤ القيس:

فَعَنَّ لَنَا سَرْبٌ كَأَنَّ نَعَاجَهُ عَذَارَى دَوَارٍ فِي مَلَأَ مُذَيِّلِ^(٤)
فَأَذْبَرْنَ كَالْجِزْعِ الْمُفْصَلِ بَيْنَهُ بِجِيدٍ مُعَمٍّ فِي العَشِيرَةِ مُحَوِّلِ

ويقول لبید:

فَهَلْ نُبَيَّتَ عَنْ أَخَوَيْنِ دَامَا عَلَى الأَيَّامِ إِلَّا ابْنِي شَمَامِ^(٥)
وَالَا الْفَرْقَدَيْنِ وَالْ نَعَشِ خَوَالِدَ مَا تَحَدَّثَ بِأَنْهَدَامِ

(١) أوغلي، ديوان طفيل الغنوي، ط١، ص ٧٠.

(٢) عبد الشافي، ديوان امرؤ القيس، ط٥، ص ١٢٠.

(٣) الطرايبشي، شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ط٢، ص ١٧٠.

(٤) عبد الشافي، ديوان امرؤ القيس، ط٥، ص ١٢٠.

(٥) طماس، ديوان لبید بن ربيعة، ط١، ص ١٢٠.

وَكُنْتَ إِمَامَنَا وَلَنَا نِظَامًا وَكَانَ الْجَزْعُ يُحْفَظُ بِالنِّظَامِ

ومن صور اللباس التي نقلها الشعر الجاهلي ما كانت النسوة يستخدمنها للاحتجاب عن الرجال، حيث اتخذت نساء الجاهلية الأقتعة على رؤوسهن، ويسدلنها على وجوههن، قال الشنفرى^(١):

لَقَدْ أَعْجَبْتَنِي لَا سَقُوطًا قِنَاعَهَا إِذَا مَا مَشَتْ وَلَا بَذَاتٍ تَلَفَّتْ^(٢)

والجلباب من لباس النساء في الجاهلية، فتصف جنوب الهذلية النساء في عصرها بأنهنَّ يلبسن الجلابيب، وهو ثوب تغطي به المرأة رأسها، وصدرها:

كُلُّ امْرِئٍ بِطَوَالِ الْعَيْشِ مَكْذُوبٌ وَكُلُّ مَنْ غَالَبَ الْأَيَّامَ مَغْلُوبٌ^(٣)
أَبْلَغُ هُدًيًّا وَأَبْلَغُ مَنْ يُبْلَغُهَا عَنِّي رَسُولًا وَبَعْضُ الْقَوْلِ تَكْذِيبٌ
بَأَنَّ ذَا الْكَلْبِ عَمْرًا خَيْرَهُمْ نَسَبًا بِبَطْنِ شَرِيَانٍ يَعْوَى عِنْدَهُ الذَّبَبُ
تَمْشَى النُّسُورُ إِلَيْهِ وَهِيَ لِأَهِيَّةُ مَشَى الْعَذَارَى عَلَيْهِنَّ الْجَلَابِيبُ^(٤)

وعرفت نساء الجاهلية الحجل، وهو الخلخال الذي تضعه المرأة في أسفل ساقها للزينة، ويتخذ من الفضة، يقول الأفوه الأودي مفتخرا بأن نساءهم في منعة من أن يصل إليهنَّ الأعداء:

نُقَاتِلُ أَقْوَامًا فَنَسْبِي نِسَاءَهُمْ وَلَمْ يَرِ ذُو عِزٍّ لِنِسَوْتِنَا حِجْلًا^(٥)

وذكروا من حلي النساء في ذلك العصر الأقراط، والسلاسل، قال طفيل الغنوي:

تَضِلُّ الْمَدَارِي فِي ضَفَائِرِهَا الْعَلَا إِذَا أُرْسِلَتْ أَوْ هَكَذَا غَيْرَ مُرْسَلٍ^(٦)
كَأَنَّ الرِّعَاثَ وَالسُّلُوسَ تَصْلُصَلَتْ عَلَى خَشِشَاوِي جَابِهِ الْقَرْنَ مَغْزَلٍ
يَزِينُ مُرَادَ الْعَيْنِ مَا بَيْنَ جَيْبِهَا وَلِبَاتِهَا أَجْوَازَ جَزَعٍ مَفْصَّلٍ

(١) يعقوب، ديوان الشنفرى، ط٢، ص ٣٢.

(٢) يعقوب، ديوان الشنفرى، ط٢، ص ٣٢.

(٣) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط٥، ص ١٢.

(٤) يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط١، ص ٩٩.

(٥) التونجي، ديوان الأفوه الأودي، ط١، ص ١٠٠.

(٦) المعري، الفصول والغايات، د ط، ص ٦٢.

المدرى المشط، والرعات الأقراط التي توضع في الأذن، والسلوس الخيوط التي يُنظَّم فيها الخرز.

وقد عرف الجاهليون أنواعاً من الأحجار الكريمة، واستخدمتها النساء للزينة، وقد ذكر شعراء جنوب الجزيرة منها اللؤلؤ، والزرجد:

وَفِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدَ شَادِنٌ مُظَاهِرُ سَمْطِي لُؤْلُؤُ وَزَبَرْجَدٍ^(١)
خَذُولُ تُرَاعِي رَبِّباً بِخَمِيلَةٍ تَنَاوُلُ أَطْرَافَ الْبَرِيرِ وَتَرْتَدِي
وَتَبَسُّمٌ عَنِ أُمَى كَانَ مُنَوَّراً تَخْلَلُ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٌ لَهُ نَدِ

وفي جانب ما كان يستعمله الجاهليون في السروات وتهامة في مجال الأطعمة، يتحدث الشعراء عن أنواع من الأنية التي كانت تستخدم لتقديم الطعام، فيذكرون الجفان وهي أنية من خشب، أو من خزف أو غيرها من المواد الأولية، تكون مجوفة يوضع فيها الطعام، ويكثر ذكرها عند الحديث عن إكرام الضيف، قال الأفوه الأودي:

فِينَا لثَلْعَبَةٌ بَنَ عَوَفٍ جَفْنَةٌ يَأْوِي إِلَيْهَا فِي الشِّتَاءِ الْجُوعُ^(٢)
وَمَذَانِبٌ مَا تُسْتَعَارُ وَجَفْنَةٌ سَوْدَاءُ عِنْدَ نَشِيجِهَا مَا تُرْفَعُ

والجفنة إناء كبير يوضع فيه الطعام، وكان الناس في بلدة الباحث يسمّون وليمة العرس جفنة، وجفان، ولا يطلقون مسمّى جفنة إلا على طعام ليلة العرس.

وذكروا من أنية الطعام القدور، يقول طرفة:

تَبَيْتَ إِمَاءَ الْحَيِّ تَطْهِي قَدُورَنَا وَيَأْوِي إِلَيْنَا الْأَشْعَثَ الْمُتَجَرِّفُ^(٣)
وَيَقُولُ السَّلِيكُ بِنَ السَّلَكَةِ:

سَيَكْفِيكَ فَقَدْ الْحَيِّ لَحْمٌ مَغْرَضٌ وَمَاءٌ قَدُورٍ فِي الْجِفَانِ مَشُوبُ^(٤)
واستخدم الجاهليون أواني الفضة يشربون فيها الخمر، يقول عبيد بن الأبرص:

(١) الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ط٢، ص ٢٠.

(٢) التونجي، ديوان الأفوه الأودي، ط١، ص ٩٢.

(٣) الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ط٢، ص ١٣٧.

(٤) ثويني، وعواد، ديوان السليك بن السلكة، ط١، ص ٤٥.

إِذَا ذَقْتَ فَاهَا قَلْتَ طَعْمَ مُدَامَةٍ مُشْعَشَعَةً تَرْخِي الْإِزَارَ قَدِيحٍ^(١)
بِمَاءِ سَحَابٍ فِي أَبَارِيقِ فَضَّةٍ لَهَا ثَمَنٌ فِي الْبَائِعِينَ رَبِيحٍ

ومن الأواني ذكروا الزَّق، وهو إناء للشرب يتخذ من الجلد، ويذكر كثيراً مرتبطاً بالخمير، وكأنه مخصص لها، يقول امرؤ القيس:

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلذَّةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خُلْخَالٍ^(٢)
وَلَمْ أَسْبَأِ الزَّقَّ الرُّوِّيَّ وَلَمْ أَقْلِ لَخِيلِي كَرِيَّ كَرَةً بَعْدَ إِجْفَالٍ

ومن أدواتهم المزادة، أي القربة الكبيرة، وهي إناء يحتفظ فيه بالطعام أو الماء، وهي إما من الجلد للماء، أو من الخوص وغيره للطعام، يقول امرؤ القيس:

أَمِنْ ذَكَرٍ نَبْهَانِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا بَجَزَعِ الْمَلَا عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ^(٣)
فَدَمَعُهُمَا سَكَبٌ وَسَحْجٌ وَدِيمَةٌ وَرَشٌّ وَتَوَكَّافٌ وَتَنْهَمَلَانِ
كَأَنَّهُمَا مَزَادَتَا مُتَعَجِّجٍ فَرِيَّانٍ لَمَّا تُسَلِّقَا بِدِهَانِ

واستخدموا الجرار، ويسمونها القلال أحياناً، وهي آنية تصنع من الفخار غالباً، وتخصص لحفظ السوائل، واشتهرت بأنها تستخدم لحفظ الخمر، يقول لبيد:

كَأَنَّ سَحِيلَهُ شَكْوَى رَئِيسٍ يُحَاذِرُ مِنْ سَرَايَا وَاعْتِيَالِ^(٤)
تَبَكِّيَ شَارِبٍ أَسْرَتْ عَلَيْهِ عَتِيقُ الْبَابِلِيَّةِ فِي الْقِلَالِ

وصنعوا من الخشب تروساً للقتال، يقول النابغة الجعدي في وصف الفرس:

كَأَنَّ مَقْطَ شَرَّاسِيْفِهِ إِلَى طَرَفِ الْقُنْبِ فَاَلْمَنْقَبِ^(٥)
لُطْمَنَ بَتْرُسٍ، شَدِيدِ الصِّفَاقِ مِنْ خَشَبِ الْجَوْزِ، لَمْ يُثَقِّبِ

وصنعوا المنارات التي توضع فيها السرج للإضاءة، وهي تصنع من الخشب، ويسمى السراج نبراساً كما في قول أوس بن حجر:

(١) عذرة، شرح ديوان عبيد بن الأبرص، ط١، ص٣٩.

(٢) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط٥، ص١٢٧.

(٣) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط٥، ص١٦٦.

(٤) طماس، ديوان لبيد بن ربيعة، ط١، ص٦٩.

(٥) الصمد، ديوان النابغة الجعدي، ط١، ص٣٧.

مَعِيَ مَارْنُ لَدُنْ يَزِينُ قَنَاتَهُ سَنَانُ كَنْبِرَاسِ النَّهَامِيِّ مَنْجَلٌ^(١)
تَقَاكَ بِكَعْبٍ وَاحِدٍ وَتَلَدُهُ يَدَاكَ إِذَا مَا هُزَّ بِالْكَفِّ يَغْسِلُ

ونقل الشعر شيئاً مما كان يستخدمه الجاهليون للإضاءة، فهم قد صنعوا السراج الذي يكون في أسفله الزيت، ثم يوضع الفتيل ويشعل، فيبقى متقدماً ما بقي فيه الزيت، وقد ذكر امرؤ القيس أنهم كانوا يستخدمون زيت السمسم لأجل ذلك، وسماه السليط، وما زال الناس في جنوب الجزيرة العربية إلى اليوم يسمون زيت السمسم السليط:

أَصَاحُ تَرَى بَرْقاً أُرِيكَ وَمِيْضُهُ كَلَمَعَ الْيَدَيْنِ فِي حَبِي مُكَلَّلٌ^(٢)
يُضِيءُ سَنَاهُ، أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ أَهَانَ السَّلِيْطُ بِالذُّبَالِ الْمُفْتَلِ
قَعَدْتُ وَأَصْحَابِي لَهُ بَيْنَ ضَارِجٍ وَبَيْنَ الْعُدَيْبِ، بُعْدَ مَا مُتَأَمَّلِي

كذلك نقل الشعر عن الجاهليين أنهم استخدموا المنشال، وهو قضيب من الحديد معكوف الرأس يستخرج به اللحم من القدور، وما زال الناس في جنوب الجزيرة يسمونه المنشال:

قَدْ أَقْطَعُ الْأَرْضَ وَهِيَ قَفْرٌ وَصَاحِبِي بَازِلٌ شَمْلَالٌ^(٣)
وَعَائِطٌ قَدْ هَبَطَتْ وَحَدِي لَلْقَلْبِ مِنْ خُضُوفِهِ اجْتَلَالٌ
صَابَ عَلَيْهِ رَبِيعٌ صَيْفٌ كَأَنَّ قَرِيَانَهُ الرَّحَالَ
تَقْدُمْنِي نَهْدَةً سَبُوحٌ صَبَبَهَا الْعُضُّ وَالْحِيَالُ
كَأَنَّهَا لِقْوَةٌ طَالُوبٌ كَأَنَّ خُرْطُومَهَا مَنْشَالٌ

وصنعوا الحظائر للدواب، والعرائش لتقيهم حرَّ الشمس، وتدفعهم في الليالي الباردة، وتصنع من جذوع الأشجار وفروعها، يقول لييد:

هَلَكْتُ عَامِرٌ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا بَرِيَاضُ الْأَعْرَافِ إِلَّا الدِّيَارُ^(٤)
غَيْرُ آلٍ وَعُنَّةٍ وَعَرِيْشٍ ذَمَعَتْهَا الرِّيحُ وَالْأَمْطَارُ

(١) نجم، ديوان أوس بن حجر، ط٢، ص ٩٦.

(٢) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط٥، ص ١٢١.

(٣) مرجع سابق، ص ١٤٣.

(٤) طماس، ديوان لييد بن ربيعة، ط١، ص ٥٠.

فالْعَنَّةُ الحَظِيرَةُ الَّتِي تَبْنَى لِلدَوَابِّ، وَالْعَرِيشُ مِثْلُهَا أَرْبَعَةُ أَعْوَادٍ أَعْمَدَةٌ، ثُمَّ يَوْضَعُ عَلَيْهَا سَقْفٌ مِنْ جَرِيدٍ، أَوْ أَغْصَانُ أَشْجَارٍ. وَمِنْ أَدَوَاتِ النِّجَارَةِ ذَكَرُوا الْمِبْرَدَ، وَهُوَ أَدَاةٌ تَسَوَّى بِهَا الْأَسْطَحُ غَيْرِ الْمُسْتَوِيَّةِ، وَيَصْنَعُ الْمِبْرَدُ غَالِبًا مِنَ الْحَدِيدِ، وَقَدْ يَصْنَعُ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَيُسْتَخْدَمُ لَصَقْلِ الْمَصْنُوعَاتِ يَدَوِيًّا، قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ:

وَأَعْمَدَتٌ لِلْحَرْبِ وَثَابَةٌ جَوَادُ الْمَحَثَّةِ وَالْمَرْوَدُ^(١)
وَمَشْدُودَةُ السَّكِّ مَوْضُونَةٌ تَضَاعَلُ فِي الطَّيِّ كَالْمِبْرَدِ
تَفِيضٌ عَلَى الْمَرْءِ أَرْدَانُهَا كَفَيْضِ الْأَتِيِّ عَلَى الْجَدَجِدِ

وَعَرَفَ عَرَبُ جَنُوبِ الْجَزِيرَةِ حَيَاكَةَ الثِّيَابِ، وَأَشَارَ الشُّعْرَاءُ إِلَى تِلْكَ الصَّنِيعَةِ، وَذَكَرُوا بَعْضَ آلَاتِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ دَرِيدِ بْنِ الصَّمَّةِ يَذْكُرُ الصِّيَاصِيَّ، وَهِيَ أَدَاةٌ تَتَّخِذُ مِنْ قُرُونِ الطُّبَاءِ، وَالْبَقَرِ لِيُنْسَجَ بِهَا:

تَنَادَوْا فَقَالُوا أَرَدْتُ الْخَيْلُ فَارْسًا فَقُلْتُ أَعْبَدُ اللَّهَ ذَلِكَ الْرَدِّي^(٢)
فَجِئْتُ إِلَيْهِ، وَالرَّمَا حُ تَنْوَشُهُ كَوَقْعِ الصِّيَاصِيِّ فِي النَّسِيجِ الْمَمْدَدِ

وَمِنْهَا الْمَنْدَفُ، وَهُوَ أَدَاةٌ تُسْتَخْدَمُ لِتَجْهِيْزِ الْقَطَنِ، حَيْثُ يَجْمَعُ الْقَطَنُ فَيُضْرَبُ بِتِلْكَ الْأَدَاةِ إِلَى أَنْ يَلِينَ، وَكَانَ النَّاسُ فِي بَيْئَةِ الْبَاخِثِ إِلَى قَرِيبٍ يُسْتَخْدَمُونَ نَدْفَ بِمَعْنَى ضَرْبٍ، فَيَقُولُونَ فَلَانُ نَدْفِ فَلَانٍ، وَفِي النَّدْفِ، وَسَدَى الْقَطَنِ مَدُّهُ فِي خِيُوطٍ طَوِيلَةٍ، يَقُولُ طَفِيلُ الْغَنَوِيِّ:

كَأَنَّ سَدَى قَطَنِ النُّوَادِفِ خَلْفَهَا إِذَا اسْتَوْدَعْتَهُ كُلَّ قَاعٍ، وَمَذْنَبِ^(٣)

وَيَذْكُرُ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ الْمَطْرَقَةَ، وَهِيَ مِنَ الْأَدَوَاتِ الَّتِي تُسْتَخْدَمُ فِي تَلْيِينِ الصُّوفِ:

أَبْنِي لُبَيْنِي لَسْتُ بِمُ بِيَدٍ إِلَّا يَدٌ لَيْسَتْ لَهَا عَضْدُ^(٤)
تُنْفَوْنَ عَنْ طُرُقِ الْكِرَامِ كَمَا تَنْفِي الْمَطَارِقُ مَا يَلِي الْقَرْدُ

أَيُّ مِثْلَمَا تَتَوَلَّى الْمَطَارِقُ إِبْعَادَ قِطْعِ الصُّوفِ الَّتِي يَلِيهَا الْقَرْدُ، وَالْقَرْدُ هُوَ مَا تَمْعَطُ مِنَ الصُّوفِ.

(١) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط ٥، ص ٥٥.

(٢) عبد الرسول، ديوان دريد بن الصمة، د ت، ص ٦٣.

(٣) أوغلي، ديوان طفيل الغنوي، ط ١، ص ٣٥.

(٤) نجم، ديوان أوس بن حجر، ط ٣، ص ٢٢.

وصنعوا من الشجر القسي، وهي من أشهر آلاتهم في الصيد، والقتال، وأجودها من شجر النبع الذي ينبت في الجبال، يقول الشنفرى:

وحمرَاءَ من نَبْعِ أَبِي ظَهِيرِهِ تَرَنَّ كَارِنَانَ الشَّجِيِّ وَتَهْتَفُ^(١)
إِذَا آلَ فِيهَا النَّزْعُ تَأَبَّى بَعْجَسَهَا وَتَرْمِي بِذُرُوتِهَا بِهِنَ فَتَقْذِفُ

وعرفوا صناعة السهام، واختاروا لها النصال التي تصنع غالباً من الحديد، وكذلك ركبوا عليها أنواعاً من الريش للتوازن، يقول أوس بن حجر:

وَحَشَوْ جَفِيرَ مَنْ فُرُوعَ غَرَائِبِ تَنَطَّعَ فِيهَا صَانِعٌ وَتَنَبَّلَا^(٢)
تَخَيَّرْنَ أَنْضَاءَ وَرَكَبْنَ أَنْصَالاً كَجَمَرِ الْغُضَا فِي يَوْمِ رِيحٍ تَزِيلَا
فَلَمَّا قَضَى فِي الصُّنْعِ مِنْهُنَّ فَهْمُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَسَنَّ وَتَصْقِلَا
كَسَاهُنَّ مِنْ رِيشٍ يَمَانٍ ظَوَاهِرَا سَخَامَا لُؤَامَا لَيْنِ الْمَسِّ أَطْحَلَا

واستخدموا الرايات للجيوش، فكان لكل قبيلة لواء تقاتل تحته، وهذا طفيل الغنوي يقول:

فَمَا بَرَحُوا، حَتَّى رَأَوْا، فِي دِيَارِهِمْ لَوَاءً، كَظَلِّ الطَّائِرِ، الْمُتَقَلِّبِ^(٣)

وعن جانب الثقافة العامة في عموم السروات وتهامة من الحجاز إلى نجران وجازان وما حولها يتحدث الشعراء عن الكتابة وأدواتها، فيذكرون القلم، والدواة، والكتب، وأنواع من النقوش، فهذا لبيد بن ربيعة يتحدث عن الطرس، وهو يعني به الورقة:

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى خُمَيْرِ بَيْتَهُ مُتَنَكِّراً فِي مُلْكِهِ كَالْأَغْلَبِ^(٤)
فَأَجَازَنِي مِنْهُ بِطَرَسٍ نَاطِقٍ وَبِكَلِّ أَطْلَسٍ جَوُّبُهُ فِي الْمَنَكِبِ

كذلك تحدثوا عن كتب الرهبان يقول امرؤ القيس:

قَفَا نَبْكَ مَنْ ذَكَرَى حَبِيبٍ وَعَرَفَانَ وَرَسَمَ عَفَتَ آيَاتُهُ مِنْذُ أَزْمَانِ^(٥)
أَتَتْ حَجَجٌ بَعْدِي عَلَيْهَا فَأَصْبَحَتْ كَخَطِّ زُبُورٍ فِي مَصَاحِفِ رُهَبَانِ

(١) يعقوب، ديوان الشنفرى، ط٢، ص ٥٤.

(٢) نجم، ديوان أوس بن حجر، ط٢، ص ٨٩.

(٣) أوغلي، ديوان طفيل الغنوي، ط١، ص ٤٤.

(٤) طماس، ديوان لبيد بن ربيعة، ط١، ص ٢٥.

(٥) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط٥، ص ١٦٣.

وتحدثوا عن الأدوات التي كانت تستخدم لحفظ المكتوب، فكانوا يتخذون ما يمكنهم الكتابة عليه، ومن ذلك كتابتهم على جريد النخل، قال امرؤ القيس:

مَنْ طَلَّ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ زُبُورٍ فِي عَسِيبِ يَمَانٍ^(١)
دِيَارُ لَهْنَدٍ وَالرَّبَابِ وَفَرَّتْنِي لِيَالَيْنَا بِالنَّعْفِ مِنْ بَدَلَانٍ
لِيَالِي يَدْعُونِي الْهَوَى فَأَجِيبُهُ وَأَعَيْنُ مَنْ أَهْوَى إِلَيَّ رَوَانٍ

ومن تلك الأدوات الألواح التي تحدث عنها ليبيد بن ربيعة، وكانت تتخذ من الخشب غالباً، ثم تطلّى بالذهب لتحسن الكتابة عليها، وهذا دليل على وفرة معدن الذهب في عصرهم:

طَلَّ لَخْوَلَةً بِالرُّسَيْسِ قَدِيمٌ فَبَعَا قُلَّ فَالْأَنْعَمَيْنِ رُسُومٌ^(٢)
فَكَانَ مَعْرُوفَ الدِّيَارِ بِقَادِمٍ فَبِرَاقٍ غَوْلٍ فَالرَّجَامِ وَشُومٌ
أَوْ مُنْهَبٌ جَدَّدَ عَلَى أُلُوحِهِنَّ الْنَاطِقُ الْمَبْرُوزُ وَالْمَخْتُومُ
دَمَنْ تَلَاعَبَتِ الرِّيَاحُ بِرَسْمِهَا حَتَّى تَنْكَرُ نُؤْيَهَا الْمَهْدُومُ

ومثل ذلك تحدثوا عن استخدام الكثير من معدن الفضة لتزيين السلاح، حيث ذكر النابغة الجعدي أنهم يستخدمون الأطنان منها لذلك الغرض:

نُحْلِي بِأَرْطَالِ اللَّجِينِ سَيُوفَنَا وَنَعْلُو بِهَا يَوْمَ الْهِيَاجِ السَّنُورَا^(٣)
والسنور الحديد الذي كانوا يصنعون منه الدروع، والمغافر.

وذكروا من أدوات الكتابة القلم، قال ليبيد:

وَجَلَا السُّيُولُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زَبَرَتْ جَدَّ مَتُونَهَا أَقْلَامُهَا^(٤)

وقال يصف الكاتب، وينقل بعض أدوات الكتابة ومنها القلم، والعسيب، والأخشاب:

دَرَسَ الْمَنَا بِمُتَالَعِ فَابَانَ وَتَقَادَمَتْ بِالْحُبْسِ فَالسُّوبَانَ^(٥)
فَنَعَا صَارَةً فَالْقَنَانِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ يُرْجَعُهَا وَلَيْدُ يَمَانٍ

(١) مرجع سابق، ص ١٦٥.

(٢) طماس، ديوان ليبيد بن ربيعة، ط ١، ص ٩٩.

(٣) الصمد، ديوان النابغة الجعدي، ط ١، ص ٧١.

(٤) طماس، ديوان ليبيد بن ربيعة، ط ١، ص ١٠٨.

(٥) مرجع سابق، ص ١٣٢.

مُتَعَوِّدٌ لِحَنٍّ يُعِيدُ بِكَفِّهِ قَلَمًا عَلَى عُسْبٍ ذُبُلْنِ وَبَانَ

وورد ذكر الدواة في شعر سلامة بن جندل فقال:

لَمَنْ طَلَّلَ مِثْلَ الْكِتَابِ الْمُنَمَّقِ خَلَا عَهْدُهُ بَيْنَ الصُّلَيْبِ فَمُطْرَقِ^(١)
أَكَبَّ عَلَيْهِ كَاتِبٌ بِدَوَاتِهِ وَحَادِثُهُ فِي الْعَيْنِ جِدَّةٌ مُهْرَقِ
لِأَسْمَاءٍ إِذْ تَهَوَّى وَصَالِكِ إِنَّهَا كَذِي جُدَّةٍ مِنْ وَحْشٍ صَاخَةِ مُرْشَقِ

والمهرق هنا الصحيفة التي يكتب فيها، وتكون من النسيج أو من غيره ثم يكتب فيه.

وتحدّث الجاهليون في جنوب الجزيرة العربية عن طقوسهم في التعامل مع حياتهم العامة، في سلمهم، وحرّهم، في نومهم، ويقظتهم، وفي جميع شؤون حياتهم، وفي التعامل مع ما يمرّ بهم من أحداث، وما يحملونه من اعتقادات تخصّ الأحياء، والأموات، فذكروا من أساليب عنايتهم بالحيوانات استخدام القار في معالجة أمراض الحيوانات الجلدية، قال النابغة الجعدي:

وَمَوْلَى جَفَّتْ عَنْهُ الْمَوَالِي كَأَنَّمَا يُرَى وَهُوَ مِطْلِي بِهِ الْقَارَ أَجْرِبِ^(٢)

وتحدّثوا عن الآلات التي تساعدهم على استغلال مواردهم الطبيعية، فذكروا من آلات الحفر السخاخين، وهي أدوات تستلجح بها الأرض تشبه المعول قال النابغة الجعدي:

وَنُؤْيٍ كَأَخْلَاقِ النَّضِيجِ تَعَاوَنْتَ عَلَيْهِ الْقِيَانُ بِالسَّخَاخِينَ يُضْرِبِ^(٣)

وكان الجاهليون في جنوب الجزيرة يهتمون لمظهرهم، فمن علاه الشيب سعى إلى تغييره بالخضاب، وكانوا يستخدمون الحناء لذلك، قال امرؤ القيس:

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا بَمُنْجَرْدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ^(٤)
مَكْرَ مَفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ
كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَّاتِ بِنَحْرِهِ عَصَاةُ حِنَاءٍ بِشَيْبٍ مُرْجَلِ

(١) الأحول، ديوان سلامة بن جندل، ط١، ص٣٤.

(٢) الصمد، ديوان النابغة الجعدي، ط١، ص٢٤.

(٣) مرجع سابق، ص٢٦.

(٤) عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، ط٥، ص٣٨.

واستعان الجاهليون بكل ما يساعدهم على الاستفادة من مواردهم الطبيعية، فكان من ممارساتهم اليومية استخدامهم للكلاب من أجل الصيد، حيث كانوا يدرّبونها ثم يجوّعونها قبل أن يطلقوها في أثر الطرائد، يقول امرؤ القيس:

كَأَنِّي وَرَحْلِي فَوْقَ أَحْقَبَ قَارِحٍ بِشُرْبَةٍ أَوْ طَافَ بِعَرْنَانَ مُوجِسٍ^(١)
تَعَشَى قَلِيلًا ثُمَّ أَنْحَى ظُلُوفَهُ يُثِيرُ التَّرَابَ عَنْ مَبِيتٍ وَمَكْنَسٍ
فَصَبَّحَهُ عِنْدَ الشَّرُوقِ غُدِيَّةٌ كَلَابُ ابْنِ مَرٍّ أَوْ كَلَابُ ابْنِ سَنْبَسٍ
مُغْرَثَةٌ زُرْقًا كَأَن عِيُونَهَا مِنَ الذَّمْرِ وَالْإِيحَاءِ نَوَارُ عَضْرَسٍ

وكانوا يميلون إلى الطرب في مساء اتهم الخالية من المنغصات، في بيوت تهتمّ بنشر الروائح العطرية في جوانبها، وقد عرفوا العود الذي يصفه عبيد بن الأبرص العود بأنّه مجوّف ذو أوتار:

وَبَيْتُ يَفُوحُ الْمِسْكُ مِنْ حَجَرَاتِهِ تَسْدِيئَتِهِ مِنْ بَيْنِ سَرٍّ وَمَخْطُوبِ
وَمُسْمَعَةٍ قَدْ أَصْحَلَ الشُّرْبُ صَوْتَهَا تَأَوَّى إِلَى أَوْتَارِ أَجُوفَ مَحْنُوبِ^(٢)

كذلك حمل لنا الشعر الجاهلي صورة من تعاملهم مع الموت، حيث يوضح أنّهم وقفوا كثيرا على القبور، يناجونها حيناً، ويعبّرون عن اعتقاداتهم حولها.

وقد آمن جاهليو جنوب الجزيرة بأن القبر بيت المال، وأيقنوا أنّه المكان الذي يستوي فيه المتفاوتون في الدنيا، حيث يبين طرفة أنّ القبر هو المكان لا يتفاضل فيه بشر على بشر، ولا يستقبل فيه الناس بحسب أحوالهم في الحياة قبله، ولأجل ذلك الفهم لتلك الحقيقة يرى طرفة أنّه ليس من المنطقي أن يهتم المرء بجمع المال، ويتراخى عن إنفاقه، فالحياة قصيرة، والنهاية واحدة، والمال لن يفيدهم شيئاً في المكان الذي هم سائررون إليه:

أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسَدِ^(٣)
تَرَى جُثُوتَيْنِ مِنْ تَرَابٍ عَلَيْهِمَا صَفَايِحُ صُمٍّ مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَدِ

(١) مرجع سابق، ص ٨٨.

(٢) عدرة، شرح ديوان عبيد بن الأبرص، ط ١، ص ٣٣.

(٣) الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبيد، ط ٢، ص ٢٦.

والجاهليون الجنوبيون ينظرون إلى الحياة والموت نظرة واقعية، ومسلّمة حياتية، والموت عند الأفوه الأودي - مثلاً - محطة يسعى الإنسان منذ ولادته ليصلها، فما الحياة الدنيا إلا رحلة سرعان ما تنتهي، وما بيوت الصوف والشعر إلا ظل زائل، وهذا الأفوه الأودي ينقل تعامل الجاهليين الجنوبيين مع الموت، وطقوسهم في تغسيل الميت بالماء البارد، وبأنواع من المكوّنات التي يغسل بها الميت، ثم وضع الطين الرطب، واليابس:

أَلَا عَلَّلَانِي وَعَلَّمَا أَنَّنِي غَرَّرَ
وَمَا خَلْتُ يُجْدِينِي أَسَاتِي وَقَدْ بَدَتْ
وَجَاءَ نِسَاءَ الْحَيِّ مِنْ غَيْرِ أَمْرَةٍ
وَجَاؤُوا بِمَاءٍ بَارِدٍ وَبِغَسَلَةٍ
إِلَى حُفْرَةٍ يَأْوِي إِلَيْهَا بِسَعْيِهِ
وَهَالُوا عَلَيْهِ الثَّرْبُ رَطْبًا وَيَابَسًا
وَمَا خَلْتُ يُجْدِينِي الشَّفَاقُ وَلَا الْحَذَرُ^(١)
مَفَاصِلُ أَوْصَالِي وَقَدْ شَخَّصَ الْبَصَرُ
زَفِيْفًا كَمَا زَفَتْ إِلَى الْعَطْنِ الْبَقَرُ
فَيَا لَكَ مِنْ غُسْلٍ سَيَتْبَعُهُ عِبَرُ
فَذَلِكَ بَيْتُ الْحَقِّ لَا الصُّوفُ وَالشَّعْرُ
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا سِوَى تِلْكَ يُجْتَبَرُ

وإيمانهم بأنّ الموت هو النهاية التي لا مفرّ منها، وأنّه المنتهى الذي لا بد منه، فقد جرّأهم ذلك الاعتقاد على خوض الحروب، ومقارعة الأقران، حيث أيقنوا بأنّ الموت شيء محتمّ، فاختاروا أن يجيء الموت وهم يحملون أنفسهم على أكفهم في غمرات الحروب، يقول تأبط شراً:

وَأَجْمَلُ مَوْتِ الْمَرءِ إِذْ كَانَ مَيِّتًا
وَحَفْضُ جَأَشِي أَنْ كُلَّ ابْنِ حُرَّةٍ
وَأَنْ سَوَامَ الْمَوْتِ تَجْرِي خِلَالُنَا
- وَلَا بُدَّ يَوْمًا - مَوْتُهُ وَهُوَ صَابِرُ^(٢)
إِلَى حَيْثُ صِرْتَ لَا مَحَالَةَ صَائِرُ
رَوَائِحُ مِنْ أَحْدَاثِهِ وَبَوَاكِرُ

ومثل ذلك يظهر في شعر الشنفرى الأزدي، إذ يبدو مؤمناً بأن الموت هو النهاية الحتمية، يستوي في ذلك الضارب في فجاج الأرض، والقاعد في بيت أهله:

إِذَا مَا أَتَنِي مَيِّتِي لَمْ أَبَالِهَا
وَلَوْ لَمْ أَرْمِ فِي بَيْتِ أَهْلِي قَاعِدًا
وَلَمْ تُذَرْ خَالَاتِي الدُّمُوعَ وَعَمَّتِي^(٣)
أَتَنِي إِذْنُ بَيْنِ الْعَمُودِينَ حَمَّتِي

(١) التونجي، ديوان الأفوه الأودي، ط١، ص ٧١.

(٢) حرب، ديوان تأبط شراً، ط١، ص ٣١.

(٣) يعقوب، ديوان الشنفرى، ط٢، ص ٣٨.

ولأن هذه القناعة قد جرأت الجاهلي على القتال، وحثته على الإقدام، فقد كانت النساء يحذرن الزواج من الفتيان الذين نذروا حياتهم للإغارة، والقتال، لأنهن يخشين على أنفسهن الترمّل، وعلى أطفالهن من اليتيم، وقد ذكر تأبط شراً موقفاً من تلك المواقف فقال:

وَقَالُوا لَهَا لَا تَنْكِحِيهِ فَإِنَّهُ لَأَوَّلَ نَصْلٍ أَنْ يَلَاقِي مَجْمَعاً^(١)
فَلَمْ تَرَ مِنْ رَأْيِي فَتِيلاً وَحَاذَرْتُ تَأْيِمَهَا مِنْ لَابَسِ اللَّيْلِ أُرْوَعَا

ونقل الشعر الجاهلي بعض الصور عن الأدوات التي تستخدم في القبور، حيث كان الجاهليون يضعون على تلك القبور ما يساعد على حمايتها، فيضعون الأخشاب أحياناً، والصخور أحياناً، وربما جمعوا بينها، ووضعوا الطين المبلل بالماء، يقول لبيد:

فَإِذَا دَفَنْتَ أَبَاكَ فَاجْعَلْ فَوْقَهُ خَشَباً وَطِيناً^(٢)
وَصَفَائِحاً صُمّاً، رَوَا سِيَهَا يُسَدِّدَنَّ الْغُضُونَا
لَيَقِينَ حُرَّ الْوَجْهِ مِنْ عَفْرِ التُّرَابِ، وَلَنْ يَقِينَا

وكانت من عادات عرب جنوب الجزيرة في الجاهلية أن يقوم الأحياء بصبّ الخمر على قبور الأموات، وهي عادة شعائرية مارسها الجاهليون مثلما مارسها أمم سابقة، كما ذكر عن الحضارة المصرية القديمة، وكذلك نقل عن السومريين وغيرهم، فالجاهليون يبللون القبور بالخمور ربما من أجل ظنهم أنّ الميت سيستفيد منها، على الرغم من أنّ قس بن ساعدة يشك في استفادة الأموات من تلك الخمر:

نَدِيمِيْ هُبَا طَالَمَا قَدْ رَقِدْتُمَا أَجْدَكُمَا لَا تَقْضِيَانِ كَرَآكُمَا^(٣)
أَجْدَكُمَا مَا تَرْتِيَانِ لُوجَعَ حَزِينٍ عَلَى قَبْرِيكُمَا قَدْ رَثَاكُمَا
أَصَبَّ عَلَى قَبْرِيكُمَا مِنْ مَدَامَةٍ فَلَا تَذَوْقَاهَا تَرَوُثَاكُمَا

ومن الملاحظ أنّ قس بن ساعدة يمارس تلك الطقوس على الرغم مما عرف عنه من الإيمان بالله وباليوم الآخر، وعلى الرغم مما يجده الباحث لدى قس نفسه من نصوص يثبت فيها ذلك الإيمان.

(١) حرب، ديوان تأبط شراً، ط١، ص ٣٨.

(٢) طماس، ديوان لبيد بن ربيعة، ط١، ص ١٢٨.

(٣) الربيعي، قس بن ساعدة الإيادي، حياته، خطبه، شعره، د ط، ص ٤٠٠.

كذلك يتطرق الشعراء الجاهليون في نصوصهم إلى طرقهم في التعامل مع الجثة قبل إنزالها القبر، ومن ذلك تكفينها في بعض الثياب إن تمكنوا من ذلك:

يَا نَاعِي الْمَوْتَ وَالْأَمْوَاتِ فِي جَدَثٍ عَلَيْهِمْ مِنْ بَقَايَا ثَوْبِهِمْ خَرَقُ^(١)
دَعُهُمْ فَإِنْ لَهُمْ يَوْمًا يُصَاحُ بِهِمْ كَمَا يُنَبِّهُ مِنْ نَوْمَاتِهِ الصَّعَقُ
مِنْهُمْ عُرَاةٌ وَمَوْتَى فِي ثِيَابِهِمْ مِنْهَا الْجَدِيدُ وَمِنْهَا الْأَوْرَقُ الْخَلِقُ

واستخدم الجاهليون الحنوط، وهو أنواع من الطيب يجعلونها في الثياب التي يدفنون فيها الميت، وكانوا يحنطون حين يخرجون إلى القتال تحسباً للقتل، وقد ذكر عبيد بن الأبرص الحنوط في قوله:

سَائِلُ بَنَّا حُجْرَ ابْنِ أُمِّ قَطَامٍ إِذْ ظَلَّتْ بِهِ السُّمُرُ النَّوَاهِلُ تَلْعَبُ^(٢)
صَبْرًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَلْفَانَا مَسْكٌ وَغَسْلٌ فِي الرُّؤُوسِ يُشَيِّبُ

وفي أفكارهم عن الموت اعتقد العرب أن نفس المقتول تبقى حائمة حول القبر، وأنها تكون طيرا صغيرا لا يرى، ثم ما تزال تكبر حتى تصبح مثل البومة، فتستمر في الصباح اسقوني، وهكذا تبقى أبد الدهر تصيح فما تسكت إلا إذا أخذ بثأر ذلك المقتول، ولعلها خرافة متعمد ابتداعها لأجل التحريض على الأخذ بالثأر، إذ قد تلجأ المجتمعات إلى ابتداع أفكار تساعد على إحياء منهج من المناهج، وعلى هذا الاعتقاد يقول ذو الإصبع:

يَا عَمْرُو لَا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرِبَكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ اسْقُونِي^(٣)

ب- بعض الجوانب الفنية والأدبية في شعر جنوب الجزيرة العربية:

مال شعراء جنوب الجزيرة إلى السرد القصصي في نصوصهم الشعرية، وأظهروا عناية فائقة باستقصاء الزوايا المختلفة للموضوعات التي يطرّقونها، وكان واضحا أنهم جعلوا من أولوياتهم استقصاء المشاهد المتتالية، من أجل الوصول إلى تكوين صورة متكاملة، تحمل من ضمن ما تحمله تفاعل الشاعر مع الحدث المنقول، وترسم صورة مكتملة الزوايا لذلك الحدث. ولعل مرد ذلك إلى خلو حياة الجاهليين من المشتتات،

(١) الربيعي، قس بن ساعدة الإيادي، حياته، خطبه، شعره، د ط، ص ٣٦٥.

(٢) عدرة، شرح ديوان عبيد بن الأبرص، ط ١، ص ٣٢.

(٣) العدوان، والدليمي، ديوان ذي الإصبع العدواني، د ط، ص ٩٢.

وتمتعهم بفسحة من الوقت لا يكونون فيها منشغلين بممارسة الأعمال، فانبسطت الحياة أمامهم كما تنبسط الأرض الفسيحة، وفي مثل هذه الأحوال يحلو الحديث، ويطول السمر، ويأخذ الشاعر وقته في نظم قصائده، فيورثون نصوصاً شعرية تلتقط من محيطهم أدق تفاصيل الأشياء. فالزراع له مواسم لا تضطر الزارع إلى تمضية الوقت في ممارسة أعمال زراعية متتالية، فبعد البذر كل ما على الجاهلي عمله هو أن ينتظر وقت الحصاد، وبعد الحصاد كل ما عليه عمله هو أن ينتظر موسم البذر القادم، وفي الرعي يكون النهار قليل الشغل، كثير الفسحة، ويكون الليل مبسوطة للسمر. والحرب تأخذ من سنتهم أياماً تعدّ على الأصابع، وكثير من الحروب لا تزيد - في كثير من الأيام - على الرمي بالحجارة، أو أن يلتقي الرجل الرجل، والرجلان الرجلين، والثلاثة الثلاثة، كما روت الأنباء عن حرب البسوس، فأما الأيام الكبرى فلعلها لا تزيد على يوم في العام، ثم هو يوم لا يسبقه حصار، ولا تتبعه مناوشات.

كلّ ذلك منح الشاعر الجاهلي فسحة من الوقت لترتيب أفكاره، ومعلوم أنّ القصائد الطوال إنما هي مقطوعات وجد شعراؤها الوقت لجمعها، وتقيقها، وربط أجزائها.

برز اهتمام شعراء جنوب الجزيرة العربية في العصر الجاهلي بالسرد القصصي في دواوينهم الشعرية، وتفننوا في جمع أطراف القصص، وسرد تتابع الأحداث. وكانت عنايتهم بهذا النوع من الفن القصصي في الشعر محفّزاً لهم للتباري فيه، فقلّ أن يجد الدارس قصيدة طويلة لا تحمل هذا النوع من التصوير المحيط بالأشياء. ويستوي عند الجاهليين أن يكون الشعر في الفخر، أو الغزل، أو الرثاء، أو أيّ غرض آخر من أغراضهم الشعرية التي تباروا في الإبداع من خلالها.

يصوّر الشنفرى تأثير إحدى غزواته منفرداً في نفوس أعدائه، إذ بدأ بتصوير حال ليلته تلك، فهي شديدة البرودة، إلى الحد الذي يدفع الإنسان إلى أن يحرق شيئاً من سلاحه ليستدفئ به، ومع ذلك كان الشنفرى نشيطاً للإغارة، حريصاً عليها، فقتل من قصد إلى قتله، ثم عاد وما زال الليل في عبوسه، ولم يدر الأعداء لشدة سرعته في الهجوم ماذا أصابهم، إلى درجة إنهم أصبحوا يتساءلون عن ذلك الطارق الذي طرقهم بليل، وقد أخذ الشاعر في تفصيل محاورتهم تفصيل من سمع وشهد:

وَلَيْلَةٌ قَرَّ يَصْطَلِي الْقَوْسَ رَبُّهَا وَأَقْطَعَهُ اللَّاتِي بِهَا يَتَنَبَّلُ^(١)

دَعَسْتُ عَلَى غَطَشٍ وَبَغَشٍ وَصَحْبَتِي
فَأَيَّمْتُ نِسْواناً وَأَيَّمْتُ إِلْدةً
فَأَيَّمْتُ نِسْواناً وَأَيَّمْتُ وَلْدةً
وَأَصْبَحَ عَنِي بِالْغَمِصَاءِ جالِساُ
فَقَالُوا لَقَدْ هَرَّتْ بَلِيلُ كَلابِنا
فَلَمْ يَكْ إِلَّا نَبْأَةُ ثَمَّ هُومَتْ
فَإِنْ يَكُ مِنْ جَنْ لِأَبْرَحَ طارِقاً
سُعارٌ وإِرْزِيرٌ ووَجَرٌ وأَفْكل
وَعَدْتُ كَمَا أَبْداْتُ وَاللَّيْلُ أَلِيلُ
وَعَدْتُ كَمَا أَبْداْتُ وَاللَّيْلُ أَلِيلُ
فَرِيقانِ مَسْـوُولٌ وَآخِرُ يَسْأَلُ
فَقَلْنَا أَذْئَبُ عَسَّ أَمْ عَسَّ فَرَعْلُ
فَقَلْنَا قَطاً قَدْ رِيعَ أَمْ رِيعَ أَجْدُلُ
وَإِنْ يَكُ إِنْساً ما كَها الْإِنْسُ تَفْعَلُ

بينما يسرد تأبط شراً قصة تدور حول لقائه بالغول، مفصلاً الحديث عن ذلك اللقاء المزعوم، حيث يسرد الشاعر قصة إحساسه بشيء غريب يسمعه ولا يراه، وتلك المحادثة السريعة بينهما، وذلك القتال الذي يدور في ظلام الليل، ولكنه يتمكن من قتله، ثم يبيت ليلته متكئاً عليه من أجل أن يتبينه إذا أصبح، فإذا به يتأكد صباحاً أنه كان يقاتل غولا يسرد صفتها التي طالما تصوورها الجاهلي في خياله عن ذلك الكائن الأسطوري، ولا ينسى تأبط شراً أن يدخل في قصته الأسطورية ما كان يظنّه العرب من معتقدات تخصّ الغول، ومن ذلك أنهم كانوا يظنون أن الغول إذا ضربه الرجل ضربة واحدة فإنها تقضي عليها، ولذلك فإن الغول تحاول أن تدفع ضاربها إلى أن يكرر الضربة لأنهم يعتقدون أن الغول تحببها الضربة الثانية، وهكذا ينقل تأبط شراً استكمال الحكاية الأسطورية بتسجيل صورة لذلك الكائن الخرافي:

أَلا مَنْ مُبْلَغُ فَتِيانٍ فَهَمَّ
بَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الْغُولَ تَهْوِيُ
فَقُلْتُ لَهَا: كَلاناً نَضُوءُ أَرْضِ
فَشَدَّتْ شَدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَتْ
فَأَضْرَبُهَا بِلَا دَهْشٍ فَخَرَّتْ
فَقَالَتْ عُدْ فَقُلْتُ لَهَا رُويْداً
فَلَمْ أَنْفَكْ مَتَكئاً لَدِيهَا
إِذَا عَمِينانِ فِي رَأْسِ قَبِيحٍ
بِما لاقَيْتُ عِنْدَ رَحَا بَطانٍ^(١)
بَسْهَبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحانِ
أَخَوْ سَفَرٍ فَخَلِي لِي مَكَانِي
لَهَا كَفِّي بِمَصْقُولٍ يَمَانِ
صَريعاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجَرانِ
مَكَانَكَ إِنَّنِي ثَبْتُ الْجَنانِ
لَأَنْظُرَ غَدَوَةَ مَازَا أَتَانِي
كَرَأْسِ الْهَرِّ مُسْتَرْقَ اللِّسانِ

(١) شاكر، ديوان تأبط شراً وأخباره، ط ١، ص ١٠٦.

وَسَاقًا مُخَدَجٍ وَسَـرَّاءَ كَلْبٍ وَثَوْبٌ مِنْ عَبَاءٍ أَوْ شَنَانٍ

وامرؤ القيس المولع بالصيد يسرد بالتفصيل أحداث رحلة صيد خرج فيها مع أصحابه، فيبين المكان الذي خرجوا يصطادون فيه، ثم يصادفون سرباً من الحيوانات العاشبة، فتنادوا لوضع خطة الاصطياد، ومن ثمّ أركبوا غلامهم على ظهر حصان قوي سريع، ولا يغفل الشاعر في سرده لتلك القصة عن أدق التفاصيل فيها، فيصور مشقة تقبّل الحصان لركوب الغلام، ثم صورة الغلام وهو يحفز الحصان في أثر الصيد مرة بالساق، ومرة بالسوط، ثم كيف أدرك من الصيد ثورا فقتله، وبعد ذلك يصور امرؤ القيس عودتهم بالصيد إلى بيت لهم قد نصبوه، ولا ينسى الشاعر سرد كل ما تمكن من سرده من التفاصيل، فإذا به يخبرنا عن نوع القماش الذي وضع سقفاً للبيت، وكيف كانت طريقتهم في الجلوس للاستراحة، فقد أسندوا ظهورهم إلى أطناب البيت، وينقل لنا صورة لعيون الحيوانات البرية التي تخالسهم النظر:

خَلِيلِي مُرَا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ نَقَضَ لُبَانَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعَذَّبِ^(١)
وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا وَمَاءُ النَّدَى يَجْرِي عَلَى كُلِّ مَذْنَبٍ
بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ لَاحَهُ طَرَادُ الْهَوَادِي كُلِّ شَأْوَ مُغْرَبٍ
فَبَيْنَا نَعَاجٌ يَرْتَعِينَ خَمِيلَةَ كَمَشِي الْعَذَارَى فِي الْمَلَأِ الْمُهْدَبِ
فَكَانَ تَنَادِينَا وَعَقْدَ عِذَارِهِ وَقَالَ صَحَابِي قَدْ شَأَوْنَكَ فَاطْلُبْ
فَلَأَيَّا بِلَايٍ مَا حَمَلْنَا غُلَامَنَا عَلَى ظَهْرٍ مَحْبُوكِ السَّرَاةِ مُحْنَبٍ
وَوَلَّى كَشُوبُوبِ الْعَشِيِّ بَوَابِلَ وَيَخْرُجْنَ مِنْ جَعْدِ ثَرَاهُ مُنْصَبٍ
فَلِلْسَاقِ الْهُوبِ وَلِلْسُوطِ دُرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعُ أَهْوَجُ مُتْعَبٍ
فَأَدْرَكَ لَمْ يَجْهَدْ وَلَمْ يَثْنِ شَأَوُهُ يَمُرُّ كَخَذَرُوفِ الْوَلِيدِ الْمُثْقَبِ
تَرَى الْفَارِ فِي مُسْتَنْقَعِ الْقَاعِ لَاحِبًا عَلَى جَدَدِ الصَّحَرَاءِ مِنْ شَدِّ مُلْهَبٍ
خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا خَفَاهُنَّ وَدَقُّ مِنْ عَشِيِّ مُجْلَبٍ
فَعَادَى عَدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ وَبَيْنَ شَبُوبٍ كَالْقَضِيمَةِ قَرْهَبٍ
وَوَظَلٌ لَثِيرَانِ الصَّرِيمِ غَمَغَمٌ يُدَاعِسُهَا بِالسُّمَهْرِيِّ الْمُعْلَبِ
فَكَابَ عَلَى حُرِّ الْجَبِينِ وَمُتَقٍّ بِمَدْرِيَّةٍ كَأَنَّهَا ذَلَقُ مِشْعَبٍ

فَعَالُوا عَلَيْنَا فَضْلَ ثَوْبٍ مُطَنَّبٍ
رُدَيْنِيَّةً بِهَا أَسْنَةُ قُعْضُبٍ
وَصَهْوَتُهُ مِنْ أَتَحْمِي مُشْرَعَبٍ
إِلَى كُلِّ حَارِيٍّ جَدِيدٍ مُشَطَّبٍ
وَأَرْجُلُنَا الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يُثَقَّبِ

وَقُلْنَا لِفَتَيَانِ كَرَامٍ أَلَا انْزَلُوا
وَأَوْتَادَهُ مَادِيَّةٌ وَعَمَادُهُ
وَأَطْنَابُهُ أَشْطَانُ خَوْصٍ نَجَائِبٍ
فَلَمَّا دَخَلْنَاهُ أَضْفَنَّا ظُهُورَنَا
كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا

والأمر ذاته يجده الباحث عند الشاعر نفسه حين يتحدث عن الثور الوحشي، حيث بدأ امرؤ القيس بتحديد التوقيت من بدايته -وقت العشاء- ثم أخذ يصور تصويراً دقيقاً كل أطراف القصة، إلى درجة أنه يصف بدقة عملية تحريك الثور لأظلافه حين أراد أن يهيئ مكاناً للمبيت، ثم يصف شكله حين اضطجع طاوياً بعضه على بعض، ولا ينسى امرؤ القيس تحديد المكان، فيحدد أنه أسفل إحدى شجر الأروطى، ثم كيف باكرته كلاب الصيد التي سبق تجويعها، ويسرد تفاصيل ملاحقتها له، وكيف جرّحته جراحاً واضحة، ولكنه مع ذلك نجا منها:

أَمِ الصَّرْمُ تَخْتَارِينَ بِالْوَصْلِ نِيَّاسٌ^(١)
مِنَ الشَّكِّ ذِي الْمَخْلُوجَةِ الْمُتَلَبِّسِ
بَشُرْبَةٍ أَوْ طَافَ بِعِرْنَانٍ مُوَجِّسِ
يُثِيرُ التَّرَابَ عَنْ مَبِيتٍ وَمَكْنَسِ
إِثَارَةٍ نَبَّاتِ الْهَوَاجِرِ مُخْمَسِ
وَضَجَعَتُهُ مِثْلُ الْأَسِيرِ الْمُكَرَّدَسِ
إِذَا أَلْثَقَتْهَا غَبِيَّةٌ بَيْتَ مُعْرَسِ
كَلَابُ ابْنِ مُرٍّ أَوْ كَلَابُ ابْنِ سَنْبَسِ
مِنَ الذَّمِّ وَالْإِيحَاءِ نَوَارُ عَضْرَسِ
عَلَى الصَّمَدِ وَالْأَكَامِ جَذْوَةٌ مُقْبَسِ
بِذِي الرَّمْثِ إِنْ مَاوَتْهُ يَوْمَ أَنْفَسِ
كَمَا شَبَّرَقَ الْوَلَدَانُ ثَوْبَ الْمُقْدَسِ
كَقَرَمِ الْهَجَانِ الْفَادِرِ الْمُتَشَمِّسِ

أَمَاوِي هَلْ لِي عِنْدَكُمْ مِنْ مُعْرَسِ
أَبْنِي لَنَا، إِنْ الصَّرِيمَةُ رَاحَةٌ
كَأَنِّي وَرَحْلِي فَوْقَ أَحْقَبٍ قَارِحِ
تَعَشَى قَلِيلًا ثُمَّ أَنْحَى ظُلُوفَهُ
يَهِيلُ وَيَذْرِي تُرْبَهَا وَيُثِيرُهُ
فَبَاتَ عَلَى خَدِّ أَحْمَمٍ وَمَنْكَبِ
وَبَاتَ إِلَى أَرْطَاةٍ حَقَفَ كَأَنَّهَا
فَصَبَحَهُ عِنْدَ الشُّرُوقِ غُدِيَّةُ
مُغْرَثَةٍ زُرْقًا كَأَنَّ عُيُونَهَا
فَادْبَرَ يَكْسُوهَا الرِّغَامُ كَأَنَّهُ
وَأَيَقُنْ إِنْ لَاقَيْنَهُ أَنْ يَوْمَهُ
فَادْرَكْنَهُ يَأْخُذْنَ بِالسَّاقِ وَالنَّسَا
وَعَوْرَنَ فِي ظِلِّ الْغَضَا وَتَرَكَنَهُ

وعلى النهج ذاته يسير النابغة الجعدي، إذ يسرد في غير تعجل قصة بقرة وحشية تركت صغيرها لينام، ولكن ذئبا جائعا خالفها إلى الصغير فهاجمه، ولا ينسى النابغة أن يصوّر المشهد تصوير من يحرص على إبراز كل جوانب القصة، حيث يبدو الذئب حريصا على أن يتأكد من موت صغير البقرة الوحشية، حتى إنه ليصوّر كيف أن الذئب حين يرى حركة في أسفل يد الجوّذر يسارع إلى تمزيق صدره ليتأكد من موته، ثم ينتقل النابغة إلى تصوير حالة الأم بعد أن وجدت أشلاء الصغير، فهي تصيح من الحزن عليه ثلاثة أيام متتالية، ولم يخرجها من حالة الحزن هذه سوى دخولها في حالة خوف جديدة، تسبب فيها ذكر البقر الوحشية، الذي كان ذئبا بالنسبة لما هي فيه أو أكثر شرا من الذئب، ويستمر النابغة في سرد بقية القصة التي احتوت على مطاردة دامية بينهما، قبل أن يبيأس ذلك الفحل فيميل إلى مشاركتها المرعى:

قَطَعْتُ بِحَرْجُوجٍ مَسَانِدَةَ الْقَرَا^(١)
تُعْرَسُ تَشْكُو آهَةً وَتَذْمُرَا
وَتُخْرِجُهُ طَوْرًا، وَإِنْ كَانَ مَظْهَرًا
أَنَامَتْ بِذِي الذُّنْبَيْنِ بِالصَّيْفِ جُودْرًا
شَاحِيحًا تُسَمِّيهِ النَّبَاطِي، نَهْسَرَا
كَشَقَّ الْعَصَا فُوهُهُ، إِذَا مَا تَضَوَّرَا
أَخُو قَنْصٍ يُمَسِّي وَيُصْبِحُ مُقْفَرَا
إِهَابًا، وَمَعْبُوطًا مِنَ الْجَوْفِ أَحْمَرَا
وَرَوَقَيْنِ لَمَّا يَعْدُوا أَنْ تَقْمَرَا
إِلَيْهَا، وَلَمْ يَتْرُكْ لَهَا مُتَأَخَّرَا
وَبَيْنَ حِبَالِ الرَّمْلِ فِي الصَّيْفِ أَشْهُرَا
إِذَا انْجَرَدَتْ، نَبَتَ الْخَزَامِيُّ الْمُنُورَا
خَدَارِيفُ تُزْجِي سَاطِعَ اللَّوْنِ أَغْبَرَا
يَبِيعُونَ فِي دَارَيْنِ مَسْكًا وَعَنْبَرَا
بَكَرَ الْبَكُورُ أَنْ يُضَافَ وَيُجْبَرَا
إِلَى رَاجِحٍ مِنْ ظَاهِرِ الرَّمْلِ أَعْفَرَا

وَتِيهِ عَلَيْهَا نَسْجُ رِيحٍ مَرِيضَةٍ
خَنُوفٌ مَرْوُوحٌ تُعْجَلُ الْوُرُقُ، بَعْدَمًا
وَتُعْبَرُ يَعْفُورَ الصَّرِيمِ كَنَاسِهِ
كَمَرْقَدَةٍ فَرَدَ مِنَ الْوَحْشِ حُرَّةً
فَأَمْسَى عَلَيْهِ أَطْلَسُ اللَّوْنِ شَاحِيًا
طَوِيلُ الْقَرَا، عَارِي الْأَشَاجِعِ، مَارِدُ
فَبَاتَ يُذَكِّيهِ بَغَيْرِ حَدِيدَةٍ
فَلَاقَتْ بَيَانًا عِنْدَ أَوَّلِ مَرْبَضٍ
وَوَجْهًا كَبْرَقَوْعِ الْفَتَاةِ مُلْمَعًا
فَلَمَّا سَقَاها الْيَأْسُ وَارْتَدَّ هُمُّهَا
أَتِيحَ لَهَا فَرْدٌ خَلَا بَيْنَ عَالِجٍ
كَسَا دَفْعُ رَجْلَيْهَا صَفِيحَةً وَجْهَهُ
وَوَلَّتْ بِهِ رُوحٌ خِضَافٌ، كَأَنَّهَا
كَأَصْدَافٍ هَنْدَيْنٍ صُهِبَ لِحَاؤُهَا
فَبَاتَتْ ثَلَاثًا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
وَبَاتَتْ كَأَنَّ كَشْحَ لَهَا طَيِّ رِبِطَةٍ

تَلَأْلَأَ كَالشَّعْرِى الْعَبُورِ، تَوَقَّدَتْ وَكَانَ عَمَاءٌ دُونَهَا فَتَحَسَّرَا

كذلك يسرد لبيد بن ربيعة قصّة ارتحال الحبيبة، فيبين طريق سير رحالهم من فلج، ثم الحزن، ثم عالج، وغيرها من الأماكن، وما زال يرسم مسار القافلة، وما تمرّ به من دروب، إلى درجة أنّه لا يكتفى بذكر المسارات التي تأتيها، بل يتجاوز ذلك إلى المسارات التي تتجنبها، فيذكر أنّ تلك القافلة كانت تتجنب المرور على القرى، ويعرّف القرى بأنّها الأماكن التي يصيح فيها الدجاج، أو تضرب فيها النواقيس:

طَافَتْ أَسِيمَاءُ بِالرَّحَالِ فَقَدْ	هَيَّجَ مِنِّي خَيَالُهَا طَرَبًا ^(١)
إِخْدَى بَنِي جَعْفَرٍ بِأَرْضِهِمْ	لَمْ تُمَسْ مِنِّي نَوْبًا وَلَا قُرْبًا
لَمْ أَخْشَ عُلوِيَّةَ يَمَانِيَّةٍ	وَكَمْ قَطَعْنَا مِنْ عَرْعَرِ شُعْبَا
جَاوَزْنَ فَلَجًا فَالْحَزْنَ يُدَلْجْنَ	بِاللَّيْلِ وَمِنْ رَمَلٍ عَالِجٍ كُشْبَا
مَنْ بَعْدَ مَا جَاوَزْتَ شَقَائِقَ فَالْدَهْنَا	وَغُلِبَ الصُّمَانُ وَالْخُشْبَا
فَصَدَّهُمْ مَنْطِقُ الدَّجَاجِ عَنِ الْعَهْدِ	وَضَرَبَ النَّاقُوسُ فَاجْتَنَبَا

وعلى الطريقة ذاتها من السرد القصصي الذي يجمع أطراف الصور من حوله، فيضمّها في عقد شعري تتلاحق فيه المشاهد لتكوّن صورة كبرى شاملة، ما يفعله في وصفه لإحدى الحالات المطرية التي جاد فيها الغيم، وتلقفت جوده الأرض، فإذا بالشاعر ينقل من التفاصيل ما يجعل المتلقي يبدو تماما كمن يتلقى تقريراً فنياً مفصلاً:

يَا هَلْ تَرَى الْبَرْقَ بَتْ أَرْقُبُهُ	يُزْجِي حَبِيًّا إِذَا خَبَا ثَقْبَا
قَعَدْتُ وَحْدِي لَهُ؛ وَقَالَ أَبُو	لَيْلَى مَتَى يَغْتَمُنْ فَقَدْ دَابَا
كَأَنَّ فِيهِ لَمَّا ارْتَفَقَتْ لَهُ	رَيْطَا وَمِرْبَاعُ غَانِمٍ لَجْبَا
فَجَادَرَهُوْا إِلَى مَدَاخِلِ فَالصُّحْرَةِ	أَمْسَتْ نَعَاجُهُ عُصْبَا
فَحَدَّرَا الْعُصْمَ مِنْ عَمَايَةِ لِّلْسِ هَلْ	وَقَضَى بِصَاحَةِ الْأَرْبَا
فَالْمَاءِ يَجْلُو مُتُونَهُنَّ كَمَا	يَجْلُو التَّلَامِيذُ لَوْلَا قَشْبَا
لَاقَى الْبَدْيُ الْكِلَابَ فَاعْتَلَجَا	مَوْجٌ أَتَيْيَهُمَا لَمَنْ غَلْبَا
فَدَعَدَا سُورَةَ الرِّكَاءِ كَمَا	دَعَدَعَ سَاقِي الْأَعَاجِمِ الْغَرْبَا

فَكُلُّ وَادٍ هَدَّتْ حَوَالِبُهُ
مَالَتْ بِهِ نَحْوَهَا الْجَنُوبُ مَعَا
فَقُلْتُ صَابَ الْأَعْرَاضَ رِيْقُهُ
لَتَرَعَ مَنْ نَبْتُهُ أَسْنِيْمُ إِذَا
وَلَيْرَعَهُ قَوْمُهَا فَإِنَّهُمْ
قَوْمِي بَنُو عَامِرٍ وَإِنْ نَطَقَ الْأَعْدَاءُ
يَقْدِفُ خُضْرَ الدَّبَاءِ فَالْخُشْبَا
ثُمَّ أَزْدَهَتْهُ الشَّمَالُ فَاَنْقَلَبَا
يَسْقِي بِلَادًا قَدْ أَمْحَلَتْ حَقْبَا
أَنْبَتَ حُرَّ الْبُقُولِ وَالْعُشْبَا
مِنْ خَيْرِ حَيِّ عِلْمَتِهِمْ حَسْبَا
فِيهِمْ مَنَاطِقًا كَذَبَا

إنَّ هذا المقطع من بائية لبيد يظهر اهتمام الجاهليين بإيراد لوحات قصصية كاملة، تهتم بالتفاصيل الداخلية بقدر اهتمامها بالإطار العام للوحة. وهذا الولع بالسرد القصصي يبدو واضحاً في معلقة لبيد، إذ يسرد قصتين لا فاصل بينهما، فيمنح القصة الأولى أحد عشر بيتاً من المعلقة، ثم ينتقل مباشرة إلى القصة الثانية ليمنحها سبعة عشر بيتاً، على أن القصتين فيهما شبه كبير في الإطار العام، وفي التفاصيل، ولعل لبيداً لو اكتفى بوحدة منهما لكفته، ولكنها الرغبة الملحة في السرد، فالتصتان القصد الظاهر منهما وصف ناقته، ولكن المتلقي يقف على قصد نفسي ظاهر، يتمثل في حرص جاهليي جنوب الجزيرة على اصطحاب البيئة من حولهم عند بناء النصوص الشعرية، ولهذا يحلو لهم السرد القصصي، وتجذبهم التفاصيل:

فَلَهَا هَبَابٌ فِي الزَّمَامِ، كَأَنَّهَا
أَوْ مَلَمَعٌ وَسَقَتْ لِأَحْقَبَ لَاحَهُ
يَعْلُوبَهَا حُدْبُ الْإِكَامِ مُسَحَّجٌ
بِأَحْزَةِ الثَّلْبُوتِ يَرْبُأُ فَوْقَهَا
حَتَّى إِذَا سَلَخَا جُمَادَى سِتَّةً
رَجَعَا بِأَمْرِهِمَا إِلَى ذِي مَرَّةٍ
وَرَمَى دَوَابَرَهَا السَّفَا، وَتَهَيَّجَتْ
فَتَنَازَعَا سَبْطًا يَطِيرُ ظِلَالُهُ
مَشْمُولَةً غُلَّتْ بَنَابَتُ عَرْفَجٍ
فَمَضَى، وَقَدَمُهَا وَكَانَتْ عَادَةً
صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجَنُوبِ جَهَامُهَا^(١)
طَرَدُ الْفُحُولِ، وَضَرْبُهَا، وَكَدَامُهَا
قَدْ رَابَهُ عَصِيَانُهَا وَوَحَامُهَا
قَفَرَ الْمَرَاقِبِ خَوْفُهَا آرَامُهَا
جَزَاءً، فَطَالَ صَيَامُهُ وَصِيَامُهَا
حَصْدٌ، وَنَجَحُ صَرِيْمَةِ إِبْرَامُهَا
رِيحُ الْمَصَافِيفِ سَوْمُهَا وَسَهَامُهَا
كَدْخَانِ مُشْعَلَةٍ يُشَبُّ ضَرَامُهَا
كَدْخَانِ نَارِ سَاطِعِ أَسْنَامُهَا
مِنْهُ، إِذَا هِيَ عَرَدَتْ، إِقْدَامُهَا

فَتَوْسَطًا عُرْضَ السَّرِيِّ، وَصَدَعًا مَسْجُورَةً مُتَجَاوِرًا قَلَامَهَا
مَحْفُوفَةً وَسَطَ الْيَرَاعِ يُظِلُّهَا مِنْهَا مُصَرَّعٌ غَابَةٌ وَقِيَامُهَا

وهنا تنتهي قصة لبيد التي تحدّث فيها عن أنثى الحمار الوحشي التي بدت عليها علامات الحمل، ومعها فحلها الذي تغيّر لونه لكثرة المعارك التي خاضها، وهو يسوقها بين أكمة وأخرى، وقد أنكر تغييرها عليه، فهو ما زال يطردها، وهكذا تمضي القصة لتخبر عن تنقلاتها، وعن الغبار الذي يثيرانه، وعن الغابة التي تحميها منه، وعن النهر الصغير الجاري، ولبيد يريد هنا — فيما يظهره لمتلقيه — أنه يشبه ناقته بتلك الأتان، ولكن الاستطراد يبين للباحث أنّ هناك غاية أخرى خفيّة تدعو لبيدا وغيره من الجاهليين إلى مثل هذا النوع من القصص. ومع أنّ الشاعر استوفى ما أراد من الوصف، إلا أنه لا يخرج من قصة التشبيه هذه إلا إلى قصّة تشبيه أخرى، دون أن يكون هناك فاصل، ودون أن تكون هنالك فوارق في نوع القصص، ودون أن تكون هناك حاجة لتكرارها.

فما أن ينتهي لبيد من قصة الأتان حتى يدخل مباشرة في قصّة البقرة الوحشية التي أكلت السباع صغيرها، فإذا به يفصل فيها تفصيل من يشبع حاجته من الحديث، حتى وصل به الأمر إلى وصف حالة البقرة النفسية التي تلت مقتل صغيرها:

أَفْتَلَكْ أُمَ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ خَذَلْتُ؛ وَهَادِيَةَ الصَّوَارِقِ وَامُهَا
خَنَسَاءُ ضِيَعَتِ الضَّرِيرَ، فَلَمْ يَرَمْ عُرْضَ الشَّقَائِقِ، طَوْفُهَا وَبَغَامُهَا
لُغْفَرُ قَهْدٍ، تَنَازَعَ شَلَوُهُ غُبْسٌ كَوَاسِبٌ مَا يُمِنُّ طَعَامُهَا
صَادَقْنَ مِنْهَا غَرَّةً، فَأَصَبْنَهَا إِنْ الْمَنَايَا لَا تَطْيِشُ سَهَامُهَا
بَاتَتْ، وَأَسْبَلُ وَاكْفٌ مِنْ دِيَمَةٍ يُرَوِي الْخَمَائِلَ، دَائِمًا تَسْجَامُهَا
تَجْتَافُ أَصْلًا قَالِصًا، مُتَبَذًا بَعْجُوبُ أَنْقَاءٍ، يَمِيلُ هِيَامُهَا
يَعْلُو طَرِيقَةً مَتْنَهَا مُوَاتِرًا فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا
وَتُضِيءُ فِي وَجْهِ الظَّلَامِ مُنِيرَةً كَجَمَانَةِ الْبَحْرِيِّ سُلَ نَظَامُهَا
حَتَّى إِذَا انْحَسَرَ الظَّلَامُ، وَأَسْفَرَتْ بَكَرَتْ تَزُلُّ عَنِ الثَّرَى أَزْلَامُهَا
عَلَهَتْ تَبَلْدٌ فِي نِهَاءِ صَعَائِدِ سَبْعًا تَوَامًا كَامِلًا أَيَامُهَا
حَتَّى إِذَا يَتَسَّتْ، وَأَسْحَقُ حَالِقٌ لَمْ يُبْلِهْ إِرْضَاعُهَا وَفِطَامُهَا
وَتَسْمَعَتْ رِزَّ الْأَنْيَسِ، فَرَاعَهَا عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ، وَالْأَنْيَسُ سَقَامُهَا

حَتَّى إِذَا يَتَسَّرَ الرَّمَاةُ، وَأَرْسَلُوا
فَعَدَتْ، كَلَا الْفَرَجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ
فَلَحَقْنَ، وَاعْتَكَرَتْ لَهَا مَدْرِيَّةٌ
لَتَذُودَهُنَّ، وَأَيَقَنْتْ إِنْ لَمْ تَذُدْ
فَتَقَصَّدَتْ مِنْهَا كَسَابَ، فَضُرْجَتْ
فَبِتْلَكَ إِذْ رَقَصَ اللَّوَامِعُ بِالضُّحَى
أَقْضَى الْبُلْبَانَةَ، لَا أَفْرَطُ رِيبةً
غَضُفًا دَوَاجِنَ، قَافِلًا أَعْصَامُهَا
مَوْلى الْمَخَافَةِ، خَلْفُهَا وَأَمَامُهَا
كَالسَّمْهَرِيَّةِ حَدُّهَا وَتَمَامُهَا
أَنْ قَدْ أَحْمَ مَعَ الْحُتُوفِ حَمَامُهَا
بَدَمَ، وَغُودَرَ فِي الْمَكْرِ سَخَامُهَا
وَاجْتَابَ أَرْدِيَّةَ السَّرَابِ إِكَامُهَا
أَوْ أَنْ يُلُومَ بِحَاجَةِ لَوَامُهَا

إنَّ تفصيل لبید في قصّة البقرة الوحشية تفصيلاً بلغ حدَّ الإخبار عن هيئتها يوم فقدت صغيرها، ثم حين جنَّها الليل، مع عدم نسيان ذكر المطر الذي أصابها ليلاً، ثم كيف أصبحت تزلَّ أرجلها عن الأرض لابتلالها، ثم عن جفاف لبنها، وغير ذلك من التفاصيل التي لا علاقة لها بما أراده من تشبيه ناقتة، ليؤكد أنَّ القصص هو المقصود لذاته، لا التشبيه.

وتتكرر اللوحات ذاتها في قصائد شعراء آخرين، فيجد الباحث عند امرئ القيس السكوني توسّعاً في السرد، يصل به إلى ذكر التفاصيل التي لا علاقة لها بما يظهر من قصده للتشبيه، فهو يأخذ في وصف دقيق يصل إلى أن يذكر الجراح التي تبدو واضحة فيها، ثم طريقة التنقل التي اعتادتها مع ذلك الفحل الملحّ، وعدد ما معها من أتن وحشية، ثم يسرد تلك المفاجأة التي كانت تنتظرها عند الماء، بل ويذكر اسم الصياد، ويفصّل فيما معه من عدة الصيد، وكيف تأنّى حتى لاحت له الفرصة المواتية للرمي، وهكذا تمضي هذه القصّة في تفصيل لا تستدعيه سوى رغبة الشاعر في السرد، يقول امرؤ القيس بن جبلة السُّكوني:

وقد أذعر الوحشُ الرُّبُوضَ بعِرمسٍ
كَأَنِّي عَلَى حَقْبَاءِ خَدَدَ لَحْمِهَا
صَهَابِيَّةُ الْعُثْنُونِ مَخْطُوفَةُ الْحِشَا
تَضْمَنُهَا حَتَّى تَكَامَلَ نَسْئُهَا
يَجْدُ بِهَا فِي خَفْضِهِ وَهَبَابِهِ
مَضْبَرَةٌ حَرْفٍ تَخْبُ وَتَرْقُلُ^(١)
إِرَانُ وَشَحَّاجُ مِنَ الْجَوْنِ مَعْجَلُ
تَخِيلُ لِلْأَشْبَاحِ غَرِباً فَتَجْفَلُ
إِرَانُ فَمَرْفُضُ الرِّدَاهِ فَايِلُ
أَحَدُ جَمَادِيٍّ مِنَ الْحَقْبِ صَاصِلُ

(١) ابن ميمون، منتهى الطلب من أشعار العرب، ط١، ٨/ ٣٤٥.

يصرّفها طوعاً وكرهاً إذ أبت
 الدُّشْدُ شديداً الأخدعين بليته
 يعارضُ تسعاً قد نحاها لمورد
 فلاقى أبا بشر على الماء راصداً
 يقلّبُ أشباهاً كأنّ نصالها
 فلمّا رضى إعراضها واغترارها
 رماها بمذروب المكفّ كأنه
 فأنفذ حُضْنِها وطرّ وراءها
 وغادرها تكبو لحرجبينها
 ومار عبيط من نجيع كأنه
 وأجفلن من غير ائتمار وكلها
 يؤمّلُ شرباً من ثميل وماسل
 عليه أبيّر راصداً ما يروقه
 ولاقين جبار بن حمزة بعدما
 يقلّبُ أشباهاً كأنّ نصالها
 وصفراء من نبع رنين خواتها
 وبات يرى الأرض الفضاء كأنها
 يؤامرُ نفسه أعين غمّازة
 فلمّا ارجحن الليل عنه رمى بها
 فغامر طحلاء الشرائع حوله
 فغمّرها مستوفزاً ثمّ حاذها
 وأضحت بأجواز الفلاة كأنها

مصكّ جلت عنه العقايق صندل
 من الزرّ أبلاد جليب ومخضل
 يجور بذات الضغن منها ويعدل
 به من زماع الصّيد وردّ وأفكل
 بعيجّة جمر أو ذبال مفتل
 وواجهه من منبض القلب مقتل
 سوى عوده المخشوش في الرأس مغول
 بمعتقب الوادي نضي مرمّل
 يناطح منها الأرض خدّ وكلكل
 على مستوى الإطلين نير مرحل
 له من عباب الشّد حرز ومعدل
 وما الموت إلا حيث أرك ماسل
 من الرمي إلا الجيد المتنخل
 أطاب بشك أي أمره أفعّل
 خوافي حمام ضمّها الصّيف منزل
 تجود بأيدي النازعين وتبخل
 مراقب يخشى هـولها المتنزل
 يغلس أم حيث النّباج وثيتل
 نجاد الفلا يعلو مراراً ويسفل
 بأرجائها غاب ألف وثيل
 يشجّ الصوى من قربها الشّد من عل
 وقد راخت الشّد الحني المعطل

إنّ رغبة السرد القصصي لا تقف لدى امرئ القيس السكوني عند اللوحة الأولى
 من قصّة حمر الوحش التي كان لها أبو بشر بالمرصاد، بل تتعدّى ذلك فتصف حال
 الأتن التي نجت من سهام أبي بشر هذا، وكيف أنّ تلك الأتن أجفلت وفي أذهانها موارد
 ماء أخرى، ثم يأخذ في تتبعها، دون أن ينسى أن جبار بن حمزة سيكون راصداً لها على

الماء، ثم لا يلبث أن يلتفت إلى جبار هذا فيتحدث عن استعداداته للصيد، ويصف ما استعدّ به من قوس وسهام.

ومن السرد القصصي ما يجده الباحث في شعر أبي ذؤيب الهذلي، وهو سردٌ مختلف في موضوعه، إذ يتناول حالة إنسانية تتعلق بامرأة وابنها، على أنّ أصل الموضوع متعلّق بمواعدة الشاعر لامرأة كان قد واعدها أن يلتقيها في عكاظ، ولكنه لم يتمكن من الذهاب إلى عكاظ تلك السنة، على أنّ أبا ذؤيب غير مهتمّ بذكر أسباب تخلفه عن مواعده الهام، بقدر اهتمامه بتأليف سرد قصصي يتحدث فيه عن حالة من شبه نفسه بها، وهي أم فقدت ابنها في ظروف معيّنة، فهو يفصل تفصيل من يهّمه السرد أكثر مما يهّمه العشق:

بمَخْلَفَةٍ إِذَا اجْتَمَعَتْ ثَقِيفٌ^(١)
وَقَامَ الْبَيْعُ واجْتَمَعَ الْأَلُوفُ
وَلَمْ تَعْلَمْ إِذَا أَنِّي خَلِيفُ
أَخَانَ الْعَهْدَ أَمْ أَثَمَ الْحَلِيفُ
بِوَاحِدِهَا إِذَا يَغْزُو تَضِيفُ
وَمَا تُغْنِي التَّمَائِمُ وَالْعُكُوفُ
أَهْمَكَ مَا تَخَطَّتْنِي الْحُتُوفُ
أَخُو ثَقَةٍ وَخَرِيقُ خَشُوفُ
مِنَ الْعَقَبَانِ خَائِنَةٌ دَفُوفُ
أَلَا لِلَّهِ أُمُّكَ مَا تَعِيفُ
وَأَمْسَلَةَ مَدَافِعُهُمَا خَلِيفُ
تُبَشِّرُ بِالْغَنِيمَةِ أَوْ تُخِيفُ
كَمَا يَتَهَدَّمُ الْحَوْضُ اللَّقِيفُ
أَمَامَ الْمَاءِ، مِنْطَقَهُمْ نَسِيفُ
لَهَا نَفْذٌ كَمَا قَدْ الْحَشِيفُ
مُشْلُشَلَةٌ كَمَا قَدْ النَّصِيفُ

تَوَمَّلْ أَنْ تُلَاقِي أُمَّ وَهْبٍ
إِذَا بُنِيَ الْقَبَابُ عَلَى عُكَازٍ
تَوَاعَدْنَا عُكَازَ لَنَنْزِلْنَاهُ
فَسَوْفَ تَقُولُ إِنْ هِيَ لَمْ تَجِدْنِي
وَمَا إِنْ وَجَدُ مُعَوْلَةً رَقُوبٍ
تُنْفَضُ مِنْهُدِهِ وَتَذُبُّ عَنْهُ
تَقُولُ لَهُ كَفَيْتُكَ كُلَّ شَيْءٍ
أَتِيحَ لَهُ مِنَ الْفُتَيَانِ خَرْقُ
فَبَيْنَا يَمْشِي بَانَ جَرَّتْ عُقَابُ
فَقَالَ لَهُ وَقَدْ أَوْحَتِ إِلَيْهِ
بِأَرْضٍ لَا أَنْيَسَ بِهَا يَبَابُ
فَقَالَ لَهُ أَرَى طَيْرًا ثَقَالًا
فَلَمْ يَرِغِيرَ عَادِيَةً لَزَامًا
فَأَلْفَى الْقَوْمَ قَدْ شَرَبُوا فَضُمُوا
فَفَرَاغَ وَزَوْدُوهُ ذَاتَ فَرُغٍ
وَعَادَرَفِي رَنَيسَ الْقَوْمِ أُخْرَى

فَلَمَّا خَرَّ عِنْدَ الْحَوْضِ طَافُوا بِهِ وَأَبَانَهُ مِنْهُمْ عَرِيفُ
فَقَالَ أَمَّا خَشِيتَ - وَلَلْمَنِيَا مَصَارُغُ - أَنَّ تُحَرِّقَكَ السُّيُوفُ
فَقَالَ لَقَدْ خَشِيتُ وَأَنْبَأْتَنِي بِهِ الْعَقَبَانُ لَوْ أَنِّي أَعِيفُ
وَقَالَ بَعْدَهُ فِي الْقَوْمِ إِنِّي شَفِيتَ النَّفْسَ لَوْ يَشْفَى اللَّهْفُ

وهكذا ينصرف الشاعر الجاهلي عن وصف حالة أسفه على فقد من يحب، ويسترسل في سرد حكايات خيالية، يكفيه منها البيت والبيتان، ولكنه حين يبدأ في السرد القصصي يأخذ به خياله العاشق للوصف، المتطلع إلى الحديث، فيتتبع خطوات الفتى/ الخيال، في غير حاجة أساسية لديه.

الخاتمة: بعض النتائج والتوصيات:

قام هذا البحث على تصحيح كثير من المفاهيم الخاطئة التي وقع فيها بعض من تناولوا العصر الجاهلي بالدراسة؛ فنسبوا الشعر الجاهلي إلى غير بيئته الحقيقية، وصوِّروا جزيرة العرب (سراة وتهامة) بغير ما هي عليه. لذلك اجتهدنا في وضع يد الحقيقة على مواضع الخطأ؛ آخذة على عاتقها مهمة تصحيح الأخطاء التي وقع فيها بعضهم في شرحهم للشعر الجاهلي، ونسبتهم القبائل إلى البيئات.

وقد اعتمدنا منهج البحث التكاملي، وتناول الحياة الجاهلية، والشعر الجاهلي، وبيئة الجزيرة بشيء من البعد عن قيود المناهج العلمية التي تلزم الباحث باتجاه واحد، وتحمله على إغفال كثير من الجوانب التي يمكن أن تكون مكملّة لأجزاء الدراسة ومحققة الأهداف المنشودة.

لقد قمنا بتنفيذ دور الشعر الجاهلي، والعناية بالمعالم البارزة التي حملها ذلك الشعر، وهي موضوعات لم تأخذ حقها من العناية في الدراسات القديمة، في الوقت الذي كانت تحمل دلالات أنه من الخطأ تجاهلها، إذ تبين للباحثين الصفات الحقيقية للبيئة الجغرافية التي أنتجت الشعر الجاهلي، وأساليب الحياة في ذلك العصر. وحاولنا إثبات غياب الموضوعية في بعض الدراسات الأدبية المتأخرة، وهو أمر أدّى إلى تصوير الجزيرة العربية، والحياة الجاهلية تصويراً بعيد عن الحقيقة، وقريب من الوهم.

حاولنا ذكر ما يكفي من الشواهد، والبراهين لتفنيد ادعاءات من تصدّى للحديث عن العصر الجاهلي دون دراية، وشرح الشعر الجاهلي دون أن يمنح ذلك الشعر الفرصة لإظهار ما حمله من رسائل. واعتمدنا على معرفة الجغرافيا الطبيعية للجزيرة

العربية وعلى الزيارات الميدانية للأقاليم التي قيل عنها في الدراسات السابقة إنها صحراء قاحلة لا تثبت الكلاء، ولا تصلح للعيش، وأثبتنا أن القسم الأكبر من جغرافيا الجزيرة العربية وبخاصة جنوبها (سراة وتهامة) صالح للحياة البشرية، ومعين على الاستقرار. ووظفنا التحليل العقلي للآثار الشعرية، مستفيدة من الصور التي امتلأ بها الشعر الجاهلي في جانب وصف الطبيعة، إذ تظهر تلك الصور حياة مستقرة، فيها الماء، والزراعة، وجوانب من الممارسات الصناعية، وتظهر حياة فيها أنواع من الرفاه، وأنواع من الحلي، وكل تلك المظاهر تتناقض تماما مع ما ساقه بعض من تناولوا ذلك العصر بالكتابة.

بيّنت الدراسة الأسباب التي أدت إلى اضطراب القدماء عند الحديث عن الجزيرة العربية، والحياة الجاهلية، مما أدى إلى الوقوع في خطأ وصف الأماكن بغير صفاتها، وفي خطأ نسبة الأماكن إلى غير جهاتها، وفي نسبة الأقاليم التي استوطنتها القبائل الجاهلية، وعاش فيها الشعراء. وأثبت البحث — اعتمادا على الشعر الجاهلي — أن الجاهليين تركّزوا في أقاليم غير صحراوية، وكانت كافية لعيشهم، إذ إن تلك الأقاليم الصالحة للعيش تغطي مساحة أكبر من مساحة مصر، وسوريا، والأردن، ولبنان، وفلسطين، وتونس مجتمعة، وليس من المنطق أن يدعها الجاهليون ليعيشوا في الصحارى الجديدة.

ركّزنا في هذا العمل على جنوب الجزيرة الذي يحتل مساحة واسعة، تمتاز بالتنوع الجغرافي، والغنى الطبيعي، والتباين النباتي، الذي جعل حياة الجاهليين سهلة بقدر ما توفرت لهم المقومات. وذكرنا ما يتعلق بذلك الإقليم في جوانب البيئة الطبيعية، والقبائل التي استوطنته، والشعراء الذين عاشوا فيه، وصحّحت الدراسة نسبة الشعراء إلى أقاليمهم — كطرفة بن العبد، والمهلhel وغيرهما — حيث ظنّ بعض الباحثين في الشأن الجاهلي أن بعض الشعراء عاشوا في أقاليم لم يعيشوا فيها، بل أخرجت بعض الدراسات بعضهم من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام، دون اعتبار من أصحاب تلك الدراسات لما ورد في شعر أولئك الشعراء من شواهد توضح صفات البيئات التي سكنوها.

كما صححنا اسم اليمن الذي درج القدماء على إطلاقه على كل ما كان جنوب مكة المكرمة، وظنّ المتأخرون أنه اليمن الحالية، فبنوا على ذلك مؤلفاتهم، وتم تصحيح نسبة اليمن على أكثر الأخبار موثوقة، وعلى ما ثبت عند القدماء والمحدثين من مساكن القبائل الجاهلية التي كان يطلق عليهم أهل اليمن في ذلك الوقت، ووضحنا بالأدلة أن اليمن في العصر الجاهلي كان يقصد به ما كان جنوب المتكلم، أيّا كان مكان ذلك المتحدث. ودرسنا المعلومات المتناقلة عن إقليم نجد، معتمدة على التعريف اللغوي لاسم نجد، ثم على ما

ورد في الشعر الجاهلي، والمصادر القديمة، من ذكر لحالات الطقس، وأنواع النبات التي لا تعيش إلا في جنوب الجزيرة العربية (سراة وتهامة) . وأشرنا إلى القبائل الجاهلية التي سكنت جنوب الجزيرة، وأخرجها بعض الباحثين عن مواطنها الحقيقية .

وثقنا شيئاً من أساليب الحياة التي عاشها الجاهليون في جنوب الجزيرة، وما كانوا يعتقدونه في الجانب الديني، وعلاقتهم بالمرأة، ووصفهم للباس، والسلاح، وآنية الطعام، وجوانب الترفيه، وغيرها. وذكرنا أبرز المعالم الفنية في شعر السرويين والتهاميين في العصر الجاهلي، وأشرنا إلى صور من الحياة الأدبية والفنية التي تبارى فيها بعض شعراء جنوب الجزيرة.

نوصي بإعادة النظر في جهود الدراسات السابقة حول الشعر الجاهلي، والبيئة الطبيعية للجزيرة العربية، وأساليب حياة القبائل العربية في الجاهلية، وأن توضع الدراسات التي تناولت تلك الجوانب تحت مجهر البحث والتدقيق والتحليل العلمي، وأن تعتمد الدراسات على الشعر الجاهلي، وتستفيد مما يحمله من صور ومعالم، عند الرغبة في دراسة العصر الذي أنتج ذلك الشعر، ونرى أن الشعر يحمل الكثير من المعلومات التي يمكن الاستفادة منها في هذا الجانب. كما نوصي بإعادة دراسة الشعر الجاهلي في أقاليم الجزيرة العربية الأخرى، كالبحرين القديمة، ووسط، وشمال الجزيرة. ويتوقع الباحث أن تؤكد تلك الدراسات ما انتهت إليه هذه الدراسة.

والباحث يأمل أن يكون قد قدّم إضافة متميزة إلى الدراسات الأدبية في هذا الجانب، وأن يكون قد استطاع أن يوضح الأفكار التي توصل إليها^(١) . (والله ولي الهداية والتوفيق) .



(١) أشكر يا دكتور محمد الفتحي العسيري على هذا المنجز العلمي، ونأمل أن يأتي باحثات أو باحثين آخرين يصوبون أو يستكملون ما لم تحقق في هذا البحث وما زال المكان والزمان الذي ناقشته هذه الدراسة يستحق مزيداً من البحوث العلمية الجادة والرصينة . (ابن جريس) .

خامساً : المصادر والمراجع :

أولاً : مصادر ومراجع عربية :

- ١- الأمدي / الحسن بن بشر، ١٩٩١م، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، ط١، بيروت، دار الجبل.
- ٢- ابن الأثير، أبو الحسن، ١٩٩٧م، الكامل في التاريخ، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي.
- ٣- الأحول، محمد بن حسن، ١٩٩٤م، ديوان سلامة بن جندل، ط١، بيروت، دال الكتاب العربي.
- ٤- الأزهري، محمد، ٢٠٠١م، تهذيب اللغة، ١د، دار إحياء التراث، بيروت.
- ٥- الأسد، ناصر الدين، ١٩٨٨م، مصادر الشعر الجاهلي، ط٧، القاهرة: دار المعارف.
- ٦- الأصفهاني، أبو الفرج، ٢٠٠٨م، الأغانى، ط٢، بيروت، دار الفكر.
- ٧- الأصمعي، عبد الملك بن قريب، ١٩٩٣م، الأصمعيات، ط٧، القاهرة: دار المعارف.
- ٨- الأصمعي، عبد الملك بن قريب، ١٩٨٠م، فحولة الشعراء، ط٢، بيروت: دار الكتاب.
- ٩- الأندلسي، ابن حزم، ١٩٦٢م، جمهرة أنساب العرب، ط١، القاهرة، دار المعارف.
- ١٠- الأندلسي، ابن سعيد، ١٩٨٦م، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ط١، عثمان. مكتبة الأقصى
- ١١- أوغلي، حسان، ١٩٩٧م، ديوان طفيل الغنوي، ط١، بيروت: دار صادر.
- ١٢- الباجوري، عبدالله، ١٩٣٢م، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، ط٢، المدينة المنورة، مكتبة الثقافة.
- ١٣- برو، توفيق، ٢٠٠١م، تاريخ العرب القديم، ط٢، بيروت: دار الفكر.
- ١٤- بطرس، أنطونيوس، ٢٠٠٣م، ديوان أبي ذؤيب الهذلي، دط، دار صادر، بيروت.
- ١٥- البغدادى، محمد بن حبيب، ١٤٠٥هـ، المنمق في أخبار قریش، ط١، القاهرة: دار الكتاب المصري.
- ١٦- البكري، أبو عبيد، ١٤٠٣هـ، معجم ما استمع، ط٢، بيروت، عالم الكتب.
- ١٧- البلادي، عاتق، ٢٠١٠م، معجم معالم الحجاز، ط٢، مكة: دار مكة للنشر.
- ١٨- البلاذري، أحمد بن يحيى، ١٩٩٦م، أنساب الأشراف، دط، بيروت، دار الفكر.
- ١٩- البيطار، محمد شفيق، ٢٠٠٢م، شعراء بني كلب بن وبرة، ط١، بيروت: دار صادر.

- ٢٠- البيطار، محمد شفيق، ١٩٩٩م، ديوان زهير بن جناب الكلبي، ط١، بيروت: دار صادر.
- ٢١- التاجي، محمد بن علي، ٢٠٠٩م، الحلبة في أسماء الخيل المشهورة، د ط، بيروت: دار البشائر.
- ٢٢- تمام، أحمد، ٢٠٢٢م، العرب نشأتهم، أنسابهم، أزمانهم، آدابهم، ط١، لندن، دار الحكمة.
- ٢٣- التتوخي، الحسن بن علي، ١٩٧٨م، الفرج بعد الشدة، د ط، بيروت: دار صادر.
- ٢٤- التونجي، محمد، ١٩٩٨م، ديوان الأفوه الأدوي، ط١، بيروت: دار صادر.
- ٢٥- الثعالبي، عبد الرحمن، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ط١، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٨هـ، ١/٥٩.
- ٢٦- ثويني، حميد، ١٩٩٤م، ديوان السليك بن السلكة، ط١، بغداد: مطبعة العاني
- ٢٧- الجاحظ، عمرو بحر، ١٤٢٤هـ، كتاب الحيوان، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ٢٨- الجاحظ، عمرو بحر، ١٤٢٣هـ، البيان والتبيين، د ط، بيروت: دار الهلال.
- ٢٩- الجاحظ، عمرو بحر، ١٤١٠هـ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، ط١، بيروت: دار الجيل.
- ٣٠- جاد المولى، محمد، ١٩٤٦م، أيام العرب في الجاهلية، ط٢، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
- ٣١- الجاسر، حمد، ١٩٨١م، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، ط١، الرياض: نادي الرياض الأدبي.
- ٣٢- الجزيري، عبدالرحمن، ٢٠٠٥م، كتاب الفقه على المذهب الأربعة، ط٢، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية .
- ٣٣- الجاسم، أحمد، ١٩٩٤م، عبيد بن الأبرص دراسة فنية، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي.
- ٣٤- الجبر، خالد، ٢٠٠٣م، الصمة بن عبد الله القشيري، حياته، وشعره، د ط، البتراء: جامعة البتراء.
- ٣٥- الجبوري، يحيى، ٢٠١٤م، الشعر الجاهلي خصائصه، وفنونه، ط١، عمان: دار مجدولاي.
- ٣٦- جمال، عادل بن سليمان، د ت، الحماسة البصرية، ط١، بيروت: عالم الكتب.
- ٣٧- الجمحي، محمد بن سلام، د ت، طبقات فحول الشعراء، د ط، جدة: دار المدني.
- ٣٨- الجندي، علي، ١٩٩١م، في تاريخ الأدب الجاهلي، د ط، القاهرة: دار التراث.
- ٣٩- ابن جني، عثمان، ٢٠٠٠م، سر صناعة الإعراب، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ٤٠- جامعة المدينة العالمية، د ت، مناهج جامعة المدينة العالمية. كوالالمبور: جامعة المدينة العالمية.

- ٤١- الحازمي، محمد، ١٤١٥هـ، الأماكن، ما اتفق لفظه واختلف معناه، د ط، الرياض: دار اليمامة.
- ٤٢- حرب، طلال، ١٩٩٦م، ديوان تأبّط شرّاً، ط١، بيروت: دار صادر.
- ٤٣- حرب، طلال، ١٩٩٣م، شرح ديوان مهلهل بن ربيعة، د ط، القاهرة: الدار العالمية.
- ٤٤- حرشاي، جمال، ٢٠١٦م، الخصائص الأسلوبية في شعر الصعاليك، رسالة دكتوراة، وهران: جامعة وهران.
- ٤٥- حرفوش، تناصر، ١٩٩٩م، ديوان ربيعة بن مقروم الضبي، ط١، بيروت: دار صادر.
- ٤٦- حسن، عزة، ٢٠٠١م، ديوان الطرمّاح، ط١، دار الشرق، بيروت.
- ٤٧- حسن، عزة، ١٩٦٢م، ديوان ابن مقبل، ط١، إحياء التراث، دمشق.
- ٤٨- حمزة، فؤاد، ٢٠٠٢م، قلب جزيرة العرب، ط١، بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية.
- ٤٩- الحموي، ياقوت بن عبد الله، ١٩٩٥م، معجم البلدان، ط٢، بيروت: دار صادر.
- ٥٠- حور، محمد بن إبراهيم، ٢٠٠٧م، الحماسة للبحري، ط١، أبو ظبي: أبو ظبي للثقافة.
- ٥١- الخرائطي، أبو بكر، ٢٠٠١م، هواتف الجنان، ط١، دار البشائر، بيروت.
- ٥٢- ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله، ٢٠٠٤م، المسالك والممالك، د ط، بيروت: دار صادر.
- ٥٣- الخطيب، محمد، ١٩٨٢م، أبو هريرة راوية الإسلام، ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة.
- ٥٤- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ١٩٨٨م، ديوان المبتدأ والخبر، ط٢، بيروت: دار الفكر.
- ٥٥- خليف، يوسف، ١٩٧٨م، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ط٢، القاهرة: دار المعارف.
- ٥٦- خورشيد، إبراهيم زكي، ١٩٩٨م، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط١، الشارقة، مركز الشارقة للإبداع.
- ٥٧- ابن أبي خيثمة، أحمد، ٢٠٠٦م، التاريخ الكبير، ط١، القاهرة، دار الفاروق.
- ٥٨- الدرة، محمد، ١٩٨٩م، فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال، ط٢، جدة: مكتبة السوادي.
- ٥٩- ابن دريد، محمد بن الحسن، ١٩٩١م، الاشتقاق، ط١، بيروت: دار الجيل.
- ٦٠- الدار قطني، علي بن عمر، ١٩٨٦م، المؤتلف والمختلف، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- ٦١- الدينوري، عبد الله بن مسلم، ١٤٢٣هـ، الشعر والشعراء، د ط القاهرة: دار الحديث.
- ٦٢- الذهبي، محمد بن أحمد، ١٩٨٥م، سير أعلام النبلاء، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ٦٣- الراشد، محمد، والعنيزان، عبد الله، ٢٠١٢م، أطلس أسماء الأماكن في الشعر العربي، ط١، الرياض: مكتبة الملك فهد.

- ٦٤- الربيعي، أحمد، ١٩٧٤م، قس بن ساعدة الإيادي حياته وشعره، د ط، بغداد، مطبعة النعمان.
- ٦٥- الزبيدي، محمد مرتضى، ٢٠٠١م، تاج العروس من جواهر القاموس، د ط، المجلس الوطني، الكويت.
- ٦٦- الزركلي، خير الدين، ٢٠٠٢م، الأعلام، ط ١٥، بيروت: دار العلم للملايين.
- ٦٧- ابن زكريا، المعافى، ٢٠٠٥م، الجلس الصالح والأنيس الناصح، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ٦٨- الزمخشري، محمود بن عمرو، ١٩٩٩م، الجبال والأمكنة والمياه، د ط، القاهرة: دار الفضيلة.
- ٦٩- الزوزني، حسين، ٢٠٠٢م، شرح المعلقات السبع، ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ٧٠- ابن سلمة، المفضل، ١٣٨٠م، الفاخر، ط ١، القاهرة: مطبعة الحلبي.
- ٧١- السكري، الحسن بن الحسين، ١٩٩٥م، شرح أشعار الهذليين، د ط، القاهرة، دار العروبة.
- ٧٢- ابن السكيت، يعقوب، ١٩٣٦م، شرح ديوان عروة بن الورد العبسي، د ط، الجزائر: جول كربونل.
- ٧٣- سلام، محمد زغلول، د ت، الممتع في صنعة الشعر، د ط، الإسكندرية: منشأة المعارف.
- ٧٤- السلولي، مشاري، ٢٠١١م، قبيلة بني سلول، ط ١، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
- ٧٥- السيوطي، جلال الدين، ٢٠١١م، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، د ط، بيروت: دار الفكر.
- ٧٦- شاكر، ذو الفقار، ١٩٨٤م، ديوان تأبط شرا وأخباره، ط ١، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- ٧٧- شراب، محمد بن حسن، ١٤١١هـ، كتاب المعالم الأثيرة في السنة والسير، ط ١، دمشق: دار القلم.
- ٧٨- الشنقيطي، محمد، ١٩٦٥م، ديوان الهذليين، د ط، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.
- ٧٩- الشنتمري، الأعلم، ٢٠٠٠م، شرح ديوان طرفة بن العبد، ط ٢، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات.
- ٨٠- شيخو، لويس، ١٩٩١م، شعراء النصرانية قبل الإسلام، ط ٤، بيروت: دار المشرق.
- ٨١- الصحاري، سلمة بن مسلم، ٢٠٠٦م، الأنساب، ط ٤، مسقط: وزارة التراث.
- ٨٢- الصعدي، عبد المتعال، قس بن ساعدة الأيادي. مجلة الرسالة، عدد ٢ يونيو، ١٩٣٤.
- ٨٣- الصفدي، صلاح الدين أيك، ١٩٨٨م، الشعور بالعمور، ط ١، عمان: دار عمّار.
- ٨٤- الصمد، واضح، ١٩٩٨م، ديوان النابغة الجعدي، ط ١، بيروت: دار صادر.

- ٨٥- الضامن، حاتم، ١٩٨٦م، شعر الفند الزماني، ط١، المجمع العلمي، بغداد
- ٨٦- الضبي، المفضل، دت، المفضليات، ط٦، القاهرة: دار المعارف.
- ٨٧- الضناوي، سعدي، ١٩٩٤م، ديوان السليك بن السلكة، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي.
- ٨٨- الطبري، محمد بن جرير، دت، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دط، مكة المكرمة: دار التريبة والتراث.
- ٨٩- الطرايشي، مطاع، ١٩٨٥م، شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ط٢، دمشق: مجمع اللغة العربية.
- ٩٠- طمّاس، حمدو، ٢٠٠٤م، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ط١، جدة: دار المعرفة.
- ٩١- الطيّار، عباس، شعر الأسعر الجعفي جمع ودراسة في مقصورته، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية م٥، ع١.
- ٩٢- الطيب، محمد، موسوعة القبائل العربية، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢١هـ، ١٠/٥٥٦
- ٩٣- العاملي، بهاء الدين، ١٩٩٨م، الكشكول، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ٩٤- عباس، إحسان، ديوان كثير عزة، دط، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م،
- ٩٥- ابن عبد البر، يوسف، ١٩٨٥م، الإنباه على قبائل الرواة، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي.
- ٩٦- ابن عبد الحق، عبد المؤمن، ١٤١٢هـ، مراصد الاطلاع، ط١، بيروت: دار الجيل.
- ٩٧- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، ١٤٠٤هـ، العقد الفريد، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٩٨- عبد الشايف، مصطفى، ٢٠٠٤م، ديوان امرئ القيس، ط٥، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ٩٩- أبو عبيدة، معمر المثني، ١٣٨١هـ، مجاز القرآن، دط، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- ١٠٠- عدرة، أشرف، ١٩٩٤م، ديوان عبيد بن الأبرص، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي.
- ١٠١- العدواني، عبد الوهاب، والدليمي، محمد، ١٩٧٣م، ديوان ذي الإصبع العدواني، دط، الموصل: مطبعة الجمهور.
- ١٠٢- العسقلاني، ابن حجر، ١٤١٥هـ، الإصابة في تمييز الصحابة، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ١٠٣- العسكري، أبو أحمد، ١٩٨٤م، المصون في الأدب، ط٢، الكويت: مطبعة حكومة الكويت.
- ١٠٤- العسكري، أبو هلال، ١٤١٩هـ، كتاب الصناعتين، ط١، بيروت، المكتبة العصرية.
- ١٠٥- عسيلان، عبد الله، ١٤٣٦هـ، الحماسة الصغرى، ط١، المدينة المنورة: نادي المدينة الأدبي.
- ١٠٦- العطية، مروان، ١٩٩٤م، ديوان الحارث بن حلّزة، ط١، دمشق: دار النووي.
- ١٠٧- علاونة، شريف، ٢٠٠٥م، عمرو بن براق الهمداني، سيرته وشعره، ط١، عمان: دار المناهج.

- ١٠٨- علي، جواد، ٢٠٠١م، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، بيروت: دار الساقى.
- ١٠٩- عمارة، أحمد، ٢٠٠٣م، دراسة في نصوص العصر الجاهلي، د ط، بغداد، مكتبة المتنبى.
- ١١٠- عمر عبد الرسول، د ت، ديوان دريد بن الصمة، د ط، القاهرة: دار المعارف.
- ١١١- العماري، فضل، ٢٠٠٩م، شاعران ليسا من البحرين قديمه وحديثه، مجلة الواحة السعودية، العدد ٥٤.
- ١١٢- العمري، أحمد بن يحيى، ٢٠١٠م، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، أبو ظبي، المجمع الثقافى.
- ١١٣- الغامدي، جمعان، ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٨م، حرب البسوس وقبر كليب، صحيفة عكاظ السعودية
- ١١٤- الفاسي، محمد بن أحمد، ٢٠٠٠م، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ١١٥- الفاكهي، محمد، ١٩٩٤م، أخبار مكة، ط٢، بيروت: دار خضر.
- ١١٦- فراج، عبد الستار بن أحمد، القبائل والقراءات، مجلة الرسالة، عدد ٨٠٢، ١٩٤٨م
- ١١٧- القرشي، أبوزيد، ١٩٨١م، جمهرة أشعار العرب، د ط، القاهرة، نهضة مصر.
- ١١٨- القزويني، أحمد فارس، ١٩٨٦م، مجمّل اللغة، ط٢، بغداد، مؤسسة الرسالة.
- ١١٩- قشاش، أحمد، ٢٠٠٢م، الإبدال في لغات الأزدي، دراسة صوتية، مجلة جامعة المدينة المنورة، عدد ١١٧
- ١٢٠- القطيعي، صفي الدين، ١٤١٢هـ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، بيروت: دار الجيل.
- ١٢١- القلقشندي، أحمد علي، ١٩٢٢م، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، د ط، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ١٢٢- قيس حاتم الجنابي. مملكة حمير. مجلة بابل: جامعة بابل، عدد ٢٠١٢.
- ١٢٣- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ١٩٩٧م، البداية والنهاية، د ط، القاهرة، دار هجر.
- ١٢٤- كحالة، عمر رضا، ١٩٩٤م، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٧، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ١٢٥- الكلبي، محمد السائب، ١٩٨٨م، نسب معدّ واليمن الكبير، ط١، بغداد: مكتبة النهضة العربية.
- ١٢٦- ابن الكلبي، هشام، ١٩٩٥م، الأصنام، د ط، القاهرة: دار الكتب المصرية.
- ١٢٧- ابن الكلبي، هشام، ١٩٨٦م، جمهرة النسب، ط١، بيروت: النهضة العربية.
- ١٢٨- اللبلي، أحمد بن يوسف، ١٩٩٧م، تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح، د ط، مكة، جامعة أم القرى.

- ١٢٩- المبرّد، محمد بن يزيد، ١٩٣٦م، نسب عدنان وقحطان، ط١، الهند: مطبعة لجنو التأليف والنشر.
- ١٣٠- المبيضين، ماهر، مظاهر من الحياة الثقافية والاجتماعية في المفضليات، مجلة جامعة مؤتة، عمّان، عدداً، ٢٠٠٧.
- ١٣١- محمد، فايز، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م
- ١٣٢- المرزباني، محمد، ١٩٨٢م، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ١٣٣- ابن منظور، محمد، ١٤١٤هـ، لسان العرب، ط٨، بيروت: دار صادر.
- ١٣٤- مهران، محمد بيومي، دت، دراسات في تاريخ العرب القديم، ط٢، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- ١٣٥- مهنا، عبداً، ديوان حسان بن ثابت، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م
- ١٣٦- الميمنى، عبد العزيز، ١٩٥١م، ديوان حميد بن ثور الهلالي، دط، القاهرة: دار الكتب المصرية.
- ١٣٧- ابن ميمون، محمد، ١٩٩٩م، منتهى الطلب من أشعار العرب، ط١، بيروت: دار صادر.
- ١٣٨- ناصر الدين، مهدي، ٢٠٠٢م، ديوان طرفة بن العبد، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ١٣٩- نجم، محمد، ١٩٧٩م، ديوان أوس بن حجر، ط٢، بيروت: دار صادر.
- ١٤٠- النعمي، هاشم، ١٩٩٩م، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ط١، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
- ١٤١- النويري، شهاب الدين، ١٤٢٣هـ، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية.
- ١٤٢- هارون، عبد السلام، ١٩٩٧، خزانة الأدب، ط٤، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- ١٤٣- هزيم، رفعت، ٢٠١٥م، العربية في جنوب الجزيرة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية عدد ٨٨.
- ١٤٤- الهمداني، الحسن بن أحمد، ١٨٨٤م، صفة جزيرة العرب، ط١، صنعاء، مكتبة الإرشاد.
- ١٤٥- يعقوب، أميل بديع، ١٩٩٦م، ديوان الشنفرى، ط٢، بيروت: دار الكتاب.
- ١٤٦- اليماني، عبد الكريم، ١٩٦٢م، الأنساب، ط١، حيدر آباد: دائرة المعارف.
- ١٤٧- يموت، بشير، ١٩٣٤م، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط١، بيروت: المكتبة الأهلية.

ثانياً: مراجع شبكة الانترنت

- ١- أمانة منطقة جازان. (بلا تاريخ). أمانة منطقة جازان:
<https://www.jazan.sa/ar/Pages/AboutJazan.aspx>
استعرض بتاريخ (٢٠٢٢/٤/٥ م).
- ٢- أمانة منطقة نجران. (بلا تاريخ). أمانة منطقة نجران.
<https://www.najran.gov.sa/ar/AboutNajran/NajranGeographically>
استعرض بتاريخ (٢٠٢٢/٤/٥ م).
- ٣- بوابة السيرة النبوية، د ت، <https://www.alsirah.com>
استعرض بتاريخ ٢٠٢٣/٥/٢ م
- ٤- الجمعية الجغرافية السعودية، المملكة العربية السعودية: <https://sgs.ksu.edu.sa/ar>
استعرض بتاريخ (٢٠٢٢/٩/٣ م).
- ٥- محمد الحميري. (٢٠١٨). اللغة اليمنية القديمة.
<https://www.aljazeera.net/midan/reality/community/201819/12//>
استعرض بتاريخ (٢٠٢٣/٧/١٢ م).
- ٦- المركز الوطني للأرصاد. (بلا تاريخ). مناخ المملكة العربية السعودية. <https://ncm.gov.sa>
استعرض بتاريخ ٢٠٢٢/٤/٥ م
- ٧- وزارة الداخلية، منطقة الباحة:
<https://www.moi.gov.sa/wps/portal/Home/emirates/baaha>
استعرض بتاريخ (٢٠٢٢/٤/٥ م).
- ٨- وزارة الداخلية. إمارة منطقة عسير.
<https://www.moi.gov.sa/wps/portal/Home/emirates/aseer>
استعرض بتاريخ (٢٠٢٢/٤/٥ م).



رابعاً : رأي ووجهات نظر:

نستخلص من هاتين الدراستين المذكورتين في هذا القسم عدة أمور نوثقها في النقاط الآتية :

١- جنوب شبه الجزيرة العربية مناطق مأهولة بالسكان منذ العصور القديمة، وعبر عصور التاريخ الجاهلي والإسلامي المبكر، والوسيطة، والحديث. ولها تراث، وتاريخ، وحضارة محلية، وإقليمية، وعالمية^(١).

٢- كانت الحواضر والمدن الكبيرة في اليمن، مثل: نجران، وصعدة، وتغز، ومأرب، وشبوة، وصنعاء، وحضرموت، وعدن، والحديدة وغيرها أكثر البلدان التي ورد ذكرها في المصادر الكلاسيكية القديمة، والتواريخ العربية والإسلامية. أما البلدان الواقعة بين حواضر الحجاز واليمن (سراة وتهامة) فلا نجد لها ذكراً كثيراً في المصادر العلمية القديمة، وهذه الديار لم تكن ضمن اهتمامات الكتاب والرحالة والمؤرخين الأوائل قبل الإسلام وبعده^(٢).

٣- نجد مبحث الدكتور عبدالعزيز رمضان يرصد لمحات مختصرة من تاريخ النصرانية في جنوب الجزيرة العربية، وكيف كانت الحكومات المسيحية في الشام ومصر والحبشة، وديار الرومان حريصة على نشر الديانة المسيحية في أصقاع عديدة من العالم، وبلاد اليمن من البيئات المستهدفة في سياسات ومخططات تلك الدول الأجنبية^(٣).

٤- يرصد بحث ابن الفتح أهمية الشعر الجاهلي في توثيق صفحات من تاريخ السروات وتهامة الواقعة بين الحجاز واليمن، وينتقد الذين تجاهلوا هذا المصدر المهم أثناء إصدار كتبهم وبحوثهم ورسائلهم العلمية الجامعية. ونفى في بحثه أن يكون اليمن قديماً هو اليمن المعروف في وقتنا الحاضر، واجتهد في إيراد الكثير

(١) نجد المصادر تذكر بعض الشعوب القديمة التي عاشت في جنوب شبه الجزيرة العربية، وتشير إلى الحضارات والأمم التي اتصلت بها منذ آلاف السنين قبل الإسلام وخلال عصور الإسلام المختلفة. (ابن جريس).

(٢) قد يعارضني بعض القراء والباحثين الكرام، ويذكرون وجود بعض الذكر لهذه الأوطان في مصادر المتقدمين. وأقولهم لا تخلو من المصادقية، لكننا لا نجد تفصيلات واضحة تشرح لنا تاريخ الأرض والناس قبل الإسلام، وأثناء القرون العشرة الأولى من عصر الإسلام. (ابن جريس).

(٣) نجد عشرات الكتب والبحوث العلمية التي فصلت الحديث عن صلات الدول البيزنطية، والرومانية، والحبشية، والفارسية وغيرها ببلاد اليمن. وكيف أثرت وتأثرت جنوب شبه الجزيرة العربية بتلك التدخلات والعلاقات الخارجية. (ابن جريس).

من الأقوال والتفصيلات التي تشير إلى أن المقصود باليمن في المصادر المتقدمة، ومنها الشعر الجاهلي، البلاد الممتدة من الطائف وجنوب مكة المكرمة إلى جازان ونجران. وهذه الخلاصة التي خرج بها هذا الباحث وغيره، لا تخلو من الحقيقة، لكن تجاهل المدن والحوضر الكبيرة في أقصى جنوب شبه الجزيرة العربية يجب أن لا يُستبعد ويتم تجاهلها بهذه الصورة الإقصائية، لأن تلك البلاد لها تراث وتاريخ وحضارة قديمة وعريقة وكبيرة. وإذا كان الشعر الجاهلي المصدر الأساسي الذي اعتمد عليه صاحب هذه الدراسة، فالمصدر نفسه لا يخلو من مادة علمية جيدة ومنصفة ترصد جزئيات من تاريخ بلدان اليمن قديماً^(١).

٥- إن الاختلاف في النتائج البحثية ووجهات النظر العلمية ظاهرة جيدة وإيجابية. والأهم في ذلك أن يكون أي عمل علمي قائماً على المصادقية، والحيادية، والشفافية. ويجب على المؤرخ النزيه أن يحرص على رصد الحقيقة حتى لو تعارضت مع ميوله ورغباته. وإذا اتبعنا هذا المنهج، فأعمالنا العلمية سوف تكون قيمة وجيدة في معناها ومبناها، وما تهدف إليه من أهداف طيبة ومباركة.

٦- من يتأمل في تفصيلات هاتين الدراستين، يستطيع أن يخرج ببعض الرؤى والنتائج والتوصيات التي تقيد في إنجاز أعمال علمية نافعة وجادة وجديدة في عناوينها ومحتوياتها.

٧- أشكر الأستاذين الكريمين (ابن رمضان وابن الفتحي) على ما أدرجاه في بحثيهما، وأسأل الله - عز وجل - أن لا يحرمهما الأجر والثواب، كما أنني أرجو من المؤرخين، واللغويين، والأدباء، والباحثين الذين يهتمهم تاريخ وحضارة الناس في جنوب شبه الجزيرة العربية أن لا يحرمونا من إبداعاتهم ونتائجهم العلمي الجاد والرصين. وكلنا طلاب معرفة وعلم، ونسأل الله - عز وجل - أن يسخرنا لخدمة ديننا وبلادنا وأهلنا علمياً وبحثياً وتوثيقياً. (والله الموفق).




(١) سمعت بعض المحاضرات وقرأت العديد من الكتب والبحوث التي سارت على نهج الدكتور الفتحي. وأعتقد أن كل من تجاهل تاريخ وحضارة اليمن القديم قد بالغ في مقولته، ويجب عليه ومن سار في ركابه أن يعيدوا النظر فيما توصلوا إليه، ويعلموا أن جنوب شبه الجزيرة العربية من جنوب مكة المكرمة والطائف إلى عدن وحضرموت ومأرب وصنعاء وتعز تشابه في كثير من الميادين التاريخية والتراثية والحضارية منذ العصور الحجرية حتى عصرنا الحديث. (ابن جريس).



القسم الثالث

بحوث تاريخية ولغوية وتعليمية في
جنوب شبه الجزيرة العربية خلال
العصور الإسلامية الوسيطة، والحديثة



القسم الثالث

بحوث تاريخية ولغوية وتعليمية في جنوب شبه الجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية الوسيطة، والحديثة

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	توطئة.	٣٥٢
ثانياً:	وقفات مع طريق الحج التهامي من جازان إلى مكة المكرمة عند بعض الجغرافيين المسلمين الأوائل (٣-ق٨هـ / ٩-ق١٤م). بقلم . د. محمد بن علي بن محمد عسيري.	٣٥٥
ثالثاً:	تسع رحلات مجهولة في الجزيرة العربية، أين أمانة العلم في مراكز البحوث؟ بقلم . أ. د. عباس بن علي السوسوة.	٣٧٩
رابعاً:	بعض الأوبئة في قضاء بني شهر (١٣٠٥-١٣٢١هـ / ١٨٨٧-١٩٠٣م) (دراسة تاريخية تحليلية). بقلم . أ. د. زهير بن عبد الله بن عبد الكريم الشهري.	٣٩١
خامساً:	الإدارة العسكرية البريطانية في الحديدة (ديسمبر / ١٩١٨ حتى يناير ١٩٢١م). بقلم . جون بولدري. ترجمة : أ. د. عبد الودود قاسم مقشر.	٤١٣
سادساً:	شذرات من تاريخ التعليم العام والعالي في محافظة القنفذة خلال قرن (١٣٤٤-١٤٤٥هـ / ١٩٢٥-٢٠٢٤م). بقلم . أ. غازي بن أحمد الفقيه.	٤٦٣

أولاً: توطئة: ^(١)

عندما نقول جنوب شبه الجزيرة العربية ، فتلك البلاد التهامية والسروية الممتدة من مناطق الليث والقنفذة وقلوة والمخواة في تهامة ، وسروات بلاد غامد وزهران إلى قعر اليمن الحديث. وهناك الكثير من الدراسات العربية والإسلامية والأجنبية التي أسهمت في تاريخ وحضارة حواضر اليمن الرئيسية ، مثل : عدن ، وصنعاء ، وتغز ، والحديدة وغيرها. وإذا بحثنا في المصادر الكلاسيكية قبل الإسلام ، وكتب التراث الإسلامي خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة فسنجد فيها الكثير من الكتابات والتوثيقات التي رصدت جزئيات متنوعة من حضارة تلك المراكز اليمنية.

(١) هذه التوطئة من إعداد صاحب (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) . (ابن جريس).

أما إذا فتشنا في تلك المصادر المتقدمة عن بلاد السروات وتهامة، الواقعة في وقتنا الحاضر ضمن نطاق المملكة العربية السعودية، (غامد وزهران، وعسير، وجازان، ونجران) فلا نجد تلك المادة الكثيرة والواضحة التي تشرح لنا تاريخ وحضارة هذه البلاد قبل الإسلام وبعده (ق. - ق١٢هـ/ق١-ق١٨م). وإن وجدنا مادة قليلة في تلك العصور، فما زالت غامضة وناقصة^(١).

جاء العصر الحديث والمعاصر (ق١٢-ق١٥هـ/ق١٩-ق٢١م)، ووصل إلى هذه البلاد أمم وحضارات داخلية وخارجية. وحدث على أرضها الكثير من الأحداث والتواريخ المتنوعة في أحجامها، وطبيعتها، وآثارها ونتائجها السلبية أو الإيجابية. ونشطت الحياة العلمية والفكرية والثقافية، وصدر عنها مئات الكتب والدراسات العلمية العربية والأجنبية. وفازت أيضاً حواضر اليمن الكبرى بالنصيب الأكبر من حيث الكيف والكم علمياً وبحثياً وتوثيقياً. كذلك أرض تهامة والسراة من جازان ونجران إلى الطائف وجنوب مكة المكرمة حظيت أيضاً بالعديد من الأعمال العلمية المتنوعة في عناوينها، وفي أحداثها وما نتج عنها^(٢).

(* هذا القسم الذي عنوانته باسم: بحوث تاريخية، ولغوية، وتعليمية في جنوب شبه الجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية الوسيطة والحديثة، احتوى على عدة أمور، أذكر أهمها في البنود الآتية:

١- عدد هذه الدراسات خمسة بحوث علمية، اثنان (الثاني، والرابع) لأستاذين يمينين كريمين. فالأستاذ الأول: راجع وانتقد أحد الكتب العربية المترجمة من الإنجليزية إلى العربية عن تسع رحلات أجنبية في شبه الجزيرة العربية من القرن (١٦-٢٠م). وقام هذا الأخ الكريم بذكر الكثير من الأغلاط العلمية والجغرافية واللغوية التي ارتكبها مترجم الكتاب. وكون هذا الباحث الناقد أستاذاً في اللسانيات، فقد شرح

(١) ربما يعترض على هذا القول بعض العلماء، والخبراء، والمؤرخين، والأثاريين. ويقولون لقد صدر بعض البحوث الحديثة التي شرحت شيئاً من حياة الناس في هذه البلاد خلال الفترة التي ذكرتها في المتن. وليس عندي أي اعتراض على هذا الرأي، وأقول نعم هناك دراسات وكتب ورسائل علمية جامعية أنجزت في هذا الميدان خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٤-١٤٤٥هـ/١٩٢٣-٢٠٢٤م)، لكنها مازالت قليلة ومحدودة في مادتها العلمية الموثقة. (ابن جريس).

(٢) لست في هذا الكتاب، أو الدراسات معنياً بإجراء مقارنة عن الناحيتين من حيث كمية الأبحاث، وخدمتها للبلاد والعباد في كل ناحية. لكنني أشرت إلى شيء من ذلك حتى أوضح للباحث والقارئ الكريمين، بأن أوطان السروات وتهامة في جنوب البلاد السعودية مازالت بحاجة إلى جهود وخدمة علمية بحثية أكثر عبر عصور التاريخ، بما فيها العصر الحديث والمعاصر. وهذا نداء أردده دائماً في العديد من بحوثي، وأمل أن يجد من أبناء هذه البلاد من يخدمها توثيقياً في شتى المجالات والموضوعات. (ابن جريس).

بعض عيوب هذا العمل لغوياً، وكذلك الركاكة الفاضحة في الترجمة. أما الأستاذ الآخر فهو متخصص في التاريخ الحديث وقام بترجمة بحث باللغة الإنجليزية إلى العربية، ومادته مركزة على الاحتلال البريطاني لحاضرة الحديدة أكثر من عامين (ديسمبر / ١٩١٨م حتى يناير / ١٩٢١م). وعمله جهد مبارك، وكنت أمل من هذا الاستاذ القدير، إن يورد تعريفات واضحة ودقيقة عن الكثير من الأعلام البشرية والجغرافية التي وردت في هذا البحث العلمي الجيد .

٢- الأبحاث الثلاثة الأخرى (الأول، والثاني، والخامس) لثلاثة أساتذة سعوديين. فالأول: أستاذ مساعد في التاريخ الإسلامي ورصد بعض الشذرات عن محطات طريق الحج التهامي من جازان إلى مكة كما وردت عند بعض الجغرافيين المسلمين الأوائل في العصر الإسلامي الوسيط. والبحث الثاني لأستاذ جامعي متخصص في التاريخ الحديث، وناقش فيه بعض الأمراض التي ظهرت في سروات بني شهر خلال العقدين الأولين من القرن (١٤هـ / ١٩- ٢٠م) . ومعظم مادة بحثه مستقاة من الوثائق العثمانية . والدراسة الأخيرة لأستاذ تربوي عمل في مجال التدريس عدة عقود، ووثق لمحات من تاريخ التعليم العام والعالي في بلاد القنفذة خلال قرن من الزمان (١٣٤٤- ١٤٤٥هـ / ١٩٢٥- ٢٠٢٤م) .

٣- نشكر هؤلاء الفرسان الخمسة الذين وثقوا لنا تاريخ إسلامي وسيط وحديث ومعاصر عن موضوعات لغوية، وتاريخية، وتعليمية في أمكنة عديدة من جنوب شبه الجزيرة العربية . ولا ندعي جميعاً أننا استوفينا الحديث في هذه الموضوعات البحثية، لكنني وجدتهم اجتهدوا فيما توصلوا إليه. وقد يجد باحثون غيرهم فوائد علمية ومعرفية تخدمهم فيما تم طباعته ونشره، أو في مجالات تاريخية حضارية لها صلة بالمواضع المذكورة في هذه البحوث، أو نواحي أخرى تستحق أن تخدم علمياً وبحثياً ومعرفياً .

٤- إن هدي في أنا وهؤلاء الأساتذة الكرام خدمة البحث العلمي قدر الاستطاعة. أمل أن نكون حققنا بعض الفوائد والنجاحات البحثية، وإذا حصل نقص أو قصور، فنسأل الله أن يتجاوز عنا فيما أخطأنا وقصرنا (والله الموفق) .



ثانياً : وقفات مع طريق الحج التهامي من جازان إلى مكة المكرمة عند بعض الجغرافيين المسلمين الأوائل (ق٣-ق٨هـ/ق٩-ق١٤م). بقلم. د. محمد بن علي بن محمد عسيري^(١).

م	الموضوع	الصفحة
١-	مدخل.	٣٥٥
٢-	محطات الطريق عند بعض الجغرافيين الأوائل (ق٣-ق٨هـ/ق٩-ق١٤م).	٣٥٨
	أ. الطريق عند اليعقوبي (ق٣هـ/ق٩م).	٣٥٨
	ب. الطريق عند ابن خرداذبة (ق٣هـ/ق٩م).	٣٦٠
	ج. الطريق عند الحربي (ق٣هـ/ق٩م).	٣٦١
	د. الطريق عند ابن رسته (ق٣هـ/ق٩م).	٣٦٣
	هـ. الطريق عند الاصطخري، والهمداني (ق٤هـ/ق١٠م).	٣٦٣
	و. الطريق عند الإدريسي (ق٦هـ/ق١٢م).	٣٦٥
	ز. الطريق عند عمارة اليماني (ق٦هـ/ق١٢م).	٣٦٦
	ح. الطريق عند ابن المجاور (ق٧هـ/ق١٣م).	٣٦٨
	ط. الطريق عند ابن فضل الله العمري (ق٨هـ/ق١٤م).	٣٦٩
	ك. إشارات محدودة لمؤلفين آخرين.	٣٧١
٣-	رأي ووجهة نظر.	٣٧٢
٤-	ملاحق الدراسة .	٣٧٣
٥-	مصادر ومراجع الدراسة	٣٧٦

١- مدخل :

ساح الرحالة والجغرافيون القدماء في أجزاء كثيرة من الأرض، وسجلوا مشاهداتهم، وملاحظاتهم، وما نقلوه بالرواية والسمع. وبلدان شبه الجزيرة العربية مذكورة بشكل واسع عند هذه الشريحة من الأعلام العلماء وأرباب القلم عبر أطوار التاريخ. وتعد مؤلفاتهم ومدوناتهم من المصادر الرئيسية التي لا يستغني عنها أي

(١) الدكتور محمد من مواليد بلدة قنا في تهامة عسير عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م). حصل على درجة البكالوريوس في التاريخ من فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). والماجستير في نفس التخصص من جامعة الملك خالد عام (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م). والدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة الملك خالد (١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م) له العديد من الدراسات المطبوعة والمنشورة منها: قراءة التاريخ الإسلامي بين التراث والحداثة (دراسة نقدية) (ابن جريس).

دارس أو باحث في تراث وتاريخ وحضارة جزيرة العرب. والجغرافيون والرحالة المسلمون الأوائل وثقوا الكثير من الأقوال والروايات والمشاهدات عن طرق الحج والتجارة التي تربط حواضر الحجاز الكبرى مع غيرها من بلدان العالم العربي والإسلامي خلال العصر الإسلامي الوسيط (ق ٢- ق ٨هـ/ ق ٩- ق ١٤م) ^(١).

يعد طريق الحج اليمني واحداً من الطرق الأربعة الرئيسية للحج مع الطريق الشامي، والعراقي، والمصري. ويمتاز عليها بانقسامه إلى طريقين رئيسيين، الأول الطريق الجبلي الذي يتأخم جبال السروات من الجهة الشرقية وصولاً للطائف. والطريق التهامي الذي يقسمه البعض إلى قسمين ساحلي وداخلي. والحديث في هذا البحث عن طريق الحج التهامي الداخلي مع الاجتهاد في رصد محطات الطريق المشهورة وغير المشهورة من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري (التاسع إلى الرابع عشر الميلادي). والذين وصفوا الطريق بشكل كامل حسب التسلسل التاريخي هم: (١) اليعقوبي ^(٢). المتوفى سنة (٢٨٤هـ)، في كتابه البلدان. (٢) ابن خرداذبة ^(٣) المتوفى حوالي (٢٨٠هـ) في كتاب المسالك والممالك. (٣) إبراهيم الحربي ^(٤) المتوفى سنة (٢٨٥هـ) في كتابه المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة. (٤) ابن رسته ^(٥) (نهاية القرن الثالث وبداية الرابع الهجري) كتابه الأعلاق النفيسة. (٥) الاصطخري، ولسان اليمن الهمداني ^(٦).

(١) مازالت مؤلفات الرحالين والجغرافيين المسلمين الأوائل جدير بالدراسة والنقد والتحليل، وبخاصة كل ماله علاقة بمدن وحواضر وإقليم شبه الجزيرة العربية. (ابن جريس).

(٢) أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: مؤرخ جغرافي كثير الأسفار، من أهل بغداد. كان جده من موالي المنصور العباسي. رحل إلى المغرب وأقام مدة في أرمينية. ودخل الهند. وزار الأقطار العربية، توفي سنة ٢٩٢هـ. الزركلي، الأعلام، ط ١٥ (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م) ج ١، ص ٩٥.

(٣) عبيد الله بن أحمد بن خرداذبة، أبو القاسم: مؤرخ جغرافي، فارسي الأصل. من أهل بغداد. كان جده خرداذبه مجوسياً أسلم على يد البرامكة. واتصل عبيد الله بالمعتمد العباسي، فولاه البريد والخبر بنواحي الجبل، وجعله من ندمائه. الزركلي، ج ٤، ص ١٩٠.

(٤) إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم الحربي، نسبة إلى محلة الحربية ببغداد. ولد سنة (١٩٨هـ)، وتوفي سنة (٢٨٥هـ). الخطيب، تاريخ بغداد، ت: بشار عواد، ط ١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م) ج ٦، ص ٥٢٢.

(٥) أحمد بن عمر، أبو علي ابن رسته: عالم جغرافي. فارسي الأصل، من أهل أصفهان. حج سنة (٢٩٠هـ). الزركلي، ج ١، ص ١٨٥.

(٦) الحسن بن أحمد بن يعقوب، من بني همدان، أبو محمد: مؤرخ، عالم بالأنساب عارف بالفلك والفلسفة والأدب، شاعر مكثّر، من أهل اليمن. كان يعرف بابن الحائك، وبالنسابة، وبابن ذي الدمينية (نسبه إلى أحد أجداده: ذي الدمينية بن عمرو) ولد ونشأ بصنعاء وأقام على مقربة منها في بلدة (زَيْدَة)، وطاف البلاد، واستقر بمكة زمناً. وعاد إلى اليمن فأقام في مدينة صنعاء. الزركلي، ج ٢، ص ١٧٩.

المتوفى بعد (٣٤٤هـ)، في كتاب صفة جزيرة العرب. (٦) الشريف الإدريسي^(١) المتوفى سنة (٥٦٠هـ) في كتابه نزهة المشتاق. (٧) عمارة اليميني^(٢) المتوفى سنة (٥٦٩هـ) في كتابه المفيد في تاريخ صنعاء وزبيد. (٨) ابن المجاور^(٣) المتوفى سنة (٦٢٦هـ) في كتابه صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر. (٩) أحمد بن فضل الله العمري^(٤) المتوفى سنة (٧٤٩هـ) في كتابه مسالك الأبصار. ووردت منازل الطريق كاملة عند علماء آخرين، واعتمدوا في توثيقاتهم على بعض أصحاب الكتب السابقة، ومنهم: ابن الديبع^(٥) المتوفى سنة (٩٤٤هـ) في كتاب قرة العيون، فقد نقل الطريق كاملاً عن عمارة اليميني مع اختلافات يسيرة. ومنهم: عبد القادر الجزيري^(٦) المتوفى سنة (٩٧٧هـ) في كتاب الدرر الفرائد فقد نقل محطات الطريق عن ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار مع بعض الاختلافات. أما من أورد أجزاء من الطريق فمنهم: غدة الأصفهاني (٣١٠هـ) في كتابه (بلاد العرب)، وابن حوقل^(٧) (٣٦٧هـ)، (صورة الأرض). والبكري^(٨) (٤٨٣هـ) (المسالك والممالك).

(١) محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الإدريسي الحسني الطالب، أبو عبد الله: مؤرخ، من أكابر العلماء بالجغرافية. من أدارسة المغرب الأقصى. ولد في سبتة ونشأ وتعلم بقرطبة. ورحل رحلة طويلة انتهى بها إلى صقلية، فنزل على صاحبها روجار الثاني (Roger II) ووضع له كتاباً سماه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) أكمله سنة ٥٤٨ هـ وهو أصبح كتاب ألفه العرب في وصف بلاد أوربة وإيطالية، وكل من كتب عن الغرب من علماء العرب أخذ عنه. الزركلي، ج٧، ص ٢٤-٢٥.

(٢) عمارة بن علي بن زيدان الحكمي المذحجي اليميني، أبو محمد، نجم الدين: مؤرخ ثقة، وشاعر فقيه أديب، من أهل اليمن. ولد في تهامة ورحل إلى زبيد سنة (٥٢١ هـ) وقدم مصر برسالة من القاسم بن هشام (أمير مكة) إلى الفائز الفاطمي سنة (٥٥٠هـ) في وزارة «طلّاح ابن رزيك» فأحسن الفاطميون إليه وبالفوا في إكرامه، فأقام عندهم، ومدحهم. ولم يزل موالياً لهم حتى زالت دولتهم وملك السلطان «صلاح الدين» الديار المصرية. الزركلي، ج٥، ص ٣٧.

(٣) يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي الشيبانيّ الدمشقيّ، أبو الفتح، جمال الدين ابن المجاور: مؤرخ، عالم بالحديث، من الكتاب. من أهل دمشق. الزركلي، ج٨، ص ٢٥٨.

(٤) أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين: مؤرخ، حجة في معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم والبلدان، إمام في الترسل والإنشاء، عارف بأخبار رجال عصره وترجمهم، غزير المعرفة بالتاريخ ولا سيما تاريخ ملوك المغول من عهد جنكيزخان إلى عصره. مولده ومنشأه ووفاته في دمشق. الزركلي، ج١، ص ٢٦٨.

(٥) عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيبانيّ الزبيدي الشافعيّ، وجيه الدين، المعروف بابن الديبع: مؤرخ محدث من أهل زبيد (في اليمن) ومولده ووفاته فيها. الزركلي، ج٢، ص ٣١٨.

(٦) عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري: باحث حنبلي مصري. ونسبة الجزيري إلى جزيرة الفيل من أعمال مصر. الزركلي، ج٤، ص ٤٤.

(٧) محمد بن حوقل البغدادي الموصل، رحالة، من علماء البلدان. رحل من بغداد سنة (٣٣١هـ) ودخل المغرب وصقلية، وجاب بلاد الأندلس وغيرها. الزركلي، ج٦، ص ١١٠-١١١.

(٨) عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، أبو عبيد: مؤرخ جغرافي، ثقة. نسبته إلى بكر بن وائل. كانت لسلفه إمارة في غربي جزيرة الأندلس. الزركلي، ج٤، ص ٩٧-٩٨.

٢- محطات الطريق عند بعض الجغرافيين المسلمين الأوائل (ق٣-ق٨هـق٩-ق١٤م)؛

أ- الطريق عند اليعقوبي^(١)؛

وصف اليعقوبي طريق حاج اليمن بدأ من يللم على طريق العودة ، وتبتدئ من جهة اليمن ، على النحو الآتي: صنعاء ، سودان ، المروة ، العارة^(٢) ، المهجم^(٣) ، بلحة^(٤) ، السلعاء^(٥) ، الشرجة^(٦) ، جازان ، العُرش^(٧) ، بيش^(٨) ، ريم^(٩) ، زنيف^(١٠) ، ضنكان^(١١) ، المعقر ، بية^(١٢) ، قنونا^(١٣) ، قرما ، عليب^(١٤) ، الليث^(١٥) ، يللم.

- (١) كتاب البلدان، ت: محمد ضناوي (بيروت: دار الكتب العلمية، د ت) ص ١٥٥.
- (٢) سودان والمروة والعاره. لم أجد لها تعريف.
- (٣) المهجم: بلد وولاية من أعمال زبيد باليمن، بينها وبين زبيد ثلاثة أيام، ويقال لناحيها خزاز. الحموي، ياقوت، معجم البلدان (بيروت: دار صادر، (١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ج ٥، ص ٢٢٩.
- (٤) ذكر الهمداني بلحة بأنها مدينة لعك في وادي مور. الهمداني، الحسن، صفة جزيرة العرب، ت: محمد الأكوغ، ط ١ (صنعاء: مكتب الإرشاد، (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) ص ٩٤.
- (٥) السلعاء: لم أجد لها تعريف.
- (٦) الشرجة: مدينة ساحلية تحد مخلاف حكم من الجهة الجنوبية، وذكر الأكوغ في تحقيق صفة جزيرة العرب بأنها تقع قبالة وادي الموسم من وادي حرض، وهي اليوم لا عين ولا أثر لها. الهمداني، هامش ٧، ص ٩٢.
- (٧) العُرش: مدينة باليمن على الساحل. الحموي، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٠٠.
- (٨) ربما المقصود بيش.
- (٩) يقصد وادي ريم، من أودية السراة التي تصب في البحر الأحمر، وهو بين وادي بيض وعمرم. الهمداني، مصدر سابق، ص ١٣٦.
- (١٠) زنيف: ذكره الهمداني كواد من أودية مخلاف عثر بعد وادي عمرم. المصدر السابق، ٢٣٢.
- (١١) ضنكان: وهو واد في أسافل السراة يصب إلى البحر وهو من مخاليف اليمن. الحموي، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٦٤.
- (١٢) بية: ذكرها ياقوت برسم: بيت، وقال: هي موضع في قول كثير: إلى بيت إلى برك الغماد. المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٢٧. وهي وادي بيه، من أودية تهامة المشهورة ويصب في البحر الأحمر بين وادي حلي ووادي قنونا.
- (١٣) قنونا: ورد عند الحموي بالألف المقصورة، وهو من أودية السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة قرب حلي. المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٠٩.
- (١٤) عليب: واد بين الخبتين خبت البزواء وخبت أذن وهو في مساقط بلاد بارق من غور السراة. الهمداني، مصدر سابق، ص ٢٩٧.
- (١٥) قال ياقوت: الليث علم مرتجل لا أعرف له في النكرات أصلاً إلا أن يكون منقولاً من الفعل الذي لم يسم فاعله من لاث يلوث: وهو واد بأسفل السراة يدفع في البحر. الحموي، مصدر سابق، ج ٥، ص ٢٨. وهو وادي الليث المعروف وتقع عند مصبه مدينة الليث جنوب مكة المكرمة ب (١٧٠ كم).

(*) ملاحظات:

(*) أن طريق الحج التي وصفها اليعقوبي طريق داخلية واحدة في زمنه؛ فقد ذكر قبلها أعمال مكة ومنها : السريين^(١)، وعثر^(٢) ولم يشر إلى مرور الحاج بهما، وهما أبرز المحطات الساحلية عند غيره.

(*) وردت المعقر عند اليعقوبي بين ضنكان وحلي، لكن في نفس الموقع أيضاً ذكر الحربي والهمداني اسم المعقد بالدال، والهمداني حدد بأن (المعقد) في حرة كنانة^(٣). وعند المقدسي مدينة «معقر» من المدن الساحلية ولم يحدد موقعها، لكنه ذكرها كأول مدينة عند حديثه عن قصبة زبيد، وقال: بأنها تقع على جادة عدن^(٤)، ولعلها المقصودة عند العقيلي بأنها من قرى زبيد^(٥)، وهذا يعني أنها في داخل البلاد اليمنية قبل الوصول إلى المخلاف السليماني. والمعقر عند ابن حوقل من المدن التي بين جبال تهامة والبحر ولم يحدد مكانها^(٦). واليوم يوجد موقع داخلي شرق مركز القحمة وليس على البحر اسمه المعقر^(٧)، في نفس الموقع وفق ترتيب اليعقوبي والحربي والهمداني، وهو أقرب إلى أن يكون المقصود، وربما الخطأ عند الحربي والهمداني في النسخ فقط.

(*) رجح العقيلي أن العُرش هي «أبو عريش» الحالية^(٨)، بغض النظر عن كون «أبو عريش» تأسست في وقت متأخر عن زمن اليعقوبي إلا إن هذ الترجيح لا

(١) انظر تحقيق موقع السريين في: حسن الفقيه، مدينة السريين الأثرية، مجلة العرب، السنة السابعة عشرة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص ٥٦٦-٥٦٧.

(٢) انظر في تحقيق موقع وتاريخ عثر: الزييلي، أحمد بن عمر، مخلاف عثر في القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر للميلاد، الندوة العالمية الخامسة، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الخامس: الجزيرة العربية من قيام الدولة العباسية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ج ١، (الرياض، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص ١٩١-٢٠٤. وهي اليوم أطلال بالقرب من قوز الجعافرة فيما بين بيش وساحل البحر الأحمر.

(٣) اليعقوبي، مصدر سابق، ص ٢٣٢.

(٤) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ت: شاكرا لعيبي، ط ١ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣م) ص ٩٠، ص ١٠٢.

(٥) تاريخ المخلاف السليماني، ط ٢، (الرياض: مطابع الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م) ص ٦٩.

(٦) ابن حوقل، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٧) الحربي، علي بن إبراهيم، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٥٢٥-١٥٢٦. قال بعد أن حدد وادي المعقر: «وبه هجرة على اسمه لبداية المنجحة شرق مركز القحمة».

(٨) المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية - مقاطعة جازان - المخلاف السليماني (الرياض: دار اليمامة، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م) ج ١، ص ٤٨.

يتوافق مع الترتيب الذي ترد به العُرش في طريق الحج سواءً عند اليعقوبي أو عند الحربي أو الهمداني، لعدة أسباب:

١- أن كل من ذكر «العُرش» جعلها تأتي بعد جازان للقدام من اليمن، ما عدا ابن خرداذبة، والموقع الحالي لـ «أبو عريش» إلى الشرق من جيزان، ولا يستقيم أن يمر عليها الحاج قبل المدينة الجازانية.

٢- أن العُرش عند الحموي مدينة ساحلية، وأبو عريش تبعد عن الساحل بأكثر من (٥٠) كم.

٣- أن هناك قرية تتبع لصبيا الحالية تعرف بالعرش، أو العروش، وربما تكون المقصودة وهي أقرب إلى الترتيب المكاني الذي ذكره بعض الجغرافيين.

ب — الطريق عند ابن خرداذبة (ق٣هـ/ق٩م) ^(١) :

ذكر مراحل كثيرة من عمان إلى مكة وسأكتفي بما أورده من عدن إلى مكة: عدن، أبين، ثم إلى مغاص اللؤلؤ، ثم إلى مخلاف بنى مجيد ^(٢)، ثم إلى المنجلة، ثم إلى مخلاف الركب، ثم إلى المندب، ثم إلى مخلاف زبيد، ثم إلى غلافقة ^(٣)، ثم إلى مخلاف عك ^(٤)، ثم إلى الحردة ^(٥)، ثم إلى مخلاف حكم ^(٦)، ثم إلى عثر، ثم إلى مرسى ضنكان، ثم إلى مرسى حلي ^(٧)، ثم إلى السرين، ثم إلى أغيار ^(٨)، ثم إلى الهرجاب، ثم إلى الشعيبة ^(٩)، ثم إلى منزل، ثم إلى جدّة، ثم إلى مكة. ثم ذكر الطريق البري من

(١) المسالك والممالك، (لیدن: مطبعة بريل، ١٨٨٩م) ص١٤٨ وما بعدها.

(٢) مخلاف بني مجيد: مخلاف ممتد من باب المندب جنوباً إلى المخا شمالاً. الأكوغ، مخالف اليمن في كتب الجغرافيين، ص٢٠.

(٣) غلافقة: بلد على ساحل بحر اليمن مقابل زبيد، وهي مرسى زبيد، وبينها وبين زبيد خمسة عشر ميلاً، ترفاً إليها سفن البحر القاصدة لزبيد. الحموي، مصدر سابق، ج٤، ص٢٠٨.

(٤) عك: قبيلة يضاف إليها مخلاف باليمن ومقابله مرساها دهلك. الحموي، مصدر سابق، ج٤، ص١٤٢.

(٥) الحردة: حصن صغير وناسه قليلون وعيشهم اللحوم والألبان والتمر ومعايشهم ضيقة ومنه إلى مخلاف غلافقة في البر أربع مراحل وأهل هذا الحصن حضر وهو على مرسى زبيد ومنه إلى زبيد خمسون ميلاً. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٢هـ) ج١، ص٥٢.

(٦) مخلاف حكم: المنطقة الممتدة من صبيا إلى الشرجة، ثم توحدت بعد ذلك مع مخلاف عثر لتشكل المخلاف السليمانى. انظر: العقيلي، تاريخ المخلاف السليمانى، ج١، ص٦٩-٧١.

(٧) حلي: حلي مدينة باليمن على ساحل البحر، بينها وبين السرين يوم واحد، وبينها وبين مكة ثمانية أيام. الحموي، مصدر سابق، ج٢، ٢٩٧. وهي اليوم مدينة على مصب وادي حلي المشهور إلى الجنوب من القنفذة.

(٨) واد بين وادي حلية والليث. الفقيه، مرجع سابق، ص٥٦١.

(٩) الشعيبة قرية على شاطئ البحر على طريق اليمن. الحموي، مصدر سابق، ج٣، ص٣٥١.

خولان ذي سحيم^(١) الى مكة، على النحو التالي: خولان ذي سحيم، العُرش من جازان، بيشة بعطان^(٢)، وادي ضنكان، حلى، بيشة ابن جأوان، قنونا، الحسبة^(٣)، دوقة^(٤)، عليب، بية، منزل، الليث، يللمم ميقات أهل اليمن، ملكان^(٥)، مكة.

(*) ملاحظات:

(*) وصف ابن خرداذبة للطريق الساحلي أنها طريق بحرية وليست برية، ويشير إلى المراسي المشهورة على ساحل البحر الأحمر، كما أن المسافات بين كل منزل وآخر مسافات طويلة أقرب إلى أنها تُقطع بالسير البحري لا بالسير البري.

(*) ورد عنده بيشة بعطان، والمقصود بيش، لأن بيشة بعطان^(٦) هي مدينة بيشة الحالية في الجهة الشرقية من جبال السروات، ومن منازل طريق الحج اليمني الجبلي، ولو لم يرد بعطان في التسمية لكان يمكن أن يقال أن الخطأ من الناسخ.

(*) جاءت (بيه) عنده متأخرة عن موقعها، فهي قبل وادي قنونا من ناحية الجنوب، ولكنها وردت عنده بعد عليب إلى الشمال، وهو موقع بعيد جداً عن موقعها الصحيح.

ج - الطريق عند الحربي (ق٣هـ/ق٩م)^(٧) :

قسم الحربي طريق الحج اليمني التهامي إلى طريقين أحدهما يبدأ من صنعاء، والآخر يبدأ من زبيد. ومحطات طريق صنعاء: صنعاء، رحابة^(٨)، البون^(٩)، ضباعين

(١) لعلها بنو سحام إحدى العاليتين «خولان الطيال»، أو سخييم المعروفة بشيام سخييم. الأوكع، إسماعيل، مرجع سابق، ص ٢٥.

(٢) هنا خلط بين بيش في المخلاف السليمان وبين بيشة المدينة المعروفة، أو لعله خطأ النسخ.

(٣) الحسبة: بالتحريك: واد بينه وبين السريين سري ليلة من جهة اليمن. الحموي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٥٨. وهو الوادي المعروف الآن باسم وادي الأحسبة، وينطق اليوم في لهجة أهل «لحسبة»، وهو وادي كبير بعد وادي قنونا شمالاً.

(٤) دوقة واد على طريق الحاج من صنعاء إذا سلوكوا تهامة، بينه وبين يللمم ثلاثة أيام. الحموي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٨٥.

(٥) ملكان: واد من كبار أودية مكة المكرمة، يمر جنوباً على (٣٦) كيلاً، يسيل من جبال القرظة المشرفة على نعمان من الجنوب، ثم ينحدر غرباً مجاوراً وادي نعمان، ويباري وادي عرنة حتى يصب في الخبت جنوب جدة. البلادي، عاتق بن غيث، معالم مكة التاريخية والأثرية، ط ١ (دار للنشر والتوزيع، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ص ٢٨٨.

(٦) بيشة معروفة، وبعطان ذكر الحموي أنه واد لختعم. الحموي، مصدر سابق، ج ١، ص ٥٢.

(٧) انظر: كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ت: حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ص ٦٤٦.

(٨) رحابة: بلد في ديار همدان باليمن. البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط ٢ (بيروت: دار عالم الكتب، ١٤٠٣هـ) ج ٢، ص ٦٤٣.

(٩) بُون: مدينة باليمن، زعموا أنها ذات البئر المعطلة والقصر المشيد المذكورين في القرآن العظيم. الحموي، مصدر سابق، ج ١، ص ٥١١.

(صناعين)، أثافت، النقييل وهي الشقيقة، همل، الكلابح، النساع، مور^(١)، حور، الخصوف^(٢)، جازان، بيش^(٣)، عثر، ضنكان، حلي، بيض^(٤)، وادي المقل^(٥)، وادي دوقة، السرّين، وادي السباع، الليث، مركوب^(٦)، يللم، ملكان، مكة. أما طريق زبيد فقد أورد محطاته بطريق العودة من مكة إلى زبيد^(٧)، وذكرها من زبيد إلى مكة، على النحو الآتي: زبيد، الكدراء^(٨)، المهجم، بلحة، ذو الذراعين، الحسارة، النحيب، جازان، العرش، حاوي، بيض، زنيف، ضنكان، المعقد^(٩)، حلي، قنونا، القرما^(١٠)، عليب، الليث، مركوب، ادام^(١١)، مكة^(١٢).

(*) ملاحظات:

(*) قدم وادي ضنكان وحلي قبل وادي بيض، ووادي بيض بعد وادي بيش في منطقة جازان قبل ضنكان وحلي بمسافة تتجاوز (١٠٠ كم).

- (١) وادي مور وهو ميزاب تهامة الأعظم، ومساقى مور تأخذ غربي همدان جميعاً وبعض غربي خولان وبعض غربي حمير. الهمداني، مصدر سابق، ص ١٣٤.
- (٢) يقول ياقوت الحموي بأن الخصوف هو الاسم القديم لوادي خُلب: اسم واد بتهائم اليمن لبني سعد العشيرة بين الجون وجازان. مصدر سابق، ج ٢، ص ١٥٠.
- (٣) بيش: من مخاليف اليمن، فيه عدّة معادن. الحموي، مصدر سابق، ج ١، ص ٥٢٨. واليوم هي مدينة معروفة تقع على مصب وادي بيش بين صيبا والدرب.
- (٤) وادي بيض: واد بعد وادي بيش، وبينهما وادي عتود، وإلى الشمال منه وادي ريم. الهمداني، مصدر سابق، ص ١٣٦.
- (٥) لم أعرّ له على تعريف، لكن شجر المقل هو الدوم، وقد ورد عند ابن الجاور أن ذهبان يسمى وادي الدوم، ولعلّ الحربي أخطأ في ذكر ترتيبه هنا. الحربي، مصدر سابق، ص ٦٨.
- (٦) واد جنوب يللم أسفله لكنانة. غدة الأصفهاني، الحسن بن عبد الله، بلاد العرب، ت: حمد الجاسر، وصالح العلي (الرياض: دار اليمامة، د. ت) ص ٢٢.
- (٧) زبيد: اسم واد به مدينة يقال لها الحصيب ثمّ غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف إلّا به، وهي مدينة مشهورة باليمن أحدثت في أيام المأمون وبازائها ساحل غلافقة وساحل المنذب، وهو علم مرتجل لهذا الموضع. الحموي، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٣١.
- (٨) مدينة اختطها حسين بن سلامة في عهد الدولة الزيدية على وادي سهام. المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، ط ٢، ت: محمد علي الأكوع (مطبعة السعادة، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م) ص ٦٩.
- (٩) المعقد: ذكرها ابن حوقل في المدن التي بين جبال تهامة والبحر ولم يعرف بها. مصدر سابق، ص ٣٠.
- (١٠) قرما: واد بين مكة واليمن على طريق حاجّ زبيد. الحازمي، الأماكن، ت: حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة، ١٤١٥ هـ) ج ٢، ص ٧٤٢. واليوم هو واد بين وادي ناوان ووادي دوقة شمال مدينة المظيلف الحالية. انظر خريطة الأودية: الفقيه، مرجع سابق، ص ٥٦١.
- (١١) ادام: إدام واد فصل من أودية مكة المكرمة، على (٥٧) كيلاً جنوباً، يقطعه درب اليمن بين وادي البيضاء شمالاً ووادي يللم جنوباً. يسيل من جبال راية ويصب في الخبت عند طفيل، سكانه الجحادلة من بني شعبة، ليست به زراعة ولكن فيه آثار عيون مندثرة، وفيه بئر إدام الشهيرة منذ القدم. البلادي، عاتق، مرجع سابق، ص ٢١.
- (١٢) الحربي، مصدر سابق، ص ٦٤٦ - ٦٤٧.

(*) قفز هذا الجغرافي من وادي المقل إلى وادي دوقة، وهي مسافة طويلة فيها منازل كثيرة للحجاج وليست منزلة واحدة، فإذا كان وادي المقل على الأرجح أنه وادي ذهبان، فإن بينه وبين وادي دوقة مسافة تصل لأكثر من (٢٠٠ كم). والطريق عند الحربي تقريباً طريق واحدة من جازان إلى حلي، وتفترق بعد حلي إلى قنونا وإلى السريين، وإلى هذا أشار الهمداني إلى أن الطريق التي تتجه إلى قنونا هي الطريق الداخلية التي ذكرها ابن خرداذبة تبدأ عنده من خولان ذي سحيم.

د - الطريق عند ابن رسته (ق٣هـ/ق٩م) :

عدد منازل الطريق من مكة إلى اليمن دون أن يشير إلى طريق آخر يتفرع من الطريق الذي ذكره، وكانت كالتالي: صنعاء، سودان، المروة، العارة، المهجم، بلحة، السلعاء، الشرجة، العُرش من جازان، بيش، ريم، زنيف، ضنكان، المعقر، بية، قنونا، قربا، عليب، الليث، يلملم، ملكان^(١). وعند ذكره لسواحل اليمن عدد منها: بيش، عثر، والحسبة، والسرين، وجدة^(٢).

هـ - الطريق عند الاصطخري، والهمداني (ق٤هـ/ق١٠م) :

لم يفصل الاصطخري الحديث عن منازل الطريق من اليمن إلى مكة، لكنه أشار للطرق الثلاثة التي تربط اليمن بمكة، الأول من عدن وهو ساحلي، دون أن يذكر تفاصيله، واكتفى بذكر المدة التي تستغرقها الرحلة إلى مكة. والطريق الثاني الجبلي من صنعاء إلى الطائف، أما الطريق الثالث فهو الذي يهمننا، الطريق الداخلي حيث قال: «ولهم طريق على البوادي وتهامة هو أقرب من هذين الطريقين، إلا أنه على أحياء اليمن ومخاليقها، تسلكه الحواس منهم»^(٣). دون أن يفصل المنازل على هذه الطريق.

قسم الهمداني طرق الحج في زمنه إلى قسمين، محجة صنعاء؛ ويسمى طريق الساحل، ومحجة عدن. وتلتقي كلتاها في عثر، ثم تواصل في طريق واحدة. والمحطات على النحو الآتي :

(١) الأعلام النفيسة، مصدر سابق، ص ٣١٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٣١٤.

(٣) مسالك الممالك (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٣٧م) ص ٣٨.

١- محجة صنعاء:

صنعاء، صليت^(١)، الموبد، أسفل العرقة وأخرف، الصرحة، رأس الشقيقة، حرض^(٢)، الخصوف؛ من بلد حكم، الهجر^(٣)، عثر، بيض، زنيف، ضنكان، المعقد، حلي، الجو، الجوينية من قنونا؛ وتسمى القناة، دوقه؛ وهي للعبديين من بقايا جرهم، السَّرين، المعجز، الخيال، يللم، ملكان، مكة، هذه طريق الساحل. ثم يذكر أن هناك طريقاً قديمة تسترق عن هذه الطريق فقال: « والمحجة القديمة ترتفع إلى حلي العليا وتسمى حلية^(٤)،، ثم إلى عشم^(٥) ثم على الليث ومركوب إلى يللم^(٦)».

٢- محجة عدن:

عدن، المخنق، الحجار، المسيل، عبرة، كهالة؛ بئر ذي وزن مطوية بحجارة سود من رأسها إلى الماء طويلة^(٧)، الماجلية، المقعدية، زبيد، المعقر، الكدراء، المهجم. وبالمهجم تقضي محجة صنعاء على وادي سهام^(٨) وهي بعيدة إلا أنها تسلك الأمان، ثم بلحة من وادي مور ثم الحسارة ثم العباية ثم الشرجة ثم العرش ثم عثر^(٩). وعلى هذا فإن محجة عدن تلتقي مع محجة صنعاء في عثر لتكون طريقاً واحدة.

(*) ملاحظات:

(*) قدم الهمداني حلية على عشم، وهو خطأ، حيث أن عشم تأتي قبل وادي حلية، بل بينها وبين حلية واديان هما دوقه وعُليب.

(١) عرفها محقق كتاب صفة جزيرة العرب المؤرخ الأكوخ بأنها مدينة خربة في حقل البون وبها آثار. الهمداني، ص ٢٠٣، هامش ٢.

(٢) واد بين وادي مور ووادي حُلب. الهمداني، مصدر سابق، ١٢٥.

(٣) الهجر: بلد باليمن بينه وبين عثر يوم وليلة من جهة اليمن. الحموي، مصدر سابق، ج ٥، ص ٣٩٣. ويذكر العقيلي أن هجر اسم قديم كان يطلق على قرية ضمد. مرجع سابق، ٢٢٧.

(٤) حلية: واد بين أعيار وعُليب يفرغ في السَّرين. الحموي، مصدر سابق، ج ٢، ٢٩٧.

(٥) لتحديد موقع عشم انظر: الفقيه حسن إبراهيم، مخلاف عشم، وهي الآن قرية أثرية تقع شرق المظيلف ب (٢٠ كم).

(٦) مصدر سابق، ص ٣٠٣-٣٠٤.

(٧) يقول محمد الأكوخ أنه رأى البئر وهي باقية كما وصفها الهمداني، وأما المخنق فيقول أنها تحمل اسمها إلى الآن، والحجار والمسيل وعبرة غير معروفة. الهمداني، مصدر سابق، ص ٢٠٤، هامش ٤.

(٨) قال ياقوت الحموي: «قال ابن الدميني: ويتلو وادي رمع من جهة الشام وادي سهام، وأوله ورأسه بقلي السَّود من صنعاء على بعض يوم إلى ما بين جنوبها ومغربها». مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٩) الهمداني، المصدر السابق، ص ٣٠٤.

(*) ذكر الهمداني افتراق طريق صنعاء إلى طريقين بعد أن تتجاوز حلي وسمّاها "المحجة القديمة"، وتتطابق هذه الطريق مع طريق ابن خرداذبة الثانية — الطريق البري من خولان ذي سحيم — في أنها تفترق من بعد حلي إلى قنونا ثم الأحسبة ثم دوقة. ومع محطات طريق زبيد التي ذكرها الحربي من بعد حلي إلى قنونا ثم القرما ثم عليب.

(*) يبقى تحديد النقطة التي تفترق معها المحجة القديمة عن طريق الساحل مشكلاً، وإذا اعتبر وهم الهمداني بتقديم عشم على حلية فإنه يمكن ترتيب المراحل بشكل منطقي ومعرفة نقطة افتراق الطريقين. فما بين حلي وعشم من المراحل عند اليعقوبي والحربي هما وادي بية ووادي قنونا، ثم يأتي بعدهما وادي الأحسبة، ثم عشم. وهذه هي الطريق التي سماها الحربي بطريق زبيد، وقد تكون هي المقصودة بقول الهمداني المحجة القديمة، فتكون نقطة الافتراق بعد حلي باتجاه وادي قنونا ثم وادي الأحسبة... الخ.

(*) أن الهمداني لم يذكر ما بين عشم ووادي حلية، وهي مسافة طويلة، وبين عشم وحلية من الأودية وادي قرما، ووادي عليب.

و — الطريق عند الإدريسي (ق٦هـ/ق١٢م) :

وصف الطريق من مكة إلى خولان ذي سحيم في اليمن بدءاً من مكة، وسأورد الوصف من جهة خولان ذي سحيم لتسهيل المقارنة مع السابق واللاحق. وهي: خولان ذي سحيم، حاران القرين، بيشة يقظان، مدينة ضنكان، وادي ضنكان، حلي، بيشة حاران، قنونا، الحسبة، عليب، دوقه، قينة، منزل في قفر به عين ماء، يللم، ملكان، مكة^(١).

(*) ملاحظات :

(*) خلط الإدريسي بين الطريق اليمني في الجانب الشرقي من جبال السروات، وبين الطريق التهامي، فذكر بيشة والقرين، وكلاهما في شرق السروات، وبيشة معروفة، والقرين قرية ذكرها الزمخشري من القرى التابعة لوادي عردات الذي يقول فيه أنه وادي بجيلة أعلاه عقبة تهامة وأسفله تربة .

(*) لا ترد عند الإدريسي تفصيلات جيدة في الطريق ما بين نقطة البداية في اليمن وضنكان، وهي مسافة طويلة جداً، وكل ما أورده فيها يخص الطريق اليمني إلى الشرق من جبال السروات.

(*) يغيب ذكر الطريق الساحلي عند الإدريسي، ويركز على الطريق الداخلي وربما كان السبب اضطراب الملاحة البحرية في البحر الأحمر خلال القرن السادس الهجري بسبب الصراع بين المسلمين والصليبيين، وما تعرض له البحر الأحمر من عمليات قرصنة بحرية زمن الصليبيين.

ز — الطريق عند عمارة اليمني (ق٦هـ/ق١٢م) :

وقف على المحطات الساحلية من عدن حتى السرّين^(١)، وقسمها إلى قسمين الأولى : ساحلية على البحر. والثانية: الوسطى^(٢) وهي الجادة السلطانية متوسطة بين البحر والجبل، وفي كل مرحلة جامع عظيم^(٣). ووثق وصفها على النحو الآتي :

(١) الطريق الساحلي :

عدن، المخنق، العارة، عبدة، السقيا، باب المنذب، المخا، السجاري، الخوهة، الأهواب، غلافقة، نبعة، الحردة، الزرعة، الشرجة، المفجر، القنديرة^(٤)، عثر، بيض، الدويمة، حمضة^(٥)، ذهبان^(٦)، حلي، السرّين، جدة^(٧).

(٢) الطريق الوسطى :

ذات الخيف، موزع، الجدون، حيس^(٨)، زبيد، فشال^(٩)، الضجاع^(١٠)، القحمة^(١١)

(١) قال عمارة: « فهذه جوامع السواحل ما منها إلا ما رأيته إما عامراً وإما خراباً ». المصدر السابق، ص ٧٨.

(٢) يقصد بالوسطى أنها بين الطريق الجبلي والطريق الساحلي.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٦.

(٤) يعتقد العقيلي أنها ما تسمى حالياً بقرية الكُنيدِر في بلاد الحكامية. المعجم الجغرافي، ص ١٢٥.

(٥) حَمْضَة: بالفتح ثم الكسر: من قرى عثر من أرض اليمن من جهة قبلتها. الحموي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٠٥. وحمضة اليوم بعيدة عن عثر، فهي ما بين القحمة والحريضة.

(٦) بهذا الاسم مواقع في اليمن، وفي تهامة عسير، وفي الحجاز، والمقصود هنا هو ذهبان في تهامة عسير، وقد ذكره الحموي عند تحديده لموقع البرك، فقال: البرك بين ذهبان وحلي. مصدر سابق، ج ١، ص ٤٠٠. وهو وادي بين البرك والقحمة

(٧) المصدر السابق، ص ٧٦-٧٨.

(٨) حيس: بلد وكورة من نواحي زبيد باليمن، بينها وبين زبيد نحو يوم للمجدّ، وهي ناحية كورة واسعة.

الحموي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٢٢.

(٩) الحموي، مصدر سابق، ج ٤، ص ٢٦٦.

(١٠) الحموي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٥٣.

(١١) القَحْمَة: بلدة قرب زبيد وهي قسبة وادي ذوال، بينها وبين زبيد يوم واحد من ناحية مكة، وهي للأشاعرة فيها خولان وهمدان. الحموي، مصدر سابق، ج ٤، ص ٣١١. وبهذا الاسم أيضاً مدينة صغيرة ساحلية تابعة لمنطقة عسير جنوب مدينة البرك، وليست المقصودة هنا.

، الكدرا، الجثة^(١)، عرق النشم، المهجم، مور، الواديان^(٢)، جيزان، الساعد^(٣)،
تعشر^(٤)، المبنى^(٥)، رياح^(٦)، الهجر، ثم تلتقي طريق الجادة السلطانية ويفترقان من
السرّين، إلى بئر الرياضة، ثم سبخة الغراب، ثم الخبت، ثم وادي يللم، ثم بئر إدام،
ثم بئر البيصاء، ثم القرين، مكة. ومن أراد عرفات: يتجه من بئر إدام إلى بئر بوادي
الرحم، نعمان^(٧)، عرفات^(٨). وقد نقل ابن الديبع عن عمارة اليمنى الطريق الساحلية
والداخلية كما هي إلا من اختلافات يسيرة، بعضها نبه عليها محقق الكتاب محمد بن
علي الأكوع^(٩)، ومجمل الاختلافات كالتالي:

(أ) الطريق الساحلية :

- (*) نبة يذكرها بيعة، ويظهر من تحقيق الأكوع أن الخطأ من الناسخ وإنما هي
البُقعة حيث يذكر بأن البقعة معروفة الآن، أما النبة أو البيعة فغير معروفة^(١٠).
- (*) يذكر المعجر بدل المفجر، والعندرة بدل القنيدرة.
- (*) الدويمة يذكرها الدومة.

(١) ربما تكون قريبة من مدينة زيد. مصدر سابق، ص ١٠٧.
(٢) وباليمن من أعمال زيد كورة عظيمة لها دخل واسع يقال لها الواديان. الحموي، مصدر سابق، ج ٥، ص ٣٤٦.
(٣) قال ياقوت: الساعد: من أرض اليمن لحكم بن سعد العشيرة. معجم البلدان، ج ٢، ص ١٧١. ويذكر
الهمداني أنها قرية بعد وادي مور وقبل وادي خلب. صفة جزيرة العرب، ص ٩٧. ويفهم من كلام ابن
المجاور أن أهل زيد يطلقون على القرى الواقعة إلى الشمال منهم الشام والساعد. تاريخ المستبصر،
ص ٧٠. وبناء على ذلك فتحديد مخلاف الساعد واضح، لكن تحديد موقع القرية الآن غير معروف، وإلى
هذا أشار العقيلي في المعجم الجغرافي، ج ١، ص ١١٦-١١٨، وأشار لذلك أيضا الأكوع في مخاليف اليمن
عند الجغرافيين المسلمين، ص ٢٠.

(٤) ذكره الهمداني بعد وادي حرض. مصدر سابق، ص ١٣٥.
(٥) ذكر ياقوت بلدة باسم المينا بين صعدة وعثر وقد وردت بهذا الرسم عند ابن الديبع، وأما برسم المبنى
فيقول محمد الأكوع أنها غير معروفة. انظر: عمارة، مصدر سابق، ص ٥.
(٦) وهو واد صغير يلي وادي الفجا شمالاً، ويسميه العقيلي وادي الرباح أو (امرباح). انظر: المعجم الجغرافي،
ص ٢١٢. وخريطة أودية مسارحة الشام ص ٢٣٦.
(٧) نعمان: وكان يعرف بنعمان الأراك: واد من أكبر أودية مكة المكرمة، تأتي أعلى نواشغه من طود الحجاز
حيث جبال: كرا، وعَفَار، وَتَفْتَان، وغيرها، حيث تتكون أعظم روافده، مثل: الضيقة، والكر، والشرى،
ويَعْرَج. وتسمى صدورة (الصدر) وله روافد كبار أثناء مسيرته، منها: عَرَعَر، وَصَار، وَرَهْجَان، وكلها عن
يساره، وَبَرْم، وَالْوَصِيق عن يمينه، وتصب فيه مياه جبال شوامخ مثل: كيكب من اليمن، ويلم والخشاع
وقرظة من الشمال، وكل هذه الديار لهذيل اليمن. البلادي، مرجع سابق، ص ٣٠٤.

(٨) المصدر السابق، ص ٧٨-٨١.

(٩) قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ت: محمد علي الأكوع، ط ٢ (صنعاء: ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م) ص ٢٣٢-٢٣٦.

(١٠) مصدر سابق، ص ٧٨.

(ب) الطريق الوسطى:

يذكر ذات الحبيب بدل ذات الخيف. والضجع بدل الضجاع، والكندري بدل الكدرا. ولا يذكر الجثة وعرق النشم. ويذكر عشرة بدل عشر. والميناء بدل المبنى. ورباح بدل رياح. والهجرة بدل الهجر. وبئر آدم بدل بئر إدام. والبيضا بدل البيصاء. ويذكر والفريق بدل القرين. والوادي الرحمة بدل وادي الرحم.

(*) ملاحظات:

(*) رغم أن عمارة صرح بوقوفه على منازل طريق عدن إلا إنه يبدو أنها طريق بحرية وأن ما ذكره من منازل هي الموانئ الصغيرة التي ترسو فيها السفن، وعبارته توحي بذلك بطريق غير مباشر عندما ذكر وقوفه على جوامعها فقال: «وهذه جوامع السواحل»^(١)، وبعد عثر سكت عن المنازل البرية وأشار إلى أنها تلتقي مع الجادة السلطانية حتى السرّين، لكنه يعود فيذكر منازل قبل السرّين (حمضة، وذهبان، وحلي)، ويبدو أنها مراسي بحرية وإلا لما أعاد ذكرها من جديد في حين أنه قد أشار إلى التقاء الطريقين في طريق واحدة من المخلاف السليماني إلى السرّين، والسرّين تقع إلى الشمال من حمضة وذهبان وحلي.

(*) ذكر الساعد بعد جازان ومن خلال الأوصاف الجغرافية التي سبقت في وصفها يبدو أنها قبل مدينة جازان وليست بعدها.

ح — الطريق عند ابن المجاور (ق٧هـ/ق١٣م)^(٢):

ذكر شروحاته في صفحات عديدة وتخللتها الكثير من القصص ووصف الأحوال الاجتماعية، وبعض المواضع الجغرافية، وترتيب المحطات عنده كالتالي: الكدراء، المهجم «سردد»، زبيد، المحالب^(٣)، الهاية، حرض، الساعد، الدرب، هجر، الراحة^(٤)،

(١) عمارة، ص ٧٦.

(٢) انظر: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، ت: ممدوح حسن (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦م) ص ٦٥ وما بعدها.

(٣) المحالب: بلدية وناحية دون زبيد من أرض اليمن. الحموي، مصدر سابق، ج ٥، ص ٥٩.

(٤) الراحة: قرية بينها وبين حرض يوم، وهي من نواحي زبيد باليمن. الحموي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٩. لكن وردت من ضمن المنازل التي نزل فيها الملك المجاهد الرسولي في حجه سنة (٧٤٢هـ) بعد صبيبا وقبل وادي بيض.

بيض، ذهبان، وادي عمق^(١)، الدبساء^(٢)، حلي، حصاره^(٣)، وادي الأثلاث، السرين، فرع^(٤)، وادي المحرم، إيدام، البيضاء، القرين، مكة.

(*) ملاحظات:

- (*) وصف طريقاً واحدة دون أن يشير إلى أنها ساحلية أو داخلية.
- (*) عرض ابن المجاور محطات الطريق بشكل يكاد يختلف عن سبقه، فذكر أسماء محطات جديدة، وأغفل أخرى مشهورة، وقد يكون في هذا التغيير مما يطرأ على طريق الحج من قرن لآخر.
- (*) فيما بين ذهبان وحلي ذكر أربع محطات (ذهبان - عمق - الدبساء - حلي) وهي مسافة قصيرة تصل لحوالي (١٠٠ كم)، بينما نجده من بيض إلى ذهبان لم يذكر شيئاً من المحطات، رغم أن المسافة أطول مما بين ذهبان وحلي.

ط — الطريق عند ابن فضل الله العمري (ق ٨هـ / ق ١٤هـ):

ذكر المراحل بين كل محطة والتي تليها، على النحو الآتي: تعز، البتري في ذيل الجبل؛ مرحلتان، وادي الحنا؛ ثلاث مراحل، وادي الموز^(٥)، جبل القليعة؛ أربع مراحل، زبيد، ويجتمع بها شذاذ الركب ويتكامل، حديدة زبيد؛ مرحلتان، المعازبة؛ أربع مراحل، فशल؛ خمس مراحل، القحمة؛ أربع مراحل، المهجم؛ أربع مراحل، جازان؛ أربع مراحل، بياضة؛ أربع مراحل، حرض؛ أربع مراحل، المحالب؛ ست مراحل، حلي؛ ست مراحل، نزعة ابن حازم؛ أربع مراحل، ملتقى الواديين؛ أربع مراحل، الحسنة^(٦)؛ أربع مراحل،

- (١) من قرى البرك إلى الشمال منها. الجاسر، المعجم الجغرافي، ج ٢، ص ١٠٠٢.
- (٢) على ساحل البحر الأحمر جنوب مدينة حلي، وينطقها أهلها اليوم: دبسا، بدون همزة، ولم أعثرها على تعريف في كتب المعاجم.
- (٣) لم أعثرها على تعريف.
- (٤) الفرع: وهما فرعان: أحدهما جبل أحمر في شفا هذيل مكسو بأشجار الشث والعرعر، يسيل منه وادي قاوة إلى الشرق، وهو أحد روافد وادي وَّح، ويسيل منه وادي الغريف إلى الغرب فيذهب إلى ضيم، يقع جنوب غربي الطائف غير بعيد عن جبلي دكا والريان. والثاني: فرعه أرض شبه مستديرة تحيط بها الجبال، في ديار بني سفيان من ثقيف، ويعرف بشفا بني سفيان أو فرَّع بني سفيان، وهو في الواقع جزء من شفا بني سفيان، وهو من أجمل المصايف جنوب الطائف، تسيل منه بعض فروع وادي يللم إلى البحر. البلادي، مرجع سابق، ص ٢١٥.
- (٥) وهو وادي مور وقد تقدم تعريفه.
- (٦) وهو وادي الأحسبة وقد تقدم تعريفه.

يلملم؛ مرحلتان، البير؛ أربع مراحل، بئر علي؛ ثلاث مراحل، مكة؛ مرحلة واحدة^(١).

ذكر هذا الجغراف في ملاحظة مهمة عن انقطاع الطريق التهامي لحجاج اليمن وتحولهم للطريق البحري»، ويحدد ذلك بحجته سنة (٧٢٨هـ)، وأشار إلى أنه رأى المحمل اليمني في حجاته المتقدمة كان يقدم من البر مرة وينقطع أخرى^(٢). ويبدو أن فترة الانقطاع كانت مؤقتة لأن الجزيري أثناء حديثه عن الطريق التهامي نقلاً عن ابن فضل الله لم يذكر انقطاع محمل الحج اليمني عن طريق البر. لكنه خالفه في عدة نقاط هي:^(٣)

- (*) تسمية المحطة الثانية البير؛ فيسميها البير، ولعله أصح.
- (*) لا يذكر المحطة الثالثة جبل القليعة.
- (*) يحدد المسافة إلى زبيد بمرحلتين وليست مذكورة عند ابن فضل الله.
- (*) مراحل فشال عنده أربع وعند ابن فضل الله خمس.
- (*) يجعل المهجم ما بين القحمة وجازان وهو خطأ.
- (*) تسمية نزعة ابن حازم فيسميها ترعة بني حازم.
- (*) مراحل البير بعد يللم يجعلها ثلاثاً وعند ابن فضل الله أربع.

(*) ملاحظات:

- (*) أخطأ العمري بذكر وادي حررض بعد جازان، وحررض قبله وبينه وبين وادي جازان واديان كبيران هما تعشر وخب^(٤).
- (*) لم يذكر بين الحسنة (الأحسبة) وبين يللم منازل مع أن المسافة تتجاوز بينهما (٢٠٠ كم).
- (*) لعل ابن فضل الله نقل محطات الطريق بشكل غير مضبوط بسبب أن الطريق لم يكن مستخدماً بكثرة في زمنه.

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ت: كامل الجبوري، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م) ص ٣٤٧-٣٤٨.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٣٩-٣٤٠.

(٣) الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطرق مكة المعظمة، ت: محمد حسن إسماعيل، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) ج ٢، ص ٨٢-٨٣.

(٤) وادي يمر الآن في مدينة أحد مسارحة. العقيلي، مرجع سابق، ج ١، ص ٧٥.

(*) كانت هذه الرحلة دقيقة في ذكر المنازل بشكل أكثر تفصيلاً مما ورد عند الجغرافيين، وهذا بطبيعة الحال يعود إلى أن الرحلة دوت بناءً على المشاهدة، ويمكن الاستفادة منها في تفصيل مواضع الغموض أو السقط فيما ذكره العلماء الأوائل.

ك - إشارات محدودة لمؤلفين آخرين؛

يبدو أن الطريق التي سمّاها الهمداني بالمحجة القديمة قد اختفت تماماً في القرن الثامن الهجري فلم ترد في منازل رحلة المجاهد الرسولي في الذهاب ولا الإياب، وربما اختفت من القرن الهجري السادس فلم يذكرها الإدريسي (٥٦٠هـ /)، ولا عمارة اليماني (٥٦٥هـ / ١١٦٩م)، ولا ابن المجاور (٦٢٦هـ / ١٢٢٩م)، ولا العمري (٧٤٩هـ / ١٣٤٨).

وبناءً على ذلك فإنه يبدو أن الملك المجاهد الرسولي أراد إحياء هذه الطريق من جديد، خاصة أن العمري قد أشار إلى انقطاع الحج منها سنة (٧٣٨هـ)، ليعود إليها النشاط من جديد.

من المصادر ما وصفت أجزاء من الطريق فيما بين مكة واليمن، أو ذكرت أسماء الأودية والأماكن مما يمكن أن يبين شيئاً من الغموض أو الترتيب الوارد عند من ذكروا محطات الطريق بشكل كامل، ومنها: الحسن بن عبد الله الملقب بغدة الأصفهاني: والمتوفى تقريباً سنة (٣١٠هـ)، والذي وصف الأودية فيما بين مكة ووادي حليّة، فقال: «وجبل يقال له الوتر، على الطريق من اليمن إلى مكة، به ضيعة يقال لها المطهر تقوم من كنانة في بلاد هذيل. وملك، وهو من مكة على ليلة وأسفله لكانة، ووادي يقال له أدام، أسفله لكانة. ووادي يقال له يللم، ومنه يحرم أهل اليمن. وخلف ذلك وادي يقال له مركوب، أسفله لكانة. وخلف ذلك وادي يقال له بشائم، وهو لهذيل. وسعيا^(١)، أسفله لكانة وأعلاه لهذيل. وحليّة، أعلاها لهذيل وأسفلها لكانة^(٢). ونعيد ترتيبها من الجنوب للتوافق مع السابق فتكون كالتالي: حليّة، سعيا، بشائم، مركوب، يللم، أدام،

(١) سعيا: بفتح السين وسكون العين ثم ياء بعدها ألف، وكأنه مأخوذ من السعي: واد للأشراف الشنابرة يمر جنوب ميقات يللم، ليست به زراعة وأرضه كثيرة السايق لقربه من البحر. وكانت سعيا إحدى محطات حاج اليمن على طريق اليمن القديم، غير أنه عندما شرع في تعبيد هذا الطريق رؤي أن يأخذ على الساحل، فجنب عن محطات: البيضاء والسعدية وسعيا وخضراء فأخذ أصحاب المقاهي يهجرون هذه المحطات منتقلين إلى ما يوازي مكانهم من ذلك الطريق، ولا شك أن تلك المحطات بما فيها محرم السعدية بدأت تتدثر بحلول عام (١٢٩٨هـ / ١٩٧٨م).. البلادي، مرجع سابق، ص ١٢٤-١٢٥.

(٢) مرجع سابق، ص ٢١-٢٣.

ملكان، ضيعة المطهر. ابن حوقل: المتوفى سنة (٣٦٧هـ / ٩٧٧م) الذي قدم وصفاً خلط فيه بين محطات الطريق الجبلي والتهامي بشكل لا يستفاد منه^(١). والبكري: المتوفى سنة (٤٨٣هـ / ١٠٩٠م)، واكتفى بوصف عام للطريق بأنها رساتيق متصلة ومخاليف غير منفصلة، ولم يتجاوز في وصفه حلي، ومعها السرّين ويللم فقط^(٢).

٣- رأي ووجهة نظر:^(٣)

الدكتور محمد عسيري اجتهد في توثيق لمحات عن هذا الطريق التهامي، ويشكر على ذلك. مع أن هذا الدرب وغيره من الدروب التهامية والسروية التي تربط بين حواضر اليمن والحجاز الكبرى خلال العصور الإسلامية المختلفة، مازالت بحاجة إلى دراسات علمية جادة تجمع المادة العلمية المذكورة عنها من المصادر العربية والكلاسيكية قبل الإسلام، وخلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة. بالإضافة إلى دراستها أثرياً وميدانياً. ومن يقوم بهذا العمل العلمي، ويجتهد في إنجاز دراسات علمية عميقة، فسوف يطلعنا على الكثير من المعارف التاريخية والحضارية عن هذه الطرق والبلدان التي تمر عليها.



(١) صورة الأرض، (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٩٢م) ص ٤٦-٤٧.

(٢) المسالك والممالك، ت: أدريان ليوفن وأندري فيري (الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢م) ج ١، ص ٣٧٩.

(٣) هذه الخلاصة من إعداد صاحب (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب). (ابن جريس).

٤- ملاحق الدراسة :

جدول رقم (١) : أسماء محطات الطريق عند الجغرافيين الأوائل، وبعضها مازالت تحمل نفس الاسم القديم إلى وقتنا الحاضر.

م	(ق٣هـ / ق٩م)	(ق٤هـ / ق١٠م)	(ق٦هـ / ق١٢م)	(ق٧هـ / ق١٣م)	(ق٨هـ / ق١٤م)
	المنزل	المسمى الحديث	المنزل	المسمى الحديث	المنزل
١	جازان	الهجر	غير معروف	جيزان	هجر
٢	العرش	غير معروف	مندثرة	عشر	مندثرة
٣	بيش	بيض		بيض	بيضة
٤	عشر	مندثرة	غير معروف	حمضة	نزة ابن حازم
٥	بيض	ضنكان		ضنكان	ملتقى الواديين
٦	ريم	المعقد	المعقر	ذهبان	الحسنة
٧	زنيف	غير معروف	حلي	حلي	يلملم
٨	وادي المقل / ذهبان	الجو	المحجة القديمة	قنونا	حصارة
٩	ضنكان	الجوينية	قنونا	الحسبة	وادي الاحسبة
١٠	المعقر	دوقة	عشم	دوقة	السرين
١١	حلي	السرين	حلية	عليب	فرع
١٢	يية	وادي ييه	المعجز	الليث	وادي المحرم
١٣	قنونا	الخيال	مركوب	بئر الرياضة	إيدام
١٤	الحسبة	وادي الاحسبة	يلملم	سبخة الغراب	البيضاء
١٥	قربا	قرما	ملكان	الخبث	القرين
١٦	دوقة	مكة		يلملم	مكة
١٧	عليب			ملكان	
١٨	حلية			بئر إدام	
١٩	أعيار			بئر البيضاء	
٢٠	السرين			القرين	
٢١	الليث			مكة	
٢٢	مركوب				
٢٣	يلملم				
٢٤	ملكان				
٢٥	مكة				

ملحق رقم (٣) : أسماء الأودية من باب المندب إلى مكة المكرمة

م	الأودية	م	الأودية
١	حسيد	٢٣	عتود
٢	رسيان	٢٤	ريم
٣	نخله	٢٥	عرمرم
٤	زبيد	٢٦	حمضه
٥	رمع	٢٧	ضنكان
٦	ذؤال	٢٨	الكفيرة
٧	سهام	٢٩	حلى
٨	سررد	٣٠	يبه
٩	مور	٣١	قنونا
١٠	وادي عبس	٣٢	الأحسية
١١	خيران	٣٣	دوقه
١٢	خذلان	٣٤	عليب
١٣	حرض	٣٥	حليه
١٤	تعشر	٣٦	أعيار
١٥	خلب	٣٧	الليث
١٦	الفجا	٣٨	سعا
١٧	شاية	٣٩	مركوب
١٨	جازان	٤٠	يلملم
١٩	ضمد	٤١	أدام
٢٠	صبيا	٤٢	البيضا
٢١	بيش	٤٣	ملكان
٢٢	بيض		

٥- مصادر ومراجع الدراسة:

(*) المصادر:

- ١- ابن الديبع. قرة العيون بأخبار اليمن الميمون. ت: محمد علي الأكوع. ط٢. صنعاء، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).
- ٢- ابن المجاور. صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر. ت: ممدوح حسن القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، (١٩٩٦م).
- ٣- ابن حوقل. صورة الأرض. بيروت: دار مكتبة الحياة، (١٩٩٢م).
- ٤- الإدريسي، محمد بن محمد. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. القاهرة. مكتبة الثقافة الدينية، (١٤٢٢هـ).
- ٥- الاصطخري، إبراهيم بن محمد. مسالك الممالك، ليدن. مطبعة بريل، (١٩٣٧م).
- ٦- الأصفهاني، الحسن بن عبد الله. بلاد العرب. ت: حمد الجاسر. وصالح العلي الرياض: دار اليمامة، د. ت.
- ٧- البرسوي، ابن سباهي زاده. أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك. ت: المهدي عيد الرواضية. ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
- ٨- البغدادى، الخطيب. تاريخ بغداد. ت: بشار عواد. ط١ بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- ٩- البكري، أبو عبيد. المسالك والممالك. ت: أدريان ليوفن وأندري فيري. الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢م.
- ١٠- البكري، أبو عبيد. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. ط٣ بيروت: دار عالم الكتب، ١٤٠٣هـ.
- ١١- الجزيري، عبد القادر بن محمد. الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطرق مكة المعظمة. ت: محمد حسن إسماعيل. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

- ١٢- الحربي، إبراهيم بن إسحاق. كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة. ت: حمد الجاسر الرياض: دار اليمامة، (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م).
- ١٣- الحموي، ياقوت. معجم البلدان بيروت: دار صادر، (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).
- ١٤- الزمخشري، جار الله. الجبال والأمكنة والمياه. ت: أحمد عبد التواب. القاهرة: دار الفضيلة، (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).
- ١٥- العمري، ابن فضل الله. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. ت: كامل الجبوري. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (٢٠١٠م).
- ١٦- المقدسي، محمد بن أحمد البشاري. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ت: شاكرا ليعبي. ط١ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (٢٠٠٣م).
- ١٧- الهمداني، الحسن. صفة جزيرة العرب. ت: محمد الأكوع. ط١ صنعاء: مكتب الإرشاد، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- ١٨- اليعقوبي، إسحاق بن جعفر. كتاب البلدان. ت: محمد ضناوي بيروت: دار الكتب العلمية. د.ت.
- ١٩- اليماني، عمارة. المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها. ط٢. ت: محمد علي الأكوع. مطبعة السعادة، (١٣٩٦هـ-١٩٧٦م).

(*) المراجع :

- ١- البلادي، عاتق بن غيث. معالم مكة التاريخية والأثرية. ط١ دار للنشر والتوزيع، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
- ٢- الثنيان، محمد. «رحلة السلطان الملك المجاهد الرسولي من تعز إلى مكة المكرمة دراسة وتحقيق». مجلة الدارة. العدد. السنة ٢٥، (١٤٢٠هـ). الرياض.
- ٣- الجاسر، حمد. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية. الرياض. دار اليمامة، (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م).
- ٤- الحربي، علي بن إبراهيم. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية منطقة عسير الإدارية. أبها، (١٤١٧-١٤١٨هـ).

- ٥- الزركلي، خير الدين. الأعلام. ط٥ ١٥ بيروت: دار العلم للملايين، (٢٠٠٢م).
- ٦- الزيلعي، أحمد بن عمر. مخلاف عثر في القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر للميلاد. الندوة العالمية الخامسة. دراسات في تاريخ الجزيرة العربية. الكتاب الخامس: الجزيرة العربية من قيام الدولة العباسية حتى نهاية القرن الرابع الهجري. ج. الرياض. كلية الآداب. جامعة الملك سعود، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- ٧- العقيلي، محمد. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية — مقاطعة جازان — المخلاف السليماني. الرياض: دار اليمامة، (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م).
- ٨- ----- . تاريخ المخلاف السليماني. ط٣. الرياض: مطابع الرياض، (١٤١٠هـ/١٩٨٩م).
- ٩- الفقيه، حسن. مدينة السرّين الأثرية. مجلة العرب. السنة السابعة عشرة، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).



ثالثاً: تسع رحلات مجهولة في الجزيرة العربية، أين أمانة العلم في مراكز البحوث؟^(١). بقلم . أ. د. عباس بن علي السوسوة^(٢).

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	مقدمة .	٣٧٩
ثانياً :	بعض الأغلاط في أعلام الأماكن والبشر .	٣٨١
	١- الرحلة الأولى (١٥٩٠ م) .	٣٨١
	٢- الرحلة الثانية .	٣٨٢
	٣- الرحلة الثالثة .	٣٨٢
	٤- الرحلة الرابعة .	٣٨٢
	٥- الرحلة الخامسة .	٣٨٣
	٦- الرحلة السادسة .	٣٨٥
	٧- الرحلة السابعة .	٣٨٦
	٨- الرحلة الثامنة .	٣٨٧
	٩- الرحلة التاسعة .	٣٨٧
ثالثاً :	أغلاط في اللغة، وركاكة في الترجمة والصياغة .	٣٨٨

أولاً: مقدمة :

الرحلات التسع المجموعة في دفتي هذا الكتاب ليست مجهولة لذوي الاختصاص من الجغرافيين والإناسيين والاجتماعيين المهتمين بشؤون الجزيرة العربية. فكيف تكون مجهولة وهي منشورة في مجلة متخصصة صادرة عن الجمعية الجغرافية الملكية في لندن؟!

جاء في صفحة الغلاف: تسع رحلات مجهولة وسط الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر - ظفار صنعاء - الربع الخالي - حضرموت - اليمن - عسير - تهامة - وسط الجزيرة ، ترجمة : يحيى عبد المطلب السيد ، مركز التاريخ العربي للنشر. وفي

(١) لا تخلو شبه الجزيرة العربية من مراكز بحوث علمية جيدة، ويجب أن تنشر ثقافة تأسيس مراكز بحوث متخصصة جيدة، مع دعمها مادياً ومعنوياً. ورعايتها بشكل علمي جيد وفي شتى المجالات العلمية والنظرية. (ابن جريس).

(٢) الأستاذ الدكتور عباس السوسوة من الأساتذة الجيدين المتخصصين في علم اللسانيات. له العديد من الكتب والبحوث العلمية الجيدة. انظر ترجمته ومشاركاته في أجزاء عديدة من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٣٠ مجلداً). (ابن جريس).

صفحة العنوان الداخلي: (جنوب ووسط الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر)
وتحت المناطق المذكورة في العنوان السابق -، وفي رأس الصفحة على الجهة اليمنى:
المركز الثقافي الآسيوي - مشروع الرحلات (١٩) وفي الصفحة الداخلية الرابعة أنها
الطبعة الأولى (١٤٤٠ هـ / ٢٠١٩ م) . وجاء عن الجهة الناشرة (ص ٢٤٧) إن المركز
الثقافي الآسيوي مؤسسة بحثية مستقلة تتبع جمعية خريجي معهد الدراسات والبحوث
الآسيوية، وأنه مكون من ثماني وحدات، تشمل دراسات الخليج، إيران، تركيا، أرمينيا،
إسرائيل، وتركستان، في جميع النواحي تقريباً ^(١) .

لم يرد تعريف بالمترجم من حيث المؤسسة العلمية التي ينتمي إليها، بل ذكر عن
نفسه في تقديم الأعمال للقارئ (ص ٦-٨) أنه يعمل في مجال البحث التاريخي؛ دون
تحديد للحقبة التاريخية، ولا للمنطقة - أو المناطق الواقعة في نطاق اهتمامه، ولم يذكر
من أعماله عنواناً واحداً منشوراً - سواء كان كتاباً أو مقالاً . واكتفى بأنه عاش في سلطنة
عُمان مدة طويلة دون أن يذكر العمل الذي كان يزاوله . وزعم أنه رحل بنفسه (!) كثيراً
في دول الجوار براً (!) . ولم يذكر أغراض هذه الرحلات البرية الكثيرة ولا من وجهه
إليها ومولها، ولا ما أثمرت من أعمال علمية . وأقرّ بقصور عمله طالباً النقد البناء .

**(*) ونقول: كل عمل علمي لا يخلو من جوانب ضعف وقصور، لكن الذي بين
أيدينا عمل غاية في التهافت، والاستهانة الفائقة - إن صح التعبير - والاستعجال
الشديد في نقل هذه الرحلات المهمة في نفسها من اللغة الإنجليزية إلى اللغة
العربية، بل أخشى أن أقول: إلى لغة شبه عربية لا علاقة بينها وبين العربية غير
الحروف. ونجمل أبرز المآخذ عليه فيما يلي:**

أولاً: جعل له ثلاثة عناوين مختلفة كما أسلفنا قبل قليل، وزاد فوصف الرحلات
التسع بالجهولة لمجرد أنها لم تنقل إلى العربية من قبل.

ثانياً: ثبت في العنوان الخارجي أن زمن الرحلات في القرن التاسع عشر (الميلادي)
!! في حين أن أولها كانت في القرن السادس عشر، والبقية أنجزت في القرن العشرين،
باستثناء الرابعة، وعلى المترجم أن يحل للقارئ التناقض الحاصل بين تاريخ الخامسة
(ديسمبر ١٨٩٣ م) وذكر مقابلة الإمام يحيى حميد الدين (قتل غدراً في ١٩٤٨ م) ورئيس

(١) لم يذكر عنواناً واحداً من منشورات المركز، ولا ذكر اسم الجامعة التي يتبعها معهد البحوث والدراسات
الآسيوية (السوسوة) . للمزيد عن الكتاب المذكور في عنوان الدراسة وصاحب الكتاب انظر غيثان بن
جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج ٢، ص ٢٤٢ - ٢٧٠ . (ابن جريس) .

وزرائه عبد الله العمري؛ فيحيى لم يستقر في صنعاء إلا بعد صلح دعان (١٩١١م). وعليه أن يحل تناقضاً آخر بين تاريخ السادسة (١٨٧٤م) واستدراك صاحبها على الفرنسي هاليفي، مع أن هاليفي لم يأت إلى اليمن إلا بعد التاريخ المزعوم بنحو عشرين عاماً وتزيد، فكيف يأخذ السابق عن اللاحق له بنحو ربع قرن؟ والخلاصة أن إلصاق القرن التاسع عشر بها غير صحيح لا حقيقة ولا مجازاً.

ثالثاً: تمت الرحلات في أماكن معلومة، وليس في كوكب خارج المجموعة الشمسية، ولم يرجع المترجم إلى أي معجم جغرافي يخص المواضع والمدن والقرى التابعة لدولة من الدول في الجزيرة العربية، رغم توفرها بصيغة الكترونية، وورقية أيضاً، ولم يستفد من رحلاته البرية الكثيرة - حسب زعمه - في الإتيان بها صحيحة، ناهيك عن أنه مطالب علمياً بتصحيح ما يكون قد وقع فيه الرحالة الأوربي من أخطاء نتيجة غربته واختلاف لغته عن لغة المنطقة التي رحل فيها، وهذا لم يحدث^(١).

رابعاً: لم يذكر أهم المعلومات عن هؤلاء الرحالة: جنسياتهم، أهم أعمالهم، ولا نحسبهم مجاهيل لا ذكر لهم في موسوعات القوم. غير أننا نطلب المستحيل ممن لم يرجع إلى معاجم جغرافية في متناوله. غير أن الحق يقال: لقد رجع في ثمانية مواضع إلى معجم المورد لبعلبكي - انجليزي عربي، حول نبات أو حيوان لا تقدم ولا تؤخر، فجزاه الله خيراً!!

خامساً: لم يذكر منهجه وإجراءاته في الترجمة أصلاً.

وسنبداً بالأغلاط في أعلام الأماكن والأشخاص، ونثني بأخطاء اللغة، غير مدعين الشمول.

ثانياً: بعض الأغلاط في أعلام الأماكن والبشر :

١- الرحلة الأولى: رحلة اثنين من اليسوعيين من ظفار إلى صنعاء عام (١٥٩٠م)، ص ١٠-٣٦ (من ٢٧-٣٦ ملحق عن حكم السلاطين الكثيرين خلال الحقبة البرتغالية لعالم حديث من القرن العشرين).

هناك مدن أخرى (!) مثل تاريم (tarim) وحنين (hainin)، صوابه: تريم وهينين كتاب التاريخ الذي ألفه بالفقيه الشهري، صوابه: بلفقيه الشحري.

(١) أشكرك يا دكتور عباس، وأتفق معك فقد اطلمت على هذا الكتاب، ووجدت فيه الكثير من المغالطات العلمية والمنهجية، كما أن معظم الرحلات قد ترجمت ودُرست في أوعية علمية عديدة. (ابن جريس).

بدر بوتويريك استخدم الاتراك والبرتغاليين والمهرة في جيوشه، صوابه: بدر بوطويرق.

شهر، صوابه الشحر .

سلطان حضرموت عمر بن بدر بو تركي الكثيري، صوابه: بوطويرق إن المهرة وسلطانهم في قيش (qishn)، صوابه: قشن.

لوأنهم وصلوا عند المصيلح (masilah)، صوابه: المسيلة.

هذه القلعة يطلق عليها اسم حسن العير، صوابه: حصن العبر.

المنشور في (huraidha)، صوابه: الحريضة.

المرحلة الثالثة الى سعفر من جبل الملح....من سعفر الى مارب، صوابه: صافر.

يرى فيليبى^(١) في كتاب بنات شبيه، صوابه: بنات سبأ.

على ما يبدو أنه معبد علمقة (almaqah) الكبير، صوابه: إمقة.

غادر...صنعاء عن طريق شاؤوب، صوابه: شعوب-كالنطق الحالي- أو شعوب كما

في كتب التراث.

يبدأ حارب القرامش، صوابه: تبدأ حريب القراميش.

٢- الرحلة الثانية: رحلة على ظهر جمل عبر صحراء الربع الخالي إلى

قطر، ص ٣٧-٨١

ولأنني أجهل أسماء الأماكن فيها تركت ما لا أحسن الكلام فيه. وطبعاً فيه أغلاط لغوية من كل نوع ولون، لم يوفر أي قاعدة في الصرف والنحو، زيادة على ركافة الأسلوب بحيث لا تخرج بمعنى واضح. وسنأتي بعينة منها بعد أن ننتهي من أغلاط أعلام البشر والمواضع.

٣- الرحلة الثالثة: رحلة في الربع الخالي، ص ٨٢-١٤٩.

ينطبق عليها ما ينطبق على أختها السابقة. وبقي منها:

١٢٨ ف٢: أستعرض محاولة بجلريف palgrave لبحث المكان، صوابه: بلجريف/

بلجريف

٤- الرحلة الرابعة: رحلة عبر حضرموت (١٨٩٤م)، ص ١٥٠-١٦٧.

شيوخ (Mukalla) صوابه: شيوخ المكلا.

(١) هنا ورد فيليبى على الصواب، وله ثلاثة أشكال أخرى في هذه الموضوع. (السوسوة).

شجر (sheher) صوابه: الشَّحَر.
 الى مكان يعرف باسم رياضة الكبيرة، صوابه: رَيْضَة.
 وادي خربة، صوابه: الخربة.
 واحدة من قبائل صيبان، صوابه: سَيِّبان (بالسين المرققة) .
 نحو بجرن، صوابه: باقَرَن.
 باجرين (bagreen) ، صوابه: باقِرِين.
 كش (kishin) صوابه: قَشِن.
 ماسلا، صوابه: المَسِيلَة.
 وادي دون، صوابه: دَوَعَن.
 شيبان، صوابه: شِبام.
 حصن غزي، صوابه: الغُويزي.
 جبل باطح، صوابه: باتيه.
 وادي مشرج، صوابه: مَشْرِقي.
 القعاطي، صوابه: القَعِيطِي.
 الحدن، صوابه: حَدُون.
 الشيخ أبو فزر، صوابه: با وَزِير.
 حوتا، صوابه: الحَوَطة (ويقال أيضا بضم الحاء) .
 سيون وترم، صوابه: سَيِّثُون و تَرِيم.

٥ - الرحلة الخامسة: رحلة إلى اليمن ديسمبر (١٨٩٣م) ص ١٦٨ - ٢٣٠.

أرض شيبا، صوابه: سَبَأً.
 وهو ابن جوكتان (joktan) سليل سام، صوابه: يَقْطان.
 مشادة كلامية مع الحارس عند باب الخزومي، صوابه: باب خُزَيْمَة.
 الأمير حيدر، صوابه: حيدرة.
 حاردا، صوابه: حَرْدَبَة.
 أشجار الإلب، صوابه: العَلْب (= السدر) .
 إقليم حلمن، صوابه: حَالَمِين.
 أعالي يافا، صوابه: يافِع.
 صعدا، صوابه: صَعْدَة.
 كرش (kirsh) ، صوابه: كَرَش.

ظهرت أمامنا تعز عند قاعدة جبل صابر، صوابه: جبل صَبر.
 يارم، صوابه: يَريم.
 مشربيات، صوابه: مُدْرَجَات (زراعية).
 الأردّي، صوابه العُرضي.
 مبنى النصر، صوابه: دار الناصر.
 وادي ثاباد، صوابه: ثُعَبَات.
 الى سعياني، صوابه: السَّيَّاني.
 جبل بادان، صوابه: بَعْدان.
 سومارا، صوابه: سُمارَة.
 نيابور، صوابه: نيبور (رِجالة دنمركي).
 الى مخاضر، صوابه: المخادر.
 زمار-وزامار-صوابه: ذَمار.
 جبل هامام ألسي، صوابه: جبل حمّام اللسي.
 يقع جبل الحيدرية،!!! صوابه: حَيد اللسي.
 المعبر، صوابه: مَعْبَر.
 عند ممر نقل إسلا، صوابه: نَقِيل يَسْلَح.
 جبل نوكوم-ونوقوم، صوابه: نَقَم.
 باب الصباح، صوابه: باب السَّبَح، والسَّبَاح أيضا (بالسين المرققة).
 جومدان، صوابه: غَمْدان.
 مسجد ابيك، صوابه: البكيرية والبكيلية أيضا.
 باب الشيد جاف، صوابه: باب الشقاديف.
 (غطاء الراس) كالبكس، صوابه: قَلْبَق.
 رئيس الوزراء القاضي عبد الله العميري، صوابه: عبد الله العَمَري.
 القاضي محمد رجب، صوابه: محمد راغِب.
 وادي طيبان، صوابه: تِبَن.
 العصر، صوابه: عَصُر.
 بلاد حمدان، صوابه: هَمْدان.
 جبل كحل، صوابه: كحلان.

- العملات البرونزية التي سكت محليا البخشاش! صوابه: البُقْشَة. ^(١)
ونصف القيمة!، صوابه: نصف البقشة.
خاويات الهري: صوابه: كَوَلَة الحاوري.
قلة العساكر، صوابه: كولة العساكر.
بيت القفر، صوابه: بيت الغفري.
مجال الأسد، صوابه: ما جل الأسعد.
مدينة العبد، صوابه: مدينة العبيد.
المنخة، صوابه: مَنَاخَة.
وادي سحم، صوابه: سِهَام.
باجيل، صوابه: باجل.

٦- الرحلة السادسة: مذكرات حول رحلة في اليمن (١٨٧٤م)، ص ٢٣٤-٢٥٠.

- طولح (twailah) ، صوابه: الطويلة.
نهر سرودود، صوابه: وادي سُردُود.
طحماح (!tihamah) صوابه: تهامة.
مرعوح، ومرواح أيضا، صوابه: المَرَاوَعَة.
قطعي (kutty) ، صوابه: القطيع.
باجيل، صوابه: باجل.
وادي صحم، صوابه سهام.
جبل برعة، صوابه: بُرْع.
حرظ، صوابه: حَرَّاز.
مفحك، صوابه: مَفْحَق.
بوعان، صوابه: بَوَّعَان.
قرية ماتانا، صوابه: مَتَّنة.
جبل نجم، صوابه: نَجْم.
هالوي، صوابه: هاليفي (آثاري فرنسي).
قرية جدر، صوابه: جَدْر.
جبل هاتور، صوابه: حَظُور.

(١) انظر عباس السوسوة: بقايا الأنفاظ التركية في المحكية اليمنية، من كتاب «قد اليمنية - أبحاث في الأبنية والصرف والافتراض المعجمي» (صنعاء: مركز عبادي ٢٠٢٠م)، ص ١٧٣-١٧٤.

شيبام، صوابه: شَبَام.
 وادي لعة، صوابه: لَاعَة.
 مسوار، صوابه: مَسُور.
 قرية سرع، صوابه: سَارِع.
 الخيامة، صوابه: الحَيَمَة.
 حفش، صوابه: حُفَاش.
 ملهن، صوابه: مِلحَان.
 رجوم-وروجوم، صوابه: الرُّجْم.
 محوت، صوابه: المَحْوِيت.

٧- الرحلة السابعة: رحلة في منطقة الأوربي (هكذا) في عسير واليمن؛ (١٩٢٣م)^(١)، ص ٢٥١-٢٦٨.

سايبا، وصاباي، وصبايا! صوابها جميع: صَبِيا.
 جبل سيرات، صوابه: جبال السَّرَاة.
 لمحمد حسن ابن عيض، صوابه: عايض.
 قبيلة بني موعيد، صوابه: مغيد.
 واحد وعشرين من الآمال، صوابه: العُمَال.
 بني مصارحا، صوابه: المَسَارِحَة.
 وادي داماد، صوابه: ضَمَد.
 مدينة أبو الريش، صوابه: أبو عَرِيش.
 زيديه، وزديا أيضا، صوابه: الزَّيْدِيَة.
 قبيلة باكل، صوابه: بَكِيل.
 حررضه، صوابه: حَرَض.
 زور، صوابه: الزُّهْرَة.
 الأضرحة يتجمع حولها الحراس المناسيب، صوابه: المناصب (جمع منصوب، وهم
 سدنة أكثر منهم حراسًا).
 لحية، صوابه: اللَّحْيَة.
 مراوة، صوابه: المِراوَة.

(١) للمزيد عن هذه الدراسة انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج ٢٤، ص ٣٦٢ وما بعدها. (ابن جريس).

٨- الرحلة الثامنة: رحلة في تهامة: جبال عسير وجبال الحجاز، ص ٢٦٩-٣٠١.

عن طريق أبو الريش إلى جبل فيافا، صوابه:..أبو عريش...فيفا.
 إلى ماخوا، صوابه: المخواة
 وراء وادي باتات رأس القانونا، صوابه: بتات...قَتونا.
 تابعة لثوريابان!!صوابه: ثريبان.
 سوق الثلث، صوابه: الثلوث.
 على جوانب اليابا، صوابه: على جوانب يبة.
 وادي حات، صوابه: خاط.
 بارك، صوابه: بارق.
 وشحرن، صوابه: شهران.
 وقنونه، صوابه: قَنونا.
 وحيلي، صوابه: حَلِي.
 ايتواد، صوابه: عَتُود.
 وظامر، صوابه: ضَمَد.
 اليابانة، صوابه: اليبابنة (على مثال المهالبة والمغاربة).

٩- الرحلة التاسعة: رحلة في وسط الجزيرة العربية (تمت ١٩١٢م) ص ٣٠١-٣٤٥.

في اتجاه آبار لينا (liena)، صوابه: لينة.
 الصحراء الواسعة (great deasert)، صوابه: (desert).
 رحلنا عن دومير (dumier)، صوابه: دُمَر.
 كانت الجرار الجلدية (jirbas) تتجمد فيها المياه، صوابه القرب الجلدية.
 الأجيل (agyel)، صوابه: العقيلي/العكيلي.
 غجر الصحراء يعرفون باسم سالب (salib)، صوابه: صليبي.^(١)
 الرحالة الدكتور موسيل، صوابه: موزل.
 عن طريق رس (russ)، صوابه: الرُّس.
 ...باستخدام الطريق المباشر عن طريق شجرة في ووشوم، صوابه: شقرا...الوشم.

(١) كاتب الرحلة ص ٣٠٦-٣٠٧ يحاول تفسير أصل الاسم، غير أن هناك بحثاً قيماً للدكتور جبرائيل سليمان جبور، البدو والبادية صور من حياة البدو في بادية الشام (بيروت: دار العلم للملايين/١٩٩٨م)، ص ٣٤٢-٣٤٥ في نطقهم: صُلْبَة وصُلْبَة وأولاد صُلَيْبِي.

جبل الطويق، صوابه: جبل طُوق.
 مثل الدرعية ومنفوع وأرجا، صوابه: منفوحة وعرقا.
 تفصل إقليم سدر عن إقليم وشم، صوابه: سدير عن الوشم.
 سيدوس... قرية ملجا، صوابه: سُدوس... الملقى.
 طريق إلى رنياع، صوابه: رنية.

ويلاحظ أن المترجم الفاضل لم يستفد حتى من الخرائط المصاحبة للأعمال، ولا من رحلاته البرية الشخصية، فما كان بالسجين جعله بالصاد وما كان بالهمزة جعله عينا، وهكذا حتى شمل كل الحروف والحركات في العربية. بل قد يتطابق الرسم اللاتيني مع العربي ومع ذلك لا يأخذ به بل يحن إلى الأبعد والخطأ. ولله في خلقه شؤون. المشكلة أن هذا النوع من الأغلاط يصعب على القارئ التعرف عليه بل التنبؤ به، فالسياق لا يساعد في الوصول إلى الصواب؛ بعكس الأخطاء اللغوية.

ثالثاً: أغلاط في اللغة، وركاكة في الترجمة والصياغة :

قيل: جلّ من لا يسهو، هذا حق، لكن الأغلاط في هذا العمل لا تندرج تحت مقولة السهو، فالسهو حاصل وكثير جداً، وقد غضضنا الطرف عنه، بل المراد الأغلاط المتعمدة التي ينبغي أن يبرأ منها كل عمل علمي. ولعل المترجم -فيما نحسب- استنكف أن يسلم العمل لمراجع لغوي ثقة يصوّب ما جاء فيه صرفاً ونحواً وأسلوباً، اعتقاداً منه بكماله في هذا الجانب. وسنكتفي بعينات منها غير قاصدين الشمول رحمة بالقراء. ^(١)

١ - في مجيء المفعول به ساكناً مع أن حقه النصب ومنه :

- (*) ٢٩-١: ان يجمع اخبار حول السلطان.
- (*) ١١٩-٢: كنت أعود دون أن أصطاد شي.
- (*) ١٣٢ف٢: شاهدنا قطيع من النعام. وانظر ص١٦ و١٥٩ و١٧٥ و١٦١ و، ٣٢٧، ٣٢٠، و٣٣١ مثالا لا حصرا.

٢ - نصب الخبر وحقه الرفع ومنه :

- (*) ٥٧ف٤: هم صادقون دماء العدو بلا رحمة.
- (*) ٢٥٨-٣: أهل المدينة فئتين. وانظر ٥٧، ٢٧٤.

(١) حبذا يا دكتور عباس أنك أسهبت في دراسة هذا الكتاب، وصوبت جميع مشاكله العلمية واللغوية والمنهجية. (ابن جريس).

٣- في تذكير ما حقه التأنيث والعكس في العدد وغيره ومنه :

- (*) ١٥ف٣: داخل أمتعتنا أيقونة للسيدة العذراء وأيقونة للمجدلي. (صوابه للمجدلية).
- (*) ١٠و٦-٢١: أو تقطع رأسك... وأمر أن تقطع رأسه. (الصواب بالياء).
- (*) ٢٥ف٢: فقطعنا اثنتي عشر يوما. الصواب اثني عشر. انظر ٥٨، ١٣٥، ١٥٤، ٢٣٠.

٤- خبر إن منصوب وجاء به مرفوعا ومنه :

- (*) ١٩-٣: اننا قاصدين الذهاب الى اثيوبيا. وانظر ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٦، ٣٣٥ على سبيل المثال.

٥- المضاف إليه مرفوع وحقه النصب، ومنه :

- (*) ٣٠ف٤: بعد مضي ثلاثون عاما.
- (*) ١٥٢-١٨: على مسافة حوالي مائتين وثمانون ميلا جغرافيا (١) عن عدن.

٦- نصب الفاعل وحقه الرفع، ومنه :

- (*) ٢٥٧ف٤: يحمل المقاتلين خناجر مصنوعة محليا.
- (*) ٢٦ف٣: وبقي الرجلين اليسوعيين في صنعاء حتى عام (١٥٩٥). وانظر ٢٧ و٥٢، ١١٩.

وهناك الركاقة التي تدل على ترجمة لا تلقي بالا لاختلاف اللغتين، وربما يكون سقط من العبارة جملتان وأكثر فتجتمع الركاقة مع استغلاق المعنى، ومنه- على سبيل التمثيل :

- (*) ٣٧ف١: ويطحن معها النواة الداخلية للتمر. اهـ (هل توجد نواة خارجية سواء للتمر أم لأي ثمر آخر؟).
- (*) ١٧٠ف٢: كانوا مترجمين وتحولوا إلى أن أصبحوا هواة جمع ممتازين!! وأن رغبتهم الشديدة وإحساسهم الفعال!! ساهما في نجاحنا!
- (*) ٢٤٠ف٢: احسن من وصفوا صنعاء تيبور (يقصد نيبور)، ولو كان هناك شيء فإن عدد السكان أخذ يتأرجح!
- (*) ٢٤٠ف٣: المسافر العادي! ينبغي ان يستبق! سعادة اكتشاف أقاليم غنية بالآثار الحميرية!!
- (*) ٢٥٢ف١: مساكن التجار هنا تتألف من طابقين مبنية من الحجر مرجاني اللون يغطيه الجص في بعض الأحيان المزخرف بأشكال بارزة أهـ. قلت: لعله يريد: يغطيه الجص المزخرف بأشكال بارزة أحيانا.

- (*) ٢٥٣ف١ (في الكلام عن الإدريسي)... وهذا الرجل يحصل من الأزهر! على أعلى الشهادات!! في العقيدة والقضاء! ويشرف عليه الأزهر! وهذا الرجل لا تنظر إليه على أنه رجل السلام!! في منطقة غرب الجزيرة العربية بل هو من أكثر رجالها علما!!
- (*) ٢٥٣ف٢: ... المسافر اذا كان رجلا شخصية مهمة لابد ان يصحبه حراس من القبائل!
- (*) ٣١٩ف١: إن المتحضرين يستخدمون الملاعق وهم يستخدمون كفة اليد! (الصواب أصابعهم في الأكل؛ وإن شئت الكف، فحسب، لأن لا كف في القدم).
- (*) ٣٢٦ف٢: مدينة هواءها نقي وتضم برحاء! ولا مثيل له! في مدن نجد الجنوبية. استقبلني في القصر رغم احتياجات (لعلها احتجاجات) الزعيم الملا mulla. الذي كان يرى ان أكون خارج المدينة!!
- (*) ١١ف١: نالت اهتماما ضعيفا! بشكل أقل مما تستحقه!!
- (*) ١١ف٢: يعد فليبي أوربي آخر وصل إلى مارب من جهة الشرق (يقصد آخر أوربي وصل).
- (*) ١٧ف٢: وتركوا له قطعة من القماش الخشن للأب مونسريت يضعها فوق رأسه.
- (*) ٢٩-٢، ٣: من الأهمية بمكان ان التخمين الأقوى للتحوال وقع في خلال الأيام الأولى لوقوعهم في الاعتقال!
- (*) ٢١-٢: وهذه القلعة يطلق عليها اسم حسن العبر وهذه قلعة عرفها الحمدانيون!! باسم جزيرة العرب (الفرس)! اه. قلت: يقصد: حصن العبر، ولا دخل للحمدانيين بها، وكان يريد أن الهمداني (ت٣٣٤هـ) ذكرها في كتابه "صفة جزيرة العرب"، ووضح أن في النص حذفاً فما دخل (الفرس) بين قوسين؟
- (*) ٥٨ف٣: وهاتين القبيلتين يشغلون.... علاوة على ذلك تتحدثان لهجات مختلفة من اللغة العربية!! وغناءهم للأناشيد يدور في مدارس مختلفة من الشعراء!!
- كما رأى القراء الكرام فهذا العمل يمكن أن نستخرج منه الفقرات والجمل الصحيحة؛ لأنها محدودة جداً. وكفاك بهذا مصيبة. غير أن الشهادة لله أن الصور الفوتوغرافية القيّمة للمواضع والظواهر الجغرافية والأشخاص ظلت سليمة من أي تحريف، وقل مثل ذلك عن الخرائط. والحمد لله الذي لا يُحمد على مكروه سواه^(١).

(١) جزاك الله خيراً يا دكتور عباس السوسوة، ومازلنا نجد ونقرأ الكثير من الأعمال الهزيلة الركيكة في

رابعاً : بعض الأوبئة في قضاء بني شهر (١٣٠٥-١٣٢١هـ / ١٨٨٧-١٩٠٣م) (دراسة تاريخية تحليلية). بقلم. أ. د. زهير بن عبد الله بن عبد الكريم الشهري^(١).

م	الموضوع	الصفحة
١-	مقدمة.	٣٩١
٢-	قضاء بني شهر.	٣٩٢
٣-	أهم الأوبئة في قضاء بني شهر.	٣٩٣
٤-	حوادث الأوبئة في قضاء بني شهر.	٣٩٥
٥-	أسباب الأوبئة في قضاء بني شهر.	٤٠١
٦-	مشكلات مواجهة الأوبئة في قضاء بني شهر.	٤٠٣
٧-	أثر الأوبئة على المجتمع في قضاء بني شهر.	٤٠٦
٨-	خاتمة الدراسة.	٤٠٨
٩-	المصادر والمراجع.	٤٠٩
	أولاً : وثائق الأرشفة العثمانية والسجلات.	٤٠٩
	ثانياً : المراجع العربية.	٤١٠
	ثالثاً : المراجع غير العربية.	٤١٢
	رابعاً : الصحف، والمواقع الإلكترونية الرسمية، والمقابلات الشخصية.	٤١٢

١- مقدمة :

يهدف هذا البحث إلى دراسة الأوبئة في قضاء بني شهر خلال الفترة التاريخية من (١٣٠٥-١٣٢١هـ / ١٨٨٧-١٩٠٣م)؛ إذ عانى أهالي هذا القضاء من كثرة هذه الأوبئة وتكرار حدوثها، ومن الآثار التي خلفتها؛ واعتماداً على هذا الموضوع وأهميته تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية :

ترجماتها، أو توثيق بعض الأحداث والتواريخ السياسية والحضارية المختلفة في جنوب شبه الجزيرة العربية، أمل أن نرى باحثين جادين يعكفون على مثل هذه البحوث المطبوعة والمنشورة فيدرسونها دراسات علمية نقدية تصوبية، والله من وراء القصد. (ابن جريس).

(١) للمزيد عن سيرة الدكتور زهير الشهري، انظر: موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب. (الرياض: مطابع الحمضي، ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م) (الجزء الرابع والعشرون)، ص ٢٧٨. (ابن جريس).

- أ- تتبع الأوبئة التي وقعت في قضاء بني شهر وأسباب حدوثها والظروف السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية التي ارتبطت بحدوثها.
- ب - ستقصاء وتحليل آثار هذه الأوبئة الصحية والاجتماعية والاقتصادية على الانسان في قضاء بني شهر في فترة تاريخية مهمة وثرية بالأحداث السياسية والعسكرية.
- ج - إبراز تجربة الانسان وتعامله مع هذه الأوبئة في مرحلة تاريخية مهمة، لم تتوفر فيها الامكانات المساعدة؛ للتعامل مع الأوبئة وتقديمها للأجيال بشكل يعزز المعرفة والوعي بتاريخنا الوطني السعودي.

٢- قضاء بني شهر :

يُعد قضاء بني شهر من الأفضية المهمة^(١) في متصرفية^(٢) عسير وكان يتبع هذا القضاء عدد من النواحي أهمها: النماص وهي مركز القضاء إضافة إلى: بلقرن، وبني عمرو، وبيشة، وبلسمر، ويرتبط بهذا القضاء الكثير من القبائل^(٣) أهمها: قبائل بني شهر، وبني عمرو، وبلقرن، وبلسمر، وقد اتبعت الدولة العثمانية في حكم هذه المناطق على نظم حكم تتناسب وطبيعة هذه البلاد وعادات وتقاليد أهلها ونظم الحكم المحلية التي كانت سائدة من قبل، وفي نفس الوقت تتناسب وفلسفة الحكم العثماني، ولقد

(١) في ضيوء قوانين الولايات العثمانية وبعد أن تم للعثمانيين السيطرة على عسير (١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م أوجدت فيها عددا من التنظيمات الإدارية ومن أهمها: تقسيم متصرفية عسير إلى ثمان قائممقيات أو أفضية وهذه الأفضية هي: أبها (مقر الحكومة ومركز المتصرفية)، قضاء محایل ومركزه مدينة محایل، قضاء رجال ألمع ومركزه الشعين، قضاء بني شهر ومركزه النماص قضاء غامد ومركزه رغدان، قضاء القنفذة ومركزه القنفذة وهي ميناء متصرفية عسير، قضاء صبيا ومركزه صبيا، قضاء أبو عريش ويتبع لها ميناء جازان وجزر فرسان. مفرح، سعيد محمد، الإدارة العثمانية في متصرفية عسير (١٢٨٨ - ١٣٣٦هـ/ ١٨٧٢-١٩١٨م)، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٨م)، ص ٣١، ٣٢.

(٢) كان التشكيل الإداري قبل عهد التنظيمات تتألف من السناجق التي تشكل الولايات والأفضية تشكل السناجق والنواحي "البلدان" تشكل الأفضية وكانت الولايات تحت إدارة أمير الأمراء والسناجق حيث كانوا أمراء اداريين وقادة عسكريين في ذات الوقت، ثم فصلت هاتان القيادتان في عهد التنظيمات عن بعضهما فأصبحت القيادة العسكرية مستقلة عن الإمارة الإدارية وألغي أمير السنجق وأصبح مكانه موظف سمي بالمتصرف وبهذا أصبحت عدة أفضية تشكل متصرفية وعدة متصرفيات تشكل ولاية. وفي بداية الحكم العثماني الثاني لمنطقة عسير قررت الدولة أن تكون المنطقة "سنجق" مستقل وعينت أحمد فيضي باشا حاكما على سنجق عسير ثم تغير مسمى السنجق إلى المتصرفية. انظر: صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص ٢٠٠؛ وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ص ٣٦.

(٣) مفرح، المرجع السابق، ص ٣١-٣٢

وجدت بعض المعلومات عن التشكيلات الإدارية في قضاء بني شهر في سالنامة اليمن^(١)، ويمكن القول أنها استمرت التنظيمات القبلية في عسير ومنها قضاء بني شهر وبشكل كبير في ظل حالة عسير غير المستقرة، كما أن الخدمات ومنها الصحية كانت محدودة وبشكل كبير^(٢).

٣- أهم الأوبئة التي وقعت في قضاء بني شهر :

تشير وثائق الأرشيف العثماني إلى أن هذا القضاء تعرض خلال فترة الدراسة لموجات متكررة من الأوبئة أهمها: الطاعون، والكوليرا، والجذري، ويوصف الوباء بأنه مرض يصيب أعداداً كبيرة من الناس في فترة وجيزة، وينتشر بسرعة في منطقة جغرافية واسعة، قد تشمل عدة مناطق أو دول؛ ليؤدي إلى وفاة أعداد كبيرة منهم^(٣).

وأطلق المؤرخون منذ القدم كلمة ”وباء“ على جميع الأمراض المعدية والفتاكة التي تصيب الإنسان أو الحيوان، كما كانوا يطلقون كلمة ”وباء“ على الطاعون؛ وفي نفس الوقت كان أغلبهم يدرك أن كلمة وباء أشمل من الطاعون^(٤).

عرفت المصادر التاريخية القديمة الطاعون بحسب ما كان شائعاً في تلك الفترة؛ إذ وصفته بأنه مادة سُمِّية تنتج عنها بثر وورم مؤلم، وأكثر ما يصيب المناطق الرخوة من الجسم، ويظهر عليه إجمار أو إسوداد أو إخضرار، ويبدأ خفقان القلب بالازدياد في كثير من الأحيان فضلاً عن التقيؤ، كما أنها صنفته على ثلاثة أنواع كالطاعون الدملي والرئوي والدبلي الذي كان الأكثر انتشاراً في الربع الأول من القرن التاسع عشر^(٥).

أما علماء الطب في العصر الحديث فأكدوا أنه من الأمراض الوبائية القديمة وهو شديد العدوى سريع الانتشار ويتسبب في نسبة وفيات كبيرة إذا انتشر في بلد ما، وهو

(١) للمزيد عن التشكيلات الإدارية في قضاء بني شهر انظر: سالنامة اليمن، عدد ٣ (١٣٠٤هـ/١٨٨٧م)، مطبعة الولاية، ص ١٩١؛ سالنامة اليمن، عدد ٤ (١٣٠٥هـ/١٨٨٨م)، مطبعة الولاية، ص ٩٢؛ سالنامة اليمن، عدد ٥ (١٣٠٦هـ/١٨٨٩م)، مطبعة الولاية، ص ١٠٥؛ سالنامة اليمن، عدد ٨ (١٣١١هـ/١٨٩٣م)، مطبعة الولاية، ص ١٧٧؛ سالنامة اليمن، عدد ٩ (١٣١٣هـ/١٨٩٥م)، مطبعة الولاية، ص ٢٩٦.

(٢) للمزيد عن التنظيمات الإدارية في عسير انظر: مفرح، المرجع السابق.

(٣) عطية، فيليب، أمراض الفقر: المشكلات الصحية في العالم الثالث، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، (١٤١٢هـ/٢٠٠١م)، ص ١٢٧-١٢٨.

(٤) مجموعة مؤلفين، الموسوعة الطبية الحديثة، ترجمة: أحمد عمار وآخرون، ط ٢، القاهرة، ١٩٧٠م، ج ٥، ص ٧٢٧-٧٢٨.

(٥) الشريفي، لقاء شاكر، الطاعون عام (١٨٢١م) وأثره على الحياة العامة في بغداد، مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية، كلية التربية للعلوم الانسانية، ع ١، ٢٠١٨م، ص ١٧٨.

في الأصل من الأمراض التي تصيب القوارض من الحيوانات وعن طريقها ينتقل إلى الإنسان فتصاب الغدد اللمفاوية الموجودة في الفخذ والإبط والأذن وتبدأ بالتضخم وتنتقل الجراثيم إلى الدم مباشرة^(١).

من أهم أعراضه الألم الشديد الذي يصحبه الحمى والقشعريرة مع تقيؤ وعطش شديد، فضلاً عن صداع وهذيان وتظهر في اليوم الثالث من الإصابة دمل سوادء تأخذ بالتضخم شيئاً فشيئاً، وإذا ما تقيحت هذه الدمل يكون هناك أمل في شفاء المصاب ونجاته من الموت^(٢)، أما إذا ظلت صلبة فإنها تؤدي في الغالب إلى وفاته في اليوم الخامس من الإصابة في الأغلب، وتصبح فرصة نجاة المصاب من الموت وشفائه إذا بقي حياً إلى ما بعد اليوم العاشر، والطاعون ينتقل من منطقة إلى أخرى بشكل سريع، خاصة إذا لم تتخذ التدابير الوقائية اللازمة لمواجهة انتشاره^(٣).

أما الكوليرا فهي عدوى معوية حادة تنشأ نتيجة تناول طعام أو ماء ملوث ببكتيريا الضمة الكوليرية وينتج عنها ذيفانا معوياً يؤدي إلى إسهال مائي غزير غير مؤلم يمكن أن يؤدي إلى جفاف شديد وإلى الوفاة في حالة عدم توفر الدواء المناسب. وتاريخياً قسمت الكوليرا إلى نوعين: الكوليرا الآسيوية، والكوليرا الأوربية. التي تعد أكثر فتكا.

أما الكوليرا الآسيوية فهي مرض معد ومتوطن في المنطقة الممتدة من بومباي إلى جنوب الصين، ومكان نشأتها الهند البريطانية ومركز انتشارها بنجلاديش السفلى المطلة على الأنهار الكبرى خاصة دلتا نهر الغانج (Ganges River) ثم تتجاوز الحدود الضيقة متوجهة إلى الغرب عبر طريقتين رئيسيتين: الطريق البري: ويمتد من شمال الهند إلى أفغانستان، وإيران، وآسيا الصغرى والطريق البحري: يمتد عبر سواحل البحر الأحمر، ومصر، والبحر الأبيض المتوسط، وخليج البصرة كان أحد أهم الأماكن التي نفذت منها الكوليرا إلى الغرب^(٤).

(١) الشريفي، المرجع السابق، ص ١٧٨.

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط ١، (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م)، ص ٢٣٨.

(٣) الشريفي، المرجع السابق، ص ١٧٨.

(٤) يلدز، جولدن صاري، الحجر الصحي في الحجاز ١٨٦٥ - ١٩١٤م، ترجمة: عبد الرزاق بركات، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط ١، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م)، ص ٢١-٢٢؛ منظمة الصحة

٤- حوادث الأوبئة في قضاء بني شهر :

توضح وثائق الأرشفة العثماني أن قضاء بني شهر تعرض في مطلع القرن الرابع عشر الهجري - أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وبشكل متكرر للأوبئة ويمكن القول إنه كان أوج انتشار هذه الأوبئة وتأثيرها امتد من الفترة (١٣٠٥-١٣٢١هـ/١٨٨٨-١٩٠٣م) وهي الفترة التي تتناولها الوثائق التي تمكن الباحث من الحصول عليها من الأرشفة العثماني وهي الفترة التي ستتناولها الدراسة.

أول الوثائق التي تم الحصول عليها تشير إلى عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٩م)، والمعلومات الواردة عن طريق موظف الصحة في القنفذة وتشير إلى أن الوباء ظهر في قضاء بني شهر وتم التأكد من هذا الأمر عن طريق طبيب الای (الفريق) في الفرقة الخامسة والخمسين ولم يتم اتخاذ الاجراءات الطبية المعتادة ولا معرفة سبب الوفيات، كما أنها لم تصل المعلومات عن الوباء من الطبيب مالزيان أفندي^(١).

وذكرت إحدى وثائق الأرشفة العثماني أن وباء الجدري انتشر في بعض قرى قضاء بني شهر عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٩م) واتخذت الإدارة العثمانية بعض الإجراءات أمام انتشار هذا الوباء وفرضت على حجاج اليمن عدم المرور بقرى القضاء، وقررت أن تكون قرى بني شهر محاجر صحية لا يدخل إليها ولا يخرج منها إلا من يتم التأكد من سلامته، وقامت الإدارة العثمانية بتكليف بعثة طبية من مكة المكرمة؛ للقيام بفحص الحجاج ثم إصدار الإذن لهم بمواصلة رحلة الحج من عدمها^(٢).

من الواضح أن الوباء استمر في قضاء بني شهر وبشكل كبير يؤكد هذا الأمر البرقية الواردة من الوالي على اليمن أحمد فيضي باشا^(٣) إلى الصدارة العظمى في (١١/إبريل/١٣١١ رومي، يعني ٢٧/شوال/١٣١٢هـ) التي ذكر فيها أن الوباء ظهر في

(١) الأرشفة العثماني، تصنيف: Y.A.HUS.227-37

(٢) مفرح، مرجع سابق، ص ١٢٣.

(٣) ولد في شبه جزيرة القرم سنة (١٨٢٩م)، سياسي وقائد عسكري عثماني شغل والي اليمن، وكلف بالعديد من المهام السياسية والعسكرية في الجزيرة العربية، مات سنة ١٩١٥م.

Kuehn, Thomas, Empire, Islam, and Politics of Difference: Ottoman Rule in Yemen, 1849-1919, Brill, Leiden, Boston, p 5,

قضاء بني شهر في قرى: الفضول^(١) وعاكسة^(٢) والحتار^(٣) كما أن الوباء امتد الى ست قرى أخرى في الفرعة^(٤) ولشعب^(٥) وآل زيدان^(٦) والريامة^(٧) وقفعة^(٨)، كما بينت هذه الرسالة أن عدد الاصابات بالوباء بلغت (٩٤) اصابة و(٣٠) حالة وفاة وأنه اتخذ تجاه ذلك العديد من الاجراءات للمحافظة على أماكن الحجر الصحي، وبين أن هناك حاجة لاعتماد صرف مبلغ (١٠٠٠) ريال لموظفي الصحة في عسير والذي كان قد تم الرفع به مسبقاً^(١٠).

في مثل هذه الحادثة الوبائية الكبيرة والصادمة يمكن القول إن عامل العدوى عبر أحد المصابين أو بعض العابرين كان له دور في هذه الحالات من الوفيات والاصابات بحكم موقع هذا القرى الجغرافي المتقارب، كما أن هذه الأرقام تعتبر كبيرة في ظل قلة

(١) الفضول: مجموعة من القرى هي: الفضول، آل ملح، شعبان، الدانية، وتسمى مجتمعة الفضول وتنتمي إلى قبيلة بني بكر من بني شهر وتقع إلى الشرق من محافظة النماص. مقابلة شخصية مع د عبد الله بن صالح المحوي عمل في مجال التعليم ومن المهتمين بتاريخ وتراث المنطقة. تاريخ ومكان المقابلة: ١٤٤١/١٢/٢ هـ بمحافظه النماص.

(٢) عاكسة: تضم مجموعة من القرى المتداخلة في نطاق واحد وهي: عاكسة، وآل فاطمة، وآل كراع، وتنتمي إلى قبيلة كعب من بني عمرو. مقابلة شخصية مع د عبد الله بن صالح المحوي: مقابلة سبق ذكرها.

(٣) الحتار: قرية تقع في الشمال الشرقي لمحافظة النماص وتنتمي إلى قبيلة كعب من بني عمرو. مقابلة شخصية مع د عبد الله بن صالح المحوي: مقابلة سبق ذكرها.

(٤) الفرعة: تقع إلى الشرق من محافظة النماص والجزء الجنوبي منها ينتمي إلى قبيلة الكلاهمة من بني شهر، بينما الجزء الشمالي ينتمي إلى قبيلة بني بكر من بني شهر كذلك. مقابلة شخصية مع د عبد الله بن صالح المحوي: مقابلة سبق ذكرها.

(٥) لشعب: قرية تقع إلى الشمال الشرقي من محافظة النماص وتنتمي إلى قبيلة كعب من بني عمرو. مقابلة شخصية مع د عبد الله بن صالح المحوي: مقابلة سبق ذكرها.

(٦) آل زيدان: تضم مجموعة من القرى التي تنتمي إلى قبيلة بني شهر وهي: لحبي، وآل سلطان، وآل حشيش، والقيم، والحلقة، والريامة، وتقع شمال محافظة النماص. مقابلة شخصية مع د عبد الله بن صالح المحوي: مقابلة سبق ذكرها.

(٧) الريامة: قرية تقع إلى الشمال من محافظة النماص وتنتمي إلى قبيلة آل زيدان من بني شهر. مقابلة شخصية مع د عبد الله بن صالح المحوي: مقابلة سبق ذكرها.

(٨) قفعة: قرية تقع إلى الشمال من محافظة النماص وتنتمي إلى قبيلة كعب من بني عمرو. مقابلة شخصية مع د عبد الله بن صالح المحوي: مقابلة سبق ذكرها.

(٩) يقصد به الريال الفرنسي وهو من العملات التي اعترفت بها الدولة العثمانية وتداولها الناس في اليمن وأطراف الحجاز، وكان يسك في مصر أو بعض المراكز الكبرى في الدولة العثمانية أو في أوروبا وقد اشتهر باسم "ماريا تريزا" وعرف محلياً باسم الريال الفرنسية، وقيمته في بعض الأحيان اثنا عشر قرشاً عثمانياً، وهو عبارة عن قطعة نقدية من الفضة ضربت في النمسا عام (١١٩٥ هـ/ ١٧٨٠ م). عبد الرحيم عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، القاهرة، (١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦ م)، ص ٢٥٠، Cornwallis, Sirkinahan, Asir Befor World War 1, Ahand Book, Cambridge, England, P,21

عدد السكان وتواجههم في قرى صغيرة متناثرة، ومع انعدام كافة الخدمات — خاصة — الصحية فإن من المؤكد أن لهذه الحادثة آثارها المعنوية والاجتماعية والاقتصادية، فتذكر الروايات أن حالات الوفيات والاصابات الكبيرة بثت الخوف بل الذعر بين الأهالي، وأن الكثير من الأهالي عند حلول مثل هذه الأوبئة الشديدة تضطربهم إلى الرحيل أو الهجرة إلى الأصدار^(١) أو إلى تهامة أو غيرها، وتؤكد تلك الروايات أنها كانت تؤثر على نشاط الناس الاقتصادي المعتمد على الزراعة والرعي^(٢).

يبدو أن وباء الطاعون في قضاء بني شهر استمر لفترة طويلة في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، ويؤكد هذا الأمر الرسالة الواردة من ناظر الصحة إلى الصدارة وتقيد بانتهاء هذا الوباء وأن الحجر على القادمين من سواحل اليمن من منطقة لين إلى لحية لمدة خمسة أيام قد تم رفعه بناءً على الأخبار الواردة من أطباء الصحة في المنطقة؛ إذ تم ذلك بإقرار مجلس أمور الصحة الذي عقد في (١٥ جمادى الأولى / ١٣٠٧ هـ / ٧ يناير ١٨٩٠ م)^(٣).

على الرغم من ذلك الإلغاء إلا أن هناك وثائق من الأرشيف العثماني تدل على استمرارية الوباء فتشير البرقية الواردة من أحمد فيضي باشا في (١٤ تشرين أول ١٣٠٩ - ١١/٥/١٨٩٢ م) إلى الصدارة العظمى إلى أن الوباء ما زال منتشرًا في قضاء بني شهر وأنه لم يتبين حتى الآن سبب ظهوره، وأن ما قيل في سبب انتشاره هي المملحة والبحيرة، غير صحيح؛ إذ لا توجدان في بني شهر، وأن هناك تقرير بأسماء القرى التي انتشر فيها الوباء، وأعداد المصابين وتقدير الوفيات وما الإجراءات التي تم اتخاذها حيال هذا الأمر^(٤).

يبدو أن هذا الانتشار الواسع للوباء جعل الإدارة العثمانية تتجه في بعض الفترات إلى رصد هذا الوباء في مناطق الوجود العثماني في الجزيرة العربية وما جاورها

(١) المنطقة الواقعة في وسط المنحدرات الغربية لسلسلة جبال السروات بين السراة وتهامة ويتميز مناخها بالاعتدال طوال العام، عُرف لكل قبيلة مناطق محددة وموازية وبشكل كبير لموقعها في السراة، بحيث يرتادها الأهالي مع مواشيهم عندما يشتد البرد في السراة، ويرتادها بعض أهالي المناطق النهامية القريبة عندما يشتد عليهم الحر في فصل الصيف. مقابلة شخصية مع الأستاذ علي بن محمد العسيلي، أحد أعيان المنطقة، عمل جده قائم مقام قضاء بني شهر في النماص في العهد العثماني، شغل منصب مساعد مدير التعليم بمحافظة النماص حتى تقاعد عام (١٤٢٧ هـ)، وله العديد من المؤلفات التاريخية والتراثية. تاريخ ومكان المقابلة: (١٤/١١/١٤٤٢ هـ) — محافظة النماص.

(٢) مقابلة شخصية مع الأستاذ علي بن محمد العسيلي، في (١٤/١١/١٤٤٢ هـ) — محافظة النماص.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف : Y.A.HUS.232-39-2

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف : BEO.303-22686-1-2

فتشير وثائق الارشيف العثماني إلى أن وباء الكوليرا في عام (١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م) لم يقتصر على قضاء بني شهر وتذكر أن الوفيات في عسير لاسيما في أبها والقنفذة بلغ (٨٧) وفاة، وفي محاييل (٥) وفيات وأفاد الملازم في شرطة أبها أنه في اليوم السادس عشر والسابع عشر (١٣٠٩هـ/ السادس والسابع من تشرين أول ١٨٩٢م) وقعت وفيات وبعدها لم تحدث في أبها وما جاورها أية وفيات، وأنه من الليلة (٢٥) إلى اليوم الذي يليه من أشهر المذكور في ظرف (٢٤) ساعة وقعت وفاة واحدة في الحديدة ومن بعدها لم يظهر الوباء في ولاية اليمن إلى (١٧) تشرين ثاني^(١).

من الواضح أن دائرة وباء الطاعون قد اتسعت بشكل كبير ويثبت هذا الأمر المراسلة الادارية في (٦ نيسان ١٣١١ رومي - ١٧/ ١٠/ ١٨٩٣م) التي تفيد أن هذا الوباء امتد إلى نجد وقد يمتد إلى ولاية بغداد، وبما أن الموسم موسم الحج، فقد وجد من الضرورة القصوى فرض الحجر على قوافل الحجاج القادمة من اليمن إلى الحجاز المدة اللازمة، وبما أن هناك قافلة انطلقت من منطقة عسير باتجاه الطائف [للحج] فينبغي ألا تختلط بأحد من سكان المناطق التي تمر بها على أن يرافقها الطبيب الرائد بهلول أفندي الموجود في عسير حتى الحجاز، وقبل دخول القافلة إلى الحجاز يتم حجر أفرادها في مكان مناسب من الطريق حتى يتم التأكد من عدم حملهم للوباء، وبعد فحصهم والتأكد من سلامتهم يتم السماح لهم بالمغادرة ومخالطة الناس، وبما أن رئيس المجلس الصحي في جدة خالد أفندي، توجه اليوم إلى جدة، فتتم الاستفادة من خبرته ليتولى إجراءات الفحص على أن يتم إرفاق من يلزم بهم، بناءً على قرار مجلس صحة جدة^(٢).

وتثبت المراسلة الواردة من قيادة الجيش السلطاني السابع في (٧ ربيع الثاني ١٣٠٧هـ) التي أفادت أن الجهود التي تم اتخاذها؛ لمحاربة وباء الطاعون الذي ظهر في قضاء بني شهر قد تكلفت بالنجاح، وبات المرض قريباً من الاختفاء^(٣).

من الواضح أن انتشار الوباء في قضاء بني شهر أحدث بؤرة وبائية قوية ليس على مستوى المتصرفية فحسب؛ بل على مستوى الولاية، ويثبت هذا الأمر الإجراءات أو المحاولات لمواجهته، كما هو الحال في الخطاب المرسل من الصدارة العظمى إلى

(١) الأرشيف العثماني ، تصنيف : 1-118-1895.DH.MKT.

(٢) الأرشيف العثماني ، تصنيف : 4-28-571.A.MKT.MHM.

(٣) الأرشيف العثماني ، تصنيف : 1-24-1678.DH.MKT.

وزارة الصحة في (١٣/٢/١٣١١هـ - ١٣/٨/١٨٩٣م) بضرورة إبلاغ كافة المراكز القيادية في متصرفية عسير وفي ولاية اليمن باتخاذ الاجراءات الطبية اللازمة، والعمل على حرق كل الأدوات التي يستخدمها المرضى والإبلاغ عن الحالات المرضية بشكل سريع وعن مصدرها وسبب ظهورها بواسطة البرقية سريعاً، وذلك عطفاً على ظهور المرض في قضاء بني شهر التابع لمتصرفية عسير، ويتم التنسيق بين الأركان الحربية العامة ودائرة الصحة لاتخاذ الاجراءات اللازمة حتى لا يظهر المرض مجدداً^(١).

في ظل هذه الاجراءات الاحترازية اتسعت دائرة التأثير إلى موسم الحج، كما حدث عام (١٢١٢هـ / ١٨٩٤م)، عندما طلبت ولاية الحجاز بأن توضع قافلة الحج القادمة من عسير عن طريق البر في الحجر لمدة خمسة أيام في الطائف غير مناسب؛ لأن الوقت غير مناسب [بسبب اقتراب وقت الحج]، وطلبت الاكتفاء بحجرهم لمدة يومين، حتى لا يحرم الحجاج من أداء الفريضة، كما طلب ذلك إدارة الشؤون الصحية بمكة المكرمة، وبناءً على ذلك فقد رفعت وزارة الصحة الأمر إلى الصدارة العظمى في (١٩ ذي القعدة ١٢١٢هـ)؛ للحصول على إذنهما بذلك، ولاسيما أن حرمان هؤلاء من أداء فريضة الحج غير جائز، ومن الضروري الاكتفاء بمدة يومين للحجر مع القيام بالإجراءات الصحية اللازمة والكشوفات الطبية وعزل الاصحاء عن المشتبه بهم ومعالجة المصابين وإبلاغ إدارة الصحة في مكة من خلال ولاية الحجاز برقياً بكافة الاجراءات التي تمت^(٢)، ومن الواضح أن هذا القرار في ظل عدم وجود الطرق والخدمات الصحية تأثر بهذه الظروف ورجح تمكين أفراد القافلة من الحج، والمرونة بل التساهل في مدة الحجر، مع التأكيد على بعض الإجراءات الاحترازية.

والادارة الصحية في متصرفية عسير لم تتمكن من تحديد نوع الوباء في قضاء بني شهر، ويؤكد هذا الأمر المراسلة الادارية في (١٢ شوال ١٣١٢هـ / ٨/ أبريل ١٨٩٥م)، وتذكر أن الأخبار الواردة عن الوباء ربما يكون مرض الكوليرا، والملاحظ أن هناك تساؤلات مستمرة عن الوباء وهل هو: الكوليرا أم الطاعون وبعد التحقق المبني على التوجيه من السلطات العثمانية أفادت نظارة الصحة أن المرض من أنواع الطاعون وأنه كان منتشراً بين عشيرة بعينها ومن اللازم اتخاذ الاجراءات اللازمة^(٣).

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف : 2-1-19253-BEO.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف : 16-28-571-A.MKT.MHM.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف : 1-117-323-Y.A.HUS.

ويبدو أن المرض عاود انتشاره مجدداً في عام (١٣١٦هـ/١٨٩٨م)؛ إذ أنتدب الطبيب العسكري ياور بك إلى قضاء بني شهر؛ للعمل واتخاذ التدابير اللازمة لمنع انتشار الوباء، فبعد أن ذهب إلى القضاء ومكث فيه مدة، طلب تأمين المخصصات المالية على انتدابه إليه، وذلك كما جاء في مراسلة إلى الباب العالي في (١١ صفر ١٣١٦هـ/١ يوليو ١٨٩٨م) ^(١).

وامتد الوباء إلى قرى أخرى كما هو الحال عام (١٣١٩هـ/١٩٠٢م) عندما توفى ثلاثة أشخاص من مجموع (١١) شخصاً أصيبوا بالمرض من الأهالي في قرية قاسم ثابت ^(٢) التي تبعد مسافة ساعة ونصف من بني شهر وذلك في الفترة الواقعة من عشرين إبريل [من عام ١٣١٧ رومي/١٣١٩هـ] وحتى السادس والعشرين منه، كما أفادت إدارة المحجر الصحي في جدة. وبناءً على ذلك فقد تم إبلاغ إدارة الصحة بضرورة أخذ التدابير اللازمة والحجر الصحي للمسافرين القادمين من السواحل اليمنية بما فيها سواحل القنفذة ومعمورة العزيز [الليث]، لمدة عشرة أيام، وتبخير أمتعة المسافرين بما فيهم طواقم السفن، وذلك بموجب ما اتخذ من المجلس الصحي من قرار في هذا الخصوص ^(٣)، الجدير بالذكر أنه في نفس العام (١٣١٩هـ/١٩٠٢م) توفى (٤,٠٠٠) شخص كان من بينهم بعض الحجاج الهنود وبعد انتهاء موسم الحج أمر الشريف عون الرقيق ^(٤) بترحيل المصابين فلما خرجوا من مكة انقطع ذلك الوباء ^(٥).

وفيفد المعروض المرفوع من وزارة الصحة إلى الصدر الأعظم في (١٢ جمادى الآخرة ١٣١٩هـ/ ٢٦ سبتمبر ١٩٠١م) أن الأحوال الصحية في متصرفية عسير على ما

(١) صابان، سهيل، الحجريون في الوثائق العثمانية (بنو شهر نموذجاً)، بحث غير منشور مقدم للقاء العلمي الرابع للجمعية التاريخية السعودية - فرع منطقة عسير ٢-٤/٢/١٤٤١هـ، النماص، ص ٧.

(٢) قرية آل ثابت: إحدى قرى قبيلة كنانة من العوامر من بني شهر، وتقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة النماص وتتألف من قرى: آل ثابت، وآل سروى، والرهو. مقابلة شخصية مع الأستاذ: علي بن محمد العسيلي: مقابلة سبق ذكرها.

(٣) وثائق الأرشيف العثماني، تصنيف: A.MKT.MHM. 5813-1-2.

(٤) الشريف عون الرقيق: ولد بمكة المكرمة ونشأ بها وناب أمارتها عن أخيه الشريف حسين ثم توجه إلى اسطنبول فترة من الزمن، بعدها عين أميراً لمكة المكرمة سنة (١٢٩٩هـ/١٨٨٢م) بعد انفصال الشريف عبدالمطلب عنه وامتد حكمه إلى الطائف، وكان ذو سطوة ونفوذ، وحصل على العديد من الأوسمة من الدولة العثمانية منها رتبة أمراء الروملي سنة (١٢٨٤هـ/١٨٦٧م). للمزيد: انظر: الحسني، سمير حمدي، الشريف عون الرقيق وعلاقته بالدولة العثمانية وولاتها في الحجاز ١٢٩٩-١٣٢٣هـ/١٨٨١-١٩٠٥م «دراسة تاريخية حضارية»، بحث لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ والحضارة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص ٨٦-١٢٢.

(٥) الحسني، المرجع السابق، ص ١٦٤.

يرام ولم يثبت أثر للوباء ولم يعد هناك حاجة لإجراءات الحجر الصحي المفروض لمدة عشرة أيام بين الليث والقنفذة وسواحل البحر الأحمر بناءً على ورود الأخبار الرسمية من المنطقة، وطلب المعروض من الصدارة الإذن بإبلاغ القيادة العسكرية العامة ووزارة الداخلية ووزارة الصحة بالإعلان عن هذا الأمر^(١).

في (٢٣ جمادى الآخرة ١٢١٩هـ / ٧ أكتوبر ١٩٠١م) تم انتداب الطبيب العسكري ضياء بك إلى قضاء بني شهر؛ للعمل على مواجهة الوباء، وبعد وصوله إليها قدم تقريراً مفصلاً عن المرض إلى متصرفية عسير، أبان فيه عن العديد من الأمور، وكيفية القضاء على المرض^(٢)، ويتضح من هذا التقرير أن دور الطبيب مباشرة ما يمكن من الحالات بناءً على الامكانيات المتوفرة له، ودراسة وتشخيص واقع الوباء الصحي، وتقديم المقترحات للجهات العليا لمواجهته، وكل هذه الخطوات تحتاج إلى وقت وإلى مراكز دعم وخدمات وهذا ما كان يفتقده القضاء والمنطقة بشكل كامل في ذلك الوقت.

استمر الوباء يحل في قضاء بني شهر على شكل موجات متكررة فتذكر المراسلة الإدارية في (١١ شعبان ١٣٢٠هـ / ١٢ نوفمبر ١٩٠٢م) أن الوباء ظهر في تسع قرى و (٢٨) حالة إصابة و (١٥) حالة وفاة، وذلك بناءً على البرقية الواردة من ولاية اليمن إلى نظارة الداخلية في (١١ شعبان ١٣٢٠هـ / ١٢ نوفمبر ١٩٠٢م) التي تطالب بسرعة إرسال أطباء صحة وتعليمات ولوازم طبية^(٣).

حل الوباء في قضاء بني شهر عام (١٣٢١هـ / ١٩٠٣م) إذ أرسل طبيب الصحة في متصرفية عسير إلى القضاء بعدما ظهر الوباء في قريتين من قراه، وقام ببذل الجهد اللازم في ذلك واتخاذ التدابير المقتضية، كما أفادت بذلك متصرفية عسير في برقيتها إلى وكالة ولاية اليمن التي قامت بدورها بإبلاغ نظارة الداخلية بذلك، وذلك في (١ جمادى الأولى ١٣٢١هـ / ٢٦ يوليو ١٩٠٣م)^(٤).

٥- أسباب الأوبئة في قضاء بني شهر :

تشير وثائق الأرشيف العثماني أن أسباب هذا الوباء تعددت في قضاء بني شهر كما هو الحال في البرقية الواردة من ولاية الحجاز إلى الصدارة العليا (٣٠ ذو الحجة /

(١) وثائق الأرشيف العثماني، تصنيف : 4-3-581. A.MKT.MHM.

(٢) صابان، المرجع السابق، ص ١١.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف : 1-5846. A.MKT.MHM.

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف : 1-1-5856. A.MKT.MHM.

١٣٠٦هـ/ ٢٧/ ٨/ ١٨٨٩م) والمعتمدة على الإفادة الواردة من الحاج موسى بيك قائم مقام القنفذة التابعة لمتصرفية عسير، حيث ذكر أن القحط حل بالناس قرب أبها؛ ونتيجة للجوع ظهر الوباء وإذا لم ينتشر بشكل كبير في عسير سيدفع في شهر شباط ما عدا قضاء بني شهر الذي ظهر بها نوع من أنواع الأمراض وربما ينتشر إلى مناطق أخرى، ولتشخيص الأسباب وطرق التداعي تم الاتفاق على إرسال الطبيب مصطفى أفندي^(١).

تؤكد الدلائل والمؤشرات أنه كان للحجاج القادمين من اليمن الدور الكبير في نقل وباء الكوليرا إلى الحجاج في مكة المكرمة كما حدث عام (١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م) عندما وردت أخبار من ولاية الحجاز وإمارة مكة عن ظهور الكوليرا في مكة المكرمة بين الحجاج اليمنيين ووفاة سبعة عشر حاجاً بسببها؛ ونتيجة لذلك أمرت الصدارة العظمى المجلس الصحي باتخاذ الاجراءات الوقائية، وعندما تلقى المجلس الصحي برقيتين من طبيب صحة مكة قاسم عز الدين بشأن ظهور الكوليرا في مكة طالب مفتش صحة قمران^(٢) باتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة وباء الكوليرا للمحافظة على صحة الحجاج، فيما أصرت ولاية اليمن على الزعم بعدم ظهور وباء الكوليرا في اليمن إلا أن المجلس الصحي لم يهتم بهذا الادعاء وقال: «... ما لم تتحرك دائرة إشعار المعروض فإن المجلس الصحي غير مسؤول على الإطلاق عما سيترتب على الأحوال الصحية في الحجاز...»، وقام المجلس الصحي بتطبيق الحجر الصحي لمدة عشرة أيام على طرق اليمن حتى (٢٣/ ٩/ ١٣١٠هـ/ ٣١/ ٣/ ١٨٩٣م) حيث خفض المدة إلى خمسة أيام بناءً على الضمانات المحلية ثم خفضت إلى أربع وعشرين ساعة في (٢١/ ٤) ثم تم رفعها بشكل كامل في (٥ مايو)^(٣)؛ ومن المؤكد في نفس الوقت أن هذه العدوى المنقولة لوباء الكوليرا لم تقتصر على الحجاج في مكة المكرمة بل ستشمل الحواضر التي تمر بها قوافل الحجاج اليمنيين ومنها قضاء بني شهر^(٤).

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف: -540.Y.PPKA.

(٢) قمران: جزيرة ذات موقع استراتيجي تقع إلى الشمال الغربي من ميناء الحديدة قبالة الساحل الغربي للصليف أنشأ بها العثمانيون محجراً صحياً للحجاج. للمزيد انظر: المقحفي، ابراهيم أحمد، معجم المدن والقبائل اليمنية: صنعاء، دار الكلمة، (١٩٨٥م)، ص ٢٥٠.

(٣) يلدز، المصدر السابق، ص ١٥١ - ١٥٢.

(٤) يؤكد هذا الأمر أن مرور قافلة الحجاج اليمنيين من الأحداث الكبيرة في عسير؛ نظراً لكثافة الحجاج الذين يرافقونها والفعاليات التي تصاحبها، كما أن أسواقاً موسمية كانت تعقد على طريق السراة الذي يبدأ من صعدة فظهران الجنوب ثم أبها فبلاد رجال الحجر حتى الحجاز، وتقام بها مناسبات خاصة ومنها الأسواق التي تسبق شهر الحج وتزامن مع مرور قافلة الحج اليمنية وتسمى أسواق (العُصبة) فقد كان من عادة الحجاج اليمنيين أن يجلبوا بعض البضائع مثل: القهوة، والزبيب، والقشر، والأقمال

وفي ظل قصور المصادر المحلية عن هذا الوباء في قضاء بني شهر وبما أن هذا القضاء يمثل ممر مهم للحجاج القادمين من اليمن باتجاه الأماكن المقدسة فإن المقارنة وتوضيح الصورة عن هذا الوباء في الحجاز تجلي الكثير عن هذه الأوبئة ومصادرها ووسائل ومدى انتشارها في نفس فترة هذه الدراسة^(١).

٦- مشكلات مواجهة الأوبئة في قضاء بني شهر :

هذه الحوادث الوبائية الكبيرة واجهت الكثير من التحديات الضخمة، والقصور من الإدارة العثمانية في التعامل معها، فالخدمات الصحية في قضاء بني شهر على وجه الخصوص كانت معدومة ومحدودة وبشكل كبير في متصرفية عسير ، ويبدو أن الإدارة العثمانية لم تبدأ في الاهتمام بالجوانب الصحية الا في وقت متأخر من فترة وجودها حيث تم إنشاء مستشفى عسكرياً في الموقع المعروف برأس الذي تقع على أرضه إمارة عسير حالياً وسط مدينة أبها، لم يتحدد بشكل دقيق متى تم إنشاءه، لكن المؤكد أنه كان يعمل في عهد المتصرف أحمد باشا عام (١٣٣٢هـ / ١٩٠٤م)^(٢) ويذكر المتصرف

الصنعانية، والمصنوعات الجلدية، والعمود يبيعونها أو يقايضونها مع السكان المحليين الذين يحضرون منتجاتهم المحلية مثل: الأعلاف، والحبوب، والسمن، والعسل، وللمزيد انظر: آل حامد، عبد الرحمن، العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير، دراسة وثائقية موازنة، إصدارات نادي أبها الأدبي، (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص ص ٨٥٧، ٨٥٨؛ Cornwallis, p-p, 120-125؛ حمزة، فؤاد، في بلاد عسير، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ط٢، (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ص ١١٥؛ آل زلفه، محمد بن عبدالله، دراسات في تاريخ عسير الحديث، مطابع الشريف، الرياض، ط١، (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ص ١٥٧.

(١) خلال فترة الدراسة ظهرت الكوليرا ثالث أيام منى عام (١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م)، وقدر عدد الضحايا بـ (٤,٠٠٠) شخص، وفي عام (١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م) حدث أكبر وأشد الأوبئة في تاريخ الحجاز حيث سبب الكثير من الضحايا والهلع بين الحجاج؛ ونتيجة لذلك لم يكمل الحجاج مناسكهم حيث غادروا منى في أول أيام النحر بعد أن أصبحت منى بؤرة هذا الوباء؛ بسبب نحر الهدي العشوائي وانتشار الجيف والقصور في النظافة وقدر ضحايا الكوليرا في ذلك العام بنحو (٤,٠٠٠) شخص ساعد على ذلك زيادة أعداد الضحايا تزامن الحج مع يوم الجمعة، وأشار أحد التقارير الفرنسية إلى منع الاحتلال الفرنسي رعايا كل من الجزائر وتونس من الحج أعوام (١٣٠٦هـ و ١٣٠٧هـ و ١٣٠٨هـ - ١٨٨٨م و ١٨٨٩م و ١٨٩٠م)، بسبب وجود بذور الوباء التي لم تختفي في الحجاز ونجد وعسير. وللمزيد انظر: بلدز، المصدر السابق، ص ١٣٩، ١٥١، الخالدي، دائل، الإدارة العثمانية وانظمتها في الحجاز في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦-١٩٠٩م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٢١هـ/ ٢٠١٠م)، ص ٣٤٤؛ الحسني، المرجع السابق، ص ١٦١-١٦٢.

(٢) مفرح، المرجع السابق، ص ١٢١.

سليمان شفيق باشا^(١) في مذكراته أن هذا المستشفى كان به عشرين طبيباً^(٢)، وكان في عسير صيدلية^(٣)، ويشغلها صيادلة عسكريون برتب عالية كالصيدلي رشدي أفندي الذي يحمل رتبة نقيب وأسره الإدريسي أثناء حصار أبها، وكانت هذه الصيدلية توفر الأدوية التي تتكون من النباتات المحلية أو المستوردة مثل: اليانسون والحبة السوداء التي كانت تعصر في معاصر ثم تسقى للمرضى^(٤)، وذكر المتصرف سليمان شفيق باشا أنه اصطحب معه أثناء نزوله إلى صبيا لمفاوضة الإدريسي طبيب وصيدلي وصيدلية وجراح لعلاج المرضى واستمالة قلوب الأهالي^(٥).

على الرغم من محدودية هذه الخدمات الصحية إلا أنه من الواضح أنها لم تتم في المتصرفية إلا في السنوات الأخيرة من فترتها، كما أن الأقضية ومنها قضاء بني شهر لم تصلها هذه الخدمات، حيث كانت تركز على أولوياتها في خدمة مشروعات وخطوات العثمانيين العسكرية في المنطقة التي لم تستقر من الحروب والثورات الداخلية والخارجية.

يؤكد هذا الأمر المراسلة الإدارية في (١٧ جمادى الأولى عام ١٢٠٧هـ - ١/٨ / ١٨٩٠م) التي تشير إلى أنه توفي (١٥) من الأهالي في قضاء بني شهر بسبب وباء الطاعون حسب

(١) ولد عام (١٢٨١هـ/١٨٦٤م)، تخرج ضابطاً من الكلية الحربية وعمل في اليمن برتبة مقدم خلال الفترة (١٣١١-١٣١٣هـ/١٨٩٣-١٨٩٥م)، ثم عين متصرفاً على عسير سنة (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) ثم والياً على البصرة (١٣٢٢هـ/١٩١٢م) وعقد المعاهدة الثنائية مع الملك عبدالعزيز في قرية الصبيحة بالقرب من الكويت ممثلاً عن الدولة العثمانية، وبعد خروج القوات العثمانية من البلاد العربية وعودته إلى تركيا أسندت إليه وزارة الحربية عام (١٣٢٧هـ/١٩١٩م)، واتهم في عهد حكومة الجمهورية بالخيانة؛ لأنه كان وزيراً في حكومة استانبول العثمانية المعارضة لحكومة أنقرة بقيادة مصطفى كمال أتاتورك فخرج إلى الحجاز بعد ضم الملك عبدالعزيز له وأسند الملك عبدالعزيز إليه بعض المهمات في حكومته الجديدة لكنه اعتذر وأثر الإقامة في مصر حيث نشر مذكراته بجريدة الأهرام بدءاً من (٦ ربيع الثاني ١٣٤٢هـ/٦ نوفمبر ١٩٢٤م) في ستة وثلاثين حلقة حتى ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٤٢هـ/٢٣ يناير ١٩٢٥م) للمزيد انظر: صابان، سهيل، مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ٨٠-٨٩.

(٢) باشا، سليمان شفيق: بلاد العرب في مذكرات سليمان شفيق باشا، مجلة العرب، ج ٢، ص ٧، شعبان، (١٣٩٣هـ)، ص ١١٧: العقيلي، محمد: مذكرات سليمان شفيق باشا، ط ١، منشورات نادي أبها الأبهي، (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، ص ١٥٠.

(٣) البركاتي، شرف بن عبدالحسن، الرحلة اليمانية، ط ٢، (د.ت)، المكتب الإسلامي، دمشق، ص ٧٨.

(٤) سليمان شفيق باشا، المقال السابق، ج ٢، ص ٧، شعبان، ١٣٩٣هـ، ص ٢٨٤: العقيلي، محمد بن أحمد، نادي أبها الأدبي، ط ١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ١١٢: مفرح، المرجع السابق، ص ١٢٢.

(٥) سليمان شفيق باشا، المقال السابق، ج ٢، ص ٧، شعبان، ١٣٩٣هـ، ص ٩٦: العقيلي، مذكرات سليمان شفيق، ص ٤٥.

إفادة متصرفية عسير، وأنه لا يوجد طبيب صحة في بلدية محائل، وأنه في حالة الرغبة في إرسال أطباء عسكريين فإنه لن يتم قبل شهرين في ظل بعد المسافة، وأنه لم يتم تحديد سبب ظهور هذا الوباء وتجده منذ ثمان أو عشر سنوات، وأن الحاجة ماسة إلى إرسال طبيب أو اثنين من الحجاز إلى قضاء بني شهر^(١).

وأمام التحديات الصحية فالإدارة العثمانية تحاول البحث عن حلول لتأمين الأطباء من الأقضية المجاورة التي في الغالب لا يتوفر فيها الأطباء أو من الإدارات العسكرية أو من الحجاز، ويؤكد هذا الأمر المراسلة الإدارية عام (١٣١١هـ/١٨٩٤م) من والي اليمن أحمد فيضي باشا التي يشير فيها الى نقص (٣) أطباء في عسير؛ ونظرًا لوجود أطباء في الطوابير العسكرية فإنه يقترح نقل أحد الأطباء العسكريين مع موظف صحي على أن تكون رواتبه وبدلاته على نظارة الصحة، ويستأذن صدور فرمان بذلك^(٢).

وبرزت التحديات المالية وآليات صرفها وتسويتها في بعض الحالات أمام الإدارة العثمانية في تقديم الخدمات الصحية، كما هو الحال مع المراسلة الإدارية الى الباب العالي في (٥ صفر ١٣١٦هـ/١٨٩٩م) التي تفيد بأنه تم إرسال الطبيب قول اغاسي أفندي إلى ولاية اليمن بعد ظهور الوباء في قضاء بني شهر سنة (١٣١٢هـ/١٨٩٥م) للقيام بالمعاينة والكشف، ثم ورد استفسار من ولاية اليمن حول الزيادة على معاشه من الخزينة وأن دائرة الصحة لم تقم بالتبليغ بشكل رسمي وأن الأمر يحتاج تسوية المبلغ من مخصصات الداخلية بعد الاعتماد من الارادة السنية حيث إن مدة تكليفه كانت شهر وثلاثة عشر يومًا والمبلغ المطلوب (٧١٦) قرش يتم حسابها من مخصصات ترتيبات الطوارئ من الموازنة بعد صدور فرمان من صاحب الصلاحية بذلك^(٣).

مما سبق نجد أن الوثائق تشير إلى وجود الكثير من التحديات بل المشكلات الكبيرة أمام أهالي القضاء لمواجهة الوباء في ظل انعدام الخدمات الصحية والطرق والاتصالات في ذلك الوقت، كما أن الأطباء المكلفين بالتوجه إلى القضاء يحتاجون إلى العديد من الإجراءات الإدارية والمالية لاعتماد تلك التكاليف ومصروفاتها، وفي حالة اعتمادها فإن إمكانيات وأدوات الطبيب الطبية والعلاجية محدودة، وأنه يحتاج إلى أيام حتى يتمكن من الوصول إلى القضاء حيث إن بعضهم تم تكليفه من الحجاز أو اليمن، وفي حالة

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف : DH.MKT. 2297-121-1

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف : A.MKT.MHM. 571-28-12

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف : A.MKT.MHM. 576-26-2

وصول الطبيب في ظل أعداد القرى التي انتشر فيها الوباء وكثرة المصابين فإنه يحتاج كذلك إلى أوقات طويلة للانتقال بين هذه القرى وهؤلاء المرضى بوسائل النقل البدائية، وهذا ما يؤكد عمق معاناة الأهالي الصحية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية، ويؤكد في نفس الوقت أنهم كانوا يواجهون هذا الوباء بمفردهم وإمكاناتهم.

٧- أثر الأوبئة على المجتمع في قضاء بني شهر :

وكان لهذه الأوبئة أثرها الكبير على الأهالي في قضاء بني شهر فحالات الوفاة والإصابات لها دور في وجود الخوف والقلق في ظل عدم استقرار المنطقة وكثرة صراعات القوى المحلية مع العثمانيين وغياب الخدمات الصحية واعتماد المجتمع على العمل اليومي والكدح في المزارع والرعي للحصول على قوتهم الذي يتأثر كثيرا بأي تأخير أو بمرض أحد أفراد الأسرة بالوباء لاسيما في مواسم الزراعة والحصاد، كما تأثر النشاط التجاري في الأسواق بسبب الركود وارتفاع الأسعار في ظل تطبيق الحجر على الموانئ وتوقف قدوم السلع منها لاسيما ميناء القنفذة الذي يُعد الميناء التجاري الرئيس للقضاء، وعلى الرغم من توقف الواردات في بعض الفترات بسبب الوباء وإجراءات الحجر في القضاء أو الموانئ التي كان يرد عن طريقها: السكر، والشاي، والتوابل، والمحروقات وغيرها، إلا أن هذا الأمر لم يؤدي إلى أزمة غذائية؛ لأن السكان كانوا يعتمدون على البدائل المحلية مثل: الحبوب، والتمور، إلى جانب أن هذا المجتمع يعتمد على عادات وأعراف الضبط الاجتماعي في كافة سلوكياته فهو غير مترف ينتج السلع الأساسية ولا يستورد إلا الضروريات ويحرص على الادخار، كما كان لهذه الأوبئة دور في تعزيز ممارسات التعاون والتكافل الاجتماعي وشعور الأهالي بحاجتهم إلى بعضهم البعض من خلال التعاون والتآلف ومساعدة المرضى وأسرههم والعناية بالمحتاجين في القرية أو القرى المجاورة^(١).

كما كان لهذه الأوبئة دور في اعتماد الأهالي على تجاربهم وخبراتهم في التعامل معها لاسيما حجر المصابين بالأمراض المعدية فكانت تخصص لهم منازل أو حجرات خاصة بحيث لا يتم اختلاطهم مع الأصحاء نهائياً، وعادة ما يتم حجرهم في كهوف خارج القرى يتم تجهيزها وتزويدهم بالماء والغذاء حتى يتم شفاءهم، ويحرص الأهالي على أن من يقوم بالتواصل وتزويد هؤلاء المرضى بالمؤن ممن أصيب بالوباء بحيث يكون

(١) مقابلة شخصية مع الأستاذ علي بن محمد العسيلي : مقابلة سبق ذكرها.

لديه المناعة وعدم القابلية لانتقال العدوى إليه أو إلى غيره مرة أخرى^(١).

وتبرز إحدى الروايات مدى التكافل والخيرية التي تميز بها المجتمع في تلك الفترة فعندما أصيب مجموعة من العابرين اليمنيين لقضاء بني شهر بالوباء وأصبح من اللازم حجرهم، فخصص لهم أحد الكهوف القريبة من إحدى القرى وقام الأهالي بتجهيزها وتزويدهم بالماء والغذاء لأسابيع وعندما زال الوباء وتم شفاء المحجورين طلبوا أن يشكروا أهل القرية بالطريقة المناسبة والمتعارف عليها في قضاء بني شهر وفي عسير عموماً فقاموا برفع الراية البيضاء^(٢) لأهالي القرية^(٣).

ارتفعت لدى الأهالي ممارسات الحفظ والتخزين للمؤن لاسيما الحبوب لأوقات الأزمات والتي تأتي الأوبئة في مقدمتها فينتشر في قضاء بني شهر خصوصاً ومنطقة عسير عموماً ما يُعرف باسم القصبات أو الحصون حيث تمثل احتياج وضرورة المرحلة التاريخية السابقة للحكم السعودي للتصدي للأخطار المحيطة بكل عشيرة فكانت ذات دور في تحقيق الأمن الاجتماعي والغذائي من الحبوب وبعضها تعود ملكيتها إلى أفراد أو أسر معينة وبعضها تملكها العشيرة أو القرية وتسمى (قَصَبَة الجماعة)؛ لأن كل فرد من أهل القرية يُخرج عشر محصوله من الحبوب ويتم تخزينه فيها فينتج عن ذلك مخزون احتياطي لأهل القرية أوقات الأزمات وغالباً ما يكون للقصبة مفتاح واحد يكون في حوزة أمين أو كبير العشيرة، ويخزن في القصبة حبوب: القمح (البر)، والذرة، والشعير، والبلسن "العدس"، وعادة ما تتراوح أعداد الغرف بين (٥ - ١٠) غرف وتتسع كل غرفة لأكثر من ثلاثة أصناف من الحبوب، وفي أرضية كل غرفة حواجز طينية تقسم الغرفة إلى ثلاثة مربعات حتى لا تختلط أنواع الحبوب، وتغطي الحبوب بطبقة رملية لحفظها من الرطوبة ومن الطيور والحشرات، وتوفر مداميك الطين مناخاً معتدلاً ومناسباً للحبوب، وبعض القصبات أو الحصون بها مدافن تحت الأرض محفور

(١) (مقابلة شخصية مع علي بن عبد الله الجبيري أحد المعمرين في محافظة النماص حيث يبلغ عمره مئة وخمسة عشر عاماً، وعمل في القطاع العسكري من عام (١٣٦١هـ حتى ١٣٧٨هـ). مكان وتاريخ المقابلة: قرية آل رزنيق بمحافظة النماص: (١٤٤٢/٨/٧هـ).

(٢) يُعد رفع الراية البيضاء من الأمور المعنوية المعروفة في عسير للإشادة بالمواقف الحسنة وإعلانها للناس في ظل عدم وجود وسائل إعلامية في تلك الفترة، فكان من عادات الأهالي أن يتم رفع علم أبيض في مكان عال أو يُحمل ويُسار به لتبيان جميل أو معروف لأحد الأشخاص أو القبائل حيال رافع البيضاء أو أسرته أو قبيلته. آل حامد، المرجع السابق، ص ٦١٦.

(٣) مقابلة شخصية مع محمد بن عبد الكريم بن عبد الرزاق الشهري أحد المعمرين في قبيلة بني جار بقرى قریش في تنومة بني شهر، والذي يتجاوز عمره المئة وعشرة أعوام وله العديد من التجارب في المنطقة وخارجها والاهتمام بالقصص والروايات. مكان وتاريخ المقابلة: محافظة تنومة (١٤٤١/١١/١٨هـ).

في الصخر لتخزين الحبوب^(١). والملاحظ أن حوادث مثل هذه الأوبئة أصبحت خالدة في ذاكرة الأهالي وجزء من ثقافة الناس ومما يتداول في الأشعار والأمثال والقصص حتى أن سنوات حوادث الأوبئة حُفظت في الذاكرة وفي التداول بين الأجيال بمسمى تلك الأوبئة مثل عام الطاعون أو سنة الجدري أو غيرها^(٢).

٨- خاتمة الدراسة:

تناول هذا البحث بعض الأوبئة في قضاء بني شهر خلال الفترة التاريخية من (١٣٠٥-١٣٢١هـ/ ١٨٨٧-١٩٠٣م) معتمدة على منهج البحث التاريخي التحليلي والمقارن للوثائق المحفوظة في الأرشيف العثماني التي تضمنت المراسلات والقرارات والمعلومات التي أبرزت حالات وحوادث الأوبئة في هذه الناحية وآثارها المختلفة والخطوات التي اتخذتها الدولة العثمانية تجاهها، وخرجت الدراسة بعدد من النتائج أهمها ما يأتي:

١- أثبتت الوثائق العثمانية وقوع العديد من حالات الأوبئة في قضاء بني شهر وأبرزت بالأرقام إصابات ووفيات كثيرة في موجات متكررة من أوبئة: الطاعون، والجدري، والكوليرا، وكانت في بعض الفترات عميقة وكبيرة على مستوى متصرفية عسير.

٢- قامت الإدارة العثمانية بالعديد من الخطوات التي وضعتها للوثائق لمواجهة هذه الأوبئة من حيث إجراءات الحجر في الموانئ وفي الطريق الرئيسية في السراة ومحاولات إرسال الأطباء، لكنها واجهت العديد من العقبات الإدارية والمالية، وغياب المواصلات والاتصالات، إلى جانب عدم وجود المستشفيات والمراكز الطبية في المنطقة، والحاجة إلى تكليف أطباء من مناطق بعيدة للمساعدة في مواجهة تلك الأوبئة.

٣- واجه الأهالي في بلاد بني شهر معاناة شديدة من الناحية المعنوية والاجتماعية والاقتصادية؛ بسبب هذه الأوبئة المتكررة وغياب الخدمات الصحية والطرق والاتصالات وغيرها، واعتماد الناس في نفس الوقت على المنتجات المحلية،

(١) صحيفة الوطن، الأربعاء (٣/يناير/٢٠١٨م).

(٢) أشكرك يا دكتور زهير على هذه المعلومات التي وثقتها في هذه الدراسة الوثائقية. وذكرت في طياتها نقاطا عديدة مازالت جديرة بالبحث والتحليل المطول. أمل أن نرى من طالبات وطلاب البحث العلمي من يستكمل ما بدأت، ومازال بلادنا جنوب البلاد السعودية (تهامة وسراة) مجالات بكر في ميادين البحث العلمي الجاد والرصين. (ابن جريس).

لكنهم رغم المعاناة والتحديات استطاعوا التكيف مع ظروفهم والتكافل حتى انتهت تلك الأوبئة.

٩- المصادر والمراجع :

أولاً : وثائق الأرشيف العثماني والساتنامات :

- ١- وثائق الأرشيف العثماني : 8-28-571-MKT.MHM.
- ٢- وثائق الأرشيف العثماني : 571-A.MKT.MHM. 4-28-
- ٣- وثائق الأرشيف العثماني : 571-A.MKT.MHM. 16-28-
- ٤- وثائق الأرشيف العثماني : 581-A.MKT.MHM. 4-3-
- ٥- وثائق الأرشيف العثماني : 584-A.MKT.MHM. 1-6-
- ٦- وثائق الأرشيف العثماني : 585-A.MKT.MHM. 1-1-6-
- ٧- وثائق الأرشيف العثماني : 581-A.MKT.MHM. 2-1-3-
- ٨- وثائق الأرشيف العثماني : 571-A.MKT.MHM. 12-28-
- ٩- وثائق الأرشيف العثماني : 576-A.MKT.MHM. 2-26-
- ١٠- وثائق الأرشيف العثماني : 303-BEO.22686-1-
- ١١- وثائق الأرشيف العثماني : 303-BEO.22686-2-
- ١٢- وثائق الأرشيف العثماني : 257-BEO.19253-2-
- ١٣- وثائق الأرشيف العثماني : 1895-DH.MKT. 1-118-
- ١٤- وثائق الأرشيف العثماني : 1678-DH.MKT. 1-24-
- ١٥- وثائق الأرشيف العثماني : 2297-DH.MKT. 1-121-
- ١٦- وثائق الأرشيف العثماني : 2-37-227-Y.A.HUS.
- ١٧- وثائق الأرشيف العثماني : 5-A5.Y.PPKA. 1-40-
- ١٨- وثائق الأرشيف العثماني : 126-Res.YA.80b-
- ١٩- وثائق الأرشيف العثماني : 323-Y.A.HUS. 1-117-
- ٢٠- وثائق الأرشيف العثماني : 232-Y.A.HUS. 2-39-
- ٢١- ساتنامة اليمن. عدد ٣ (١٣٠٤هـ/١٨٨٧م) ، مطبعة الولاية.
- ٢٢- ساتنامة اليمن. عدد ٤ (١٣٠٥هـ/١٨٨٨) ، مطبعة الولاية.
- ٢٣- ساتنامة اليمن. عدد ٥ (١٣٠٦هـ/١٨٨٩) ، مطبعة الولاية.
- ٢٤- ساتنامة اليمن. عدد ٨ (١٣١١هـ/١٨٩٣م) ، مطبعة الولاية.
- ٢٥- ساتنامة اليمن. عدد ٩ (١٣١٣هـ/١٨٩٥م) ، مطبعة الولاية.

ثانياً: المراجع العربية :

- ١- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).
- ٢- أمين، محمد، موسم حج سنة (١٣٠٧هـ/١٨٩٠م) من خلال تقرير دبلوماسي فرنسي، مجلة دار الملك عبدالعزيز، العدد الرابع، السنة الثامنة والثلاثون، شوال (١٤٣٣هـ).
- ٣- باشا، سليمان شفيق: بلاد العرب في مذكرات سليمان شفيق باشا، مجلة العرب، ج٢، س٧، شعبان، (١٣٩٣هـ).
- ٤- البركاتي، شرف بن عبد المحسن، الرحلة اليمنية، ط٢، (د.ت)، المكتب الإسلامي، دمشق.
- ٥- جريس، غيثان، بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين، مطابع الحميضي، الرياض، ط٤، (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).
- ٦- الحسني، سمير حمدي، الشريف عون الرفيق وعلاقته بالدولة العثمانية وولاتها في الحجاز ١٢٩٩-١٣٢٣هـ/١٨٨١-١٩٠٥م «دراسة تاريخية حضارية»، بحث لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ والحضارة، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة أم القرى، (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).
- ٧- الحربي، علي، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية «منطقة عسير»، مطابع خليفة، لبنان، بيروت، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج٢.
- ٨- حمزة، فؤاد، في بلاد عسير، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ط٢، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- ٩- آل زلفه، محمد بن عبد الله، دراسات في تاريخ عسير الحديث، مطابع الشريف، الرياض، ط١، (١٤١٢هـ/١٩٩١م).
- ١٠- الخالدي، دائل، الإدارة العثمانية وأنظمتها في الحجاز في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٧هـ/١٨٧٦-١٩٠٩م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
- ١١- الشريف، لقاء شاكر، الطاعون عام ١٨٣١م وأثره على الحياة العامة في بغداد، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الانسانية، كلية التربية للعلوم الانسانية، ع١، (٢٠١٨م).

- ١٢- الشهري، زهير، التجارة في متصرفية عسير، (١٢٨٩-١٣٢٧هـ/١٨٧٢-١٩١٨م)، دار الحكمي، الرياض، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).
- ١٣- صابان، سهيل، الحجريون في الوثائق العثمانية (بنو شهر نموذجاً)، بحث مقدم للقاء العلمي الرابع للجمعية التاريخية السعودية - فرع منطقة عسير (٣-٤/٢/١٤٤١هـ)، النماص.
- ١٤- صابان، سهيل، مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشياف العثماني، الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- ١٥- صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- ١٦- العقيلي، محمد: مذكرات سليمان شفيق باشا، ط١، منشورات نادي أبها الأبي، (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م).
- ١٧- عطية، فيليب، أمراض الفقر: المشكلات الصحية في العالم الثالث، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، (١٤١٢هـ/٢٠٠١م).
- ١٨- مجموعة مؤلفين، الموسوعة الطبية الحديثة، ترجمة: أحمد عمار وآخرون، ط٢، القاهرة، (١٩٧٠م)، ج٥.
- ١٩- مفرح، سعيد محمد، الإدارة العثمانية في متصرفية عسير (١٢٨٨-١٣٣٦هـ /١٨٧٢-١٩١٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩١٨م.
- ٢٠- المقحفي، ابراهيم أحمد، معجم المدن والقبائل اليمنية، صنعاء، دار الكلمة، (١٩٨٥م).
- ٢١- وهبة، حافظ: جزيرة العرب في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، القاهرة، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
- ٢٢- يلدز، جولدن صاري، الحجر الصحي في الحجاز (١٨٦٥ — ١٩١٤م)، ترجمة: عبدالرزاق بركات، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

ثالثاً: المراجع غير العربية :

- 1- Kuehn, Thomas, Empire, Islam, and Politics of Difference: Ottoman Rule in Yemen, 1849- 1919, Brill, Leiden, Boston.
- 2- Cornwallis , Sirkinahan , Asir Befor World War 1 , Ahand Book , Cambridge , England .

رابعاً: الصحف، والمواقع الإلكترونية الرسمية، والمقابلات الشخصية :

- ١- صحيفة الوطن، الأربعاء (٣ يناير ٢٠١٨م).
- ٢- منظمة الصحة العالمية : <https://www.who.int/ar>
- ٣- علي بن محمد العسيلي: مكان وتاريخ المقابلة: (١٤/١١/١٤٤٢هـ) - محافظة النماص.
- ٤- محمد بن عبد الكريم بن عبدالرزاق الشهري: مكان وتاريخ المقابلة: (١٨/١١/١٤٤١هـ) بمحافظة تنومة.
- ٥- مقابلة شخصية مع د عبد الله بن صالح المحوي ، تاريخ ومكان المقابلة: (٢/١٢/١٤٤١هـ) بمحافظة النماص.
- ٦- علي بن عبد الله الجبيري: مكان وتاريخ المقابلة: بمحافظة النماص: (٧/٨/١٤٤٢هـ) بمحافظة النماص.



خامساً: الإدارة العسكرية البريطانية في الحديدة (ديسمبر ١٩١٨ حتى يناير ١٩٢١). بقلم. جون بولدري^(١). ترجمة : أ.د. عبد الوود قاسم مقشر^(٢).

م	الموضوع	الصفحة
أولاً :	مقدمة.	٤١٤
ثانياً :	رفض السلطات التركية في اليمن الاستسلام.	٤١٦
ثالثاً :	ادعاءات الإمام يحيى ضد الحكومة التركية .	٤١٧
رابعاً :	خطط الاحتلال البريطاني للحديدة.	٤١٨
خامساً :	الأهداف البريطانية في الحديدة.	٤٢٣
سادساً :	الإدارة البريطانية للحديدة.	٤٢٧
	١. القرار البريطاني بالبقاء في الحديدة.	٤٢٨
	٢. دور الجيش في الحديدة.	٤٣٢
	٣. الحديدة خلال ولاية ريتشارد سون (ديسمبر ١٩١٨ - أكتوبر ١٩١٩ م).	٤٣٧
	٤. الحديدة خلال ولاية الضابط السياسي ميك (أكتوبر ١٩١٩ - فبراير ١٩٢٠ م).	٤٤٠
	٥. الحديدة خلال ولاية الضابط الكابتن جوردون (فبراير - مايو ١٩٢٠ م).	٤٤٤
	٦. الحديدة خلال ولاية الضابط السياسي إل. إيه. ستيل (مايو ١٩٢٠ - يناير ١٩٢١ م).	٤٤٦
	٧. قرار الانسحاب من الحديدة.	٤٥٠
	أ - مكائد الإمام يحيى المستمرة مع محمود نديم.	٤٥١
	ب - مطالبة التجار بإعادة الحكم التركي في الحديدة.	٤٥٢
	ج - طلب التجار الحفاظ على الحكم البريطاني.	٤٥٣
	د - الاستعداد للاجلاء .	٤٥٥
	هـ - الحديدة خلال ولاية الكابتن الدكتور فضل الدين (٢٤ يناير ١٩٢١ - مارس ١٩٢٥ م).	٤٥٥
سابعاً :	الخاتمة.	٤٥٨
ثامناً :	ملحق الدراسة.	٤٦٠

(١) جون بولدري باحث ومؤرخ بريطاني، ولد عام (١٩٣٩م)، وقدم إلى بعض البلدان العربية، وعمل في بعض الأعمال في اليمن والمملكة العربية السعودية خلال الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، وأنجز العديد من البحوث عن تهامة اليمن وعسير، عاش آخر حياته في جنوب شرق آسيا، ومات هناك عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). (ابن جريس).

(٢) للمزيد عن سيرة الدكتور عبد الوود مقشر. انظر، موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثامن والعشرون) (القسم الثامن)، ص ١٣٩.

أولاً: مقدمة:

شجع العثمانيون عند احتلالهم للساحل اليمني عام (١٨٤٩م) على تطوير وتنمية الحديدية على حساب جميع الموانئ اليمنية الأخرى؛ وذلك بهدف جعلها قاعدة للسيطرة على تهريب السلاح في البحر الأحمر، وعندما تم إعلان ميناء عدن في عام (١٨٥٠م) ميناءً حراً، بذل العثمانيون جهوداً كبيرة لتركيز التجارة البحرية اليمنية في الحديدية لمواجهة التفوق التجاري لعدن في جنوب الجزيرة العربية، وقد لاقت هذه السياسة نجاحاً جزئياً، فبحلول عام (١٨٨١م) وهو الوقت الذي كانت تمر فيه معظم التجارة التركية اليمنية عبر الحديدية بلغت قيمة واردات وصادرات (٢٠٠) تاجر هندي بريطاني في مدينة الحديدية وحدها (٥٤٥،٤٧٠) جنيهًا إسترلينياً سنوياً^(١)، وفي عام (١٨٩٧م) نقل ما مجموعه (٩٢) سفينة بخارية، (٧٥) منها بريطانية (٣٩،٤٥٨) طنًا من البضائع من وإلى الحديدية^(٢).

لقد نمت الحديدية قبل سنوات من الحرب العالمية الأولى لتصبح المركز التجاري الرئيسي لليمن حيث أنشأت عدداً كبيراً من الشركات العربية والهندية والأوروبية والأمريكية، وبحلول عام (١٩١٤م) كانت أكثر من اثنتي عشرة شركة أوروبية تعمل في المدينة^(٣)، والتي قدرت تجارتها السنوية في ذلك الوقت بمبلغ مليون جنيه إسترليني^(٤)، مع مرور (٩٠٪) من التجارة الخارجية للبلاد عبر المدينة^(٥). وكان هناك مجتمع أنجلوهندي من (٥٠٠) شخص وحوالي (١٠٠) أوروبي معظمهم من اليونانيين من بين (٤٢٠٠٠) نسمة تقطن المدينة^(٦).

يصف تقرير صدر بالعام (١٩١٣م) الحديدية بأنها كانت بلا مرفأ، بل كان لها مجرد طريق مفتوح يمثل مرسى مسطح قليلاً [لسان بحري — دكة]، وقد كانت السفن تبعد من (٢ إلى ٢ أميال) عن الشاطئ حيث يوجد رصيف حجري للسنايق مقابل لمبنى الحكومة المحمي بحواجز ضد الأمواج تتكون من المبانى الحجرية المزخرفة جيداً، وعادة ما تعرض العديد من البضائع أمام نائب القنصلية البريطانية ويتم تفريغها عن

(1) FO 195/1357.

(2) FO 195/2027.

(3) Cowasjee, Dinshaw and Bros., to Res., Aden on 22.12.1918 in R 20/A3A/69/2.

(4) FO 882/18, f. 164.

(5) R 20/A2A/68/1.

(6) FO 882/18, f. 16

طريق العتالة عبر ركوب الأمواج إلى الجمارك، والمياه بجانب رصيف المراكب الصغيرة ضحلة جداً بالنسبة للسنايق المحملة بالرغم من نزول المسافرين والبضائع وركوبهم هناك^(١)، وحتى العام (١٩١٣م) لم يكن هناك أثر يذكر لجدار حول المدينة التي تتألف من منازل بيضاء طويلة، ومع ذلك كان معظم السكان يقيمون في أماكن واسعة من أكواخ الحصير والقصب المعروفة باسم «العريش» والتي كانت تستخدم أيضاً كمخازن للتجار وثكنات وكانت تستخدم أسطح المنازل كأماكن للنوم أثناء الطقس الحار^(٢)، وفي داخل سور المدينة كانت المنازل مبان حجرية كبيرة ذات زخارف غنية بأعمال الجبس^(٣).

هذه هي المدينة التي احتلتها بريطانيا في ديسمبر (١٩١٨م) إلا أنه بعد ذلك؛ ماتت تجارتها وسُجن التجار الأجانب فيها وفر سكانها إلى الداخل ودُمّرت العديد من المباني داخل المدينة وحولها، وعندما انسحب البريطانيون بعد (٢٦) شهراً استعادت الحديدة موقعها السابق كميناء تجاري رئيسي.

في بداية الحرب العالمية كانت الاتصالات البحرية بين القسطنطينية والسلطات التركية في اليمن مقطوعة تماماً، ليتم بعد ذلك تنظيم خدمة الإبل لإرسال البرقيات من صنعاء إلى أبها، ليتم نقلها إما إلى جدة أو مكة أو المدينة المنورة حيث يتم توصيلها أخيراً بشبكة التلغراف التركية، ومع ذلك فإن البرقيات التي كان يتم إرسالها تستغرق من (٢١ إلى ٢٣) يوماً للوصول إلى القسطنطينية.

لقد شاهد ريتشاردسون نائب القنصل البريطاني في الحديدة والذي كان مسجوناً في صنعاء عندما أعلن الحلفاء الحرب على الإمبراطورية العثمانية الحاكم العام يتلقى مائة برقية متأخرة بواقع أربعين إلى خمسين يوماً^(٤)، وبحلول (١٩١٦م) كان هذا الطريق مستحيلاً نتيجة لقيام الثورة العربية في الحجاز والأعمال العدائية للإدريسيين في جميع أنحاء عسير، ومن حين لآخر كانت المراكب الشراعية التي تبحر بشكل رئيسي بين الشعاب المرجانية العديدة هي التي تحمل البرقيات من جدة إلى اللحية حيث يتم توصيلها مباشرة إلى صنعاء^(٥)، ولكن المراقبة عن كثب التي كانت

(1) Ibid, f. 165.

(2) Ibid

(3) H. SOCCT: In the High Yemen. New York 1975, p. 189.

(4) G. A. RICHARDSON: Notes on the condition of Turkish Yemen written for the use the Political Resident at Aden, In: L/P and S/10/559.

(5) Ibid

تقوم بها دوريات البحر الأحمر البريطانية على سواحل الحجاز وعسير واليمن سرعان ما جعلت وسيلة الاتصال هذه غير فعالة، وبعد ذلك قطع الإدريسيون الصلة بين اللحية وصنعاء.

ثانياً: رفض السلطات التركية في اليمن الاستسلام :

عند انتهاء الحرب العالمية لم تكن هناك وسيلة يمكن للحكومة التركية من خلالها التواصل مباشرة مع الحاكم العام [الوالي] محمود نديم أو توفيق باشا قائد القوات التركية في اليمن، وبالتالي لم يكن من الممكن تنفيذ أحكام المادة (١٦) من اتفاقية الهدنة المبرمة في (٣١) أكتوبر والتي دعت إلى تسليم جميع الحاميات التركية في الحجاز وعسير واليمن لأقرب قائد للحلفاء.

كما أن إرسال مبعوث تركي من القسطنطينية بأوامر إلى حاكم اليمن بالاستسلام سيؤدي إلى تأخير كبير في تنفيذ استسلام وإجلاء القوات التركية من اليمن، لذلك تقرر إبلاغ سعيد باشا الضابط المسئول عن قيادة القوات التركية التي تحتل لحج بالهدنة وطلب منه إبلاغ رؤسائه في صنعاء بشروطها، ومع ذلك فإن كلا من الحاكم العام والقائد الأعلى شككا في صحة الأمر وطالبا بإرسال إذن مباشر بالاستسلام من حكومتهم في القسطنطينية^(١)، وبناءً على ذلك رتب المفوض السامي البريطاني في القاهرة لإرسال رسالة لاسلكية من المحطة البريطانية في مصر في (١٧/ نوفمبر/ ١٩١٨م) تطالب بالاستسلام الفوري لجميع القوات التركية في اليمن^(٢). ولكن بسبب عدم وجود جهاز استقبال في اليمن فشل الأمر في الاتصال بصنعاء^(٣).

تم نقل برقية من القائد الأعلى في صنعاء عن طريق المندوب السامي في عدن إلى حكومة القسطنطينية حيث طلب تأكيد أمر الاستسلام الذي تم استلامه عن طريق سعيد باشا^(٤)، وأمرت الحكومة التركية في ردها الذي أرسلته عبر القنوات البريطانية باستسلام جميع قواتها في اليمن فوراً، ومع ذلك زعم الحاكم أنه فقد الشفرة، ولم يكن هذا كارثياً تماماً كما يبدو لأن البرقية كانت في طبيعتها طلباً أكثر من كونها أمراً،

(1) Aden to C -in-C. Mediterranean, 5. 11. 1918 in FO 371/3416.

(2) FO to Wingate, 22.11. 1918 in FO 371/3416; DMI to GOC Egypt, Mesopotamia, Salonika and C -in-C. India in CAB 27/37, F. 17.

(3) GOC Aden to WO, 2.12. 1918 in CAB 27/38, F. 17.

(4) DMI to FO 19. 11 . 1918 in FO 371/3416.

ليقتراح مكتب الحرب على وزارة الخارجية ممارسة الضغط على الحكومة التركية لإصدار أوامر قطعية واضحة^(١).

ثالثاً: ادعاءات الإمام يحيى ضد الحكومة التركية :

على الرغم من أن الأتراك بدو غير راغبين في الاعتراف بصحة دعوة الحلفاء للاستسلام، إلا أن معلومات وصلت إلى عدن في (١٥/نوفمبر/١٩١٨م) تفيد بأن السلطات التركية في صنعاء تتفاوض مع الإمام يحيى لإخلاء معسكراتهم وحامياتهم^(٢)، حيث أوضحت التقارير الاستخباراتية التي تلاحقت في نفس الشهر أن الإمام كان يعرقل الإخلاء حيث ادعى أن الحكومة التركية مدينة له بمبالغ كبيرة من المال بسبب دعمه للقوات التركية أثناء الحرب^(٣)، كما أن الإمام خشي من أنه مع خروج القوات التركية من اليمن ستكون العديد من القبائل في وضع يسمح لها برفض سلطته، الواقع ومنذ إبرام المعاهدة اليمنية التركية والتي سميت بمعاهدة دعان في عام (١٩١١م) وضع الإمام يحيى اعتماداً متزايداً على الدعم التركي لسلطته ضد رجال القبائل العنيدين^(٤)، فلم تكن مطالب الإمام للأتراك السبب الوحيد وراء تأخرهم في الاستسلام، بل كانت هناك أدلة على أنهم كانوا يتآمرون مع الإمام يحيى من أجل التهرب من الالتزام ببند شروط الهدنة وإصدار بيانات تنفي صحة الشروط التي نشرها القائد العام في عدن^(٥).

بمجرد أن أصبح إحجام الإمام عن السملح بمغادرة الأتراك واضحاً حثته الحكومة البريطانية على الإسراع في إجلائهم، وقد أبلغ أن الحكومة البريطانية تتوقع منه المساعدة بكل وسيلة ممكنة في إجلاء القوات وإنهاء الإدارة التركية^(٦)، وقد تم اغتنام الفرصة لتذكيره بأن المكاسب الإقليمية المستقبلية ستعتمد على مسار عمله مسبقاً والمحدد حالياً في هذه المسألة^(٧)، لكن هذه التهديدات أخفقت في ترويب الإمام الذي فور تلقيه هذه الرسالة منع تسليم جندي تركي واحد، ليتلقى سعيد باشا الجندي التركي الوحيد في اليمن الذي استسلم عند علمه بشروط الهدنة برقية من الإمام تحثه

(1) DMI to FO 21. 11. 1918 in FO 371/3416.

(2) GOC Aden to WO, 16.11. 1918 in CAB 27/36, F. 213.

(3) Confidential memo, Summary of events leading up to the dispatch of a Mission under Col. Jacob to Imam of sanaa. By H. W. YOUNG. In: FO 371/4213.

(4) Wingate to FO, 30.11. 1918 in FO 371/3416.

(5) OC Aden to WO, 30.11. 1918 in CAB 27/37, F. 239.

(6) GOC Aden to WO on 18.11. 1918 in CAB 27/37, F. 16.

(7) Wingate to FO, 30.11. 1918 in FO 371/3416. Also in CAB 27/37, f. 278.

على مواصلة الحرب، ولهذا الغرض وعده الإمام بتوفير الطعام والمال والتعزيزات^(١)، ومن ناحية أخرى كتب الحاكم [الوالي التركي] إلى عدن يعبر عن عدم قدرته على الالتزام بشروط الهدنة بسبب اعتراض الإمام ورفضه لها^(٢).

رابعاً: خطط الاحتلال البريطاني للحديدة؛

أدت المخاوف من أن الحكومة الإيطالية ستستفيد من التسوية والمماطلة التركية في الاستسلام إلى قيام القائد العام في عدن بتقديم مقترح في (٤/نوفمبر) بأن تحتل قوة بريطانية قوية الحديدة ريثما يتم إصدار قرار بشأن السيطرة النهائية على المدينة وذلك في توقع لاحتمالية نزول القوات الإيطالية وللحفاظ على النظام العام^(٣)، كان رد فعل (وينجيت Wingate) إيجابياً على فكرة الاحتلال البريطاني الذي اقترح أنه لن يسهل فقط الاتصالات مع الإمام يحيى، ولكن أيضاً سيدفعه إلى الامتثال والإذعان^(٤)، وهذا من شأنه أيضاً أن يدفع القوات التركية إلى الاستسلام.

في مذكرة أوصى (دي جي هوغارث D.G.Hogarth) باحتلال بريطاني للحديدة لمنع الإديسيين من السيطرة على المدينة^(٥)، في غضون ذلك، أبلغت البحرية البريطانية القائد التركي في الحديدة بشروط الهدنة، فأجاب أنه لا يمكنه اتخاذ أي إجراء دون أوامر من رؤسائه، ليقتراح القائد العام في عدن على مكتب الحرب أن يُمنح قائد الحديدة الخيار:- فإما الاستسلام أو الانسحاب للداخل وتسليم المدينة إلى قوة بريطانية، ولقد ذهب القائد العام متسائلاً عما إذا كان يحق له استخدام القوة في حالة رفض القائد للخيارات في ضوء شروط الهدنة^(٦)، ليسمح له مكتب الحرب في رده بعد أربعة أيام باستخدام القوة^(٧)، وبحلول (٧ديسمبر /) كان قد تقرر أن القوة البحرية البريطانية التي ستبحر إلى الحديدة ستمنح القائد التركي في الحديدة مهلة زمنية للاستسلام وتسليم أنفسهم، وإذا رفض الامتثال لهذا الطلب فإن القوات البريطانية

(1) GOC Aden to WO, 30.11. 1918 in FO 371/3416.

(2) GOC Aden to WO on 18.11. 1918 in CAB 27/37, f. 16.

(3) GOC Aden to WO 4.11. 1918 in CAB 27/36, f. 60.

(4) Wingate to FO, 30.11. 1918 in FO 371/3416.

(5) Memo, Certain conditions of Settlement of Western Asia, CAB 27/36, f. 142 - 143.

(6) GOC Aden to WO, 28.11. 1918 in CAB 27/37, f.210.

(7) WO to GOC Aden 1.12. 1918 in CAB 27/37, f. 275 .

ستقوم بالإنزال وتستولي على المدينة، وفي اليوم نفسه أبلغ مكتب الحرب القائد العام في عدن أنه مخول بإبقاء السفينة (اليفانتا) (Elephanta) في عدن لنقل قوة استكشافية إلى الحديدية^(١)، وفي اليوم التالي طلب القائد العام الإذن بإرسال قوة باتجاه الحديدية مستعينا باليفانتا لهذا الغرض، وأضاف أن لديه سفن حربية تقف على أهبة الاستعداد لمساعدة القوة الاستكشافية المقترحة^(٢)، وفي غضون (٢٤) ساعة تم استلام موافقة مكتب الحرب على إنزال سرية مدفعية في الحديدية^(٣).

وفي (١٠ ديسمبر) غادر غريناديرز (2/2) 101/101 Grenadiers وهو فريق إسعاف ميداني وفريق من خبراء المتفجرات وعمال المناجم عدن على ظهر اليفانتا وعلى الباخرة المحلية (الكستنا The Kistna) باتجاه الحديدية^(٤)، بينما كانت الاستعدادات العسكرية تتقدم في عدن تم اتخاذ خطوات دبلوماسية لتسهيل الاستيلاء على الحديدية واحتلالها، فقد طلب مكتب الحرب من المندوب السامي البريطاني في القسطنطينية توجيه وزير الحرب التركي لإصدار أوامر لجميع قادة الكتائب الأتراك بالاستسلام بشكل مستقل، وبدون انتظار تعليمات رؤسائهم^(٥).

(*) الإنزال البريطاني :

نقلت المدمرة الحربية الفانتا (١٠١٦) ضابطاً ورجلاً و (٣٠٠) طن من المؤن وأربع مستشفيات ميدانية وعربات إسعاف وأعداداً من الخيول والبغال، ونظراً للاعتقاد الخاطئ بأن الحديدية محصنة بحوالي (١٠٠) جندي تركي فقط كان من المتوقع أن تكون مقاومة الإنزال خفيفة وتكاد تكون مجهولة.

عندما وصلت السفن البريطانية قبالة الحديدية في الساعة السادسة صباحاً يوم (١٥) ديسمبر، تم إرسال مندوب عن الدولة البريطانية وحملتها العسكرية وعرض على القائد التركي خيار الاستسلام الفوري للبريطانيين بحلول الظهر أو الانسحاب عشرة كيلومترات للداخل، وعندما رفض كلا الخيارين تم اتخاذ الترتيبات على الفور لاحتلال الحديدية بالقوة^(٦).

(1) WO to GOC Aden 7.12. 1918 in CAB 27/38, f. 66 .

(2) WO Aden to WO 8.12. 1918 in CAB 27/38, f. 66 .

(3) WO to GOC Aden 9.12. 1918 in CAB 27/38, f. 118 .

(4) Aden to WO, 10. 12. 1918. in CAB 27/38, f. 118.

(5) WO to High Commiss., Constantinople, 5.12.1918 in FO 371/3416.

(6) SNO, RSP to SNO Egypt, 23. 12. 1918 in ADM 137/1783, f. 200 – 205.

في البداية كان هناك مقترح في عملية الإنزال وهو أن يتم الإنزال على بُعد مسافة ما شمال المدينة على أرض قاحلة مستوية وضيقة خلفها المياه، لكن تم رفض ذلك المقترح لأنه لا يوفر الحماية الكافية من النيران المعادية، وبالمثل اعتبر الإنزال في المدينة غير وارد حيث كان معروفاً بوجود مرابض للمدافع في الجنوب، وقد كانت المنطقة الوحيدة التي كان فيها القليل من المخاطر تقع على بُعد (٢٠٠٠) ياردة إلى الشمال بين مرسى الصيد والمدينة.

تم تعيين الملازم (جيه آر تايلور J.R.Taylor) نائب قائد سوفاف Suva مسؤولاً عاماً عن عملية الإنزال التي بدأت في الساعة (١٣:٣٠)، حيث أنزلت الدفعة الأولى في تسعة من قوارب النجاة الخاصة بالألفيانتا والباقي على متن المدمرتين البحريتين (غوردن Guerdon) و (ليثتر إم إل ٩٩ ML99 Lighter) الذي كان محملاً أيضاً بالقنابل والذخائر وحصّة طعام يوم واحد، ومن ضمن مجموعة الإنزال كان هناك (٥٣٠) رجلاً في (ليثتر Lighter)، و (١٥٠) في القارب الحربي (Drifter) و (٢٧٠) في قوارب النجاة التسعة، وفي الساعة (١٥:٣٠) تقدمت المدمرتان البحريتان (غوردن Guerdon) و (ليثتر إم إل ٩٩ ML99 Lighter) وقوارب البحرية للنجاة التسعة باتجاه الشاطئ، وكانت مهمة صعبة بسبب البحر الهائج والرياح المتزايدة، ونتيجة لذلك كان جميع الرجال مرضى للغاية، وسبب التأخير الكبير هو تقطع حبال السحب وقذف قوارب النجاة على غير هدى مما أدى إلى التفاف المدمرة البحرية (إم إل ٩) والمدمرة (غوردن) حولها لالتقاطها مرة أخرى، ومع الغسق رسا (غوردن) في مكان الإنزال المختار، وفي نفس الوقت نزلت المدمرة على بُعد (١٠٠) ياردة من الشاطئ.

كانت هناك صعوبات أخرى وهي أن عواصف الرياح القوية دفعت خمسة قوارب نجاة باتجاه الشمال مما أدى بها جميعاً إلى الشاطئ باستثناء قارب نجاة واحد فقط، وتحطم اثنان آخران وتم إبعادهما عن العمل، ومع ذلك نزل جميع الرجال بسلام من قوارب النجاة وتم إرسالهم كمجموعة تغطية، استلزمت الرياح القوية والأمواج العاتية تغيير الخطط، وكان من المستحيل حينها تنفيذ الخطة الأصلية المتمثلة في نزول الرجال من المدمرتين، لذلك جنحت المدمرة للسفينة البحرية واستخدمت قوارب النجاة كممرات وتم الإنزال، ليعود هذان المركبان إلى المدمرة لإنزال القوات منه، ليكتمل الإنزال عند الساعة (٤) صباحاً في السادس عشر من ديسمبر، وأثناء عملية الإنزال

انطلق سنبيق من الشاطئ حاملاً علم الهدنة، كما تم تسليم رسالة ذات طابع مؤقت من القائد في صنعاء، إلا أنه تم اعتقال طاقم السنبيق ولم يعطى أي رد على رسالة القائد.

تقرر أن يتم إطلاق بضع القذائف من مدافع السفن في منتصف الليل في نقاط معينة حول المدينة ولكن في اللحظة الأخيرة تم إلغاء الأمر، حيث كان يعتقد أن الظلام قد يخفي العمليات لجعل قيادة العدو تقتصر أن رسالة القائد الأعلى أثمرت ولو شيئاً يسيراً.

بدأ الهجوم على الحديدية في الساعة (٥:٣٠) من يوم (١٦ / ديسمبر /) عندما قامت إحدى السرايا بعد تقدمها باتجاه الحصن الشمالي بالتحرك عبر المدينة وعلى طول شاطئ البحر، وتقدمت سرية ثانية على طول الطرف الشرقي للمدينة بهدف السيطرة على الثكنة التركية، فيما تبعها سرية أخرى إلى اليمن بنسق خلفي، وتم الاحتفاظ بسرية رابعة في الاحتياط، كانت السفينة البحرية (جونو June) في حالة استعداد لتغطية التقدم بوابل من الصواريخ لكن هذا لم يستخدم أبداً، ومع ذلك كانت (جونو June) و (سوبا Suva) تطلقان نيران مدافعهما من حين لآخر في مواقع محددة، وفي الساعة (٧) صباحاً وصلت سفينة حربية أخرى تسمى (بروسبرين Prosperine) ورسد بالقرب من (سوبا Suva).

في هذه الأثناء وعند الساعة السادسة صباحاً، وعلى الأرض تعرضت السريتان الأولى والثانية وأيضاً السرية الثالثة التي تم إعادة توجيهها لإطلاق نار غير دقيق من أطراف وأفراد مختلفين، وبعد ساعة دخلت السرية اليمنى إلى المدينة واشتبكت مع القناصة، تبع ذلك قتال عنيف، من منزل إلى منزل، حيث ظهرت القنابل المنازل بشكل فعال، وتم أسر أربعة ضباط أتراك وهم :-

- ١- البمباشي زكي بك قائد الحديدية .
- ٢- حيدر محمد كابتن الميناء
- ٣- رجب بيك قائد الدرك.
- ٤- الملازم سعيد أفندي قائد الفوج (١١٠/١).

ثم قام الفصيل الثالث من هذه السرية بتطهير المدينة، واتخذ موقفاً على الكثبان الرملية المحرقة والمتشحة بالسواد جنوب المدينة حيث تعرضت لنيران كثيفة من مدافع (نوردنفيلد Nordenfeldt) .

واجهت السرية الموجودة على اليسار والسرية التي تقف خلفها مقاومة ضعيفة، وبحلول الساعة (٧،٠٠) وصلت إلى الثكنات التركية والمستشفى حيث تم أسر سبعة سجناء، ومن ثم تم إرسال دورية " للتواصل مع السرية اليمنى التي كانت منخرطة في قتال مع عدو شرس متمرس يقا تل بقوة، حيث نفذت ثلاث كتائب من السرية اليمنى هجوماً بارعاً أطاح بالعدو الذي كان عدده (٢٠٠) فرد مقاتل، والذي يبعد عن موقعه الذي يقع في جنوب المدينة (٨٠٠) ياردة، كما تم كسر هجوم مضاد مترنح من قبل العدو، ثم استولت هذه السرية على موقع جنوب المنطقة التي تم الاستيلاء عليها لينسحب منها العدو، وأثناء الهجوم تمت مساعدة السرية الموجودة على الجانب الأيمن بنيران من السفينتين الحربيتين (جون (Juno و(بروسبرين Prosperin)، وهذا ما أدى إلى إيقاف نيران البندقية ونيران مدافع (نوردنفيلد Nordenfeldt).

بحلول الساعة الثامنة والنصف صباحاً تم إنشاء ثلاث محطات إشارة؛ اثنتان على الأطراف الخارجية للمدينة إلى الشمال والجنوب الشرقي، والثالثة بالقرب من وسط الواجهة البحرية [الكورنيش حالياً]، وبعد أن تم احتلال المدينة بنجاح، أشار الضابط الذي يقود القوات البريطانية (سوسيتا Susetta) إلى إغلاق الميناء من أجل إنزال الحصى التموينية، وتم إرسال تقرير الاحتلال الموفق للحديدة إلى عدن في الساعة (١٠:٣٠) صباحاً^(١)، وقد كلفت العملية البريطانية ثلاث جرحى فقط^(٢)، بينما تم أسر أكثر من عشرين تركياً واغتنام خمسة مدافع من طراز نوردنفيلد Nordenfeldt^(٣).

أصبح إرسال التعزيزات إلى الحديدة مسألة ملحة للغاية، ففي ليلة (١٦ / ١٧ ديسمبر) شنت قوة تركية يمنية مشتركة هجوماً فاشلاً على المدينة، بينما أطلق القناصة العرب في الخامس والعشرين النار على المواقع العسكرية البريطانية^(٤)، وعلاوة على ذلك لم يكن موقع القوات البريطانية في الحديدة آمناً للغاية حيث كان على الحامية

(1) This account of the occupation of al-Hudaydah is based on SNO, RSP. 23. 12. 1918 in ADM 137/1783, f. 200-205 and on Report on landing at and capture of Hodeidah. In: War Diary of Gen. Staff. Aden Field Force (AFF) for period 1- 31. 12. 1918 in WO 95/5434. See also GOC Aden to WO, 14. 12. 1918 in CAB 27/38, f. 179 and in FO 371/3416. See also SNO. RSP to Rear Adm., Egypt, 23. 12. 1918 in FO141/642/10052 and GOC Aden to WO, 14.12.1918 in CAB 27/36, f. 191.

(2) GOC Aden to WO, 14.12. 1918 in CAB 27/38, f.191. and Arab Bureau 108 in FO 882/27.

(3) AB 108: War Diary, Gen. Staff, AFF for Dec. 1918 in WO 95/5434

(4) War Diary, Gen. Staff, AFF for Dec. 1918 : GOC Aden to WO, 27.12.

أيضاً الاحتفاظ بالآبار على بعد ميلين من المدينة^(١)، لذلك أبحرت مجموعة مكونة من (١٠) مدافع هاون في (١٨ / ديسمبر /) من عدن لتصل إلى الحديدة بعد يومين^(٢)، في اليوم التالي وصلت سريتان من (الراجبوت السابع (Rajputs vth) لتعزيز (غريناديرز ١٠١ / ٢) (Grenadiers 2 / 101)^(٣).

خامساً: الأهداف البريطانية في الحديدة :

تكونت لبريطانيا ثلاثة أهداف من احتلال الحديدة، فقد كانوا يهدفون:-

- ١- لامتلاك قاعدة لتأمين استسلام القوات التركية.
 - ٢- عودة الأسرى.
 - ٣- عودة الرعايا البريطانيين المعتقلين.
- كان يُعتقد أن هناك (١٣٢) هندياً بريطانياً و(٤٦) يونانياً ويهودياً وكاثوليكياً سورياً محتجزين في السجون التركية^(٤)، وأعطت بريطانيا باعتبارها القوة العظمى ذات التأثير الأكبر في شبه الجزيرة العربية لنفسها الحق في الحفاظ على النظام في المدينة ومحيطها بانتظار قرار بشأن ملكيتها النهائية^(٥)، وتمت إضافة هدف رابع بعد استسلام الأتراك، هو:
- ٤- تقرر الاحتفاظ بالسيطرة على المدينة كوسيلة للضغط على الإمام يحيى لإخلاء أجزاء من محمية عدن التي يحتلها رجال قبيلته.

١- الإفراج عن الأسرى:

لم يتحقق هدفهم الأول إلا بعد تواجد القوات البريطانية في الحديدة لمدة شهر، ففي (١٦ / يناير / ١٩١٩) وصلت أول مجموعة من المعتقلين السابقين بما في ذلك ستة بريطانيين و(٦٢) بريطانياً هندياً إلى الحديدة برفقة الضابط التركي إلياس بيك وشيوخ باجل وقبيلة القحري وأسياد المراوعة^(٦).

(1) ADM 137/872, f. 325.

(2) War Diary. Op. cit.

(3) GOC Aden to WO, 21.12. 1918 in FO 371/4162

(4) Cowajee Dinshaw, and Bros to Res., on 21. 12. 1918 in R 20/A3A/69/2

(5) FO memo in FO 141/642/10052. Copy in ADM 137/1783.

(6) st Aden News Letter, 5.2.1918 in L/P and S/10/611.

وفي اليوم التالي وصلت مجموعة أصغر من السجناء السابقين، في الوقت الذي أبحر ما مجموعه (١٣٠) سجيناً تم إطلاق سراحهم من الحديدية على متن السفينة (إس إس جوبا SS Juba) حيث وصلوا عدن في (٢٢ / يناير)^(١)، وقد كان من الذين أطلق سراحهم (كلا من بيكويل Bakewell)، (وكريتون Crighton)، (ولودج Lodge)، وموظفي السيد (جون جاكسون Sir John Jackson) ورفاقه وكذلك (كاودري Cowdry) و(بيلييه Bailey) بالإضافة إلى موظفي الدين العام العثماني في الصليف.

٢. الاستسلام التركي؛

في البداية كان للإنزال الذي قامت به الأساطيل البريطانية في الحديدية تأثير معاكس لما كان مخطط له، ففي ليلة (١٦ / ١٧ ديسمبر) وبعد ساعات من احتلال القوات البريطانية لمدينة الحديدية، فقام (٣٠٠) تركي و(٨٠٠) عربي مع ثلاثة مدافع أحضرت من الجبال بشن هجوم فاشل على المدينة، وقد اعتقد البريطانيون أن كتيبة تركية من باجل أو مناخة تأتمر بأوامر القيادة العامة التركية كانت منخرطة في الهجوم^(٢).

ووصلت معلومات للحديدة في يوم الهجوم أن القائد العام قد منع صراحة جميع الكتائب التركية من الامتثال لشروط الهدنة^(٣)، وقد أدت هذه المعلومات والأخبار المتعلقة بالهجوم إلى حث قائد المخابرات العسكرية في مكتب الحرب ووزارة الخارجية على إبلاغ الحكومة التركية بأنه لن يتم إعفاء هذه الحكومة وتنصلها من المسؤولية تجاه سلوك قائد الفيلق السابع في الجيش التركي، وأنه ما لم تتخذ حكومة القسطنطينية إجراءات فورية وأكثر فاعلية لمنع المزيد من انتهاك الهدنة وخرقها فإن بريطانيا ستكون ملزمة بتنفيذ مزيد من الإجراءات في القسطنطينية لتنفيذ مطالبها^(٤).

(1) R 20/A3A/69/2. Eifht Britons, 12 Greeks and 110 Indians (Telephone message HQ AFF to Res., 21. 1. 1919 in R 20/A3A/69/2). Other prisoners released included the former dragoman of the French consulate, 2 Italians, a Lebanese and Armenian doctor, a Greek and Slav dresser all from Kamaran (HMS Odin to Res. Naval Officer, Aden, 21.1.1919 in R 20./A3A/69/2). On landing at al-Hudaydah the British found 1 Hellenic and 9 Ottoman Greeks in the town: 29 other Hellenic subjects arrived at al-Hudaydah from the interior on 14. Jan. 1920.(PO to Res. in R 20./A3A/69/2).

(2) GOC Aden to WO, 17.12. 1918 in CAB 27/38, f. 243. Also in FO 371/3416. See also AB108.

(3) GOC Aden to WO, 17. 2. 1919 in CAB 27/38. F. 329.

(4) DMI to FO 23. 12. 1918 in FO 371/3416.

بناءً على ذلك أصدرت وزارة الخارجية تعليمات للأدميرال (كالثورب Calthorpe) في العاصمة التركية لتحذير السلطات هناك من أن بريطانيا ستلجأ إلى اتخاذ إجراءات أكثر حدة وصرامة ما لم يتم تتخذ خطوات أكثر فعالية وقوة لإيقاف المزيد من الانتهاكات والخروقات شروط الهدنة في اليمن^(١).

في نفس الوقت بذلت محاولات أخرى لتأمين استسلام القوات التركية في اليمن، فقد كان الأدميرال ويب Webb قد طلب من الحكومة التركية إرسال ضابط يتم إنزاله في أي ميناء مناسب بأوامر مكتوبة إلى القادة الأتراك الذين لم يستسلموا في عسير واليمن^(٢)، وفي غضون خمسة أيام وصل ضابط تركي إلى بور سعيد [في الأصل Port Said] في طريقه إلى اليمن^(٣)، حيث وصل في (١٢/يناير /)، وبعد بضعة أيام التقى إلياس بك^(٤) الذي سلمه رسالة موجهة إلى توفيق باشا في صنعاء تضمنت أوامر إلى جميع الحاميات التركية في اليمن بالاستسلام الفوري.

لم يكن إلياس بك أول ممثل لتوفيق باشا يقوم بزيارة السلطات البريطانية، ففي (٣١/ديسمبر /) وصل ضابطاً أركان إلى عدن عن طريق الحديدة لطلب الإذن لهما بالتوجه إلى القسطنطينية أو بدلاً من ذلك السماح لهما بالتواصل مع فخري باشا في المدينة المنورة من أجل الحصول على تعليمات من حكومتهم، وعندما رد القائد العام البريطاني أنه من المستحيل تلبية طلباتهما ورفض الطلبين، أثار الضابطان مسألة معارضة الإمام يحيى لإجلاء القوات التركية من اليمن، فتم إبلاغهما أن الإمام يحيى سيتحمل المسؤولية كاملة عن أمن وسلامة الحاميات التي تحت سلطته إلا أن تلك الأوامر بالاستسلام الفوري للحاميات في تهامة خارج مناطق الأئمة ونفوذهم وبإمكان توفيق باشا إصدارها، ثم أعيد الضابطان اللذان لا يملكان صلاحيات سلطة التفاوض إلى صنعاء لإبلاغ توفيق باشا بنتيجة مناقشاتهما التي دارت في عدن^(٥).

أشار مبعوثا توفيق باشا أثناء محادثتهما في عدن إلى رفض الإمام للأتراك بالاستسلام، ولكن في وقت مبكر من (٢٣/ديسمبر /) بعد احتلال الحديدة تلقى

(1) FO to Adm, Calthorpe, Constantinople, 30. 12. 1918 in CAB 27/39 f.268.

(2) Adm, Webb to FO, 29.12.1918 in FO 371/3416.

(3) ADM 137/872, F. 257.

(4) 1 st Aden News Letter, 5.2.1919 in L/P and S/10/611.

(5) GOC Aden to WO, 1.1. 1919 in CAB 27/39, f. 278. See also in FO 371/3416. See also War Diary, Gen. Staff, AFF for Dec. 1918 in WO 95/5434 .

القائد البريطاني الذي يحكم الحديدية رسالة من الإمام يحيى تعهد « فيها بالتخلص من الأتراك والسجناء بالطريقة التي يرغب البريطانيون فيها »^(١).

وبعد استلام الرسالة التي تم إحضارها من القسطنطينية في (١٧/يناير) والتي نصت على الاستسلام الفوري، أعلن اللواء توفيق باشا عن نيته تسليم قواته^(٢)، وفي الحديدية كان هناك ترقب لوصول ضابط الارتباط التركي من صنعاء لترتيب تفاصيل عملية الاستسلام^(٣).

ومع ذلك لم تُبحر السفينة (البنتاكتا Pentaketa) من الحديدية حتى (٤/فبراير/) وعلى متنها المجموعة الأولى التي استسلمت وهم :- (٦٣) ضابطاً، و(٨٨٢) رجلاً، و(٧٣) امرأة، و(٦٦) طفلاً^(٤). وفي (١١/فبراير/) استسلم (٨٠٠) رجل آخر مع ستة مدافع^(٥). في (١٥/فبراير/) أبحر (٦٨) ضابطاً و(٩١٦) رجلاً معظمهم من الفرقة الأربعين من الحديدية إلى مصر^(٦).

في الأول من مارس غادر (١٠٤) من الضباط و(١٠٧٩) رجلاً و(٢١) مدنياً و(٢٠٤) امرأة وطفلاً ركبوا بحراً من الحديدية^(٧). وبعد مرور عشرة أيام أبحر (٣٩) ضابطاً، و(٩٦٦) رجلاً إلى عدن، وفي اليوم الخامس والعشرين غادرت مجموعة أخيرة الحديدية متوجهة إلى عدن قوامها :- (٨٠) ضابطاً، (٤٣٤) رجلاً، و(١٩٩) امرأة^(٨). فيصبح المجموع الكلي للأتراك الذين استسلموا في الحديدية (٥٣٠٥) تركي، في حين بلغ عدد المستسلمين في كل من اليمن وعسير (٧١٤) ضابطاً، و(٩٠٣٢) رجلاً، و(٢٠٥) مدني، و(١٠٣٠) امرأة وطفل، فيما اختار عدد كبير من الأتراك البقاء في اليمن، وقد بلغت تكلفة إجلاء الأفراد المدنيين والعسكريين من اليمن (١٤٧٠٠) جنيه إسترليني^(٩).

(1) GOC Aden to WO, 23.12. 1918 quoting Imam's message in FO 371/4162.

(2) War Diary, Gen. Staff, AFF, Jan. 1919 in WO 95/5434.

(3) GOC Aden to WO, 20. 1. 1919 in FO 371/4162.

(4) HME Espiegle to SNO, RSP, 28. 2. 1919. In ADM 137/2515.

(5) FO 141/642/10052.

(6) War Diary, Gen. Staff, AFF, Feb. 1919 in WO 95/5434

(7) War Diary, Gen. Staff, AFF, Mar. 1919 in WO 95/5434

(8) Ibid.

(9) IO to FO, 28. 6. 1923 in FO 371/8945, f. 40.

سادساً: الإدارة البريطانية للحديدة:

على الرغم من أن المنطقة الواقعة تحت الاحتلال البريطاني كانت صغيرة جداً، حيث كان نطاق محيطها يتراوح من أربعة إلى خمسة أميال فقط، إلا أن قوة عدد الحامية فيها ارتفعت ووصلت إلى (١٥٠٠) جندياً، في وقت احتجاز بعثة جاكوب في باجل، وتم تخفيضه لاحقاً فقط بسبب عدم احتمال وقوع مزيد من الهجمات القبلية التهامية.

فقد تم استبدال قوات المشاة الـ (١٠١) الذين شاركوا في الإنزال في ديسمبر (١٩١٨م) لاحقاً بسلاح المشاة (الكارناتيك ٧٥: Carnatic 75) تحت قيادة الكولونيل سي دي فيلد (C.D.Field)^(١)، حيث تم إعفائهم بدورهم من قبل القيادة العليا تحت قيادة العقيد دوغلاس. (Douglas)^(٢).

وطوال فترة الاحتلال البريطاني وُضعت الحديدة تحت الحكم العسكري المباشر، ففي حالة غياب أي أنظمة أو قوانين في المدينة بعد إيقاف جميع المسؤولين السابقين؛ أصبح القائد العام في عدن هو صاحب السلطة لإصدار القوانين المناسبة لضبط الأنظمة في الحالات العادية وبالتالي فإن جميع الأوامر التي يصدرها أو يصادق عليها من قبله يجب تنفيذها من قبل أولئك الموجودين في السلطات المسؤولة بالحديدة.

وتولت السلطات العسكرية المسؤولية الكاملة عن الدفاع عن المدينة وإدارة العدالة الجنائية، وبالنسبة لشؤون البلدية فقد عهد بها وتفويضها إلى الضابط السياسي الذي كان يقع نظرياً تحت الإشراف العام للإدارة العسكرية، لكن عملياً كان الضابط السياسي يحيل جميع القضايا التي تتطلب قرارات حاسمة إلى المندوب السامي البريطاني في عدن بدلاً من المسؤول العسكري، وشملت واجبات ومهام الضابط السياسي جمع المعلومات السياسية وإدارة الشؤون البلدية والصرف الصحي والجمارك وشؤون الشرطة ومساعدة الفقراء، وقد استعان في هذه الأمور بكبار التجار المهمين والتجار عامة بالحديدة الذين تم اختيارهم لعضوية اللجان المنشأة للإدارة الداخلية للمدينة والبلدية، وقد وضعت مسؤولية تأمين إطلاق سراح أعضاء بعثة جاكوب بيد اثنين من الضباط السياسيين، وهما ريتشاردسون وميك، خلال (٢٦) شهراً من الإدارة البريطانية، شغل مدنيان وضابطان في الجيش منصب الضابط السياسي.

(1) Letter of proceeding HMS Bryony, 14. 6. 1919 in ADM 137/2516. See also R20/A4F/2.

(2) FO 371/4213:FO 141/434/10052
R 20/A2A/110/1/1, f. 210.

حيث كان أولهم جي. أي. (ريتشارد سون G.A Richardson) نائب القنصل في الحديدة وكمّر أن لعدة سنوات قبل اندلاع الحرب العالمية، والذي كان خلال الحرب ضابطاً سياسياً في خفر سواحل البحر الأحمر، وكان ريتشاردسون ضمن قادة قوات الاحتلال البريطانية المهاجمة للحديدة في ديسمبر ١٩١٨، حيث ظل بالحديدة حتى داهمه مرض خطير واضطرتته صحته للمغادرة لتلقي الرعاية الطبية والعلاج في (أكتوبر ١٩١٩م)، عندما حل محله الرائد (إيه. إس. ميك A.S. Meek) وقد وصلت العلاقات بين البريطانيين والعرب إلى أسوأ مستوياتها خلال عهد ولاية ريتشاردسون، ساهم ميك من خلال توطيد علاقاته بنجاح مع كل من رجال القبائل المجاورة وسكان المدينة الأمر الذي أدى إلى حد كبير في إطلاق سراح بعثة جاكوب، ليحل محله النقيب (جوردون Gordon)، في (فبراير ١٩٢٠م)، وبقي في الحديدة حتى بداية الصيف، وخلفه (إيه. إل. ستيل L.A. Steele) كضابط سياسي والذي كان من أهم منجزاته هو نقل مسؤولية الشؤون البلدية إلى لجان منتخبة تم تشكيلها من كبار التجار بالمدينة، بعد عملية الاحتلال للحديدة وعند وصول ريتشاردسون إلى الحديدة في (ديسمبر/١٩١٨م) تلقى دعوة من موظف في البنك الإمبراطوري العثماني للإقامة في مقر البنك المطل على شاطئ البحر، وتم تأكيد الترتيبات لاحقاً من قبل مدير البنك (كرجي Kurkgy)، وفي (فبراير/١٩٢١م) استولت الوكالة البريطانية السياسية على المقر^(١).

١- القرار البريطاني بالبقاء في الحديدة :

بالرغم من أن توفيق باشا القائد الأعلى التركي في اليمن رفض الاستسلام بعد علمه بالهدنة، إلا أنه أمر بوقف الحرب والأعمال العدائية، وقد مكن هذا الزعيمين العربيين الرئيسيين في اليمن، وهما: السيد محمد الإدريسي والإمام يحيى من بسط سلطتهما الإقليمية بسرعة في تلك المناطق التي كان يسيطر عليها الأتراك سابقاً، وبحلول ديسمبر (١٩١٨م) سلمت جميع القبائل تقريباً بين صيبا والزيدية الرهائن للإدريسي، كما طالبت عدة قبائل في جنوب الزيدية باحتلال أراضيها، إلا أنه امتنع عن الزحف إلى تلك المناطق احتراماً لرغبات بريطانيا.

وبالمثل في المرتفعات ثبت الإمام يحيى سلطته بسرعة، وعبرت قواته من تعز إلى محمية عدن واحتلت أجزاء من أراضي الضالع ويافع العليا والحوشب^(٢)، كما أنه أرسل

(1) Richardson to Res., 17.2.1922 in R 20/A2A/110/1/2 and FO 371/7722, f. 158.

(2) for further details of the Imam's incursion into the Protectorate see R.J. GARVIN: Aden under British rule. London 1975, 261 – 262.

وفداً إلى تهامة طالباً الحصول على ولاء القبائل الشافعية، إلا أن طلبه قوبل بالرفض الشديد؛ لأن معظم القبائل التهامية الشافعية قبلت بالفعل الانضمام لسلطة الإدريسي.

في حين كانت هناك ثلاث قبائل تهامية قد رفضت مبادرات كلا الجانبين الأمامي والإدريسي، وهي قبائل الزرانيق والقحرى والعيسية التي كانت تحيط أراضيها بالحديدة، ومما زاد من تعقيد الوضع هو أن قبيلتي القحرى والعيسية طالبتا بالحديدة بحجة أنها ملك لهما وأنها من ضمن حدودها ونفوذهما القبلي، مما أدى إلى المزيد من تعقيد الوضع.

تركت هذه الادعاءات غير القابلة للحل والمزاعم المضادة، بريطانيا في مأزق، فالانسحاب من الحديدة قد يؤدي إلى صراع دموي بين الإمام والإدريسي للسيطرة على المدينة، وقد يستجد الإمام بالإيطاليين لمساندته، والذي قد يؤدي من شأنه في نظر البريطانيين إلى إدخال تعقيدات خطيرة في مسألة مصير الجزيرة العربية، وخاصة عقب الأيام الأولى من النصر حيث ركز البريطانيون لجعل شبه الجزيرة العربية بأكملها بريطانية حصراً وتحت نفوذها^(١)، وقد كانت هناك حجة أخرى ضد قرار الانسحاب البريطاني من الحديدة وهي حقيقة أنه لا سكان المدينة ولا القبائل المجاورة سيرحبون بالإدريسي أو بالحكم الأمامي والرفض المطلق لهما.

مع ذلك كان من المفارقات أن احتفاظ بريطانيا بملكية الحديدة لن يرضي أيًا من الأطراف، فالقبائل التهامية التي تأثرت بالدعاية التركية كانت تطالب بعودة الأتراك، في حين فضل التجار أي حكومة إسلامية تحكمهم لكن ليس حكومة الإمام أو الإدريسي، وقد اعتبر الإدريسي نفسه الحاكم الشرعي لتهامة الشافعية، بينما ضغط الإمام يحيى على مطالبته بالحديدة على أساس أنها حق أجداده وأن أسلافه سيطروا عليها متخذاً ذلك قاعدة مزاعمه، الخلاصة أن الحديدة مفتاح للسيطرة على تهامة بأكملها، وأما بالنسبة للإمام كانت منفذاً حيويًا له إلى البحر.

نشأت المزيد من التعقيدات من الصراع بين البريطانيين فيما يتعلق بأيام الحرب ورغبات ما بعد الحرب، فقد كانت بريطانيا وعدت في معاهدتين في زمن الحرب أبرمتا مع الإدريسي باستخدام كل الوسائل الدبلوماسية في قوتها للفصل بين الادعاءات التنافسية للإدريسي والإمام يحيى^(٢)، مقابل تعهد الإدريسي بالهجوم والسعي لإبعاد الأتراك عن مواقعهم في اليمن^(٣).

(1) GARVIN, op. cit., 258.

(2) Art. 5. Treaty of 30. 4. 1915.

(3) Ibid., Art. 5.

بعد الحرب أصبح من الواضح أن الإمام يحيى وليس الإدريسي سيكون أقوى قوة سياسية في اليمن، وقد فكرت بريطانيا في تسليم الحديد له كثمن لانسحاب القوات اليمنية من محمية عدن، واعتقد الإمام أنه بإمكانه من خلال استمرار احتلاله لأجزاء من المحمية إجبار بريطانيا على التخلي عن دعمها للإدريسي والتنازل عن الحديد له، علاوة على ذلك كان للإمام مطالبات تاريخية بالمحمية.

كان الإمام في هذه الأثناء يتخذ خطوات دبلوماسية في محاولة للضغط على بريطانيا لإخلاء الحديد، ففي وقت مبكر من مارس (١٩١٨م) دعا المندوب السامي في عدن الإمام يحيى للوقوف إلى جانب البريطانيين وإخراج الأتراك من اليمن مقابل فتح ميناء للتجارة لمصلحته، وفي رد غير ملزم في مايو قدم الإمام اثني عشر طلباً أحدها كان الفتح الفوري للتجارة سواء في الحديد أو المخا^(١).

كان من بين اهتمامات الإمام الرئيسية بمجرد انتهاء الحرب استعادة ممتلكات أسلافه، ومن هذا المنطلق حرر رسالة إلى الملك جورج الخامس مدعياً أن اليمن كان تحت الحكم الامامي لأسلافه منذ (١٠٠٠) عام وأكثر، وتابع أنه تنبه فجأة بنشاط القوات البريطانية في الحديد التي اعتبرها المنطقة الوحيدة في اليمن التي تستحق أن يطلق عليها ميناء حيث أحدث هذا النشاط البريطاني انطباعاً سيئاً، وأثار استياءً كبيراً بين جميع أفراد الشعب اليمني، وأضاف: «لكننا بطبيعتنا حريصون للغاية على تجنب إراقة الدماء». وفي ظل هذه الظروف أرسل وفداً إلى عدن لإجراء مباحثات^(٢).

وقد سلم مبعوثو الإمام رسائل موجهة إلى رئيسي فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وإلى ملك إيطاليا أثناء تواجدهم في عدن، حيث سلمت هذه الرسائل إلى قناصل تلك البلدان، وقد احتوت الرسائل على احتجاج حول الاحتلال البريطاني للحديدة التي كان كما أكد الإمام أحد أملاكه الرئيسية^(٣)، وعندما تم اكتشاف أنشطة المبعوثين وتحركاتهم تم ترحيلهم فوراً إلى صنعاء مباشرة حتى قبل بدء المباحثات.

بدأت المكافآت الإقليمية لمساندة الإدريسي المخلص لبريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى، كما لو كانت هزيلة للغاية، فقد أذعن بالفعل لخسارة القنفذة للملك الحسين

(1) « Summary of events », op. cit.

(2) Imam Yaya to the « Illustrious King of Great Britain », 18 Rabi 1, 1337 (Dec 1918) in FO 371/4162.

(3) GOC Aden to WO, 12. 1. 1919 in FO 371/4162.

ملك الحجاز، كما بدا لو أنه كان على وشك خسارة الحديد لاحتلالها الإمام الذي حافظ في أحسن الأحوال على حياده أثناء الحرب، عبر الإدريسي نفسه بقوله «كوننا حلفاء فلدينا مطالبة مسبقة لمن كانوا حلفاء أعداءكم»^(١)، تبع ذلك مباحثات مطولة في لندن حول السياسات التي سيتم تبنيها تجاه الإمام والإدريسي ورجال قبائل تهامة، وفي النهاية كانت وزارة الحربية هي المعارضة الوحيدة لبقاء الحديد المؤقت تحت الاحتلال البريطاني بعد إجلاء الجيش التركي، ومن القاهرة اقترح (شيثام Cheetham) أن تبقى بريطانيا في الحديد لحث الإمام على إبرام معاهدة معقولة ودائمة المدى حول قضايا المحميات والحديدة^(٢)، ورداً على ذلك اقترحت وزارة الخارجية إمكانية اعتراض الحكام المعنيين، ولتفادي اعتراضات من جانب الإمام؛ فقد تقرر أن يقوم العقيد جاكوب بزيارة الإمام ليعرض عليه استعداد حكومة جلالة الملك للاعتراف به وليقدم له تأكيدات وطمأننته على السياسات العامة^(٣)، وفي الوقت نفسه تم إرسال بعثة ثانية لتبديد شكوك الإدريسي.

في غضون ذلك أوصى شيثام مرة أخرى بالإبقاء على احتلال الحديد، في حين ضغطت وزارة الحربية من أجل إجلاء بريطاني فوري بعد مغادرة آخر جندي من القوات التركية البلاد^(٤)، ثم أبلغت وزارة الخارجية (الفيكونت اللنبي Allenby) بالآراء المتضاربة وطلبت منه إبداء رأيه الشخصي، فأجاب بأن بضرورة إبقاء الحديد تحت الاحتلال البريطاني حتى يحين الوقت الذي يتضح فيه الموقف البريطاني من الإمام ومواقف الامام^(٥)، وفي اتصال آخر في وقت لاحق مع وزارة الخارجية أشار اللنبي إلى أن تأجيل التسوية مع الإمام يجب أن يشمل التأخير في الجلاء عن مدينة الحديد^(٦).

فيما بعد أبرق كلايتون Clayton؛ بأن السياسة البريطانية يجب أن تكون الاحتفاظ المؤقت باحتلال الحديد حتى تتم تسوية جميع القضايا^(٧)، وفي (٥ مايو) قبلت وزارة الخارجية توصيات اللنبي وأعطت وزارة الحرب موافقتها على مضمون^(٨).

(1) Idrisi to Ras., 12.4.1919 in L/P and S/10/1089 and R 20/A4F/2.

(2) Cheetham to FO, 11.3.1919 in FO 371/4212.

(3) Report by Lt. Col. Jacob on his mission to the Yemen in FO.

(4) DMI to FO, 12.4. 1919 in FO 371/4212, f. 47 .

(5) Allenby to FO, 12. 4. 1919 in FO 371/4212, f. 63 .

(6) Allenby to FO, 26. 5. 1919 in FO 371/4212, f. 149 .

(7) (3)Allenby to fo ,26. 5. 1919 in FO 371/4212,f.149.On 5. 4. 1919. In FO 882/20.

(8) Handwritte memo, op. cit.

٢- دور الجيش في الحديدية:

أثار استيلاء القوات البريطانية على الحديدية حالة عداة ليس فقط من قبل الأتراك ولكن أيضاً من السكان المحليين التهاميين، وفي غضون ساعات من الإنزال وجدت قوات الاحتلال البريطانية نفسها تدافع عن المدينة من قوة عربية تركية مشتركة، ومع ذلك وعلى الرغم من الاحتمال الحقيقي لوقوع المزيد من الهجمات فقد استغرقت السلطات العسكرية وقتاً طويلاً للغاية لإكمال خطط الدفاع عن المدينة، فلم يتم اختيار موقع دفاعي يمكن للبريطانيين المحتلين أن ينسحبوا إليه في حالة حدوث هجوم من المقاومة اليمنية التهامية حتى أوائل عام (١٩١٩م)، وقد كان هذا الموقع يقع شمال المدينة على مستشفى قديم من النوع المعتاد ذي الطراز الأسقف المسطحة المكونة من ثلاثة طوابق ومحاطاً بجدارن بها فتحات وأربعة منازل حجرية سكنية عتيقة وست بؤر استيطانية^(١).

كانت إحدى سفن خفر البحر الأحمر راسية قبالة ساحل الحديدية منذ إنزال قوات الاحتلال البريطاني بهدف تسهيل الاتصالات بين الحديدية وعدن في المقام الأول، ويمكن استدعاء السفينة لمساعدة الحامية إذا تم شنت القبايل التهامية ومقاومتها الهجمات ضد قوات الاحتلال البريطاني بالمدينة؛ ولهذا الغرض تم إجراء مناورات وتدريبات على القصف المدفعي في الحديدية في (٤ أبريل ١٩١٩م) للتأكد من مدى الدقة التي يمكن أن تقصف بها السفينة (الإسبيجل Espiegle) الأرض خارج المنطقة القابلة للدفاع عنها، حيث يتم تحديد الأهداف بواسطة مخطط جهاز الهيليوغراف العسكري (Heliograph) وفقاً لمتطلبات اللحظة^(٢).

عندما تم تركيب جهاز إرسال لاسلكي عسكري في الحديدية في نهاية أغسطس (١٩١٩م) لضمان الاتصال بين الحامية وعدن، بدا أنه لم تعد هناك حاجة لوجود السفينة (الإسبيجل Espiegle) وعلاوة على ذلك تم تخفيض عدد السفن التي تتألف منها دورية خفر البحر الأحمر، ولم يعد من العملي الاحتفاظ بسفينة بشكل دائم في أي ميناء، وهكذا في (٢٨ أغسطس) أبحرت السفينة الإسبيجل إلى بور سودان، ورغم ذلك هاجمت قبيلة العبسية التهامية قوات الاحتلال البريطانية بقوة في الحديدية بعد يومين فقط، فتم استدعاء السفينة الحربية وظلت على مرابطة بالساحل في مدينة الحديدية حتى نهاية الاحتلال^(٣).

(1) ADM 137/2515.

(2) Ibid.

(3) Rear Adm. Egypt to C.-in-C. Mediterranean. 5.9.1919 in ADMA 137/2516.

(*) معركة يوم السبت :

أدى غياب أي مقاومة مسلحة للاحتلال البريطاني لعدة أشهر بعد هجوم ديسمبر (١٩١٨م) إلى إضفاء إحساس بالأمن على الحامية على الرغم من التقارير الاستخباراتية في أغسطس (١٩١٩م) التي تفيد بأن الإمام يحيى قد أصدر أوامراً إلى العبسية والقحري بمهاجمة ونهب الحديدية^(١)، وأخذت الحامية على حين غرة عندما قامت قوة من (٢٥٠ إلى ٣٠٠) من رجال القبائل التهامية قدمت من اتجاه المراوعة بقيادة السيد علي باري شيخ قبائل العبسية بالهجوم على معسكرات ونقاط الاحتلال البريطاني في مدينة الحديدية المحتلة في الساعة الخامسة من صباح يوم (٣٠/ أغسطس/ ١٩١٩م)، (السبت الرابع من ذي الحجة ١٣٣٧هـ) وبعد سيطرتهم على نقاط الحراسة في الجنوب الشرقي، انقسم المهاجمون إلى مجموعتين:-

- ١- أحدهما استولت على باب مشرف .
- ٢- في حين اتجهت المجموعة الأخرى إلى منزل الضابط السياسي ريتشاردسون حيث كان مستودع الإمدادات والنقل.

انتشروا في المدينة وبمساعدة الأهالي أنفسهم، ومن خلال ذلك وصلوا إلى فيلق حاملي الجيش (Army Bearer Corps) [من الفيالق البريطانية الشهيرة]، حيث قتلوا سبعة من هذا الفيلق، وهاجموا مخازن المؤن ووسائل النقل ومراكز التدريب، ثم تقدموا للشاطئ، واصطدموا بقوة بمعسكر الاحتلال البريطاني الأساسي المخيم على شاطئ الساحل، وبعد معركة دامية وشرسة، أجبرت قوات الاحتلال البريطانية المقاومة على الانسحاب التكتيكي أمام ضراوة وقوة قصف البوارج البحرية البريطانية من البحر والمتمركزة أمام شواطئ الحديدية، وعودة المقاومة إلى المدينة، وكان من المخطط أن تتجه تلك الوحدة العسكرية البريطانية الأخرى إلى منزل ريتشاردسون والمحطة اللاسلكية التي تم قطع الأسلاك عنها، غير أنها واجهت مقاومة عند مدخل المدينة.

في هذه الأثناء تم تعزيز جميع الوحدات العسكرية البريطانية بقوات من المستشفى التركي القديم، كما تم إرسال أربع كتائب أخرى من المستشفى لتعزيز المجموعة المتوجهة إلى منزل ريتشاردسون مع أوامر بالتوجه إلى المنزل وإخراج العدو من المدينة وقصف المدينة وإبادة ما بقي منها إذا لزم الأمر بعد أن يتم التأكد مما حدث، وهل أن ريتشاردسون في مأمن؟، وقد وجد أنه نجا دون أن يصاب بأذى على

(1) 5th Aden News Letter, Aug. 1919 in L/P and S/10/611.

الرغم من أن منزله قد دمر، وأُرسلت مجموعة أخرى لقطع الإجراء الدفاعي التراجعي لرجال القبائل التهامية، الذين انسحب معظمهم بالفعل في اتجاه المراوغة سالماً، كما استولى ثمانون من رجال القبائل التهامية على المراكب الشراعية والقوارب البريطانية، فهربوا بها من الحامية.

النتيجة قُتل ثمانية عشر من الحامية وجُرح ثلاثة عشر منهم، كما تم العثور على حوالي ثلاثين جثة من رجال القبائل [واضح أنه تم إعدامهم بدم بارد على يد القوات المحتلة البريطانية]، ولكن تم نقل عدد غير معروف من الجرحى إلى المراوغة، ليأمر الضابط أمر الحديدية إيه لوف سميث (A. Ie. Smith) بإطلاق النار على ستة من الأعداء وبدم بارد أمام سكان المدينة بدعوى "انتقاماً من تشويه القتلى البريطانيين" ^(١)، وتبين فيما بعد أن رجال علي باري نجحوا في التلاعب بولاء الشرطة العربية التي كانت تحرس مخازن الإمدادات والنقل والمستشفى ^(٢).

(*) معركة يوم الثلوث :

كان هناك هجوم ثانٍ في (٢/ سبتمبر/ ١٩١٩م الموافق الثلاثاء السابع من ذي الحجة ١٣٣٧هـ)، حيث أطلقت المقاومة في (٥،٢٥) وابل من الطلقات أمام المعسكر البريطاني رقم (١) ولكن الهجوم الفعلي تم بين المعسكر رقم (٢) والذي يقع في الزاوية بين الجهة الشرقية والجنوبية للمعسكر والمعسكر رقم (٢) ليتم صدّه بكتائب الحربة تحت قيادة الملازم أول ألدerson، ثم انسحب المهاجمون إلى سلسلة تلال على بعد حوالي (٢٠٠٠) ياردة حيث توقفوا حتى تم طردهم من قبل كتيبة أرسلت في المطاردة.

وفقاً لقيادة العمليات الحربية في الحديدية كان هدف المهاجمين هو إحداث الفوضى والقيادة العامة للضباط على الرغم من أن الهجمات تمت في جميع المعسكرات الأخرى على تلك الجبهة وخاصةً معسكرات الشرطة العربية القديمة التي لم يحقق فيها العدو نجاحاً، وخسر رجال القبائل التهامية ما يقدر بنحو (٥٠) رجلاً...!!! مقارنة بأربعة قتلى وأربعة جرحى بين الثكنات ^(٣).

(1) A. Ie. Smith to DAA General AFF, 31.8.1919 in FO 371/4212, f. 515. See also GHQ Aden to HC Cairo 1.9.1919 in FO 141/642/10052 and OC, AFF to CGS, Simla, 10.9.1919 in FO 371/4212, f. 514.

(2) 6th Aden News Letter, 4.9.1919 in L/P and S/10/611.

(3) A. Ie. Smith to DAA General AFF, 2. 9. 1919 in FO 371/4212, f. 517.

كان هناك تأخير كبير في الأمر بتجهيز المعدات العسكرية وبالكابل البحري العسكري الذي تم تحديده للحديدة بسبب عدم اليقين بشأن ما إذا كان البريطانيون سيحتفظون بحاميات عسكرية في المدينة بمجرد إجلاء جميع القوات التركية من اليمن، ولم يتم إصدار الأمر إلا في (أبريل ١٩١٩م)^(١)، وانقضت أربعة أشهر أخرى قبل تركيب المعدات^(٢)، لتتمكن الحامية من الاتصال بكمران، التي كانت نفسها متصلة مع عدن عن طريق كابل يمر من جزيرة بريم.

كان غياب المرافق التلغرافية سبباً في إحداث قدر كبير من الإزعاج للتجار بمجرد رفع الحظر التجاري في (أغسطس ١٩١٩م)، فقد كان للتجار العرب الرئيسيين في الحديدة إما فروع أو وكلاء في عدن بينما استأنفت الجالية التجارية الهندية التجارة مع معظم موانئ البحر الأحمر وموانئ شبه القارة الهندية، وبالنسبة لكلا الجاليتين – العربية والهندية – كان وجود نظام اتصالات مناسب أمراً ضرورياً، ومع ذلك لم تسمح سلطات الاحتلال العسكرية البريطانية بإرسال البرقيات التجارية من الحديدة إلى عدن والعكس بالعكس إلا في (٢١/يونيو/١٩٢٠م) عن طريق منشآت لاسلكية عسكرية في الحديدة وكمران، كما تم تشغيل الكابل من كمران إلى بريم أيضاً من قبل الجيش وشركة الاتصالات البريطانية، ولم يتبق سوى الامتداد بين بريم وعدن في أيدي شركة التلغراف الشرقية، وكانت البرقيات خاضعة للرقابة من قبل الاحتلال البريطاني، ولم يكن من المسموح للبرقية أن تتجاوز عشرين كلمة، وكان يتم تحصيل رسوم قدرها (٨) (أنه أنه Anna) وحدة عملة استخدمت في الهند البريطانية لكل كلمة بالإضافة إلى رسوم شركة التلغراف الشرقية وهي (٦) أنه، وتم تقييد العائدات لصالح الحكومة^(٣).

وقد تولى الجيش سلطة معاقبة مرتكبي الجرائم الكبرى والممارسات السيئة والإهمال الطبي، وتم تفويض إدارة الشرطة والسجن إلى الضابط السياسي بمساعدة أعضاء اللجان البلدية.

تم إلغاء المحاكم الشرعية التي عين الأتراك موظفيها، وفي أوائل عام (١٩١٩م) تم اتخاذ الإجراءات الأولى لمكافحة الممارسات الخاطئة؛ عندما عين قائد الحديدة هيئة لفحص دفاتر المحاكم الشرعية الإسلامية والتحقيق في الدعاوى المرفوعة ضد

(1) SNO. RSP to Rear Adm. Egypt, 7.4.1919 in ADM 137/2516.

(2) to Rear Adm. Egypt to C.-in-C. Mediterranean, 5.9.1919 in ADM 137/2516.

(3) Maj. L.Grant (AFF) to Res., 4.6.1920 in R.20/A2A/69/5.

مصطفى نوري بك القاضي السابق في الحديدة، والذي كان مسؤولاً عن « مخالفات جسيمة خطيرة وصارخة » ويُعتقد أنه استخدم الأموال التي احتفظت بها المحكمة على أنها أمانة وفي عهدها لصرف الرواتب المستحقة له من قبل الحكومة التركية، وسُمح له بمغادرة الحديدة إلى عدن لأنه لا يمكن مساءلته « أفعاله المشينة » التي ارتكبها قبل الاحتلال البريطاني^(١).

يبدو أن السلطات العسكرية في الحديدة كانت مستعدة لاحتجاز أولئك الذين ثبتت إدانتهم بارتكاب جرائم بسيطة محلياً فقط، وفي الحالات الأكثر خطورة تم بذل كل جهد لضمان تنفيذ الأحكام في أماكن بعيدة عن الحديدة ربما لتجنب الانتقام، وأصبح ترحيل غير المرغوب فيهم إلى عدن سمة مشتركة للإدارة العسكرية، ولم يكن هذا الإجراء محبوباً لدى السلطات في عدن، وأثار استفزاز المندوب السامي في عدن بقوة، ليستفسر عما إذا كان من الممكن للضابط القائد الذي يقود الحديدة أن ينفي لعدن غير المرغوب فيهم، والذين لا ينوي سجنهم خارج إطار سيطرته بدلاً من إرسالهم إلى عدن حيث هم غير مرغوب فيهم بنفس القدر^(٢).

رُحل (درويش صغير Darwish Saghir) وهو سفاح سيء السمعة هرب من سجن تركي، وتم ترحيله إلى كمران في مارس (١٩١٩ م) بأمر من مركز العمليات في عدن عقب أوامر من قبل السلطات العسكرية في الحديدة، وأهالي المدينة وشيوخ القبائل المجاورة وجميعهم اعتبروا وجوده في محيط الحديدة خطيراً وغير مرغوب فيه^(٣)، وفي (٤/يوليو/١٩٢٠ م) أصدرت عدن أوامر بالإفراج عنه في مدينة الصليف مع تحذير بعدم العودة إلى الحديدة.

في منتصف سبتمبر (١٩١٩ م) تم ترحيل أربعة مدنيين بعد العثور في حوزتهم على ممتلكات مسروقة إلى عدن، وانضم إليهم أربعة آخرون سبق ترحيلهم لكنهم عادوا بشكل غير قانوني، كما تم ترحيل ثمانية رجال آخرين عُثر عليهم في الحديدة ولكن كسجناء عسكريين لأنهم جاءوا من قرية المراوعة المعادية فقط^(٤).

(1) R 20 /A3A/69/2.

(2) Res. to HQ, AFF, 20. 9. 1919 in R 20/A3A/69/2.

(3) R 20/A3A/69/2.

(4) Station Staff Officer, al-Hudaydah to HQ, AFF, 15. 9. 1919 in R 20/A3A/ 69/2. 97

وفي (٢٠) سبتمبر أمر المندوب السامي بعدن بالإفراج عن الثمانية الأوائل من السجن، وبناءً عليه تم تسليمهم إلى الشرطة للترحيل خارج حدود عدن، وظل الثمانية الآخرون رهن الاعتقال في عدن كأسرى حرب^(١).

وعلى الرغم من احتجاجات المندوب السامي البريطاني، فقد استمرت الحديدة في إرسال غير المرغوب فيهم إلى عدن، أحدهم هو أحمد يحيى والذي حُكم عليه في الحديدة في (٢٤/فبراير/١٩٢٠م) بالسجن المشدد في سجن عدن المدني لمدة ستة أشهر مع الأشغال الشاقة بتهمة اقتحام منزل^(٢).

٣- الحديدة خلال ولاية ريتشاردسون (ديسمبر ١٩١٨ - أكتوبر ١٩١٩):

كجزء من المجهود الحربية ضد تركيا؛ قصفت بوارج وسفن دورية البحر الأحمر مدينة الحديدة في أربع مناسبات بين (نوفمبر ١٩١٤ وأكتوبر ١٩١٧م)^(٣)، بينما قامت (مينتو Minto) في (أبريل ١٩١٧م) بمناورات خارج الميناء لعدة أيام، وخلال غارتين على حوض بناء السفن القريب في رأس الكثيب تم تدمير أو إتلاف جميع المنشآت والبُنى التحتية^(٤)، هذه العمليات البحرية تسببت في نزوح السكان المذعورين إلى الداخل^(٥)، حيث بقوا لفترة طويلة بعد انتهاء الحرب، لم تكن هذه هي الإجراءات الوحيدة المتخذة في زمن الحرب ضد الحديدة، فقد حوَصر الساحل اليمني كله عدا أحد موانئ الإدرسي طوال فترة الحرب بهدف منع وصول الإمدادات إلى الحاميات التركية^(٦)، مما تسبب في محنة كبيرة ليس فقط للأتراك لكن أيضاً للسكان المدنيين، وبعد الهدنة تقرر استمرار الحصار وكان يهدف ذلك في البداية إلى حث القوات التركية على سرعة الاستسلام، ولاحقاً برز كوسيلة للضغط على الإمام يحيى لإبرام اتفاقية مع بريطانيا، ولم يتم رفع الحصار فعلياً إلا في أكتوبر (١٩١٩م).

هكذا عندما هبط ريتشاردسون مع قوات الاحتلال البريطانية، وجد الحديدة في أدنى مستوياتها من الانحطاط بالبُنى التحتية منذ (١٨٠٩م)، وهو العام الذي تعرضت

(1) R 20/A3A/69/2.

(2) Ibid.

(3) On 4. 11. 1919; 28. 9. 1915; 29-30. 6. 1917 & 15. 10. 1917. See J. BALDRY: British Naval Operations against Turkish Yemen (1914-1919). In: Arabica 25 (1978), 148-197.

(4) On 8-9. 9. 1915 and 11. 1. 1918..

(5) RICHARDSON: Notes, op. cit.

(6) See J. BALDRY: British Naval Operations, op. cit.

فيه الحديدية للسلب والنهب وذبح حينها العديد من سكانها على يد الوهابيين^(١)، وقد انخفض عدد السكان من (٤٥ — ٥٠,٠٠٠) نسمة في عام (١٩١٤م)، إلى ما بين (١٠٠٠ و ١٥٠٠) في نهاية الحرب^(٢)، حيث كانت الأسواق فارغة وخاوية على عروشها، وتوقفت التجارة البرية والبحرية تماماً^(٣).

كانت الحديدية تعاني من حالة رهَاب الترك [كراهية شديدة للأتراك] خلال الحرب^(٤)، وكان الأمل قد انقطع في أنه مع الهدنة واستسلام الأتراك يمكن رفع الحصار، وكانت القبائل حريصة على رؤية آخر الأتراك الذين جلبوا عليهم سوء الحظ والترحيب بالإنجليز الذين اعتقدوا أنهم سيخلفون الأتراك ويجلبوا للبلاد الغذاء والازدهار والعمران.

لكن رفع الحصار تأخر كثيراً، وعندما صدرت الأوامر برفع الحصار بعد عدة أشهر من المعاناة المستمرة، إلا أن تلك الأوامر لم تنفذ في مدينة الحديدية، وهكذا تحول الخوف من الأتراك في نوفمبر وديسمبر (١٩١٨م) تدريجياً إلى رهَاب آخر مرير من الإنجليز، وسرعان ما خلقت المعاناة الناجمة عن الحصار شعوراً بالسخط الشديد والكراهية تجاه البريطانيين بين جميع قبائل تهامة^(٥)، يجب أن يقع جزء كبير من اللوم في هذا العداء على ريتشارد سون الذي تلقى أيضاً انتقادات كثيرة من خليفته الذي اتهمه بإظهار موقف قاسٍ ومحتقر تجاه الناس ورجال القبائل وسكان المدينة في تهامة^(٦)، وهذه المواقف كانت بدورها من أسباب الهجوميين القبليين على القوات الاحتلال بالحديدية في أغسطس وسبتمبر من عام (١٩١٩م)، وزادت حالة السخط والكراهية هذه المداهمات التي نهب خلالها جميع المحلات التجارية والعديد من المنازل من المرارة العامة والسخط ضد البريطانيين.

لقد عوقبت السلطات العسكرية بشدة على عدم ولاء بعض أفراد الشرطة العربية خلال الهجوم الأول بإحراق عدد كبير من الأكواخ [العشش] في المدينة، وشملت التدابير

(1) H. St. J. PHILBY: Saudi Arabia. Beirut 1968, 117.

(2) Elsewhere the figures are given as 30,000 and 3,000 respectively. HMS Hawkins to Adm., 29. 9. 1919 in FO 371/4231.

(3) Major A. S. MEEK : Report on operations for the release of the Jacob Mission to the Imam of Yemen. In: FO 371/5145, FO 141/434/10052, FO 141/642/10052.

(4) RICHARDSON: Notes, op. cit.

(5) MEEK: Report, op. cit.

(6) Ibid.

الانتقامية الأخرى عمليات تفتيش المنازل الخاصة التي يملكها الجنود الهنود البريطانيون الذين دربهم بريطانيون من الراجبوت السابع، حيث وقعت عدة حالات سرقة وتم تدمير الممتلكات للأهالي المتهمين بالحديدة، وهذا مما زاد من سخط السكان تجاه الحكومة البريطانية^(١)، بينما كان ريتشارد سون الضابط السياسي للحديدة، لم تبذل أي محاولة تقريباً للتخفيف من محنة سكان المدينة أو رجال القبائل، فقد كان توزيع الطعام المرمي والفائض من قبل (1st Brahmans) [أفواج المشاة التابعة للجيش الهندي البريطاني] من الأشياء المفيدة القليلة جداً التي حدثت خلال فترة توليه المنصب.

أدى وصول بعثة جاكوب إلى الحديدة في (١٨/ أغسطس/ ١٩١٩م) في طريقها إلى صنعاء لإجراء مباحثات مع الإمام يحيى إلى خلق المزيد من عدم الثقة بالبريطانيين، كما فسرتها قبيلتا القحري والعيسية التهامية على أنها محاولة من قبل الحكومة البريطانية لدعم مزاعم الإمام بالحديدة ضد أمانيتهم ورغبتهم في الاستقلال، وهكذا أضيف التهديد بفقدان الاستقلال إلى القائمة الطويلة بالفعل من المظالم التي كانت القبائل تنزعج منها نتيجة للاحتلال البريطاني وهي الفقر والجوع وانعدام التجارة واحتلال عاصمتهم القبلية، وأخيراً فقدانهم استقلال تهامة وتسليمها للإمام.

لقد احتجزت قبائل القحري التهامية بعثة جاكوب البريطانية في (٢١/ أغسطس) في باجل، ولم يتم الإفراج عنها إلا في (١٣/ ديسمبر /) بعد مفاوضات مطولة وشاقة، وفي سبتمبر تم تفويض ريتشارد سون للتفاوض من أجل إطلاق سراح البعثة، ولهذا الغرض تم منحه كل السلطات لتحسين الأوضاع العامة في تهامة من خلال تدابير مثل رفع الحصار فوراً، وعرض مبلغ مالي ضخم مقطوع أو صرف مواد غذائية كبيرة للقبائل، ومن الواضح أن هذه الإجراءات والتدابير لو كانت اتخذت قبل عدة أشهر لكان من المحتمل أن تجنب احتجاز البعثة، إلا أن ريتشارد سون كان بطيئاً وسيئاً في تصرفاته، ولم يحرز تقدماً يذكر في مفاوضاته مع القبائل التهامية، ولم تنجح طريقته في معاملة ناس تهامة في كسب تعاطفهم أو تعاونهم، وعلاوة على ذلك؛ اعتبر جاكوب أنه يجب عليه بنفسه أن يتولى إدارة المفاوضات من أجل إطلاق سراحه وعرقل محاولات ريتشارد سون للقاء خاطفي البعثة^(٢).

(1) Ibid.

(2) See J. BALDRY: The detention in Bajil of the Jacob Mission to the Imam of Yemen in 1919 to be published in Studies in Islam. New Delhi.

في أواخر سبتمبر أبلغ شيوخ قبائل القحري جاكوب عن مطالبهم بالإفراج عنه، وشمل ذلك إخلاء مدينة الحديدية عاصمتهم، وإقالة ريتشارد سون من منصب الضابط السياسي، وفتح الطرق البرية إلى الحديدية للتجارة، وتابعوا يتهمون بريطانيا بتصرف شؤون العرب في أمور تخص العرب وحدهم^(١).

وفي نهاية الشهر مرض ريتشارد سون، وتم السماح له بالتوجه إلى الهند في إجازة طويلة الأجل^(٢). وفي (٥) أكتوبر وصل الرائد (إيه. إس. ميك A.S. Meek) إلى الحديدية، ليُستبدل عن ريتشارد سون كضابط سياسي في اليوم التالي، وبذلك أنهى الفترة الأقل إرضاءً للإدارة البريطانية للحديدية.

٤- الحديدية خلال ولاية الضابط السياسي ميك أكتوبر ١٩١٩ - فبراير ١٩٢٠:

وصل (ميك Meek) إلى الحديدية بصلاحيّة كاملة للتفاوض بشأن إطلاق سراح بعثة جاكوب، وقد عمل على أساس أنه من غير الصحيح أن تقبل الحكومة البريطانية فرض الشروط عليها كشرط للإفراج عن البعثة، لكن يجب على بريطانيا أن تنظر إلى التطلعات والطموحات القبلية بشكل كامل وبتعاطف وأن تضعها في عين الاعتبار، ولا ينبغي الدخول في أي مباحثات حتى عودة البعثة، وكخطوة أولى شرع في تحطيم الشعور السيئ في البلاد، وكسب حسن النية واحترام وثقة الشعب، ليبني مكان الكراهية أسس جديدة لهيبة ومكانة للاسم البريطاني، لأنه اعتبر القبض على البعثة ووصمة عار على هذا الاسم، ووصمة عار أعمق من الإهانة في سلوكها في المفاوضات وسلوك أسريها.

وفي خروج جذري عن السياسة التي اتبعها ريتشارد سون أرسل رسائل إلى جميع المشايخ المجاورين لإبلاغهم بوصوله، وإنهاء الحصار، ورغبة الحكومة في إقامة التجارة والازدهار، وتمت دعوة المشايخ لزيارته في الحديدية حيث درس كل وسيلة لكسب النوايا الحسنة للناس، والتّقل بينهم بحرية، وجعل منزله ومكتبه مقراً له ومفتوحاً للجميع، وكان ميك حريصاً على التعاون مع ضباط الحامية في جميع الأوقات، ودعوة الأعيان بالحديدية للقاء ضباط الحامية، وضمان تعديل الأنظمة العسكرية البغيضة.

كان الملازم الكولونيل (دبليو. بي. دوغلاس W. B. Douglas) حريصاً على التعاون في تقديم المساعدة الطبية، وتم إنشاء مستوصف وإدارته من قبل الكابتن (جي.

(1) Jacob to Richardson, 21. 9. 1919 in FO 141/642.

(2) Res. to HC Egypt, 27. 9. 1919 in FO 141/642/10052/60.

دبليو. جويل (J. W. Goil)، بينما قام ميك بتوسيع نطاق تقديم الإعانات للفقراء، والتحقيق في العديد من حالات تدمير الأكواخ [العشش وبيوت الصفيح والخشب] لأسباب عسكرية، وتقديم منح إنسانية للمصابين والمتضررين الذين فقد العديد منهم جميع ممتلكاتهم في حرق الأكواخ^(١).

اتخذ ميك الخطوات الأولى نحو السماح لتجار المدينة بالمشاركة في إدارة الحديد، ودعوتهم لمناقشة القضايا ذات الأهمية المحلية، وأعيد تعيين العمدة السابق [المحافظ] وتعيين القاضي، وتم إصلاح الجامع الكبير الذي قصفته البوارج البريطانية أثناء القصف^(٢).

وسرعان ما دفعت هذه السياسات إلى حث السكان على العودة إلى الحديد، وعندما وصل الجمالة من رجال القحري إلى المدينة اشترت الحاميات منهم البضائع كاملة، مما أجبر الإدريسي على زيادة الرسوم الجمركية في موانئه من أجل الحفاظ على دخله، ومع فرض الضرائب الباهظة في جيزان تحولت التجارة إلى الحديد^(٣).

أدت الإجراءات والتدابير التي اتخذها ميك إلى تغيير الأجواء في الحديد، لدرجة أنه بحلول نهاية أكتوبر بدأ العديد من التجار الكبار البارزين بمن فيهم العمدة السابق عبد القادر الشراعي وظاهر رجب وعمر المزجاجي في مساعدته بنشاط في تأمين الإفراج عن بعثة جاكوب، وتم توزيع منشورات في جميع أنحاء تهامة توضح الحقائق البارزة للحرب بين الجانبين التركي والبريطاني وهزيمة تركيا، من أجل مواجهة دعاية الحاكم العام السابق [الوالي ولاية اليمن ويقصد محمود نديم بك] لصالح الإدارة التركية في تهامة، والموقف البريطاني فيما يتعلق بالإسلام، ونوايا الحكومة الطيبة تجاه العرب وخاصة تهامة وخطورة وحمافة تصرف مشايخ القحري^(٤)، اتهم مشايخ القحري الموقعين على التعميم ببيع عقيدتهم مقابل الذهب المسيحي، وقد مُنحوا ست ساعات للتخلي الكامل عن ذلك وإلا فسيتعرضون للإبادة هم وأسرهم، وفي الوقت نفسه تم تذكير التجار بأن الحديد كانت ملكا للقحري والعيسية، وردا على ذلك نفى التجار أي خطأ فيما يتعلق بالدين أو رغبة في إيذاء القبائل. وعندما دعا مشايخ القحري في الثلاثين من أكتوبر ميك إلى باجل للمباحثات نصحه التجار بعدم الذهاب، وأثار ذلك غضب الشيوخ مرة أخرى، واتهموا التجار بالانحياز إلى جانب الكفار ضد المسلمين، ثم

(1) MEEK: Report, op. cit. See also R 20/A2A/110/1/, f. 127 & R 20/A4E/1

(2) MEEK: Report, op. cit.

(3) R 20/A4F/2.

(4) MEEK: Report, op. cit.

كرر مشايخ القحري مطالبتهم بالحديدة ووصفوا التجار بأنهم أجنب وأنهم ليسوا أهل المدينة الأصليين^(١).

في هذا الوقت تقريباً أرسل جاكوب رسالة من القحري والعيسية إلى ميك، تم فيها توجيه انتقادات شديدة للحصار، ومعاملة ريتشارد سون للسكان البغيضة، وأخيراً عمل ميك في الحديدة، واختتمت الرسالة بالتحذير من أن الفشل في إعادة الحكم التركي إلى تهامة التي زعمت الرسالة أن جميع القبائل الواقعة بين أراضي القحري وزبيد ترغب فيه، من شأنه أن يؤدي إلى هجوم قبلي جديد على الحديدة، وكان من الواضح أن الكثير من البرقية كانت ببساطة إعادة صياغة للدعاية من قبل الحاكم العام السابق [الوالي] محمود نديم الذي كان يقيم آنذاك في باجل.

لم يظهر قادة تهامة الذين التقى بهم ميك أي تفضيل خاص لاستعادة الحكم التركي، بل على العكس من ذلك؛ أعرب البعض عن تفضيلهم للاحتلال البريطاني، ربما لم يكن معروف لدى مشايخ القحري وتهامة من أن تجار الحديدة هم الذين على الرغم من تعاونهم الكامل مع ميك كان لديهم تفضيل واضح لاستعادة الحكم التركي بسبب العاطفة الدينية، وليس بسبب شعبية الإدارة التركية السابقة.

لم يحدث أي مبادلات تجارية أخرى بين التجار والقحري إلا بعد إطلاق سراح بعثة جاكوب التي وصلت إلى الحديدة في (١٢ ديسمبر ١٩١٩م) برفقة زعماء القبائل، واغتنتم سلطات الاحتلال البريطانية الفرصة لأن تشرح للمشايخ أن بريطانيا ترغب في تأمين أفضل الخطط الممكن للحكومة تنفيذها وتلبية رغبة السكان من أجل بلدهم وتأمين رفاهيتهم، ليعلن المشايخ عندها عن رضاهم^(٢).

إذن الإجراءات التي اتخذها ميك لتأمين الإفراج عن البعثة أفادت الحديدة بشكل مباشر، مما أدى إلى عودة السكان إلى نصف مستواهم قبل الحرب بحلول ديسمبر، وفي (يناير ١٩٢٠م) ادعى ميك أن سكان المدينة «كانوا ينظرون بمشاعر ودية للغاية إلى العلاقة بين وجود حكومة صاحبة الجلالة التي أعادت الرخاء والازدهار إلى مدينتهم وقدراً من الأمن الداخلي والتحرر من الجريمة التي لم تعرف من قبل، إلا أن الحبر لم يكذب في هذا التقرير حتى طلب «علماء المدينة والسادة والتجار ووجهاء المدينة وأعيانها» من ميك أن يرفعوا عريضة إلى عصبة الأمم تطالب باحتلال اليمن من

(1) Ibid.

(2) Ibid.

قبل حكومة إسلامية وحكمه عن طريقها، حيث قالوا « لا نريد أي حكومة غير حكومتنا العثمانية، وإذا لم تستجب القوى لدعوتنا، فإننا نطلب تعيين أحد أفراد عائلة الخديوي المصري ملكا علينا لأنه مسلم وعربي، ومع ذلك إذا لم يتم تلبية هذه الطلبات لا قدر الله، فسنضطر إلى انتخاب ملك عربي بموجب شروط وفقا لشروط معتمدة ومتوافق عليها، وتؤكدها القوى العظمى من خلال وساطة الحكومة البريطانية العظمى، التي يجب أن تعمل أيضًا كمفوض، لكننا لا نريد أية دولة أجنبية، وحتى يتم إبلاغنا بنتيجة هذا الإعلان (العريضة)، فإننا ندعوا لأن تبقى القوة البريطانية معنا الآن لغرض حمايتنا من البر والبحر، ومن أجل استمرار التجارة كما هي الآن، وتوسعها قدر الإمكان، وكان من ضمن الموقعين عبد القادر الشراعي وظاهر رجب وعمر المزجاجي^(١).

لم يتلق الملتمسون أي إخطار من أي من ميك أو المندوب السامي في عدن بشأن ما إذا كانت العريضة قد تم إحيلت إلى عصابة الأمم^(٢).

إلى جانب تقليص الحماية البريطانية والأنباء عن الاستبدال الوشيك للرائد ميك كضابط سياسي، قادهم لتقديم عريضة ثانية في (١٥ فبراير ١٩٢٠م) (٢٥ جمادى الأولى ١٣٣٨هـ)، وبدأت العريضة بالإشارة إلى «المعاملة الحسنة» التي تلقاها سكان المدينة من الضباط البريطانيين خلال الأشهر الأربعة الماضية، لكنهم أعربوا عن أسفهم لرحيل معظم القوات الهندية التي غادرت وانخفضت القوة التي تحمي المدينة، وهذا ما يمكن رجال القبائل من التقدم، ووضع أيديهم على المدينة والبدء بعمليات النهب، ولم يكن هذا هو القلق الوحيد حيث تواصل العريضة: «نحن نخشى أيضًا مجيء قوة الإدريسي أو قوة إمام صنعاء ... بالدبلوماسية؛ لأن قواتهم موجودة بالفعل على حدود باجل»، وتكررت المطالبة بعودة الأتراك أو إقامة حكومة مصرية «، وأخيرًا حث الملتمسون على الإبقاء على خدمات ميك «حتى يتم اتخاذ قرار بشأن طلباتنا السابقة»^(٣)، وأمرت وزارة الخارجية بإعادة العريضة إلى الحديدة مع تعليمات بأن يرسل طلب الملتمسون أنفسهم إلى عصابة الأمم^(٤).

أثارت العرائض مناقشات حول مستقبل تهامة، وتعليقًا على رغبات الملتمسين فيما يتعلق بالحكومة المستقبلية لتهامة لاحظ المندوب السامي في عدن أن الحكام العرب

(1) Petition in FO 371/5145, f. 163-164 & in R 20/A2A/110/1/1.

(2) Similarly the present writer has found no further reference to the petition in British archives.

(3) Petition in FO 371/5145, f. 174 & R 20/A2A/110/1/1.

(4) FO to Allenby, 25. 3. 1920 in FO 371/5145, f. 177.

الوحيد الذين يمكنهم إقامة مثل هذه الحكومة المستقرة هما: - إما الإمام أو الإدريسي، وحتى وقت قريب يبدو أن سياستنا قد فكرت في إدارة امامية، لكن موقف الإمام تجاه أنفسنا مشكوك فيه للغاية، وهناك دلائل الآن على أن حكم الإدريسي سيكون مفضلاً من قبل رجال القبائل وسكان تهامة بشكل عام، وأن الإدريسي تدريجياً أثبت وجوده هناك، وأعتقد أيضاً أنه يجب علينا أن نتذكر دائماً أن الإدريسي كان مؤيداً لبريطانيا، ومع ذلك فإنني أرى أنه لا ينبغي اتخاذ قرار مطلق بشأن مستقبل تهامة السياسي والحديدة خاصة حتى يتم تسوية شروط المعاهدة مع تركيا، وتم تشكيل لجنة في الحديدة يمكنها فحص حقوق الحكام المحتملين على الفور والرغبات الحقيقية للشعب هنا^(١).

تم تجاهل رغبات السكان في تهامة، التي تم التعبير عنها في العريضة، وفي (فبراير/ ١٩٢٠م) تم سحب قسم من المدافع الهاون ذات العشرة أرتال، وسريتين من المشاة الهندية، وغادر الرائد ميك إلى إنجلترا في إجازة وحل محله النقيب (جوردون Captain Gordon)^(٢).

٥- الحديدة خلال ولاية الضابط السياسي الكابتن جوردون (فبراير- مايو ١٩٢٠م):

أحدثت فترة ولاية ميك كضابط سياسي تغييرات كبيرة في الحديدة، وعلى النقيض من ذلك يمكن تسمية الأشهر القليلة لإدارة الكابتن جوردون بفترة الاندماج/ التوحيد، فقد كانت القبائل مشغلة بالدفاع عن أراضيها ضد الإمام يحيى، في حين أعرب التجار عن تقديرهم للأمن في الحديدة، وافتتحوا صندوق «إغاثة الفقراء» الذي كان يغذي (٥٠٠—٦٠٠) شخص من الفقراء يومياً^(٣)، وبدأت التجارة بالازدهار حيث بلغت الصادرات في فبراير (١٢٥،٠٠٠) روبية^(٤) (٨،٣٣٢ جنيهاً إسترلينياً)، وارتفعت قيمتها إلى (٣١٠،٣١٠) روبية (٢٠،٦٨٧ جنيهاً إسترلينياً) في مارس، في حين بلغت تكلفة الواردات في فبراير (٣٤٠،٠٠٠) روبية (٢٢،٦٦٦ جنيهاً إسترلينياً)، لكنها انخفضت إلى (٢٧٧،٧٧٧) روبية (١٥،٨٥) جنيهاً إسترلينياً في مارس.

خلال الأيام الأخيرة لميك في الحديدة، سأل المندوب السامي البريطاني عما إذا كان بإمكانه جمع الأموال لدعم المستوصف لأنه ”واجبنا أن نعتني بصحة السكان“^(٥)، وكان على جوردون الرد على استفسار عدن، حيث اقترح أنه يمكن الحفاظ على

(1) Maj. Gen. Sir James Stewart (Res.) to HC Cairo, 20. 2. 1920 in FO 371/ 5145, f. 171-173.

(2) Ibid.

(3) 7 th Aden News letter in L/P & S/10/611.

(4) Res. to HC Cairo, 20. 2. 1920, op. cit.

(5) Ibid.

المستوصف عن طريق تحويل مبلغ صغير من (٦٠٠) روبية اكتب بها التجار للفقراء، من ناحية أخرى إذا كان من الضروري جمع الأموال لتغطية جميع النفقات المدنية فمن الأفضل كما اقترح جوردون فرض رسوم استيراد بنسبة (٣٪) حسب القيمة^(١).

تجنب المندوب السامي البريطاني بعدن إعطاء إجابة مباشرة واكتفى بالاقترح أن تكاليف تشغيل المستوصف لا يجب أن يتحملها دافعوا الضرائب البريطانيون، بل تدفع من عائدات الحديد، وأضاف أن الإيرادات المحلية يجب أن تتفقه لجنة من الوجهاء والأعيان المحليين^(٢).

بعد أقل من أسبوع، أصدر المندوب السامي البريطاني تعليماته إلى الكابتن جوردون بجمع الأموال اللازمة لصيانة المستوصف، وفي غضون ذلك تم مناقشة مسألة نظام ضرائب الحديد في عدن^(٣)، وفي الثالث من مايو طلب من جوردون تقديم تقدير للإيرادات التي ستتحقق من رسوم الاستيراد بنسبة (٣٪) مع النفقات اللازمة لإدارة المدينة، وتم إخطاره بأنه نظراً لعدم وجود نية لبريطانيا في البقاء بشكل دائم في الحديد فإن الصندوق سيكون تحت السيطرة المباشرة للشعب، وأن مكتب البريد يجب أن يمارس الرقابة الاستشارية فقط، إلا إذا كان من رأيه أن إدارة الشعب تؤدي إلى إهدار كبير للمال^(٤).

في هذه المرحلة تم تعيين (إل. إيه. ستيل L. A. Steele)، كضابط سياسي بدلاً عن جوردون، وهو الذي أنهى الترتيبات الخاصة بفرض الضرائب في الحديد، وكان هناك هدفان وراء فرض رسوم الاستيراد ومنها:

- ١- كان لا بد من إزالة العبء غير العادل على دافعي الضرائب البريطانيين.
- ٢- اشتكى الإدريسي من أن تجارة ميناء الحديد الحر كان يدمر تجارته وموانئه في اللحية وميدي وجازان^(٥)، والواقع أن دخل الإدريسي من الرسوم الجمركية في ميدي انخفض من (٣٠) ألف طن متري في (أكتوبر ١٩١٩م) إلى (٣,٠٠٠) طن متري في ديسمبر^(٦).

(1) Gordon to Res., 14. 4. 1920 in R . 20/A2A/110/1/1, f. 136.

(2) Res. to Gordon, 24. 4. 1920 in R 20/A2A/110/1/1, f. 135 .

(3) Res. to Gordon, 30. 4. 1920 in R 20/A2A/110/1/1, f. 137-138.

(4) Res. to Gordon, 3. 5. 1920 in R 20/A2A/110/1/1, f. 138-139.

(5) Res. to Gordon, 8. 10. 1920 in FO 371/5148.

(6) Fazl ud-Din s Diary, 28.11.1919-12.1.1920 in FO371/k5144,f.252.

٦- الحديدة خلال ولاية الضابط السياسي إل. إيه. ستيل مايو ١٩٢٠-يناير ١٩٢١:

زار المندوب السامي البريطاني الحديدة في سبتمبر، وأبلغ أن ستيل كان «مجتهداً ومتشوقاً جداً لفعل الشيء الصحيح»، فقد كانت لديه «معرفة مفيدة باللغة العربية»، لكن تعليمه كان محدوداً «لتعليم صبي إنجليزي نشأ في ظروف سيئة في الهند»، علاوة على ذلك، كان عديم الخبرة تماماً، على الرغم من أنه كان على علاقة جيدة بكبار التجار العرب الرئيسيين في الحديدة، لكن المندوب السامي البريطاني خلص إلى أن منصب الضابط السياسي كان «أكبر بكثير بالنسبة له»، ويتطلب ضابطاً متمرساً لإدخال نظام إداري مناسب، وللسيطرة على التأثيرات المتعارضة بين السكان^(١).

قدّر ستيل أنه ستكون هناك حاجة إلى مبلغ (٤٧,٠٠٠) روبية لمواصلة الإدارة المدنية لمدة سبعة أشهر من (سبتمبر ١٩٢٠م)، ولهذا الغرض فإن فرض ضريبة بنسبة (٢٪) على الواردات عن طريق البحر ورسوم صغيرة على البضائع التي تدخل المدينة عن طريق البر من شأنه أن يجمع مبلغ (٥١,٠٠٠) روبية.

أ - (٢٪) رسوم استيراد على البضائع الداخلة عن طريق البحر (٤٦,٦٠٠) روبية.

ب - رسوم الاستيراد على البضائع التي تدخل عن طريق البر: (٢) آنة لكل حمولة جمل (٤٤٠٠) روبية، و(١) آنة لكل حمولة حمار، المجموع: - (٥١,٠٠٠) روبية.

سيغطي هذا المبلغ رواتب الموظفين والقضاة وموظفي البلدية ومضيئي إشعال المصابيح ومسؤولي وموظفي الموانئ بالإضافة إلى تغطية الإيجارات والأعمال الخيرية^(٢).

بناءً على تعليمات المندوب السامي البريطاني بعدن، فُرضت هذه الضرائب في الأول سبتمبر، ولكن لما شرع ستيل في تنفيذ هذه الإجراءات لاثني عشر من الوجهاء أوصوا بتخفيض نسبة (٥,٠٪) على رسوم الاستيراد وفرض ضريبة بنسبة (٥,٠٪) على البضائع التي تدخل الحديدة برا، حيث كانت هذه التوصيات مقبولة، وفي التاسع من سبتمبر فرضت التعريفة الجمركية المعدلة^(٣).

(1) Res. to HC Egypt, 18. 9. 1920 in FO 141/434/10052/241.

(2) Steele to Res., 7. 6. 1920 in R 20/A2A/110/1/1, f. 141. See also Res., to Curzon, 8. 10. 1920 in FO 371/5148, f. 62 & FO 141/434/10052/248.

(3) Steele to Res., 9. 9. 1920 in R 20/A2A/110/1/1, f. 156 -157.

كان من المتوقع أن تضيف ضريبة (١,٥٪) المفروضة على الواردات عن طريق البحر، وعلى السلع الأجنبية أو المحلية المستوردة عن طريق البر (٤١,٠٠٠) روبية، ورسوم (١٪) على المنتجات اليمنية المصدّرة عن طريق البحر ستجلب (٩٠٠٠) روبية أخرى، مما يجعل إجمالي الإيرادات (٥٠,٠٠٠) روبية، وتم فرض الضريبة على المصنوعات الأجنبية لمواجهة الواردات في الطائف والخوبة، وكان يتم إنزال البضائع معفاة من الضرائب، وإرسالها برا إلى الحديدة، وبالتالي حرمانها من إيرادات كبيرة، وفي سياق مناقشات ستيل مع الأعيان والوجهاء، اقترح الأعيان تخصيص بدل يتكون من (٢٥٠) روبية من الميزانية للضابط السياسي «مقابل خدماته للمدينة»، كما وافقوا على تحمل نفقات إنشاء مكتب الضابط السياسي الذي سيكون الخزنة المحلية.

(*) كانت إدارة المدينة تتولى إدارتها ثلاث لجان، وهي على النحو التالي:

- ١ - [اللجنة الأولى] أولها كانت اللجنة المركزية المكونة من الضابط السياسي وتاجرين هما عمر المزجاجي وصالح شاذلي.
- ٢ - [اللجنة الثانية] تألفت لجنة المدينة من رئيس البلدية / العمدة، وعاقل السوق واثنين من التجار هما يحيى عون وعبدالله فقيرة.
- ٣ - [اللجنة الثالثة] شملت لجنة الجمارك كلاً من الضابط السياسي واثنين من التجار هما طاهر رجب وطه فاسي (Tāhā Vasi)، ويمثل الأخير المجتمع التجاري الأجنبي^(١).

كانت اللجنة المركزية بمساعدة الضابط الطبي مسئولة عن إدارة المستشفى، واللجان الثلاث "تخضع للرقابة العامة للجنة المركزية، ولها سلطة إنفاق المبالغ المخصصة لها دون الرجوع إليها مرة أخرى، ويمكنها إعادة تخصيصها ضمن ميزانيتها الخاصة".

ظلت الشرطة تحت السيطرة المباشرة للضابط السياسي، وبناءً على طلب الأعيان عمل الضابط السياسي أيضاً كقاضي تحقيق وقاضٍ "للدعاوي التي لا تقع ضمن اختصاص" القاضي لأن التجار كانوا غير مستعدين لقبول قرارات القاضي في المسائل التجارية، وكان من المقرر تقديم الاستئناف ضد قرارات الضابط السياسي إلى المدير العسكري.

(1) R 20/A2A/110/1/1, f. 196.

كانت نية المندوب السامي أن ينفق سكان الحديدية الإيرادات المحلية على الاحتياجات المحلية، مع مراعاة جعل الإشراف العام للضابط السياسي فقط، غير أن الوجهاء طلبوا على وجه الخصوص أن يقوم الضابط السياسي بدور كامل في الإدارة بسبب الخلافات العظيمة التي نشأت فيما بين النخب الحديدية [قادة العمل السياسي بالحديدة] في الاتفاق فيما بينها على أي نقطة^(١).

بحلول (٢٥ سبتمبر)، تمّ جمع (٩،٣٠٢) روبية (٦٢٠ جنيهاً إسترلينياً) مقارنةً بالنفقات في نفس الفترة التي كانت بقيمة (٥،٧٧٧) روبية فقط، وبحلول نهاية أكتوبر ارتفع الرصيد المتوفر إلى (١١،٧٠٦) روبية (٧٨٠ جنيهاً إسترلينياً)، وردا على طلب قدمته لجنة الجمارك^(٢) وافق ستيل على إنفاق المبلغ في إصلاح القناة الممتدة من آبار الحالي إلى باب مشرف، إذا أمكن إرسال مهندس من عدن إلى الحديدية^(٣)، إلا أنه لم يكن هناك مهندس متوفر في عدن^(٤).

كان رئيس البلدية (العمدة) مسئولاً عن ضمان قيام اثنين من الحراس المسلحين بحماية القضبان^(٥) التي تم إنزالها بالقرب من الحديدية عام (١٩١١م) من أجل خط السكك الحديدية المقترح بين الحديدية وصنعاء، فقبل فترة طويلة من الاحتلال البريطاني للمدينة تم نقل معظم الأجزاء القابلة للفصل من معدات السكك الحديدية إلى المراوعة وبيعها، كما تم استخدام أجزاء أخرى في بناء التكنات في الحديدية نفسها، وفي عام (١٩٢٠م) كان إيطاليون من مصوع يجمعون القضبان لبيعها إلى يوناني كان يقوم بدوره بإعادة بيعها لشركة بورت سودان للسكك الحديدية^(٦)، وقد وعد رئيس البلدية/العمدة بتوفير حارسين لصدّ المراكب الشراعية القادمة من أجل جمع المزيد من القضبان^(٧).

(1) Res., to Curzon, 8. 10. 1920 in FO 371/5148 & in R 20/A2A/110/1/1, f. 182 - 185.

(2) Customs Cttee., 14. 11. 1920 in R 20/A2A/110/1/1, f. 199.

(3) Steele to Mil. Admin., 15. 11. 1920 in R 20/A2A/110/1/1, f. 334 & Steele to Res., 15. 11. 1920 in R 20/A2A/110/1/1.

(4) CRE, AFF to Res., 20. 11. 1920 in R 20/A2A/110/1/1, f. 337.

(5) Res., Cairo to Res., Aden, 6. 6. 1920 in R 20/A2A/110/1/1.

(6) FO to Res., 20. 7. 1920 in R 20/A2A/110/1/1, f. 20-21.

(7) Ibid.

في رسالة طويلة، انتقدت القحري والعبسية التجار مجدداً^(١)، أكدوا فيها أن الحديدية تشكل جزءاً من أراضيها القبلية، وتم تذكير التجار بأنهم ليسوا من مواطني الحديدية أصلاً بل أجانب استوطنوا هناك لكسب الربح والمعيشة، ألا تعلموا أنكم أجانب وأن الوطن والأرض ملك لنا، وإذا كنتم تعلمون أن هذا صحيح، فقد ارتكبتم خطأ بتدخلكم وآرائكم التعسفية دون استشارة الرجال الشرعيين للمدينة.»، ثم تم تحذير التجار من القيام بأي شيء أو عدم القيام بشيء إلا بعد التشاور معهما^(٢)، فأجاب التجار أنهم يبذلون قصارى جهدهم لإعادة الحكومة التركية إلى الحكم، ولكنهم حذروا قائلين «أنه إذا ثبت أن ذلك مستحيل، وكنتم عبيدين في اعتراضاتكم، فسوف نقول إننا لا نعرف أن الحديدية ملككم، ولن نقبلكم على أنكم مالكيين لها»^(٣).

بعد شهرين كتب المشايخ إلى الحاكم العسكري في الحديدية ينتقدون فيه الدور المخصص للتجار، وتم تذكير الحاكم بأن ملكية الحديدية مقسمة بين القبائل، وذهب المشايخ إلى اقتراح أنه عند جلاء بريطانيا يجب تسليم الحديدية للإدريسي رغم معارضة التجار، وأشاروا إلى أنهم قد انضموا بالفعل إلى الإدريسي في طرد قوات الإمام من تهامة نهائياً، ومضت الرسالة لتوضح أنه نظراً لعدم إنفاق الأموال المحصلة من مستحقات الجمارك على تحسين الضواحي، يجب تعيين وكيل إدريسي للإشراف على المصروفات المتراكمة من إيصالات الجمارك بعد استيفاء الرسوم المطلوبة لإدارة المدينة، ويقوم الإدريسي بإنفاق الفائض على الضواحي، كما اقترح الشيوخ أخيراً زيادة الرسوم الجمركية إلى (١٠٪) وإنفاق المبلغ الإضافي الذي تم جمعه على هذا النحو على تحسين الضواحي، وأن النص فقط من العائدات يجب أن تستغل في المدينة نفسها^(٤). فيما أجاب الحاكم العسكري بأنه لم يتم تقديم اقتراح بتسليم المدينة إلى الإدريسي خلافاً لما أرادوه، وتابع أن فتح جمارك الحديدية لم يتم من قبل التجار، وإنما كإجراء بريطاني المحتلة مدينة الحديدية لجمع الأموال لدفع تكاليف إدارة المدينة^(٥).

(١) تم التوقيع على هذا الأخير من قبل يحيى علي، شيخ القحري، وإسماعيل بغوي وأحمد خزام، الذين لعبوا جميعاً دوراً رئيسياً في احتجاز بعثة جاكوب في باجل. انظر:—

J. BALDRY: The detention of the Jacob Mission, op. cit..

(2) Letter from Quhrah and <Absiyyah to notables and merchants of al- Hudaydah, 28. 8. 1920 in R 20/A2A/110/1/1, f. 160. Letter summarized in 27th Aden News Letter, 29. 10. 1920 in L/P & S/10/611.

(3) In R 20/A2A/110/1/1.

(4) Sayyid <Ali Bari, four Quhrah shaykhs, one <Absiyyah shaykh and tree <Absiyyah < aqils » to Mil. Admin., 23. 11. 1920 in R 20/A2A/110/1/1.

(5) Mil. Admin., to Res., 29. 11. 1920 in R 20/A2A/110/1/1.

٧- قرار الانسحاب من الحديدية:

بعد زيارة المندوب السامي البريطاني لجزيرة كمران ومدينة الحديدية الواقعتين تحت الاحتلال البريطاني، قدّم اقتراحاً للمفوض السامي البريطاني في مصر أنه «سيكون من المفيد جداً الحصول على بعض المؤشرات على السياسة المستقبلية فيما يتعلق بجزيرة كمران والحديدة لكي أتمكن من تقدير المسؤوليات البريطانية المستقبلية في هذين المكانين»^(١).

وبعد أيام قليلة لخصّ المفوض السامي النقاط الرئيسية التي أثيرت في رسالة المندوب السامي البريطاني بعدن في رسالة إلى وزارة الخارجية، مضيفاً أنه يفترض أن سياسة الحكومة هي سحب الحماية من الحديدية، بمجرد أن تُقام العلاقات بيننا وبين الإمام^(٢)، وفي هذا الوقت تقريباً، سأل مكتب الحرب وزارة الخارجية عما إذا كان من الممكن سحب الحماية في الحديدية، وإلا فسيكون من الضروري إجراء ترتيبات لتخفيف العبء عن الحماية^(٣)، ويبدو أن هاتين الرسالتين ذكّرت لندن بأن القرار بشأن الملكية المستقبلية للحديدة قد تأخر كثيراً.

أدت عدّة عوامل إلى قيام الحكومة البريطانية بتسليم الحديدية للإدريسي، حيث طلبت القحري والعيسية وقت اعتقال بعثة جاكوب أسلحة بريطانية للدفاع عن أراضيها من تعديّات الإمام والإدريسي، ومع ذلك سرعان ما أصبح واضحاً لهذه القبيلتين أنهما لا يستطيعون الحفاظ على استقلالهم عن الإمام والإدريسي، وقد بدا أن اعتراضهما على الإدريسي كان أقل حدة من اعتراضهما على الإمام، حيث كان الإدريسي أقوى عسكرياً وسياسياً من الإمام في تهامة، وهكذا عندما كانت قوات الإمام تتجمع في أوائل عام (١٩٢٠م) بالقرب من حدود القحري، طلب من الإدريسي إرسال قوة للدفاع عن بلاد القحري.

وبناءً على ذلك في (١٤/يناير/١٩٢٠م) دخلت القوات الإدريسية باجل وسط ابتهاج شعبي^(٤)، وبعد فترة وجيزة تمت دعوة الإدريسي للدفاع عن أراضي قبائل العيسية والزرائق من الإمام يحيى، ومع انتشار نفوذ الإدريسي بسرعة إلى الجنوب

(1) Res., to HC Egypt, 18. 9. 1920 in FO 141/434/10052/241.

(2) HC Egypt to FO, 23. 9. 1920 in FO 141/434/10052/242.

(3) WO to FO, 21. 10. 1920 in FO 371/5148, f. 81.

(4) FO 371/4213, f. 481.

من الزيدية، لم تبذل بريطانيا أي محاولة لكبح جماح الإدريسي كما فعلت قبل عام، وكان من الطبيعي أن تهامة لن تقبل السلطة الامامية الزيدية، علاوة على ذلك كان عدم تعاطف بريطانيا مع الإمام الذي استمرت قواته ليس فقط في التعدي على المحمية بل رفضت أيضاً الجلاء عن الضالع يتزايد.

هكذا بدا في لندن أن الإدارة الإدريسية في الحديدة ستحظى بموافقة والقبول الشعبي أكثر من موافقة الإمام، وأدركت بريطانيا أيضاً أنه من غير المرجح أن يخلي الإمام المحمية بسبب مطالباته التاريخية باليمن الكبير، وهكذا تقرر أنه في حالة الانسحاب البريطاني من الحديدة، ينبغي السماح للإدريسي بتأسيس إدارة في المدينة، وقد أكدت الرسالة التي أرسلها مشايخ القحري والعبسية إلى الحاكم العسكري في الحديدة التي طلبوا فيها وجوب تسليم المدينة للإدريسي بمثابة تأكيد لاعتقاد لندن بأنها اتخذت القرار الصحيح.

أ - مكائد الإمام يحيى المستمرة مع محمود نديم :

في الوقت الذي تقرر فيه أن الإدريسي يجب أن يسمح له بتثبيت نفسه في الحديدة، طردته القوات الامامية من وادي حار (وادي حار في إحدى قرى عزلة مدول بمديرية صعفان) وبني سعد وصعفان وجبال ريمة، واهتمت قوات الإمام بالاستعداد للتقدم باتجاه عبال وباجل، وإذا نجح الإمام كما توقع المندوب السامي فسيكون على الإدريسي التراجع عن الزيدية مما يترك الطريق مفتوحاً أمام تقدم الإمام للحديدة^(١).

بدأ رجال القبائل الإدريسية الذين أغاظهم محمد طاهر رضوان القائد الإدريسي في باجل في مقاومة الإمام بطريقة فائرة للغاية^(٢)، وازداد الموقف تعقيداً بوصول نديم إلى مناخة مع قوة من الجنود الأتراك الذين رفضوا الاستسلام للحلفاء قبل عامين، وأعلن نديم أنه تم تكليفه من قبل حكومة القسطنطينية [الأستانة] باستعادة تهامة نيابة عن تركيا، وفي رسالة إلى قبائل القحري والعبسية كتب نديم أوامره باحتلال باجل والحديدة وادّعى أن بحوزته رسائل من الإمام يحيى تسمح له بتجنيد القوات الزيدية لمواجهة الإدريسي^(٣). وفي أواخر أكتوبر استعاد الإدريسي وادي حار وقيل إنه

(1) Res., 30. 9. 1920 in FO 371/5148, f. 11 & in R 20/A4E/2 & in 25th Aden News Letter in L/P & S/10/611.

(2) R 20/A4E/2.

(3) Ibid & FO 371/5148, f. 11.

كان « يحافظ على سلطته » بالقرب من باجل^(١)، لكنه عانى مرة أخرى في وقت مبكر من العام الجديد من عدة انتكاسات، ففي (١١/يناير/١٩٢١م) ذكرت صحيفة التايمز أن الحديدية تعرضت للتهديد بعد سقوط الحجيلة، وقد كتب مراسل الصحيفة الموالي للإدريسي «الوضع حرج وفي أي لحظة قد يهدد الإمام يحيى الحديدية التي تم تعيين جميل بك ابن شقيق نديم حاكما لها»^(٢).

ب- مطالبة التجار بإعادة الحكم التركي في الحديدية:

هناك أدلة عرضية على أن بعض أعضاء لجان الحديدية كانوا على اتصال مع نديم والإمام يحيى، ومن حينها كان يُشار في جميع الوثائق البريطانية المعاصرة إلى طاهر رجب وصالح الشاذلي وعبيد نورة وعمر المزجاجي باسم «الحزب الموالي لتركيا في الحديدية»، ففي وقت مبكر من (٢٠ أغسطس) كتب هؤلاء إلى المندوب السامي في عدن؛ يشكون من أنهم لا يعرفون « لماذا وتحت أي ظروف طرد الأتراك » من اليمن، « لأننا لم نتقدم بأي شكاوى ضد الأتراك سواء في الماضي أو في الحاضر »، من جهة أخرى أدى طرد الأتراك من اليمن إلى ازدياد العداء بين الإمام يحيى والسيد الإدريسي... والدماء تسيل في اليمن، كما أكد التجار « أنهم سمعوا أن عبد العزيز بن سعود كان يساعد الإدريسي » الأمر الذي تسبب لهم في «الخوف على أرواحنا وممتلكاتنا»، لذلك طلبوا استدعاء الحكومة التركية «لتهدة الاضطرابات التي كانت مستعرة الآن في الداخل»، وتابعوا أنه إذا كان ذلك مستحيلا، فيجب على المصريين حكم اليمن، فيما كان البريطانيون هم الخيار الثالث^(٣)، فشل المندوب السامي في إرضاء التجار عندما أبلغهم أن الحكومة البريطانية سوف «تتخذ ترتيبات اللازمة لضمان سلامة المدينة في المستقبل وحسن إدارتها وسوف تسعى قدر الإمكان إلى تلبية رغبات الناس»، لكن المندوب السامي خلص إلى أنه « لا يستطيع أن يعلق أي آمال على عودة الأتراك»، الذين كانوا أضعف من أن يفعلوا أكثر من حماية القسطنطينية والأناضول، فكيف سيوجهون قواتهم لليمن^(٤)، وفي وقت سابق، حاول التجار بتحريض من طاهر رجب إحالة عريضة آخر إلى عصبة الأمم عن طريق المكتب التجاري في الحديدية من خلال القنصل الفرنسي بعدن، غير أن الأخير أعاد العريضة قائلاً إن شركته موجودة للتجارة فقط ولا ترغب في دخول معترك السياسة^(٥).

(1) FO 371/5148, f. 49.

(2) The Times, London, 11. 1. 1921.

(3) Merchants to Res., 26. 8. 1920 in R 20/A2A/110/1/1.

(4) Res., to merchants, 28. 8. 1920 in R 20/A2A/110/1/1.

(5) 25th Aden News Letter, op. cit.

ج - طلب التجار الحفاظ على الحكم البريطاني؛

في غضون ثلاثة أيام من تلقي رد المندوب السامي طلب التجار من البريطانيين الحصول على إعلان من الحكومة التركية موجه إلى سكان تهامة تلغي فيه مطالبته باليمن، وذكر الملتصقون أنه عندما يتم تلقي ذلك فإنهم سيصدرون بأنفسهم إعلاناً يطالبون فيه بانتداب بريطاني على تهامة، وستشمل الدولة الجديدة أبو عريش في الشمال وزبيد في الجنوب وجبال ريمة وبُرع في الشرق، وأكد التجار أنهم لا يريدون حكم الإمام ولا حكم الإدريسي^(١)، ورداً على ذلك أبلغ المندوب السامي التجار أن تركيا تخلت عن حقوقها في اليمن وعسير في المادة (١٣٢) من شروط السلام مع تركيا^(٢).

ونتيجة لذلك وفي (١٤/نوفمبر/١٩٢٠م) أقرّ التجار في عريضة أخرى أنه نظراً لاستحالة استعادة الحكم التركي فإنهم سيقبلون الوجود المستمر للبريطانيين الذين كانوا أقوى حكومة وأكثرها قدرة على تحسين البلاد والحفاظ عليها وتطوير التجارة وجعل الناس بشكل عام يتمتعون بالحرية، كما أنهم سيعارضون احتلال الإمام لتهامة، كما أن سلطة الإدريسي كانت غير مقبولة أيضاً لأن هذا من شأنه أن يستفز الإمام كثيراً للنزول بقوات كبيرة وكمية كبيرة من المواد الحربية ومهاجمة تهامة بأكملها.

ثم اقترح التجار أن يشكل الحائكون (الحوك) قوة قوامها (١٠٠٠) فرد للدفاع عن الحديدة في حالة هجوم الإمام أو القحري أو العبسية، وعلى الرغم من فرار الحائكين من الحديدة في عام (١٩١٤م) اقترح التجار تقديم أطنان متريّة بقيمة (١٥٠٠) دولار أمريكي في حال عودتهم^(٣).

(1) R 20/A2A/110/1/1.

(2) By Article 1 of the National Pact of 28. 1. 1920 Turkey had voluntarily renounced its sovereignty over any part of the Arabian Peninsula and recognized the independence of all former Ottoman territories inhabited by Arab majorities. (A. J. TOYNBEE: Survey of International Affairs: the Islamic World after the Peace Settlement. Oxford 1927, 272.

بموجب المادة (١) من الميثاق الوطني لعام (١٩٢٠م)، تخلت تركيا طواعية عن سيادتها على أي جزء من شبه الجزيرة العربية واعترفت باستقلال جميع الأراضي العثمانية السابقة التي يسكنها أغلبية عربية. (أ. ج. توينبي: دراسة الشؤون الدولية: العالم الإسلامي بعد تسوية السلام. أكسفورد ١٩٢٧، ٢٧٢).

(3) Merchants to Res, 1 Muharram 1339 (14.9.1920) in FO 37/5148.f. 52 & in R 20/A2A/110/1/1.

أشار المندوب السامي إلى أن بعض الإجراءات كانت ضرورية للدفاع عن الحديدية في حال انسحاب القوات البريطانية، وبما أنه لا الإدريسي ولا الإمام كانا بديلين مقبولين فقد وافق على اقتراح توظيف الحائكين^(١)، لكن الحاكم العسكري البريطاني لاحظ أن الحائكين ليسوا جديرين بالثقة، وأن توظيفهم للدفاع عن المدينة سيؤدي إلى تعقيدات قبلية، حيث كتب: « سيكون أول من ينهبون جيرانهم العزل بمساعدة أو بدون مساعدة رجال القبائل من الخارج »^(٢).

(*) العريضة الأخيرة من القبائل :

كانت القبائل التهامية حريصة على التأثير على البريطانيين في مسألة مستقبل الحديدية وتهامة بما لا يقل عن التجار، ومع وضع ذلك في الاعتبار أرسلوا إلى الحاكم العسكري البريطاني عريضة أخيرة بتاريخ (٢٣/نوفمبر/ ١٩٢٠م الموافق ١٣/ربيع الأول/١٣٣٩هـ)، وبعد الإفراج عن بعثة جاكوب كان من الواضح كما لاحظ المتمسون أن الحديدية يجب أن يحكمها الإدريسي ومن هذا المنطلق قامت القبائل بطرد قوات الإمام من تهامة، وكانت العريضة كالتالي: سمعنا أنك عرضت على بعض تجار الحديدية مرتين تسليم الحديدية إلى السيد الإدريسي لكنهم لم يبدوا موافقتهم في هذا الصدد، ونحن نتساءل بعلمنا أن هؤلاء التجار ليسوا هم الأشخاص الذين يمكنهم أن يقرروا أو يفعلوا أو يلغوا أي شيء يتعلق برفاهية البلاد، فهؤلاء الرجال هم مجرد مضاربين وليس لديهم الحق في المشاركة في مثل هذه الأمور، وقد سمعنا أنهم يريدون عودة الأتراك، ولا نعتقد أن الحكومة البريطانية ستقبل أبداً بمثل هذا الرأي.

وكرر المتمسون شكاوهم من أن الإيصالات الجمركية استخدمت من أجل رفاهية المدينة في حين أن « الحقيقة هي أن رفاهية المدينة لا يمكن أن تكتمل حتى يتم تأمين رفاهية الضواحي »^(٣)، وانتهت العريضة بشكوى عرفية ضد مشاركة التجار في إدارة الحديدية، وبتقديم طلب من أجل أن يكون هناك مسئول يراقب إنفاق الدخل من الجمارك^(٤).

(1) Maj. Gen. Scott to Curzon, 5. 10. 1920 in FO 371/5148, f. 53.

(2) Maj. Browning (Mil. Admin.) to Res., 9. 11. 1920 in R 20/A2A/110/1/1

(3) (R 20/A4E/2) . (R 20/A4E/1 and R 20/A2A/110/1/1). (Steele to Res., 7. 6. 1920 in R 20/ A2A/110/1/1)

(4) Sayyid <Ali Bari, Isma'il Baghawi, Yahya <Ali, Abkar Muhammad, Sula man Salam, <Abdullah Muhammad, Muhammad Zuhayr, Bukhayt Zuhayr to Mil. Admin., 23. 11. 1920 in R 20/A2A/110/1/1, f. 215-218.

السيد علي باري، المشايخ:- إسماعيل بغوي، يحيى علي، أبكر محمد، سليمان سالم، عبد الله محمد، محمد زهير، بخيث زهير عريضة إلى الإدارة العسكرية البريطانية في (٢٣ نوفمبر ١٩٢٠م).

د - الاستعدادات للإجلاء:

في اجتماع المؤتمر المشترك بين الإدارات حول شؤون الشرق الأوسط الذي انعقد خلال النصف الأول من (ديسمبر ١٩٢٠م)، تم اتخاذ قرار بسحب الحماية البريطانية من الحديدة في أقرب وقت ممكن^(١)، وصدرت تعليمات للمندوب السامي البريطاني بالتشاور مع القائد العام في عدن حول سرعة تنفيذ الإجلاء^(٢)، وعلى الرغم من تدهور الموقف العسكري للإدريسي في مواجهة الإمام، وأيضاً معارضة التجار الحتمية فقد استمرت خطط للإجلاء الفوري عن الحديدة كما تم الاتفاق عليها، «وأبلغ الإدريسي أنه لا يوجد اعتراض على قيامه بترتيبات مع سكان الحديدة فيما يتعلق بإدارتها المستقبلية أو إدراجها النهائي ضمن أراضي دولته»^(٣)، وفي (٢٢/ديسمبر) أبلغ المندوب السامي البريطاني بعدن لندن أن «الإجلاء سيحدث خلال شهر يناير، وأن قائد المنطقة العسكرية الجنوبية سيكمل الانسحاب في غضون أربعة عشر يوماً من تلقي الأوامر»^(٤).

هـ - الحديدة خلال ولاية الكابتن الدكتور فضل الدين (٢٤ / يناير / ١٩٢١ -

مارس ١٩٢٥م)

- دخول الإدريسي إلى الحديدة:

قام الكابتن فضل الدين ضابط الاتصال الطبي الهندي مع الإدريسي بزيارة السيد مصطفى الإدريسي في اللحية لاطلاعه على قرار التنازل عن الحديدة لابن أخيه، ومن اللحية واصل فضل الدين طريقه إلى جازان حيث أعطى لمحمد الإدريسي خطاب المندوب السامي الذي أوضح فيه أن الحكومة البريطانية «لا تعترض حكومة صاحب الجلالة على ضم المدينة في نهاية المطاف ضمن أراضي سعادتك، كما لا تعترض حكومة صاحب الجلالة على قيام سعادتك بإجراء الترتيبات مع سكان الحديدة فيما يتعلق بإدارتها في المستقبل»^(٥). وطلب من الإدريسي إرسال فرقة متقدمة مكونة من «بعض الرجال الموثوق بهم» تحت قيادة السيد مصطفى إلى الحديدة للحفاظ

(1) FO to Secretary, Army Council, 14. 12. 1920 in FO 371/5148, f. 224,

(2) FO to Res., 13. 12. 1920 in FO 141/434/10052/250 & FO 371/5148, f. 222.

(3) Ibid.

(4) Res., to FO, 22. 12. 1920 in FO 371/4149 & Res., to Curzon, 26. 12. 1920 in FO 141/434/10052/252 & Res., to FO, 22. 12. 1920 in FO 371 / 6246, f. 1 & Res., to Curzon, 31. 12. 1920 in FO 141/434/10052/253.

(5) FO 371/6246, f. 1.

على النظام، ولمنع النهب خلال الفترة التي يجب أن تنقضي بين رحيل قواتنا وتأسيس الإدارة التي ستخلف إدارتنا»، وكان من المقرر أن يضمن فضل الدين التأكد من أن هذه القوات الإدريسية في وضع يسمح لها بالتحرك إلى الحديدة بمجرد مغادرة آخر جندي بريطاني، و«كان من المخطط أن تصل مقدمة قوات الإدريسي بقيادة مصطفى إلى آبار الحالي بحلول (٢١ يناير)»^(١).

في جازان تساءل السيد محمد عما إذا كان بإمكان مصطفى الوصول إلى الحالي بحلول الحادي والعشرين؛ لأن الأمر سيتطلب عدة أيام لتجميع قوة الشرطة، في غضون ذلك أبحر فضل الدين برفقة مصطفى مع (١٠٠) من رجال القبائل من اللحية في (٢٢/يناير) إلى الحديدة، وعندما وصلوا بقي مصطفى وقوات الشرطة على متن السفينة على أمل ألا تصل أخبار تولي الإدريسي الوشيك للمدينة، ووصل فضل الدين نفسه يوم (٢٤) وتولى على الفور منصب الضابط السياسي بدلا عن ستيل.

في ليلة (٢٤) أرسل طاهر رجب ابنه إلى السفينة حيث وجد مصطفى والقوات الإدريسية على متنها، وقد أدى هذا - بالإضافة إلى الحقيقة الأخرى وهي أن السفينة التي كانت تجلب حصص الإعاشة للحامية بانتظام لم تصل من عدن - إلى دفع رجب إلى الشك في أن بريطانيا كانت تخطط لإخلاء المدينة وتسليمها للإدريسي، وإذا ثبت صحة شكوكه بشأن النوايا البريطانية فعليه كما اقترح أن يفعل كلما بوسعه لمنع الإخلاء البريطاني.

في (٢٦/يناير) وصلت القوات الإدريسية قادمة براً من اللحية إلى آبار الحالي على بعد ميلين فقط شمال الحديدة، وإذا كان هناك في السابق بعض الغموض فيما يتعلق بالنوايا البريطانية فلم يعد هناك أي شك الآن، وبدأ التجار في نشر الدعاية المناهضة للإدريسي في جميع أنحاء المدينة. وفي هذا الوقت استدعى فضل الدين التجار والأعيان إلى المكتب السياسي عند الساعة السابعة مساءً حيث قرأ الحاكم العسكري إعلان الإجماع الذي استقبل بالخوف والقلق، وأبلغ رجب فضل الدين أن بريطانيا «ملتزمة بحماية مصالح سكان الحديدة»، ويجب ألا تغادر دون اتخاذ تدابير مرضية اللازمة لضمان أمن المدينة لأن التجار لا يستطيعون رعاية أنفسهم»، وأجاب فضل الدين بأنه «ما داموا لم ينتخبوا زعيماً ويشكلوا إدارة»، فإنه «سيقوم هو بحمايتهم وبصون مصالحهم». وفي الساعة الثامنة مساءً دخل مصطفى ومعه (١١٠) رجال إلى

(1) Res., to Fazl ud Din, 15. 1. 1921 in R 20/A2A/110/1/1, f. 236-239.

الحديدة ونزلت الطليعة التي كانت على متن السفينة إلى جميع أنحاء المدينة، وشكل ذلك ضربة كبيرة للتجار المناهضين للإدريسي الذين وُزعوا منشورات في جميع أنحاء المدينة تزعم أن القوات الإدريسية برابرة ونهابين، وتم إغلاق جميع المتاجر التجارية على الفور، ثم شرع مصطفى في تهدئة قلق السكان بإمامته لصلاة الشكر وأمر ضباطه بمعاملة السكان كأخوة، ثم التقى الأعيان باستثناء رجب وزمرته بمصطفى واستقبلوه « بحفاوة بالغة »، وأمضى فضل الدين تلك الليلة في شرح الإجراءات التي تم إعدادها من أجل سلامة المدينة.

وصلت السفينة (اس. اس. كسارة The S. S Kasara) ^(١) يوم (٢٧) لنقل أول كتيبة من الحامية البريطانية إلى عدن، وفي السابعة من صباح ذلك اليوم تفقد مصطفى الإدريسي الحرس والحواجز العسكرية وأقام رجاله في التكنات التركية السابقة، وفي فترة الصباح قام رجب وأصدقائه بزيارة فضل الدين وبعدها التقوا بمصطفى في « مزاج خاضع للغاية ».

وفي فترة ما بعد الظهر، انتشرت شائعات غير صحيحة في الخارج بأن الزرائق والعبسية قد تحالفوا مع الإمام يحيى التي كانت قواته في المنصورية تستعد لمهاجمة الحديدة التي كان يعتقد أنها ستكون قريباً تحت رحمة الإمام، واستدعى فضل الدين التجار مرة أخرى ليؤكد لهم أنه لا داعي للقلق، وقد جادل التجار الذين لم تهدأ مخاوفهم بأن حكومة الإدريسي ليست قوية بشكل جيد بل وأقل تنظيمًا، وتساءلوا عما إذا كان لديهم نفس الحقوق التي كانوا يتمتعون بها خلال الأشهر الأخيرة للإدارة البريطانية، حيث أكد فضل الدين أنه لا داعي للقلق بشأن النهب من قبل حكومة الإدريسي، ثم طلب من طاهر رجب التوقف عن نشر الشائعات، ورداً على رسائل مصطفى إلى شيوخ القبائل المجاورة لإبلاغهم بتأسيس النظام الإدريسي في الحديدة أرسل الجميع هدايا من الماشية والأغنام كدليل على ولائهم ^(٢).

« كانت الخطبة يوم الجمعة (٢٦) في المسجد الرئيسي باسم سلطان تركيا والإدريسي، حيث رفعت الدعوات من أجل حياة الإدريسي الطويلة » ^(٣)، في اليوم التالي عادت الكسارة لتنتقل آخر القوات البريطانية، وفي الساعة الواحدة ظهراً، أبلغ فضل

(1) Delay had been caused by the breakdown of the steering gear of the Kasara. (GOC Aden to Res., 10. 1. 1921 in FO 371/6246, f. 4.).

(2) Memo by Fazl ud-Din to Res., in R 20/A2A/110/1/1.

(3) Fazl ud-Din to Res., in R 20/A4E/2.

الدين الضابط الذي يقود القوات البريطانية أن جنود الإدريسي جاهزون لحراسة الحواجز، ثم صدرت أوامر بنقل الحراسات إلى مصطفى، وبحلول الساعة الثانية والنص ظهراً أصبحت جميع المواقع في الحديدة في أيدي الإدريسي.

في الثلاثين من الشهر، أدرك طاهر رجب أن المعارضة غير مجدية، ففرض للحكم الإدريسي وأقام مأدبة لمصطفى الإدريسي، في اليوم التالي عندما دعا فضل الدين إلى عقد اجتماع لأعضاء اللجان الثلاث تمت قراءة كشف حساب إنفاق الأشهر الخمسة الماضية، حيث تم تسليم ميزانية بقيمة (١١٥، ٢٢) روبية لأعضاء اللجنة الذين بدورهم سلموها لمصطفى الإدريسي، ويلاحظ أن فضل الدين سلم إدارة المدينة اللجان البلدية وليس للإدريسي لدرء اتهامات محتملة فيما بعد بأن بريطانيا سلمت المدينة إلى الإدريسي.

شرعت اللجان في الاعتراف بالإدريسي على أنه « سيدهم وحاكمهم الجديد»، وفي خطاب ترحيبي تم الترحيب بالإدريسي باعتباره « كاشف الظلام، وباعتباره شخصاً مليئاً بالنوايا الحسنة والإحسان والعدالة» والذي « فاز بقلوب كل شعوب اليمن عمومًا وتهامة بشكل خاص.»، وفي وقت لاحق من نفس اليوم تم رفع علم الإدريسي وسط « الدعاء والتصفيق والشكر»، وعند استئناف المحكمة الشرعية في الأول من فبراير ألقى مصطفى خطاباً مرتجلاً تعهد فيه بإقامة « عدالة نزيهة»، وأشار إلى استحالة عودة الحكم التركي، وبحسب فضل الدين فإن خطابه ترك العديد من الجمهور في حالة من البكاء^(١).

سابعاً: الخاتمة :

اتخذ السيد مصطفى الإدريسي الحديدة مقراً مؤقتاً له، وتلقى نصائح لا نهاية لها بشأن المسائل الإدارية من فضل الدين الذي بقي في الحديدة كممثل لبريطانيا بدلاً عن الضابط السياسي البريطاني^(٢).

من أجل تلبية النفقات المتزايدة باستمرار الناجمة عن الحرب ضد الإمام يحيى، رفعت إدارة الإدريسي رسوم الاستيراد الجمركية على السلع الأجنبية إلى (١١٪)، وعلى التبغ إلى (٢٠٪)، وسرعان ما تم فرض ضرائب جديدة على المحلات التجارية والقات

(1) Memo by Fazl ud-Din to Res., 6. 2. 1921 in R 20/A2A/110/1/1, f. 318- 329. See also ff. 278, 280, 283, 330-331.

(2) L/P & S/10/963.

والحبال والحصير وتصاريح البناء ورسوم الذبح، وفي يوليو تم جمع قرض حرب قيمته (٤٠,٠٠٠) دولار مترطني في الحديدية، وتضاءل الدعم بسرعة لحكومة الإدريسي، فقد شرع التجار بقيادة رجب من الداخل في تخريب النظام الإدريسي في الحديدية، وقيل إنهم كانوا متحالفين مع قبائل الزرانيق الذين أغاروا على الميناء مرتين، ثم نظم التجار الموالون لتركيا إضرابا بين قباطنة السفن، وبدأوا مراسلات سرية مع الحكومة الإيطالية بغرض الحصول على الحماية الإيطالية، اتهم أحمد طه فقيرة بنشر دعاية ضارة بالإدريسي في بيت الفقيه وزبيد^(١)، وأصبح طاهر رجب في تغير آخر للولاء زعيماً للحزب الموالي للإمام في الحديدية ويُزعم أنه ساعده محمود نديم في دعايته^(٢).

مع زيادة الرسوم الجمركية، وتحويل التجارة، انخفضت عائدات الحديدية من (٤٢,٠٠٠) روبية (٢,٨٠٠ جنيه إسترليني) في (مايو/١٩٢١م) إلى (٢٠,٠٠٠) روبية (١,٢٣٢ جنيه إسترليني) في الشهر التالي^(٣). ومع وفاة السيد محمد الإدريسي في (مارس/١٩٢٣م)؛ أصبح محمد طاهر رضوان حاكماً فعلياً للحديدية، وخصص تقريباً جميع الإيرادات المحصلة هناك لدعم قواته، وقام الحاكم الجديد للدولة العسيرية بتعيين إداريين «جهلاء، وغير أكفاء في الحديدية»^(٤) بينما تم نفي مستشاري والده مما أدى إلى زيادة نفور السكان.

في (ديسمبر/١٩٢٤م) بدأ الإمام يحيى بالتقدم غرباً نحو الحديدية من جبال برع وريمة وملحان، وفي فبراير التالي انشق شيخ الواعظات القوي ابن الهيج وانضم للإمام مما مكن القوات الامامية من احتلال الزهرة واللحية، وفي نفس الوقت تقريباً أثار رضوان غضب الزرانيق والعبسية، وبعد فترة وجيزة انشقت أيضاً قبائل صليل والقحري وانضمت إلى الإمام، وهكذا حُوصرت الحديدية وأصبحت محاطة فعلياً بالقبائل المعادية للإدريسي، وفي (٢٤/مارس/١٩٢٥م) احتل ابن الهيج باجل بإيعاز من الإمام، ثم انطلق بموافقة العبسية والقحري إلى الحديدية في (٢٨) مارس وبذلك انتهت الإدارة الإدريسية للمدينة.

(1) Fazl ud-Din to Res., 30. 5. 1921 in R 20/A4E/2. Ahmad hāhā had been a clerk with the British in al-Hudaydah. (Information from the Faqirah family, al- Hudaydah)

(2) 6 th Aden News Letter, 5. 5. 1921 in L/P & 8/10/611.

(3) 10 th Aden News Letter, 28. 7. 1921 in L/P & S/10/611.

(4) R 20/A4F/8.

(*) دفع التعويضات لتجار الحديد :

لم يمض وقت طويل على جلاء آخر جندي بريطاني الحديدية حتى وافقت الحكومة البريطانية على تلبية مطالبات التعويض عن الخسائر التي تكبدها التجار المدنيون أثناء الغارتين على المدينة في أغسطس وسبتمبر (١٩١٩م)، حيث تمت الموافقة على ادعاءات ثمانية تجار بمبلغ (١٨,٥٥٠) روبية (١,٢٣٦,٠٠٠ جنيهًا إسترلينيًا) من قبل قائد المنطقة العسكرية في عدن، وكان من المقرر أيضًا دفع تعويض لأصحاب مساكن الأكواخ [العشش] التي أحرقتها الحامية في أعقاب الغارات، كما كان من المقرر تعويض ضحايا النهب الذين تم نهبهم عن طريق القبائل والجنود الهنود البريطانيين (السيبوي) ^(١).

لم يكن من الممكن سداد المدفوعات حتى يتم استرداد الأموال التي أنفقت أثناء المفاوضات لإطلاق سراح بعثة جاكوب من مكتب الهند، ولم توافق وزارة الخزانة إلا في (سبتمبر/١٩٢٢م) بتوزيع «تعويضات محدودة»، للأشخاص والشركات الذين عانوا الخسائر في خريف عام (١٩١٩م) ^(٢)، وهكذا انتهى التدخل البريطاني في شؤون الحديدية إلى أن جلبت الحرب السعودية اليمنية القوات البريطانية إلى المدينة عام (١٩٣٤م).

ثامناً : ملحق للدراسة :

(*) : آراء محمد أحمد الشهاري :

زود محمد أحمد الشهاري تاجر بالحديدية في وقت الاحتلال البريطاني - الكاتب الحالي بمعلومات إضافية عن بعض الشخصيات والقضايا التي نوقشت في هذه الورقة.

١ - التجار :

كان التجار الثلاثة الرئيسيون في الحديدية من حيث حجم تجارتهم ونفوذهم هم المزجاجي والشاذلي ورجب، حيث امتلك المزجاجي العديد من المباني الكبيرة، وكان يتاجر في القهوة والسكر والبز وهو قماش أسود كان يفضلُه رجال قبيلة الزرانيق لصنع العمائم، فيما كان رجب والشاذلي من تجار القهوة. وعندما اتضح أن بريطانيا تنوي التنازل عن الحديدية للإديسي، انقسم التجار إلى ثلاث مجموعات:

(1) FO 371/5261, f. 166.

(2) FO to C. E. Pullon, 20. 9. 1922 in FO 371/7719, f. 48..

أ- الأولى تألفت من الشاذلي والمزجاجي ورجب وفقيرة وهم الذين عارضوا الإدارة الإدريسية بشدة.

ب- أما المجموعة الثانية المكونة من الشريف أحمد الرفاعي والسيد طه صايف والشيخ الصايف ومحمد أحمد الشهاري وثلاثة آخرين، أبدوا استعدادهم القبول بأي حكومة تكون أولويتها حماية التجار والحفاظ على تفوق الحديد كمرکز تجاري.

ج- ورفضت مجموعة ثالثة من أصحاب النفوذ الأقل كلاً من الإمام يحيى والإدريسي باعتبارهما حكماً محتملين للحديدة، وحثوا بريطانيا على الاحتفاظ بالسيطرة على مدينة الحديد.

٢- دور فضل الدين :

هناك أمران يبرزان بوضوح في ذهن المُخبر عن فضل الدين هما قناعاته الدينية الراسخة وإعجابه بالسيد محمد الإدريسي، فقد كان مقتنعاً بأن الحديدية يجب أن تخضع للحكم الإدريسي بالكامل، كما كان يعتقد أن ذلك سيفيد بشكل كبير تهامة بأكملها، ويرى الشهاري أن قوة الإقناع التي امتلكها فضل الدين هي التي دفعت الحكومة البريطانية أخيراً لإعطاء الإدريسي الحديدية، ولا يمكن التشكيك في إعجاب فضل الدين بالإدريسي لأنه في غضون عام من احتلال الإدريسي للحديدة قام المندوب السامي في عدن بتوبيخه لتقديمه تقارير حذفت كل ذكر للجوانب السلبية للإدارة الإدريسية أثناء وجوده في الحديدية، وفي نفس الوقت كان يمجّد الجانب الإيجابي.

٣- الضباط السياسيون :

يتذكر الشهاري واحداً فقط من الضباط السياسيين وهو الرائد ميك الذي كان دائماً يكيّف تكتيكاته وسياساته مع الوضع المتغير باستمرار، وربما يكون هذا تقديراً لصبر ميك، وللإجراءات التي اتخذها لتحسين الأوضاع في الحديدية، فهو الوحيد من بين الضباط السياسيين الأربعة الذين يتذكّرهم الشهاري.

٤- الغارات القبلية :

يُصرّ مُخبري على أن أهداف الغارتين القبليتين في عام (١٩١٩م) كانت شراء أسلحة من الحماية البريطانية، فقد كانت هذه الأسلحة مطلوبة من قبل القبائل للدفاع عن نفسها من الإمام.

٥- التنافس الإيطالي البريطاني :

المثير للدهشة أن الشهاري كان على دراية جيدة بالتنافس بين بريطانيا وإيطاليا على النفوذ في اليمن، ويشير إلى أن بريطانيا ربما تكون قد أخذت في الاعتبار الانتقادات الإيطالية لاحتلالها للحديدة عندما قررت الإجلاء عن المدينة قبل إبرام تسوية مع الإمام.

٦- الرشوة البريطانية :

يزعم الشهاري أن بريطانيا تكبدت نفقات كبيرة بهدف إظهار أن بريطانيا قد تنازلت عن الحديدة للإدرسي استجابة للمطلب الشعبي، وقدم العديد من العملاء البريطانيين في جميع أنحاء إقليم تهامة وفي الحديدة هدايا نقدية لأي شخص يرغب في حث البريطانيين علناً على التنازل عن المدينة للإدرسي.

٧- الموقف تجاه الأتراك :

على غرار اليمنيين الآخرين في كل من الحديدة وفي المرتفعات لم ينتقد الشهاري الحكم العثماني، وأكد رأياً ورد في وثائق في الأرشيف البريطاني بأن ذلك جاء من منطلق شعور بالتضامن الديني، وهو يعتقد أنه لو كان الأتراك في وضع يسمح لهم بالعودة إلى اليمن لفضل أغلبية سكان تهامة والحديدة استعادة الحكم التركي.



سادساً: شذرات من تاريخ التعليم العام والعالي في محافظة القنفذة خلال قرن (١٣٤٤-١٤٤٥هـ/١٩٢٥/٢٠٢٤م). بقلم. أ. غازي ابن أحمد الفقيه^(١).

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	مدخل.	٤٦٣
ثانياً:	شذرات من تاريخ التعليم العام والعالي في محافظة القنفذة (١٣٤٤-١٤٤٥هـ/١٩٢٥-٢٠٢٤م).	٤٦٥
ثالثاً:	توصيات محدودة.	٤٧٣

أولاً مدخل^(٢):

صلاتي ببلاد القنفذة قديمة فقد زرتها في مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وبقيت اجتازها من وقت لآخر أثناء سفري من سرورات منطقة عسير إلى مكة المكرمة. ثم ذهبت إليها باحثاً وسائحاً في منتصف العشرينيات حتى مطلع الأربعينيات، وتجولت في مناكبها وقابلت العديد من شيوخها، وأعيانها، ورموزها. وقرأت عنها العديد من المصادر والمراجع العربية والأجنبية، ووجدتها لعبت أدواراً تاريخية وحضارية مهمة ومتعددة خلال العصر الحديث (١٢ق-١٤ق/١٨ق-٢٠ق)^(٣).

هذه الديار التهامية ذات الموقع الاستراتيجي، حلقة وصل بين شواطئ البحر الأحمر الشرقية والغربية، ولها تواصل حضاري مع السروات الممتدة من أبها ورجال ألمع إلى بلاد الحجاز وبخاصة حاضرتي مكة المكرمة وجدة. ولها علاقات قديمة وحديثة مع الأوطان التهامية الممتدة من حلي والبرك إلى منطقة جازان وما جاورها من تهامة اليمن^(٤).

(١) الأستاذ غازي الفقيه من مواليد مركز القوز في محافظة القنفذة عام (١٣٧٢هـ/١٩٥٢م). قضى حياته العلمية في مجال التربية والتعليم، وعلى قدر جيد من الاطلاع والبحث العلمي، له العديد من الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة. للمزيد عن سيرته الذاتية، انظر: محمد بن أحمد مَعْبُر. سيرة كتاب احتفاءً بصدر عشرة أجزاء من كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب). (الرياض: مطابع الحميضي ١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م)، ص ٣٤٧-٣٤٩. (ابن جريس).

(٢) هذا المدخل من إعداد صاحب (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب). (ابن جريس).

(٣) صدر عنها العديد من الكتب والبحوث التي ناقشت جزئيات من تاريخها منذ القرن العاشر الهجري إلى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٤) لا أجد دراسات علمية تؤرخ لهذه الصلات التاريخية والحضارية من القرن (١٥هـ/١٦م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م)، وهذا الموضوع جديد في عنوانه ويستحق أن يُدرس في عدد من البحوث العلمية.

شكلت مدينة (ميناء) القنفذة دوراً مهماً خلال القرنين (١٢-١٤هـ/ ١٩-٢٠م) ، وظهر في بلاد اليمن والحجاز ونجد والسروات وتهامة قوى سياسية متعددة. بالإضافة إلى قوى عربية وإسلامية وأجنبية خارجية جاءت إلى شبه الجزيرة العربية، واتخذت من حاضرة القنفذة مقراً سياسياً وتاريخياً وحضارياً لتوسيع نفوذه، والاستفادة من هذا الميناء البحري المهم^(١).

دخلت تهامة من جدة إلى جازان تحت نفوذ الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل في الأربعينيات والخمسينيات من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، وصارت القنفذة جزء من هذه الدولة الحديثة (المملكة العربية السعودية). وبدأت التنمية الحديثة تصل إلى أجزاء من محافظة القنفذة ، ثم تطورت في مجالات عديدة حتى صار أهلها ينعمون بالعديد من المنجزات الحضارية الحديثة . ومازالت تهامة بشكل عام ومحافظة القنفذة وما حولها تتطلع إلى المزيد من المشاريع التنموية الكبيرة مثل المطار، وجامعة وغيرها^(٢).

إن المناطق التهامية المذكورة في الفقرة السابقة لها تاريخ وحضارة قديمة قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصرة . ومازالت غير مخدومة في هذا الميدان العلمي البحثي. وإذا حصرنا حديثنا على تاريخها في العصر السعودي الحديث (١٣٤٠- ١٤٤٥هـ/ ١٩٢١-٢٠٢٤م) فس نجد لها تاريخاً كبيراً ومتشعباً (سياسياً ، وعسكرياً ، واجتماعياً ، واقتصادياً ، وعلمياً وتعليمياً ، وثقافياً ، وسياحياً) وكل هذه المجالات جديرة بالكثير من الدراسات العلمية العميقة والجادة.

هذه الورقات التي قدمها لنا الأستاذ غازي الفقيه عن تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة القنفذة ليست إلا صفحة مختصرة جداً عن هذا المجال الحضاري المهم. وتمنيت أن الأخ غازي أسهب في توثيقاته عن هذا الميدان، لأنه عاصره وعمل فيه عقود عديدة. وأرجو منه ومن كل شخص يجد عنده الحصيلة العلمية والقدرة التوثيقية أن يدون صفحات من تاريخ بلاده، وفي أي جانب من تاريخ وحضارة الأرض والناس.

(١) بعض الكتب التي صدرت عن القنفذة أو عن تهامة ذكرت تفصيلات عن هذه البلدان ، لكن مازال هناك وثائق ومصادر عربية وعثمانية وأجنبية تشتمل على تفصيلات جديدة ومهمة تاريخياً وحضارياً . (ابن جريس).

(٢) إن التنمية السعودية الحديثة وصلت إلى كل مكان في أرجاء البلاد (المملكة العربية السعودية)، لكن منطقة تهامة من الدرب والبرك إلى الليث على ساحل البحر الأحمر، ومن تهامة الطائف إلى رجال ألمع ومحال عسير مأهولة بالسكان، وفيها العديد من المشاريع الحضارية الجيدة، ومازالت تستحق مزيداً من التنمية والتطويرات الرئيسية . والمطار والجامعة من المشاريع المهمة التي تحتاجها هذه البلاد السعودية التهامية. (ابن جريس).

ونحن اليوم ، ولله الحمد ، أفضل من ذي قبل، لوفرة المؤسسات العلمية والتعليمية ، وكثرة أرباب القلم والمتعلمين . والواجب علينا يا معاشر المعلمين والقادرين على الكتابة والتوثيق أن نجتهد في حفظ شيء من تاريخنا وحضارتنا ، كل حسب قدرته، وتجاربه ، وخبراته. وإن فعلنا ذلك فهذا واجب علينا تجاه أهلنا وبلادنا. (والله الهادي إلى سواء السبيل).

ثانياً : شذرات من تاريخ التعليم العام والعالي في محافظة القنفذة (١٣٤٤- ١٤٤٥هـ/ ١٩٢٥- ٢٠٢٤م).

تعد محافظة القنفذة من أكبر محافظات منطقة مكة المكرمة وهي واجهة وبوابة منطقة مكة المكرمة الجنوبية وتبعد عنها (٢٤٤) كيلاً. وتمتد المحافظة على مساحة جغرافية كبيرة منذ نشأتها وظهورها في المصادر التاريخية مطلع القرن العاشر الهجري. واعتمادها محافظة وقضاء على العهد العثماني وقائمقامية على العهد الشريف. واليوم في العهد السعودي الميمون تتشكل من تسعة مراكز هي القوز، وحلي، وكنانة، وأحد بني زيد، والمظلي، ودوقة، وخميس حرب، وسبت الجارة، وتلوث الخرم .

كان انضمامها للعهد السعودي الميمون مسلماً في عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م) فاتحة خير على جميع سكانها فتعمت بالأمن ونالها كغيرها من مناطق المملكة العربية السعودية نصيبها من التنمية في جميع المجالات وفي مقدمة هذه التنمية يأتي التعليم النظامي الذي لم تكن تعرفه من قبل مثل غيرها قبل هذا العهد الزاهر. وقد كان هذا التعليم أهم محاور اهتمام جلالة الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود (رحمه الله) في سياسته المعلنة منذ انتهاء فتوحاته وإشهار توحيد مناطق المملكة العربية السعودية تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله في عام (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م) . فبعد ضمه الحجاز لسلطانه صدر الأمر الملكي بتأسيس مديرية المعارف في العاصمة المقدسة مكة المكرمة في غرة رمضان عام (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م) وكلف بإدارتها صالح بكري شطا، فكانت المديرية كأول حجر أساس للنهضة التعليمية في المملكة ولتكون الشعلة بنور العلم الوهاجة لتبديد الجهل عن البلاد الذي كان مطبقاً عليها. إلا من بعض مدارس شبه نظامية قليلة جداً تتركز في (مكة المكرمة خصوصاً كالمدرسة الصولتية) (نسبة لسيدة هندية مسلمة اسمها صورة النساء جاءت حاجة في عام (١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م) فأُسست هذه المدرسة الخيرية ومدرسة الفلاح أسسها السيد محمد علي زينل في جدة عام (١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م) وفي مكة المكرمة (١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م). تتبع تأسيس مديرية المعارف في العام (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) تأسيس مجلس المعارف في الحجاز برئاسة مدير المعارف

بتاريخ (٢٧/محرم/١٢٤٦هـ) (١٩٢٧م) ليكون مشرفاً على السياسة التعليمية في المملكة، وأصبح التعليم الابتدائي إجبارياً. وجعل التعليم مجاني وتوحيده في عموم أرجاء المملكة.

كان نطاق القنفذة الجغرافي يشمل بلاد البرك والعرضيات إدارياً وكان بها كغيرها بعض الكتاتيب (المعلامات) التي كانت تعلم القرآن الكريم والفقه ومبادئ بسيطة في القراءة والكتابة والحساب بواسطة أدوات بدائية تصنع من البيئة المحلية كالأقلام من شجر القسبي والألواح الخشبية والطباشير من طين القطاط والحبر من شجر الرين. ومن هذه المعلامات التي بدأت تقريباً في عام (١٢٣٤هـ/١٩١٥م). إلى منتصف السبعينيات الهجرية

(*) الكتاتيب في محافظة القنفذة :

في مدينة القنفذة أربعة كتاتيب للبنين هي : كُتَّاب الشيخ حسين بن محمد بن درويش، وكتاب الشيخ أحمد عمودي، وكتاب الشيخ إسماعيل مكاوي، وكتاب الشيخ محمد السالك الشنقيطي. وأربعة كتاتيب للبنات هي : كُتَّاب السيدة فاطمة درويش، وكتاب السيدة لولوة أبكر، وكتاب السيدة فاطمة الشنقيطي، وكتاب السيدة عيشة باسندوة.

وفي مركز القوز: عشرة كتاتيب هي: كُتَّاب للشيخ إدريس بن حسن الفقيه، وكُتَّاب الشيخ عبد الله البيشي وابنه محمد، وكُتَّاب الشيخ قادري بن عبد الله، وكُتَّاب الشيخ عيسى بن سليمان الفقيه، وكُتَّاب الشيخ ابن نويحر، وكتاب الشيخ علي بن جابر القوزي، وكتاب الشيخ حسن بن خلف اليبهي، وكتاب الشيخ علي بن قناعي الفقيه، وكتاب الشيخ الحسن بن أحمد الفقيه، وكتاب الشيخ محمد عمود الدين .

وفي مركز حلي أحد عشر كتاباً هي: كُتَّاب الشيخ أحمد بدوي الشاعر، وكُتَّاب الشيخ يحيى بن جابر الغانمي، وكتاب الشيخ علي بن عمر الغانمي، وكتاب الشيخ محمد بن أحمد البحيصي، وكتاب الشيخ علي بن محمد قناعي، وكتاب الشيخ علي بن بلقاسم النهاري، وكتاب الشيخ بلغيث بن علي الشخي، وكتاب الشيخ عمر بن علي العلوي، وكتاب الشيخ عبد الكريم بن علي العلوي، وكتاب الشيخ عابث بن محمد الشقيبي، وكتاب الشيخ أحمد بن محمد الصحبي.

وفي العرضية الجنوبية (ثريان وماحولها) كُتَّابان هما: كتاب الشيخ أحمد بن عبد الله بن وهاس، وكتاب الشيخ محمد بن أحمد العماري. وفي العرضية الشمالية (نمرة وماحولها) ثلاثة كتاتيب هي: كتاب الشيخ علي محسن اليماني، وكتاب الشيخ عبد الله أحمد اليماني، وكتاب الشيخ علي عادل الحذيفي. مع ملاحظة أن هذين المركزين العرضية الشمالية والجنوبية (عندما كانا في النطاق الإداري لمحافظة القنفذة). ثم انفصلت العرضيات لاحقاً كمحافظة عن محافظة القنفذة وتتبع منطقة مكة المكرمة في عام (١٤٣٢هـ/٢٠١٢م). وبقيت تعليمياً تحت إدارة تعليم القنفذة حتى كتابة هذه السطور (١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م).

وفي مركز المظيلف وخصوصاً وادي لومة (كان كُتَّاب الأخوين الشيخ أحمد بن زاهر الزبيدي، وأخوه الشيخ محمد بن زاهر الزبيدي. وفي مركز أحد بني زيد خمسة كتاتيب: كُتَّاب الشيخ محمد أحمد المتحمي، وكُتَّاب الشيخ يحيى بن يحيى المتحمي، وكُتَّاب حمزة بن محمد الشطيري، وكُتَّاب الشيخ خضر بن محمد الزيلعي، وكُتَّاب الشيخ محمد خضر الزيلعي).

وفي مركز سبت الجارة كُتَّاب واحد هو كُتَّاب عبد الله بن محسن. وفي مركز دوقة خمسة كتاتيب هي: كُتَّاب الشيخ عبد الله بن أحمد المتحمي، وكُتَّاب الشيخ عبده بن علي الشبيخي، وكُتَّاب الشيخ خضر بن محمد المسعودي، وكُتَّاب الشيخ جيلان عمر الخيري، وكُتَّاب الشيخ محمد بن عبد الله الخيري.

لقد عاصر هذه الكتاتيب في الفترة منذ عام (١٣٦٥هـ/١٩٤٥م) افتتاح بعض مدارس الشيخ عبد الله القرعاوي بالمحافظة، وأطلق عليها المدارس القرعاوية. واستمر بعضها في قرى المحافظة معاصرة لبعض المدارس النظامية حتى عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م).

(*) التعليم النظامي العام والعالي في محافظة القنفذة :

في بداية رمضان عام (١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) انطلق التعليم النظامي في محافظة القنفذة بعد خمس سنوات من تأسيس مديرية المعارف، وافتتحت أول مدرسة ابتدائية باسم القنفذة حاضرة المحافظة، وتغير اسمها لاحقاً للمدرسة السعودية، ثم تالتى افتتاح المدارس في أنحاء المحافظة، ومنها: مدرسة منجية بحليه (١٣٦٤هـ/١٩٤٤م) ومدرسة العرضية ثريان (١٣٦٧هـ/١٩٤٧م) ومدرسة عمارة (١٣٧٢هـ/١٩٥٢م) ومدرسة الفائجة (١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م) ومدرسة القوز (٧٠-١٣٧١هـ/٥٠-١٩٥١م) ومدرسة البرك (١٣٧١هـ/١٩٥١م) ومدرسة القاع (١٣٧٢هـ/١٩٥٢م) ومدرسة السبطة

(١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م) ومدرسة مخشوش (١٣٧٢ - ١٩٥٢م) ثم مدارس الحبيل والشعب والصالحى والمظليف ودوقة (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م) .

كلف مدير المدرسة السعودية بالقنفذة الأستاذ: يوسف علي نتو، من أهالي مكة المكرمة بمتابعة هذه المدارس والإشراف عليها بصفته معتمدا للمعارف، إضافة لعمله مديرا للمدرسة السعودية. وشرفت محافظة القنفذة في شهر صفر عام (١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م) بزيارة جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز (رحمه الله) لمدة يومين في رحلته لبلدان وموانئ الساحل الجنوبي للمملكة حيث كرم جلالته معلمي وطلاب المدارس الذين شاركوا في الاحتفال الذي أقيم ابتهاجا بقدومه. وقد ضم لتعليم القنفذة في عام (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م) بعض مدارس تعليم الظفير (تعليم الباحة حاليا) مثل: المخواة، وفرعة غامد الزناد، وشدا زهران، ونيرا .

في العام الدراسي (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م) كلف الأستاذ أحمد عبد الغني الأهدل من أهالي مكة المكرمة كمعتمد للمعارف في محافظة القنفذة، منقولا من منطقة جازان، كان يعمل بها مفتشا مركزيا، وكان يطلق على المحافظة آنذاك مسمى منطقة القنفذة على عهد أميرها الشيخ: إبراهيم عبدالعزيز البراهيم الذي عمل بها مدة عشر سنوات (١٣٧٠ - ١٣٨٠هـ/ ١٩٥٠ - ١٩٦٠م) . وضمت إلى تعليم القنفذة في عام (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م) بعض مدارس تهامة عسير مثل: محایل، والمجاردة، والمقاعد ببني ثوعة. كما ضمت لتعليم القنفذة مدرسة الليث الابتدائية. وأصبح تعليم القنفذة مشرفا ومسؤولا عن إحداث المدارس في تهامة عسير وتهامة غامد وزهران والليث. ونظرا لتزايد عدد المدارس التابعة لتعليم القنفذة فقد وافقت وزارة المعارف على عهد صاحب السمو الملكي الملك فهد بن عبدالعزيز باعتماد إدارة لتعليم منطقة القنفذة في عام (١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م)، وصار أحمد بن عبد الغني الأهدل أول مدير لها. وبلغ أعداد مدارس التعليم الابتدائي في المحافظة حتى عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) (١٤٤) مدرسة.

افتتح في المحافظة أول مدرسة متوسطة بمدينة القنفذة عام (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، ثم بلغ أعداد المدارس المتوسطة حتى العام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) (٦٤) مدرسة. وافتتحت أول مدرسة ثانوية في المحافظة بمدينة القنفذة في العام (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، ثم وصل عدد المدارس الثانوية حتى بداية الأربعينيات من هذا القرن (٣٣) مدرسة. وتأسست أول مدرسة ابتدائية ليلية بالمحافظة في العام (١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م) وأول متوسطة ليلية عام (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) وأول مدرسة ثانوية ليلية عام (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، وبلغ عدد مدارس التعليم الموازي لمحو الأمية وتعليم الكبار في عام (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) عدد

(٥٦) مدرسة ابتدائية ومتوسطة وثانوية ، وتأسست في المحافظة أول مدرسة ابتدائية لتحفيظ القرآن الكريم عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) ، وأول مدرسة متوسطة لتحفيظ القرآن الكريم عام (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ، وأول مدرسة ثانوية لتحفيظ القرآن الكريم (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) . وانتشرت هذه المدارس وتوزعت على مدن وبلدان عديدة بتعليم القنفذة مثل: القنفذة، والمظلييف، والمعقص، والقوز، وحلي، وثرنيان، والسلامة، وحرب الشمالية. وأنشئت مدارس التربية الخاصة وهي مدارس ملحقة بلغ عدد فصولها (٩) فصول للتربية الفكرية والصم والبكم والأمل .

لحاجة تعليم القنفذة إلى سعودة معلمي التعليم والاستغناء تدريجياً عن المعلمين الوافدين من بعض الدول العربية فقد بكرت وزارة المعارف إلى افتتاح أول معهد للمعلمين الابتدائي في مدينة القنفذة عام (١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م) يلتحق به خريجو الشهادة الابتدائية وبعد ثلاث سنوات يصبحوا معلمين. ودعت الحاجة إلى حصوله على دبلوم بمركز الدراسات التكميلية لمدة عامين بمدينة الطائف، ثم أقفلت الوزارة هذه المعاهد في عام (١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) للهجرة واقفل مركز الدراسات كذلك . ووطورت هذا النوع من المعاهد إلى معاهد المعلمين الثانوية يلتحق بها خريجو الكفاءة المتوسطة وبعد ثلاث سنوات يصبحوا معلمين . فافتتح في القنفذة أول معهد في عام (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) ولحاجة المحافظة أفتتح معهد آخر في بلدة نمرة بقطاع العرضية الشمالية عام (١٤٠٠هـ) للهجرة . وذلك لسد حاجة المدارس الابتدائية بالمعلمين الوطنيين والاستغناء عن المتعاقدين، ثم اضطرت الوزارة إلى تطوير هذه المعاهد إلى كليات متوسطة فتم إقفال تلك المعاهد في عام (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) . وأسهمت إدارة تعليم القنفذة عن طريق قسم التدريب التربوي والابتعاث في منح فرص دراسية لبعض المعلمين لرفع تأهيلهم العلمي في الكليات والجامعات بحصولهم على البكالوريوس وعددهم مئة وسبعون معلماً، والماجستير وعددهم (أربعة وثلاثون معلماً) ، والدكتوراه وعددهم (معلمان) بين عامي (١٤١٨ - ١٤٢٣هـ / ١٩٩٧ - ٢٠٠٢م) على سبيل المثال . (وفي نفس الفترة نال عدد مئة وسبعة وستون معلماً) دورات تدريبية لمدة فصل دراسي جامعي . وستة معلمين لدورات علمية لمدة عام دراسي. وتعتبر القنفذة من أوائل المحافظات في سعودة التعليم الابتدائي ثم المتوسط.!

بعد أن ارتأت وزارة التعليم (المعارف .. التربية والتعليم .. سابقاً) اعتماد تأسيس مكاتب للإشراف التربوي في قطاعات تعليم كل إدارة تعليم في المملكة . رغبة في التسهيل على المشرفين التربويين تقديم الخدمة الإشرافية للمعلمين بيسر وسهولة، تم افتتاح

بعض المكاتب في القطاعات البعيدة عن إدارات التعليم بالمملكة، وفي تعليم القنفذة حتى العام (١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م) أنشئت مكاتب التعليم التالية: (١) مكتب التعليم بمدينة القنفذة (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) (٢) مكتب التعليم بحلي (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، (٣) مكتب التعليم بمحافظة العرضيات عام (١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م) بعد دمج مكتب التعليم بالعرضية الشمالية عام (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) وكان تأسيسه باسم مكتب إشراف نمرة (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ثم تغير إلى مكتب الإشراف التربوي بنمرة (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ثم تغير إلى مكتب تربية وتعليم بالعرضية الشمالية (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ثم تغير اسمه إلى مكتب التعليم بالعرضية الشمالية (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)، ومكتب التربية والتعليم بالعرضية الجنوبية (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ثم تغير اسمه إلى مكتب التعليم بالعرضية الجنوبية (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م). (٤) مكتب التعليم بالقوز (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). (٥) مكتب التعليم بالمظيلف (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). (٦) تم دمج مكتب تعليم القوز مع مكتب تعليم حلي (١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م). (٧) تم دمج مكتب تعليم المظيلف مع مكتب التعليم بالقنفذة (١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م).

بعد صدور الأمر الملكي الكريم في عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) على عهد الملك سعود ابن عبدالعزيز بتأسيس الرئاسة العامة لتعليم البنات في عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) وصدر الأمر الملكي على عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز بدمجها مع وزارة المعارف ليصبح اسم الوزارة وزارة التربية والتعليم. عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م). كان عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) بداية انطلاقة تعليم البنات في المحافظة بتأسيس أول مدرسة للبنات في مدينة القنفذة، وهي المدرسة الأولى للبنات بعدد طالبات بلغ خمس وسبعين طالبة وخمس معلمات وست موظفات وإدارية واحدة. وظل تعليم البنات بمحافظة القنفذة منذ بدايته عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣) حتى عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) يتبع إدارة تعليم جدة للبنات بمسمى مندوبية تعليم القنفذة. ثم تأسست إدارة تعليم القنفذة للبنات في العام (١٤٠٣-١٤٠٤هـ/١٩٨٤-٨٣م) على عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، وتطورت هذه الإدارة بعد صدور القرار رقم (١٤٧/٢١/١٦ في ١٤١٤/٥هـ) بتصنيفها إدارة تعليمية فئة (ب). وفي العام الدراسي (١٤٢٥هـ-١٤٢٦هـ/٢٠٠٤-٢٠٠٥م) ضمت إلى تعليم البنين. ثم تتالى افتتاح المدارس لمراحل التعليم الثلاث الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وبلغت أعداد المدارس الابتدائية مئة وإحدى وثلاثين، والمتوسطة ستين مدرسة، والثانوية ثلاثين مدرسة، وثلاث عشرة مدرسة، وثمان مدارس متوسطة، وثلاث مدارس ثانوية في نظام مدارس تحفيظ

القرآن الكريم، وعشرين روضة بنات، وثمان وستين مدرسة لتعليم الكيبرات، وسبع مدارس للتربية الخاصة الفكرية عام (١٤٣١-١٤٣٢هـ/٢٠١٠-٢٠١١م).

شهد تعليم القنفذة للبنات افتتاح أول معهد بالمحافظة في عام (١٣٩٥-١٣٩٦هـ/٧٥-١٩٧٦م) في مدينة القنفذة. ثم تتالى افتتاح المعاهد في قطاعات المحافظة حتى بلغ عددها سبعة معاهد، تخرج فيها (١٧٣٩) (ألف وسبعمئة وثلاث وتسعون معلمة).

أصبح يتبع لتعليم القنفذة للبنات سبع مندوبيات هي: (١) مندوبية تعليم البنات بالقوز. (٢) مندوبية تعليم البنات بأحد بني زيد. (٣) مندوبية تعليم البنات بالمظيلف. (٤) مندوبية تعليم البنات بحلي. (٥) مندوبية تعليم البنات بكنانة. (٦) مندوبية تعليم البنات بنمرة. (٧) مندوبية تعليم البنات بثريان.

لحاجة الميدان التربوي النسوي للخدمات المساندة فقد تأسست خمسة مكاتب للتربية والتعليم هي: (أ) مكتب التربية والتعليم بنمرة (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). (ب) مكتب التربية والتعليم بحلي (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). (ج) مكتب التربية والتعليم بالقوز (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). (د) مكتب التربية والتعليم بالمظيلف (١٤٣٢هـ/٢٠١١م). (هـ) مكتب التربية والتعليم بثريان (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

افتتح معهد التعليم والتدريب المهني للبنات في عام (١٤٠٧-١٤٠٨هـ/١٩٨٨-٨٧م)، واستمر حتى العام (١٤٢٦-١٤٢٧هـ/٢٠٠٥-٢٠٠٦م)، وأفاد من المعهد (٥٧٢) خمس مئة واثنان وسبعون طالبة. وتأسس المعهد الصناعي الثانوي للبنين بالقنفذة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، وفيه التخصصات التالية: (١) الحاسب الآلي. (٢) الكهرباء الصناعية. (٣) ميكانيكا السيارات. (٤) التبريد والتكييف. وتأسس المعهد الصناعي بسجن القنفذة العام عام (١٤٣٩هـ/٢٠٠٨م)، وفيه التخصصات التالية: (أ) الحاسب الآلي. (ب) الكهرباء الصناعية. (ج) ميكانيكا السيارات. (د) التبريد والتكييف. (هـ) التمديدات الصحية. ومعهد العمارة والتشييد بحلي عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، وفيه التخصصات التالية: (١) المساحة. (٢) الرسم.

أنشئت أول كلية متوسطة تمنح الدبلوم للمعلمين في تخصص أساسي وتخصص فرعي في العام الدراسي (١٤٠٦-١٤٠٧هـ/١٩٨٦-١٩٨٧م)، ثم تم ترقية هذه الكلية المتوسطة إلى كلية للمعلمين في عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) وتمنح درجة البكالوريوس للتعليم الابتدائي في عدة تخصصات ثم تغير مسمى كلية المعلمين إلى الكلية الجامعية وضمت لجامعة أم القرى عام (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م). وفي عام (١٤٢٩هـ/) تم إعادة

هيكلية الكلية واعتمد بها عشرة أقسام في التخصصات التالية: الدراسات الإسلامية، واللغة العربية، والرياضيات، واللغة الإنجليزية، والفيزياء، والكيمياء، والتربية البدنية، والتربية الفنية، والتربية وعلم النفس، والتربية الأسرية، وجميعها تمنح درجة البكالوريوس. وفي (١٢/٣/١٤٤٥هـ) تم هيكلية الكلية من جديد وأصبح فيها ستة أقسام تمنح درجة البكالوريوس في الأقسام التالية: الشريعة والدراسات الإسلامية، واللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والرياضيات، والفيزياء، والكيمياء. وفي العشرينيات والثلاثينيات من القرن الهجري الحالي تم تأسيس بعض الكليات العلمية، مثل: (أ) كلية العلوم الصحية تأسست (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). (٢) كلية الهندسة والحاسبات تأسست (١٤٣٢هـ/٢٠١١م). (٣) كلية الطب تأسست (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).

الكلية المتوسطة للبنات تأسست (١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، وبلغ عدد طالبات الكلية في عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) (٧٦١) طالبة، وأقسام الكلية الأدبية والعلمية: الدراسات الإسلامية، واللغة العربية، والعلوم، والرياضيات، والاقتصاد المنزلي. وصدر في تاريخ (٢٧/٥/١٤٢١هـ) قرار معالي وزير التربية والتعليم بتحويل مسمى الكلية المتوسطة إلى كلية تربية. وتشمل أقسام اللغة العربية، والاقتصاد المنزلي، والكيمياء، والرياضيات، والفيزياء، والحاسب الآلي، وكان مجموع أعداد خريجات الكلية في معظم الأقسام المذكورة في الأعوام الدراسية من (١٤٢٤-١٤٢٨هـ/٢٠٠٣-٢٠٠٧م) (١٤٨٧) معلمة.

(*) الكلية التقنية بالقنفذة :

تأسست الكلية التقنية بالقنفذة في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). وفيها الأقسام والتخصصات التالية: (١) قسم الحاسب وتقنية المعلومات. (٢) تقنية البرمجة وتطوير الويب، وتقنية الدعم الفني للحاسب، وتقنيات الوسائط المتعددة (٣) قسم تقنية الأعمال. (٤) تقنية التسويق والابتكار، تقنيات الحاسبة، (٥) قسم التقنية الإلكترونية. (٦) تخصص إلكترونيات وأنظمة التحكم. (٧) قسم التقنية الميكانيكية. (٨) تخصص محركات ومركبات.

أنشئت الكلية التقنية بالقوز عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) كفرع للكلية التقنية بالقنفذة، ثم تم تحويلها إلى كلية تقنية مستقلة عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م). والأقسام والتخصصات الموجودة في الكلية هي: (١) قسم تقنية الأعمال. تخصص تقنيات الأعمال المكتبية. (٢) قسم التقنية الكهربائية، تخصص تقنية الآلات الكهربائية.

(*) بعض مصادر ومراجع هذه المدونة :

- ١- من ثمار غرس الفهد ، غازي الفقيه (١٤١٧هـ).
- ٢- التعليم في محافظة القنفذة النشأة والتطور، علي محمد مرعي وآخرون (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- ٣- مسيرة التعليم في القنفذة، علي بن محمد باجعفر (١٤٢٤هـ).
- ٤- إدارة التربية والتعليم بمحافظة القنفذة حقائق وأرقام من عام (١٤١٧-١٤٢٤هـ).
- ٥- مطبوعات إدارة التربية والتعليم للبنات بمحافظة القنفذة.
- ٦- تعليم الفتاة في محافظة القنفذة في (٥٠) عاما. إعداد وتنفيذ: هاشمية مصطفى الشنقيطي.
- ٧- لقاء الكاتب مع عميد الكلية التقنية بالقنفذة سابقاً الدكتور حامد بن علي المنتشري.

ثالثاً: توصيات محدودة :^(١)

ذكر الأستاذ الفقيه لمحات قليلة عن مسيرة التعليم العام والحديث ، وبعض الكتابات القديمة في بلاد القنفذة. وإذا كان قد اختصر كثيراً في توثيقاته، لكنه أشار إلى نقاط مازالت بحاجة إلى دراسات عميقة وتفصيلية. أمل أن يتحقق ذلك في قادم الأيام من قبل الأستاذ غازي نفسه، أو يقوم بهذا العمل بعض الباحثات والباحثين الجادين فيؤرخون لمسيرة التعليم والتعلم الحديث في تهامة بشكل عام وفي محافظة القنفذة على وجه الخصوص.

اتضح في مدونة هذا الباحث التهامي (غازي الفقيه) ذكر أعلام في البلاد كان لهم دور توعوي وتنويري في تأسيس بعض المدارس القديمة (الكتابات). ونحن لا نعرف تاريخ هؤلاء الرجال، وما قدموا لأهلهم وبلادهم، حبذا أن نرى مؤرخين تهاميين يوثقون شيئاً من سيرهم وجهودهم العلمية والحضارية.

انتشر التعليم العام والعالي الحديث في ربوع القنفذة وما حولها من مدن وقرى وحواضر تهامة من القحمة والبرك إلى الليث ومن سواحل القنفذة إلى مناطق الأصدار، من المخوة إلى محایل عسير، ومازلنا نجهل الكثير من تاريخ هذا القطاع الحضاري الكبير، وما هي الآثار الإيجابية التي عادت على سكان البلاد خلال الثمانين عاماً الأخيرة (١٣٦٥ - ١٤٤٥هـ / ١٩٤٦ - ٢٠٢٤م) ٥ .

(١) هذه الخلاصة من إعداد صاحب (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) . (ابن جريس) .

أشرت في صفحة سابقة إلى شيء من الضروريات التي مازالت تحتاجها بلاد تهامة، وهناك الكثير من المدونات والمطالبات السكانية بتوفيرها. آمل أن نرى دراسة علمية توثق المنجزات الحضارية الحديثة التي تحققت على أرض الواقع من سبعينيات القرن الهجري الماضي إلى الآن (١٤٤٥هـ / ٢٠٢٤م)، وما هي المشاريع التنموية المهمة التي مازالت البلاد في حاجة ماسة إليها^(١).

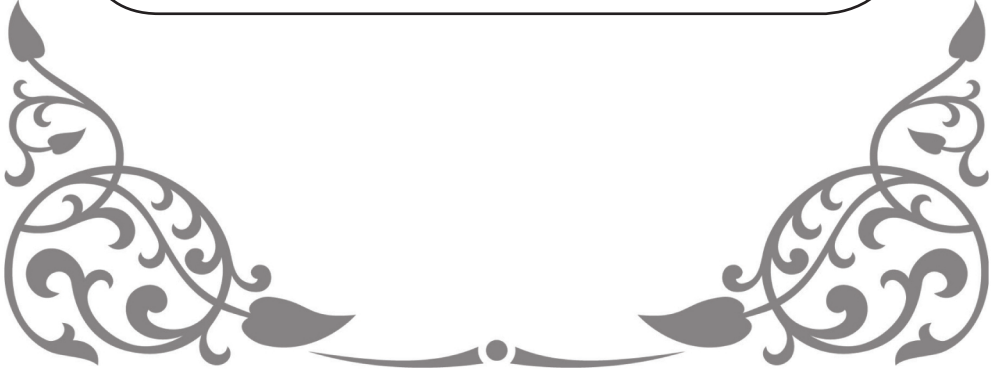


(١) إن المؤرخ الجاد والمنصف يرى أن عموم الديار التهامية حظيت بالكثير من التطويرات التنموية العملاقة خلال عهد الدولة السعودية الحديثة. وسيجد الدارس لتاريخ هذه البلاد خلال القرون الماضية المتأخرة الحديثة (١٠ق — ١٣ق هـ / ١٦ق — ١٩م) أنها كانت تعيش صعوبات ومعوقات طبيعية وبشرية كثيرة، ومازالت بحاجة إلى من يدرسها ويوثقها في أعمال علمية رصينة. (ابن جريس)



القسم الرابع

مقالات تاريخية وحضارية
مختصرة عن السروات وتهامة
خلال العصرين القديم، والإسلامي
(الجزء الأول)



القسم الرابع

مقالات تاريخية وحضارية مختصرة عن السروات وتهامة خلال
العصرين القديم، والإسلامي (الجزء الأول)

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	مدخل.	٤٧٧
ثانياً:	مقالات تاريخية حضارية مختصرة عن السروات وتهامة خلال العصرين القديم، والإسلامي.	٤٧٩
١-	خطاب استكتاب بهدف جمع مادة علمية عن موضوعات تاريخية وحضارية في بلاد تهامة والسراة. بقلم. أ. د. غيثان بن علي بن جريس.	٤٧٩
٢-	الحجاز والسراة في المصادر غير العربية (قراءة مختصرة) . بقلم . د. عوض بن عبد الله بن ناحي.	٤٨٣
٣-	اليمن الجاهلية، أخطاء المؤرخين، وأوهام النقاد. بقلم . د. محمد أحمد علي فتحي.	٤٨٦
٤-	كلمة عن النقوش والكتابات القديمة في جنوب البلاد السعودية (تهامة وسراة). بقلم. أ. منصور أحمد آل الثبيت العسيري.	٤٩٢
٥-	التراث غير المادي في منطقة نجران. بقلم. أ. محمد بن هادي آل هتيلة.	٤٩٧
٦-	مقتطفات تاريخية حضارية عن السروات، وأبها. بقلم . د. إسحاق بن عبد الله السعدي الغامدي.	٤٩٩
٧-	خلاصة تاريخية عن دوقة الساحل في محافظة القنفذة. بقلم. أ. يوسف بن حسن الخيري.	٥١٩
٨-	لمحة تاريخية عن طريق الساحل الرابط بين مكة المكرمة وجازان في العصر الحديث. بقلم. أ. ناصر بن أحمد العماري الشريف.	٥٢١
٩-	وقفة مع سوق الأحد بقرية الشعبين في محافظة رجال ألمع . بقلم. أ. طلال بن أحمد قضيلى عسيري.	٥٢٤
١٠-	من رواد العلم الشرعي في تهامة بني شهر (حاضرة المجاردة) خلال القرن (١٤هـ / ٢٠م). (الشيخ محمد بن عبد الله إلياس). بقلم. أ. محمد بن أحمد الشهري.	٥٢٩

م	الموضوع	الصفحة
١١-	بلاد أثرب في تهامة بني شهر كما سمعت عنها ورأيتهما (١٣٩٧-١٤٤٦هـ الموافق ١٩٧٧-٢٠٢٤م). بقلم. د. حسن فيصل محمد الشهري.	٥٣٥
١٢-	مقتطفات من تاريخ محافظة أحد رفيدة (قرية آل كامل وما جاورها أنموذجا). بقلم. أ. محمد بن سعيد أبو هتلة القحطاني.	٥٤٤
١٣-	أوراق من ذاكرة أبها (مدينة البنفسج) . بقلم. أ. د. عبد الحميد سيف الحسامي.	٥٥٠
١٤-	شهادة باحث في مدينة أبها (ذكريات ومشاهدات). بقلم. أ. د. فوزي عارف الإبراهيم علي.	٥٥٥
١٥-	لمحات عن التهاميين والسرويين في تبوك خلال العصر الحديث. بقلم. أ. محمد بن حسن الجبيري الشهري.	٥٥٨

أولاً: مدخل؛

مهما بذلنا من جهود لخدمة تاريخ وتراث وحضارة بلاد تهامة والسروات عبر أطوار التاريخ فلن نقدر لاتساع الموضوع زماناً ومكاناً. ومن يجتهد في تحقيق شيء من ذلك، فقد يصل إلى بعض النتائج التي تشرح لنا صور وجزئيات من موروث هذه الأوطان الكبير والمتنوع^(١).

دأبت منذ زمن على جمع مواد علمية تاريخية وحضارية عن طريق السير في البلاد، ومقابلة الرموز والأعلام وأهل الأدب والثقافة والمعرفة. واجتهدت في الكتابة إلى بعض المسؤولين، والرواد، وأصحاب القرار، والمعلمين، وأساتذة الجامعات وغيرهم من شرائح المجتمع، وطلبت منهم أن يدونوا لي توثيقات متنوعة في مجالات وموضوعات مختلفة، كل حسب معرفته وخبرته وقدرته العلمية والعملية، وقد حققت بعض النجاحات في هذا المنهج البحثي^(٢).

(١) هناك تراث وموروث كبير لتهامة والسراة من فترة ما قبل التاريخ إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م). وعلى بنات وأبناء هذه البلاد المتخصصين في معارف وعلوم ومجالات مختلفة أن يخدموا بلادهم، كل في مجال عمله وتخصصه، وهذا واجب وطني على كل واحد منا. (والله الموفق). (ابن جريس).

(٢) إنها رحلة طويلة في هذا الميدان، تزيد عن أربعين عاماً. والحمد لله أنني تعلمت الشيء الكثير من قادات وأعلام كثيرة قدموا لي الكثير من أقوالهم وتوثيقاتهم وتجاربهم ومدوناتهم. ويوجد في مكتبتي العلمية آلاف الأوراق والمدونات لمئات الرجال والأعلام السعوديين وغيرهم من دول عربية وإسلامية أخرى. (ابن جريس).

اعتمد هذا القسم الموسوم بـ: مقالات تاريخية وحضارية مختصرة عن السروات وتهامة خلال العصرين القديم، والإسلامي (الجزء الأول) ^(١)، على منهج استكتاب الآخرين في موضوعات مختلفة لها صلة بالديار السروية والتهامية ^(٢). واستغرق وقت جمع مادة هذا العمل أكثر من ثمانية شهور، وأرسلت خطاب الاستكتاب لأكثر من (٤٠٠) علم، ووصلني حوالي (٥٥) مشاركة متفاوتة في الطول والقصر، وفي المستوى العلمي والمواد الموثقة، وفي الأهمية ورصد بعض الجزئيات المتنوعة. وقضيت بضعة شهور أراجع هذه المدونات حتى استقر أمري على (١٤) مشاركة تم ترتيبها ونشرها في هذا السفر.

ويلاحظ القارئ والباحث الكريم أن جميع المقالات المنشورة قصيرة في مادتها العلمية، وما زالت بحاجة إلى دراسة أطول وأعمق، ومعظم كتابها من أبناء تهامة والسراة، ولا تخلو من أعلام آخرين عاشوا في هذه البلاد وكتبوا شيئاً من انطباعاتهم ومشاهداتهم.

الواضح من عناوين المقالات الأولى من رقم (٢-٦) شيئاً من الشمولية، وتوثيق مادة علمية في موضوعات متعددة في السراة وتهامة قبل الإسلام وبعده. أما بقية المقالات من رقم (٧-١٥) فأشارت إلى عناوين متنوعة في تهامة والسراة، وأغلبها في العصرين الحديث والمعاصر.

من المؤكد أن يظهر بعض المنتقدين على طريقة جمع مادة هذا القسم، ثم الطباعة والنشر. وهذا أمر طبيعي، فالكمال لله وحده - عز وجل - والعصمة للأنبياء والرسول. وهذا جهد بشري والأخطاء واردة، لكنني أزعم أن في هذا العمل مادة علمية جديدة، ومفاتيح معرفية تقيد وتساعد من أراد التوسع في بعض العناوين الموثقة، وإخراج دراسات أفضل وأطول وأعمق. وربما يستفيد آخرون من المنهج المتبع، ويُطبق على موضوعات علمية في أزمنة وأمكنة أخرى. ونحن جميعاً طلاب علم، والهدف أن نخدم بلادنا وتاريخنا وحضارتنا المحلية والعربية والإسلامية قدر الاستطاعة. والله أسأل أن ييسر لنا الخير، ويجعلنا مفاتيح للخير، ويجنبنا الشرور بجميع أنواعها. وأن يستخدمنا في فعل وقول وكتابة كل عمل يرفع درجاتنا عند رب العالمين، وأن يجعل جميع أقوالنا وأفعالنا صالحة ومقبولة عند الله، وتكون حجة لنا لا حجة علينا. وصلى الله وسلم على رسول الله.

(١) ذكرت مصطلح (الجزء الأول)، لأن عندي الرغبة - بإذن الله - أن أجمع مادة علمية أخرى وتشر في وعاء آخر، وتحمل اسم (الجزء الثاني) وربما (الجزء الثالث).

(٢) من يطلع على المدونة الأولى في هذا القسم يجدها خطاب استكتاب أرسل لعشرات الأعلام من الرجال والنساء، من أجل جمع مادة علمية عن تاريخ وحضارة السروات وتهامة خلال قرن من الزمان (١٢٤٥-١٤٤٥هـ/١٩٢٦-٢٠٢٤م). وقد وصلني عشرات الردود والمشاركات التي درست ووثقت جزئيات من تراث وحضارات تهامة والسراة منذ عصور ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر.

ثانياً: مقالات تاريخية حضارية مختصرة عن السروات وتهامة خلال العصرين القديم، والإسلامي. (الجزء الأول).

١ خطاب استكتاب بهدف جمع مادة علمية عن موضوعات تاريخية وحضارية في بلاد تهامة والسراة. بقلم . أ. د. غيثان بن علي بن جريس^(١).

إخواني وأخواتي، أبنائي وبناتي (السرويين والتهاميين)، الموقرين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد: أرسل إليكم هذه المذكرة، وأهديكم سلامي، وأسأل الله لنا جميعاً الرشد، والتوفيق والسداد. كما أفيدكم أن ديارنا تهامة والسراة، الممتدة من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران، من البلدان الأصيلة العريقة القديمة في تراثها، وتاريخها، وحضارتها. فهي مستوطنات بشرية منذ آلاف السنين قبل الإسلام. ثم دخلت تحت لواء الدين الإسلامي، وحسُنَ إسلام أهلها، وساهم بعض أبنائها في بناء الحضارة الإسلامية، منذ فجر الإسلام حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م). وعندما نبحت عن تاريخها المكتوب قبل الإسلام وبعده حتى نهاية القرن (١٢هـ/١٨م)، لا نجد عنها شيئاً ذا فائدة كبيرة في مصادر التراث العربي والإسلامي. ولا يعني ذلك، أنه لا يوجد لها تاريخ وحضارة، بل أهلها من العرب الأقحاح الذين عاشوا في بلادهم، ولهم تراث وآثار وتاريخ، لكنه للأسف لم يوثق. ومدونو التراث وأرباب القلم في العصور القديمة والإسلامية المبكرة والوسيطة تجاوزوا ذكر هذه الديار، ولم يخدموها في توثيقاتهم، بل لم يزوروها ويروا أهلها وأرضها. وهذا الذي جعلها قليلة الذكر في مؤلفات المتقدمين.

قامت في هذه البلاد، من بدايات القرن (١٢هـ/١٨م)، بعض الإمارات السياسية، واستمرت تعيش بجميع مكوناتها أحداث القرنين (١٢-١٤هـ/١٩-٢٠م). واتصل أهلها بالكثير من الأنشطة التاريخية والحضارية التي عرفتتها شبه الجزيرة العربية، وصار يوثق تاريخها السياسي والعسكري وشيئاً من حياة أهلها الحضارية، وانخرطت قبائلها، وأعلامها، ومعظم شرائحها المجتمعية في الكثير من المناشط الداخلية، واتصلت بالقوى والحكومات السياسية التي عرفتتها جزيرة العرب من عام (١٢٠٠-١٣٤٠هـ/١٧٨٦-١٩٢١م). وبالتالي صار عندنا الكثير من المصادر والمراجع المخطوطة أو المطبوعة والمنشورة التي تشرح وتوثق جزئيات وصور وموضوعات من حياة الأرض والناس، وبخاصة المواقع والمدن والمراكز الحضارية الكبيرة في مناطق الطائف، وغامد وزهران،

(١) تم إرسال هذا الخطاب إلى أكثر من (٤٠٠) أستاذ وباحث وعلم في بلاد السراة وتهامة، وبعض مدن المملكة الأخرى.

والقنفذة، وجازان، وعسير (سراة وتهامة)، ونجران وغيرها^(١).

جاء الفرع مع ظهور إمارة ثم دولة الإمام ثم الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل الذي خاض عشرات المعارك من أجل توحيد مملكته. وكان النصر حليفه فوحد معظم أراضي الجزيرة العربية تحت راية دولته (المملكة العربية السعودية). وصدر في هذا التاريخ السياسي والحضاري مئات الكتب والبحوث والرسائل الجامعية باللغة العربية، ولغات أخرى عديدة.

دخلت بلدان السروات وتهامة، مثل غيرها من أراضي المملكة العربية السعودية، تحت الراية السعودية الحديثة، وأسدل الستار على التاريخ الماضي المريع، وصار الناس يعيشون في أمن وأمان، ونمو وتطور، ورغد من العيش. بل صارت ذات شأن، ولها إسهاماتها المتنوعة على المستوى المحلي، والإقليمي، والعالمي. والذي يهمني في هذه الورقة هو العمل والاجتهاد في توثيق شيء من تاريخ وحضارة السروات وتهامة خلال قرن من الزمان (١٢٤٥ - ١٤٤٥هـ / ١٩٢٦ - ٢٠٢٤م). والذي جعلني أحث وأنادي بهذا النداء، هو الألم والحسرة على ما لحق أهلنا وأرضنا من نسيان وتجاهل معرّف وتوثيق خلال القرون القديمة، والإسلامية المبكرة، والوسيطة، وبدايات العصر الحديث. وما زالت تحتاج إلى الكثير من الجهود والرعاية الجادة لدراسة وتحليل وتوثيق حضارة أهلها خلال العصر الحديث (١٢٠٠ - ١٣٤٠هـ / ١٧٨٦ - ١٩٢١م).

أما في العصر السعودي الأخير، فهناك الكثير من البحوث العلمية العامة التي درست عشرات الموضوعات السياسية والحضارية للمناطق، والحوضر، والمدن الكبيرة في أرجاء المملكة العربية السعودية. وإذا حصرنا حديثنا على بلدان معلومة مثل السروات وتهامة، ثم ركزنا أكثر زماناً ومكاناً على عناوين أصغر سياسية، وعسكرية، وإدارية، واجتماعية، واقتصادية، وعلمية وتعليمية وثقافية وغيرها، فإننا نلاحظ الفقر التوثيقي واضحاً. وغالباً لا نجد أي دراسات دقيقة وصغيرة تخدم الأرض والناس في عموم تهامة والسراة. كما أننا لا نبحث عن دراسة الحياة السياسية والعسكرية،

(١) ليس هناك وجه مقارنة، في ميدان العلم والتوثيق التاريخي الحضاري، بين الإثني عشر قرناً الأولى من عصر الإسلام، والقرن (١٣هـ / ١٩م) والعقود الأولى من القرن (١٤هـ / ١٩م - ٢٠م). فالفترة الأخيرة أكثر وضوحاً وذكراً وتوثيقاً في الكثير من المصادر العربية، والعثمانية، والأجنبية وبخاصة الأوروبية. مع أن عموم بلدان شبه الجزيرة العربية كانت تعيش في صراعات قبلية محلية متنوعة، ناهيك عن الحروب والمعارك العسكرية الطاحنة بين العديد من الحكومات والقوى الداخلية والخارجية. وكانت أرض السروات وتهامة لاعبا رئيسيا في التاريخ.

أو الصراعات القبلية التي عاشتها البلاد خلال العقود الوسطى من القرن الهجري الماضي (١٢٤٠ - ١٣٨٠ هـ / ١٩٢١ - ١٩٦٠ م)، لأن هناك بعض الكتب والبحوث التي صدرت في هذا الباب، وإذا تعمقنا في الجزئيات الصغيرة فقد نجد أخباراً وأحداثاً سلبية، ودراستها ثم طبع بحوث عنها ونشرها لا يخدم الدين والبلاد والعباد. والذي يجب أن نرعا ونلتفت له، هو التاريخ الحضاري في شتى الجوانب. وهناك الكثير من المصادر الأولية كالوثائق، والسجلات، والمذكرات الرسمية وغير الرسمية والمحفوظة في أراشيف الكثير من مؤسسات الدولة وفيها مواد علمية مهمة وجيدة وجديرة بالاطلاع والدراسة والتحليل.

نحن أجيال السبعة أو الثمانية عقود الأخيرة (١٣٦٥ - ١٤٤٥ هـ / ١٩٤٥ - ٢٠٢٤ م) عشنا ورأينا الكثير من تاريخ بلادنا الحديث والمعاصر. وكل واحد منا شاهد، وشارك، وقرأ، وعرف، وعاصر صوراً من تاريخ وحضارة هذا العصر. أرجو أن أجد فيكم من يتعاون معي، فيكتب لي تاريخاً حديثاً أو معاصراً في أي موضوع، أو محور، أو عنصر، أو جزئية من تراث وحضارة هذه الديار الواسعة (السروات وتهامة). وقد نجد منكم من يكتب عن تاريخ القرية، أو المدينة، أو الناحية التي عاش فيها ردحا من الزمن. وآخر يوثق صفحة من تاريخ المؤسسة، أو المدرسة، أو الإدارة، أو الكلية التي عمل فيها سنوات عديدة. وربما يظهر لنا بعض الأفراد (ذكورا وإناثا) فيكتبون من خلال أعمالهم، ومهنتهم، أو تخصصاتهم العلمية، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو الفنية، أو الثقافية، أو الإعلامية، أو السياسية، أو أي موضوع يعرفون تفاصيله، ويستطيعون كتابة صور منه.

اعلم أن طلب الكتابة والتوثيق من المعاصرة والتجارب الشخصية ليس بالأمر السهل، وهذا الذي عرفته ورأيتُه خلال رحلتي العلمية والبحثية التي تجاوزت نصف قرن. وقد نجحت مع بعض الأعلام والرواد في المملكة العربية السعودية، وبخاصة في مدن وحواضر الحجاز والسروات وتهامة، وحصلت على الكثير من مدوناتهم الشخصية، ونشرتها في الكثير من بحوثي وكتبي المطبوعة والمنشورة. ومازلت مواصلاً في هذا العمل، وأرسل لك هذه المذكرة لمعرفتي إنك (رجل أو امرأة) من أرباب القلم، ومن الذين عندهم مخزون معرفي وحضاري وتاريخي عن وطنك، وبخاصة موطن الآباء والأجداد. وقد تكون أساساً من أهل تهامة والسراة، لكن ظروف الحياة والعمل جعلتك تعيش في مدينة أو منطقة أو ناحية أخرى من المملكة، أو ربما خارج الوطن، ومع ذلك تستطيع أن تكتب لنا في أي موضوع تختاره وله صلة بتاريخ السرييين والتهاميين داخل بلادهم جنوب المملكة، أو في أي مكان آخر من وطننا الكبير.

أرجو منك أخي وأختي، وبنتي وابني ألا تحتقر من الأمر شيئاً، فقد تدون قصة، أو رواية، أو حدث، أو موضوع صغير يحمل في طياته معلومات تاريخية حضارية جيدة تصب في خدمة بلادنا بشكل عام، وفي المكان والموضوع الذي تنطرق له في مدونتك. كما أنني لا ألزمك بصفحات محددة، فالأمر متروك لك، فقد يكتب لنا شخص صفحة أو صفحتين أفضل من إنسان آخر يكتب خمسين صفحة. والهدف الذي أسعى إلى الحصول عليه معلومات تاريخية حضارية موثقة عن جزئية أو جزئيات محددة، مع توخي دقة المعلومة، والمصداقية، والشفافية. فهذه من الصفات التي يجب توافرها في الباحث والمؤرخ الحيادي والنزيه. كما أرجو أن تكون معظم توثيقاتنا تعكس التاريخ الحضاري التتموي الذي تعيشه بلادنا من سبعينيات القرن الهجري الماضي إلى وقتنا الحاضر.

إذا كانت مدوناتك تحتاج إلى روايات شفوية من بعض الرواة، أو وثيقة، أو صور فوتوغرافية. فأرجو توظيفها ضمن حديثك مع ذكر مصدرك وحفظ حقوق الآخرين. كما أن أي مدونة أو معلومات تصلني يجب أن ترفق معها سيرة ذاتية مختصرة حتى نحفظ حقك العلمي، لأنك مصدر معلوماتك. كما أرجو أن تتجنب الكتابة عن سيرتك الذاتية، لأن هذه الجزئية من اختصاصي، والواجب عليّ ربط توثيقاتك باسمك ولمحات من حياتك العلمية والعملية.

(*) وختاماً:

أرجو من يجد عنده الرغبة في التعاون معي في هذا المشروع العلمي ألا يبخل بأي معلومة (معلومات) مفيدة وواضحة ودقيقة. وكلنا نحمل هم ديننا، وبلادنا، وأهلنا. ويجب على كل واحد منا أن يكون عضواً صالحاً ونافعاً لوطنه الذي قدم لنا الكثير، بعد أن كان الأجداد يعيشون في حياة صعبة وقاسية ديدنها الجهل، والفوضى، والاحتراب. ناهيك عن المعوقات الأخرى كال فقر، والأمراض، وفقدان الأمن. ويجب على كل إنسان أن يستشعر هذا الاستقرار، وطيب الحال الذي تعيشه بلادنا، تحت رعاية ربنا - عز وجل - ثم تحت خدمة ورعاية حكومتنا المباركة (المملكة العربية السعودية)، زادها الله إيماناً ورفعة واستقراراً. وصلى الله وسلم على الرسول الكريم محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام. من توثيق أ. د. غيثان بن علي بن عبد الله بن جريس - أبها - المملكة العربية السعودية. حرر يوم الخميس (١٢/٢٨/١٤٤٥هـ).



٢ الحجاز والسراة في المصادر غير العربية (قراءة مختصرة)

بقلم. د. عوض بن عبدالله بن ناحي^(١).

حظيت جزيرة العرب منذ عصور ما قبل الميلاد باهتمام كثير من المؤرخين غير العرب والمسلمين منذ هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد وصولاً إلى أبي الفرج بن العبري ومن أتى بعده من المؤرخين السريان حتى العصور الإسلامية المتأخرة. وكتابات تلك المصادر عن المنطقة الممتدة من يثرب وصولاً إلى نجران لقيت بعض الاهتمام وخاصة في الدراسات الغربية لأهداف وأسباب متعددة. أما المؤرخون العرب فلم يأت اهتمامهم بتاريخ وتراث الجزيرة العربية، إلا في فترة ما قبل الإسلام. والمصادر التراثية الإسلامية شكلت الموارد الرئيسية عند الكثير من الباحثين في تاريخ السروات وتهامة. وإطلالة سريعة على ما كتبه المصادر غير العربية عن أهم حواضر هذه البلاد يجعلنا أمام معلومات غزيرة ومبكرة وجديرة بالدراسة .

وإذا ما ابتدأنا بـ «يثرب» فسنجد أن أقدم إشارة لها وردت في نقش منسوب إلى آخر ملوك بابل (نابونيد) باسم (إثريبو Iatribu)، على أنها أحد المواضع التي وصلها أثناء إقامته في تيماء، وهو ما يعني أنها كانت بلدة عامرة منذ القرن السادس قبل الميلاد. كما ذكرها بطليموس القلوزي باسم (لاثريبا Lathrippa) كأحدى المحطات الرئيسية الواقعة على طريق القوافل إلى بلاد العربية السعيدة. وما يؤكد اهتمام المصادر الكلاسيكية غير العربية بها أنه تكرر ذكرها في المصادر البيزنطية والسريانية منذ القرن السادس الميلادي وحتى العصور الإسلامية اللاحقة على أنها أول عاصمة لدولة العرب المسلمين (بنو إسماعيل أو السراقة) التي خرجوا منها فاتحين لبلاد الشام وأرض الرافدين.

أما مكة فقد كانت مثار إشكال لشح ما كتب عنها بخلاف يثرب، واختلف الباحثون على تلك المدينة التي كان يقصدها بطليموس بـ (مكروبا Macoraba) حول ما إذا كانت مكة أم موضع آخر. إلا أن ظهور الإسلام وحركة الفتوحات الإسلامية المبكرة أحدثت تغيرات هائلة في الخارطة السياسية والدينية والحضارية في العالم القديم

(١) الدكتور عوض بن عبدالله بن ناحي العسيري أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك في جامعة نجران. له العديد من الكتب والبحوث مطبوعة ومنتشرة . شارك في العديد من اللقاءات والندوات والمؤتمرات المحلية، والإقليمية، والعالمية. وهو من الباحثين الجادين، وله مشاركات علمية وثقافية ومجتمعية عديدة. (ابن جريس) .

وحدث تحولاً جذرياً حتى في اهتمامات المؤرخين غير المسلمين تجاه جزيرة العرب والعرب على وجه العموم منذ عصر الخلافة الراشدة. وكان الاهتمام بحواضر غرب وجنوب غرب جزيرة العرب جزءاً رئيسياً من ذلك السياق بداية بمكة والمدينة. ومن أمثلة ذلك ما دونه مؤلف نسطوري عاش في زمن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) عن أهم حواضر "بلاد الهاجريين" (أي جزيرة العرب) في أيامه مثل "حضور" (مكة) التي بها (قبة إبراهيم) (أي الكعبة المشرفة) ويثرب التي أصبحت تسمى بـ «المدينة»، ومدينة «الطوف» (الطائف). وسنجد أن ذلك الاهتمام وصل إلى مصادر لاتينية كتبت إشارات مباشرة عن «مكة» التي بها (بيت إبراهيم). ومثلها مصادر بيزنطية كتبت عن المدينتين المقدستين من حيث أهميتهما السياسية ومكانتهما المقدسة.

أما نجران فتستحق أن يخصص لها باب أو حتى بحث مستقل في الكتابات غير العربية وهو ما جذب بعض الباحثين لدراسة ما كتبه المؤرخون الكلاسيكيون، ومؤرخو الكنائس الشرقية عنها منذ حقبة ما قبل الإسلام وصولاً إلى أواخر العصور الإسلامية. إذ سنجد أنها وردت في كتابات (سترابون Strabo) و(بليني Pliny) باسم (نجرانا Negrana) كإحدى المدن المحصنة الواقعة على طريق البخور أثناء حديثهما عن الحملة الرومانية بقيادة أليوس جاليوس (Aelius Gallus) على جنوب الجزيرة العربية سنة (٢٤ق.م)، كما أشار إليها بطليموس (Ptolemy) في كتابه الجغرافيا باسم نجران ميتروبوليس (Negara Metropolis).

أما التواريخ الكنسية والمصادر النصرانية الشرقية (اليونانية، والسريانية، والحبشية) فقد أبدت اهتماماً ملحوظاً بنجران منذ القرن الرابع الميلادي حينما كتب مؤرخو الكنيسة الأوائل عن وصول النصرانية إلى جنوب غرب الجزيرة العربية مثل يوسابيوس القيصري (Eusebius of Caesarea)، وروفينوس الأكويلي (Rufinus of quileia)، وجيروم (Jerome)، وسقراط الدارس (Socrates Scholasticus)، وفيلوستورغيوس (Philostorgius) وغيرهم. وذلك الاهتمام ازداد كثيراً بعد حادثة الاضطهاد الشهيرة المعروفة بحادثة الأخدود فكتبت عنها المصادر الأثيوبية، والسريانية واليونانية مثل بروكوبيوس القيصري (Procopius of Caesarea)، أذكير الأثيوبي، وكتاب الحميريين، ورسالة شمعون الأرشمي، وتاريخ يعقوب الرهاوي، وصولاً إلى تاريخ سعرت النسطوري، وابن العبري الذين كتبوا عن وفد نصارى نجران إلى النبي ﷺ، وأحوالهم في ظل الإسلام.

لم يكن اهتمام المصادر غير العربية منحصرأً على مكة ويثرب ونجران، بل انه امتد إلى مواضع أخرى في بلاد الحجاز والسراة، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر كتابات سترابون عن المواضع التي مرت بها أو بقربها حملة القائد الروماني اليوس جاليوس ومنها تبالة (Malotha)، وبيشة، وحوالة (Chaalla). ومثله كتاب (عن البحر الأرتيري) الذي تضمن إشارة غير مباشرة لجازان، وأميانوس ماركيلليونس (Ammianus Marcellinus) الذي أشار إلى نجران في معرض حديثه عن مدن بلاد جنوب الجزيرة العربية، وديودور الصقلي (Diodorus Siculus) الذي ضمن موسوعته التاريخية إشارات مهمة عن سواحل البحر الأحمر القريبة من الحجاز وحتى جنوب الجزيرة العربية.

كل ما سبق من كتابات غنية المعلومات، ومتنوعة الموضوعات، وغزيرة التفاصيل يجعل منها مادة بحثٍ مستقبلي في تاريخ المنطقة التهامية والسروية الممتدة من المدينة المنورة شمالاً وحتى جازان ونجران في أقصى جنوب غرب المملكة. لكنها بلا شك تحتاج أدوات مهمة ورئيسية وأولها إجادة لغات تلك المصادر الأصلية (مثل اليونانية، واللاتينية، والسريانية، والأثيوبية)، أو اللغات الأوروبية الحديثة الناقلة لتراث تلك اللغات وخاصة الإنجليزية والفرنسية والألمانية التي مثلت قنوات لمشاريع ترجمة علمية ضخمة قامت بها الكثير من الجامعات والمؤسسات البحثية الغربية. (الأحد ١٢/ ٣/ ١٤٤٦هـ)^(١).



(١) أأمل أن نرى بعض الباحثات والباحثين الجادين يدرسون بلاد تهامة والسراة من خلال هذه المصادر التي أشار إليها هذا الباحث وغيرها من المصادر الكلاسيكية . (ابن جريس).

٣ اليمن الجاهلية، أخطاء المؤرخين، وأوهام النقاد

بقلم. د. محمد أحمد علي فتحي^(١)

يقف الباحث في مسألة المراد باليمن في الدراسات القديمة على خطأ جغرافياً، وتاريخياً كبير، وهو خطأ أثر تأثيراً مباشراً على الدراسات الأدبية القديمة، والحديثة التي تناولت الشعر الجاهلي. وهو خطأ نزع الإرث الشعري الجاهلي من حيّزه الجغرافي الحقيقي، الذي يضم الأقاليم المحصورة بين مكة من جهة الشمال، وجنوب جازان من جهة الجنوب، وقد يمتد قليلاً في شمال ما يعرف اليوم بالجمهورية اليمنية، وألصق ذلك الإرث بجزء جغرافي لا علاقة له به، يتمثل في إقليم ما يعرف اليوم باسم اليمن.

قد أدّى ذلك الخطأ إلى سلسلة من الأخطاء العلمية التي أثرت في توجيه الدراسات العلمية التي بحثت في الشعر الجاهلي، وفي نسبة القبائل، وفي دراسة الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي؛ بل إن هذا الخطأ الكبير أوجد تجاوزات ما كان لها أن تحدث لو أنّ أهل تلك الدراسات تنبّهوا للفروق الجغرافية، واللغوية، والاجتماعية، والسياسية بين ما كان يعرف باسم اليمن في العصر الجاهلي، وهو الجهة التي تعني جهة الجنوب، وتبدأ من جنوب مكة، وما يعرف اليوم باسم اليمن، وهو إقليم كان يعرف في الجاهلية باسم ديار حمير. وتلك الأخطاء والأوهام جعلت بعض دارسي الشعر الجاهلي غير قادرين على الجمع بين متناقضين كبيرين:

- ١- أن يكون الشعر الجاهلي للشعراء الذين ينسبونهم إلى اليمن على تلك الصفة من البيان والفصاحة، والقدرة اللغوية المثالية.
- ٢- أن اليمن كان إقليماً ذا لغة مختلفة، ولا وجود للغة الشعر الجاهلي الرفيعة فيه.

وهذا العجز عن الجمع بين هذين المتناقضين هو الذي أدّى إلى إنكار بعضهم للشعر الجاهلي بالجملة، والشعر المنسوب إلى شعراء اليمن على وجه الخصوص، واعتبارهم لما وصل إلينا من ذلك الشعر مكذوباً على الجاهليين، كما فعل طه حسين. والحقيقة التي غفل عنها الباحثون أبعد ما تكون عن الظن الذي ظنوه، فالشعر الجاهلي صحيح، واليمن التي نسب إليها الشعراء الجاهليون عربية اللغة، فصيحة التعبير، رفيعة البيان، لكنها ليست المكان الذي ظنّه أولئك الباحثون.

إنّها يمن آخر، يمن جهة لا يمن مكان، ولا مشكلة في الجهة ولا في لغتها، بل إنّ المشكلة كانت في خلط أولئك الباحثين بين اليمن الجاهلية التي تعني جنوب مكة، واليمن

(١) للمزيد عن سيرته انظرها في القسم الثاني من هذا الجزء رقم (٣٠) من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب). (ابن جريس).

الدولة المعاصرة، فظنّوا أنّ اليمن الجاهلية هي اليمن اليوم. ولأنّهم يعلمون أنّ لغة اليمن اليوم ليست عربية، فقد ظنّوا أنّ الشعر المنسوب إلى اليمن موضوع.

لم يتنبّه أولئك إلى أنّ اليمن الجاهلية إقليم لا علاقة له بيمن اليوم، إلا علاقة الجوار، بل هو يمنٌ آخر يعني ما بين مكة، والحدود الشمالية للجمهورية اليمنية الحالية، أو أبعد منها قليلاً. وهذا التحديد هو أليق التحديدات بما كان يعرف باليمن في الجاهلية وصدر الإسلام. وهو أليق الأقاليم بأن يكون منبع الشعر الجاهلي، فذلك اليمن هو الإقليم الذي سكنه العرب الفصحاء، بل الذين قيل إنهم أفصح العرب في ذلك الزمان، ومنهم أزد السراة الذين قال عنهم الخليل بن أحمد: «أفصح الناس أزد السراة». وهوازن التي قال عنها أبو زيد: «أفصح الناس سافلة العالية وعالية السافلة».

وفي اليمن الجاهلية هذيل، وبجيلة، قال قشاش: «قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح الناس أهل السروات، وهي ثلاث: وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن، أولها هذيل، وهي التي تلي السهل من تهامة، ثم بجيلة، وهي السراة الوسطى، وقد خالطتهم ثقيف في ناحية منها، ثم سراة الأزد أزد شنوءة» وغير أولئك من القبائل التي هي أليق بأن يكون الشعر الجاهلي صادراً عنها.

وهذا الخلط بين التسميات هو الذي أشكل على عقل طه حسين، فأنكر أن يخرج هذا الشعر الجاهلي الفصيح، من بلاد لغتها ليست فصيحة! ومن المؤكد أنّ أهل البقعة الجغرافية المعروفة باسم اليمن اليوم لم يكونوا فصحاء اللسان بالعربية، بل كانوا يتحدثون لغات أخرى، نقلتها لنا النقوش، وكتب التاريخ القديمة.

وقد تزامن ما حملته النقوش من ألفاظ اللغات التي كانت سائدة في الإقليم الذي يعرف الآن باسم اليمن، مع العصر الذي نقلت فيه قصائد الجاهليين الجنوبيين، وهو أمرٌ يدل بوضوح على أنّ اللغتين مختلفتان كل الاختلاف، فاليمن الحالية كانت بلاد حضارة وازدهار، لكن بلسانٍ مختلف، لا يقترب من فصاحة الشعر الجاهلي الذي تناقلته الدواوين.

ونرى أنّ عدم معرفة المهتمين بأمر الجاهلية بالفرق بين اليمن الجهة، واليمن الدولة هو الذي أوقعهم في خطأ نسبة امرئ القيس وغيره إلى اليمن الحالية. ونرى أنّ المشكلة بدأت حين وجد الباحثون بلاداً تسمى اليمن، فظنّ كثير منهم أنها المقصودة بالتسمية الجاهلية، دون أن يفتنوا إلى كثير من الشواهد.

وزاد في التوهّم قول المؤرّخين إنّ جرهم يمنية، فظنّوا أنّها جاءت من الجزء الذي أصبح يطلق عليه في عصرنا (جمهورية اليمن) ولكنّ النظرة المتحقّقة تثبت أنّها جاءت

من اليمن الجهة، أي من جنوب مكة، إذ إنَّ المنطق العقلي يرفض أن تكون جرهم من اليمن الحالية، فلو كانت جرهم من اليمن الحالية لكان من غير المنطقي أن تدع اليمن الذي اشتهر بخصوبته، ووفرة مياهه، ثم تنتقل إلى مكة التي كانت واديا غير ذي زرع، لمجاورة نبع ماء جديد، لا يعلمون أيستمر أو ينضب.

وقد قال ابن فضل الله العمري: «ولما أسكن إبراهيم الخليل ابنه إسماعيل عليهما السلام مكة، كانت جرهم نازلين بالقرب من مكة واتصلوا بإسماعيل وزوجوه منهم، وصار من ولد إسماعيل العرب المستعربة لأنَّ أصل إسماعيل ولسانه كان عبرانيا، فلذلك قيل له ولولده العرب المستعربة»، فقلوه بالقرب من مكة يؤيد ما نقول، فإن أقرب أجزاء اليمن الحالية إلى مكة تبعد أكثر من ست مئة وثلاثين كيلا في خط مستقيم، وهي مسافة ليست قريبة في عرف أهل ذلك الزمان.

ودليل آخر لا ينبغي إغفاله، فإنَّ جرهم لو كانت جاءت من (يمن اليوم) لكانت لغتها بعيدة كل البعد عن اللغة العربية التي جاء بها الشعر الجاهلي، فكيف يقول قائل إنَّ جرهم يمنية، ثم يقول إنَّ إسماعيل تعلم منهم العربية الفصيحة، في الوقت الذي كان فيه أهل اليمن الحالية لا يعرفون عربية الشعر الجاهلي! ومن الأدلة - كذلك - على أنَّ القدماء حين يتحدثون عن اليمن لا يعنون دولة اليمن الحالية، بل يعنون ما كان جنوب مكة من البقاع، ويقوت الحموي يجعل شنوءة مخلافا يمانيا.

والمتمل يرى بوضوح أنَّ ديار شنوءة تبدأ من جنوب الطائف: «شنوءة: بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة ثم همزة مفتوحة، وهاء: مخلاف باليمن، بينها وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخا، تسب إليها قبائل من الأزد يقال لهم أزد شنوءة». وجاء في كتاب مجمل اللغة لابن فارس: «وغامد حي من اليمن، والنسبة إليهم غامدي». وقبيلة غامد تسكن الباحة منذ العصر الجاهلي، وما زالت مساكنها هناك حتى اليوم، والباحة قريبة من مكة، بعيدة عن حدود اليمن الحالية، فيكون القصد اليمن الذي هو جنوب مكة.

ومن جانب آخر فإنَّ من يبحث ويدقق فيما ينقل من أخبار العصر الجاهلي سيجد تناقضا كبيرا بين ما ورد في مسألة استشهاد المفسرين كعبد الله بن عباس بالشعر الجاهلي، وكثير من ذلك الشعر ينسب إلى شعراء من أهل اليمن، وما نقل عن علماء اللغة والأدب من أمثال أبي عمرو بن العلاء، وابن جني، وغيرهم من تأكيدهم على ضعف لغة اليمن، وبعدها عن اللغة العربية الفصيحة. فابن عباس يستشهد - مثلا - في تفسيره للآية الكريمة (عن اليمين وعن الشمال عزين) بقول عبید بن الأبرص الذي عاش في جنوب الجزيرة:

فَجَاءُوا يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَكُونُوا حَوْلَ مَنْبَرِهِ عَزِينَا

وفي الوقت ذاته يصرّح أبو عمرو بن العلاء فيما نقله محمد بن سلام الجمحي في كتابه (طبقات فحول الشعراء) بقوله: «ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم كعربيتنا».

ونرى في هذا التناقض تجليةً لغموض التعميم في مسألة النسبة إلى اليمن في المصادر القديمة، فشعراء شواهد ابن عباس من اليمن الذي هو نقيض الشام، أي الجهة التي تقع جنوب مكة، مهما كانت قريبة من مكة.

بينما يتحدّث أبو عمرو بن العلاء عن يمن آخر، يمن بعيد، يعبر عنه أبو عمرو بقوله (حمير وأقاصي اليمن) وهو دولة اليمن الحالية، أو معظم أجزائها على الأقل.

وجاء في التقرير الذي نشرته قناة الجزيرة في تاريخ (١٩/١٢/٢٠١٨م) للباحث اليمني محمد الحميري ما نصّه: «أما الاتجاه الآخر الذي يتبنى منطق اختلاف اليمنية عن العربية، فهو ينطلق من واقع النقوش المكتشفة التي يتضح من خلالها عدم قدرتنا على فهم الألفاظ والتراكيب بمقارنتها مع العربية، وهو ما يعني انقطاعاً عن العربية». ويضيف: «حيث إنّ اللغة اليمنية القديمة تؤلف مع اللغة الحبشية الشعبة السامية الجنوبية، فصلات القرابة التي تربط بين هذين الفرعين أقوى بكثير من صلات القرابة التي تربطها بشعبة اللغات السامية الشمالية كما يبدو من الموازنة بينها في أصول الكلمات والأصوات والقواعد».

وهذا يعني أنّ اليمن يمنان، يمن حقيقي، مختلف بلغته، ويمن مجازي يقصد به ما كان جنوب مكة دون أن يتجاوز الحد الشمالي من الحدود اليمنية الحالية، وإن تجاوزه فليس بكثير. وأورد الدكتور رفعت هزيم في بحثه المنشور في مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق، عدداً من الروايات توضح اختلاف لغة حمير عن العربية، وصعوبة فهمها لغير أهل اليمن (دولة اليمن اليوم).

ومن ذلك ما رواه الهمداني في قوله: «أنه وجد مسند بحقل قتاب في قبر (أنا شمعة بنت ذي مرثد كنعك إذا وحمك أول بانقشم من أرض انهند بطله زاهدا) وذيله بهذه الشروح (أول: أتى به، يريد الفواكه، زاهدا: يريد طرياً، وثمار الخريف تسمى القشم عند حمير». ثم علق الدكتور رفعت هزيم بقوله: «فاذا أضفنا إلى ذلك استعمال الكاف ضميراً للمتكلم في: كنعك، و: حمك، وإبدال اللام نونا في أداة التعريف في: القشم و: الهند) فإنه يقرأ هكذا: أنا فلانة كنت إذا وحمت أتى لي بالفاكهة من أرض الهند بطلها طرية».

وذكر جواد علي في المفصل قول الطبري: «كانت العرب وإن جمع جميعها اسم أنهم عرب، فهم مختلفو الألسن بالبيان متباينو المنطق والكلام». وقول ابن جني: «وبعد

فلسنا نشك في بُعد لغة حمير ونحوها عن لغة بني نزار» وقول أبي عمرو بن العلاء: «ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا». وقول ابن فارس: «إن ولد «إسماعيل»، يريد بهم العدنانية» يعيرون ولد قحطان أنهم ليسوا عرباً ويحتجون عليهم بأن لسانهم الحميرية»، ثم علق على ذلك بقوله: «وأصبح اليوم من الأمور المعروفة أن أهل العربية الجنوبية كانوا يتكلمون بلهجات تختلف عن لهجة القرآن الكريم، بدليل هذه النصوص الجاهلية التي عثر عليها في تلك الأراضين، وهي بلسان مباين لعربيتنا، حيث تبين من دراستها وفحصها أنها كتبت بعربية تختلف عن عربية الشعر الجاهلي، وبقواعد تختلف عن قواعد هذه اللغة. وهي لو قرئت على عربي من عرب هذا اليوم، حتى إن كان من العربية الجنوبية، فإنه لن يفهم منها شيئاً، لأنها كتبت بعربية بعيدة عن عربية هذا اليوم، وقد ماتت تلك العربية بسبب تغلب عربية القرآن عليها.»

وهنا يفرّق بين عربية القرآن الكريم التي كان يتحدث بها أهل مكة ومن جاورهم جنوباً مثل الأزدي وهذيل وغيرهم، وعربية اليمن الحميري الذي هو دولة اليمن الحالية، أو كثير من أجزائها على الأقل. وأما خرافة هجرة القبائل بعد انهيار سد مأرب فلا يقبلها متأمل منح عقله مساحة للتفكير، وكيف يقبل العقل المتأمل أن يؤدي انهيار سدّ عرضه خمسون متراً إلى نزوح كل تلك القبائل التي قيل إنها نزحت، خاصة أن كتب التاريخ تؤكد أن السدّ ذاته قد تهدّم أكثر من مرّة، وأن الأحباش يعيدون بناءه في كل مرة، ولو كان انهياره يسبب تلك الكارثة لما كان من العقل إعادة بنائه.

وعلى العقل أن يتساءل: أين القبائل التي كانت مستوطنة ما بين الحدود اليمنية الحالية إلى بلاد الشام، تلك القبائل التي أسكنت خرافة السدّ القبائل مساكنها دون ذكر لحروب خاضت، أو دفاع دافعت؟ أم كانت كل تلك الأرض خلاء حال انهيار السدّ؟! ثم كيف نزحت تلك القبائل بعد انهيار السدّ إلى بلاد بعيدة، ولم تنزح إلى أقاليم أخرى داخل اليمن الخصيب!

إنّ العقل ليردّ كثيراً مما ورد عن تلك الهجرة، فلا السدّ كان ضخماً يسقي كل بلاد اليمن، ولا تلك القبائل التي قيل إنها هاجرت حين خسرت السدّ اختارت أن تنتقل إلى بلاد أكثر منها سدوداً، وأكثر خصباً، وأكثر حضارة. وكيف يتصور عاقل أن تدع تلك القبائل الحضارة التي قد تعيد بناء السدّ، بل هي قد أعادت بناءه مرات عديدة، وتدع الاستقرار السياسي، والارتباط بالمكان، وإراث الآباء، لتنتقل إلى بلاد لا تعرفها.

واليمن الحالية كانت خاضعة لحكم السبئيين ثم الحميريين، وكانت لهم لغتهم وخطهم، وقد جاء في موقع سفارة اليمن في باكستان ما يلي: «ينقسم التاريخ القديم لثلاث مراحل: الأولى مرحلة مملكة سبأ، والثانية فترة الدول المستقلة وهي مملكة حضرموت ومملكة قتبان ومملكة معين، والثالثة عصر مملكة حمير وهو آخر أدوار التاريخ القديم.»

ومن الثابت أنّ اليمن كانت مملكة معينية ثم سبئية ثم ملكها الحميريون، ومن الثابت أنّ لغة المعينيين لم تكن عربية، بل كانت جزءاً محرّفاً من اللغات البابلية، بل إنّ المعينيين اقتبسوا بعضاً من الأبجدية الفينيقية، التي تحوّلت إلى لغة المسند الذي عرف بالقلم الحميري، وقد بقيت لغة ما يسمى الآن باليمن حميرية إلى زمن البعثة النبوية، وفي ذلك الوقت سادت اللغة العربية الفصحى، وتمكنت من السيطرة على غيرها من اللغات، وإن بقيت منها بقايا ما زالت إلى اليوم في بعض مناطق اليمن، كالمهرية وغيرها. وكان العرب الفصحاء يطلقون على لغة أهل اليمن الطمطمانيّة، أي الكلام غير المفهوم، وفي ذلك يقول عنترة العبسي:

تأوي له قلص النعام كما أوت خزق يمانية لا عجم طمطم

وأورد السيوطي في المزهر أنّ لغة حمير كانت شائعة في اليمن إلى القرن الثامن الهجري.

وهذا يدلّ أنّ تلك اللغة متأصلة في الإقليم الذي يعرف الآن باليمن، ويدلّ من جهة أخرى على أنّها بعيدة جداً عن العربية الفصحى، لأنها لو كانت قريبة منها لكانت ثمانية قرون كفيلة بمحو أي اختلاف فيها. ولهذا قال طه حسين: «إنا لا نجد بين هؤلاء الشعراء الذين يضيفون إليهم شيئاً كثيراً من الشعر الجاهلي قوماً ينتسبون إلى عرب اليمن إلى هذه القحطانية العاربة، والتي أثبت البحث الحديث أنّها لغة أخرى غير العربية». فهو هنا يتحدّث عن اليمن باعتبارها دولة اليمن الحالية، وهو يعلم أنّ لغتها ليست عربية، ولكنّ خطأه أنّه لم يتنبّه إلى أنّ اليمن الجاهلية ليست هي اليمن الحالية.

وحاول بعض الباحثين اليمنيين إثبات أنّ (اليمن الحالية) كانت عربية، وأنّ لأهلها شعراً فصيحاً في الجاهلية، فكتب كتاباً عنوانه: شعراء اليمن في الجاهلية، فما استشهد إلا بالشعراء الذين عاشوا في المساحة الجغرافية التي سكنتها القبائل العربية ما بين مكة وجازان، فذكر منهم عمرو بن الحارث الجرهمي الذي عاش في مكة، وعمرو بن الحارث الخزاعي الذي عاش في مكة أيضاً، والأفوه الأودي الذي عاش في نجران، وزهير بن جناب الذي عاش قرب الطائف، والشنفري الذي عاش في السروات، وعمرو بن معدي كرب الذي عاش في تثليث وما حولها، وغير ذلك كثير، ولم يذكر -رغم اجتهاده- شاعراً معروفاً عاش في ما يعرف اليوم باسم اليمن. وهذا دليل آخر على أنّ اليمن المقصود بالفصاحة والشعر إنما هو ما يعرف اليوم بمناطق الباحة، وعسير، ونجران، وجازان. وأنّ اليمن الداخلي المعروف اليوم بدولة اليمن لم يعرف العربية الفصحى، ولا الشعر العربي الفصيح في العصر الجاهلي، وإنما دخلته الفصحى مع دخول دين الإسلام. (الخميس ١٦/٣/١٤٤٦هـ).

٤ كلمة عن النقوش والكتابات القديمة في جنوب البلاد السعودية (تهامة

وسراة) . بقلم. أ. منصور أحمد آل الثبیت عسيري^(١).

من خلال حضوري المتقطع إلى منطقة عسير في مرحلة التسعينيات من القرن الهجري الماضي ثم استقراري بها منذ عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، فقد عايشته ما جرى من تغيرات في البلاد على امتداد تلك المرحلة إلى الآن بشكل عام، فخلال هذا الزمن (٥٠) عاما، شهدت توسع مساحة العمران في المدن والقرى، وما تم من تغيير لمعالم الأرض بعد وصول المعدات الثقيلة التي تم استغلالها بشكل جيد لتطويع الأرض وتسويتها لاستغلالها من قبل المواطنين، أو من قبل الشركات أو المشاريع الحكومية لفتح الطرق وإقامة المنشآت الحكومية وتوفير الخدمات للمواطن، وهو ما غير الكثير من معالم الأرض، وجعلها أكثر ملائمة لحياة الإنسان العصرية وسهل صعبها وأحيا مواتها في ظل ما أولته الحكومات السعودية المتتالية من اهتمام بنمو الإنسان وازدهار حياته ومستوى رفاهيته في كافة أنحاء الوطن.

إلا أن هذا التغيير والتعمير والاستصلاح الإيجابي كان له جوانب أخرى سلبية، إذ أن مثل هذا التحول قضى على جزء معتبر من تراث البلاد، فهناك الكثير من المنازل الأثرية، أو تلك التي تمثل أنموذجا لتراث المنطقة المعماري تم هدمها لبناء منازل حديثة بدلا منها، وقد عاينت عددا من الأمثلة لهذه الحالة، وهناك جزء هام جداً من التراث في المنطقة كامن بين صخورها وأحجارها وفوق جبالها وفي شعابها التي كانت نائية، قبل أن تتحول إلى مناطق عامرة، بينما أصبح هذا التراث مندثرا.

وما أثار الاهتمام بهذا الجانب لدي ما لاحظته خلال السنوات القليلة الماضية منذ عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) حين قمت بجولات ميدانية متخصصة لجمع النقوش في إحدى القرى الواقعة شمال مدينة أبها (قرية مسلت)، فقد وجدت الكثير من النقوش المتنوعة والمتفرقة، وقد جمعت من القرية ومن الفضاءات المحيطة بها حوالي (١٢٠) نقشا إسلاميا يقدر تاريخها بما بين النصف الثاني من القرن الأول للهجرة إلى القرن الخامس للهجرة، وبين هذه النقوش عثرت على أربعة نقوش تحمل اسم أحد شعراء المنطقة الذين عرفوا في صدر الإسلام، وتناقلت خبره وشعره المصادر التاريخية المتفرقة منذ القرن الثالث للهجرة، وهو الشاعر: ثابت بن عبد الملك العريجي، وكان اثنان من هذه النقوش بيد الشاعر ذاته، واثنان بخط يد ابنه، وقد نشرت بعض هذه النقوش في منصة (X) (تويتر سابقا)، ووجدت أيضا بعض النقوش الأخرى التي عمرها ما بين مائة إلى ثلاثمائة سنة من الآن، ولكنني اكتفيت بالتقدم لوزارة الاعلام

(١) للمزيد عن سيرته انظر، موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج١٦، ط٢، ص ٢٠٩، ج٢٦، ص ٤٥٠. (ابن جريس).

لنشر النقوش القديمة فقط ضمن كتاب متخصص عن النقوش الإسلامية في القرية منذ تاريخ (٢٠٢٤م/٧/٢)، أمل أن يتم فسحه ثم صدوره في كتاب مطبوع ومنشور.

ووجدت أيضاً بعض النقوش لكتابات ثمودية قديمة، والكثير من الرسومات الجميلة لحيوانات مختلفة كالوعول والإبل والخيول والنعام والغزلان وحيوان المها وغيرها، وبعض هذه الرسومات تمثل نحتاً بارزاً جميلاً، وذلك يدل على حضور فن النحت في المنطقة، وشاهدت أعداداً كبيرة من الرسومات الرمزية لحيوانات أو لمحاربين على ظهور خيولهم أو إبلهم، مع العلم أنني لم أحط بكل الفضائل المرتبطة بالقرية فمن المؤكد أن هنالك الكثير مما لم أره، فالبحت تأطر بمساحة (٤) كيلومتر مربع فقط.

وزرت جبل حمومة في محافظة أحد رفيدة وشاهدت العديد من الكتابات الثمودية في سفوح وقمة الجبل، وكان فيما شاهدت نقشا بالخط المسند، ولعل في الجبل المزيد.

وتواصل معي بعض الأصدقاء وأشخاص آخرون يتساءلون عن بعض النقوش بلغات قديمة وجدوها في قراهم، كما لاحظت أن العديد من الهواة يقومون بنشر نقوش ثمودية وجدوها في بعض مناطق الجنوب بمواقع التواصل الاجتماعي، وهذا يدل على أن المنطقة مليئة بالنقوش القديمة بأنواعها.

بقدر ما أدهشني عدد النقوش الإسلامية التي وجدت، ووجود هذه النقوش الثمودية في قريتي الصغيرة ومحيطها وعدد الرسومات وجماليتها، وما ينشره الهواة من نقوش مماثلة، فذلك يدل على إبداع إنسان هذه الأرض وحضور الثقافة الكتابية لديه منذ أقدم العصور، وأحزنتني هذا التجاهل لهذه الثروة الثقافية والتراثية في محافظتنا الأدبية والعلمية، وفي مدوناتنا، وبخاصة في مناطق الجنوب الثلاثة (عسير، والباحة، وجازان) وهذه المصادر الأولية تحمل دلالات لغوية ودينية واجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية هامة، فمن خلالها يمكن استقراء الأوضاع في بلاد تهامة والسراة، عبر المراحل التاريخية، حتى لو كان ذلك عن طريق استقراء المعطيات بصورة غير مباشرة، كما يمكن معرفة مناطق الثقل الاقتصادي والثقافي والسياسي، ومعرفة الصلة مع الشعوب والحضارات الأخرى المجاورة، وبين الأجيال عبر العصور، ناهيك عن أن الكشف عما هو موجود من كتابات كثيرة، له أهمية في ترجمة الوضع الثقافي لإنسان المنطقة، والذي اهتم بتعلم القراءة والكتابة ووثق ذلك على أوثق الصفحات في بيئته عبر العصور، بغض النظر عن مضمونه، فهو ذو دلالة هامة في كل حالاته.

بالرغم أن في المنطقة (تهامة وسراة) من كتبوا عن النقوش الإسلامية ووثقوا مواضعها، كالباحث محمد بن جرمان الأكلبي، والأستاذ علي العواجي، والأستاذ مسفر

الخثعمي وغيرهم، وصدرت بعض الكتب عن هذه الكتابات لكنها لم تشف الغليل، فما تم رصده قليل، بينما ما هو موجود كثير، كما أن ما وجدناه كان عن الكتابات الإسلامية فقط، بينما الكثير في عصور ما قبل الإسلام، ومازلنا بحاجة للكثير من البحث عن النقوش بكل أنواعها من رسوم أو كتابات إسلامية أو ما قبل الإسلامية، وتوثيقها ودراستها، وخاصة النقوش القديمة بالكتابات الثمودية أو الخط المسند.

إن مناطقنا التهامية والسروية، ما عدا نجران، يوجد بها فقر كبير بل عجز في عدد المتخصصين وسبر أغوار ما وراء هذه النقوش القديمة من رسائل مباشرة، فلا يوجد متخصصون في اللسانيات واللغات القديمة، ولم أجد حتى الآن في عسير والباحة وجازان باحثاً أو كتاباً واحداً تخصص في قراءة النقوش بالأبجديات القديمة.

عندما نريد أن نقيم وضع وأهمية النقوش الموجودة بها، فمن المفترض أنه وبقدر ما وجدناه من أهمية لجرش التي مثلت الوجه الحضاري للمنطقة، وأحد أهم روافد التجارة والمنتجات الصناعية والغذائية لمكة المكرمة والطائف ومناطق الجزيرة العربية الأخرى، ومن ارتباط للمناطق الجنوبية باسمها في تاريخ ما قبل الإسلام، والقرنين الأولين من الإسلام، وإلى نهاية القرن الرابع للهجرة، أن نتوقع وجود ما يترجم ما لجرش من ذكر في العصور القديمة والدرجة التي حققتها هذه المنطقة المشهورة تجارياً وصناعياً من الازدهار، بين كتاباتها القديمة المنقوشة على صخورها والمعاصرة لتلك المراحل؛ بل أن حجم الكتابات والرسومات القديمة المنقوشة على الصخور في المنطقة تعكس هذه الأهمية.

على الجانب الآخر فالكتابات الكلاسيكية التي تشير لمواقع في الجزيرة العربية تحوي أسماء مثل جيراثا وجيرا وجيرها وجرها، وبعضها ربما تكون إشارة إلى الجرها في شرق الجزيرة، وبعضها من الواضح أنها لا تدل عليها، بينما لم يتم تحديد موقعها بشكل واضح، كبدة (جراثا) التي أشار لها بطليموس في (العربية السعيدة)، فقد تكون موجهة لجرش منطقة عسير، كما أن مسمى (جيرا) أو (جراثا) أو (جيرها) ترد في النقوش أحياناً للدلالة على مدينة أو منطقة جغرافية. كذلك التي عثر عليها في الإسماعيلية بشرق الدلتا بمصر، أو سواها. وهناك نوع من اللبان يشار إليه في النقوش يسمى الجرهي أو الجرّي (هكذا قرأ النقش)، أو هكذا قاربه القارئون، فهل هو لبان جرها شمال شرق الجزيرة، التي كانت همزة وصل للتجارة مع بلاد فارس والهند وبلاد ما بين النهرين أم أنه لبان جرشي، نسبة لجرش السراة الواقعة على طريق التجارة بين الشمال والجنوب، حيث مصادر اللبان العربي القادم من أبين وشبوة وحضرموت وجنوب غربي عمان، إن من حق التاريخ علينا تحرير هذا الخلط في المفاهيم.

يجب ألا نستبعد الحصول على شيء من الكتابات التي تحمل دلالة مباشرة على أحداث سياسية واقتصادية هامة في أوطان السروات وتهامة، فطرق التجارة كانت تمر عبر هذه البلاد، ومن المتوقع أن هنالك إشارات لهذه التجارة ومصدرها واتجاهها، ولعل نقش مريغان الذي كشفت عنه بعثة فيلبي في محافظة تثليث شرقي منطقة عسير والذي يعد واحداً من أهم النقوش الأثرية في الجزيرة العربية، يمثل شاهداً على ما لهذه الكتابات في المنطقة من أهمية.

مع علمنا وإدراكنا بأن النقوش الثمودية في أنحاء الجزيرة وبادية الشام عموماً تحوي في غالبها، كما يشير المختصون، أسماء على شواهد قبور أو أدعية وتضرعات ونعي، أو قد تحوي بعضها رسومات ونصوص غرامية أو جنسية، فهذا هو واقع النقوش الطبيعي، فالنقوش التي تحمل قصص الحروب والأحداث قليلة جداً في النقوش الفردية والعشوائية التي يغلب عليها طابع البادية، فالنقوش الملكية المسندية والآشورية والمصرية وغيرها من الممالك القديمة تحوي قصص الأحداث وأخبار الحروب، وهذا عائد لتنظيم كتابتها من قبل الحكام والصرف على ذلك للخطاطين المحترفين في هذه الممالك والدول، ومن ثم فقد يرى البعض أن هذه النقوش العشوائية لا أهمية لها، لكونها لا تحمل ما يشير إلى الأحداث والوضع السياسي، بينما هذه النقوش على درجة كبيرة من الأهمية في المنطقة فربما تكشف لنا عن الصلة بالحضارات الأخرى، من خلال العبادات التي سادت في العصور القديمة، وقد يكشف من خلالها عن اتجاه الهجرات المبكرة بشكل جلي، والسكان السالفين وأسماء القبائل والشعوب، وهذه النقوش قد تحمل في حالات خاصة إشارات لأحداث سياسية واقتصادية هامة كما هو حال نقش نابونيد أو نقش الهيروغليفي التي وجدت في تيماء وحملت دلالات هامة حول تاريخ تيماء وأهميتها التجارية والسياسية في الجزيرة العربية ودورها كهمزة وصل للتجارة بين الجزيرة العربية ومصر وبين الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين خلال مراحل من التاريخ البشري، وبلاد عسير والباحة والطائف تمثل منطقة وصل ما بين تجارة الجنوب والشمال التي ظلت أهم عملية لدورة التبادل التجاري بين شعوب العالم القديم.

ذكر أحد الأساتذة المتخصصين في شرحه لبعض الكتابات في وادي أبها عندما عرضتها عليه في تويتر بأنها تحمل سمات الأبجدية الثمودية (F) التي تميز كتابات منطقة نجران وشرقي منطقة عسير، فهي السائدة كما يبدو في جبال السراة، وربما أجزاء من تهامة لكنه توقف عند محاولته قراءة أخرى مما عرضته عليه، ويبدو أن جبال السراة لها شفرتها الخاصة في بعض الأحرف كحال بقية المناطق، وعليه فلا شك أن هنالك صعوبات سيواجهها من يحاول فردياً التمكن من الإحاطة بهذه النقوش وفك رموزها. ولا بد من تحرك جماعي لرصد وتوثيق ومعرفة ما تحويه كل النقوش في

بلادنا (تهامة وسراة) وما يمكن ان تضيفه لنا من معلومة حول تاريخ هذه البلاد.

نحن في حاجة ماسة إلى وضع برامج خاصة لحصر النقوش الثمودية في جنوب المملكة العربية السعودية وفك رموزها، وأرى أنه يجب الإسراع في ذلك قبل أن تفقد أجزاء هامة منها تحت جنازير وأسنان المعدات وتحت المباني والمنشآت الجديدة أو المشاريع الحكومية دون أن يُدرى بها.

إنه من غير المقبول أن تظل هذه النقوش مجهولة في دراسات التاريخ القديم، والذي أصبحت نتائج الكشوفات (الأركيولوجية) وما أبرزت من كتابات ولغات قديمة هي ركيزته الأساسية، ومعتمد استقراره، وأن تظل هذه المنطقة في معزل عن هذا النوع من الدراسات. فهذه بلاد تعج بالأكاديميين والأساتذة المتخصصين في علم التاريخ الذين أثروا تاريخها ونبشوا كل المصادر للكشف عن هذا التاريخ في الوثائق والمراجع القديمة، ولا شك أنهم أقدر على نبش مدوناتها الحجرية وسبر التاريخ المختبئ بين هذه الصخور، واستقرارها واستنباط دلالة محتوياتها.

قدمت هيئة التراث مبادرة رائدة من خلال إعطاء كل من يكشف عن نقش قديم حق إعطاء النقش اسمه، ليبقى النقش مرتبطاً باسم مكتشفه على امتداد الزمن، ونتوقع الاستفادة من هذه المبادرة وتقديم المزيد من التحفيز في مناطق الجنوب السعودي التي تحتوي على الكثير من النقوش المهملة، للوصول لها ورصدها. وأرى أن تتبنى جمعية تاريخ عسير وجامعة الملك خالد والنادي الأدبي بأبها مثل هذا العمل الريادي في منطقة عسير (تهامة وسراة) وما جاورها، والتكفل به والسعي للحصول على الدعم من المسؤولين فيما يخص التصرف ببعض هذه النقوش كمنقلها للمتاحف إذا كان هنالك ضرورة، خاصة تلك النقوش الهامة المتفردة في مواقعها، وأرى أن يكون العمل متواظياً على عدة اتجاهات:

- ١- انشاء مجموعات عمل ميداني متفرقة في محافظات تهامة والسراة تقوم بتقصي مواقع النقوش والآثار وتوثيقها ورفع التقارير عن وضعها والتوصية حول ما يحتاج لتعامل خاص منها.

- ٢- تكثيف الرسائل الجامعية المتخصصة في اللسانيات ودراسة اللغات القديمة في جامعة الملك خالد وغيرها من جامعات الجنوب السعودي .

- ٣- استحضار المزيد من المتخصصين في دراسة اللغات القديمة إلى المنطقة، من أمثال أحمد الجلال، وسليمان الذيب، ومحمد مريقطن، ومحمد هادي آل هتيلة، وغيرهم، وتكثيف الزيارات والمحاضرات في هذا الخصوص.

(الثلاثاء ١٤/٣/١٤٤٦هـ الموافق ١٧/٩/٢٠٢٤م) .

٥ التراث غير المادي في منطقة نجران. بقلم. أ. محمد بن هادي آل هتيلة^(١)

تمتلك المملكة العربية السعودية إرثاً ثقافياً ضخماً وبالذات في مجال التراث غير المادي، ومن المسلم به أن التراث بمفهومه الشامل ينقسم إلى التراث المادي والتراث غير المادي. وقد سعت منظمة اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة) على حماية التراث الثقافي غير المادي وتعزيزه على مستوى عالمي، وهناك العديد من المواد والوثائق التي طرحتها اليونسكو في هذا المجال، ومن أهمها:

١- اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي (٢٠٠٣): والهدف حماية التراث الثقافي غير المادي، الذي يتضمن التقاليد الشفهية، والفنون التعبيرية، والممارسات الاجتماعية، والطقوس، وتعريف التراث الثقافي غير المادي، وأهمية الحفاظ عليه، وآليات الدعم والتعاون الدولي. وقائمة التراث الثقافي غير المادي للبشرية، ويشمل الممارسات والتعبيرات الثقافية التي تعتبرها اليونسكو جزءاً من التراث الثقافي وقد تم إدراجها لتعزيز الوعي بأهمية هذه الممارسات وضرورة الحفاظ عليها.

٢- التوجيهات التشغيلية لتنفيذ اتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي، تقدم الإرشادات حول كيفية تنفيذ الاتفاقية، بما في ذلك إعداد قوائم التراث الثقافي، وتقديم طلبات الدعم المالي، وتنفيذ مشروعات الحماية، وإرشادات حول تحديد وتوثيق التراث، وإعداد الخطط للصون، وتعزيز التعاون الدولي.

٣- أدلة الممارسات الجيدة لرعاية التراث الثقافي غير المادي، وتحتوي على نماذج للممارسات الجيدة من مختلف دول العالم، وأمثلة على المشروعات الناجحة في صيانة التراث، وأفضل الممارسات التي يمكن اتباعها لتحقيق أهداف الحماية.

٤- تقدم الدول تقارير دورية عن حالة التراث الثقافي غير المادي في بلدانها، والإجراءات المتخذة لحمايته وتعزيزه، ومعلومات محدثة عن حالة التراث، والتقدم المحرز في تنفيذ اتفاقية الرعاية والصيانة.

٥- منشورات اليونسكو حول التراث الثقافي غير المادي، كالكتب والمقالات والدراسات التي نشرتها حول مواضيع مختلفة تتعلق بالتراث ودراسات حالة، وأبحاث علمية، ونقاشات حول التحديات والفرص في مجال خدمة التراث الثقافي غير المادي.

(١) للمزيد عن سيرته انظر: (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب). ج ٢١، ص ٦٥. (ابن جريس).

كل هذه المقدمة تبين الاهتمام العالمي بالتراث الثقافى غير المادى، والمملكة تبذل جهوداً ممتازة فى هذا الاتجاه على كافة الأصعدة من أجل تعزيز استمرارية هذا التراث والمحافظة عليه من الاندثار وتقديم الرعاية له .

فى منطقة نجران موروث ضخم جداً فى مجال التراث غير المادى، ومازال يحتاج إلى المزيد من الدراسات والأبحاث فى مجال التراث للمنطقة بشكل عام أو فى كل عنصر بشكل مختلف من المجالات الخمسة التى أقرتها اليونسكو).

وهناك عدد من العناصر سجلتها المملكة العربية السعودية لدى اليونسكو ومنها:

- أ - التقاليد الشفهية، وتشمل الحكايات والسير والأمثال الشعبية والفكاهة والتعابير والأقوال السائرة .
- ب - الفنون وتقاليد أداء العروض مثل: الموسيقى التراثية وفنون الأداء والرقص والفنون الشعبية والأزياء والتقاليد الصوتية .
- ج - الممارسات الاجتماعية وطقوس الاحتفالات كالزواج والعزاء والأعياد والحياة اليومية وآداب السلوك الاجتماعى وعادات الطعام وشرب القهوة والأسواق الأسبوعية والسفر والصلح الاجتماعى والألعاب المحلية.
- د - المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة، كالكون والكائنات فوق الطبيعة الخارقة والزراعة والأساطير والمرويات والإنسان والصيد والطيور والحشرات والنباتات والسحر والأحلام والطب الشعبى والأماكن والاتجاهات والأحجار والمعادن والزمن والأعداد والأرقام.
- هـ - المهارات المرتبطة بالحرف التقليدية مثل: الصناعات الشعبية وأدوات المنزل والحلى وأدوات الزينة والدمى والعرائس وغيرها.

والكتابة فى هذا الاتجاه ستكون موضوعاً شيقاً خصوصاً عندما يدعم البحث بقصص تجذب القارئ ويجعله يشعر بالتواصل مع الشخصيات والأحداث، واستخدام اقتباسات مباشرة من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم لإضفاء لمسة واقعية وإنسانية على الدراسة. وإجراء مقابلات مع خبراء أو حرفيين محليين يقدمون رؤى ومعارفاً متعمقة ونقل تجارب وآراء الأهالى حول أهمية التراث غير المادى وكيف يؤثر فى حياتهم اليومية. ومن الأهمية إضافة الصور التوضيحية لبعض الحرف والعادات والتقاليد للأفراد (الممارسين) والأدوات المستخدمة. (١٥/٣/١٤٤٦هـ الموافق ١٨/٩/٢٠٢٤م).

٦ مقتطفات تاريخية حضارية عن السروات، وأبها

بقلم: د . إسحاق بن عبد الله السعدي الغامدي^(١)

م	الموضوع	الصفحة
١-	مدخل.	٤٩٩
٢-	القسم الأول: السروات (مقولات وانطباعات).	٤٩٩
٣-	القسم الثاني: أسئلة وأجوبة حول تاريخ المنطقة الجنوبية وحاضرتها أبها	٥٠٥
٤-	مراجع الدراسة.	٥١٧

١- مدخل:

وصلني من صاحب هذه المدونة مجموعة من الأوراق تحت عنوان: السروات (مقولات وانطباعات)، ومادتها تشير إلى بلاد واسعة (السروات)، وإلى مدينة حضارية لها تاريخ طويل ومتشعب (مدينة أبها)، لذلك أعدت ترتيبها من حيث التقديم والتأخير، وحذف بعض السطور، ثم طبعتها ونشرها تحت العنوان المذكور أعلاه^(٢).

٢- القسم الأول: السروات (مقولات وانطباعات):

بالنظر لجبال السروات وإمتدادها إلى الشمال والجنوب ومكوناتها البيئية والمجتمعية سرارة وتهامة ونجوداً، يعي الناظر ويدرك أن لها تاريخاً موغلاً في القدم، تبثه في رَوْعه مهابتها وجلالها وجمالها، وما اشتملت عليه من المعالم والآثار؛ بخاصة: المدرجات الزراعية والقرى والحصون والآبار والمساجد والأسواق وعمرانها البديع وأوجز الحديث عن ذلك في النقاط الآتية:

أ- تدرج قرى السروات وعمرانها في وصف الله تعالى: (قَرَى ظَاهِرَةً) قال ابن كثير: "بينة واضحة، يعرفها المسافرون، يقولون في واحدة، ويبينون في أخرى، ولهذا قال: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ أي: جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون

(١) للمزيد عن سيرة الدكتور إسحاق انظر: (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء الحادي عشر)، القسم الثالث، الطبعة الثانية (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ص ١٨٠. (ابن جريس).

(٢) أنا وصاحب الورقة لا ندعي الكمال أو الإبداع فيما تم توثيقه وطباعته، لكن هذا العمل لا يخلو من إشارات معرفية وعلمية عن عموم السروات، وبلاد أبها. وصدر عن هذه البلاد بعض البحوث القليلة في عصور الإسلام المبكرة والوسيلة. أما في العصر الحديث والمعاصر فتجد لها عشرات الدراسات العلمية والثقافية المتفاوتة في الطول والقصر، وفي الجودة العلمية والبحثية والتوثيقية. وما زالت جديدة أن تدرس من شتى الجوانب في أعمال علمية جادة ورضينة. (ابن جريس).

إليه، ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ ١٨ أي: الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلاً ونهاراً [تفسير ابن كثير (٤٤٩/٦) (٤٥٠)]. وقال: "كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة." [تفسير ابن كثير، ابن كثير، ط/ العلمية (٤٤٩/٦)]، وجاء عند الطبري ﴿فَرَى ظَهْرَهُ﴾ يعني: قرى متصلة، وهي قرى عربية [تفسير الطبري جامع البيان، ابن جرير، ط/ دار التربية والتراث (٣٠/٦/٣٦٨)]. ويعزز ابن جرير تفسيره هذا بقوله: «وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل» ويسرد جملة من أقوال المفسرين تحت عنوان: ذكر من قال ذلك، منها قوله: «حدثني يعقوب قال ثنا ابن علي، عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن في قوله ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا فَرَى ظَهْرَهُ﴾ قال: "قرى متواصلة"، قال: كان أحدهم يغدو فيقيل في قرية ويروح فيأوي إلى قرية أخرى. قال: وكانت المرأة تضع زنبيلها على رأسها، ثم تمتهن بمغزلها، فلا تأتي بيتها حتى يمتلئ من كل الثمار. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَرَى ظَهْرَهُ﴾ أي: متواصلة. إلى أن قال عن مجاهد قوله ﴿فَرَى ظَهْرَهُ﴾ قال: السروات [تفسير الطبري جامع البيان، ابن جرير، ط/ دار التربية والتراث (٢٠/٢٨٧)]، وجاء عند القرطبي في تفسير الآية: "إنما قيل لها ظاهرة لظهورها، أي إذا خرجت عن هذه ظهرت لك الأخرى، فكانت ظاهرة أي معروفة، يقال: هذا أمر ظاهر أي معروف. ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ أي جعلنا السير بين قراهم وبين القرى التي باركنا فيها سيرا مقدرًا من منزل إلى منزل ومن قرية إلى قرية، أي جعلنا بين كل قريتين نصف يوم حتى يكون المقيّل في قرية والمبيت في قرية أخرى» وقيل ذلك قال: «وقال قتادة: معنى (ظاهرة): متصلة على طريق يغدون فيقيلون في قرية ويروحون فيبيتون في قرية. وقيل: كان على كل ميل قرية بسوق، وهو سبب أمن الطريق» [الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ط/ دار الكتب المصرية (١٤/٢٨٩)]. ونقل عن البغوي قوله: (وكان متجرهم من اليمن إلى الشام، فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى، وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام. وقيل: كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمئة قرية متصلة من سبأ إلى الشام). [معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ط/ ١٤١٧، دار طيبة للنشر والتوزيع (٦/٩٥)]

من هذه الشروحات يتضح جانب الإبداع الذي يبلغ درجة الإعجاز في التخطيط المدني والهندسة العمرانية لقرى السروات ومراكزها وحواضرها، وكونها

ذات موروث عظيم فهي بحاجة إلى مزيد من الدراسات والبحوث الثقافية والحضارية إلى جانب الدراسات التاريخية والجغرافية. ولوددت أن يعقد حواراً أو بعبارة أصح سلسلة من اللقاءات والحوارات بين فريق من مخططي المدن ومهندسي العمارة وفريق من المؤرخين والمؤلفين في هذا الشأن، للكشف عن ذلك الفكر الهندسي البديع في تشييد المنازل والمجمعات السكنية (القرى)، كذلك هندسة المدرجات الزراعية والآبار والسواقي التي تتنظم في السروات وما حولها من القلاع والحصون والسبل والطرق، وظهور القرى على امتداد السروات بهذا المشهد الحضري الكوني، وما ينطوي عليه من المواءمة بين فاعلية الإنسان وقيمه الأخلاقية والجمالية والنسبة والتناسب بين مفردات البيئة وجمالياتها الطبيعية، كذلك استجلاء القيم الهندسية في إظهار جماليات تلك المنشآت وإحاطتها بامتداد بصري يغمر النفس بالصفاء والنقاء والأنس والسرور، والدهشة والانبهار، ويضاف إلى ذلك القيم الإنسانية وآداب الضيافة التي تتوارثها قبائل السروات حتى اليوم.

ب - اطلعت على لقاء استطلاعي وثائقي متلفز عن منطقة بلجرشي في جزأين اشتملا على معلومات زاخرة عن تلك التضاريس وتنوعاتها. أرخت لإنسانها وحضارتها الموعلة في القدم، وأن من آثارها المدرجات الزراعية التي تقدر بعمر يزيد على عشرة آلاف سنة، وأن المؤرخ العالمي (ديورانت) أشار لذلك في كتابه قصة الحضارة، وتحدث عن تلك المنطقة، وذكر بأن حضارتها من أقدم الحضارات وأرقاها؛ إذ هي حضارة زراعية أبدعت في حفر الآبار وشق السواني، وأبدعت كذلك في هندسة المدرجات وبنائها، واستنبت شتى أنواع الحبوب والأشجار ومختلف الفواكه والثمار واستأنست بعض المواشي. وورد ذلك في حديث الدكتور أحمد قشاش في الرابط الثاني؛ الذي تحدث فيه عن تلك المدرجات الزراعية البديعة التي انتظمت جبال السروات حتى غدت من المعجزات الكبرى في التاريخ البشري، واستشهد بما أثبتته المؤرخ ديورانت عن أصل الاستقرار الحضري والحضارة الزراعية، وأنها تعود لأكثر من عشرة آلاف عام (شاهد ذلك في وقت التسجيل من (١٦:١٤ حتى ٢٥:١١)).

<https://www.youtube.com/watch?v=fAY1YaZTens&t=492s>

<https://www.youtube.com/watch?v=0Trhn4Sm-lc>

يؤيد ذلك: ما عُثر عليه في جبلي شدا الأعلى وشدا الأسفل أو في أحدهما من نقوش ملونة، أكدت المختبرات التي تصدت لفحصها بأن تاريخها بتلك الألوان حدث منذ عشرين ألف سنة. ويتبين من هذا كذلك: أن تاريخ المنطقة البيئي والمجتمعي موغل في القدم وأنه مهد الحضارة الزراعية التي تعد أساس الحضارات الإنسانية وأقدمها، ومنها امتدت لبلاد الرافدين شرقاً، والنيل غرباً ووصلت لأمريكا من قبل الميلاد بـ (٢٥٠٠) عاماً. ثم إن هذا التاريخ يرتبط بتاريخ الجزيرة العربية بعامة وتاريخ مكة المكرمة ارتباطاً حيواً بخاصة، سواءً من حيث خطوط التجارة وأسواقها، أو من حيث القداسة الدينية والشعائر الدينية وكونها قبلة المسلمين وأم القرى، وقد امتن الله على قريش في كتابه المجيد رحلة الشتاء والصيف قال تعالى: ﴿لَا يَلْفُ قَرِيشٌ ۖ إِنْ لَفِهُمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۖ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۖ﴾ [سورة قريش].

من الجدير بالذكر ما أورده الرحالة ابن جبير وكذلك من بعده ابن بطوطة عن رجال السراة وتزويدهم أسواق مكة المكرمة بالمنتجات الزراعية، وما كانوا عليه من فطرة الإيمان وقوة الشكيمة؛ قال عنهم ابن جبير: «أهل جبال حصينة تعرف بالسراة، كأنها مضافة لسراة الرجال.. وهم قبائل شتى كجيلة وسواها يستعدون للوصول الى هذه البلدة المباركة - يعني مكة المكرمة في مواسم الحج - قبل حلولها بعشرة أيام، فيجمعون بين النية في العمرة وميرة البلد بضروب من الأطعمة، كالحنطة وسائر الحبوب الى اللوباء الى ما دونها، ويجلبون السمن والعسل والزبيب واللوز، فتجمع ميرتهم بين الطعام والإدام والفاكهة، ويصلون في آلاف من العدد رجالاً وجمالاً.. يرغدون معاش أهل البلد والمجاورين فيه: يتقوتون ويدخرون، وترخص الأسعار وتعم المرافق، فيعد منها الناس ما يكفيهم لعامهم إلى ميرة أخرى، ولولا هذه الميرة لكان أهل مكة في شظف من العيش..»، ويشير إلى بيعهم بالمقايضة قائلاً: «ومن العجب في أمر هؤلاء المائرين، أنهم لا يبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا بدرهم.. فأهل مكة يعدون لهم الأتعة والملاحف المتان وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراب، ويباعونهم به ويشارونهم. ويذكر أنهم متى أقاموا عن هذه الميرة ببلادهم تجذب، ويقع الموت في مواشيهم وأنعامهم، وبوصولهم بها تخصب بلادهم، وتقع البركة في أموالهم، فمتى قرب الوقت ووقعت منهم بعض غفلة في التأهب للخروج، اجتمع نساؤهم فأخرجتهم، وكل هذا لطف من الله تعالى لحرمة البلد الأمين. وبلادهم على ما ذكر لنا خصبية متسعة، كثيرة التين والعنب، واسعة المحرث، وافرة الغلات. وقد اعتقدوا اعتقاداً صحيحاً أن البركة كلها في هذه الميرة التي يجلبونها، فهم من ذلك في تجارة رابحة مع الله عز وجل..»، ويواصل ابن جبير

وصفه لرجال السراة بقوله: « والقوم عرب صرحاء فصحاء، جفاة أصحاء، لم تغدّهم الرقة الحضرية، ولا هذبتهم السير المدنية، ولا سدّدت مقاصدهم السنن الشرعية. فلا تجد لديهم من أعمال العبادات سوى صدق النية، فهم اذا طافوا بالكعبة المقدسة يتطارحون عليها تطارح البنين على الأم المشفقة، لائذين بجوارها، متعلقين بأستارها، فحيث ما علقت أيديهم منها تمزق لشدة اجتذابهم لها، وانكبابهم عليها. وفي أثناء ذلك تصدع ألسنتهم بأدعية تتصدع لها القلوب، وتتفجر لها الأعين الجوامد فتصوب، فترى الناس حولهم باسطي أيديهم، مؤمنين على أدعيتهم: متلقين لها من ألسنتهم. على أنهم طول مقامهم لا يتمكن معهم طواف، ولا يوجد سبيل إلى استلام الحجر، واذا فتح الباب الكريم فهم الداخلون بسلام. فتراهم في دخولهم، بعضهم ببعض مرتبطون، يتصل منهم بهذه الصفة الثلاثون والأربعون إلى أزيد من ذلك، والسلاسل منهم يتبع بعضهم بعضا، وربما انفصمت بواحد منهم يميل عن المطلع المبارك الى البيت الكريم، فيقع الكل لوقوعه، فيشاهد الناظر لذلك مرأى يؤدى الى الضحك.»، ويعرج كذلك على المفارقات الحادثة بين فطرمهم وعباداتهم، وما تميزوا به من الفطرة النقية الناصعة الصفاء، وما يحتاجون إليه من تعليم العبادات؛ فيقول: «وأما صلاتهم فلم يذكر في مضحكات الأعراب أظرف منها، وذلك أنهم يستقبلون البيت الكريم، فيسجدون دون ركوع، وينقرون بالسجود نقرأ، ومنهم من يسجد السجدة الواحدة، ومنهم من يسجد الثنتين والثلاث والأربع، ثم يرفعون رؤوسهم من الأرض قليلا، وأيديهم مبسوطة عليها، ويلتفتون يمينا وشمالا إلتفات المروع، ثم يسلمون، أو يقومون دون تسليم ولا جلوس للتشهد. وربما تكلموا في أثناء ذلك، وربما رفع أحدهم رأسه من سجوده الى صاحبه، وصاح به ووصاه بما شاء، ثم عاد الى سجوده، إلى غير ذلك من أحوالهم الغريبة»، ويواصل قوله في وصفهم بأنهم: «أهل بأس ونجدة، لهم القسي العربية الكبار كأنها قسي القطانين لا تفارقهم في أسفارهم، فمتى رحلوا إلى الزيارة هاب أعراب الطريق الممسكون للحاج، مقدمهم، وتجنبوا اعتراضهم، وخلوا لهم عن الطريق، ويصحبهم الحجاج الزائرون، فيحمدون صحبتهم.»، ويعقب على هذه الصفات بقوله: «وعلى ما وصفنا من أحوالهم فهم أهل اعتقاد للإيمان صحيح. وذكر أن النبي ﷺ ذكرهم وأثنى عليهم خيرا، وقال: (علموهم الصلاة يعلموكم الدعاء)»، وبعد أن استشهد ابن جبير ببعض الأحاديث الواردة في فضلهم علق بقوله: «فشأنهم عجيب كله وشاهدنا منهم صبيا في الحجر، قد جلس إلى أحد الحجاج يعلمه فاتحة الكتاب وسورة الاخلاص، فكان يقول له: قل هو الله أحد، فيقول الصبي: الله أحد، فيعيد عليه المعلم، فيقول له: ألم تأمرني بأن أقول هو الله أحد؟ قد قلت، فكابد في تلقيه مشقة. وبعد لأي ما

علقت بلسانه، وكان يقول له: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، فيقول الصبي: بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله، فيعيد عليه المعلم، ويقول له: لا تقل والحمد لله إنما قل الحمد لله فيقول الصبي: إذا قلت: بسم الله الرحمن الرحيم أقول والحمد لله للاتصال، وإذا لم أقل بسم الله.. وبدأت قلت الحمد لله. فعجبنا من أمره ومن معرفته طبعاً بصلة الكلام وفصله، وأما فصاحتهم فبديعة جداً، ودعائهم كثير التخشيع للنفوس، والله يصلح أحوالهم وأحوال جميع عباده بمنه». (رحلة ابن جبير ص ١١٠/١١٣، طبعة دار بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م. الطبعة الخاصة بالمكتبات المدرسية التابعة لوزارة المعارف / المملكة العربية السعودية)، وقريباً من وصف ابن جبير جاء وصف ابن بطوطة ربما أفاد من ابن جبير وربما تشابهت أقوالهما عن ذلك المشهد.

ج - كما أكدت بعض التحقيقات أن الجزيرة العربية موطن الإنسان الأول ولمزيد الاطلاع [انظر: كتاب جذور للدكتور محمد بن عبد اللطيف العفالق]

<https://www.youtube.com/watch?v=sH4L6Uq9Omg&t=1s>

د - تتوافر معظم المرويات التاريخية والمحفوظات الشعرية على الأحداث العسكرية والسياسية وتعاقب الدول والأقوام على جبال السروات، وما تعرضت له من الحملات العسكرية والتجاذبات السياسية، وأنها وقعت تحت سطوة معتدين ومخربين في حقب وفترات من تاريخها، بيد إن تاريخها البيئي والمجتمعي ظل محافظاً على أصالته وقيمه الجمالية في الطبيعة والطبائع، لمئات القبيلة وعاداتها وتقاليدها وأعرافها وأخلاقياتها في العهود التي سبقت الإسلام، ثم حينما جاء الإسلام عزز منظومتها الأخلاقية وأخذ بها نحو التمام كما قال الرسول (ﷺ) : (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، وزادها قوة ووحدة تحت راية التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله ودانت لشرعه الشريف وملته القويمة، ومهما حدث من الفتن والحروب فقد ظل الخير في تاريخها القديم والحديث متصلاً متنامياً، ولا سيما في ظل الدولة السعودية الحديثة وحكمها الرشيد الذي أدرجها في بنية الوطن بمفهوم متميز بارع حديث، لا يتعارض مع الثوابت العقدية والشرعية والعادات والتقاليد العربية الإسلامية، بل منها ينطلق وعليها يعتمد وفي الوقت نفسه يتجاوب مع متطلبات الحركة التاريخية على المستوى المحلي والإقليمي

والعالمي بعبقريّة فذة وتوازنٍ بديع، هذه الوحدة والتوحيد من أجل النعم وأحقها بالشكر. (انظر خمس دقائق مع ..)

https://www.youtube.com/watch?v=42lqQlj4R2U&list=PLnRAjn2-Ob62DGqgN4MWfkm-_tRo6UXn6

٣- القسم الثاني: أسئلة وأجوبة حول تاريخ المنطقة الجنوبية (تهامة وسراة) وحاضرتها أبها؛

فيما يأتي أسئلة حول التراث في المنطقة الجنوبية وحاضرتها أبها أجبت عليها من واقع مشاهداتي وانطباعاتي الذاتية وأدرجتها في ملاحق كتابي: سالف الذكريات (الصادر عن دار ريادة، جدة، ط١/ ٢٠٢٣م من صفحة ٣٢٧ حتى صفحة ٣٥٠)

س١- إلى أي مدى يعود تاريخ المنطقة؟

ج١- للمنطقة تاريخٌ موغل في القدم كشفت عنه النقوش الحجرية والمعالم الأثرية المتمثلة في الحصون والآبار والمدرجات الزراعية، إضافة لما يجده الباحث في مظاهره من كتب التاريخ والجغرافيا ومصادرها ومراجعها المتنوعة على إن معظمها فيما يظهر لي يتناول الجوانب السياسية والعسكرية ويقل الحديث عن الجانب المجتمعي ومحيطه البيئي مما يجعل الحاجة ملحة لتوفير الدراسات الأنثروبولوجية والحضارية للمنطقة. ومما يلفت النظر فيما كتب عن تاريخ المنطقة مقولة تنسب للجغرافيين اليوناني (استرابون)؛ جاء فيها: “هناك أمة أكثر تحضراً تقطن منطقة أكثر اعتدالاً في المناخ لأنها أكثر مياهاً وأمطاراً” وقد أكد من نقل عنه هذا القول أنه يقصد بذلك أرض السروات، وهذا القول يعود بتاريخ المنطقة إلى عصر اليونان مشيراً: أن مجتمعاً ذا مدنية وحضارة قطن في هذه المنطقة.

<https://www.alwatan.com.sa/article/329438>

س٢- أهم الأحداث التاريخية في المنطقة؛

ج٢- من المؤكد أن هناك أحداثاً تاريخية عدة توافر على كتابتها عدد من المؤرخين والجغرافيين ويجري الاهتمام في معظم تلك الكتابات بالجانب السياسي والعسكري، وما استحضره الآن من تلك الأحداث وألفت الانتباه إلى آثارها التاريخية الحضارية الآتي:

- ١- هجرات الأزدیین من أولاد سبأ.
- ٢- رحلة بلقیس ملكة سبأ.
- ٣- حملة أبرهة الأشرم.
- ٤- حاضرة جُرش وتاريخها القديم.
- ٥- الولايات التي تشكلت في صدر الإسلام في بارق والجهوة وبيشة وجُرش ومعالمها التاريخية المتمثلة في بناء المساجد.
- ٦- الهجرات القديمة المتنوعة من المنطقة وإليها.
- ٧- تفشي الأوبئة وفتكها الشديد بأهالي المنطقة.
- ٨- أزمنة المجاعات أسبابها وآثارها الاقتصادية والاجتماعية.
- ٩- الحملات العسكرية وتشبيد القلاع ورصف الطرق.
- ١٠- النزاعات والحروب القبلية.
- ١١- الوحدة الوطنية والتنمية الحديثة.

س٣- أبرز المواقع التراثية / الثقافية في المنطقة.

ج٣- تزرخ المنطقة بالمواقع التراثية؛ مثل: الحصون، والآبار، والقرى، والمساجد، والمزارع، والسواقي، والطرق، والأسواق.

س٤- ما هي أبرز الأنشطة التاريخية في المنطقة، وعلى سبيل المثال الزراعة؟

ج٤- تعد الزراعة أهم ما تتميز به السروات، بدءاً بالمدرجات الزراعية المنتشرة في كل مكان. وتقوم المزارع والبساتين على ضفاف الأودية وروافدها من الشعاب التي ترد إليها من خلال التضاريس الجبلية المحيطة بها والواردة إليها بتنوع مدهش في تضاريسها ومناصيحها وارتفاعاتها واتجاهاتها وانحداراتها من الشمال والجنوب والشرق والغرب وما بينهما من جهات فرعية تتقابل حيناً في قدومها إلى الأودية وحيناً تتباعد في نسق طبيعي بديع. وزاد إلى جمالها الطبيعي ما أضافه إليها إنسانها من بناء للسكنى والحماية وحصون الحراسة وحفر الآبار والزراعة والبستنة تخللها سبل وممرات، تتسم إضافته تلك وعمرانه على مدى عقود من الزمن، بل على مدى قرون وأحقاب بالتناسب والتجانس والمواءمة لجغرافيتها وتضاريسها. وقامت على الكثير منها قرى ومزارع وتكونت مجموعات بشرية تنتمي لقبائل تحكمها أعراف وعادات وتقاليد وبينهم أنساب وأحساب ومواجب وأخلاقيات مرجعيتها الفطرية والمروءة والحياة ومنظومة معتبرة من الأرومة العربية وهدى الشرع الشريف. وبين تلك القبائل والأفراد

والمجتمعات حدود مكانية ومعالم ومنارات تحقق للفرد وجوده وحقه في التملك الخاص والتصرف بما يملك بما يقره العقل والشرع والعرف والعادة ويفرض للجماعة سلطتها المنضبطة بأعرافها وعاداتها وتقاليدها وبسط نفوذها على ممتلكاتها العامة وحماية ذاتها وأفرادها وتعايشها مع الآخر في سلام ووئام وتكافل وتعاون، كما إن من شأنها صد العدوان ومدافعة الأطماع والطغيان وبوادى الشر التي طالما شقى بها الإنسان.

من الملاحظ أن جغرافية تلك الروافد وتضاريسها أشبه ما تكون بعروق الجسد المعافى القوى السليم القويم ترفد الأودية الكبيرة مثل وادي أبها ووادي عشرين ووادي عتود وتزيد في ضخامتها وعظمتها وقوة اندفاع مياهها وسيولها كلما اتجهت إلى السهول الشرقية وأكثرها يصب في وادي بيشة بعد أن يلتقي بأودية أخرى ضخمة.

س٥- أبرز عناصر التراث غير المادي في المنطقة.

ج٥ - من أبرز عناصر التراث غير المادي:

- (أ) اللغة العربية وما تفرع عنها من اللهجات المحلية.
- (ب) العقائد الدينية والشعائر والعبادات والأحكام الشرعية.
- (ج) الأعراف والتقاليد والعادات.
- (د) الحكم والأمثال
- (هـ) الموروث الشعبي (القصص، الأساطير، الشعر).
- (و) الفنون الشعبية.

س٦- أي طرق تاريخية [تجارة / حج] تعبر المنطقة.

ج٦ - هناك العديد من الطرق الداخلية والخارجية، مثل:

١- الطرق البينية على مستوى القرى، وتلك دروب بينية داخل مباني القرية وساحاتها ومزارعها وآبارها وسواقيها، وتربط سفوح جبالها بأوديتها وما يسمونه مناشر القرية وأحرامها ومحاجرها ومراعي مواشيها ومشاربها، ونحو ذلك مما يتعلق بمصالح أهلها وملكياتهم الخاصة والعامة، وتوصلها بالقرى المجاورة وتكاد القرى تتشابه في هندسة تلك الطرق والسبيل.

٢- الطرق التجارية التي تصل قرى المنطقة بأسواقها الأسبوعية ومراكزها التجارية، والطرق التجارية التي تعبرها لنقل التجارة من اليمن إلى الحجاز المعروفة برحلة

الشتاء والصيف، وطريق الحاج، وطريق الفيل، وطريق بلقيس، وطرق العقبات التي تصل السراة وتهامة.

س٧ - هل هناك ما يميز السروات عن باقي المملكة تاريخياً؟

ج٧ - من وجهة نظري وفي حدود ما توصلت إليه من قراءات ومقارنات واستنتاجات عن تاريخ المنطقة، فقد تكونت لديّ قناعة بأن السروات ذات طابع زراعي في عمومها وأن تراثها وطبيعة الحياة فيها امتداد لتلك الحضارة الزراعية التي ألمح إليها (ديورانت في كتابه: تاريخ البشرية). والواضح أن البلاد تعرضت لأحداث تاريخية نجم عنها تفريغ مجتمعي بسبب الهجرات والأوبئة والحروب في بعض الأزمنة والعهود ونشأت فيها تحالفات قبلية في أزمنة وعهود أخرى. وبقيت طيلة عهد صدر الإسلام تابعة للخلفاء الراشدين، كما عززت مبادئ الإسلام وأخلاقه من تحالف القبائل وتهذيب طباعها ومثانة أخلاقياتها بالتأسيس على أرومتها العربية وفطرتها المتأثرة بجمال الطبيعة وعذوبة الماء والهواء والاحتكام للشرع الشريف في النزاعات والخلافات التي تتشب بين القبائل حول حدود كل قبيلة ومسؤولية كل قبيلة عن أفرادها وما يقع من اعتداءات فيما بينهم أو مع غيرهم. وأهم ما يلحظ في السراة أن القبيلة ترتبط بالأرض مما يدل على البعد الحضاري للمنطقة. أما وصف التضاريس الجغرافية وتفصيلات الأحداث التاريخية وتحديد تواريخها فتلك مسألة فنية مزبورة في كتب التاريخ والجغرافيا القديمة والحديثة وهي بحاجة لمزيد البحث والدراسة والتحقيق والتوثيق من أصحاب الاختصاص.

س٨ - هل المنطقة لديها استراتيجية ثقافية / سياحية؟

ج٨ - أتمنى ذلك وأرجو أن تحقق تلك الاستراتيجية المواءمة مع طبيعة المنطقة وتنوعات تضاريسها واستلهاً تاريخها الحضاري والرقى بثقافة الأهالي والموازنة بين المصالح الخاصة والصالح العام على إنني أرى في المؤتمر الأول للبيئات الجبلية، المنعقد في أبها (٢٠١٩م)، مرجعية علمية لتلك الاستراتيجية، وما سبقه ولحق به من جهود ومبذولات. والإسهام في كتابة التاريخ البيئي والمجتمعي للمنطقة والوقوف على قيمهما الجمالية الحقيقية بالتأمل والدراسة والإحياء والإسهام في سباق ما يتجه إليه العالم برمته والفكر الإنساني بوعيه وإدراكه من التنمية المستدامة وإعادة الاعتبار للهوية الذاتية والثقافة المحلية باستجلاء هوية المكان والمحافظة على تاريخها وما كانت عليه من التنمية المستدامة بعد أن غص العالم بالحدثة وتورط في متاهات الفوضوية واستنفذ الأنماط الاستهلاكية وشارف على الانهيارات الاقتصادية والمجتمعية والتلوث البيئي الكارثي وقد جاءت (قمة الأرض) لتنذر بخطر داهم وكارثة محققة.

(*) الأسئلة والأجوبة التي عن حاضرة أبها :

س٩- هل يمكنك أن تزودنا بمزيد من التفاصيل والقصص التي تكشف عن الحياة حول النهر الجاري قبل أن يصبح واديا. كيف استخدم الماء؟ وكيف تفاعل الناس بوجوده؟ هل أقيمت أسواق على ضفافه؟ وهل استخدم لأغراض الري دون غيرها؟

ج٩- سأجيب بقدر الإمكان من خلال قراءاتي المتواضعة ومعلوماتي التي حتماً لن تفي بالبعد التاريخي أو المجتمعي، ولكن حسبي أن أحدثكم عن مشاهداتي وانطباعاتي طيلة المدة التي قضيتها في أبها فيما قبل العام (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ، فقد أمضيت حوالي (٢٥) سنة في أبها ولدت فيها ونشأت وترعرعت ودرست مراحل التعليم العام والمرحلة الجامعية فيها ، وتمحورت تلك المشاهدات حوال الناحية الجمالية في محيطها البيئي والمجتمعي (الطبيعة والطبائع) وربما تقييد إلى حد ما في إطار التاريخ الاجتماعي. وإجابة على سؤالكم: نعم أتذكر أن وادي أبها كان بمثابة الشريان الحيوي الذي تكونت على ضفافه الكثير من القرى الزراعية منها مجموعة القرى التي تشكلت منها مدينة أبها وصارت تسمى تلك القرى أحياء مدينة أبها هذه الأحياء أعرفها شخصياً ؛ منها (حي مناظر، وحي البديع، وحي الربوع، وحي نعمان، وحي القرى، وحي القابل) ، وأذكر أن هذه الأحياء تشتمل على ساحات داخلية متفاوتة في مساحاتها يسمونها البسطة، ومنها بسطة البديع، وبسطة القابل، وساحة سوق الثلاثاء حينما كانت إلى الجنوب من حي نعمان والربوع، وغرب حي مناظر والبديع، كذلك ساحة تقع غرب حي مناظر يفصل بينها وبين سوق الثلاثاء المشار إليه آنفاً مسجد (برزان) ، وكان يقام عليها بعض المعروضات في يوم السوق كبيع الأعلاف والحطب والأبقار والأغنام، وتوجد ساحات أكبر من تلك الساحات الداخلية (البسطات)، كساحة البحار الواقعة بين حي القرى والربوة، ويتسنى قصر شدا من جنوبها، وقصر أملح من شمالها، وبينهما ساحة مستطيلة (ظهر تل) وكان يقام عليه سوق الثلاثاء في بعض المواسم أو أنه نقل إليه فيما بعد، أو ربما خصص لبعض المبيعات كالمنتجات الزراعية والثمار والحبوب.. إلخ، كان سوق الثلاثاء يقام في أجزاء من ساحة البحار، وفي حقة أقيم في مسجد العيد الذي يقع جنوب ساحة البحار، وكانت تقام على ساحة البحار الاجتماعات الرسمية، ووفود القبائل ورجال الحكومة حين استقبال الملك، وبعض رجال الدولة، وعليها تقام التدريبات العسكرية والاستعراضات، وتنفذ على عرصات أحكام العدالة، وشاهدت منذ الصغر إقامة الاحتفالات والأعياد والتراحيب والمهرجانات الطلابية، كذلك شاهدت تطبيق بعض الأحكام القضائية في ساحة قصر أملح.

(*) **أخلص للقول :** بأن هذه الأحياء كانت قرى قديمة أقيمت على ضفاف الوادي (وادي أبها وروافده) ، وتحيط بها المزارع والبساتين ومن المؤكد أنها تمحورت حول الماء الذي يؤخذ من الوادي، يقال بأنه كان دائم الجريان، لكن حسبما أتذكر كان يقوى ويخف نتيجة زيادة هطول الأمطار وشحها لدرجة أنه كان يجف في أجزاء متفرقة منه، لذلك حفر الآبار لسقيا الزروع والأشجار، وربما كان حفرها للحصول على مياه أكثر عذوبة ونقاء، وكانت بعض البيوت في أبها متصلة مع آبار سطحية حفرها بأنفسهم ليأخذوا منها الماء، وبعض المساجد يخصص لها قدراً من مياه الآبار أو تحفر لها خاصة. أما الأسواق الأسبوعية فظهرت العديد منها في المنطقة بحسب تجمعات الناس وما تفرضه مصالحهم وأعرافهم وسميت بأسماء الأيام التي تقام فيها، وكان سوق الثلاثاء الأشهر والأكثر تقدماً.

س ١٠ - هل يمكنك إخبارنا بمزيد من التفاصيل حول الفرق بين نمط العمارة في أبها وأنماط العمارة الأخرى في منطقة عسير، وكيف تختلف في تصميمها أو وظيفتها؟

ج ١٠ - نعم يمكنني القول بأن هناك فرق في نمط العمارة في أبها (المدينة) قديماً عن الأنماط العمرانية الأخرى في عموم المنطقة ، فعلى الرغم من التشابه إلى حد كبير في بعض المظاهر والتصاميم والاعتماد على مواد البناء من الحجر والطين والأخشاب وبعض النباتات والحشائش والأعشاب، إلا أن البناء في مدينة أبها تميز بتحسينات وتحديثات في شكل المباني ووظيفتها، تعكس الحالة المدنية التي وصل إليها المجتمع الأبهاوي في ذلك الزمن الذي ما زلت أذكره بدهشة وانبهار، حيث استفاضة المباني بالقيم الجمالية ذات المضمون والشكل من خارجها وداخلها، فمن خارج المباني تشكلت مواد بديعة بينها وبني محيطها البيئي مراعية الظروف المناخية والتضاريس الطبيعية في مشهد تكاملي متجانس متوازن، ومن داخل المباني صممت بطريقة ذات طابع مدني توفر الدفء والراحة ومتعة الجلوس الأسرية حول (الصل) وعمل القهوة، إضافة لفن الرسم (القط) الذي تترين به المنازل العسيرية من داخلها ، ويتم عن ذائقة ثقافية جديرة بالتأمل، كذلك تميز البناء في أبها من حيث الاستخدامات الحياتية فكان على قدر كبير من الأنسنة والمدنية، ويتضح ذلك من خلال الترابط والعلائقية بين المباني والشرفات والإطلالات والساحات والمداخل والمخارج الرئيسية للحي وللمدينة والمساكن، بما يوفر الخصوصية في جانب، والتواصل من جانب آخر، وينطوي على جماليات تمتزج فيها الأشكال الهندسية للمباني وأحياء المدينة باستخدامات السكان وكوامنهم الإبداعية.

س ١١ - أخبرنا بمزيد من التفاصيل حول الحياة في ساحة البحار.

ج ١١ - اترك الحديث عن ساحة البحار لأحد أبناء المدينة الذي سبقني إليها بنحو عقد من الزمان، وهو معالي الأستاذ القدير عبد الله بن عبد المحسن العامر، كتب تحت عنوان (ذكرى سانحة) ما يلي: ذكرى سانحة عمرها ما يزيد على ثلاث وستين سنة، مكانها في أبها في ساحة البحار، في عصر يوم من أيام الربيع، في أبها كما هو معلوم، فساحة البحار رئة أبها ومنتجع العصريات لمن يتحلقون للأحاديث، وفيها ميدان كرة القدم، وفي جنوبها مسجد العيد، وفي شمالها تقريباً مبنى المالية وقصر الشيخ/ عبد الوهاب أبو ملح، وهو من أبرز رجال المنطقة، وفي الشرق تل مرتفع مشرف، وفي الجنوب الشرقي قصر شدا التاريخي، ومن خلف التل قصر يشبه شدا شيده الشيخ/ عبد الوهاب.

أما غرب ساحة البحار فحي القرى الشهير ببيوته المؤسسة بالحجر ثم بالطين المسلح بالرقف، والرقف نوع من الحجارة الخفيفة كالألواح تحمي الجدران من عوامل تعرية الأمطار الغزيرة والرياح، وكالعادة عند ربة البيت، فلا بد العناية بأحواض الريحان والعطر (الشمطري) وشجيرات من النعناع والحبق والوزاب وبعض زهور القرنفل، وأعود لساحة البحار الشهيرة في ذلك العصر الربيعي، وكان هناك زحمة يتدافعون، وكنت طفلاً في الرابعة الابتدائية، أجد في البحار مثل غيري من الصغار والكبار سلوة العصرية، فإذا الجمع يتوسطهم فارس على جواده يلاعبه ويجريه على أركان الساحة، وعندما اقتربت من الجواد كان الذي يمتطي صهوته عمي الشيخ محمد بن أحمد بن فايع، والد صديقي الطفولة الشيخ سليمان والشيخ يحيى، ولم يكن لي عهد بهذا المنظر البديع إلا في غلاف رواية أبوزيد الهلالي، كم في ساحة البحار من عمق نفسي وعمق تاريخي. قبل هذا التاريخ بفترة، وكان يوم الثلاثاء أعلن عن موعد مهرجانات لجمع التبرعات للمجاهدين في الجزائر، ويا لله الحماس المشهود، فقد كانت ساحة البحار تزدهم بالمواطنين رجالاً ونساءً وأطفالاً، وفي الوسط يحملون مكبرات الصوت، ويستنهضون الهمم التي لم تكن بحاجة إلى من يستنهضها، وكل يحمل ما يستطيع من نقود وسلع ثمينة، ويتملك الزهو عندما ترى الصبايا يخلعن الأسورة والخواتم وأحزمة الفضة والأمهات وأطفالهن يطرحن كل نفيس وغالي. ١٠ هـ .

لقد غادرت أبها وساحة البحار تُستخدم مواقف مفتوحة عامة لسيارات المراجعين والموظفين الذين يقصدون مبنى الإمارة والمحكمة والمجمع الحكومي، والمصلين في

الجامع الكبير وغيرهم ممن يرتاد السوق وغيره من الخدمات الأخرى؛ صحيح أنني سمعت عن المدرسة العسكرية التي اتخذت من قصر الشيخ عبد الوهاب أبو ملحمة الواقع شمال البحار مقراً لها، وربما خصصت ساحة البحار حينذاك للتدريبات العسكرية، لكن المدرسة لم تستمر إذ نقلت لمدينة الطائف، وأتصور أنه بالإمكان الاستفادة من ساحة البحار في بعض المواسم والأوقات لإقامة المهرجانات والنشاطات الترفيهية وإقامة المعارض ونحو ذلك من البرامج التي تعني بالتراث بما في ذلك التدريبات العسكرية والكشفية كتراث.

س ١٢ - أخبرنا بمزيد من المعلومات حول قصر أبو ملحمة، الذي أضيف اليوم إلى متحف عسير الإقليمي وكان مطلاً على ساحة البحار.

ج ١٢ - يوجد قصران يؤرخ بانيهما إلى الشيخ عبد الوهاب أبو ملحمة، الأول يقع في الجهة الشمالية الشرقية من ساحة البحار ويسمى الموقع الذي بني عليه رأس أملح، وهذا القصر مبني على نمط قريب إلى حد ما من قصر شدا القديم، والثاني يقع في الجهة الشمالية من ساحة البحار وهو على طراز المباني العسيرية. بالنسبة لقصر أملح فبالرجوع لما كتب عنه تبين أنه شيد عام (١٣٤٨هـ/١٩٢٧م) بتوصية من جلالة الملك عبد العزيز للشيخ عبد الوهاب أبو ملحمة مدير مالية أبها آنذاك وكان مقراً للأمير المنطقة. وفي غرة عام (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) بات متحفاً وطنياً.

س ١٣ - أخبرنا بمزيد من التفاصيل حول تنظيم وظائف المجمع الحكومي (المرعى) ومساحاته واستخداماته، بالتركيز على علاقته المكانية بساحتين عامتين رئيسيتين في أبها القديمة، وهما ساحة البحار وسوق الثلاثاء، الواقعتين سابقاً شمال القصر (بالقرب من الطريق القديم الذي يربط الجسر العثماني بالمرعى).

ج ١٣ - ما أذكره من العلاقة المكانية بين ساحتي البحار وسوق الثلاثاء والدوائر الحكومية قبل إقامة المجمع الحكومي الذي أزيل مؤخراً هو في تصوري وجود علاقة تقابل وتكامل بين الخدمات الحكومية والمصالح المجتمعية، فمبنى الإمارة ومبنى المحكمة يطلان على ساحة البحار من الجهة الشرقية للساحة، وعلى مقربة من ساحة البحار يقام سوق الثلاثاء، ويتصل به أكثر من ساحة، وأحياناً وفي طور آخر صار يقام سوق الثلاثاء في ساحة البحار نفسها، ثم أقيم مبنى البلدية شرق قصر شدا، وأقيم مبنى آخر للشرطة شمال قصر أملح، وصارت تنفذ بعض الأحكام في الساحة الواقعة بين مبنى الشرطة وقصر أملح، وأتذكر تلك الساحة المستطيلة الممتدة على

(ظهر التل) بين القصرين، وكانت تتصل بساحة البحار، وتتصل بسوق الثلاثاء ثم صار يقام على هذه الساحة سوق الثلاثاء، وبعبارة موجزة، فكل ساحة في أحياء أبها القديمة تقضي إلى ساحة أخرى بنسبة معقولة وتناسب بديع بين الوظيفة والمساحة وجماليات المداخل والممرات والبدايات والنهايات في انسجام لافت وتكامل بين شكل العمران ووظائفه، من المؤكد أن لهذه التوصيفات مصطلحات عمرانية ودلالات هندسية متخصصة، ولا أجيد استخدامها باعتباري غير مختص في أي حقل من حقول الهندسة أو العمران، لكنني أتحدث عنها بمنظوري الثقافى، كما ألمحت سابقاً في بداية حديثي، إن ما أعبر عنه هو مشاهدات شخصية وانطباعات ذاتية، ولطالما توقفت كثيراً، أتساءل مع نفسي، فيما إذا كانت أبها قد تشكلت بعفوية ومصادفة، أم أنها تشكلت نتيجة موروث عمراني مؤسس على علم هندسي وفكرٍ خلاق، ولا يعني كلامي هذا عدم وجود أزمات ومشكلات، بل ألمح لوجود هذه وتلك؛ بدءاً بالبنية التحتية للمدينة التي تفرضها التنمية ويحتمها التطور.

س ١٤ - هل يمكنك تزويدنا بقائمة بأحياء أبها القديمة أو القصص التي تدور حولها؟

ج ١٤ - بالنسبة لتصوير الأحياء القديمة فلو بدأنا بالنزول من الوادي الأعلى (بحيرة سد وادي أبها حالياً)، فسيكون حي المفتاحة (الذي يحتوي حالياً على مركز الملك فهد وسوق الثلاثاء)، ثم يليها على اليمين حي القرى تليه ساحة البحار ثم الربوة أو التل الذي شيد عليه قصر أشدا وألمح، ثم سوق الثلاثاء إلى الجهة الشمالية الشرقية من قصر ألمح، ثم الأحياء الأربعة: حي مناظر، وحي البديع إلى الشرق من سوق الثلاثاء، قديماً، وحي الربوع، وحي نعمان إلى الشمال من سوق الثلاثاء. يلتف على هذه الأحياء الأربعة الوادي، (وادي أبها)، وعلى اليسار من حي الربوع ونعمان يقع حي القابل من الجهة الشمالية على ضفة الوادي، ولعله سمي القابل لأنه يقابل حي الربوع وحي نعمان، وفي وسط حي القابل تقع بسة القابل ويرتبط حي القابل مع حي الربوع بالجسر العثماني، أما حي النصب فهو إلى الجنوب الشرقي من حي مناظر في منعطف الوادي، ويأتي خلف حي النصب من الجنوب حي الخشع، وإلى الجنوب الشرقي من حي النصب يقع حي النمضاء، وفي السبعينيات الميلادية قامت أحياء جديدة مثل حي الطبجية الذي يقع جنوب (المجمع الحكومي الذي أيل مؤخراً)، وقد أقيم هذا المجمع على موقع حي القرى الشهير الذي يعد من أجمل أحياء أبها، لكن للأسف هدم، أتذكر بحزن شديد حينذاك، يطل حي الطبجية على الشارع العام الذي يفصل بينه وبين حي القرى، وكان هذا الشارع العام ينتهي ببوابة مستشفى أبها القديم، والمبنى حينذاك

على الطراز الحديث، ويوجد أيضاً أحياء جديدة أوقرى قديمة تطورت وتوسعت نحوها المدينة، كالخشع وحي اليمانية أسفل جبل ذره، وسمي اليمانية لأنه يقع في الجهة اليمانية من المدينة، وربما تحتاج هذه الأحياء إلى جولة ميدانية للتعرف أكثر على مواقعها وترباطها، ولمعرفة بعض المسميات والمعالم التاريخية كقصر شدا الذي حل محله مبنى الهاتف السعودي، وسوق الجمعية وما حوله من العماير التجارية المقامة على أجزاء من موقع سوق الثلاثاء القديم، ومواقع الأحياء الأربعة القديمة (مناظر، والبديع، ونعمان، والربوع)، أما حي النصب والخشع والقابل فلا زالت لها بقايا شاخصة، يُضاف إلى هذه الأحياء أحياء أخرى متفاوتة ما بين قديم إلى حد ما وحديث نسبياً بعض هذه الأحياء على ضفاف الوادي مثل: الحي المسمى حي لبنان الواقع قبالة حي مناظر والبديع، وربما سمي هذا الحي بحي لبنان نظراً لإطلالته الخلابة على وادي أبها التي تشبه لبنان من وجهة نظر من سماه بهذا الاسم ومن خلفه حي شمسان، ثم حي البصرة إلى ناحية الشمال من حي شمسان، وإلى الشمال من حي القابل يأتي حي الصفيح، ثم حي ضباة إلى الشمال الغربي من حي القابل وإلى الجنوب الغربي من حي القابل يقع حي الصفراء، ثم انتشرت المباني والأحياء في السفوح والجبال المحيطة بمدينة أبها، وانتشرت أيضاً في روافد وادي أبها الشعاب والأودية القادمة إليه من جميع الجهات.

أما موقع الأسواق والساحات القديمة، فقد مرت أبها بأطوار كثيرة من الصعب أن تغطيها الصور القديمة المتداولة حالياً، بيد إن بعض الصور الموثقة جاءت نتيجة استطلاعات صحفية قامت بها بعض المجالات أذكر منها على سبيل المثال استطلاعاً قامت به مجلة العربي الكويتية في عام (١٩٦٩م) تضمن صوراً لحي نعمان وحي الربوع وقصر ألمح، كما أجرت بعض المقابلات مع بعض الأسر الأبهائية ونشرت صورهم، وصورت بعض المزارع وبعض المناظر من وادي أبها، واستطلاع آخر أجرته مجلة الفيصل في السبعينيات الميلادية، أظهرت فيه صورة لقصر شدا وقد شق من جانبه الشارع العام الذي كان ينتهي ببوابة مستشفى أبها.

أما المزارع فالحديث عنها يطول ويمكن وصف أبها بأنها [بيئة القرية وروح المدينة] أو [أنها مدينة تنتمي للمزرعة] فبداية تكوينها : تشكل حول القرى الزراعية، وتعتمد منازلها على مياه الوادي والآبار، وتحيط بالكثير من أحيائها المزارع مثل المفتاحة ذات الزروع الخصبة والمياه المتدفقة الغزيرة والبساتين المغدقة بجلو الثمار، وحي النصب الذي مازالت مزارعه قائمة تضيء على المدينة منظراً خلاباً، وأحياء الخشع والقابل وضباة والبصرة وقرية مشيع إلى الشرق من مدينة أبها، كل هذه الأحياء

(القرى سابقاً) اشتهرت بالبساتين المكدقة بالثمار كبستان الغماز في الخشع، وكانت مزارع الخشع بخاصة ومزارع أبها بعامة تنتج الحبوب، كالحنطة والشعير والذرة وسائر أنواع الفواكه مثل المشمش والخوخ والبخارى والتين والكمثرى واللوز والجوز والسفرجل ومعظم الورقيات.

س ١٥ - حول المسار التاريخي الذي يقطع أبها من شمالها إلى جنوبها (من شعار إلى الديرة عبر الجسر العثماني)، والتحقق من وجود أي مسار تاريخي آخر.

ج ١٥ - حسب مشاهداتي (١٣٨٢هـ/١٩٦٣م) كان يوجد مساراً ترابياً مهمداً يربط بين أبها وخميس مشيط، ثم عبّد ورصف، بالإسفلت، وكان الإسفلت ينتهي في بداية مدينة أبها من شرقها أمام محطة المحروقات المسماة محطة مبارك العبيدي في حي النمضاء الواقع شرق مدينة أبها، وكذلك المدخل الشمالي لمدينة أبها الذي يدخلها من حي البديع قادماً من ناحية الوادي ومن حي شمسان وحي البصرة، ثم تتفرع طريق باتجاه قرية مشيع، ويتصل هذا المسار بالطريق القادم من شمال مدينة أبها الذي أصبح فيما بعد طريق الطائف، ولا أعلم فيما إذا كان المسار التاريخي الذي أشرت إليه يواصل السير في هذا المسار أم أنه يسلك مسالك أخرى، ويوجد مسار آخر يصل حي الربوع بحي القابل، وهو طريق ضيق يتصل بالجسر العثماني الذي كان مغلقاً لا تعبر من فوقه السيارات، بينما يعبره المشاة ويزدحمون عليه وقت تقاوم سيل الوادي، والسيارة حينما تعبر ذلك الطريق تتحرف عن ذلك الجسر في تحويلة جهة اليسار حين الاتجاه لحي القابل، ثم يتفرع الطريق بعد الطلوع من الوادي إلى مسارين أحدهما يدخل البسطة (بسطة القابل)، والآخر يستمر لينفذ لطريق يستمر باتجاه الغرب من مدينة أبها حتى يتصل بطريق السود، ولا أذكر الآن تطور شبكة طرق السيارات حينذاك ورصفها بالإسفلت وتقاطعاتها وإنما أعرف أنها تعددت فيما بعد، وكانت في معظمها حينذاك ترابية، كذلك الطريق إلى السود استمرت ترابية حتى عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م). وأود الإشارة إلى أن أحياء أبها كانت مترابطة بشبكة طرق مشاة أرجو الإفادة منها أو ما تبقى منها الاستفادة من فكرتها وكوامنها الجمالية، وتتمثل تلك الطرق (طرق المشاة) في السبل بين المزارع والبيوت، وكانت نظيفة وتضوح منها روائح الرياحين والشذاب والحبث وأنواع من النباتات العطرية، وتتخلل المزارع والبساتين في امتدادات والتفاتات ومستويات بديعة التكوين، وبعضها تجري فيه جداول الماء النмир، وسمعت عن مسارات مرصوفة بالحجر أوسع من طرق المشاة قليلاً وتستعمل للعربات التي تجرها الخيول لكنني لم أر شيئاً منها ولا أعلم من أين تبدأ أو تنتهي.

س١٦- آلية توزيع الماء بين أحياء أبها.

ج١٦- فيما أذكر أن المياه كانت تنزع من الآبار بأساليب عدة ووسائل متنوعة؛ منها: جذب الماء من البئر بالدلاء يدوياً وتعبئتها في القرب لتزويد البيوت بها ويقوم بهذا العمل الرجال والنساء، ولكن تخصص بعض النساء في هذا العمل فيحملن القرب على ظهورهن إلى المنازل، وأصبح هذا الأسلوب وظيفة تعتاش منها بعض النساء، وتسمى الواحدة منهن (مستقية)، وهذه الطريقة كانت تزود بيوت الأحياء بالماء العذب من آبار مخصوصة ومعروفة، ولكل حي مستقيات يردن آباراً مختارة لازال بعضها معروفاً حتى الآن، وفي البيوت تخصص أنية لحفظ الماء بعضها مصنوع من الفخار يسمى الواحد منها (جوحل) وينطقه بعضهم (يوحل)؛ يصنع من المدر (الطين)، ويعالج بطرق احترافية، ويصنع كما يصنع التنور والموسم، والجوحل أشبه بالموسم يحرق بالنار ليشتد أكثر ولئلا يتسرب منه الماء أو يتحلل مع الاستعمال، ويطلّى من الداخل بالقطران النباتي لمنع تأثر الماء برائحة المدر المحروق، هذه المادة تعطي الماء نكهة مستساغة تزيد من طعمه وعذوبته، ويوضع على فوهة (الجوحل) غطاء من الخشب، ويخصص له مغراف من الأكواب المعدنية أو كاسات أخرى، وإلى جانب هذه الأنية استخدمت أنية أخرى مصنوعة من الحديد الزنك بعضها يتسع لنحو عشرين لتراً وبعضها لأكثر أو أقل، ويسمى هذا النوع (حنفية)، ولها أغطية محكمة، وبعض الأنواع منها مزود بصنبور في أسفلها يفتح ويفلق بحسب الحاجة للماء، وتقوم بتعبئة هذه الأنية (المستقية) بين الحين والآخر بأسعار مقررة متفق عليها ومعتبرة بالعرف والعادة، وفي فترة لاحقة لهذا الأسلوب دخلت العمالة اليمنية وصار هناك ما يسمى بالزفة؛ والزفة عارضة خشبية يضعها العامل أو السقي على كتفه، وفي كل طرف منها صفيحة (تنكة) مقدار ما تتسع الواحدة منها بضعة لترات من الماء، ويجلب بها الماء من تلك الآبار المخصصة لماء الشرب، وتزود به المنازل بثمن متفق عليه مع أصحاب البيوت، وهذا فيما يخص ماء الشرب والشاي والقهوة والطبخ، أما غسيل الملابس والمفروشات فيذهب بها النساء إلى الوادي ويستخدمن الماء الجاري .

ونساء كل حي فيما يقابل مكان سكنهن من الوادي وأحياناً ينزلن أو يطلعن طلباً للأفضل من المياه الجارية أو حيث يوجد الماء، كما تساعد مياه السواني أو السواقي والجداول القادمة من الآبار أو الكنائم في كثير من الاستخدامات كالوضوء وسقيا الدواب وتنظيفها، وتزود المساجد والبيوت بالماء الجاري الطاهر الطهور من بعض تلك الموارد التي تخترق فناءات بعض المنازل وتجري في أنحاء بعضها الآخر، وللمساجد

نظام بديع في تجميع المياه وتخزينها والإفادة منها في الوضوء والاستحمام؛ إذ تتم تغطية أسطح المساجد وأسطح مرافقها، وكذلك صووح المسجد (الفناء الداخلي للمسجد) بمادة (القضاض)، وهي مادة من مواد البناء قديماً تشبه الإسمنت، إلا أن لونها أبيض أو أقرب للون الأبيض، ويتغير بمرور الزمن فيصير داكناً بلون الرمل، لكنه صلب وقد تظهر عليه التشققات بسبب العوامل المناخية، ومن ثم تجمع مياه الأمطار في برك المساجد؛ وبركة المسجد خزان أرضي يكسى بالقضاض للمحافظة على نظافة الماء ومنع تسربه بقدر الإمكان، ويسقف بإحكام مع ترك فتحة ذات غطاء توضع عليها الدلاء، ويجذب بها الماء إما لغرفة مخصصة للاستحمام أو يصب في مجرى يزود أماكن مخصصة، وهي عبارة عن حفر في شكل دوائر صغيرة تستوعب قدراً من الماء يصب بعضها في بعضها الآخر عند مستوى معين، وتسمى هذه الحفر الدائرة مطاهر، وأمامها بناء بالحجارة كالكراسي يجلس عليها القادمون للوضوء، ويأخذون بأيديهم قدراً من الماء لوضوئهم باستدامة وترشيد لافت، وهذه المواضع أو المطاهر تمت تغطيتها وتكسيها بالمجرى إليها بالقضاض للمحافظة على الماء ولضمان نظافته . وفي بعض المساجد يأتي ماء الوضوء من بئر في المسجد أو بجواره، وأحياناً تكون وقفاً على المسجد بكاملها، أو له نصيب معين فيها يسمى (نوب المسجد)؛ يا لجمال ماء البئر، حينما تتراقص عليه أشعة الشمس وهو يجري نحو المسجد في مجرى يعبق بالحيوية والصفاء ليزود المسجد بالماء الطهور بين الحين والآخر.

٤- مراجع الدراسة :

- ١- الفيلم الوثائقي بلجرشي (٢/١)
<https://youtu.be/0Trhn4Sm-lc?si=MrbTsW5jUCmlnFBg>
- ٢- الفيلم الوثائقي بلجرشي (٢/٢)
<https://youtu.be/fAY1YaZTens?si=AYHQtab4ueIzlFqw>
- ٣- حفل توقيع كتاب جذور للدكتور عبد اللطيف بن محمد العفالق
https://youtu.be/ng25ZdDXQHm?si=bF_TmuBr8CgNfJz
- ٤- برنامج خمس دقائق مع: ثقافتنا بين الوحدة الوطنية والتعددية الفكرية
<https://www.youtube.com/watch?v=ywEu-mwKK18>

- ٥- برنامج خمس دقائق مع: الأمن في المملكة العربية السعودية
https://www.youtube.com/watch?v=42lqQlj4R2U&list=PLnRAjn2-Ob62DGqgN4MWfkm-_tRo6UXn6
- ٦- برنامج خمس دقائق مع: ثقافتنا الوطنية ومقدساتها الدينية وأثرها في التواصل الحضاري
https://www.youtube.com/watch?v=WtHRV-9FuzY&list=PLnRAjn2-Ob62DGqgN4MWfkm-_tRo6UXn6&index=4
- ٧- برنامج خمس دقائق مع: أصالة الثقافات ومستقبل الثقافة الإسلامية
https://www.youtube.com/watch?v=fFrzVqfAyIE&list=PLnRAjn2-Ob62DGqgN4MWfkm-_tRo6UXn6&index=5
- ٨- برنامج خمس دقائق مع: العولمة والخصوصية الثقافية لثقافتنا
https://www.youtube.com/watch?v=ovQ0LMnDMc4&list=PLnRAjn2-Ob62DGqgN4MWfkm-_tRo6UXn6&index=6
- ٩- برنامج خمس دقائق مع: الطبيعة كعنصر من عناصر الجذب السياحي
https://www.youtube.com/watch?v=BnBLhoCqKSk&list=PLnRAjn2-Ob62DGqgN4MWfkm-_tRo6UXn6&index=7
- ١٠- برنامج خمس دقائق مع: حديث عن اللغة العربية وعالميتها الذاتية والتاريخية
https://www.youtube.com/watch?v=go3SkCf7Wrg&list=PLnRAjn2-Ob62DGqgN4MWfkm-_tRo6UXn6&index=8
- ١١- برنامج خمس دقائق مع الحج مواقف وذكريات: ملحق رقم (٣) ، ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ من كتاب: صفحات في دفتر ثقافتنا الوطنية ، تأليف د. إسحاق بن عبد الله السعدي ، عن دار ريادة / الطبعة الأولى ١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م .
- ١٢- الأوروبيون عاشوا في أبها قبل أكثر من قرن
<https://www.alwatan.com.sa/ampArticle/329438>

٧ خلاصة تاريخية عن دوقه الساحل في محافظة القنفذة

بقلم. أ. يوسف بن حسن الخيري^(١).

حبيبنا الدكتور غيثان بن علي بن جريس، المحترم. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: بناءً على طلبك لي ولمن دعوتهم لتوثيق ما شاهدناه أو عرفناه عن مواقع الأثر والآثار التي لم تذكر عند المؤرخين، أو لم ترد عنها نصوص توضيحية كاملة .

أتحدث إليك من بلدة دوقه التابعة لمحافظة القنفذة التابعة لمنطقة مكة المكرمة. وللعلم فدوقه كانت على الخط الدولي القديم بين اليمن ومكة المكرمة قبل عصر النهضة في العهد السعودي الحديث، وكان الطريق الترابي القديم يمر بدوقه الأولى، وهي دوقه الغربية أو السفلى، هكذا يسميها البعض؛ وسميت بالأولى: عندما كانت بها مدرسة ابتدائية أسست عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م)، وأنشئت بعدها بسنوات مدرسة أخرى شرقي دوقه في المسيليم من دوقه، عندئذ رأت إدارة التعليم آنذاك أن تطلق اسم دوقه الأولى على المدرسة التي في الشطر الغربي بدوقه الأولى، بسبب أولوية التعليم النظامي فيها، وافتتاح المدرسة، وأطلقت على الجهة الشرقية دوقه الثانية. وبالتالي أصبح شطري دوقه الساحلية على اسمي المدرستين: دوقه الأولى، ودوقه الثانية. وما زال الاسم متداول على المكانين المتجاورين التابعين لمركز دوقه. ويوجد في دوقه عموماً قرى كثيرة، ويسكنها قبائل متعددة مثل الخيرة، وباليثم، والمشايخ، وبني شهاب، والمساعيد، والأشراف: الشنابرة والحرايات، وبعضاً من بيوتات زهران وبلقرن، وغيرهم من بيوتات وأسر القبائل الأخرى، وبها مركز إمارة، وفرع للبلدية، ومدارس ابتدائية، ومتوسطة، وثانوية، ورياض أطفال للبنين والبنات، وملاعب رياضية أنشأتها البلدية، وإدارة التنمية الاجتماعية، وقصور للأفراح، وجمعية خيرية، ومرافق أخرى عديدة. وفيها موقع أثري، عبارة عن مقبرتين قديمتين. وقد تعطل الخط الترابي الذي كان يربط دوقه القديمة بمكة المكرمة، وأصبح الطريق الإسفلتي يمر بأعلى دوقه ماراً بالمظيلف والقنفذة إلى البرك والدرب وجازان حتى اليمن .

والشاهد أن إحدى المقبرتين اللتين في طرف الطريق القديم في مكان يسمى (أمهات زينة). وأمهات تعني المزارع، وبهذا أطلق على المقبرة (مقبرة أمهات زينة)، وتبعد

(١) الأستاذ يوسف الخيري من أعيان ووجهاء مركز دوقه بمحافظة القنفذة على قدر كبير من الأدب وحسن الخلق. (ابن جريس).

حوالي أربعة أميال من دوقة الأولى، وحوالي عشرة أميال من الخط الدولي الحالي. وبالمقبرة شواهد من الحجارة تطمر بعضها الأتربة أثناء الرياح الموسمية في أشهر الغبار. وفي هذه المقبرة أساس حجرة من الحجارة الجيرية مرتفعة على وجه الأرض؛ حوالي (٦×٥ م)، وبها شاهد قبر (حجر) ارتفاعه يقارب (٢ م)، يُرى منه حوالي متر تقريبا، وهو أكبر الشواهد في المقبرة. وقبل أكثر من (٢٠) عاما تقريبا جاء إلى المقبرة الأثرية المؤرخ الأستاذ / حسن بن إبراهيم الفقيه من تعليم القنفذة، ومعه صديق له في دوقة الشيخ عبيد بن علي بن يوسف الخيري، وأطلعاه على المقبرة في مزارع الخيرة جنوب دوقة الأولى، أو السفلى كما تسمى قديما، وفي طرف من مزرعة الشيخ علي بن يوسف الخيري، التي أصبحت صحراء بعد أن كانت مزارع منتجة للدخن الدوقي، الذي قال فيها الشاعر القديم :

يادخن دوقة ياملوي عدوقة بخت الضعيف والقوي لا يذوقه

وقوله لا يذوقه، لأن الفقير آنذاك كان حريصاً على العناية به، فيتوفر لديه ويهتم بحمايته، أما الغني فقد يجد له رزقا آخر غيره، وبالتالي فهو من حظ الفقير.

ونعود لقصة المقبرة؛ ووجد الشيخ الفقيه حجراً في أحد جوانبها، وقرباً من القبر، وعليه نقش مكتوب ينص على أن هذا القبر للأميرة الشريفة فلانة (لا أذكر اسمها)، وكان تاريخ وفاتها في القرن السادس الهجري، فأخذ الأستاذ حسن الفقيه لدراسة النقش ونشره، كما ذكر ذلك، وبعد عدة سنوات سُئل الشيخ عن الحجر، ولماذا لم يعده للمقبرة؟ فقال: سلمته إلى إحدى الجامعات المهتمة بالأمر؛ لأنه في المقبرة قد يتعرض للسرقة أو الاختفاء؛ وهو شاهد على أثر.

هذا باختصار توثيق بعض آثار (دوقة ابن خير) ومآثرها، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين. وشكراً دكتورنا العزيز على ما قدمته لبلادنا (المملكة العربية السعودية) من تاريخ لمعالمها وارتباطها بالعالم العربي والإسلامي. حفظك الله وبارك فيك. وكتبه: يوسف بن حسن بن يوسف الخيري . القنفذة - دوقة الأولى (بتاريخ/٥/ ربيع الأول/١٤٤٦ هـ) ^(١).

(١) هذه المدونة وصلتني على ضوء خطاب بتاريخ (٢٨/١٢/١٤٤٥ هـ) استكثبت فيه الكثير من البحوث والباحثين عن بلدان تهامة والسراة. (ابن جريس).

٨ ملحة تاريخية عن طريق الساحل الرابط بين مكة المكرمة وجازان في العصر الحديث . بقلم . أ. ناصر بن أحمد العماري الشريف^(١).

إلى أستاذنا أ. د. غيثان بن علي بن جريس، سلمه الله. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : أرسل لكم هذه المقالة تحت العنوان المذكور أعلاه أمل أن تجدوا فيها الفائدة المرجوة مع الشكر والتقدير :

على مدار السنوات الماضية، شهد الطريق الساحلي الذي يصل بين مكة المكرمة وجازان تحولات كبيرة، تراها اليوم أثناء السفر صورة نابضة بالحياة تُروي قصة التغيير. كان هذا الشريان يوماً ما مساراً ضيقاً عبر السهول والصحاري، وقد تحول اليوم إلى طريق رئيسية حديثة تنبض بالحياة والتنقل السريع.

يحسن بنا أن نشير لهذا الموضع بشيء من التاريخ الموثق المكتوب، فقبل دخول السيارات، كانت الطرق صعبة المسالك والسفر من خلالها ببطء شديد وعلى مراحل. المسافرون يعتمدون على وسائل النقل التقليدية، من جمال ودواب ومشيا على الأقدام، يتوقفون في محطات تعرف في زمانهم بـ«المراحل»، ومفردها مرحلة، وكل مرحلة تقع على مسافة تقدر بنحو (٨٩) كيلاً، وتلك المراحل (محطات) أمكنة للراحة، يتوقف المسافرون فيها مع قوافلهم ليلاً، قبل أن يكملوا طريقهم في نهار اليوم التالي. والمرحلة، كما كانت تعرف، وحدة قياس قديمة تعادل المسافة التي يقطعها المسافر سيراً على الأقدام في يوم واحد، وقدّر الفقهاء الحنابلة والشافعية طول المرحلة الواحدة بحوالي تسعة وثمانين كيلاً. وكان لهذه المراحل رمزية خاصة، إذ كانت تشكل نقاط تواصل بين المسافرين، يتبادلون فيها الأخبار والقصص، ويشارك بعضهم بعضاً في أخبار الأرض والناس.

تطور العقل البشري، وظهرت السيارات، وصارت الوسيلة المناسبة للنقل. وفي الوقت نفسه، لم يتخل الناس عن فكرة المراحل القديمة، بل أضافوا فكرة المحطات التي تعارف السائقون على النزول بها. ومنذ (٥٠)، عاماً وإلى عهد قريب، وعندما تسير على هذه الطرق السريعة في وقتنا الحاضر، تلاحظ تلك المواقع والمحطات القديمة التي كان يتوقف فيها السائقون، مثل "محطة الجبل" في مكة، ومحطات "الوسقة"، و"المظيلف"، و"القنفذة"، و"حلي"، و"البرك"، و"القحمة المعروفة بالوسم"، و"الدرب"، و"بيش"، و"صبيبا"، و"جازان" على امتداد الطريق بين مكة المكرمة وجازان، واليوم لم تعد تلك الاستراحات موجودة كما كانت عليه في السابق.

(١) للمزيد عن سيرة الأستاذ ناصر، انظر: موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٢٨، ص١٨٥. (ابن جريس).

إن تلك المحطات، التي كانت يوماً ما ضرورية للمسافرين، اندثرت مع تطور النقل، وصارت جميع الطرق سريعة والخدمات متوفرة في كل مكان، مما جعلها زائدة عن الحاجة، ولا يشعر المسافر عليها بصعوبات كما كان يعاني الأوائل. وكان يميز الدروب القديمة انتشار ما يعرف بـ (القهاوي)، التي تقدم للمسافرين أنواع المشروبات الساخنة وغيرها، وتوفر لهم أماكن للراحة قبل مواصلة الطريق. وكانت تلك المحطات استراحات حقيقية، حيث كان السائقون والمسافرون يتوقفون فيها ويتنفسون الصعداء، قبل أن يواصلوا السير في رحلاتهم الطويلة والشاقة.

من المحطات التي مازالت معاصرة لنا ولم تندثر، ما نشاهده في بلدة عمق التي تبعد عن مدينة البرك شمالاً نحو (٣٠) كيلاً؛ فهناك ما يُعرف بـ (المعيشات)، وهن النساء اللواتي يمتهن بيع المأكولات الطازجة، ويقدمن للمسافرين أطيب وألذ أنواع السمك بطهي شعبي قديم يُطهى فيما يسمى بـ (المينا)، هذه المحطة الوحيدة التي لم تتغير في أسلوب التقديم، لكنها تغيرت في تصميم المكان؛ وانتقلت من البناء القديم «العشة» إلى المباني الخرسانية. في عمق، وعندما تتوقف لتناول وجبة السمك المطهية على الطريقة التقليدية، تشعر وكأنك تعيش لحظة من الزمن الماضي، من حيث البساطة والطعم، فهما يلتقيان مع دفء الاستقبال والضيافة.

وهناك معلم آخر لإحدى المحطات على مدى أكثر من أربعين عاماً، فقد كانت (قهوة الجبل) محطة رئيسية للمسافرين إلى مكة المكرمة أو منها إلى الجنوب على طريق الليث المعروف بـ (خط الساحل). وتقع على بعد (٢٢) كيلاً من مكة و(٦٥) كيلاً من جدة، ويميزها قربها من جبل صغير أعطاها اسمها. وكانت تلك القهوة (قهوة الجبل) نقطة تجمع مهم للمسافرين من وإلى جازان ومكة وجدة، حيث يتوقف المسافرون عندها للتزود بالوقود والتموين، وقد حافظت على مكانتها في ذاكرة كبار السن ورواياتهم. إلا أنها اليوم، وبسبب إنشاء طريق جديد يربط مكة المكرمة مباشرة بساحل البحر جنوب جدة، وتقاطع الطريق الدولي الحديث الرابط بين جدة وجازان، أصبحت (قهوة الجبل) مندثرة ومهملة.

وفي الوقت الحالي تسافر بكل سهولة عبر طرق واسعة ومعبدة، تقل فيها الحوادث بفضل تطبيق نظام (ساهر) الذي ينظم حركة المرور ويضمن السلامة. ومع كل كيلومتر تقطعه، ترى كيف أن الزمن حول الرحلة التي كانت تستغرق أياماً إلى ساعات قليلة. وكل معلم على الطريق يشهد على التقدم الكبير الذي حوّل مشاق السفر إلى متعة. وتحولت

الرحلة القديمة الصعبة والمرهقة إلى رحلة سياحية ممتعة، حيث يمكن للمرء أن يستمتع بالمناظر الطبيعية الخلابة على طول الطريق، من جبال تهامة إلى سواحل البحر الأحمر.

وفي الرحلة المعاصرة، تلاحظ أيضاً كيف تغيرت الحياة في المدن والقرى التي تمر بها. والأسواق الأسبوعية الشعبية القديمة التي كانت تجمع الناس في يوم واحد إلى أسواق دائمة يومية. ولم تعد الناس تنتظر وتعتمد على تلك الأسواق الأسبوعية أو الموسمية القديمة، وصار السكان يذهبون إلى الأسواق الكبيرة أو الشراء عبر الإنترنت. حتى الحرف التقليدية التي كانت تُعرض في تلك الأسواق أصبحت أقل بريقاً أمام المنتجات الحديثة والمستوردة. ومع ذلك، فالأسواق الشعبية تظل رمزاً للماضي، وتذكر الزوار بالثقافة الغنية والتقاليد العريقة التي عاشها الأجداد.

وأثناء مواصلة الرحلة على هذا الطريق وغيره من الدروب في بلدان السروات وتهامة، تتذكر كيف كانت المجتمعات أكثر بساطة ومحدودية في كل شيء. كان الناس يعيشون حياة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالطبيعة والعادات القديمة. أما اليوم، فترى أن التعليم والتكنولوجيا قد أدخلوا هذه المجتمعات إلى عصر جديد من الانفتاح والحدثة. وعندما تسافر وتشاهد المناطق الريفية، تلمح بعض مظاهر الحياة التقليدية التي بقيت حية رغم التغيرات. وما زالت بعض البيوت الحجرية والطينية والمساجد القديمة وغيرها من المعالم الحضارية تقف شاهدة على الماضي، وتصارع الزمن، لتروي حكايات من عاشوا فيها.

كلما اقتربت من وجهتك، تدرك أن هذه الرحلة ليست مجرد انتقال من مكان إلى آخر، بل هي جولة مهمة ترى من خلالها كيف حمل الزمن معه تحسينات كثيرة، لكنه أيضاً ترك تحديات تتعلق بالحفاظ على التراث الثقافي والاجتماعي لهذه المناطق. وفي هذه الرحلة، تختلط مشاعر الإعجاب بالتقدم مع الحنين إلى ماضي البشر والحجر، حيث كان لكل خطوة معنى، ولكل محطة قصة تروى.

إنها رحلة ليست فقط في المكان، ولكن في الزمان أيضاً، حيث يمكنك أن تعيش الحاضر وتستشعر نبضات الماضي في كل منعطف من الطريق. (١٤٤٦/٣/٩ هـ) ^(١).

(١) أشكرك يا أستاذ ناصر على هذا التوثيق المختصر. وكل الذي ذكرت جزء من تاريخنا المحلي، حبذا أنك تتوسع في هذا الموضوع وتصدره في كتاب أو بحث علمي مطول. (ابن جريس).

٩ وقفة مع سوق الأحد بقرية الشعبين، بمحافظة رجال ألمع بقلم. أ. طلال بن أحمد قفيلي عسيري^(١).

سعادة الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس، سلمه الله تعالى. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: إجابة على مذكرة الاستكتاب التي وصلتنا من سعادتكم؛ بشأن الكتابة عن تاريخ بلاد تهامة والسراة الممتدة من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران، والمؤرخة في (١٢/٢٨/١٤٤٥هـ). وكوني فرد من أهالي رجال ألمع ووقع علي الاختيار ضمن كوكبة من حوالي أربع مئة وخمسين باحثاً وباحثة في أنحاء المملكة العربية السعودية^(٢)، وما أنا سوى أقلهم وأرجو من الله التوفيق لإيراد وتوثيق الصواب.

لقد اخترت سوق الأحد بقرية الشعبين إحدى قرى قبيلة بني قطبة رجال ألمع (أحد الشعبين، أحد الزيداني) بعدما أصبح ممحي الأطلال، وله مسميات ذاعت على السنة المرتادين القدامى للسوق بمختلف قراهم وسوف أورد شيئاً منها، ومما عرفته ووصلني واستقيته بالمشافهة عن الوالد الشيخ/ عامر بن علي جابر الزيداني نائب الشعبين السابق، ومقابلة بعض الأشخاص الذين ارتادوا السوق قديماً، وما عرفناه منهم. وقسمت هذه الورقات البحثية المتواضعة إلى ثلاثة محاور رئيسية هي: (أ) تأسيس السوق، (ب) إدارة السوق، (ج) أقسام السوق.

أ- تأسيس السوق وأسباب تسمياته :

بدأ استخدام الأسواق منذ فجر التاريخ، عندما بدأ الإنسان يتعامل مع البيع والشراء، وكان الناس يتفقون على موقع محدد لذلك التبادل. وتطورت الأسواق حتى صار لها قوانين، وأعراف فيما بين الناس تكفل حق المشتري والبائع، بدأ بالمقايضة ثم التعامل بالعملة المختلفة.

(١) الأستاذ طلال مازال شاباً صغيراً، فهو من مواليد مدينة أبها عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، وهو من قبيلة بني قطبة الألمعية. طور نفسه معرفياً وثقافياً من خلال مشاركاته في الأنشطة المدرسية اللاصفية. ولم أقابل هذا الشاب حتى الآن، وتحديث معه أكثر من مرة في الهاتف. ويبدو أنه مجتهد ونشط في تثقيف نفسه. والحمد لله أن في مجتمعنا مثل هذا الإنسان الجاد الذي أرجو له كل توفيق ونجاح في حياته الحاضرة والمستقبلية. (ابن جريس).

(٢) المقصود بهذا العدد، أي الأساتذة والأعلام الذين أرسلت لهم خطاب الاستكتاب الموثق في بداية هذا القسم. (ابن جريس).

يعود تاريخ تأسيس السوق إلى مئات السنين، ويقولون نستطيع الجزم بتاريخ بدايته الفعلية؛ فأجدادنا يذكرون عن أجدادهم أن تاريخه قديم ويقولون أن مؤسسي السوق هم قبيلة آل زيدان، ولهذا عرف باسم (أحد الزيداني)، ويقام يوم الأحد من كل أسبوع، وكان فيه صورا من الألفة والوئام كمجتمع اقتصادي واجتماعي وسياسي. والجدير بالذكر أن الفقير كان يجد له قوت يومه من صدقات كل تاجر في السوق. والبعض يأبى أن يبيع ويشترى حتى يخرج من بضاعته ما تجود به نفسه، ويقول هذا حق الضعيف أي الفقير، وكان التجار يقتدون ويتحلون بهذا الفعل ولديهم عدة مناقب أخرى ليس المجال هنا مناسباً لإيرادها.

والسوق مجتمع اقتصادي، أي تجمع لأصحاب الحبوب والمواشي والمواد الغذائية وغيرها. بالإضافة إلى الحرفيين وأصحاب الصناعات المختلفة. والسوق قديماً يجتمع فيه المشايخ العشرة لرجال ألمع مسوقين أو متسوقين أو حاضرين للسوق من أجل تداول حل مشكلة أو مشورة أو أمر هام أو حتى الاجتماع والنقاش والحوار فيما بينهم. ويجد الناس في السوق الأخبار وتجديد العهد واللقاء والتعارف .

وسبب التسمية الأولى للسوق، أي نسبة إلى أحد أشعاب القرية المذكورة الشعبين التي لها المسمى نفسه لشعبي (صولة) و(الأحد). أما قول الأهالي آنذاك أحد الزيداني: فهي نسبة لحماة ومؤسسي السوق الأوائل قبيلة آل زيدان المغيدية، وقد ورد ذكرها في بعض المصادر التاريخية، وتسلسلت فيهم هذه الأمانة حيث كانوا وما زالوا يستوطنون الشعبين وما جاورها، وورد في مصادر أخرى تحالف آل الحفظي وآل زيدان، ويؤكد ذلك قول العلامة الشيخ/ أحمد بن عبد الخالق الحفظي في قصيدته التي نظمها إبان أسرهم، وعدد من مشايخ عسير ببلدة يانيه بتركيا في أواخر القرن الثالث عشر الهجري (١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م) وأشار إلى الشعبين وذكر صفوة أهلها ولطف معشرهم. وبعدما قل عدد القبيلة وجرت بعض الأحداث التاريخية، ثم آل السوق إلى قبيلتي بني ظالم وبني قطبة في عهد الشيخ/ محمد بن جابر بن مرعي الزيداني آخر حماة السوق. وكان يقوم شيخا القبيلتين (بنو قطبة، وبنو ظالم) بتعيين حماة (رجل عن كل قبيلة) للإشراف على السوق، واستمر ذلك فترة من الزمن. وبعد مجيء، الحكم السعودي تم تكليف ما يسمون بالعسس، ثم استحدث مخفر في السوق، ومنذ ثلاثة أو أربعة عقود اندثر السوق وانتهى. وكان هذا السوق التجمع الاقتصادي الأكبر لأهالي محافظة رجال ألمع، لأنه يتوسط المحافظة، وهو حالياً المجمع الحكومي لعدة مؤسسات حكومية وأهلية.

ب- إدارة السوق :

تتم إدارة السوق بطريقة مباشرة ممثلة في وجود شيخ القبيلة، وكذلك المسؤول عن السوق في فترة إدارة آل زيدان، وخلال الفترة التالية كان يوجد في السوق ثلاثة رجال بمسؤوليات مختلفة، هي:

١- الرجل الأول (الصائح أو المنادي) :

أي الشخص الإعلامي، ويجب أن يكون صوته جهورياً، ويقف على صخرة تسمى ضرس الأحد والنداء في الناس وإبلاغهم بما كلف به من المسؤول عن السوق، ويقوم برفع رايتين الأولى: البيضاء قائلًا البيضاء ترفع لفلان، أو أسرة كذا، أو للعشيرة الفلانية، أو للقبيلة الفلانية كونهم فعلوا كذا وكذا، أي عمل إيجابياً يقتضى ذلك إشعار الناس بالفعل، وتكريمهم رفعة لشأنهم، والتحفيز ليحذوا أفراد المجتمع حذوهم. والراية الثانية السوداء، فيقال السوداء لفلان، أو لأسرة كذا، أو قبيلة كذا. والرايتان من قماش أبيض أو أسود للحالتين الإيجابية والسلبية. وهذا المكلف أيضاً يخبر الناس في السوق عن أي شيء فقد وتم العثور عليه. كذلك يعلن الأخبار المهمة ويبدأ بجمع الناس قائلًا: اسمعوا رحم الله والديكم، ويكررها ثلاث مرات، وبعد أن ينصت الجميع يبلغهم بما كلف به.

٢- الرجل الثاني (الدال) :

الذي يقصده أصحاب الحبوب، وبعض المواشي، تحت إشراف مسؤول السوق، ويعرضون عليه سلعهم ويبدأ في التحريج والدلالة عليها في موقع بيع الحبوب أو موقع بيع المواشي، وكلاهما في العراء، ويقف البائع والمشتري أمامه حتى تنتهي عملية البيع والشراء.

٣- الرجل الثالث (المعرف) :

شيخ السوق الذي يتعرف على الباعة والأهالي المتسوقين، ومن هو من خارج المنطقة، وهل هو عابر سبيل أو فقير معوز أو يبحث عن ضالة، وإذا أتى بائع جديد إلى السوق بيضاعة أو سيمة، (أي بهيمة)، فيقصد شيخ السوق المعروف، ويذكر له ما لديه فيكلفه المعروف بأن يأتي بضامن ثقة أو كفيل من عشيرته أو قبيلته يعرفه ويكفله ويأعاده المبلغ لسيمة أو سلعة بأعها صاحبها وبها عيب.

ج- أقسام السوق:

يقسم السوق إلى عدة أقسام رئيسية من حيث البنية والاختصاص هي :-

١- المصلى :

مكان أداء الصلوات التي تحين أثناء وجود الناس في السوق.

٢- مكان تنفيذ الأحكام الشرعية :

موقع يتم فيه تنفيذ جميع الأحكام الشرعية من قصاص أو قطع يد السارق وغيرها من الأحكام .

٣- مكان النساء :

قسم يبيع فيه النساء مستلزماتهن من الحلي والملابس والعطريات، ويشتركن مع بعض الرجال في بيع الفخاريات والسمن ويمتزن ببيعهن للمنتوجات الخصفية وما يخصهن بشكل عام في منازلهن.

٤- الدكاكين، والسقائف، والبسطات :

الدكان: مبنى لا يتجاوز ارتفاعه المترين مبني من الحجارة، ومسقوف بالخشب المحلي به باب ويفلق على البضاعة في داخله، وغالبا يكون للتجار المقتدرين، الذين اشتهروا بما يسمى وارد البحر، أي المنتجات المستوردة كدقيق البابوري والملح والبن وغيرها من بهارات وملبوسات. أما السقائف فهي للباعة المتجولين الذين يعرضون بضائعهم فيها فترة السوق. والبسطة لا تشترط مكان معين فهي مصنوعة من السعف أو الخصف أو غيرها يفترشها الباعة أثناء البيع والشراء، وعند انتهاء السوق قبيل العصر يجمعون بضائعهم ويغادرون. أما أصحاب الدكاكين فيخزنون بضائعهم في دكاكينهم.

٥- المسلخ أو المجزرة :

مكان يذبح فيه أصحاب الحنيذ، ويسلخون البهائم لمن يريد شراء اللحم الني أو الحنيذ، ولم يكن أحد في ذلك الحين يستطيع شراء ذبيحة كاملة إلا ميسوري الحال، والغالب يشترك بضعة أشخاص في الذبيحة، والذي يمارس الذبح والسلم له شارية، ويسمى بصاحب الشارية، أي له خبرة وميزة وذوق في طريقة التفصيل وما بعده في إعداد الحنيذ، ولا يجيد هذه الحرفة إلا قليل من الناس الذين امتهنوها ، وصاروا مشهورين بذلك .

٦- المعربات :

أي أشبه بالمطعم المصغر، نساء يقمن بإعداد الخبز المصنوع من الذرة أو القمح، أو الدقيق الأبيض، والقهوة والشاي، وكان يوجد في تلك الأمكنة مقاعد خصفية يجلس عليها الزبائن لتناول بعض المأكولات والمشروبات المتوفرة آنذاك.

٧- قسم البهائم (المواشي) :

مكان يجتمع فيه أصحاب المواشي يعرضون فيه الأغنام والأبقار والإبل للبيع، ويشترك الرجال في رأس الغنم الواحد وقد يصلون إلى أربعة أشخاص، أما في الأبقار فيشارك السبعة والعشرة في البقرة الواحدة ، ونادرا يؤكل لحم الإبل، واعتاد الناس في تهامة استخدامهم الحمير للركوب وحمل الأثقال.

أرجو أن أكون وثقت لمحات قليلة من تاريخ هذا السوق الشعبي، الذي كان له تاريخ حافل خلال القرن الهجري الماضي. وربما أن هناك بعض الوثائق والروايات المهمة عن مسيرة هذا السوق الأملعي. حبذا أن يتخذ موضوعا لبحث علمي عميق وجاد. مع أنه توقف عن العمل في بداية هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) ، ومازال الناس يذكرونه، ويروون بعض الأنشطة أو الأحداث التي حصلت فيه خلال القرون الماضية المتأخرة . وفي عموم تهامة مئات الأسواق الأسبوعية التي كان لها تاريخ وآثار حضارية متنوعة، لكنها اندثرت، وضاع الكثير من تاريخها وتراثها وحضارتها.



١٠ من رواد العلم الشرعي في تهامة بني شهر (حاضرة المجاردة) خلال

القرن (١٤هـ / ٢٠م) (الشيخ محمد بن عبد الله إلياس)

بقلم. أ. محمد بن أحمد الشهري^(١).

لا شك أن طلب العلم فريضة على كل مسلم، وكما نرى في وقتنا الحالي ونحن في النصف الأول من القرن الخامس عشر الهجري، تنوع مصادر العلم واختلاف مشاربه وسهولة الوصول إليه مع التقنيات الحديثة، ومما يؤسف له مع كل هذه التسهيلات والمغريات التقنية ويُسر التحصيل نرى أحياناً عزوفاً من الأجيال الناشئة عن طلب العلم بمختلف تفرعاته، وتكاسلاً في التحصيل مع كل ما هيئته حكومة بلدنا الكريم من وسائل التعليم والتعلم والحث عليه.

أقول ذلك ونحن نستعرض سيرة رجل كريم ينتمي لمحافظة المجاردة التابعة لإمارة منطقة عسير، ففي القرن الماضي تجشم هذا الرجل الصعاب وركب الخطر في سبيل طلب العلم بكل همة وجلد وصبر لا يؤتاه إلا القليل من لرجال.

نقف في هذا البحث اليسير مع: سيرة الشيخ محمد بن عبد الله إلياس، الذي يُعد قدوة حسنة للأجيال الناشئة في طلبه وتحصيله للعلم والهجرة إليه.

(*) الموقع الجغرافي لمحافظة المجاردة في تهامة بني شهر :

تقع محافظة المجاردة في الشمال الغربي من منطقة عسير يحدها من الشمال العرضية الجنوبية التابعة لمنطقة مكة المكرمة، ومن الجنوب محافظة محايل عسير، ويحدها من الشرق محافظة النماص، ويحدها من الغرب محافظة القنفذة التابعة لمنطقة مكة المكرمة، وهي قاعدة قبائل تهامة في بني شهر ومرجعها الإداري، ويوجد بها

(١) الأستاذ محمد من مواليد محافظة المجاردة، حصل على الشهادة المتوسطة، ثم التحق بالسلك العسكري، ودرس الثانوية العامة، ثم أحيل للتقاعد، وواصل دراسته الجامعية وحصل على درجة البكالوريوس في علم التاريخ من جامعة الملك عبدالعزيز عام (١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م)، وعمل بالتدريس مع بعض المدارس الأهلية بالرياض، وعمل في شركة البمامة لمدة عامين، وواصل دراسة الماجستير في جامعة الملك سعود وحصل على الدرجة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م). وعمل متعاوناً في مجال التدريس مع جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل بالدمام لمدة عامين، ويواصل حالياً درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي بقسم التاريخ والآثار في جامعة الملك خالد. والأستاذ محمد من الأشخاص الجادين المجتهدين في أعمالهم وأداء واجباتهم، وعلى قدر كبير من السماحة واللفظ وحسن الخلق، وأيضاً يتقن التعامل مع الحاسب الآلي والتقنية الحديثة، ولا يتأخر في تقديم الخدمات البحثية لمن احتاجه أو طلب منه المساعدة فنياً وتقنياً. (ابن جريس).

معظم الدوائر الحكومية، ومن قراها (الجبهة، والحدبة، والرجع، والخطوة، والمرصد، والسودة، وقرن الميفاء) وغيرها من القرى»^(١)،

هذه التسميات قديمة وظهر اليوم مسميات حديثة لهذه الأحياء حسب تنظيم البلديات. والمناخ معتدل صيفا، بارد شتاءً، كثير الأمطار في فصل الصيف بسبب الرياح الجنوبية الغربية التي تكون محملة بكميات هائلة من الأمطار، فتصطدم بالجبال الشرقية، فتسقط الأمطار بغزارة، وبها طبيعة خلابة وخاصة في الوسط، وتكسوها الغابات الكثيفة، وتوجد منحدرات شديدة، ووديان سحيقة الانخفاض وتشتهر بجمال مناظرها الطبيعية وكثافة أشجارها وتنوع حيواناتها ومما يزيدها جمالا وجود شلالات منحدره تجاه الجنوب والشمال .

محافظة المجاردة إحدى محافظات منطقة عسير، والبوابة الشمالية للمنطقة في الأجزاء التهامية، ولها مكانة هامة على طريق التجار والحجاج والمسافرين، إذ لا بد لكل تاجر أو حاج أو مسافر من جنوب الجزيرة العربية على طريق تهامة قاصدا الحجاز من المرور عليها ذهابا وإيابا فيجد فيها الراحة والطمأنينة وينعم بخيراتها ويستمتع بجوها الجميل خصوصا في فصل الشتاء»^(٢) .

(*) لمحة عن الحياة الفكرية في منطقة عسير في القرن الماضي؛

اتسمت الحياة الفكرية في أوائل القرن الثالث عشر الهجري بشيء من الضعف والجذب، وذلك لما كانت عليه البلاد من تشتت سياسي، حيث كانت مقسمة بين عدد من الأمراء وشيوخ القبائل المستقلين، هذا بالإضافة إلى ما أصيبت به عسير حينئذ من نقص في معيشتها واضطراب في أمنها، لكن الدعوة السلفية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدأت في الانتشار في عسير، وكان من نتائجها أن تبصر الناس في أمورهم، وطلبوا العلم خارج قبائلهم وقراهم وأرتاد ديارهم العلماء والمرشدون والدعاة يحملون نور العلم ويبثونه بين الناس، كما أن بعض أمراء عسير الذين وفدوا على الدرعية قد عملوا على رعاية الدعوة السلفية في عسير ونشرها»^(٣). وإذا كان الحديث عن هذا الضعف العلمي في

(١) الشهري، فايز بن سالم، الوجيز في جغرافية وتاريخ بلاد بني شهر، ط١، ١٤١٨هـ، ص ٢١٧.

(٢) ابن جريس، غيثان، بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (١٩-٢٠هـ)، ط٢، مطابع الحميضي، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ٣٦٩ مشاركة بقلم. أ. علي بن سرده مدير مكتب الإشراف التربوي.

(٣) أبوداهش، عبدالله محمد، ملامح الحياة الفكرية والأدبية في عسير (١٢١٥-١٣٥١هـ)، (أبها: النادي الأدبي ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص ٤.

تلك الفترة التاريخية في عسير وبلاد السراة ، وهي التي تعتبر حاضرة المنطقة، فما بالك بالحديث عن مناطق تهامة التي كانت بعيدة جغرافياً وتسود فيها الأمية بشكل كبير.

(*) التعليم في محافظة المجاردة قديماً :

كان التعليم قديماً في هذه المنطقة مثل غيرها من المناطق معتمداً على الكتابات التي تعلم القرآن والعلوم البسيطة مثل الكتابة والحساب، لكن ما يبرر عدم انتشار هذه الكتابات هو قلة المعلمين وندرة وجودهم للقيام بمهمة التعليم، بالإضافة إلى الأوضاع الاقتصادية، لذا برز طلاب هاجروا لطلب العلم، إلى أماكن بعيدة مثل اليمن، وكانت الهجرة في طلب العلم شائعة في منطقة عسير فيقول الحفظي في تاريخه في أحداث سنة (١٢٥٢هـ): «وفيها نمر طائفة من السراة ومن تهامة ليتفقوها في الدين من عند القاضي زين العابدين، وذلك في شهر رمضان، وكان الأمير عافاه لله هو الباعث لهم على ذلك بعد أن قرّر لهم عطاءً معيناً على المطلوب، فمكثوا بالمدرسة الحفظية ثلاثة أشهر»^(١).

(*) الشيخ محمد بن عبد الله إلياس وهجرته في طلب العلم :

يبدو أن الهجرة في طلب العلم لم تكن مقتصورة على الداخل، فقد هاجر البعض في طلب العلم في تلك الفترة إلى أماكن مختلفة «لطلب العلم خارج أوطانهم واعتبروا الرحلة في سبيل العلم أمارة من أمارات التفقه في الدين والاستعداد للتدريس، وكان أكثر طلاب العلم في عسير يتجهون إلى اليمن لقربها وتوفير المعونات المادية والمعيشية المخصصة لطلاب العلم الغرباء»^(٢)، ويبدو أن الشيخ محمد بن عبد الله إلياس كان أحد أولئك القلة الذين ضربوا أكباد الإبل لطلب العلم في زمن كانت الأولوية البحث عن لقمة العيش، فمن هو الشيخ محمد إلياس، وكيف رحل في طلب العلم، وما هو الأثر الذي تركه بعد عودته لمسقط رأسه؟

الشيخ محمد بن عبد الله إلياس الأزوري الشهري ولد في محافظة المجاردة عام (١٣٣٣هـ/١٩١٤م)، توفى في شهر رمضان عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). يقول الأستاذ علي بن عبد الرحمن عن الشيخ محمد إلياس «ومن أهل المجاردة من سافر لطلب العلم أمثال الشيخ محمد بن عبد الله إلياس الذي سافر إلى اليمن ومكث أكثر من أربع سنوات ما بين عامي (١٣٥٩—١٣٦٤هـ)، ثم عاد إلى المجاردة وفتح بيته لتعليم الناس، وهذا ما رواه لي بنفسه حيث عاصرته لأكثر من ثلاثين سنة، وتولى عدة وظائف (مقدر شجاع،

(١) الحفظي، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الحفظي المسمى تاريخ الملك العسيري، تحقيق: علي آل قطب، مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم التربوية والاجتماعية العدد السابع عشر - الجزء الأول - شعبان ١٤٤٥هـ / مارس ٢٠٢٤م، ص ٤١٨.

(٢) أبو داهش، ملامح الحياة الفكرية، مرجع سابق، ص ٨.

وما أذن شرعي، ومؤذن، وإمام وخطيب ومندوب أوقاف ومساجد)، وأذكر وبكل تجرد أنه لا يوجد مسجد أو وقف في المجاردة إلا وله الدور الإيجابي في بنائه، أو استصلاحه، وتوفي في يوم الجمعة غرة رمضان المبارك عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، وقد خسرت المجاردة برحيله علماً من أعلامها، ورجل خير وإصلاح، فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته^(١)، لكن أين كان مستقر هجرته تحديداً في أرض اليمن؟ يقول الأستاذ علي بن ظافر الشهري وهو من رجال التعليم في المنطقة وممن عاصر الشيخ محمد إلياس وعرف عنه الكثير من علمه وفضله «أن الشيخ هاجر وارتحل في طلب العلم إلى بلدة المراوعة^(٢) في أرض اليمن»^(٣) وكانت مقصداً لطلاب العلم، وهي من معاقل العلم الشهيرة.

(*) جهود الشيخ محمد إلياس العلمية والتربوية :

يقول ابنه الأكبر (عبد الله) متحدثاً عن والده «كان يوصينا بالصلاة جماعةً وصلة الأرحام، وكان رحيماً بنا وبالأخرين، حريصاً على نشر العلم والخير بين الناس»^(٤). وقد نشأت أجيال عديدة من أهل منطقة المجاردة على صوت الشيخ محمد إلياس يردد الآذان في الصلوات الخمس، في وقت لم تكن مكبرات الصوت ذات وجود، وفي صلاة الجمعة والعيد.

بعد عودة الشيخ من اليمن عام (١٣٦٤هـ/١٩٤٤م)، بدأ في تدريس الطلاب ونشر العلم وتوعية الناس ومحاربة البدع المنتشرة في ذلك الوقت، واستمر في مسيرته ينشر العلم والوعي بين أهل المنطقة، وبعد انتشار مدارس القرعاوي^(٥) في المنطقة زاد تأثير الناس

(١) ابن جريس، غيثان، بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (١٩-٢٠هـ)، مرجع سابق، ص ٢٨٩.

(٢) المراوعة: بفتح الميم والراء ثم كسر الواو. مدينة واقعة على طريق الحديد بابل، وتبعد شرقاً عن مدينة الحديد بمسافة (٣٠) كيلاً، ويعود ظهورها إلى القرن الثالث الهجري على أثر اندثار مدينة (الكدراء)، كما أنها محل سكن العلماء (آل الأهدل) قال الأكوخ: وهي من معاقل العلم الشهيرة بتهامة اليمن، المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة للطباعة والنشر، صنعاء، اليمن، (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ١٤٢٨/٢.

(٣) قناة موقع الوسطية الإسلامي، (١٨/٠٥/٢٠١٤م)، المحتسب الشيخ محمد عبد الله إلياس، <https://www.youtube.com/watch?v=qlSoh-dDqKo>

(٤) المرجع السابق.

(٥) عبد الله بن محمد بن حمد القرعاوي (١٣١٥ — ١٣٨٩ هـ / ١٨٩٨ — ١٩٦٩ م) داعية إسلامي رحل إلى الهند في طلب العلم سنة (١٣٤٤هـ) وتنقل بين مكة المكرمة والمدينة والرياض ثم العراق ومصر والشام، وحاز الإجازة في الحديث بالمدرسة الرحمانية في دلهي (١٣٥٥هـ) وقصد تهامة (١٣٥٨) وجلس للتدريس والدعوة إلى التوحيد وإلى إنشاء المدارس في بلدة (سامطة) والقرى المجاورة لها. وامتدت مدارسه في بلدان عديدة تهامة وسروية وكان توجيهه للمنطقة الجنوبية بأمر من الملك عبدالعزيز غفر الله له. انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود (ت: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، ط ١٥، دار العلم للملايين، (لبنان، بيروت) ٢٠٠٢ م، ١٣٥:٤.

وطلبهم للعلم ثم افتتحت المدارس النظامية وانتظم الطلاب في طلب العلم وتحصيله.

في تلك الفترة التي كانت معظم السروات وتهامة بعيدة عن التعليم الشرعي قبل وصول الدعوة السلفية للمنطقة يُعزى لهذا الرجل المحتسب الشيخ محمد إلياس نشر العلم والسعي في طلبه بل والارتحال إلى مناطق بعيدة للتزود بالعلم الشرعي ومن ثم نشره في بلاده ومستقط رأسه .

حاولت في هذا البحث البسيط تتبع سيرة الشيخ منذ ارتحاله إلى اليمن لطلب العلم، ومن ثم نشره للعلم الشرعي بعد عودته، محتسباً الأجر، ولن نوفيّه حقه لأننا عندما نستعرض سيرته الآن فنحن نستعرضها من خلال التقنية الحديثة التي سهلت كل شيء، وعندما نقارنها بما عايناه الشيخ من شظف العيش وصعوبة الزمان والمكان، تصعب المقارنة وتصبح شيئاً من الخيال، فأنت تترك الأهل والوطن مرتحلاً إلى أرض بعيدة غريباً وحيداً أسمى أهدافه طلب العلم، محتسباً ذلك عند الله، فهذا شيء جليل وقدر رفيع ومنزلة عظيمة تركت أثرها لهذا الرجل إلى يومنا هذا، فكم من دعوة صالحة تصل إليه في قبره نظير ما قدم ونشر من العلم والخير.

ختاماً الشكر موصول لسعادة الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس (مؤرخ الجنوب)، وصاحب الفضل بعد الله في نشر هذه الورقة البحثية، كما أثني بالشكر للأستاذين: عبد الله بن محمد إلياس، وعبد القادر محمد إلياس نجلي الشيخ محمد إلياس على تعاونهما معنا وتزويدهما بالمعلومات المهمة عن والدهما (رحمه الله) ^(١).

(*) المراجع:

- ١- ابن جريس، غيثان، بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (١٩-٢٠هـ)، ط٢، مطابع الحميضي، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) .
- ٢- أبوداهش، عبد الله محمد، ملامح الحياة الفكرية والأدبية في عسير (١٢١٥-١٣٥١هـ)، (أبها: النادي الأدبي ١٤٠١هـ/١٩٨١م).

(١) أشكرك يا ابننا الأستاذ العزيز محمد بن أحمد الشهري على هذا الموجز عن هذا العلم التهامي، وكنت أتمنى أنك أسهبت الحديث في أعماله وجهوده وآثاره على بلدة المجاردة وما حولها . وما زال هناك العديد من الأعلام الفضلاء النبلاء الذين قدموا الكثير لخدمة أوطانهم في بلدان تهامة من جنوب مكة إلى ديار المجاردة وبارق ومحال والبرك وما حولها. أمل أن نرى مؤرخين في هذه البلاد يدرسون تاريخها الحضاري الحديث والمعاصر في شتى الجوانب. (ابن جريس) .

- ٢- الزركلي، خير الدين بن محمود (ت: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، (لبنان، بيروت) ٢٠٠٢ م.
- ٤- المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة للطباعة والنشر، صنعاء، اليمن، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢ م.
- ٥- الشهري، فايز بن سالم، الوجيز في جغرافية وتاريخ بلاد بني شهر، ط١، ١٤١٨هـ.

(*) المجلات العلمية

- ١- الحفظي، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ الحفظي المسمى تاريخ الملك العسيري، تحقيق: على آل قطب، مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم التربوية والاجتماعية العدد السابع عشر - الجزء الأول - (شعبان ١٤٤٥هـ/ مارس ٢٠٢٤ م)، ص٤١٨.

(*) المواقع الإلكترونية

- ١- قناة موقع الوسطية الإسلامي، (١٨/٠٥/٢٠١٤م)، المحتسب الشيخ محمد عبد الله إلياس، <https://www.youtube.com/watch?v=qlSoh-dDqKo>



١١ - بلاد أثرب في تهامة بني شهر كما سمعت عنها ورأيتها. (١٣٩٧هـ -

١٤٤٦هـ الموافق ١٩٧٧-٢٠٢٤م). بقلم . د. حسن فيصل محمد الشهري^(١).

سعادة الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس الجبيري الشهري، حفظه الله. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: وصلني خطاب سعادتك الذي تشيرون فيه إلى رغبتكم في استكتاب أرباب القلم من رواد الأدب والثقافة والمهتمين بتاريخ البلاد في الداخل والخارج من أجل الكتابة عن تاريخ تهامة والسراة الواقعة بين الحجاز واليمن. من حدود منطقة مكة المكرمة إلى حدود منطقة نجران (سراة وتهامة)، ومساهمتي في هذا المشروع أرسل إليكم هذه المقالة المتواضعة التي تتحدث عن بقعة محبوبة إلى قلبي من بقاع وطني الحبيب المملكة العربية السعودية، كوني أحد المنتمين إليها إنسانا، ومكانا. وقد رغبت في الكتابة عنها بما أعرفه من خلال مشاهداتي الشخصية، وما حصلت عليه من معلومات تاريخية بسماعي لبعض حكاياتها من كبار السن المنتمين إليها، وحيث إن هذه البقعة، أشبه بأن تكون في طي النسيان، فلم يتعرض لها الباحثون لا من قريب ولا من بعيد إلا بعبارة عابرة لا تظهر إلا النزر اليسير من تاريخها الحضاري. ولعل هذه المشاركة تفتح بابا جديدا للباحثين الجادين وطلاب العلم المهتمين بالتاريخ من أجل كتابة بحوث ورسائل علمية أوسع نطاقا وأوفى جمالا عنها، أو عن البقاع المماثلة لها في شتى أنحاء مملكتنا الحبيبة لبيان الأحداث التاريخية التي مرت بها، والاستفادة من تجارب أهلها، والوقوف على أحوالها في فترات مختلفة لا سيما وأن معظم المدن الكبرى وبخاصة تلك المدن التي كان لها حضورا كبيرا في كتابة التاريخ السياسي، والديني، والاجتماعي، والاقتصادي منذ عصر ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر فقد استفاد العلماء في الكتابة عن تاريخها في مجالات شتى بعكس المحافظات أو القرى الصغيرة التي لم يكتب عنها إلا الشيء القليل، أو النادر جدًا.

سيكون الحديث في هذه المشاركة مختصراً عن الموقع الجغرافي ومظاهره الطبيعية، والوصف المناخي، والتكوين القبلي، وما حصل فيها من خدمات حكومية منذ أواخر القرن الرابع عشر وما طرأ عليها من تغيرات حتى يومنا الحاضر على أمل إكمال الحديث عن بقية الجوانب في مشروع بحثي مستقل بعون الله تعالى.

(١) للمزيد عن سيرته، انظر: موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطبعة الثانية) (الجزء الحادي عشر)، ص ٧٨. (ابن جريس).

١- الموقع الجغرافي والمظاهر الطبيعية.

يقع جبل أثرب في شرق محافظة بارق إحدى المحافظات الواقعة في شمال منطقة عسير، ويعد هذا الجبل من أهم جبال بني شهر في تهامة، حيث يتميز بارتفاع شاهق يصل إلى حوالي ألف وثمانمائة متر عن مستوى سطح البحر، بحيث يستطيع من يقف على قمته من رؤية أمواج البحر الأحمر عندما يكون الجو هادئاً وصافياً، وقد تبنى بذلك الارتفاع أحد شعراء العرضة في زمننا الحاضر وهو الشاعر والشيخ سعيد بن هضبان الحارثي في قصيدة مشهورة ومنشورة في الشبكة العنكبوتية عندما حضر حفل زواج أحد أبناء قبيلة آل يحمد في أعلى الجبل قبل حوالي عقدين من الزمان يقول في أواخر أبياتها:

وَأنت يا أثرب حطك الله شيخ الجبال
من طلع في قمة أثرب وعينه بصيرة
شاف موج البحر الأحمر وشيطانها

جبل أثرب قمة مدبية تشبه سنام الجمل، ويتصل بسلسلة جبلية تمتد ما بين وادي بقرة جنوباً (ويسمى بوادي الخير حالياً) حيث ينتهي إمتداده بامتداد جبل ريدان في بلاد قبيلة آل حذيلة إحدى قبائل الشهارية التي تتبع في مشيختها إلى الشيخ ابن شبلي شيخ شمل قبيلة بني يثلة من بني شهر الشعفين ومقره محافظة تنومة، ويستمر امتداد جبل أثرب من الناحية الشمالية حتى حدود وادي خاط، ويتصل من الناحية الشمالية الشرقية بسلسلة جبيلة تربطه بقمة سلسلة جبال محافظة النماص، ومحافظة تنومة وتتبعه بعض القرى التي تقطنها قبائله من الجهة الشرقية والجهة الشمالية الشرقية أيضاً مثل: قرية سد عامر ويسكنها بعض أفراد قبيلة آل يحمد، وبلاد آل الشنيف، وقرية وادي العرضي، التي يسكنها بعض أفراد قبيلة آل يمانى، وقرية محل المروة وسكانها من بعض أفراد قبيلة آل يحمد كذلك، وينتهي حده من الجهة الغربية والجهة الشمالية الغربية بحدود بلاد قبيلتي آل محجويه، وآل عاصم من فروع قبائل آل أمحسين مع حدود قبائل بارق. وتتكون المظاهر الطبيعية في جبل أثرب من منخفضات، ومرتفعات تتفاوت في البروز والامتداد من مكان إلى آخر، فتظهر بعض المنخفضات كالأودية، والشعاب، وبعض المناطق المسطحة التي أقيمت عليها الكثير من القرى، وبعض المرتفعات كالتلال، والهضاب الصغيرة، وسلسلة من الجبال المتصلة داخل حدوده ولكل من تلك المظاهر الطبيعية اسم خاص ومشهور به لدى عامة القبائل القاطنة في جبل أثرب، كما يظهر فيه العديد من المدرجات الزراعية التي أقامها سكان الجبل منذ مئات السنين.

٢- الطقس والمناخ:

يختلف طقس جبل أثرب اليومي من قرية إلى أخرى متأثراً بدرجة انخفاض تلك القرى، أو ارتفاعها عن مستوى سطح البحر، وحركة الرياح التي تتنوع بين شرقية، وشمالية شرقية باردة، وغربية وجنوبية غربية معتدلة ومحملة ببخار الماء في فصلي الصيف والشتاء. وفي فصل الصيف تكون درجات الحرارة في القرى المنخفضة مرتفعة جداً قد تصل في بعض الأحيان إلى أكثر من (٤٠) درجة مئوية، بينما تقل تدريجياً كلما زاد الارتفاع حتى تصل إلى حد الاعتدال في قمة الجبل، وأما درجات الحرارة في فصل الشتاء فهي بشكل عام تميل إلى الانخفاض، فتكون الأجواء باردة في المناطق المنخفضة، بدرجات حرارة تتفاوت ما بين (٢٠) إلى أقل من (٣٠) درجة مئوية، وشديدة البرودة في قمة الجبل فقد تصل إلى أقل من (١٠) درجات مئوية، وخاصة مع هبوب الرياح القادمة من نجد. وتكثر في جبل أثرب المدرجات الزراعية التي بُنيت كما ذكرت أنفاً منذ زمن الآباء والأجداد بالحجارة بناية يدوية، وباقية آثارها إلى زمننا الحاضر، وتتنوع المحاصيل الزراعية، وبخاصة الحبوب ومن أهمها البيضاء، والزرعر، والدخن، وحب السمسم، وغيرها من المحاصيل الأخرى التي كانوا أهلها يعتمدون على مياه الأمطار في ريها تبعاً لتنوع الفصول المناخية المختلفة. وقد استمر الاهتمام بها والعناية باستصلاحها من قبل سكانها حتى أواخر العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجري أو بداية العقد الأول من القرن الخامس عشر الهجري؛ لكونها كانت المصدر الأساسي للغذاء في ذلك الوقت، ثم أهملت بعد أن وصلت الخدمات التي قدمتها الدولة للمواطنين في جميع المجالات، وركنوا أهلها إلى حياة التمدن متأثرين بغيرهم من أهالي القرى المجاورة لهم حتى لا نكاد نرى في وقتنا الحاضر، مزرعة قائمة، إلا في القليل النادر.

٣- سكان جبل أثرب.

يعود نسب سكان جبل أثرب إلى قبائل العوامر من بني شهر الذين ينتسبون إلى عامر بن ربيعة بن شهر بن الحجر بن الهنوء، وهم من أكبر بطون بني شهر في تهامة، ويعودون في مشيخة الشمل إلى أسرة العسابلة من قبيلة الكلاثمة وهم شيوخ قبائل سلامان من بني شهر في محافظة النماص وينقسمون حسب العرف القبلي، والمكاني إلى قسمين كبيرين هما وطّاد القرى - أي من قام بتوطيد الأمن في الأماكن المرتفعة والمطلّة من الجبل حسب ما فهمته من كبار السن - وغلب على تسمية قبائل هذا القسم بقبائل الوطّاد. والقسم الثاني وطّاد اليمن نسبة إلى الجهة اليمانية من الجبل ذاته، ويطلق عليهم تسمية أخرى حيث عرفت القبائل المنتمية إلى هذا القسم بقبائل آل

أمحسين. ويبدو بأن هذه التسمية ربما تكون نسبة إلى الجد الذي يجمعهم، ولم أجد إجابة حول هذا الأمر تؤيد هذا الرأي أو تفنده. وينقسم كل قسم من هذين القسمين إلى عدة فروع قبلية: فقبائل الوطاد (وطاد القرى) ينقسمون بدورهم إلى أربع قبائل فرعية هي: قبيلة آل محمد، وقبيلة آل الوحيش، وقبيلة آل يعلى، وقبيلة آل قرنين، بينما ينقسم القسم الثاني وهم وطاد اليمن (آل أمحسين) إلى أربع قبائل أيضاً هي: قبيلة آل يمانى، وقبيلة آل محجوبة، وقبيلة آل عاصم، وقبيلة آل الشنيف، ومن قبائل وطاد القرى تنقسم قبيلة آل محمد بسبب كثرتهم العددية إلى عدة قبائل يمثل كل قبيلة منها شيخ معين من قبل الدولة. وبقية القبائل الفرعية الأخرى سواء كانت من قبائل وطاد القرى، أو وطاد اليمن (آل أمحسين) من عدة أفخاذ تحت قيادة شيخ واحد لكل قبيلة.

من الروايات المنتشرة، وشبه المتفق على صحتها بين قبائل أثرب بأن لهم علاقة رحم بقبائل ثربان، وهو أحد جبال بني شهر في تهامة، ويقع في غرب محافظة المجاردة، وتمتد حدوده إلى سهول خميس حرب من الجهة الغربية. بينما يحده من الجهة الشمالية، والشمالية الشرقية أملاك قبائل بلقرن، التابعة لمحافظة العرضية الجنوبية إدارياً، ويحده من الجهة الجنوبية أملاك قبائل ربيعة المقاطرة التابعة لمحافظة بارق إدارياً. وفي مقابلتي مع شيخ قبيلة آل عيسى من آل محمد وهو الشيخ علي بن عبد الله القيسي أخبرني بمحتوى تلك الرواية حيث ذكر لي بأن قبائل الوطاد في أثرب هم من نسل رجل يدعى عتير بن عامر الذي استوطن قمة جبل أثرب منذ مئات السنين، وقد خلف ذلك الرجل أربعة أبناء هم: قريع وهو أكبرهم، وأحمد، ويعلى، ووحيش. وعندما توفى والدهم عتير بن عامر، حصل بين الأبناء خلاف على الإرث، وبخاصة الحقول الزراعية، والمناطق السكنية، فقرر الشقيق الأكبر وهو قريع ابن عامر بن عتير الرحيل هرباً من احتدام المشاكل بينه وبين إخوته وبحثاً عن مكان آمن، للاستيطان فيه، فرحل بأهله، وماله متجهاً إلى جهة الغرب واستوطن في قمة جبل ثربان الأنف الذكر، وقد خلف في جبل ثربان سبع قبائل. وهناك فرع آخر من قبائل ثربان لا ينتمي إلى فرع قريع بن عتير، ولهم تسمية أخرى تعرف بـ(قبائل المشبعة) وهم ثلاثة فروع.

استمر الخلاف بين الاخوة الثلاثة من بعد هجرة أخيهم قريع بن عتير بن عامر حتى كادت أن تحدث القطيعة بينهم وهم: أحمد، ووحيش، ويعلى، وكانت أبرز نقطة في الخلاف على من يسكن في قمة الجبل بسبب حرص الجميع على الفوز بها لمنعتها، وبعدها عن غارات القبائل التي كانت تحدث بين فينه وأخرى، إما بقصد النهب، والسلب، وإما بأخذ الثأر، أو لأي سبب آخر. وعند احتدام الخلاف بينهم أجمعوا الرأي

على أنه لا يستطيع الإصلاح بينهم سوى شقيقتهم الأكبر قريع، فقرروا الذهاب إليه في موطنه الجديد في قمة جبل ثربان، وعندما رآهم ضاق بهم ذرعاً، وخاف من مجيئهم إليه، فعاتبهم وبين لهم بأنه ترك لهم الجبل حتى يبعد عن الفتنة فلقوا به في مكانه ولا يعلم ماذا يريدون منه. فأخبروه بأنهم لم يأتوا إليه من أجل السكن معه، بل جاءوا من أجل الإصلاح بينهم، فهدأ من روعه، واستمع لخلافهم، وأصلح بينهم. وقام بأخذ خروف من ضأنه، من أجل ضيافتهم، ولكنه اشترط عليهم بأن يذهبوا به ولا يتم ذبحه إلا في جبل أثرب، في مكان حدده هو لهم، يقال له (الأكتاف) أحد الأماكن في منتصف الجبل، وأخبرهم بتقسيم تلك الذبيحة إلى ثلاثة أقسام هي: الرأس والصدر، والجنوب والبطن، والأفخاذ. ثم يعملون قرعة بينهم، فمن يحصل على قسم الرأس والصدر محله في قمة الجبل، والذي نصيبه الجنوب والبطن موقعه في وسط الجبل، والذي سهمه الأفخاذ وآخر الذبيحة يكون محله في أسفل الجبل، فرضي الإخوان الثلاثة بهذا الحل وحصل أحمد على الرأس والصدر، وأصبحت مساكن قبيلة آل يحمند منذ تلك الحادثة إلى وقتنا الحاضر في قمة جبل أثرب، وحصل وحيش على قسم الجنوب والبطن فأصبحت مساكنه وقبيلته من بعده في وسط الجبل مجاوراً لقبيلة آل يحمند في قرية رقابة وما حولها، وحصل الأخ الثالث يعلى على قسم أفخاذ الذبيحة فأصبحت مساكنه ومساكن ذريته وقبيلته من بعده في أسفل الجبل. وانتهت الفتنة التي كادت تقع بين الأخوة وخلف كل منهم قبائل مازالت تتكاثر أجيالها حتى الآن^(١).

٤- التطور الحضاري في جبل أثرب:

حظيت قرى قبائل أثرب مثل غيرها من قرى القبائل الأخرى في وطننا الغالي باهتمام واسع من قيادة الدولة، لإيصال الخدمات التي يحتاجها السكان من جميع الجهات الخدمية في منطقة عسير، ومن أبرز الخدمات التي وصلت إلى تلك القرى في أواخر القرن الرابع عشر الهجري وبداية القرن الخامس عشر - الخدمات التعليمية - فتم افتتاح العديد من المدارس الابتدائية للبنين منذ عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، وأهمها

(١) إن دراسة تاريخ القبائل في أي مكان من المملكة العربية السعودية يشوبها الكثير من المعلومات الحساسة، وأحياناً غير واضحة. وإذا نظرنا في أحوال قبائل السروات وتهامة وجدنا أنها كانت صاحبة الحل والعقد في أوطانها قبل الإسلام وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطلة والحديثة حتى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م). وبعد قيام الدولة السعودية الحديثة (المملكة العربية السعودية) تغير وضع القبائل في كل مكان، وصارت الدولة بجميع مؤسساتها تتولى الإشراف على البلاد والعباد. وأصبحت جميع القبائل في المملكة تشكل شعباً عربياً سعودياً تسوده الإخوة والمحبة والألفة لخدمة الدين والبلاد والعباد. فالحمد لله حمداً كثيراً على هذه النعمة، وغفر الله لموحد هذا الكيان الإمام عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل الذي جمع جميع سكان البلاد على راية التوحيد. (ابن جريس).

مدرسة العشة الابتدائية في قرى آل عيسى، ومدرسة الأرقم بن أبي الأرقم ببلاد آل يمانى المزرع تحت رعاية مباشرة من مدير تعليم منطقة عسير آنذاك الأستاذ محمد صالح الفوز، ومدير تعليم محاليل عسير الأستاذ مهدي بن إبراهيم الراقي. اللذين جاء إليها مشياً على الأقدام من بلاد آل الشنيف لعدم وجود طريق لتلك البلاد سوى طريق مشاة، وطريق للدواب التي كانت تحمل الكتب الدراسية، والمواد الغذائية الخاصة بالطلاب (تغذية) التي تكفلت بها وزارة المعارف آنذاك تشجيعاً للالتحاق بالمدرسة، وتم صرف مكافآت شهرية لكل طالب، وأنشئت عدة مدارس أخرى فيما بعد مثل مدرسة الادريسي الابتدائية بقرى قبيلة آل يعلى التي تطورت فيما بعد لتكون لمرحلتى الابتدائية والمتوسطة، ومدرسة المأمون في قرية آل أمهميل وهم فخذ من آل يعلى أيضاً، ومدرسة الأمل في قرية بدوة التي يسكنها بعض أفراد قبيلة آل مجدوع من قبيلة آل يحمى، ومدرسة الأمين الابتدائية والمتوسطة ببلاد آل محجوبة، ومدرسة المعتصم الابتدائية بآل عاصم، ومدرسة عاصم بن عمر بسد عامر، وقد درس فيها أبناء قبيلة آل الشنيف وجزء من أبناء قبيلة آل يحمى من آل مسود، ومدرسة الفوز بوادي العرضي التي تأسست في عام (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م)، وهي القرية الفرعية التي يقطنها جزء من قبيلة آل يمانى، وقد كنت أحد طلاب هذه المدرسة في مرحلتى الابتدائية حيث انتقلت أسرتي من بلاد آل يمانى المزرع إلى تلك القرية بعد أن حصل والدي على وظيفة عسكرية في قسم المخدرات بأبها سنة (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، والتحق بالمدرسة في السنة التي تليها. إلا أن أكثر تلك المدارس قد تعرضت للإغلاق من قبل الوزارة ممثلة في إدارة التعليم بمحاليل عسير بعد أن قل أعداد الطلاب فيها عن العدد اللازم لاستمراريتها، بسبب هجرة أهالي تلك القرى إلى المدن للقرب من الخدمات التي يحتاجونها في جميع نواحي الحياة.

وتم فيما بعد افتتاح عدة مدارس للبنات، من أهمها مدرسة البنات بسد عامر، التي أغلقت في وقت لاحق، ومدرسة البنات بالمسلة، ومدرسة آل عاصم للبنات التي مازالت قائمة إلى وقتنا الحاضر.

افتتح أول مركز للرعاية الصحية في جبل أثرب بقرية العشة التي كان يسكنها قبيلة آل عيسى من آل يحمى في عام (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)، وأخبرني الشيخ علي بن عبد الله القيسي أن ذلك الافتتاح جاء بعد أن قام العديد من مشايخ قبائل أثرب بالسفر إلى مدينة أبها لتقديم طلب في الشؤون الصحية، وعندما جاءت الموافقة أرسلت الشؤون الصحية لجنة من جهتها لاختيار موقعا متوسطا بين القبائل في جبل أثرب، وبعد أن جاءت اللجنة أمرت المشايخ، وبخاصة مشايخ قبيلة آل عيسى من آل يحمى، وآل يعلى، وآل الوحيش بإبداء الرأي في اختيار الموقع المخصص للمركز الصحي لتقارب الحدود بين تلك القبائل، فحرص شيخ كل قبيلة بأن يتم وضع المركز الصحي في قريته لما يراه

من الصعوبة في الوصول إليه، لعدم توفر طرق ووسائل النقل في ذلك الوقت، فطلب شيخ قبيلة آل عيسى بأن يكون المقر في قريته العشة، بينما طلب شيخ قبيلة آل الوحيش أن يكون المقر في قرية رقابة، وأما شيخ قبيلة آل يعلى فقد طلب بأن يكون المقر في قرية المسلمة، ولذلك الاختلاف رأت اللجنة المعنية بأن تأخذ في الموضوع برأي شيخ محايد من شيوخ قبائل أثرب لمعرفة حدود الجبل، وقراه، فوقع الاختيار على ما أشار به شيخ قبيلة آل محجوبة، وهو الشيخ محمد بن جده آل قردان بأن يكون مقر المركز الصحي في قرية العشة لتوسطها بين عموم القبائل في ذلك الوقت، وتمت الموافقة على رأيه من قبل اللجنة، وافتتح المركز، وبعده بعام واحد تم افتتاح مركز آخر في قرية المسلمة.

أما خدمات الطرق فقد عانى سكان جبل أثرب من صعوبة التنقل من مكان إلى آخر، ولم تصل تلك الخدمات إلا في زمن متأخر، وكان أول وصولها بشق الطريق الرسمي الذي يربط محافظة بارق بقمة الجبل في حوالي عام (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، وذلك لصعوبة شق الطرق وحاجتها إلى ميزانيات مالية عالية، واعتمد الأهالي على جهودهم الذاتية في فتح الطرق المتعددة للوصول إلى القرى البعيدة من الجبل فتم شق العديد من العقاب، بجهودهم المتواضعة، ومن أهمها: (١) عقبة العلامة التي تصل بين أملاك قبيلة آل الشنيف من الشرق، وأملاك قبيلة آل يمان في قرية المزرع من الغرب بالنسبة لحدود جبل أثرب من الجهة الجنوبية الشرقية، وكان ذلك في عام (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، (٢) افتتحت عقبة العكبرة، التي تصل بين قرى آل يمان المزرع أيضاً شرقاً وقرى قبيلة آل محجوبة غرباً في حوالي عام (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، أو (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م). (٣) الطريق الرئيسي الذي يصل إلى قمة جبل أثرب ويمر بحدود قبيلة آل محجوبة، وقبيلة آل يعلى، وقبيلة آل قرنين، وقبيلة آل الوحيش، وقبيلة آل يحمى من محافظة بارق فقد تم فتحه من قبل وزارة المواصلات في عام (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م). وقد سُلّم المشروع إلى شركة يونانية، فقامت بأعمال الفتح بالهدم والردم، والتمهيد حتى أوصلته إلى حدود قبيلة آل عيسى من آل يحمى في قرية العشة، ثم انسحبت من ذلك المشروع، وتم تسليمه إلى شركة أخرى وهي شركة العيوني التي كانت من أقوى شركات المقاولات في ذلك الوقت، وكان لها مقر في شمال محافظة محاليل عسير فقامت بمواصلة تنفيذ المشروع وسفلتته حتى وصل إلى قمة الجبل. (٤) شق الأهالي من القبائل المذكورة أنفاً عقبة أخرى تربط قرية رقابة في جبل أثرب بمحافظة المجاردة مروراً بقرية بدوة وقرى قبائل سفيان بني شهر من الجهة الشمالية، وقام الأهالي بسفلتتها ليسهل التنقل بين أثرب والمجاردة بشكل سريع وقت الحاجة. (٥) قام أفراد من قبيلة آل يمان بفتح طريق من بلاد آل الشنيف إلى قرية وادي العرضي، بطول يبلغ حوالي ستة كيلو مترات من الناحية الشرقية، وكان ذلك المشروع في سنة (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٧م)، وتم التعاقد مع

أحد الحضارم بقيمة مقطوعة قدرها ستة آلاف ريال، ثم توقف فترة من الزمن وتم تعديله من مكان إلى آخر فانتقل من جنوب القرية إلى شمالها للتخلص من مشكلة انقطاع الطريق أثناء انحدار السيول المنقولة في وادي العرضي عندما تسقط الأمطار بكثافة، وبقي ذلك الطريق بدون سفلته فترة طويلة حتى قامت بلدية بارق باعتماد سفلته ضمن الطرق الزراعية قبل حوالي عشرين عاماً من وقتنا الحاضر، وعلى عدة مراحل. فكانت المرحلة الأولى في عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، وجاءت المرحلة الثانية في عام (١٤٣٢هـ/٢٠١٢م)، والمرحلة الثالثة في عام (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)، وقامت وزارة الزراعة المتمثلة في فرعها بمنطقة عسير بحفر بئراً في أسفل وادي العرضي في عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ووضعت عليها شبكة للمياه ووزعت كروت سقيا على الأهالي، وتعاقدت مع عدة متعهدين من أصحاب ناقلات خزانات المياه بأحجام مختلفة من أجل توصيلها إلى البيوت في أي وقت، كما قامت شركة الاتصالات السعودية ببناء برج للهواتف النقالة في عام (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).

عاني الأهالي في قرى جبل أثرب من عدم وجود الخدمة الكهربائية، وأبراج الاتصالات الحديثة، إلى أواسط العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري، وتعاقد الأهالي مع بعض التجار الذين قاموا بتشغيل مولدات خاصة للكهرباء، في بلاد آل الشنيف، وآل محمد بسد عامر، ثم حذا حذوهم الساكنون من قبيلة آل يمان في قرية وادي العرضي، وتعاقدوا مع متعهد لتوصيل التيار الكهربائي من قبيلة آل موسى بن علي، وقد كنت آنذاك في آخر سنة دراسية من المرحلة الثانوية في متوسطة وثانوية وادي بكرة، وتلك المدرسة تبعد عن قرية العرضي حوالي (١٥) كيلومتراً، وقدرت رسوم الاشتراك في بداية الأمر بمائتي ريال، ثم ارتفعت إلى مائتين وخمسين ريالاً، ثم أصبحت ثلاثمائة ريالاً في العشرينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢١م)، وكان على المتعهد أن يقوم بتشغيل المولدات في فترتين صباحية ومساءلية، بحيث تبدأ الفترة الصباحية من الساعة العاشرة صباحاً حتى الساعة الرابعة بعد صلاة العصر، بينما تبدأ الفترة المسائية من قبل صلاة الفجر، وكان على السكان حصر تشغيل الكهرباء والإضاءة البسيطة وبعض الأجهزة الكهربائية الضرورية.

واستمر الوضع حتى تم اعتماد مشروع تمديد الكهرباء الحكومية من الشركة السعودية للكهرباء، في عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) لقرية العرضي وقرى آل الشنيف، وقرى سد عامر ومحل المروة في الناحية الشرقية من جبل أثرب، وقد كانت بقية القبائل في الجهة الغربية من الجبل أثرب تعيش في وضع مماثل لما عاشه أبناء قبيلة آل يمان في قرية العرضي والقرى المجاورة لها، فلم يصل التيار الكهربائي إلى قمة الجبل إلا في حوالي سنة (١٤٢٢هـ) فشمل قرى جميع القبائل من قبائل وطاد القرى، وأما بلاد

آل يمانِي المِزرع فلم يتعاقد سكانها مع أي متعهد وذلك لصعوبة العقبتين الموصلة إليها شرقاً وغرباً، حيث لم يكن لغير ملاك السيارات ذات الدفع الرباعي أن يصلوا إليها فبقي أبناء تلك القبيلة على حالهم في الظلام الدامس، والحر الشديد صيفاً، والبرودة شتاءً ومنهم من كان يعتمد على مولدات خاصة في الفترة المسائية فيبدأ بتشغيلها من وقت صلاة المغرب حتى قرابة الساعة العاشرة أو الحادية عشرة مساءً واستمر ذلك الحال حتى عام (١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م). كما عانوا من قلة المياه في الآبار وخاصة مع انقطاع الأمطار، وليس لهم من وسيلة في جلب الماء من الآبار الواقعة في حدود قبائل آل محجوبة، أو آل عاصم أو حدود قبائل بارق من الجهة الغربية، أو حدود قبائل آل الشنيف، وآل محمد من الجهة الشرقية إلا أن يحملون خزانات مياه مفصلة بسعة نصف طن أو أقل في سيارات الدفع الرباعي المعروفة بالشاحنات من شركة تويوتا اليابانية بشكل يومي في كل بيت من أجل توفير المياه اللازمة لحياة الأسر اليومية، وسقي المواشي، ولصعوبة تلك الاجراءات فقد هاجر معظم سكانها إلى أماكن وجود الخدمات في محافظتي بارق أو محاليل وغيرها وانتقل البعض منهم إلى مدينة أبها ومحافظة خميس مشيط، ولم يبق من أفراد القبيلة حالياً في تلك القرية إلا أسرتين فقط، إضافة إلى بعض البيوت التي يمتلك أهلها قطع من المواشي وجعلوها سكناً للعمال الرعاة المتقدمين من الخارج وقاموا بحفر آبار ارتوازية في عام (١٤٤٥هـ) لتوفير المياه، وبخاصة بعد أن استطاع أبناء القبيلة بجهود ذاتية، قبل ذلك بعامين أو ثلاثة تقريباً ومساعدة بعض أفراد القبائل المجاورة من القيام بسلفتة عقبة العكبرة التي تربط بين قرية بلاد آل يمانِي المِزرع بمحافظة بارق غرباً مما سهل من وصول معدات الحفر وكثيراً من السيارات الكبيرة والصغيرة.

وأخيراً يجدر الإشارة إلى أن ما تمت كتابته في هذه المقالة المتواضعة ماهي إلا قليل مما يمكن أن يكتب عن جبل أثرب وإرثه الحضاري، وأوصي أبناء قبائله بتضافر جهودهم والاجتهاد في كتابة ما يمكن تدوينه عن التاريخ الحضاري للجبل وسكانه في جميع المجالات، لكي نحفظ جميله بحفظ مآثره ونقوي محبته بالانتماء له ولكافة أرجاء وطننا الغالي. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين. حرر في (١٠/٤/١٤٤٦هـ).



١٢ مقتطفات من تاريخ محافظة أحد رفيدة (قرية آل كامل وما جاورها

أنموذجا . بقلم . أ. محمد بن سعيد أبوهتلة القحطاني^(١) .

الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، فليعلم من يراه من أهل الحق واليقين، أنه وردتنا رسالة صوتية من الأستاذ الدكتور العالم التاريخي/ غيثان بن علي بن جريس يطلب منا كتابة صفحة أو صفحات عن ما نعرفه عن منطقة (رفيدة قحطان)، ولعلمنا حرصه (وفقه الله) على تدوين تاريخ المنطقة الجنوبية من المملكة العربية السعودية (تهامة وسراة)، وهو الذي أمضى جل عمره في البحث والتوثيق والتأريخ والحضارة، لهذه البلاد وله مجلدات وموسوعات كثيرة في مجال التأريخ، رأينا أنه من الواجب علينا التعاون معه بما نعرفه وما نقل إلينا من والدنا، حيث كان من أهم المؤرخين الشفويين ومن رجال الإصلاح في المنطقة، فقد اشتهر بأسلوبه الجيد في الإصلاح والقبول من الناس، وكان يتصف بالهدوء والذكاء الحاد، وكان البعض يطلقون عليه (حكيم رفيدة)، وورث تلك الصفات من والده الشيخ/ محمد بن عايض أبوهتلة نائب قبيلة آل كامل من ذعي رفيدة قحطان، وهي أهم ناحية في ذعي وأكبرها عددا وأكثرها قرى ومحاجر.

(*) سأطرق الى أربع نقاط، وهي:

- ١- آل كامل المكان والشأن .
- ٢- تأثر الوالد بوالده، ومكانته القبلية والاجتماعية .
- ٣- تأثر الوالد بمصاحبة الشيخ عبد الوهاب أبو ملحمة .
- ٤- أعلام من محافظة أحد رفيدة اشتهروا بالإصلاح بين الناس .

١ - قبيلة آل كامل ذعي رفيدة قحطان.

تعتبر أكبر بلاد ذعي رفيدة قحطان عدداً، حيث يبلغ تعدادها حوالي (٢٠٠٠) شخص من الذكور ومثله من الإناث. وقبيلة آل كامل تتميز بموقعها الجغرافي فهي تسكن عدد كبير من القرى.. ومنها: الرونة (ببلاد آل رشيد شهران). وقرية صفوان، وقرية القوايا وقرية سحامة، وقلعة جرش الأثرية (وجرش في بلاد آل كامل)، وقرية الروغ، وقرية العرق، وقرية المحوي، وقرية آل بوعوه، وقرية المعلاه (وهي الزويراء سابقا)، وقرية آل إمامشي، وقرية رأس مانعة، وقرية المراغة.

(١) للمزيد عن سيرته انظر: كتاب: محافظة أحد رفيدة (دراسات، وإضافات، وتعليقات) (ق ١-ق ١٥هـ/ ٢١-٧م)، ص ٤٥٤. (ابن جريس).

في بلاد آل كامل عدد من المحاجر بلهجة أهل جُرْش (وهم أبناء عنزبن وائل من ريفية وآراشه وعسير) وتعرف أيضاً بالأحمية، ومفردها حمى، ومنها : (أ) وادي السد بين جرش والقوايا، (ب) الصفحة شرق جبل ضمك (وهي داخل المدينة العسكرية ، ويوجد فيها حالياً قيادة المنطقة الجنوبية والمعاهد العسكرية) . (ج) الشعبة غرب قرية صفوان . (د) الحصن مقام عليه حالياً مخطط صفوان التهذيبي. (هـ) البعث (مقام عليه حالياً مخطط الأمير عبد الرحمن) . (و) السوداء مقام عليها حالياً مخطط المعلاه (٨٣)، ومخطط المعلاه (١٤٧) . (ز) العرق الغربي.

هذه المحاجر هي الحمى التي وردت في كتاب رسول الله ﷺ (لأهل جرش) (والذي حمى لهم حماهم الذي أسلموا عليه) وقد أشار الدكتور غيثان بن علي بن جريس إلى ذلك بالتفصيل في كتابة: محافظة أحد ريفية (جرش قديما) صفحة (٢٧) وما بعدها .

تسكن قبيلة آل كامل أهم مكان في بلاد ريفية، وهي قلعة جُرْش والقرى المحيطة بها، وهي الحد الفاصل بين قبائل ريفية من ذعي وقبائل آل رشيد التي دخلت مع قبيلة شهران بالتحالف، وكان موقعها ذا بعد استراتيجي ومهمة صعبة ألا وهي الحفاظ علي الحد القبلي، والحفاظ علي حسن الجوار مع قبيلة آل رشيد، حيث كان هناك بعض المناوشات على موارد المياه كبئر مفلحة، وبعض الأودية والمسائل التي تصب من ضمك، وجبل شكر (كشر بلفظ أهل المنطقة)، وجبل أم الضباع، وجبل الكراع وغيرها على حدود قبيلة آل كامل، وكانت تثار تلك المشاكل من بعض المتحمسين، لكنها كانت تحل من عقلاء القبيلتين، وفي مقدمتهم أسرة آل أبوهتلة (زربة ريفية)، وهذا اللقب أطلق على الأسرة نظراً لمحافظتهم على الحدود القبلية قبل حكم الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل (رحمه الله)، ومما قال شاعر آل كامل محمد أبوحاصل:

لي لابة عالحد صبارة حماية لبيشة ومن حلها

صدر بذلك صلح بين قبيلة آل كامل وقبيلة آل رشيد بموجب وثيقة مصدقة من الأمير عايض بن مرعي أمير عسير عام (١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م) حددت الحدود بين القبيلتين، وقسم السيل القادم من ضمك والجبال المحيطة بين آل كامل من ريفية قحطان وآل رشيد من شهران. وسبق أن أشرت لذلك بالتفصيل في قناتي على اليوتيوب قناة (جُرْش-محمد أبوهتلة) وأول قصور شيدت علي الحد القبلي قصور الأخوان عايض بن محمد أبوهتلة، ونائب آل كامل آنذاك، وقصر أخيه ظافر بن محمد أبوهتلة الذي خلف أخاه في النوبة بعد وفاته، وهذا الصلح أدى الى التصالح بين القبيلتين،

وتعد ذلك إلى حسن الجوار والمصاهرة ، فكثير من أمهاتنا من قبيلة شهران ، وبعض بناتنا عند قبيلة شهران ، وأصبحنا نتساعد ونتعاون ويؤازر بعضنا بعضاً عند الحاجة .

٢- تأثر والدي بوالده الشيخ محمد بن عائض أبوهتله .

كان والد والدي الابن الوحيد لوالده الشيخ عايض بن محمد أبوهتله بعد وفاة أخيه ثابت ، ولم يكن له سوى أخت واحدة هي منيرة بنت عايض ، وحرص والده الشيخ عايض على تدريب ابنه محمد على العادات والتقاليد وتدريبه ، فأرسله إلى صنعاء ليتعلم العلوم الشرعية ، قبل ضم الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن لإقليم عسير بأكثر من (٤٠) سنة ، وتعلم العلوم الشرعية ، ثم عاد وعنده بعض العلوم الشرعية ومتصف بالحكمة والشجاعة التي ورثهما من أسرته ، وفي حال غيابه كانت تقوم أخته منيرة بإدارة شؤون المنزل والعمال ، وكان عنده عدد كبير من العمال والخدم الذين يسكنون بيوت الشعر قريباً من منزله لكي يتكسبوا من المحاصيل الزراعية وقت الحصاد ، ويرعوا أغنامهم في المزارع بعد حصادها (أو بلهجة أهل جرش بعد صريمها) ، وكانت تدير الأمور بكل اقتدار ، وقد توفيت عام (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ، وكانت موسوعة في الأنساب والعادات والتقاليد ، عشت معها أكثر من خمسة عشر عاماً ، وكسبت منها كثيراً من المعلومات .

كان لوالده الشيخ محمد بن عايض عدد كبير من المزارع حيث كان نوبه (٣٢) يوم من عدد أيام نوب بئر مفلحة البالغ (٩٦) يوم . وهذه البئر تعتبر أهم آبار بلاد رفيدة قحطان ، وذكر فيها قصائد شعرية ، ودارت عليها منازعات قبلية كثيرة ، ويوجد عدد كبير من الأسر الذين لهم نوب على هذه البئر سواء من آل أبوهتله أو آل كامل أو غيرهم ، ويتضح من النوب أنه لوحده له أكثر من ثلث نوب البئر ، وكانت هذه البئر تسقي لمسافة أكثر من الكيلومتر شمالاً ومثلها غرباً وأكثر منها جنوباً ، أما من جهة الشرق فكانت على حافة وادي بيشة ، وقد كان عليها أربعة رؤوس من العمل .

اكتسب الوالد الحكمة من والده والمعرفة في الإصلاح بين الناس وتحمل الطرف الآخر سواء من الخصوم أو المتخاصمين أثناء الإصلاح ، وقد ذهبت معه بنفسه وأنا صغير السن ورأيت كيف أنه يتحمل السب والشتم من قبل المتخاصمين ثم ينتهي بهم الأمر بالصلح ويعتذرون منه ، بل ويصرون على إكرامه ومدحه ، وكنت أسأله : لماذا تتحمل كلامهم ؟ فيقول : (المصلح لابد أن يظهر الهدوء ويكرر مقولة - المصلح ضعيف -) وأتفاجأ بعد وصولنا للمنزل بقدوم المتخاصمين ويسمرون مع الوالد وكأنه نوع من الاعتذار عن بعض الألفاظ التي أطلقوها عليه وقت غضبهم ، وكان أصحاب الحاجات

والمراجعات بالإدارات الحكومية يأتون اليه ويطلبون منه أن يذهب معهم لتلك الإدارات لأنه يستطيع أن يشرح للمسؤول بوضوح وإقناع.

٣- تأثر والدي بمرافقة الشيخ عبد الوهاب أبو ملححة (رحمهما الله) :

بعد وفاة والده الشيخ محمد بن عايض أبوهتله عام (١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م)، بدأت الوظائف في أبها، وذهب لأبها (وللموضوع قصة طويلة) فانضم للجيش، وكان المدربون وقتها من الإنجليز، وتعلم فنون العسكرية والقتال، وفي عام (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م)، حصل خلاف بين قبيلتين من قبائل قحطان في تثليث ودارت بينهما معركة، فأرسلوا من أبها سرية من الجيش لفك ذلك النزاع، وكان ممثل الدولة وقتها الشيخ عبد الوهاب أبو ملححة المكلف بمالية عسير من جلالة الملك عبد العزيز (رحمه الله) (للمزيد عن الشيخ عبد الوهاب أبو ملححة أنظر الكتاب الذي أصدره غيثان بن علي بن جريس عنه، والموسوم ب: عبد الوهاب أبو ملححة في جنوبي البلاد السعودية - ١٣٤٠ - ١٣٧٤ / ١٩٢١ - ١٩٤٥) (دراسة تاريخية وثائقية) (٥٩٧ صفحة).

طلب الشيخ عبد الوهاب أبو ملححة وقتها من قائد سرية الجيش آنذاك (وأعتقد حسب ما ذكر لي والدي أن اسم الضابط محمد بن عامر عسيري أو محمد بن قزان العسيري) أن يأتي له بحارس نبيه على حد قول الشيخ (لا يذبحونني البدو وأنا نائم) وطلب من قائد سرية الجيش إعطائه كشف العسكر ليختار بنفسه من يريد، وعندما رأى اسم الوالد (سعيد محمد عائض أبوهتلة) قال للضابط: أعطني هذا العسكري، يقول الوالد: دخلت عليه وعندما رأيته صغيراً في حوالي السابعة عشر من عمري، قال: ما توقعتك يا ولدي صغير بهذا العمر، قال الوالد: قلت له يا عم عبد الوهاب ماذا تريد مني؟ أنا حاضر، قال: يا ولدي أنا طلبت حارس من العسكر يحرسني لا يذبحونني البدو بالليل وأنا نائم بخيمتي، يقول الوالد: رديت عليه .. لن يصلوا لك قبل أن يصلوا لي يا عم عبد الوهاب، فرد عليه الشيخ: من أجل ذلك اخترتك فأنا أعرف جدك عايض وشجاعته (وذكر له قصة حدثت له مع جده عائض) .. يقول الوالد: وبقيت معه في هذه الخيمة عدة أشهر حتى انتهاء تلك الأزمة بين القبيلتين (والقصة تطول)، ورجعنا أبها، وطلب الشيخ من قائد الجيش أن أبقى معه، فبقيت معه، وفي الصباح أحضر عملي في الجيش كمدرّب مشاة ورماية، ومن العصر أجلس معه في جلسة أمام قصوره في أبها، وكان له جلسة على دكة أمام المنزل ويجهز القهوة ويستقبل من يأتيه من قبائل عسير وجازان والباحة ونجران، وكان له (٣) قصور ولديه زوجتين، فقال الشيخ: ما رأيك نزوجك؟ ونعطيك البيت المجاور لبيتوتي فأنت عزوبي، فقلت له: تم ولكن والدي

متوفي وإخواني الكبار في بلاد رفيدة، فقال لي: أنا والدك وسأخطب لك، ثم خطب لي الشيخ عبد الوهاب بنت من بنات رفيدة من قرية القرحاء، تسكن في أبها مع أهلها، واستمر الوالد مع الشيخ حتى عام (١٣٧١هـ/١٩٥١م)، وبعدها استقال من الجيش وتوجه للمنطقة الغربية وسجل في فرقة الإطفاء بجدة.

كانت هذه الفترة مع الشيخ عبد الوهاب قد أكسبت الوالد خبرة كبيرة في معرفة القبائل وأسمائها ومواطنها وأعلامها، فما كنت أسأله عن شيء من الباحة حتى نجران إلا ويجيبني عليه، وقد استفدت منه كثيرا في موسوعة القبائل، وخصوصا المحيطة بنا من قحطان وشهران وعسير، وكان يعرف الأنساب والآبار والحدود والعادات. وقد قال فيه الشاعر أحمد بن علي بن سحمي من آل كامل:

في الموقف الغصاب لا جاء محتاج له وقفة بالحق يسمع صداها
يركي لميلات الليالي بمنهاج ويأتي بها لو هو بعيد مداها

وقال كذلك قصيدة طويلة في رثائه بعد وفاته.. نذكر منها بعض الأبيات:

راح الجسد قدام خمسة عشر عام	وباقى قدم عيني حياة معروفة
راح الوفي اللي يعاديه الأقسام	حتى ولو خيراتها من كضوفه
راح الرفيق الصادق المخلص الهام	فقدته على الدنيا وأهلها الحسوفة
راح العروف الصامل الحامي الضام	اللي يجوع ولا كلا من كتوفه
يا الله عسى قسمه من خيار الأقسام	ورحمات ربي وسط قبره تحوفه
ويبقى خلف إلي غدى زند وحزام	بو نايف اللي فيه بعض الخلوقة
وفيه العزا لا كشرت سود الأيام	وفيه العوض في من فقدنا وقوفه

٤- أعلام من محافظة أحد رفيدة اشتهروا بالإصلاح بين الناس :

سأطرق إلى بعض الأعلام الذين عاصرتهم من ذوي الإصلاح بين الناس، وقد لا تسعفني الذاكرة لذكرهم جميعا فأرجو المَعذرة لو نسيت أحدهم سهوا.. (١) عايض بن ظافر أبوهتله، نائب قبيلة آل كامل. (٢) سعيد بن محمد أبوهتله (والدي)، الوكيل الشرعي لقبيلة آل كامل. (٣) محمد بن صالح أبوهتله من آل كامل، وأول من حصل على شهادة جامعية من قبائلنا عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، وله دور في إنشاء كثير من الإدارات الحكومية في المنطقة. (٤) مشيب بن علي بن مالح من آل كامل. (٥) عازب

ابن فنييس بن دلبوح . (٦) مشيب أبو عوه من آل كامل . (٧) سعيد بن راشد من آل كامل . (٨) عبد الله بن أحمد بن عمر . (٩) علي بن مانع بن شعيل . (١٠) عازب بن فنييس من آل كامل . (١١) علي بن عبد الرحمن بن ربيعة . (١٢) محمد بن علي بن مدراج . (١٣) سعيد بن علي أبو حاصل آل كامل . (١٤) سعيد بن علي بن جبعان، نائب آل مستنير الروغ . (١٥) سعيد بن علي أبو قيس آل مستنير . (١٦) سعيد بن محمد بن بصمة آل مستنير، وكان يعمل في ديوان الملك عبد الله، وله خدمات جليلة للمنطقة وأهلها . (١٧) علي بن سعيد أبو قيس آل مستنير . (١٨) سعد بن علي بن مانع نائب آل مستنير في تندحة . (١٩) سعيد بن سعد بن كماء نائب آل مفرج . (٢٠) سعيد بن مرعي بن قطمة آل مفرج . (٢١) حسين بن زلفة ذعي المراغة . (٢٢) سعد بن زلفة كان نائب المراغة ذعي . (٢٣) سعد بن عذبه نائب آل أمّاشي . (٢٤) سعد بن مبارك آل بريد . (٢٥) حسين بن عبد من الأشراف . (٢٦) حسين بن صمان آل غشام شيخ شمل قبائل ذعي و بني قيس و آل مستنير . (٢٧) سعيد بن عبّود بن غشام آل سالم . (٢٨) علي بن مانية آل بن علي نائب آل بني تميم . (٢٩) بن حماد من أهل الرّبة . (٣٠) محمد بن سعيد أبو خضاعة نائب القابل . (٣١) محمد بن سعد بن مشهور من آل شواط . (٣٢) سعد بن زابن الشواطلي . (٣٣) حسين أبو حاوي يسكن في منطقة ذعي و بني قيس وهو نائب آل عمره من خطاب . (٣٤) محمد بن سعد بن سحما من عبدة ومشتريين لهم مزارع في وادي ذعي، ويعتبر من أهم رجال الإصلاح والحكمة.

هذا ما أسعفتني الذاكرة بتدوينه وأعتذر عن أي خطأ أو نسيان في ذكر بعض الأشخاص، ولا أنسى أن أنوه بأن نواب ذعي وبين قيس وآل مستنير الحاليين لهم دور كبير في الإصلاح، ولعلمي بوجود أسمائهم كاملة لديك يا دكتور غيثان ولا مانع من إضافتهم على هذه القائمة إن استحسنتم ذلك ، كما أنني أحتفظ بهذه المعلومات وغيرها لإضافتها في كتابي الذي أنوي إصداره قريباً عن المنطقة، ولكن تقديراً لكم ولجهودكم في خدمة المنطقة تم تزويدكم بها مع احتفاظي بحقي في الإشارة لي كمصدر لهذه المعلومات عند إدراجها في أي كتاب لديكم أو لدى غيركم. وفقكم الله وسددكم ورعاكم. أخوكم المستشار، محمد بن سعيد أبو هنتله، الرياض غرة ربيع أول (١٤٤٦هـ) .



١٣ أوراق من ذاكرة أبها (مدينة البنفسج)

بقلم أ. د. عبد الحميد سيف الحسامي^(١).

مثلما قد يكون المرء محظوظاً بعائلته، أو بأصدقائه، فهو كذلك قد يكون محظوظاً بالمدن، أو الدول التي يقيم فيها.

«سافر ففي الأسفار سبع فوائد» هكذا قالوا، ولست أدري كيف دعاني داعي السفر، كي أقرر البحث عن وظيفة في جامعة غير جامعتي الأم (جامعة إب) التي كنت أعمل فيها، لقد وجدتني مشدوداً إلى الهجرة أكثر من أي وقت مضى، بعد أن كان التفكير في الهجرة غائباً حتى على الاحتمال.

في السفر متعة، وفيه فوائد، وفي العيش في مجتمعات متعددة، متنوعة، ثراء للمعرفة، وللروح، وللثقافة، كما في السفر اكتشاف للذات الفردية، والجمعية، واكتشاف لعوالم أخرى، وثقافات أخرى.

كنت قد نويت ألا تزيد غربتي عن بضع سنين، وبحدود ما يسمح به نظام الجامعات اليمنية للمتعاقد في أن يأخذ إجازة لا تتجاوز أربع سنوات، كان ذلك ما خططنا له، ولكن الواقع سار في طريق غير الذي رسمناه، ولله في تدبيره حكمة بل حكم لا نعلمها، وأسرار لا نفقهها.

لقد سارت الأمور في اليمن في منحنيات وتحولات لعل أصعب ما فيها الحرب، الحرب التي تنهش الماضي، والحاضر، والمستقبل، وتلتهم الأحلام، والرؤى، وكأني أصفي للشاعر الجاهلي (زهير بن أبي سلمى) وهو يقول:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هي عنكم بالحديث المرجم.

ظننتها سنوات قليلة، ولكن كما قال البردوني:

ودُعْتُ أغنامي العشرين (محصنة) حتى أعود... وحتى اليوم لم أعد

سبعة عشر عاماً من إقامتي في أبها - حتى الآن، ولا أدري ما يحمله لنا المستقبل - وجدت أن سيرتي تتمومع نمو هذه المدينة، وأن هذه المدينة غدت جزءاً من كياني

(١) للمزيد عن الدكتور الحسامي. انظر: موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، ج٢، ص٨٦، ج٨، ص٢٤٦. وفي الجزء الثاني من كتاب (جامعة الملك خالد) (الطبعة الأولى). (ابن جريس).

وتكويني، فمنذ أن هبطت مطار المدينة في العاشر من شهر شوال (١٤٢٨هـ)، وجدتني أعيش مدينة أنيقة، نظيفة تكثر فيها الحداثق، والمتنزهات، وهي في الوقت نفسه مدينة مثقفة، تمتد في جنباتها البيوت العلمية، والمؤسسات المهتمة بالثقافة، فضلا عن مثقفين لهم حضور في المشهد الثقافي في المملكة العربية السعودية.

خلال رحلتي في الجامعة، وحياتي في المدينة تمكنت من تكوين علاقات علمية، وشخصية مع أبرز وجوه المدينة، من زملاء، وأدباء ومثقفين، بيد أن علاقاتي مع المدينة ذاتها كانت على قدر عالٍ من الحضور، والامتداد، والاكتناز يوماً بعد يوم.

عشقت المدينة بمآذنها، وبيوتها، وشوارعها، عشقت السودة، وغاباتها الكثيفة من العرعر، هناك كانت لنا وما تزال ذكريات مع الشجر، والحجر، وكلما تكاثفت أعمالنا اليومية، ومهامنا العلمية نجد في السودة متنفساً، وفي تلالها أنساً، وبين هضباتها، راحة، وهدوءاً وسكينة.

ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالمشي، وكان صديقاً أنيساً لي أحرق فيه ما يتراكم من سعرات السكر، والكوليسترول، وهموم الحياة، من بدء المشي جوار محكمة العدل التي أشاهدها الآن وهي تتعرض للإزالة، وحتى الشارع المجاور لسد أبها يمتد المشي في جغرافيا المكان، وتمتد فيه الذكريات التي لا تنسى، فكيف أنسى الحديقة الممتدة جوار مكتبة أبها العامة، وللأسف تحولت المكتبة إلى قفر، وهي الآن تسلم أنفاسها الأخيرة، ليكون مآلها الزوال شأنها شأن سوق الجمعية، والمباني المجاور لها، التي تنتظر تحديثاً لا أدري أي سوق، أو مبنى تجاري سيحل مكانها، أقول كيف أنسى تلك الحديقة ذات الأشجار المعتقة التي تحفظ ذاكرة أبها، وذاكرة الإنسان في جذوعها، وسيقانها، وأوراقها، حديقة ممتدة قضمته البناية الشاهقة اليوم التي تسمى (الأمانة) أمانة أبها، فحولت جزءاً كبيراً من الحديقة إلى مكاتب، ومواقف سيارات، في المشي الممتد على حافة الحديقة وحتى حديقة السد، كانت تتشكل الأفكار، والهواجس، وكانت الحوارات العلمية بيني وبين الزميل الأستاذ الدكتور عبد الواسع الحميري، وكان المشي متنفساً للروح، والجسد، وهو أشبه بمنندي، أو صالون أدبي لا نفتأ فيه نتحاور في مختلف القضايا العلمية، والفكرية، وشؤون طلبتنا، وخططهم العلمية في قسم اللغة العربية، ولم يكن الشأن اليميني غائباً عن تلك الحوارات، كان دائماً يردد قوله تعالى رَابِطًا بَيْنَ السَّيْرِ وَالْفِكْرِ، والتفكير ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَحْذَرْتُمُ اللَّهَ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاكِ﴾

فما أعظم الربط بين السير، وتشكل القدرة على التفكير، والنظر المعرفي، والسياحة في ملكوت الله، وفي جنبات الزمان، وأرجاء المكان، ومصائر الأمم.

في الممشى سياحة، وتفكر، وفي الممشى صحة، وعافية، وفي الممشى هناك عالم يغدو مادة للتفكير والتفكر، الممشى بالنسبة لي كان شاهداً لتحولات ثقافية، فما قبل شارع الفن زمنياً وثقافياً، ليس كما بعده، عرفت الممشى قبل أن يكون فيه (شارع الفن) وعرفته أثناء ولادة الشارع، وحين اكتسى مجرى السيل سقفاً، وأصبح جزيرة فيها الشجر، ويرتادها البشر، عرفته وهو يمتلئ بالناس، ويكتظ بالعابرين.

ذلك الممشى أذكره وقد شهد تحولا وأصبح جزؤه العلوي ذا شخصية أخرى له تسمية ذات أبعاد ثقافية جديدة، تنسجم مع التحولات الجديدة في المملكة العربية السعودية، أصبح شارع الفن شارعاً للفعاليات الثقافية، والتعريف بالثقافة العسيرية، وبيع منتجات عسير، أصبح معرضاً لأنواع الزهور، كما بسقت فيه أشجار البنفسج (الجاكراندا) التي تكاد اليوم تظلل شارع الفن من الجانبين، بل أصبحت جزءاً من هوية المدينة، بعدما تبنت السلطات الرسمية زراعة ملايين الأشجار منها، حتما ستغدو أبها (مدينة البنفسج) بامتياز.

لقد أصبح شارع الفن شارعاً جميلاً وأنيقاً ومتحفاً طبيعياً وثقافياً مفتوحاً طيلة العام، يتنفس فيه السائحون، والمرتادون، من داخل عسير وخارجها، أشاهده الآن وقد أصبحت المقاهي بملامح عالمية تحيط جانبيه، يا ترى كيف سيكون شارع الفن وما حوله في العقود القادمة؟

كلما مررت في الممشى أتجاوز سوق الثلاثاء، أحد معالم مدينة أبها، التاريخية التي ما تزال تحتفظ بعبق التاريخ، ونكهة الحياة الشعبية، إنه صورة ناطقة تحكي تاريخ المنطقة، وثقافتها، وروحها، حياة بنكهة (الشذاب) و(الوزاب) و(الريحان) و(البرك) وبراءة السمن البلدي، وطعم العسل البلدي، إنها أبها في مخيلة الزمن، وفي ذاكرة المكان.

كلما أسير في الممشى أرى الراية الخضراء وقد امتدت سامقة في ساحة مبنى الإمارة، الساحة التي كانت مفتوحة يؤمها المتنزهون، وبخاصة في أماسي الصيف، والربيع، لكن للضرورة أحكاماً جعلت الساحة مغلقة، يشرف عليها أمن الإمارة.

وتظل تلك السارية التي تجاور السحب، ترفع الخفاق أخضر يحمل النور المسطر، يرفرف فيها علم المملكة فيحيي العابرين في علوه، وإن بعدوا، خفاق يسكب خضرة

الحياة، ومشاعر السكينة والأمان، في ظل هذا العلم الجبار ينام عشرات الملايين من المواطنين، والمقيمين، هنالك تتيقن أنك تعيش آمنًا على نفسك، وأهلك، وممتلكاتك، وتعيش مؤتمناً على الوطن، وعلى المسؤولية التي تقع على عاتقك، ف (وطن لا نحمله، لا نستحق العيش فيه).

تنمو أشجار أبها، وشوارعها، وبنائها، وتنمو معها ذكرياتي، وتنمو معها حبي، وانتمائي للمكان، والإنسان، بين الجامعة، والمدينة، حياة لا تمل، المدينة الجامعية التي بدأت في منطقة (القريرقر) القريبة من طريق أبها - خميس مشيط، ثم انتقلت إلى (الفرعاء) حيث أسلمت المدينة الجامعية في قريرقر نفسها للطالبات، وكانت المدينة الجامعية الجديدة في الفرعاء من نصيب الطلاب، وبين هذه المدينة، وتلك، كان هناك مبنى مشتركاً للدراسات العليا في طريق الملك عبد الله، كان مبنى رديفاً للطلاب والطالبات.

في مدينة أبها، وفي مدنها الجامعية أخذت تنمو ذاتي العلمية، والفكرية، تمتد قراءاتي في الجامعة، وتنمو حياتي مع تراكم المجالية للحياة الجامعية، فكم من دفعة جامعية في مرحلة البكالوريوس عشت معها، وعاشت معي، وكم من منتسبي مرحلة الماجستير عشت معهم منذ أن بزغ فجر البرنامج في قسم الطلاب، ثم تلاه برنامج الدكتوراه، وبين هذا وذاك نشأ قسم اللغة والإعلام، أقسام تنمو وتتطور وأنا أنمو معها، وفيها، وبها، وكان لي حظ أن وضعت بصماتي العلمية، جنباً إلى جنب مع زملاء من المملكة العربية السعودية، ومن جنسيات عربية مختلفة، وضعنا بصماتنا، وسكبنا خبراتنا، وأرواحنا، وعقولنا، في هذه البرامج، ولمنتسبي هذه البرامج، بحب، وشغف، وإيمان بأننا لسنا موظفين، ولكننا أصحاب رسالة، وهي رسالة جسيمة، ومهمة شريفة.

اليوم تنافس جامعة الملك خالد الجامعات المحلية، وتتجه بوتيرة متسارعة نحو العالمية، وتشهد تحولات كبيرة على المستويات كافة، وأخذت فيها البرامج العلمية تنمو وتتكاثر، والبرامج الموازية تحتل مكانتها لتتفتح على آفاق الرؤية (٢٠٣٠) التي تترجم تطلعات المملكة، كما تواكب الجامعة أهداف هيئة تطوير عسير، وتتناغم مع سياقها الوطني، والمحلي.

أبها أخت الضباب، ورفيقة الغيم، وتاج السروات، وسر عنفوانها، لم تكن مدينة بالنسبة لي، لقد كانت (اليوتوبيا) الجميلة، والحلم المقدود من الورد، و(القط العسيري).

حينما أكتب عنها لا أستطيع أن أكتب باللغة، بل أكتب بالروح، وحين أكتبها هنا فإنما أكتب ذاتي، فكيف أستطيع أن أكتب عنها مستقلة وهي في مزيج الروح والفكر، واللغة؟!

في أبها كتبت معظم بحوثي، وكتبي، وتخرج علي يدي آلاف من الطلاب والطالبات، وما يزالون، لقد علمتهم الكثير، ولكني تعلمت منهم أكثر وأكثر، وتعلمت في أبها دروس الحياة، وحياة الدروس، فمن يعيش فيها يتعلم كيف يكون جميلاً، وأنيقاً، وجاداً، ومتقفاً، لقد تعلمت: أنك كلما منحت نفسك للحياة، تمنح الحياة نفسها لك، وكلما أخلصت في أداء رسالتك تصافحك القلوب، والأشجار، والجدران، وتقبلك العصافير كل صباح.

كم تغمرني السعادة وأنا أرى طلابي الذين درست لهم في مرحلة الماجستير أو الدكتوراه، وقد أصبحوا في مكاتب القسم بجواري، يحملون درجة المساعد، أو المشارك، وبعضهم يتهيا للتقديم على درجة الأستاذية، وأرى نفسي فيهم، وفي عيونهم أقرأ هواجس الطموح، فأني مملك يمكن أن يضاهي شعور الأستاذ، وهو يرى طلابه أساتذة، يتبوا بعضهم مكانة مهمة في القسم، وفي جهات حكومية، وأهلية مختلفة؛ هل هناك فرحة توازي فرحة الفلاح، وهو يرى غراسه وقد أصبحت حياة في الحقل، وزرعاً باسقا، يحكي سيرة الحياة، وأسرارها؟!

في جامعة الملك خالد ربطتني علاقة زمالة وعمل، في قسم اللغة العربية، وفي غيره من الأقسام العلمية مع زملاء بالمئات، وعاصرت حتى الآن سبعة رؤساء أقسام، وثلاثة عمداء، وثلاثة رؤساء جامعات، وكل يوم ازداد يقيناً بأن على هذه الأرض ما يستحق الحياة، وأن الجامعة في أي مجتمع هي قلبها النابض، وأنت كلما كنت ثابتاً في مواقفك التي تملئها عليك مسؤوليتك العلمية، ومبادئك الأخلاقية تعيش بسلام، وأن دعوات أبنينا إبراهيم تسري نهرًا سمردياً (زمزماً) في عروق هذا البلد ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

عزيزي القارئ هذه بعض أوراق من ذاكرة أبها (مدينة البنفسج)، وأعدك إن طال بي الزمن أن أكتب (سيرة البنفسج) كاملة، واثقاً أنني حين أكتب سيرة المدينة، فإنني أكتب سيرتي، وإن كتبت سيرتي، فهي بلا طعم دون حاضرة أبها، ودون سيرة البنفسج، وذاكرة الريحان. (والله من وراء القصد).

١٤ شهادة باحث في مدينة أبيها (ذكريات ومشاهدات)

بقلم. أ. د. فوزي عارف الإبراهيم علي^(١).

لقد حالفني التوفيق وقدمت إلى المملكة العربية السعودية، تحديداً كأستاذ مشارك في قسم التاريخ، جامعة الملك خالد بأبها في العام الجامعي (١٤٣٦هـ / ٢٠١٤م). وخلال عقد من الزمان مكثت متشرفاً وسعيداً في هذه البلاد الغالية علينا جميعاً أنهل من الصداقات والزمالات للعديد من الأساتذة الذين تشرفت بمرافقتهم حلاً وترحالاً، ويأتي في مقدمتهم:

سعادة الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس أستاذ التاريخ الإسلامي في القسم ورئيسه الأسبق، والحقيقة أن هذا الرجل وأحسبه على خير ومن خيرة الناس علماً وخلقاً، فقد نهلنا من علمه الكثير، فضلاً عن دعوتنا للعديد من اللقاءات في منزله لتناول الطعام، وكانت من أفضل اللقاءات والمسامرات معه، حيث نستمتع له يقص علينا من خبرته ورحلاته وسفراته ما يطيب له السمع ويسعد القلب، إضافة إلى هداياه الثمينة التي كان يمنحنا بها من نفائس كتبه ومؤلفاته.

كذلك يدور في خلدي عديد من الشخصيات الذين تشرفت بهم وباللقاء معهم كثيراً، ومنهم الأستاذ الدكتور سعد بن حسين بن عثمان القحطاني الرجل الصالح التقى رئيس الجمعية التاريخية السعودية السابق، الذي كان يمنحنا العديد من الفرص للاشتراك في ندوات الجمعية العلمية في مختلف بقاع منطقة عسير، كذلك تشرفنا بقاء أستاذ نقي القلب، أبيض السريرة هو الأستاذ الدكتور سعد بن سعيد الحميدي القحطاني الرجل الصالح، كذلك اتحفنا القدر الالتقاء بأستاذ قدير سمناً وقلباً، هو الموقر الأستاذ الدكتور حسن بن يحيى الشوكاني الأملعي، رئيس الجمعية التاريخية السعودية فرع عسير الحالي، الذي تعلمنا منه كثيراً الأدب قبل العلم، فهو نموذج قدير لأستاذ الجامعة المحترم.

(١) الدكتور فوزي، مصري الجنسية، وأستاذ في جامعة الأزهر. ويعمل أستاذاً في قسم التاريخ والآثار بجامعة الملك خالد منذ أكثر من عشر سنوات. وهو على قدر كبير من الأدب وحسن الخلق، ولطف المعشر. وله العديد من الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة. وما زال يعمل في جامعة الملك خالد حتى تدوين هذه السطور. (ابن جريس).

والتقينا أيضاً بالكثير من الشخصيات الذين أثروا حياتنا علماً وأدباً، وأكرمنا الله بالتجوال في قرى ومدن وحواضر عديدة من مناطق المملكة العربية السعودية، وبخاصة البلاد الممتدة من جازان ونجران إلى مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة، ووجدنا في أهلها كل ترحيب وتقدير، أسأل الله أن يبارك في هذه البلاد (المملكة العربية السعودية)، ويمن عليها بالأمن والأمان، وأن يحفظها ملكاً وقيادةً وشعباً، أرضاً وسماًً إنه نعم المولى ونعم النصير.

وللكاتب انطباعات وذكريات كبيرة ومتعددة في هذه الأرض الطيبة المباركة هي وقاطنوها ووافدوها، فعلي الصعيد الثقافي العلمي، مررت بتجارب عديدة من الندوات واللقاءات والمؤتمرات العلمية، مثل المؤتمر الذي عقده كرسي جامعة الملك خالد، وكان عنوانه: الجوانب الاجتماعية في حياة الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود، رحمه الله تعالى، وحالفني التوفيق المشاركة بورقة علمية لاقت كل الترحيب والقبول ممن استمع لها، وكان ذلك اللقاء فرصة كبيرة لمقابلة الأصدقاء المصريين الذين وفدوا من جامعات أخرى مثل جامعتي الملك فيصل وأم القرى وغيرهما، وأيضاً فرصة للتعرف على عادات وتقاليده وأعراف المثقفين العلماء السعوديين، فوجدنا منهم كل تقدير وترحاب للأخوات والإخوان من غير السعوديات والسعوديين بصفة عامة دون تفرقة بين جنسية وأخرى.

وكان لي لقاء مع أحد المؤتمرات الأخرى الذي عقدته الجمعية التاريخية السعودية فرع عسير، وكان عنوانه: بلاد الحجر في التاريخ والحضارة، واشتركت كذلك بورقة علمية فيه، بيد أن ما لفت نظري، وهو ليس بغريب، طيبة أهل محافظة النماص التي تفوق الحد، والمبالغة الكبيرة في الاحتفاء بالضيوف لهم، فقد تسابقوا في تقديم كل ما طالته أياديهم من طعام وشراب وتجهيز أدوات الراحة للقدامين عليهم من ضيوف المؤتمر.

وعلى صعيد الجامعة طيلة فترة مكوثي في هذه الأرض الطيبة، أستطيع أن أقدم انطباعاتاً عن الطالب الجامعي في جامعة الملك خالد بشكل خاص، والطالب في مختلف الجامعات السعودية بشكل عام، فالطالب السعودي لديه استعداد فطري للتعلم في كافة المجالات شريطة أن يجد البيئة المناسبة والمناخ المناسب، والأهم من هذا أن يجيد من يعلمه طريقة التعامل معه، وقتها يجد منه مردوداً طيباً للغاية واستعداداً كبيراً ينعكس هذا على إظهاره وإنجازه الكثير من القدرات الإبداعية في مختلف البرامج سواءً البكالوريوس أو الماجستير والدكتوراه لطلاب وطالبات الدراسات العليا، وقد حالفني التوفيق للتدريس في كافة هذه البرامج، فما وجدت إلا الاستعداد الطيب لهم.

وعلى صعيد الوضع الاجتماعي فإن منطقة عسير، وبخاصة مدينتي أبها وخميس مشيط، يتسمان بالهدوء والسكينة كحال باقي مناطق المملكة العربية السعودية - حفظها الله تعالى - ويحسب لأهل هذه البلاد المباركة حسن الخلق وطيب خاطر والإيثار مع القادمين عليهم من دول ومناطق شتى، وبصفة خاصة أسكن في منتصف مدينة أبها البهية تحديداً حي «شمسان» الذي يتسم بكثرة المحلات التجارية وشوارعه الهادئة وكثرة عماراته ومساكنه، والحقيقة لقد رزقني الله أن أقطن في إحدى عماراته في حي الوردتين منذ سنين طويلة، وما وجدت من صاحب العقار أو الجيران إلا كل الخير، فهم طيبوا المعشر، فضلاً عن كثرة الأسواق والاعتدال بشكل عام في الأسعار. إضافة إلى العديد من المنتزهات السياحية وأماكن الخروج والتنزه وكثرة أماكن الطعام، والحق أن القائمين على الأمور التي تخص الآخرين حريصين كل الحرص على تسهيل كافة العقبات التي تعترض المواطنين والمقيمين .

وعلى صعيد العلاقات والانطباعات فإن للكاتب العديد من الصلات والذكريات مع مجتمع الجامعة ومع غيره، لكن تظل العلاقات الاجتماعية تحوز قصب السبق خلال عيشنا وإقامتنا في هذه البلاد الطيبة، ومع أهلها الطيبين، ففي مجتمع الجامعة لديّ صداقات كثيرة ومتنوعة سواءً من منسوبي التخصص أو من غيره، الأمر الذي دفعني إلى تذكرها والاحتفاظ بها قدر استطاعتي سنين طويلة (بإذن الله تعالى) . دامت هذه الأرض الطيبة ودام أهلها وقيادتها. حرر يوم الجمعة (١٠/٣/١٤٤٦هـ الموافق ١٣/٩/٢٠٢٤م) .



١٥ لمحات عن التهاميين والسرويين في تبوك خلال العصر الحديث

بقلم . أ. محمد بن حسن الجبيري الشهري^(١).

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، يسألني أخي الدكتور غيثان بن جريس، الذين تربطني به أجمل الصلات الأخوية والزمالة منذ كنا صغارا بالمدرسة، ورعي الغنم، والمقابلات التي على مدار اليوم، وصار بيننا ترابطاً أخوياً وصداقة ورفقة لم تنفصل، إلا بعد أن أجبرتنا طرق المعيشة على الافتراق من القرية الصغيرة، وأصبح كل منا يعيش في منطقة غير التي يعيش فيها الآخر، ومع ذلك لاتزال القلوب مترابطة ولم تتغير مع مرور السنين، وتباعد الأماكن .

بحكم أنني عشت في تبوك سنوات قديمة وحديثة، فقد كنت أعمل هناك من تسعينيات القرن الهجري الماضي، ثم انتقلت منها إلى العيش في مناطق أخرى من المملكة إلى عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ثم عدت إليها ومازلت أسكنها وأتقل في جنباتها حتى الان (١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م) .

يسأل صاحبي الحبيب الدكتور غيثان عما لديّ من معرفة عن بعض الصلاة التي تكونت بين أهل الجنوب في السعودي (تهامة وسراة) وبين أهل تبوك، بمختلف قبائل وفئات المنطقتين، فقلت مستعينا بالله، إن هذه العلاقات الحضارية بين المنطقتين، سكان تبوك والتهاميين والسرويين عامة، ورجال الحجر خاصة. فالمعروف، ولله الحمد، إن الروابط بين مختلف أطراف الشعب السعودي رابطة الدين الحنيف، فالدين واحد، واللغة واحدة بصرف النظر عن تباين اللهجات واللكنات المحلية، وهي لا تشكل عقبة في الفهم والتواصل الاجتماعي والحضاري. كذلك الانضواء تحت حكم واحد تساوت فيه جميع قبائل المملكة العربية السعودية، وتشكلت منها دولة تحكم بالشرع الحنيف وتقيم العدل والمساواة بين الناس من عهد الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل (رحمه الله) إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان (حفظه الله)، ثم نشأت رابطة العمل العسكري والمدني، وكان لذلك دور مهم في جمع جميع من هاجروا من

(١) الأستاذ محمد الجبيري من قرية آل زريق. بمحافظة النماص، عمل في القطاع العسكري سنوات عديدة، تنقل في مدن عديدة في المملكة العربية السعودية، منها مدينة تبوك . ومازال يعيش فيها إلى الآن . وقد تحدثت معه، وطلبت منه أن يدون لي أي شيء عن الصلات بين جنوب المملكة العربية السعودية ومنطقة تبوك، فكتب لي هذه المدونة المختصرة. والموضوع الذي كتب عنه يستحق أن يُدرس في عدد من الدراسات العلمية المطولة. (ابن جريس).

بلدانهم أو مناطقهم بحثاً عن وظيفة وتحسين مستوى المعيشة، وهناك الكثير من أهل الجنوب (الباحة، وعسير، وجازان، ونجران) الذين قدموا من بلادهم، أو انتقلوا من أماكن أخرى إلى منطقة تبوك وأصبحت حاضرة تبوك خليطاً من جميع قبائل الجزيرة العربية، وصار عدد سكانها حوالي نصف مليون نسمة، والجنوبيون السعوديون يشكلون نسبة كبيرة جداً من هذا العدد، وقد انخرطوا وشاركوا في جميع مفاصل الحياة، فاشتروا الأراضي، وأقاموا العمارات، وأنشأوا المؤسسات والشركات، وأصبح أهل المنطقة نفسها يشكلون تقريباً الثلث من تعداد السكان .

نتيجة هذا التواصل والتداخل الكبير والواسع قامت صلات نسب فمن السريين والتهاميين من تزوج من قبائل بني عطيه، والحويطات، وبلي، وعنزة ونشأت الكثير من الصلات والتقارب والجيرة الطيبة، والكل منهم يشيد بالآخر وتم التعارف والتآلف، وانصهر الكل في قالب واحد، بغض النظر عن بعض التصرفات الفردية، التي لا يلقى لها بال .

مدينة تبوك قبل حوالي (٥٠) عاماً تتألف من أربعة أحياء تقريباً، هي: أم درمان، والخالدية، والمنتزه، والعزيزة القديمة. وفي وقتنا الحاضر مدينة تبوك من أكبر مدن المملكة العربية السعودية، وفيها أكثر من ثلاثين حياً، ومخططات أخرى حديثة، وأصبحت تبوك محط أنظار العالم، بعد عزم الأمير محمد بن سلمان على بناء مدينة نيوم، وبتوفيق الله ثم الصلات بين الجنوب والشمال، والشرق والغرب، وبقيّة أجزاء المملكة، قامت هذه الحضارة السعودية الحديثة في تبوك، وصار تعلق أهل الجنوب بتبوك أعمق وأقوى من تعلقهم بأرضهم في تهامة والسراة، وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على كفاءة القيادة الحكيمة، حكومتنا المباركة (المملكة العربية السعودية) أيدها الله.

لقد تشكل من هذه الأطياف لوحة جميلة، تعبر عن الترابط والوئام، وإذابة جليد التوحد إلى دفء التوحيد، والتباعد إلى التقارب والتلاحم لحماية هذا الوطن المعطاء، وفرض الهيبة في قلب كل من تسول له نفسه المساس بهذا الوطن الغالي.

لقد تناقلت وتداخلت الثقافات والمورثات ما بين سكان المنطقتين (تبوك، والسراة وتهامة) حتى صار البعض يتغنى بموروث وأهازيج الآخر وفنونهم، ونشأت صداقات بين الكبار والصغار، وزيارات وتكريمات، وكانت هناك هدايا قيمة ورمزيات ثمينة جداً، فقد قام أحد شيوخ بني شهر، الشيخ حسن بن حمود بن يتيّم الشهري، بتقديم حصان عربي من أغلى ما يمتلك لشيخ من شيوخ جهينة من أجل الزمالة والصداقة وصلات أخرى كثيرة تتلخص في صلة رحم، وشراكات في بعض المصالح، وصداقة وزمالة. ولا

غرابية. فالرب واحد، والدين واحد، والوطن واحد، والملك واحد. وقد كنا ونحن نؤدي الهرولة العسكرية كل صباح نتغنى بهذه الأبيات. وهي من أجمل ما قيل، وهذا مما يدل على اللحمة والأخوة والترابط بين الناس.

والحديث والقصص والأخبار عن التواصل والتداخل والعلاقات بين أهل تبوك وأهل السروات وتهامة كثيرة جداً، وتكتب في عشرات الصفحات. هذا ما أحببت أن أكتبه لأخي وزميلي الدكتور غيثان بن علي بن جريس الذي طلب مني هذه المشاركة. والحمد رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة والسلام. أخوكم/ محمد بن حسن بن محمد الحبيري الشهري (أبو فاروق) حرر بتاريخ (الاثنين ٦/٣/١٤٤٦ هـ الموافق ٩/٩/٢٠٢٤ م)





٦- الخاتمة

النتائج والتوصيات



٦- الخاتمة : نتائج وتوصيات

يلحظ القارئ الكريم أنَّ مادة هذا المجلد رقم (٢٠) من هذا الكتاب التاريخي الحضاري (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، قد تنوعت في الموضوعات، والزمان والمكان. وحظيت فترة ما قبل الإسلام بالنصيب الأوفر، ثم العصر الحديث والمعاصر، وأقل نسبة كانت للعصر الإسلامي المبكر والوسيط (ق١- ق١١هـ/ ق٧- ق١٧م)^(١).

من المؤكد أنَّ المادة العلمية المطبوعة والمنشورة في هذا السفر لا تخلو من نقص كبير في العديد من المحاور الموثقة بين دفتيه، لكن أمل أنَّ يكون فيها فوائد يستفيد بها بعض الباحثات والباحثين الذين يدرسون أو يتخصصون في دراسة تراث وحضارة جنوب شبه الجزيرة العربية، وبخاصة البلدان التهامية والسروية الواقعة بين أوطان اليمن والحجاز الرئيسية^(٢).

(*) كعادتي في معظم بحوثي العلمية المطبوعة والمنشورة، أسعى إلى رصد بعض

المقترحات أو التوصيات العلمية والعملية. وأذكر في النقاط التالية شيئاً من ذلك:

أ - عندما ينظر أي دارس أو باحث إلى أقسام الكتاب، وما احتوى عليه من توثيقات، وبخاصة القسمين الأول والثاني، فقد يخرج بانطباع مخالف لما توصلت إليه الدراسات المنشورة في هذين القسمين. لكن الواجب على مَنْ يصل إلى هذه النتيجة أن يعلم ويدرك بأن أصحاب هذه الدراسات من أهل الاختصاص، فقد قضوا سنوات كثيرة يدرسون ويحللون ويبحثون في حضارة وتراث جنوب شبه الجزيرة قبل الإسلام وبعده، ولم يقوموا بإنجاز هذه الأعمال

(١) اجتهدت من نهاية العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) وما زلت في توثيق دراسات ومواد علمية تاريخية حضارية عن بلاد السراة وتهامة في العصور القديمة، والإسلامية المبكرة والوسيط. وكل الذي توصلت إليه خلال الأربعين عاماً الأخيرة الحصول على مقتطفات قليلة ومحدودة، وما زال تاريخ هذه البلاد غير واضح بنسبة كافية خلال تلك العهود التاريخية الحضارية المتعاقبة، منذ العصر الحجري القديم إلى مطلع العصر الحديث.

(٢) ليس لدينا أي عذر نحن أبناء تهامة والسراة (ذكوراً وإناثاً) وأخص منهم المؤرخات والمؤرخين والباحثات والباحثين، فالواجب على الجميع أن يجتهدوا في خدمة بلادهم من خلال تخصصاتهم وبحوثهم العلمية الجادة.

العلمية إلا بعد قناعة تامة بما عملوا، ولم يذكروا أنهم تميزوا أو أبدعوا فيما أنجزوا، لكنهم يدركون حاجة الناس والأرض إلى أعمال بحثية عميقة، وجادة، ورصينة. وقد تكون الخلاصات والنتائج التي توصلوا إليها لبنات رئيسية لمن يأتي بعدهم من باحثين يرغبون دراسة وكشف نتائج لم يتوصل إليها من سبقهم.

ب - أشكر الباحثين الثلاثة الذين سطوروا ما توصلوا إليه في القسمين الأولين من هذا الكتاب. وأرجو منهم ألا يحرموا طلابهم وإخوانهم من الباحثين والدارسين في جنوب شبه الجزيرة العربية، ويواصلوا جهودهم العلمية، فيجتهدوا في إنجاز دراسات أخرى، تكون متنوعة في مادتها العلمية، وما يمكن أن يتوصلوا إليه من نتائج وتوصيات تفيد المسيرة العلمية والبحثية في الديار النهامية والسروية، التي ما زالت بحاجة إلى كل باحث جاد، وعادل، ومنصف، وشفاف^(١).

ج - إن القسم الثالث بدراساته الخمس، ليس بعيداً عما ذكرناه في النقاط السابقة. ومع تنوع هذا الباب في المجالات التاريخية والسياسية والجغرافية، واللغوية، والتعليمية والتربوية. وكل الموضوعات الموثقة لا تخلو من مواد علمية عديدة، لكنها ما زالت تستحق مزيداً من الدراسات العلمية المطولة والرصينة. أرجو أن يجد فيها طلاب العلم التاريخي والبحثي مبادرات أو إشارات تقودهم إلى بحوث أشمل وأفضل وأعمق.

د - أما القسم الرابع مع كثرة العناوين المذكورة في فهرسه الرئيسية، فهو مستودع كبير من الرؤى والأفكار والموضوعات الجديدة بالدراسة الجادة المتأنية الرصينة. أرجو من طالبات وطلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ والآثار بالملكة العربية السعودية، وبخاصة الموجودة في جامعات السروات ونهامية أن يجدوا في عناوين هذا القسم مبادرات ومقترحات وتوصيات تساعد في إنجاز أعمال علمية بحثية جادة وهادفة (وصل الله وسلم على رسول الله).

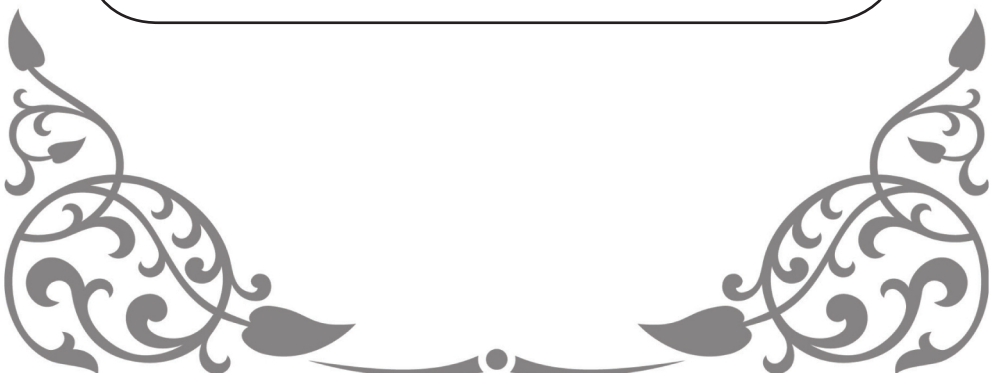


(١) نحن جميعاً في أمس الحاجة إلى الدراسات العلمية النوعية التي يصدرها أصحابها بهدف خدمة العلم والتعلم، مع توخي الحياد والإنصاف والأمانة العلمية فيما يكتب، ويدرس، ويوثق. (والله من وراء القصد).



٧- ملاحق الكتاب العامة

أولاً : ملحق الوثائق
ثانياً : سيرة ذاتية مختصرة



٧ - ملاحق الكتاب العامة

أولاً : ملحق الوثائق

م	الموضوع	الصفحة
١	ملحق رقم (١)	٥٦٩ مجموعة وثائق من الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل وبعض أبنائه الأمراء (سعود ، وفيصل، ومحمد وغيرهم) إلى بعض الأعلام والأعيان والمسؤولين في جنوب المملكة العربية السعودية خلال الخمسينيات من القرن (١٤هـ / ٢٠م) ، وفي هذه المصادر الأولية مادة علمية جيدة بخصوص حفظ البلاد اقتصادياً وأمنياً وعسكرياً ، وبخاصة على الحدود بين السعودية واليمن. <u>ويوجد منها نسخة ضمن الوثائق العامة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية.</u>
٢	ملحق رقم (٢)	٥٨٩ مجموعة وثائق متعلقه بالتاريخ الإداري والمالي في جنوب المملكة العربية السعودية ، خلال الفترة (١٣٥٢ - ١٣٧٥ هـ / ١٩٣٣ - ١٩٥٥ م) وجميعها تصب في خدمة الديار التهامية والسروية آنذاك ، وصدرت من وزير وزارة المالية ، أو وكيل الوزارة ، أو موظفين آخرين في الإدارات والأقسام المالية في مكة المكرمة ، والرياض ، وعسير وغيرها. <u>يوجد منها نسخة ضمن الوثائق العامة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية.</u>

م	الموضوع	الصفحة
٣	ملحق رقم (٣)	٦٠٩ مجموعة وثائق تخص مجال التعليم والتعلم في جنوب المملكة العربية السعودية وبخاصة منطقة عسير من الخمسينيات إلى ثمانينات القرن الهجري الماضي (العشرين الميلادي) . <u>يوجد منها نسخ ضمن الوثائق العامة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية.</u>
٤	ملحق رقم (٤)	٦٢٧ تزكية جماعية ، ومدونة فردية توثق لمحات من سيرة وتاريخ بعض أعلام السروات الذين قضوا جزء كبير من حياتهم العلمية والعملية في منطقة عسير وخاصة مدينة أبها منذ منتصف القرن الماضي (١٤/هـ / ٢٠م) إلى هذا القرن (١٥/هـ / ٢٠م - ٢١م) . <u>يوجد منها نسخ ضمن الوثائق العامة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية.</u>
٥	ملحق رقم (٥)	٦٣٧ رسائل ومدونات متبادلة بين غيثان بن جريس وبعض الأساتذة القراء والباحثين حول موضوعات ثقافية وعلمية مختلفة خلال العامين الأخيرين (١٤٤٥ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٣ - ٢٠٢٤م). ومعظمها وصلتني عن طريق (الإيميل أو الواتس أب) . <u>يوجد منها نسخ ضمن الوثائق العامة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية.</u>

ملحق رقم (١)

مجموعة وثائق من الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل وبعض أبنائه الأمراء (سعود، وفيصل، ومحمد وغيرهم) إلى بعض الأعلام والأعيان والمسؤولين في جنوب المملكة العربية السعودية خلال الخمسينيات من القرن (١٤هـ / ٢٠م)، وفي هذه المصادر الأولية مادة علمية جيدة بخصوص حفظ البلاد اقتصادياً وأمنياً وعسكرياً، وبخاصة على الحدود بين السعودية واليمن.

ويوجد منها نسخة ضمن الوثائق العامة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية.

تابع ملحق رقم (١)

١

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم ٩/١/٤٥

التاريخ ١٣٥١/٦/٨

الموافق

ص ٤٢

١١٢ ص ٤٦

ديوانه جلالة الملك

الشعبة السياسية

٢٢٢٢٢٢٢٢

ملحق خير وسرور ان شاء الله لعبد الوهاب ابو ملحه

=====

ابن ضاوي ارسلناه بكتاب ليحيى فينبغي ان تتذكروا مع ابن عسكر لكي ترسلوا معه رجالين او ثلاثه يكونون باخصين الديره وها مومنين الغاية وتسعونونهم بكل ما يلزم لهم لوصولهم بصورة طيبة ولا تفسد ولا يصير عليهم قاصر بشئ وعلى كل حال تعرفونا برقيا قبل مشاهم بكل ترتيباتهم وطريقهم

وسنعمهم

١٣

تابع ملحقات رقم (١)

عدد تركي عبد الوهاب (٢)
٤٤٨٢

١٠٠	١٢٢
٤٧	

هـ. هـ. ماذكرتموه عن مكاتيب ابن منيع لديكم فقد كتبت
للابن فيصل ما يكتبه دليم كف عرفنا فيصل .
بناءً على السلام الذي سيصله في السيارات
وأهملو بمرحوب دبرتنا بالرفق تماماً
والحذر ثم الحذر ان يطلع احداً عليه
هـ. هـ. م عبد العزيز

تابع ملحق رقم (١)

(٤)

عدد بسم الله الرحمن الرحيم
 ملحق خبر و سرور انشاءه
 ١٧١ هـ
 ١١٢٤ م
 ١٢٦٤ هـ
 خصوصاً ما ذكرتم عن وصول ابن دليم وابن مشيط وحوالهم تسروان در بكم
 صار على القنفذه وتسامه وتفقدتوها بآرك الله فيكم وان شاء الله انكم
 انكم تلاحظون جميع اشغالكم والامور يكون مجراها حسب المطالبين وما ذكرتم
 عن الزيدي وانه ساكن على حدوده نرحب الله بقدر ما فيه الخير والصفا
 لى الاسلام والمسلمين. ومن تجوزكم ابن دليم وتركى وانهم حال دارى كفاكم
 متوجهين نرحب الله ان يرد احوالهم وافعالهم ويحسن المواقف للجميع. وما
 ذكرتم عن ردة مزارع اليمن بسبب قل الامطار فنزل الله ان يطف بعباده
 وينزل الغيث المبارك وهو ارحم الراحمين. وما ذكرتم عن خلاص الحائل كان
 معلوم. ومن خصوص اشغالكم ان شاء الله تحمسون عليها بما تقتضيه المصلحة
 وكتبكم لا تنقطع عنا تفيد وننا بما يجد عندكم

١٢٦٤ هـ
 ١١٢٤ م
 ١٢٦٤ هـ

تابع ملحق رقم (١)

١٦٠٦
١٢٠٦
١٢٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا من عباده الصالحين من عباده الصالحين الذين هم خير خلق الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعد ذلك واصلكم بفضل بر سعة والذي معه كذلك التقاطين
الجميع عطفهم على ثلاثين فشكله ولكن لا تقطعون الاكل اناسا بيه خاصا وعام وعلى شكل
بند قه وشرهون معهم اربعين صنفه وق كذلك عسير الذي ماسنغ بفشكل سنفوهم ولا
يجي الظفر الاكل خالص كذلك احصى على البعاري وان كانا عنكم فذلك بعد مايجي
فيصل فارسلونا عشرين صنفه وق بسم وعشرة صناديق عصملي وارسلوها على
الحالي والبقس الذي عنده بشفلو كذلك فيصل شوفوله مائة نفحة ان وجهتها
بر وسهما والا سلموله ثمها ويشترى هذا ما ارم تعريفه والسلام

١٦
دي

تابع ملحق رقم (۱)

1750
1750

تابع ملحق رقم (١)

الحمد لله

(٩)

من عود بن عبد الغني بن عبد الله الفحل الاحباب الا انكم عبد الله هاجب بن فراه بن علي بن سلمة
 لم عكيم ورحمة اسود كثر على هدرام الخط وصل وما ذكرت كان معلوم خصوصا ورواه
 محمد بن رات الذي يصلح ورجوعكم المظفران باري اسد فيكم . من قبل همتكم في
 محمد بن رات يعبد الخطبه هذا من احس ما يكون . من قبل الذهبه والارزاق
 انتم انه يخص عليا غايه وزنا به ابو عبد الغني يا خوي نزي اعلاوي على اسد عليكم
 لانه من الارسلات من كل شيء مخصوصا الذهب والارزاق من طرف بن علي
 حرضا لا والكرنا عليه واكرهه فلنا له مثل ما ذكرتم في الفصول انتم انتم الله يرحمهم
 على جميع اموركم والاغاب من انتم حظهم وراسهم بكم كفا به هذا اهله فودعتم

ملحق رقم (٩)

في تاريخ الجنوب
 ٥٧٨

تابع ملحق رقم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

اعود بن عبد الغني بن عبد الرحمن العنبري الفصيل الاحباب الاخ الم عبد الوهاب ابي محمده
 له عني ورحمة وبركاته على الدوام . بعد ذاك في طوبى الزهبي وصلنا والذي
 وصلنا نيس والدصلي حاجانا منه شي اني امه يملوك علينا فعدا عشرين
 صنفه و فصولي وتابع علينا اسباب الزهبي والازناف كذا لك تفصيلنا
 الذي تفدرون عليه من الغنم ولا تدر كذا لا اننا خالين من . ايضا الذي
 عندكم من الطحين يملوك علي والقنود والكر والهيدي والهاهي احرص على
 ما ذكرنا ايضا وتفدونا الذي تفدرون عليه من الهبال لا اجمع
 ان غان تفعطله الاطوادب وغيرها احرص في ذاك هه اهلنا من

الملك
 في
 ذن

كذا لك تفصيل
 في
 ذن

١	٢	٣	٤
١	٢	٣	٤
١	٢	٣	٤
١	٢	٣	٤

تابع ملحق رقم (۱)

۱۰۰

۲۹۱۱۲۳

تابع ملحقات رقم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم
١٢٦٩ هـ

١٢٦٩ هـ

ديوان ولي عهد

المملكة العربية السعودية

الأمير سعود

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل آلخ المكنى عبد الوهاب
بن محمد سلمه الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته الخط المكنى و
صلواتي على من لا ينقطع من طرفي البانديم الذي جاب مجري رجال
السريي حالاً اذ فعوه علينا على ركائب اعدوا على عجلته من طرفي
غرفي البيارق الذي غنمتم ارسلاها علينا بحال السرعة لا تتأبعا
من طرفي بن الواسير بيقدم على طرفي ظهران فاذا وصلكم يكون
دربهم على بلاد بريعر ومنها الى التويله ومن التويله الى الحصن
واذا وصلوا الحصن يبقون فيه حتى تخبرونا وهذا واصلك خطوط
لبن عرج وبني ماضي وفؤاد انشاء الله ترسلونها لهم هذه امارم
توقيفه والسلام
١٢٦٩ هـ

تابع ملحق رقم (١)

١٨٩٤
١١٢٢ ج ٢٢

١٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

ديوان ولي عهد

المملكة العربية السعودية

الأمير سعود

١٣١

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن إلى الاخ عبد الوهاب بن عبد الله بعد ذلك
هنا ما ندرى ماذا تكون النتيجة من هالوفد فيجب عليكم تحضير
الموجود عندهم من السلاح السوارى لجاله وطبقات السلاح لجالها كذلك
الفندق حضروا لاهل بخان مئة صندوق وحضروا لنا اربعية
صندوق فيه قصير امانى وميتين وخمسة قصير شكل سلاح القوم
الذي عندهم قوايمه واما خديا تكون عصا تتبع للسوارى كذلك
من هبوا للدوا سر فيه وخمسة بنديق مع كل بنديق ثلاث فئكه
كذلك حضروا لليم مئة بنديق مع فئكه ويصير سلاح الدوا سر
اطيب كذلك ان عز منا على المشا فيجب ترهيب القوم
من هذا شهر الذي اكلو من شهرنا هذا يعطون اياه الجميع
عبد الوهاب يا عصا بة راسي حضروه والذي في اربا جيبوه
هنا كذلك امرنا على الدري يدور من القبائل ميتين بعيد
بالا لاجل تسهيل اشغالنا وتساعده على الراي كذلك الموجود
من السلاح والبخان اجلبوه من اربا وعطوه هنيا وعرفونا بعد
الحمد ونحو ما جانا فند بنقض العلم الذي انت خابر لكه بنيتعد
نصبا مورنا ان حصل التفات ما هو ضارنا وان ما
استعدنا نرجو من الله التوفيق والا

تابع ملحق رقم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

(١٥)

عن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الأفضل إلى جناب الأخ الميمون عبد الوهاب بن محمد بن علي بن أبي طالب
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الرؤم ودعم خير وأهلنا تسركم والخط وصل
وما عرف جنابك كان معلوم : خضعنا من طرف نتجيزكم لغرض عاف والندى المستوح
لما رخصنا شجاع فنهضه الطهر برك الله فيهكم ولا بعدكم حصة على كل حال :
كذلك أنك من طرف الكتيبة الذي رجعناكم فيهم بذكر السيرة انه كفايته في ثلاثمائة نفر
وحالا وحالا انشأه ساعين في كثيرهم : كذلك من طرف عاف انشأه انكم قد جرتكم
وأحرصوا على كفه لا خوياه لأجل ان جلالة الله محرضا منكم وبغنا خبرنا
جلالة الله مقدم سلاح خوياه في السرايات التي قدمت إلى طرفنا وبغنا خبرنا
انهم قد تم جود والسيارات الذي فيها السلاح إلى الآراء حابيه وصله وفقت ما يجينا
الجناب من جلالة عولاى بخصمه السبع نفيسكم انشأه الله هذا حالنا بمانه عولاى
السلام الأبن والعزى لديكم ودفعم محرومين ولا

٢ ربوع خراج



الخبر إلى
٢٥

تابع ملحق رقم (۱)

المندرجين لوصف

من عمل به عبد العزيز عبد الرحمن الفيلسوف الى جناب الاخ ائمة الامم الاخيرة عبد الوهاب بن محمد ابو علي سلطانه
فكوا بقاء آفة بعد مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدول مع السلام عن صحتكم الانتم ومن لديكم
كلما حصل الزاوية والسرور وعنا نجل بكم الله بخير عافيه لكم انكم الذين بيده صمان واصل ولقد اسرنا جدا ما فرحنا
به عنكم وكنى الكون ولا طمئنان طمئنتكم فخير الله على ذلك وعن أنفسكم بما من الله به علينا وعلى المسلمين
من النعم لفتوحها فتشكركم على ذلك وذكر الله على نعمه من طرف اخبار طرفة سركم وعلى ما تحسنه من كرامة الوجه
ولا يوجد ما قصدكم به الخبيث والعافيه جعلكم سرور وطرا هذا لانكم بياض مع البياض السلام كرامة الاولاد ولا يترك
والشيخ والعزير بكم كرامة الابن عبد الله وسلم ودمهم والسلام

٢٥

تابع ملحق رقم (١)

١٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

١١٥ هـ
١٢٢٣ هـ

ديوان ولي عهد

المملكة العربية السعودية

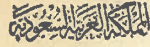
الأمير سعود


١٧٢

من سعود بن عبد العزيز عبد الرحمن الفيصل الى جناب الاخ المكرم عبد الوهاب ابو
ملحه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. على الدوام بعد ذلك من طرف زماميل
الخيال الذي مع عبد الهادي اربعين نفر سلموا السكل نفروا وفتروا وفيض على عبد
الهادي ستة وثمانين ريال قيمة شعير للخيال شاريه لهما من نجران واحرص على
تجاسرهم ايضا سلم لهم عشر ذبايح طريفة لهم وللزماميل والخدام الذي معهم =
وسلم لهم ربتة قرطاس وقش ودوات واقلام للكتاب الذي معهم يكون مخلو ==
والسلام ١٣٥٣ / ربيع الثاني

ايضا سلموا العبد الهادي شرع طيب

تابع ملحق رقم (١)


 ديوان ولي العهد
 عمادة



١٩٩٥
 ١١٤٣
 ج ٤

(١٨) ملحقة

من محمود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب الاخ المكرم الـ حشم عبد الوهاب ابو
 سلمه الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ، مع السؤال عن احوالكم
 احوالنا من كرم الله جميلة ، كتابكم المكم المؤرخ / / / ١٣٥٦ / وصل ولعزف جفا
 بك كان معلوم خصوصا الـ فادة عن صحتكم الحمد لله رب العالمين ، من قبل بن سيف
 وصل والذى معه على المطلوب الله ببارك فيك ونحسن جازمين ان مابعد اجتهادك =
 حسونه من قبل توجهكم لاجل النظر في الحدوث انشاء الله ان لازمكم انقضى على صافي
 الخاطر والـ فادة منكم بتفصيل ما صار بينكم وبين بن الوزير في اثناء الطريق ، صحتا واخبارنا
 على ماتحبون اخباركم لا تقاطعنا هذا المزم تعريفة مع ابلاء السلام العيال والعزير لديكم
 ومن لدينا سيدى الوالد والعيال يسلمون والله يحفظكم ١٣٥٦ / ٨ / ١٩ /

ملحق رقم (٢)

مجموعة وثائق متعلقه بالتاريخ الإداري والمالي في جنوب المملكة العربية السعودية ، خلال الفترة (١٣٥٢ - ١٣٧٥ هـ / ١٩٣٣ - ١٩٥٥ م) وجميعها تصب في خدمة الديار التهامية والسروية آنذاك ، وصدرت من وزير وزارة المالية ، أو وكيل الوزارة ، أو موظفين آخرين في الإدارات والأقسام المالية في مكة المكرمة ، والرياض ، وعسير وغيرها .

يوجد منها نسخة ضمن الوثائق العامة في مكتبة
د. غيثان بن جريس العلمية .

تابع ملحق رقم (٢)

١٩
٦٥٥
١٢٣
٤٧

الجمهورية العربية السورية
وزارة المالية
الكتاب الخازن
١٤٥

جناب الاخ المكرم الافخم عبد الوهاب بن محمد ابو ملحه . سلمه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . لازلت بخير وعافيه ، وبعد حسب امر صاحب الجلالة مولاى الملك
المعظم المبني على المخابرة التى دارت بينكم وبين جلالته بخصوص وارد اتكم ومصاريفكم وتبيانكم
لجلالته ان غالب وارد اتكم هى من زكوات الحبوب والمواشي وان اغلب هذه الواردات ترد عليكم
عيناً وانه ربما يتأخر تصريفها . وقد ارتأى جلالته كما عرفكم ان نرسل اليكم مندوباً من طرفنا لاجل
ان يكون مطرفكم لتطلعوه على وارد زكواتكم من جميع اصنافها وعلى الاقيام التى يمكنكم تصريفها
بها فى اوقات هاكل صنف بصنفة وبعد ان يدع المندوب المذكور على ذلك منكم فاما وانه يوافقكم على
تصريفها بملك الاقيام التى تذكره امكان تصريفكم بها . وفى ذلك الوقت تصرفونها وتفيد عليكم
بالواردات بملك القيمة . او انه يقبلها منكم بملك القيمة وهو يبرق لنا بذلك ونحن نؤمن لكم قيمتها
امانى القنفذه اوفى بيشه اوفى خلافتها . القصد اذا انفقتم اتمواياه على قيمة ياخذها منكم به
وجاءنا التعريف منه فنحن نقابلكم فى قيمتها على كل حال ونصدر الاغنام الى القنفذه اوالى نجد
وهذا على كل حال فيه تسهيل لكم ومساعد على تصريف وارد اتكم والمندوب المذكور هو حامل كتابنا هذا
محمد سعيد كمال من خيرة الرجال ومن الناس الذين يوثق بعلمهم ومعرفتهم انشاء الله
تحرصون على اخذ خاطره واكرامه وتسنعون له بيت يسكن فيه وتسلمون له كل شهر ٩٠ ريال
هذا ما لزم تعريفه والمخابرة بيننا وبينكم متصلة انشاء الله ودمتم محروسين ،،، وزير المالية
عبد الحليم

فى ٤ ربيع الاول ١٣٥٢

تابع ملحقات رقم (٢)

٧٠ ٥
٢١٢٣
٤٧

الملك عبدالعزيز آل سعود

وزارة المالية

المكتب الخاص

عدد

١٤٨

جناب الاخ المكرم الاخ محمد بن محمد أبو مليحة سلمه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فان الامير تركي بن احمد السديري توجه بالسيارات الى رنية وضربا سيرجه على جيتي الى طرفكم . وعليه فلا بد وانه يحتاج الى زهاب بالطريقه وكذلك يلزمه ان يتأجر من رنية بعض ركاب لاجل خرابه الذين تقومه وقد عرفناه بان يقوم باجراء ذلك من قبله . ثم اذا وصل لطرفكم بينكم ما اصره على ذلك لتسدون له مقابلته . ان شاء الله تعالى فذلك حسب امركم سيدي النائب العام . لهذا ما لزم

تصريفه ودمتم محروسين في ٨ - سبتمبر الاول ١٣٥٢

وزير المالية

تابع ملحق رقم (۲)

المكرم امين مالية ابها . وثوابهما

ولذلك انفسر... كقول وزارة المالية

27/5/20

تابع ملحق رقم (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم
 ديوان الخزانة
 ٤٦٦

(٤٣)

١١٢٣ هـ
 ١٠٤٠ م
 الموضوع: إرسال مائة دينار

جناب المكرم المرحوم الأديب عبد الوهاب أبو مامون
 السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - لا نعلم بحال خبر ورسولنا من لره
 من كافة العصب . وبعد فقد أرسلنا لكم صيغة به غرض مائة دينار
 ذهب وأصل صرف يقضى صرف ربايات فرنسا بالعملة التي لديه
 من الجنيه لدينا هو ٤٠٠ ريال وتصرفون صرف ما ياتى
 للسيد أحمد فوي أبو الوزير وللمنفعة والمصلحة الجيدة الذي معه
 با ١٥٠٠ الجميع ٤٠٠ ريال وتفيدون الباقي وأردنا
 تسليم الجنود كل واحد ما هو له في يده وأيضا بقينا لكم صيغة
 وأخذت كونه تسليمها للسيد أحمد المذكور وتفيدونا - هذا
 ودمتم محفوظا (٤٠٠ مائة دينار) وكيل الخزانة
 محمد

تابع ملحق رقم (٢)

<div>٩٩ ص</div> <div>١٢٣ ص</div>	(٢٧)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
<div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div>	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
<div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div>	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
<div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div>	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
<div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div>	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
<div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div>	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
<div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div>	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
<div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div> <div>١٠٠</div>	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

تابع ملحق رقم (٢)

٢٢
١١٢٢
٢٢

٢٩

المملكة المغربية
وزارة المالية
إدارة

١

١٣٥٨ / ١ / ١١ تحت رقم ٢ / ١ / ٢٤ المتضمن الاذن بتنفيذ

التدابير التي تقتضيها التنظيمات بقرارات وزارية

ان وزير المالية
بناء على ضرورة تطبيق التنظيمات المالية الجديدة في ماليات ابها - وجيزان - والنفقة - ونجران وبيشة
وملحقاتها

وبناء على ضرورة ربط هذه الماليات بإدارة مالية ابها محلية تتولى توحيد حساباتها ومسك الة اللازمة
لتأديت الموازنة على الأسس الجديدة

١٣٥٨ / ١ / ١١ تحت رقم ٢ / ١ / ٢٤ المتضمن الاذن بتنفيذ
التدابير التي تقتضيها التنظيمات بقرارات وزارية

يقرر مايل - - - - -

١- تريل ماليات جيزان والنفقة ونجران ، وبيشة بمالية ابها اعتبارا من اول عام ١٣٥١ -
٢- تحدد تشكيلات الماليات المذكورة بقرار يصدر على حدة
٣- يعتبر رئيس مالية ابها آمر اعطاء ثان ينوب عن مقام الوزارة بتوقيع اوامر الاعطاء ضمن اعتمادات الموازنة
بالتعليمات والاوامر المرفوعة
٤- تؤدي الرواتب والنفقات في مالية ابها بموجب اوامر اعطاء حسب المادة (١٦) من التعليمات المتضمنة
ماهية القيود التي يجب مسكها في صناديق المال وحساباتها وتفيد في حساب تاديات الموازنة
٥- تؤدي الرواتب والنفقات في ملحقات ابها - جيزان والنفقة ونجران وبيشة على حساب مالية ابها وتو
وترسل اوراقها المثبتة اليها وتفيد وتحتل وفقا لاحكام المادة (١٥) من التعليمات
٦- يمسك في مالية ابها دفتر اوامر الاعطاء الصادرة لغرض (٧) ودفتر الاعتمادات واوامر الاعطاء النموذج
(٨) حسب احكام المواد (١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨) والاحكام الأخرى ذات العلاقة من - -
التعليمات
٧- وتفيد تاديات الموازنة في الدفترين المذكورين على اساس المواد والفصول المحينة في القرار ذي الرقم
(١٠) المؤرخ في ٣٠ محرم عام ١٣٥٨
٧- تقم مالية ابها بكل الوظائف المتعلقة بالخزينة فيما يتعلق بتاديات الرواتب والنفقات العائدة للمركز
وملحقاتها
٨- تطبق الاحكام الواردة في المادة (٧٩) وما بعدها من التعليمات بشأن قواعد الصرف بالدقة التامة

تابع ملحق رقم (٢)

٢٣ ص
١٦٤٣ ج ٢٢

٣٠

مكتب أمين المظروف

الالية ابها

١ - ٢ - ١

عدد

١- تحفظ الاوراق المشتهة العائدة لتاديبات الموازنة على اختلافها في مالية ابها بصورة منتظمة على ان يولد من قبل الوزارة ملحق مالي بين حين وآخر لتدقيقها والتثبت من قانونية المعاملات و... تقرير...
بدلالة... بها ،

١٠- تؤسس القيود الدالة في مالية ابها وملحقاتها - جيزان والنفقة - ونجران ويبيش اعتبارا... اول
عام ١٣٥٩ حسب احكام التعاليم المالية الجديدة .

١١- تقدم جداول الحسابات الشهرية العائدة لجيزان والنفقة ونجران ويبيش الى مالية ابها بالصورة والمواعيد المحددة في التعليمات وتوحد لديها مع جداول حسابات ابها ويرسل جدول موحد الى الوزارة
الوزارة حسب النموذج (١٥) .

١٢- تبلغ جميع مقررات واوامر وتعاليم الوزارة الى مالية ابها وهي تتولى اهلقتها الى ملحقاتها وعند...
مسير الحاجة لأصدار اوامر مستعجلة من الوزارة الى هذا الملحقات ترسل صور عنها الى مالية ابها

١٣- يبلغ هذا القرار لماليات ابها بجيزان والنفقة ونجران ويبيش ولدور الوزارة ومديرية الخزينة -
لتنفذ احكامه... في ١٤/١/١٣٥٩ وزير المالية

صورة وفق النسخة... لـ

٢٥٩/٤٢٨

تابع ملحق رقم (٢)

ورارة الم ب يه

علاوة
٤٤٤

(بسم الله الرحمن الرحيم)

جناب الاخ المكرم عبد الوهاب ابن محمد ابو طه - سلمه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . مع السؤال عن احوالكم احوالنا من كم الله تعالى جميله نسال المولى تعالى ان
يديم للجميع بقاء جلالة الملك المعظم .

وبعد قد اشعرناكم بوقيا باننا نرسل لكم النقود المطلوبة مع السيارات المتوجهة فحالا نتوجه اليكم بيد محمد اليحيى
مبلغ تسعمائة جنيه انكليزى ذهب انشاء الله تقضونها منه وتعرفونا .

كذلك من طرف الارزاق فقد اقدناكم بوقيا بما ارسلناه الى القنفذه واكدنا عليها بشده الى بارق حسب العادة
ولا زال ارسالنا مواصلا بعون الله نسال المولى تعالى ان يساعد الجميع على القيام بهذا الواجب .

ولا يد بلشكم خبر توجه الاخ عبد الله الى الحدوده وامتننا بالله تعالى نيسد د به ليحور رضا الله تعالى ثم رخصه
جلالة مولاي الذي وضع ثقته فيه .

ومن طرفنا نحن فانشاء الله نقوم بواجباتكم بقدر الامكان ولا تتأخرون اللانم واملنا فيكم انشاء الله تعالى مند اراة الاحرار
والغلب على الصعوبات بما نتمده فيكم من الهمة والنشاط وتحور هذا الماذكروا السلام عليكم ورحمة الله

٢٤

تابع ملحق رقم (٢)

(٣٤)

٨ ص
١٢٢ ح ١٠

اوراق

الملك عبدالعزيز
وزارة الداخلية
١٠٥٩/٢١٨٠٦
٧

الى رئيس مالية ابها رتوابها
بناء على طلب وكالة الدفاع بخطابها رقم ٣٣١١ تاريخ ١٤/١٠/٣٦٢ هـ
لنتمدد و ترخيل محمد بن حمود وكيل الضابط بالمدرسة العسكرية من
مرابها الى جدة مقر عمله باحدى سيارات البريد ولذا تحـ
وكيل وزارة المالية
١٨ - ٣٦٢/١٠ هـ

جده
ضه الحاله قديما من الحاله
الرجوع الى من قبله
ماجد الشمرى
١٤٦٥
١٤٦٥

١٨
١٤٦٥
١٤٦٥

تابع ملحق رقم (٢)

(٣٥)

مستعمل

لقد مستودعات بسم الله الرحمن الرحيم

الملكة العربية السعودية
وزارة المالية والاقتصاد الوطني
مالية

عدد
١٦٠

حضرة صاحب السعادة وكيل امير عسير وملحقاته الانتم
بمعد التحية والاحترام *

حيث ان مستودع هذه المالية خاليا من الخيام وبلا
وبالنظر الى ان الخيام لدى الاهالي ابدا بسوامطة
عمد المحلات * نرجو صدور امركم الى
مدير شرطة ابدا بتكليف العمدة بتوريد
الخيام المصروفة لمنكوبي الامطار حيث ان الخطر
قد زال عن الجميع فنرجو اعطاء هذا
همتكم والله يحفظكم " "

ررني ١ / ١ / ١٣٧٥

رئيس مالية ابدا

شيع
صورة مع التحية لمقام الوزارة
صورة للمستودعات

ملحق رقم (٣)

مجموعة وثائق تخص مجال التعليم والتعلم في جنوب المملكة العربية السعودية وبخاصة منطقة عسير من الخمسينيات إلى ثمانينات القرن الهجري الماضي (العشرين الميلادي).

يوجد منها نسخ ضمن الوثائق العامة في مكتبة
د. غيثان بن جريس العلمية.

تابع ملحق رقم (٣)

٣٧

٣٤
١٤٠٠

عدد
١٧٤١
سعودي
قرش

مصاريفنا سبسية بموجب البيان رقم ١	٥٦١٤
،، ادوات مدرسية وكتب دراسية بموجب البيان رقم ٢	١٤٥٩
	<hr/>
	٧٠٧٣

حضرة صاحب العالي وزير المالية الجبليلة الاخ فخم

بعد التحية بوابا على مذكرة رقم ٦٥٣٣ وتاريخ ٣٥٥/١٠/٢١ ابعث اليكم مرفقا بهذا
بيان بمصاريفنا لتأسيس لمدرسة ابها وكتب وادوات دراسية وقد بلغ مجموع ذلك سبعة
الاف وثلاثة وسبعين قرنا سعودي وقد علمنا ان جميع الادوات اللت سبسية يمكن ايتياها
من ابها ما هذا الكرامى والمعاريف والا يريق فلا يوجد منها شئ هناك وكذلك الكتب
والادوات الدراسية فيبتاع هذا كله من العاصمة فارجو اصدار امركم بما يلزم لتهيئة الطلبات
المذكورة والا امر بتسهيل سفر الموظفين الى المدرسة المذكورة في الوقت الذى ترونه واقبلوا
فاتقوا الاحترام - حررني ٣٥٥/١٠/٢٢ مدير المعارف العام

تابع ملحق رقم (٣)

٣٨



٤٧
١٤١٢ هـ

عدد
١٧٤٤

الا فخم

حضرة صاحب العالي وزير المالية الجليلة

بعد النخبة والا كرام بما ان الموثقين العيين لدرسة ابها يطلبون صرف راتب شهر واحد لينتموا من ابتيا ع ما يلزم لهم للسفر الى مقر عملهم وحاجتهم الشديدة تدعوهم الى اجابتهم الى ذلك ارجو من معاليكم الامر بصرف راتب شهر لهم ليستعدوا للسفر في الوقت الذي يرغبون وتفضلوا بقبول فائق الاحترام حرر في ٢٣ / ١٠ / ٢٠٠٥

مدير المعارف العام

تابع ملحق رقم (٣)

٣٩

٣٩

٣٩

٣٩
٣٩ / ١٤٤٤

٣٩
٣٩

الافخم

حضرة صاحب العالي وزير المالية الجبليلة

بعد النجبة ان الادوات المدرسية العائدة لمدرسة ابهل والعائدة للموظفين لم يتمكنوا لاساغة
حطها معهم وهما عبارة عن سبعة طرود فارجو اصدار امرم الكريم على من يلزم بشد ها الى
ابها لنسلم للمدرسة واقبلوا فابق الاحترام حرر في ٢٨ / ١٠ / ٣٥٥ مدير المعارف العام

تابع ملحوظ رقم (٣)

٤٠

٢٢

٤٨
١٤١٠

عدد

١٨٠٩

حضرة صاحب العالي وزير المالية الجليل

بعد التحيّة والافتّاح بناءً على مذكرة هاليكم رقم ٦٦٨٤ وتاريخ ٢٦/١٠/٢٠٠٥ بابتّاع
 الادوات الدراسية لعمدة ابها قد ابقتنا ذلك بموجب خمس سندات مرفقة بهذا وقد بلغ
 مجرّع ما صرف على ذلك مبلغ قدره الفوسثمائة وخمسة وخمسون قرشاً امبريا وعندكم بارات
 فارجو الفضل بتسديد هذا المبلغ للمعارف وتفضلوا بقبول فائق الاحترام في ٢/١١/٢٠٠٥
 مدير المعارف العام



تابع ملحق رقم (٣)

٤١



ملحق
رقم ١٤٢، ج ٤

عدد
١٨٤٩

حضرة صاحب المعالي وزير المالية الجليلية
الا فخم
بعد النجبة والاكرام - كنا رخصنا لمعاليتكم بمذكرة رقم ١٨٠٩ وتاريخ ٢٥٥/١١/٧ بالبلغ
المنصرف على الكتب الادوات المدرسية واللوازم الموجودة بمكة لمدرسة ابها قد جازت برفقة
من مدير المدرسة المذكورة يطلب فيها الاوراق لمالية ابها بصرف الباقي من مبلغ المصاريف -
التأسيسية وقدره (٥٢٠٠) قرشنا اميريا فارجو التفضل بالاوراق لمالية ابها بصرف المبلغ المذكور
لحاجة المدرسة الشديدة الى اللوازم الاولية واقبلوا فائق الاحترام في ٢٥٥/١١/١٣
مدير المعارف العام

تابع ملحقات رقم (٣)



حضرة صاحب العالي وزير المالية الجليلية الاخفم

بعد النجبة - اشرف ان اكتب الى معاليكم انه قد سبق ان وضحنا لمعاليكم برقم ١٢٢١ وتاريخ ٣٥٥/١٠/١٢ المبلغ المقرر لمصاريف التأسيس لدرسة ابها. وقيمة كتبته لدراسة ومجموع ذلك مبلغ (سبعة الاف وثلاثة ربيعين قرشا اميريا) وبناء على مذكرة معاليكم رقم ٦٦٨٤ وتاريخ ٣٥٥/١٠/٢٦ باقتناع الادوات الدراسية من قبل المعارف وتحدد بم البيانات بها قد ابعتنا ذلك بمبلغ (١٦٥٥) قرشا اميريا وقرشا اميريا رات بموجب خمسة سندات رفعناها لمعاليكم برقم ١٨٠٩ وتاريخ ٣٥٥/١١/٧ لتسديد هذا المبلغ للمعارف ثم الامر بصرف المبلغ الباقي من من مصاريف التأسيس للمدرسة ابها لمباشرة ابتعا ما يلزم من طرفه لتكلفة المطلوب لهذه المصاريف فارجو الامر بتسديد المبلغ الذي اصرفته المعارف على الادوات ثم الامر برفقها الى مالية ابها ايضا بتكلفة صرف مقرر المصاريف التأسيسية لان المدرسة هنا كخلو من كل شيء حتى الحصر اللازم واقبلوا فائق الاحترام حرر في ٣٥٥/١٢/٢٠ مدير المعارف العام

تابع ملحق رقم (٣)

١٤٣

٤٣

٧١ ص
١٤٣ هـ
١٩ ج

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الفاضل مدير مدرسة ابي عبد المالك عبد القادر الطرابلسي دام محترم

بعد السلام اعرضه لفضلكم انكم ضابطون في شانه الوظيفة المنولة لديكم وعليه فاني ارجو
في ذلك واشرف بخدمة العلم والعلم واساساً فاني ارجو في ذلك سوي ذلك سجدوني بحول الله موافق
لأصل وحينما يصدر تعييني مجد رستم رسمياً ابا ستر العمل وفق امر الله ثم اكرم الله بحفظكم

٥٧/٧/٩

المعلم
عبد الرحمن بن محمد الأعرج

تابع ملحق رقم (٣)

جدول ديوان المدرسين عن نصف مائة شهر رمضان ١٤٨٢ شوال ١٢٩٥

٤٤

نصف مائة شهر رمضان ١٢٩٥

٥٧

١٢٩٥

١٦

١٠	معلم المدرس	ناظر في الحج	
١٠	معلم ناخب	معلم في الحج	
٥	معلم ثالث	معلم في الحج	
١٠	الديوان المدرس	معلم في الحج	
١٠	الرواية	معلم في الحج	

المدرسة مدرسية المحاسبة

لقد قفد وحظا بقية على ما تبين

١٢٩٥ شوال ١٢٩٥

مدرسة المحاسبة

تتم القم مديريها

بوجهه لم قد تدقق جدول رواتب مطبقة المدرسين ودرهم ووقف لست فيه زيد بن نصف راتبهم

لست رمضان ١٢٩٥

لكنهم أمي الصدوق

اعتدوا حرفي بنفي راتب موظفين المدرسة شوال رمضان

١٢٩٥

مدرسة المحاسبة

تابع ملحق رقم (٣)

٥٨٤

١٦٢٢ ج ١٦

٤٥

١١١١

جدول رواتب موظفي مديرية الامن العام في تاريخ ١٤٢٢

الاسماء	بيانات الوظيفة	تاريخ الترقية	الرتبة
١- عبد الرحيم الوداد	مدير	٥٥٠	١٠٠
٢- عبد المالك الطاهر	مدير	٥٥٠	١٠٠
٣- محمد اسحاق	مدير	٥٥٠	١٠٠
٤- محمد ختم	مدير	٥٥٠	١٠٠
٥- عبد الله السيف	مدير	٥٥٠	١٠٠
٦- محمد زكريا	مدير	٥٥٠	١٠٠

مدير المديرية العامة
للتحريات

١٤٢٢

مدير المديرية العامة

للتحريات

لدى المديرية العامة على قيد الاساس وجده موافقا و متحققا باتباع الشرائع المعمول بها

١٤٢٢

١٤٢٢

تابع ملحق رقم (٣)

~~٤٧~~
٥٩ ص
١٦٤٢ هـ - ١٦

~~٤٧~~
٤٧

مدول راتب موظفي مدرسة الإتحاف في شهر ربيع الثاني ١٤٥٦

١	اسماء	وظيفة	الراتب	ملاحظات
٢	عبدالله الطريري	معلم بالمد	٢٢٠	
٣	محمد علي نوي	معلم بالمد	٢٢٠	
٤	عبدالله تفضل	معلم بالمد	٢٥٠	
٥	محمدة محمد	معلمة بالمد	٢٥٠	

٧٧. فقط سبعة من المعلمين في المدرسة

ريال هري		
ريال هري	٥٠	
٥٠		
١٠٠		
١٠٠		
٥٠		
٥٠		
٥٠		
٢٠٠		
٣٠٠		

ش،

تابع ملحق رقم (٣)

٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٤
١٤٢٥
١٤٢٥

ابنه الفه محاسبه
٧
٩/٩١٩

المكرم مندوب المالىه - محمد طلعت

تحية : نحيل اليكم رفق هذا خطاب رئيس ديوان المستودعات رقم ٤٠٩ في ٣ / ٢٤ / ٢٧٥
المتضمن انه بمطالعة محظر الدور والتسليم المجرى بين معتمد المعارف الجديد -
والمعتمد السابق اتضح عدم شمولها لمطابقة ما ادرج فيها على القيود الرسميه
فيقتضي اعتماد الاتصال بمعتمديه المعارف هنا ومطابقة قيودها على المحاضر
المرفقة وافادتنا ٥٠ مكمل العلم اننا قد احطنا المعتمد بابها بصورة من هذا للاخطا
والاعتماد ودمتم حرر في ٥ / ٤ / ٢٧٥ هـ

رئيس مالىة ابها

عز

مع التحية لمعتمد المعارف بابها - للاخطا
للمستودعات - للمحاسبه بالاساس ٤٠٩ اعلاه

تابع ملحق رقم (٣)

الرقم ٥٢

٤٢٨٥

١٩٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم ٤٥٤٦/٨/٨٠

التاريخ ٤/٨/٨٠

المشروعات ٣

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف

مديرية التعليم بمنطقة
ابها

الفاضل مدير مدرسة خميس مشيط الاستاذ ابراهيم محمد فاضل المحترم

بعد التحية ،

نشير الى خطابكم رقم ٢٣١ في ٢٦/١٠/٨٤ هـ العرفق

به محضر اجتماع الهيئة الادارية وهيئة التدريس المعقود لدراسة الاحوال
التنظيمية بمدرستكم بغية الوصول بها الى المستوى المطلوب .

ونشعركم تقديرا لهذه الخطوة التربوية الادارية الناجحة ونرجو
لكم مزيدا من التوفيق ، كما اننا سنلبي دعوتكم لمتابعة تنفيذ ما قررتموه .

ودمت

المدير
مدير التعليم بمنطقة ابها

١٥/٨

١١/٨

تابع ملحق رقم (٣)

٥٣

٤٤٨

١٩٤٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

نعم قد أعطينا عوض بن هيف بن موسى هذه الورقة والشهادة
بأنه قد قام بما قرره الشيخ القرعاوي من مدارس وأن الرجل
المعروف عوض بن هيف بن موسى قد أدّش (عيال قرية أسرة
وعيال قرية الدرب وعيال قرية آل الفرح والهدم من فوق
سبع وعشرون شهرا) مع العلم بأن الشيخ القرعاوي قد أعطى
المعروف عوض بن هيف بن موسى جزأ منه إرث حق موقوفه وهو فقط
فقد أعطيناه هذه الشهادة العترة بموجب عملنا صاكن لواب
الشيخ القزاي الذي قام المذكور بتدريس أبنائنا
ولجب الوفاء

شهد به
أعيان قرية الدرب
عبد بن يحيى وعلي بن عيسى

شهد به
نائب قرية آل الفرح
محمد بن علي بن ضياء
وجبرانه بن علي

شهد به
نائب قرية أسرة
عمار بن طاهر بن سيف

الحمد لله

ما ذكرنا إليه فعلا صحيح وإنه المذكور عوض بن هيف بن موسى مجتهد في أماله وفعله
الطلبة الذين درسوا عنده ونها ناهجهم في العلم

١٣٠٥ - ١٣٠٦ هـ

٧٨٨

١٣٠٥ - ١٣٠٦ هـ

ملحق رقم (٤)

تزكية جماعية ، ومدونة فردية توثق لمحات من سيرة وتاريخ بعض أعلام السروات الذين قضوا جزء كبير من حياتهم العلمية في منطقة عسيرة وخاصة مدينة أبها منذ منتصف القرن الماضي (١٤هـ / ٢٠م) إلى هذا القرن (١٥هـ / ٢٠ - ٢١م) .

يوجد منها نسخة ضمن الوثائق العامة في مكتبة
د. غيثان بن جريس العلمية.

بقية التواقيع على الصفحه التاليه

تابع ملحق رقم (٤)

سعادة الأخ الدكتور / غيثان بن علي بن جريس سلمه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد
٨ ٢٢٢٠
١٤٣١/١١/٤ هـ - المتضمن اعترافكم
إصدار كتاب بعنوان (من رموز الحياة الثقافية والعلمية والفكرية في
جنوب البلاد السعودية) .

ويكون الجزء الأول عن الأساتذة علي علوان أحمد مطاعن وحسين
الأشول . يسرني إفادتكم بما أعرفه أو سمعته عن المذكورين وبصفة
إجمالية راجياً لكم العون والمثوبة ودمتم ،،،،،

مخلصكم

محمد عائض بن سرحان

أبها - ت / ٠٥٠٥٧٥٣٧٢٨

١١٥ / ١٤٣٤ هـ

ملحوظ

استلمت هذه المذكرة

من صاحبها في

١/٨ / ١٤٣٤ هـ

رأى المعرفه

تاريخ هذه المذكرة

مطلع الشهر الثاني

هذه المذكرة (١٥/١٠/١٤٣٤م)

تم الاستفادة منها

هذه المذكرة (١٤٦/١٠/١٤٣٤م)

٠٢ ر. ح. ح. ح.

١١٨ / ١٤٣٤ هـ

مكتبة
مكتبة
مكتبة

تابع ملحق رقم (٤)

- ١ -

٩٥
٢٠٢٠
٢٠٢٠

(٥٦)

أقول تسألني عن ثلاثة يعتبرون من أساتذة الجيل وهم علي علوان عبد الله عبد الرحمن بالبنان إذ كل واحد منهم يعتبر مدرسة مستقلة في علمه وثقافته واستقامته وأخلاقياته وفكره وعصاميته الفذة ولقد سمعنا أن كل واحد منهم شق طريقه إلى العليا في ظروف جد صعبة وحياة قاسية مريرة ولا أكتفك أن معلوماتي في معظمها تعتمد على السماع .
وأبدأ أولاً بالمرحوم بإذن الله (علي علوان) كنت أسمع أنه كان له ولع كبير بالاطلاع والقراءة ومن الغريب قولهم أنه كان لا يكاد ينتهي من كتاب إلا وقد حفظه أو كثيراً منه وبالأخص كتب الأدب شعراً أو نثراً وفي كتب السيرة والاجتماعيات هذا كله ساعده وكون لديه ثروة لغوية وثقافية واسعة رغم أنه لم يدرس في معهد ولا جامعة . وقد كان موظفاً مرموقاً ذو شخصية قوية يفرض احترامه على الآخرين حسن منطقه وثقافته الواسعة ودرايته وحكته وقد نبأ مراكز قيادية حكومية متقدمة كان بها موضع احترام من رؤسائه ومروسيه كان عاقلاً يحافظ على احترام نفسه وسمعته ومكانته .

عرفته في آخر حياته وجلست معه مرة أو مرتين فوجدت أن الصفات المار ذكرها هي أقل ما يوصف به مع تواضع جم ولطف وحُب للآخرين ورغبة في التعرف والاقتراب منهم وعرفت بشكل قاطع أن ما كان يظن البعض أنه ضرب من التعالي عند المذكور ما هو إلا من قبيل سوء فهم لهذه الشخصية الطيبة . عرفته أنيقاً في مظهره العام يهتم كثيراً بملبسه وباختيار الألوان وكان يميل عقاله إلى جهة اليسار مما يزيد في أناقته رغم أن البعض يحسب أنها نوع من التعالي لكنها طبيعة استمر عليها حتى مات .

سمعت أنه كان له تعاون في إنشاء نادي ألبها الرياضي الثقافي قبل سنين عاماً هو ومجموعة من الشباب كما سمعت ومنهم أحمد مطاعن

خطه
المكتوب

أرشدان براهيم
٥٠٧٢٣٧٠٤
أستاذة شاعرية جادة

تابع ملحق رقم (٤)

— ٢ —

المجلس
٢٠١٤
٢٠١٤

٥٧

والمرحوم بإذن الله طيب الذكر الفريق يحيى
لا أعرفهم وقد استمر هذا النادي مدة من الزمن رغم ما كان يحيط به
من ضغوط ونظرات تذهب في بعض الأحيان إلى سوء الظن شأن أي
شيء جديد أو منطلق حديث وكان بالنادي مكتبه قيمة من تبرعات
الأعضاء ومنسوبي هذا النادي بها مجموعة من الكتب النادرة تتلمذ
عليها كثير من الشباب ذلك الوقت .

ومنذ أكثر من خمسين عاماً انتخب علي علوان أول رئيس لمجلس
البلدي في أبها في وقت لم تكن تعرف المجالس البلدية في كثير من
المدن — وكان الانتخاب يجرى بطريقة متميزة لم يسبق لها مثيل —
لكن هذا المجلس لم يكتب له البقاء طويلاً !!!! .

كنا ومنذ زمن طويل نقرأ له مقالات في الصحف المحلية (البلاد —
النودة) تتم عن وعي ونظرة بعيدة وأفكار نيرة . لا زلت أتذكر قوله
في إحدى الصحف كفكرة لو أن وكالة البلديات . (وكانت البلديات آنذاك
تابعة لوكالة البلديات التابعة لوزارة الداخلية) لو أنها تعتمد لأبها
وضواحيها عشرة ملايين ريال على مدى عشر سنوات كخطة عشرية
قال أنه يراهن على أن هذه المبلغ يعني العشرة ملايين لو اعتمدت
وصرفت في الأوجه الصحيحة كفيلة بأن تجعل من أبها وضواحيها جنة
يأتي إليها الناس من كل مكان هذا الكلام قاله المرحوم منذ ستين عاماً
قبل أن تعرف الخطط الخمسية والعشرية كان المرحوم له تطلعات
وطموحات غير محدودة وكان ينظر إلى المستقبل بتفاؤل كبير يدفعه إلى
ذلك حبه للوطن .

كان له كما سمعنا إسهام في النادي الأدبي الحالي وكان عضواً فاعلاً
فيه وكان له الفضل في الإشراف على طباعة كتاب (التعريف في
الأنساب والتنويه لذوي الأحساب) تأليف (محمد أحمد إبراهيم الأشعري)

حفظه الله
المجلس

مجلس بلدية أبها
٥٠٧٧٩٧٠٤
أبها
السلطنة

تابع ملحق رقم (٤)

- ٧ -

(الناشر نادي أبها الأدبي عام ١٤٠٩ هـ) وقد أبلى بلاغاً حسناً حتى أخرجته للوجود يتضح ذلك مما ذكره في أول كتاب تحت عنوان ملحق رقم ١٤٠٩ التقديم والكتاب مرجع قيم وسفر يحتوي على معلومات جمة في الأتساب ولا يكاد المرء يقرأ في هذا الكتاب إلا دفعته الرغبة في الاسترسال - دعواتنا للمذكور بالرحمة والمغفرة .

(٥٨)

احمد مطاعن

اما شيخ الشباب . الأديب - الشاعر / أحمد بن إبراهيم مطاعن فقد سمعت بأنه بدأ أيام صباه جمالاً مفتول العضلات يزرع البلاد شرقاً وغرباً وبالأخص بين أبها . ورجال ألمع والمخلاف السليماني . ويسعى ليل نهار طلباً للعيش الكريم . أكسبه ذلك قوة وحيوية وقدرة وصبراً على الشدائد وليمهد بذلك لحياة أجمل وأرقى لا أدري عن بداية تعليمه لكنني عرفته مثقفاً ملماً بأطراف المعرفة يحدثك حديث الأستاذ المتبحر في كل فن من فنون الثقافة فلا تكاد تفتح معه موضوعاً إلا وتجدده قد أبحر بك في أغواره وأطلعك على أسراره - وهو إنسان بسيط جداً تتحدث إليه فيسمعك إلى آخر ما تقوله رغم أنه يعرف الموضوع لكنه لا يقاطئك عملاً بأداب الحديث وهو شاعر مطبوع له قصائد جيدة في الوطنية . والثناء . والمدح . ولا تمل حديثه وهو يحدثك عن الماضي بما فيه من عقب وأحداث جميله وصور بديعة وما فيه من مفارقات واقتران تلك الأحداث بشخصيات كان لها وزنها ومكانتها في المجتمع . عرفت شخصيته على حقيقتها بعد أن جمعنا ملتقى الرواد وهو المكان الذي يضم نخبة ممن أحيلوا على المعاش من رؤساء إدارات سابقين وعسكريين وأساتذة جيل (ملتقى الرواد الذي استحدثه رئيس نادي أبها السابق الأستاذ / محمد بن حميد وهو ولا شك حسنة تضاف إلى حسنات الأستاذ بم حميد الكبيرة والكثيرة وقد بارك هذه الخطوة صاحب

حفظه الله والمسلمين

مكتبة محمد بن عبد الله
٥٠٧٧٩٧٠٤
أبها
١٤٠٩

تابع ملحق رقم (٤)

١٢٤
٤٠١٢
٤٠٥

السمو الملكي الأمير / خالد الفيصل أمير منطقة عسير (سابقاً) مدير
على الرواد بطاقات العضوية في حفل بهيج توجه سموه بالإشادة بهذه
الفئة من المواطنين التي خدمت في ظروف صعبة وأدت الأمانة على
خير وجه .

أقول عرفت أحمد مطاعن فزادتنى تلك المعرفة تأكيداً على ما كنت
أسمع عن شخصيته من نجاحات تمثلت في تفوقه في عمله الإداري في
الإدارات الحكومية التي عمل بها رئيساً ومروئساً وكان موضع احترام
وتميز لما كان يتمتع به من شخصية محبوبة وإخلاصه وثقافته .

ثم لما رُشح رئيساً لبلدية أبها وما عرف عنه من نزاهة وكفء في
الناس وهم شهود الله في أرضه يجمعون على أنه وبالرغم من أن البلد
في ذلك الوقت بكاراً وبها أراضي بيضاء كثيرة وفي أماكن حساسة
مغرية وهناك عشرات المخططات التي لا بد أن تعرض عليه ويستطيع
إقرارها أو رفضها وكان يُمكن أن يخرج من هذا العمل بحصيلة كبيرة
بطريقة أو بأخرى أقول يكفي أن المذكور وبعد أن خدم مدة مناسبة في
البلدية خرج منها مثل ما دخلها فقير الجيب غني النفس مرفوع الرأس
ثم كان أحد مؤسسي نادي أبها الأدبي الحالي وبذل مع زملائه جهوداً
مضنية حتى أوصلوه إلى مكانة مرموقة واحتل الأولوية بين نوادي
المملكة واحتكرها مدة طويلة ولا زال النادي يسير وفق ما رسموه .
ولاشك أن هذا النادي الذي حصل على شهادات تقديرية كثيرة وحاضر
به كثير من العلماء والمفكرين والمثقفين من الداخل والخارج وطبع
ونشر بمعرفته كثير من الكتب والنشرات والدوريات والمجلات كان ولا
يزال له دور في صقل مواهب شابه من أبناء وبنات هذه المنطقة
وبرزت هذه المواهب إلى الوجود من خلاله .

التوقيع

محمد بن أحمد



تابع ملحق رقم (٤)

— ⑤ —

ولالأستاذ / أحمد مطاعن مكانته بين أفراد قبيلته التي لم يبعده عنها
شغل فهو في مقدمة من يحافظ على العادات والتقاليد الحميدة وله
أرائه الصائبة فيما يعود من نفع على البلدة ورفيها ودائماً مانراه في
مقدمة مستقبل ضيوف بلدتة ومسقط رأسه (رجال ألمع) .

وله حفظه الله ولع بالشعر الشعبي المحلي فهو يحفظ كثيراً منه ويردده في الجلسات الأخوية ولا يزال أمد الله في عمره متفاعلاً بادي النشاط محباً للاطلاع كثير التردد على مكتبته الخاصة في داره العامرة وقد ملئت بالكتب القيمة التي لا يستغنى عنها أي باحث أو مُحِب للاطلاع .
وكانى به يردد مع طرفة بن العبد قوله .

لعمرك ما الأيام إلا مفازة
فما اسطعت من معروفها فتزود
مهما أقول أعجز أن أوفي هذا الرجل حقه ويعذرني إذا أغفلت الكثير
من حسناته . وأنتي دائماً أدعوا له بحُسن الختام وأن يجعل ما قدمه
ويقدمه في ميزان حسناته آمين .

محمد عارف
(110/1550)

دینا دینا دینا

اولاً عن انشاء



מחזורי

تابع ملحق رقم (٤)

حسين ظافر الأشول

عرفت هذا الشخص قبل أن أراه إذا سمعت عن نكاته وأفعاله وروحه الوثابة التي جعلته بتقلب من عمل إلى آخر وفي مدة قصيرة وبجهد ذاتي محض تعلم اللغة الانجليزية وأتقنها وعمل مترجماً في شركة الزيت العربية . ثم تقلب في مراكز حكومية وكان محل اهتمام واحترام رؤسائه ومروسيه .

له ولع بالقراءة والاطلاع على كل جديد . كان بكاتب الصحف في المملكة وبالذات جريدة الجزيرة التي تربطه علاقة صداقة بمؤسسيها آنذاك المرحوم / حمد الجاسر . ونشرت لحسين مقالات في مواضيع مختلفة تتسم بالنظرة البعيدة والتطلعات المستقبلية . وبالفكر النير . تشرفت بمعرفة الأستاذ / حسين الأشول . في منتدى الرواد فعرفت في الرجل صفات نادرة .. علو نفس وترفع عن الصغائر وصراحة وشفافية متناهية لا يقبل الغلط حينما تحدثه تلمس الصدق العفوي في حديثه لا يجامل ولا ينافق — يكره الحداثيين ويحاربهم بكل وضوح وصراحة في كل زمان ومكان ويرد دائماً على ترهاتهم بما أوتي من قوة وخلفية ثقافية

وقد أسهم بجهد كبير فيما وصل إليه نادي أبها الأدبي من تقدم وحينما كان أحد منسوبيه وعمل بجهد متميز مع زملائه حتى وصل النادي إلى مقدمة نوادي المملكة وحصل هذا النادي على جوائز وشهادات الأولوية كان لا يزال حفظه الله حريصاً على حضور المناسبات الثقافية وله مداخلاته التي تتم عن ذكاء وفهم واستيعاب لما يسمع وهو يسارع في اقتناء كل جديد مما ينشر بل يعتمد في كثير من الأحيان إلى شراء الجديد على حسابه الخاص وتوزيعه على زملائه أعضاء المنتدى

كتبه محمد أمجد المثلث
٢٠١٩ / ١١ / ١٨

تابع ملحق رقم (٤)

- ٧ -

وبالرغم من أنه شارف على التسعين إلا أنه أمد الله في عمره يبدو

متجدد النشاط (اللهم لا حسد) .

دائم الحركة يطبق القول المأثور :

اعمل لدينك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً

لا تلمح على وجهه الغيظ دائم الابتسام يصغى إليك وأنت تحدثه حتى ٢٠

تنتهي من حديثك دون مقاطعة حتى لو كان يعرف ما تقوله تمسكاً منه

بأدب الحديث .

٦٤

رجل كما عرفته مُحسن يُحب الصدقة له إنفاق متعدد الأوجه في سبيل

الخير ومن غير منة أو تظاهر أو رياء .

له اهتمام كبير كما رأيت بأصدقائه القدامى وذويهم وهو دائم السؤال

عنهم ومشاركتهم في أفراحهم وأتراحهم ويحرص على المناسبات التي

يدعى إليها وبالأخص دعوات الزواج ومساعدة المتزوجين وكذلك

مناسبات العزاء ومواساة المحزونين .

هذا ما استطعت أن أسجله عن المذكور .

وفي العموم فالثلاثة أعني / المرحوم علي علوان وأحمد مطاعن

وحسين الأشول أمد الله في عمريهما قد يختلفون في أشياء كثيرة لكنهم

يجمعون على شيء واحد وهو حُب الوطن — وكأن ثلاثتهم يشتركون

مع المرحوم بإذن الله / غازي القصيبي في قوله :

ويا بلداً نذرت العمر زهرته لعزها عشت أني حان إبحاري

تركت بين رمال البيد أغنيتي وعند شاطئك المسحور أسماري

إن سائلوك فقولني لم أبع قلبي ولم أدنس بسوق الزيف أفكاري

وبعد تحية من عند الله مباركة طيبة لك يا غيثان ولمن سألت عنهم

الذين أشعر بالخلج وبالتقصير لأنني لم أستطع أن أوفي كل منهم حقه .

فمعدرة . وشكراً

حفظه الله
١١/١٠/٢٠١٥
عبدالله بن محمد

ملحق رقم (٥)

رسائل ومدونات متبادلة بين غيثان بن جريس وبعض الأساتذة القراء والباحثين حول موضوعات ثقافية وعلمية مختلفة خلال العامين الأخيرين (١٤٤٥ - ١٤٤٦ هـ / ٢٠٢٣ - ٢٠٢٤ م). ومعظمها وصلتني عن طريق (الإيميل أو الواتس أب) .

يوجد منها نسخة ضمن الأوراق الخاصة في مكتبة
د. غيثان بن جريس العلمية.

تابع ملحق رقم (٥)

King Khalid University
Prof. Ghithan Ali Jrais
Department of History
College of Human Sciences

٦٤

٦٣

جامعة الملك خالد
أ.د. غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ
كلية العلوم الإنسانية

Date _____

١٧/١١/١٤٤٥ هـ التاريخ

الأخ العزيز اللواء خالد بن شائع عسيري المحور
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد
اسلم لكم هذا الخطاب وأهديكم السلام، وأرسل برفقة
عشر نسخ من: موسوعة القول المكتوب في تاريخ
الجنوب، الأجزاء (١٨ - ٢٩) هدية لكم
ولزملائكم وأخوانكم في فئتي الفاضل الأديب
بأبي. أرجو تفضلوا مع من يرى ليعتني
بها، وأرجو أن لا تنسوا دعوة صالحة
صداقة وشكر أ
الميرل محبكم
غيثان بن جريس



تابع ملحق رقم (٥)

King Khalid University
Prof. Ghithan Ali Jrais
Department of History
College of Human Sciences

٦٤

جامعة الملك خالد
أ.د. غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ
كلية العلوم الإنسانية

Date _____

التاريخ ١١/١٧/١٤٤٥ هـ

الكتب الكهنية المرسلة إلى منسرى نادى
أبى الأديب عبد طريف اللواتي حاله بنى شاع
يوم السبت (١١/١٧/١٤٤٥ هـ الموافق ٢٠٢٤/٥/٢٠)

١- الجزء (١٨)، كرتون واحد، عدد (١٠) نسخ

٢- الأجزاء (١٩-٢٣) (٥) كرتون عدد (١٠) نسخ

٣- الأجزاء (٢٤-٢٩)، عشرة كرتون، عدد (١٠) نسخ

٤- كرتون واحد، عشر نسخ، من كتاب منظم بجزان، بجز الثاني:

أرجواه للتسليم محلياً مع دعوة

صاكة صادقة والسلام

المسل
غيثان بن جريس
١١/١٧/١٤٤٥ هـ



المملكة العربية السعودية - أبها - P.O. Box 9050 - Mobile 0503739370
Kingdom of Saudi Arabia - Abha - P.O. Box 9050 - Mobile 0503739370
E-mail: jraisali1@kku.edu.sa E-mail: jrais2009@hotmail.com

تابع ملحق رقم (٥)

King Khalid University
Prof. Ghithan Ali Jrais
Department of History
College of Human Sciences

٦٥

جامعة الملك خالد
أ.د. غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ
كلية العلوم الإنسانية

Date _____

التاريخ ١٧/١١/١٤٤٥ هـ

أحبابي وأخوتي السادة أبناء الولد الغالي الأستاذ
القدير محمد بن عبد الله بن حميد حفظكم الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد
إسل لكم هذا الخطاب وأهديكم سلامي وبرفقتي (٢٠) نسخة
من: موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الأجزاء
(١٨-٢٩)، وهي هدية لضيوفكم في تلوينته والذكر - غفر الله
له - أرجو توزيعه على من يستفيد منه، ولا تنسوا مجيئي به
دعوة صالحة. وأني أله الله لنا جميعاً صلاح وقبول الأقوال
والأعمال ... والسلام
الموسد محبكم
غيثان بن علي بن جريس
ملاحظ:
انظر المرفقة المرفقة
شكر أ

تابع ملحق رقم (٥)

King Khalid University
Prof. Ghithan Ali Jrais
Department of History
College of Human Sciences

٦٦

جامعة الملك خالد
أ.د. غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ
كلية العلوم الإنسانية

Date _____

التاريخ ١٧/١١/١٤٤٥ هـ

الكتب الكهنية المرسلة إلى تلوثية
الأستاذ محمد بن عبد الله بن حميد يوم السبت
(١٧/١١/١٤٤٥ هـ الموافق ٢٥/٥/٢٠٢٤ م)

١- الجزء (١٨) (٢) كرتون عدد (٢٠) نسخة

٢- الأجزاء (١٩-٢٣) عشرة كرتون عدد (٢٠) نسخة

٣- الأجزاء (٢٤-٢٩) عشرة كرتون عدد (٢٠) نسخة

وسأل الله صلاح وقبول الأقوال والأعمال
كما سأل - عز وجل - التوفيق والسداد
وكتبه

غيثان بن جريس
١٧/١١/١٤٤٥ هـ



المملكة العربية السعودية - أبها - ص. ب. ٩٠٥٠ - جوال ٠٥٠٣٧٣٩٣٧٠

Kingdom of Saudi Arabia - Abha - P.O. Box 9050 - Mobile 0503739370

E-mail:jraisali1@kku.edu.sa

E-mail:jrais2009@hotmail.com

تابع ملحق رقم (٥)

العدد (١٨/١١/١٤٤٥ هـ)
(٥/٢٦/١٤٠٤ م)

(٦٧)

بسم الرحمن الرحيم

سعادة الأخ العزيز الأستاذ الدكتور

نميان بن علي بن جريس لله به

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :
وبداية فأسأل الله العليّ القدير أن يحسن عليك لباس
الصحة والعافية يا حبيبنا أبا البراء .

وأشكر لسعادتك بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن
أشقائي وأسرّة آل حميد كافة تكميمكم بالهدايا
تلك الكنوز الثمينة من مؤلفاتك القيمة التي تغني
عن غيرها ، ولديني غيرة عنها فيما ليصل بداري ناطق
بلدنا الحبيب المملكة العربية السعودية .

رسوف لنقوم بتوزيعها - بمشيئة الله - في تلوينتنا
القادمة يوم الثلاثاء ١١/٢٧/١٤٤٥ هـ حسب ما أشرتم إليه
في خطابكم الكريم ، وكذلك في التلوينات التي تليها .
وقدما نكرمكم شكرنا الجزيل على مساهمكم بإصافة
نحو والدنا الحبيب محمد بن عبد الله الحميد - رحمه الله -

ونحو أفراد أسرته ، كما أننا لنقوم بإصافة
عن صدايك الغالية التي لها أثر في نفوسنا جميعاً
وتقبلوا منا طريقتي والله يحفظكم محبكم

محمد بن عبد الله بن محمد الحميد
المشرف العام على تلوينة الأوسيب
محمد بن عبد الله الحميد - رحمه الله -

العدد ١٨
١١

(١٨/١١/١٤٤٥ هـ)
و/مختار

تابع ملحق رقم (٥)

(٦٨)

سعادة الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس المحور

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أقول : " ما شاء الله تبارك الرحمن الرحيم د غيثان ، إنجاز يتبعه إنجاز ' وعمل وعلم يسطر بنور جهودكم المبرورة المباركة .
دكتورنا الفاضل: انت كما قال المتنبي:

من مبلغ الأعراب أني بعدها	جالست رسطاليس والإسكندرا
ومللت نحر عشارها فأضافني	من ينحر البدر النضار لمن قرى
وسمعت بطليموس دارس كتبه	متملكاً متبدياً متحضراً
ولقيت كل الفاضلين كأنما	رد الإله نفوسهم والأعصر
نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً	وأتى فذلك إذ أتيت مؤخراً

شكر الله سعيكم د غيثان 'ونفع بكم و بعلمكم ' وجعله نورا يمشي بين أيديكم ومن خلفكم 'دنيا وأخرى ' وزادكم من زوائد أفضاله . وشكراً على هديتكم من هذه الأسفار الثمينة، لاحرمك الله الصحة والأجر. إنه جواد كريم .

المرسل محبكم

د . حبيب بن حنش الزهراني
مكة المكرمة - جامعة أم القرى
التاريخ (١٦ / ٢ / ١٤٤٦هـ)

تم الاستلام
خ (١٧ / ٤ / ١٤٤٦)
د غيثان



تابع ملحق رقم (٥)

(٦٩)

سعادة الأخ الحبيب الكريم النبيل الدكتور/ عبدالله أبو عشي الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

أرسل هذه الرسالة إلى أخي المفضل عبدالله، وأسأل الله لي وله صلاح الأقوال والأعمال، واعلم يا حبيبنا أنه سبق أن طلبت منك مدونة - تفصيلية عن تاريخ دعوة الجاليات في أبها، وأنت علم ورائد في هذا المجال وتعرف الشيء الكثير في هذا الباب. أرجو من سعادتك أن تؤرخ للبدايات، وما هي الصعوبات التي واجهتموها في هذا الميدان، ثم كيف تأسست دعوة الجاليات في أبها وعسير، مع ذكر المنجزات التي تحققت من البداية إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م). وهذا الموضوع كبير ويكتب فيه كتب ورسائل جامعية، لكننا نسعى إلى توثيق بعض الشيء لعله يأتي بعدنا من يتولى دراسة علمية توثيقية تحليلية. جزاكم الله كل خير،

مرسل من محبكم
غيثان بن علي بن جريس
(١٩/صفر/١٤٤٦هـ)

١٩/٥/١٤٤٦



كتبه بنتم
مكتبة

١٩/٥/١٤٤٦

تابع ملحق رقم (٥)

٧٠

سعادة الأخ الحبيب الكريم الدكتور/ عبدالله بلقاسم البكري الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

أهديكم سلامي وأشكركم على تعاونكم معي في تدوين لمحات من تاريخ الأرض والناس. وقد وعدتني بتدوين بعض المعارف عن تاريخ الدعوة في سروات بني شهر وبني عمرو، وأعلم أنك تعرفت وسمعت وعاصرت جزئيات كثيرة في هذا المجال. وأرسل لكم هذه الرسالة من باب الود والمحبة، وأرجو أن تجتهد في توثيق ماتراه مفيداً ونافعاً للأبناء والأحفاد، وكلما عدت إلى الوراء فذلك أفضل وأشمل، ولا تنسى الإشارة إلى تاريخ دعوة الجاليات في هذه البلاد الجنوبية السعودية. وأعلم يا حبيبنا أن هذا الموضوع واسع ويستحق أن يكتب في كتاب أو رسالة علمية جامعية، لكننا نجتهد في توثيق الذي نقدر عليه، وآمل أن يظهر في قادم الأيام دارسين جادين يواصلون المسيرة فيكتبون دراسات علمية عميقة وجادة وتفصيلية. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

المرسل/ أخوكم

غيثان بن علي بن جريس

(١٩/صفر/١٤٤٦هـ)



١٤٤٦/٩/١٩

١٤٤٦/٩/١٩

تابع ملحق رقم (٥)

٧١

أخي العزيز الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أستاذنا ومؤرخنا الكبير السروي التهامي (المكي، الطائفي، الجازاني، النجراني)، نفع الله بك وبعلمك وبارك سعيك، لاشك أنه لا يحدد عملك التوثيقي ومجهودك المضني في جمع وتوثيق تاريخ منطقة عزيزة على قلوبنا جميعا ألا وهي السراة وتهامة، إلا جاحد، أو جاهل، ومع انشغالكم - أمدكم الله بالصحة والعافية - بتاريخ السراة وتهامة. وقد تناولتم تاريخ المخلاف السليماني ونجران، بجهد لا يقل عن جهدكم في توثيقات السراة وتهامة، فلكم منا جميعا جزيل الشكر والامتنان .
وتلبية لدعوتك فقد صدر لأخيك عن دار تكوين كتاب عنوانه (عاكفة جادة نجران)، وإذا حبيت أنسخ لك مقتطفات من هذا الكتاب بتصرف مني فعلت، وتقديراً لجهدك ولشخصك الكريم، وسأجتهد - إن شاء الله - للمشاركة بأي موضوع إن أمكن، وهذا ليس وعداً مني، ولكن سوف أحاول - بإذن الله - ونسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد. حفظكم الله دكتور غيثان وتقبل خالص تحياتي.

أخوكم/

محمد مانع آل الحارث اليامي
(الجمعة ١٩/صفر/١٤٤٦هـ)



مختم

حفظ هذا كتاب غيثان

كتبه د. الحارث

١٩/٥/١٤٤٦

تابع ملحق رقم (٥)

٧٢

سعادة الأخ الدكتور غيثان بن علي بن جريس . المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد:

أسعد الله أوقاتكم بكل خير يا أستاذنا الحبيب، وأعانكم الله على ما تبذلونه من جهد في خدمة تاريخ وحضارة الجنوب، بالنسبة لما تأمله من بعض الباحثين فكل الموجودين إخوانك وأولادك، ولا أعتقد ان هناك مناهل غير ما نهلت منه، فانت بارك الله فيك قد أتيت على معظم تاريخ الجنوب، وأعتقد ان الناس يأتون من بعدك في هذا المجال وبخاصة في القرون الإسلامية المبكرة والوسيطه وبدايات العصر الحديث، اما إذا كنت تبحث عن بعض الأحداث الحديثة والمعاصرة، والثقافات وما كان الناس عليه من المعاش والأحوال، وأسماء بعض الحرف والأماكن، والأدوات التي كانوا يحتاجونها، والعادات والأمثال والقصص والألغاز والحكم والفنون الشعبية فهذه يمكن الحصول عليها من بعض المعاصرين الموثوقين. هذا ما أرد به على رسالتكم الكريمة، ولك فائق احترامي أخي العزيز. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المرسل أخوكم

محمد بن حسن الجبيري الشهري - مدينة تبوك

(السبت ٢٠/٢/١٤٤٦هـ)

تم كلفه
رأس المرفعد/ محمد
٢٠/٢/١٤٤٦

تابع ملحق رقم (٥)

٧٣

سعادة الدكتور غيثان بن جريس الشهري **حفظه الله ورعاه**

أحييك بتحية الإسلام ، فأقول : السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

دكتورنا الفاضل والعزیز وصاحب العلم الوجيز، يا من سطر وبرع بخط يده عن تاريخ الجنوب جنوبنا العزيز، وأجتهد وجمع طيلة السنين، وتحمل المشقة والتعب، وقدم هذا الكم الفريد من الكتب والمعلومات التاريخية، من وثائق ومخطوطات وكتب، ونشر هذا العلم يطلب به وجه الله الكريم، لك مني ومن كل محب للتاريخ والعلم قبلة على جبينك، والشكر والتقدير والعرفان في كلماتنا لا توفي مقامك العالي، ولا توفيك حقك، ولكن حفرت أسمك من ماء الذهب، ومثلك يستحق التكريم والثناء والمدح .

دكتورنا العزيز مراسلكم أقل من باحث ومحب للتاريخ، وما وجدته لديك لم أجده في المكتبات العامة ولا الخاصة، واجتهدت سنين في البحث، لكي أحصل على المعلومات القيمة عن أحداث وتاريخ وقصص محافظتي محایل عسير، ولم اجد ما وجدته لديكم، كل ما أتمناه هو الحصول على صور من وثائق في المجلد رقم (٤٩) في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، ورغبتني وغاياتي الاطلاع والمعرفة التاريخية والثقافية، وليس لي أي غرض آخر - يشهد الله - آمل من الله ثم منك، أن لا تحرمنا من هذا الطلب، ومثلك عزيز قوم وعلم وقلم ، وجزاكم الله خير .

المرسل/ خالد عسيري

قارئ يريد تثقيف نفسه من محافظة محایل

بمنطقة عسير التاريخ (الاحد ٢١/ صفر/ ١٤٤٦هـ

الموافق ٢٥ / اغسطس/ ٢٠٢٤ م)

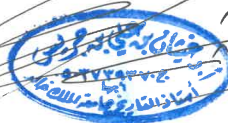
ملحوظة =

١٤٤٦

هذا الخطاب

بنا ١٤٤٦/٤/٢٥

د. غيثان



تابع ملحق رقم (٥)

٧٤

المحترم

الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد :

أستاذنا الدكتور غيثان أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يزيدك علماً ومكانة عند الله وعند خلقه، ويجزيك خير الجزاء، لما رأيناه واطلعنا عليه وعرفناه في حياتك العلمية والعملية في خدمة دينك ووطنك وحفظ التاريخ والحضارة والتراث.

أنا شخص من أبناء عمومك وافتخر بك، ولقد قرأت أكثر مؤلفاتك، وكانت قيمة وثرية جداً، وأنا إنسان شغوف بالتاريخ والموروث والأنساب، وأحب أن آخذ المعلومات من الثقات مثلك. وأخبركم أنني من قبيلة آل رزيق في جبل منعاء بمحافظة تنومة، وعندي بعض التساؤلات، ولم أجد لها جواباً، بحكم أنني صغير سن، ولم ألحق بالأجداد الذين كان عندهم معارف عن حياة الناس، وأرغب معرفة الآتي :

١- ما هو نسب قبيلة بني جببر وآل رزيق خاصة بالتفصيل؟

٢- ماهي أبرز معاركهم وقصصهم ؟

٣- ماهي صلة القرابة التي بين آل رزيق في منعاء وآل رزيق بالنماص؟

٤- متى كانت هجرتهم من النماص إلى منعاء؟ وماهي الأسباب والوقائع، وماذا تعرف عن معركة جبل منعاء بالتفصيل عندما كان يسكنه بعض بني سلامان ثم جاء الأجداد وأخذوا جزءاً كبيراً منه واستوطنوه؟

٥- هل هو صحيح أن الذي هاجر بآل رزيق من النماص - كما سمعنا في بعض الروايات - رجل اسمه درويش بن مانع؟

هذا بعض الفضول حول هذه الأسئلة التي تدور في رأسي، ولم أجد لها جواباً. وأسأل الله لك طولة العمر بصحة وعافيه على طاعته، وجزاك الله كل خير .

المرسل محبك في الله

ابنك/عبدالله بن خالد آل رزيق الجبيري

جبل منعاء (محافظة تنومة)

يوم الثلاثاء (٢٣/٢/١٤٤٦هـ)



ملحوظ
مصدق
دكتور
١٤٤٦/٢/٢٣
١٤٤٦/٢/٢٣

تابع ملحق رقم (٥)

٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة الأستاذ الدكتور: فيثان بن علي بن جريس حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فيسرني إبلاغكم بأنه لا مانع لديّ من نشر كتابي (ردُّ أوهام المؤرّخين والنقاد حول الجزيرة العربية والشعر الجاهلي) على أن تكون جميع الحقوق العلمية محفوظة لي. ولكم الشكر وخالص الثناء.

محبكم: د. محمد بن أحمد الفتحي .

التاريخ (٢٥/صفر/١٤٤٦هـ)

ملحوظ

وصلني هذا الكتاب
عنه طريق الواسع
٢٠٢٥/٤/٢٢هـ

والتم الحرفه

و/ع



تابع ملحق رقم (٥)

٧٦

أخي الدكتور غيثان بن جريس... وفقه الله

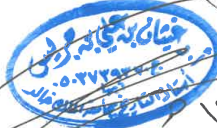
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛

اطلعت على مؤلفاتكم التي صدرت مؤخراً، ونسأل الله لك التوفيق والعون والسداد، وأن ينفع بما تؤلف من كتب ودراسات تعني بالتراث والمعارف والعلوم عن مناطق الجنوب خاصة، والمملكة العربية السعودية عامة، وهذه الجهود الكبيرة التي تقوم على قواعد ومناهج علمية وبحثية مباركة، بالإضافة إلى الجلوس والسماع من كبار السن ومن المثقفين في أنحاء المناطق التي غطتها زيارتك واتصالاتك، وهذا ليس بالعمل الهين. فأسأل المولى - عز وجل - أن يكتب أجرك، وأن ينفعك بما توثق وتؤلف من مراجع تنفع الدارسين والقراء والباحثين، وهذه المنجزات العلمية - بإذن الله تعالى - تكون من العلوم المفيدة والنافعة التي تجد أجراها عند الله. خالص تحياتي لك أخي الغالي الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس. وأقول: متعك الله بالصحة وكمال العافية والسلام .

المرسل أخوكم (أبوريان)
سعيد بن محمد العمري (مرة آل مرسل)
مدينة أبها (الجمعة ١٤٤٦/٢/٢٦هـ)

(*) وصلته هذه رسالة
عن طريق (الناتس)

يوم الخميس (١٤٤٦/٢/٢٦هـ)
رئيس المجمع



د/ غيثان
١٤٤٦/٢/٢٦هـ

تابع ملحق رقم (۵)

44

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه رسالة من الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس ، وهو صاحب عدد كبير من المؤلفات خصوصاً في مجال التراث، و التاريخ، والحضارة وله (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، وصلت الآن إلى ثلاثين مجلد .

وله هدف ورسالة خدمة مناطق جنوب المملكة العربية السعودية (تهامة وسراة)، والعمل الجاد على توثيق تاريخها وثقافتها وتراثها الذي أهمل في فترات وحقب تاريخية سابقة. وأوصي وأحث من لديه أي معلومة أو توثيقات عن أماكن أو شخصيات، سواء رجال أم نساء، فلا يستهين بها، وبالإمكان أن يزود بها الدكتور ابن جريس، فهو من خيرة من يوثق التاريخ الحافل والمشرف لبلادنا وأهلها، رغم تقدمه بالعمر ووضعه الصحي. أمد الله بعمره وجزاه عن أوطاننا وسكانها خير الجزاء، ومن قال آمين .

مرسل من محبكم / المستشار

محمد بن سعيد أبوهتله القحطاني

رئيس اللجنة الثقافية بمحافظة أحد رفيدة
والمشرف على منتدى الفعاليات في منطقة عسير

(السبت ٢٨/٢/١٤٤٦ هـ الموافق ١/٩/٢٠٢٤ م)

أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة

محکمہ
صفہ اولیٰ خطاب
مصلحتیہ کاغذ (وائس)
تیار (۲۸/۵/۱۴۴۶ھ)
۸ جن فیضانہ
صفہ پراسانہ

(۶) میری کتاب کے لئے حضور خطاب
اس لئے اچھے لکھنے والے کا نام
ملنے کے بعد اس کے لئے دعا کی گئی ہے

تابع ملحق رقم (٥)

٧٨

«خواطري حول الإهداء الأخير من الدكتور غيثان»

بقلم الأستاذ الدكتور/صالح بن علي أبو عرّاد

أستاذ أصول التربية الإسلامية في كلية التربية بجامعة الملك خالد (سابقاً).

E. mail:saabuarrad46@gmail.com

==_==_==

الحمد لله جليل النعم، باعث الهمم، ذي الجود والكرم، والصلاة والسلام
الأتمان الأكملان على خير البرية وأزكى البشرية، محمد بن عبد الله،
وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد؛ فقد تسلمت بيد الشكر والتقدير من
الأخ الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس الشهري، إهداءً جميلاً
تمثل في الآتي:

أولاً/ نسخة من كتاب عنوانه: مكة المكرمة وأجزاء من تهامة والسراة في
طبعته الأولى لعام (١٤٤٦ هـ/ ٢٠٢٤ م).

ثانياً/ نسخة من كتاب عنوانه: بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين
(١٤-١٥ هـ/ ٢٠-٢١ م)، [الجزء الثاني] في طبعته الأولى لعام (١٤٤٦ هـ/
٢٠٢٤ م).

جاء الكتاب الأول: (مكة المكرمة وأجزاء من تهامة والسراة)، الذي
يقع في (٤٦٢) صفحة مُشتملاً على مقدمة وخمسة موضوعات متنوعة.
ولعل مما يُمكن الإشارة إليه على محتوى هذا الإصدار ما يأتي: أنه يفتقر
إلى التناسق الموضوعي بين تلك الموضوعات الخمسة التي احتواها بين
دفتيه؛ فالموضوع الأول والموضوع الثاني وثيقا الصلة بعنوان الكتاب

(٥) در صندھذا کتاب

بنا بر (١٤٤٦ هـ/ ٢٠٢٤ م)

١٤٤٦ هـ

-١-



تابع ملحق رقم (٥)

٧٩

الرئيس (مكة المكرمة) وقد جاء في قرابة (١٦٦) صفحة من الكتاب، أما الموضوعات الثلاثة الأخرى وعناوينها؛ فهي غير وثيقة الصلة بمكة المكرمة؛ لأنها تتحدث وتتناول بعض الموضوعات المختلفة.

أن الموضوع الثالث يتعلق بمواطن أخرى في جبال السروات وتهامة وهي بلاد بني شهر وبني عمرو.

أن الموضوعين الرابع والخامس يتحدثان عن محتوى مقابلتين صحفيتين وما اشتملا عليه من طرح وتناول وإن كان في عمومهما تاريخياً إلا أنه لا يخرج عن نمط النسق الصحفي القائم على (السؤال والجواب).

وهنا تمنيت لو أن المؤلف جعل الموضوعين الأولين في كتاب واحد يحمل عنواناً مستقلاً وملائماً للمحتوى، وأنه جعل الموضوعين الرابع والخامس في كتاب آخر بعنوانٍ مختلفٍ ومناسبٍ للمحتوى. أما الموضوع الثالث فله طبيعته الخاصة التي تستلزم عنواناً مستقلاً.

أن ما اشتمل عليه الموضوع الأول والثاني في الكتاب، وإن كان عن مكة المكرمة وزيارة الكاتب للمسجد الحرام بمكة؛ إلا أنه لا يعدو أن يكون مجموعة من المشاهدات والانطباعات والتأملات التي رصدها الكاتب ودونها وأبدى انطباعاته حولها، وهذا جهدٌ علميٌّ له قيمته عند أهل الاختصاص إلا أنه لا يتناسق مع العنوان الرئيس للكتاب، ولو أن العنوان كان أكثر دقةً لكان أجدى وأنفع وأصدق.

أما الكتاب الثاني وعنوانه: (بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين ١٤-١٥هـ/٢٠-٢١م)، الجزء الثاني في طبعته الأولى لعام (١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م). والذي جاء في (٧٤٠) صفحة ويشتمل اثني عشر قسماً فقد تضمن توثيقاً

(٨) مصلحاً لكتاب
بناج (٨٠) / ٢ / ١٤٤٦
٢٠٢٤



تابع ملحق رقم (٥)

٨٠

متنوعاً لحضارة بلاد بني شهر وبني عمرو التي تُعدُّ جزءً من بلاد السروات وتهامة، والتي تتسم بغناها الطبيعي بالكثير من معالم التراث والموروث الحضاري عبر أطوار التاريخ.

والجميل في محتوى هذا الكتاب بعيداً عن الجانب العلمي والمعرفي يتمثل في الآتي:

أنه جمع هذه الموضوعات المتنوعة في تناولها العلمي بين دفتي كتابٍ واحدٍ بدلاً من تفرُّقها في أوعية معرفية متعددة.

أنه اشتمل في الصفحات من (٥٤٩-٧٤٠) على الملحق رقم (٢)، وهو ملحق الصور الفوتوغرافية التي حصل عليها المؤلف من أرسيف الأستاذ المصور القدير/ عبد الله بن جاري البكري الشهري، والتي لا شك أنها تُعدُّ إضافةً رائعةً وإثراءً جَمِلاً لمادة الكتاب.

أما المآخذ التي يُمكن التنبيه عليها فيمكن حصرها فيما أشار إليه المؤلف في الصفحة (١١) من مقدمة كتابه بقوله:

"...ولا تخلو الوثائق المنشورة من الإشارة إلى صورٍ من تاريخ بلاد بللحمر وبللسمر لأنها جزء من ديار الجُر التي تجمع القبائل الأربع (بنو عمرو، وبنو شهر، وبللسمر، وبللحمر). وربما ينالني بعض الانتقادات في هذا الجانب".

وهنا أؤكد ما ذهب إليه المؤلف وأتفق معه، وأقول: ليته لم يُشير إلى تلك الصور من تاريخ بلاد بللحمر وبللسمر؛ لأن ذلك لا يتفق مع عنوان الكتاب ولا موضوعاته، ويُعدُّ مخالفةً صريحةً للموضوعية والمصادقية المُتعارف عليها في التأليف من المنظور العلمي والمعرفي.

(٨٠) وصل هذا الكتاب
بتاريخ ٢٤/٤/١٤٤٦ هـ
٢٠٢٤/٤/٢٤

- ٣ -



تابع ملحق رقم (٥)

(٨١)

وعلى كل حال؛ فإن هذه الأسطر لا تعدوا مجرد (وجهة نظر) لا
تُنقص من إيجابية وقيمة هذا النتاج العلمي، ولا تُقلل من شأنه أبداً، فهو
جُهدٌ معرفيٌّ وتوثيقيٌّ له من يؤيده ويتفاعل معه.
وختاماً؛ أسأل الله جل في علاه أن يوفقنا جميعاً لصالح القول والعمل
والنية، وأن يجعل ما نقول ونكتب في موازين الحسنات، وأن تكون أعمالنا
خالصةً لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مدينة أبها بتاريخ
(٢٩/ صفر / ١٤٤٦ هـ)

(*) ملاحظ:

ورصدنا هذا الكتاب

بتاريخ (٣/٣/١٤٤٦ هـ)

واسم المصنف

د. فاضل



تابع ملحق رقم (٥)

٨٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سلمه الله

إلى الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

مرحبا مؤرخنا وذو الهمم العالية الكاشف عن تاريخ الأمم العلامة الدكتور/غيثان علي جريس الشهري حفظك الله ورعاك. كم أنا مسرور أن أوليتني هذه الثقة بل هذه المكرمة، وأن جعلتني من المساهمين معك بمعلومة تاريخية لم ترى النور من قبل، وهذا والله عمل جليل وعظيم، لا يقدر عليه إلا من كان لهم شغف البحث والاطلاع، وحركة الاستطلاع مع المعرفة والعلم، وكذلك طلب الثواب من الله (عزوجل)؛ وأنا أدون ذلك الوصف، وأرى فيك القدوة، ويعجبني أنك تجتهد في الاستقصاء عن الحقيقة، وهذا مما يثير في العزم على أن اشارك ولو بمعلومة محدودة. شكرا من الأعماق. سوف أبذل جهدي بتقديم بعض المعلومات حسب المقدرة، وقد يأخذ مني العمل بعض الوقت لانشغالي بمشروع خاص، لكنني جاد في خدمتك والتعاون معكم ان شاء الله. تقبل تحياتي ودعائي لك بالتوفيق في مهمتكم الوطنية .

المرسل محبكم

يوسف بن حسن الخيري

القنفذة - دوقة

(الأربعاء ١٤٤٦/٣/١ هـ الموافق ٢٠٢٤/٩/٤ م)

ملحوظ:

استكتضت
الخطاب يوم الخميس
١٤٤٦/٣/١ هـ

رأس الحرم
١٤٤٦/٣/١ هـ

غيثان بن جريس
أستاذ التاريخ
١٤٤٦/٣/١ هـ

تابع ملحق رقم (٥)

٨٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أستاذي الغالي الدكتور غيثان بن جريس المحترم

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

حيا الله أستاذي ووالدي الفاضل صاحب القلب الكبير، محبوب الجميع
لعلو قدره في النفوس بما زرعه من تواضع ودمائة خلق، وحُسن معشر.
وأسأل الله لك التوفيق والسداد .

وصلني خطابك وسأبذل ما في وسعي لتحقيق المنشود بإذن الله، وهو
لشرف كبير أن يكون طلب مثل هذه المشاركات ممن هو مثلك في مكانته
وقدره .

وفقك الله لكل خير، وجعل ما تقوم به من أعمال لخدمة البلاد والعباد حجاب
لك من النار . والله يحفظك ويرعاكم .

وتقبل خالص التحية والتقدير،،،

المرسل ابنكم ومحبكم

الدكتور/ حسن فيصل الشهري

مدينة المجاردة - منطقة عسير

(الخميس ٢ / ٣ / ١٤٤٦ هـ)

ملحوظ =
(*) وصلني هذا الخطاب

في صورة خطاب أرسلته
لهم من نفس مكتبتي

في صورة صورة =

جزء من مشاركتي

في ١٠٢٠ في ١٠٢٠

١٤٤٦ / ٣ / ١٤



تابع ملحق رقم (٥)

٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم
 سعادة الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس الشهري
 أستاذ التاريخ في جامعة الملك خالد بأبها
 سلمه الله ووفقه آمين
 السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

عطفًا على المحادثة التي جرت بيننا قبل بضعة أيام أرسل
 لسعادتكم ما التزمتُ به لكم من كتابة ملخص لأهم ماجرى
 الحديث عنه حول جبال السروات وقد جعلته بعنوان:
 السروات مقولات وانطباعات
 أرجو أن يسهم ببعض الأفكار المفيدة لمشروعكم الواعد الذي أنتم
 بصدد الكتابة فيه ، ولايفوتني أن أشيد بمنجزكم العلمي عن
 تاريخ السروات في الماضي والحاضر الذي بالإمكان أن يفيد منه
 أجيال من المؤرخين كسلاسل ومصفوفات عن الحياة في السروات
 من النواحي التاريخية والتعليمية والثقافية والحضارية بعامة
 ومن خلال برامج تدريبية وإعلامية تفيد منها الجامعة والمجتمع.
 زادكم الله من فضله وبارك في جهودكم ومتعكم بالصحة وطول
 العمر في طاعته ومرضاته.

محبتكم
 إسحاق بن عبد الله السعدي
 الجمعة ١٠ ربيع الأول ١٤٤٦ هـ
 الرياض

ملحق
 مكتبة كسنة مكتبة
 د/ غيثان بن علي

٢٢٢٦/٣٨



تابع ملحق رقم (٥)

رسالة الى بعض أعيان بلسمر بخصوص جمع مادة علمية عن تاريخ وحضارة الديار

الأسمرية يسعى الدكتور غيثان بن جريس لإعداده :

إلى الإخوان الفضلاء الكرام: الشيخ. د سعيد بن جرمان، والشيخ د عبدالله بن سرو، والشيخ. لواء. د عبدالعزيز عبدالله، ومعالى أ. دعوض بن خزيم بن مارد، ا.د عبدالله بن حلفان ال عائش، أ.دعبدالله بن حريميص، د علي بن موسى ال عائش، د رياض بن محمد بن حمود، والمستشار سعيد بن أحمد بن بريق، د سعيد بن سالم ال محسن ، واللواء. دعبدالعزیز بن ملوح، د عبدالله بن سعيد، دعلي بن فائز، د يحيى عامر. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. تحية طيبة مصحوبة بالتقدير والاحترام ، تعلمون أن بلسمر هي قبيلة حجرية أزدية لها تاريخ عريق يضرب في عمق الجزيرة العربية ولكنها فاقدة لتوثيق ذلك التاريخ توثيقاً رسمياً يتناسب مع عراققتها وقامتها وأنتم من الكوكبة التي تملك العلم في جميع المجالات ومنها التاريخ. برفق كتابي هذا رسالتين أحدها خطية والأخرى صوته للأستاذ الدكتور غيثان بن جريس يريد الدعم والمساعدة في مذكرات توثيقه لبلسمر استعداداً لطبعه وإخراجه في كتاب وجميع المطلوب موجود في خطابه. بلسمر أصبحت جداراً قصيراً عند بعض المؤرخين المتعصبين بسلبها كل مقدراتها التاريخية، وجميعكم تحملون شهادة علمية في جميع التخصصات وعندما يكون التوثيق بأقلامكم تكون المصادقية في المستقبل أصدق وأوثق، أرجو التكاتف وتزويد ابن جريس بالمطلوب بعد التفاهم فيما بينكم إن رأيتم ذلك . وكتابي هذا ليس توجيهاً أو أمراً عليكم ولكن من أخ صغير يحمل في آخر اسمه كلمة الأسمرى ويريد لبلسمر كل خير، فهل نجدكم من خلال هذا التوثيق تعسفون أقلامكم وتسخرونها لخدمة بلادكم . ننطلع إلى تسخير أقلامكم وعبير فكركم في هذا الموضوع الذي يحمل الأهمية القصوى، فأسعدونا في حياتنا كجيل مقبل على الشيخوخة، وأسعدوا أجيال قادمه بحفظ تاريخ قبيلتنا بلسمر، وأنتم قادرون على ذلك، ولديكم جميع المقومات التي تمهد الطريق لكم، انفضوا غبار الكسل والتكاسل وتعاونوا مع أخيها الدكتور/غيثان بن جريس في هذا الموضوع، وحقوقكم الفكرية محفوظة. تحياتي لكم بكل الحب والتقدير، المواطن الأسمرى، منصور بن حصان، (الاثنين ١٣/٣/١٤٤٦هـ).



تم حفظه في مكتبه
د/غيثان بن جريس
١٣/٣/١٤٤٦

تابع ملحق رقم (٥)

٨٦

رسالة محبة إلى أستاذي الدكتور غيثان بن علي بن جريس

(٢٦ / ٣ / ١٤٤٦هـ)

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد الأمين.. أما

بعد:

تفخر الأمم بعلمائها ويفخر الطلاب بأساتذتهم فهم مشعل النور الذي يقودهم في بداية مسيرتهم العلمية إلى مناهل العلم، فهم يمهّدون لهم الطريق بإعطائهم من خبراتهم وتجاربهم مما يختصر عليهم الوقت والجهد في سلوك الطريق والوصول لأهدافهم، فالعلماء ورثة الأنبياء والمثل الأعلى للأجيال القادمة.

قائمة من قامات التاريخ ومنهل من مناهل العلم مثل سعادة أ. د غيثان ابن جريس، لا يسعفني الكلام في ذكر مناقبه وتتبع مسيرته العلمية التي عاصرت طرفاً منها. فأحببت أن أكتب هذه العبارات وأرسلها لأستاذي أ. د. غيثان لأذكره بفضلله وأشكره على توجيهه. فمنذ كنت طالباً في مرحلة الماجستير في جامعة الملك خالد بأبها إلى اليوم وأنا أتعلم منه، فقد عملت تحت إشرافه على جزء من كتاب: مرتفعات الجزيرة العربية. للكاتب هاري سانت جون فلبّي (عبدالله فلبّي) الذي علق عليه وراجعه.

إن كلفني بتتبع مسيرة الرحالة فلبّي من منطقة السليل حتى مشارف بلاد قحطان (تثليث) التي ذكر فيها أنواع النباتات بأسمائها المحلية ووصف التضاريس وذكر أسماء المناطق ذكراً دقيقاً، وللمطلع على هذا الكتاب سيجد أن له قيمة علمية للمتخصص في التاريخ وأيضاً للقارئ المطلع. بذل فيه الكاتب جهداً كبيراً، وكتابته كانت ذات دقة متناهية. فكان إخراج هذا الكتاب

١ -
١٣/٤٦ ١٤٤٦هـ



تابع ملحق رقم (٥)

٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظه الله

الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس

شرفت بكريم إهداءكم، لعدد من مؤلفاتكم القيمة، التي ملئت ثراءً وعلماً، وهي كنز يفيد منها طالب العلم والباحث في شتى المجالات التاريخية والاجتماعية في بلدنا الحبيب. إضافة إلى المؤلفات التي تناولت المسلمين في الملايو، أو كتابات المستشرقين عن الجزيرة العربية، وهو ما يجعل القارئ يحمد الله عز وجل على نعمته بوجود أمثالكم من المخلصين للعلم وأهله، المستمرين في العطاء والكتابة والتأليف، بارك الله لكم في علمكم ومالككم وولدكم.

ولعلي أغتنم هذه الفرصة للاستفسار عن بعض كتابات المستشرقين - وأخص الرحالة منهم - عن بلدنا الحبيب، وقد تفاوتت زمنًا ومكانًا، كما تفاوتت في آلية العرض، وموقف المستشرق مما رأى وشاهد. ورغم تحيز كثير من هذه الكتابات وتأثرها بثقافة المستشرقين أنفسهم، أو ديانتهم، أو الغرض من رحلتهم، إلا أنها تظل سجلاً لكثير من المشاهد الاجتماعية الثقافية التي لم تحظى بالتسجيل والتدوين في المراجع الأخرى، وسؤالي حفظكم الله هو: على الرغم من الجهود الكبيرة التي تبذلها الجهات التاريخية وبعض المهتمين في التاريخ في بلدنا الحبيب؛ إلا أنني ما زلت أجد أن هذه الكتابات لا يجمعها جامع، وبعضها لم يترجم حتى الآن، فهل من الممكن أن يوضع فهرس وشامل لكل ما

١٤٤٦ هـ

١٣/٢٩

١ -



تابع ملحق رقم (٥)

١٩٩

كتب عن بلدنا الحبيب في سائر الأزمنة الحديثة، يرصد هذه الكتابات المتفرقة ويسجل أسمائها، وزمنها، وما ترجم منها، وما لم يترجم، يقوم عليه نخبة من الباحثين ليكون مرجعاً لمن أراد الاستزادة أو البحث في المواقف والأحداث التي قد تكون هامشية في نظر المؤرخين ولكنها ذاتها ذات أهمية كبيرة للباحثين والقراء. ومثلكم حفظكم الله خليق باستنهاض الهمم لمثل هذا المشروع.

هذا وأسأل الله عز وجل أن يديم عليكم صحته وعفوه وعافيته، وأن يبارك لكم في عمركم وعملكم، وأن يجزيكم عن العلم وأهله وعن الوطن وأبنائه كل خير.

ابنكم

ا.د. صالح بن عويد الحربي

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

١٤٤٦ / ٣ / ٢٩



١٤٤٦ / ٣ / ٢٩
٢٠٢٤ / ١٠ / ١٥

تابع ملحق رقم (٥)

٩٠

سعادة الدكتور غيثان بن جريس

السلام عليكم ورحمة الله .. وبعد :

اطلعت على خطابك المؤرخ في (١٢/٢٨/١٤٤٥هـ) حول طلبك مادة علمية عن أي موضوع في بلاد تهامة والسراة، وأرسل لك مقالة مختصرة عن:

أسرة آل مصعق واثنين بلّسمر .

من أهم الأسر الرائدة في بلّسمر على مر التاريخ، أسرة آل مصعق بن علي بن حسن المنحدرة من أسرة آل عوضه في اثنين بلّسمر، ممن كان لهم دوراً بارزاً في المنطقة والاتصال بالقيادة السعودية منذ تأسيس الدولة السعودية الحديثة، وكذلك بالمساهمات الميدانية العملية في جنوب المملكة العربية السعودية، ومنها أربع مشاركات سياسية وعسكرية خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)، للشيخ علي بن مصعق الأسمرى، وهي:

١- حرب الحديدة لمدة عشرة أشهر .

٢- حرب القهر مرتين .

٣- حرب ميدي في اليمن .

وإلى يومنا الحاضر ومازال لدى هذه الأسرة استشعار واجب القيام بالتعاون مع ولاية الأمر (حفظهم الله) لخدمة وتوطيد الأمن والاستقرار، والقيام بالواجبات الاجتماعية بصفة عامة لمنطقة عسير، وبلاد بلّسمر على وجه الخصوص، وتراهم مجتهدين في بذل كل إمكانياتهم للكثير من الجوانب الإنسانية والوطنية، حيث نجد منهم من تبرع في سابقة قل نظيرها من

تابع ملحق رقم (٥)

(٩١)
أملأكه الزراعية والعقارية مجاناً في المواقع المميزة في وسط مركز بلسمر، لتصبح أماكن ومقرات للمركز الصحي والعديد من المدارس والمجمعات التعليمية بمراحلها المتعددة، وذلك لدفع عجلة التقدم الصحي والتعليمي في بلادهم. وفي مقدمة هذه الأسرة الشيخ علي بن مصعق، ثم أولاده ومنهم شيخ قبائل بلعزمة من بلسمر الحالي الشيخ طراد بن علي بن مصعق، الذي أتى خلفاً لوالده وأجداده وتحمل المسؤولية بكل شرف وكفاءة.

وتشير العديد من المصادر والخطابات والوثائق إلى أسرة آل مصعق التي كان لها ولقبائلها السبق والشرف في تأسيس سوق الإثنين التاريخي في مكانه الحالي بسرورات بلسمر، كما كان لهم قديماً دور إدارته ورعايته أمنياً وتنظيمياً وتجارياً وإعلامياً، ومن ذلك تأمين المسافرين إلى السوق على الطرق التي تؤدي إليه وتعود منه، وتوفير الأمن والاستقرار فيه، ومنع الفوضى والخصومات والمنازعات التي تحصل أحيان بين المتسوقين على مستوى الأفراد والقبائل، حتى أنه حصل ذات مرة خروج شعبان (حنش) في السوق يوم الاثنين بين المتسوقين، فاعترض له متسوق ليس من قبيلة أهل السوق فقتل الشعبان، فقامت القبيلة التي يوجد السوق في أرضها بئار الحنش، وتتبعوا المتسوق الذي قتل ذلك الشعبان وقتلوه في ديرته، وقالوا هذا واجبهم في حماية سوقهم ومنع أي اعتداء فيه، ثم إن الحنش لم يؤذ أحداً في السوق، ولو صدر منه أذى فعلي على أي أحد من المتسوقين، فإنهم يرون أنه ليس لأحد الحق غيرهم أخذ ثار المعتدى عليه، وقد أعطى هذا الحدث سوق اثنين بلسمر اسماً مرادفاً هو (سوق الحنش)،

تابع ملحق رقم (٥)

ومما هو متعارف عليه، ونشاهده في وقتنا الحاضر، أنه تم تخصيص الموقع المناسب والاستراتيجي لهذا السوق مع مسجد جامع كبير بجواره، وسط أملاك آل عوضه التي تنحدر منها أسرة آل مصعق منذ قرون عديدة، وهذا يدل على امتداد الخدمات المجتمعية والتبرعات المتواصلة لهذه الأسرة المباركة من عهد الأجداد حتى زماننا الحالي، والسوق مازال في موقعه الحالي على الطريق الدولي بين أبها والطائف المسمى (طريق الملك فيصل) حتى وقتنا الحاضر. وصل الله وسلم على الرسول الكريم، محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة والسلام .

بقلم العميد المستشار الأمني

سعيد بن أحمد الأسمرى

(الاثنين ٤/٤/١٤٤٦ هـ)

(الموافق ٧/١٠/٢٠٢٤ م)

وصلني هذا

الكتاب

(٤/٤/١٤٤٦ هـ)

رئيس اللجنة



٢٠٢٤

تابع ملحق رقم (٥)

(٩٣)

وفقه الله

سعادة أ. د غيثان بن جريس

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..... وبعد :

تلقيت بسرور بالغ إصداركم الجديد الواقع في جزئين بعنوان: (عسير في الوثائق العثمانية). بالاشتراك مع باحثين آخرين. إن هذا الإصدار الثمين إضافة قيمة تخدم منطقة عسير وتفتح المجال واسعاً أمام الباحثين لدراسة هذه الوثائق وتحقيقها والتعليق عليها.

أتقدم لكم بالشكر على هذا المجهود الوافر، وأرجو الله لكم دوام التوفيق وموفور الصحة والعافية

المرسل محبكم :

د. إبراهيم بن محمد الهاللي، محافظة البرك ، منطقة عسير
(الخميس ٢٠٢٤/١٠/١٠ الموافق ١٤٤٦/٤/٧ هـ)

وصلت
هذه الرسالة
ع (٢٠٢٤/١٠/١٠)



د. محسن

تابع ملحق رقم (٥)

٩٤

المؤقر

الدكتور غيثان بن جريس

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو أن تكون بصحة وعافية. أنا عبدالله بن إبراهيم آل مقبل القرني، مهتم وباحث في التاريخ والتراث والحضارة، وأطلعت على كثير من جهودكم العلمية المطبوعة والمنشورة، وآخرها إصداركم كتاب (عسير في الوثائق العثمانية)، بارك الله فيكم وزادكم من فضله وعلمه.

والحقيقة أريد أعرف يا دكتور فيما ظهر لكم من وثائق عن تاريخ بلقرن، لأن أسرتي (آل علي) كانت تحكم قبيلة بلقرن، من الجد علي (وهو ما نعرفه ونحفظه، ثم ابنه ناصر، ثم جاري بن ناصر بن علي، وأخيراً غرم بن ناصر بن علي، الذي توفي وهو عائد من الحج في الطائف. وكان مقر الحكم في قرى الزارية من بلقرن. لكن لم أجد وثائق عن تلك الحقبة. أحببت أن استزيد بآرك الله فيكم وفي علمكم إذا تعرف اي شيء من ذلك، أو توفرت لديكم معلومات في هذا الجانب. ودُمت بخير .

المرسل أخوكم

عبدالله بن إبراهيم آل مقبل القرني

(٩ / ٤ / ١٤٤٦ هـ)



١٢٢٦/١٢/١٩

تابع ملحق رقم (٥)

حفظه الله

أخي الكريم سعادة الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...، وبعد:

٩٥

كيف حالكم والأسرة الكريمة، أسأل الله أن تكونوا بخير وعافيه وست من الله، لو تكرمت ذكر الشيخ حمد الجاسر في كتابه: المعجم الجغرافي للبلاد السعودية، (وادي آل المرقع) في منطقة نجران، وسؤالي، أين يقع هذا الوادي؟ مع ملاحظة أن يكون تغير الاسم، وأيضا هل يوجد في بلاد نجران أو ما جاورها موضع يُعرف بهذا الاسم، ومن المحتمل أنه اندثر أو تم استبداله بمصطلح آخر؟، أرجو منكم إذا تعرف أي شيء عن هذا المكان إفادتنا، وجزاكم الله كل خير وبارك فيكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المرسل/ محبكم عبدالله الكندي

(الاثنين ١١/٤/١٤٤٦هـ)

تم الاطلاع
رَحْمَةُ اللهِ
عَ عَلَيْهَا



١١/٤/١٤٤٦هـ

تابع ملحق رقم (٥)

سلمه الله

أستاذي الدكتور غيثان بن جريس

(٩٦)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

اسعد الله أوقاتكم بكل خير يادكتورنا الغالي ، وأدام الله بقاءك على طاعته .

لقد اصدرت انت ، والدكتور رشاد الطنيني ، والدكتور أنعم الكباشي دراسة لترجمة الوثائق العثمانية لمنطقة عسير ، في مجلدين ،

وكان هذا العمل العلمي مميزًا ، ويخدم التاريخ والمؤرخين ، ويستحق الاشادة .

فأوجه لكم كل الشكر والتقدير على ماقدمتموه لخدمة وطنكم ، وحفظ تاريخ منطقتكم المشرف ، وجهودكم المبذولة والمشكورة ، سائلين المولى لكم صلاح النية والذرية والتوفيق والسداد في كل امور حياتكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المرسل محبك في الله وتلميذك / عبدالله خالد ال رزيق الشهري

حرر يوم الخميس (١٤ / ٤ / ١٤٤٦ هـ)

تمت
عنه أودته
مكتبة



د / غيثان
١٤٤٦ / ٤ / ١٤ هـ

تابع ملحق رقم (٥)

قراءة في كتاب عسير في الوثائق العثمانية

(١٣٠٠-١٣٢٧هـ/١٨٨٢-١٩٠٩م)

٩٧

صدر حديثاً كتاب بعنوان: عسير في الوثائق العثمانية (١٣٠٠-١٣٢٧هـ) للدكتور غيثان بن جريس وآخرين. وهذا العمل ترجمة (٢٢٤) وثيقة عثمانية إلى اللغة العربية. فالجزء الأول يحتوي على المقدمة الرئيسية للجزئين، ثم ترجمة (٢٣١) وثيق. والجزء الثاني يشتمل على الخاتمة العامة للمجلدين وترجمة (١٩٣) وثيقة أخرى.

عندما ندرس التاريخ الحديث لمنطقة عسير، نجد العثمانيين وصلوا إلى هذه البلاد في بدايات القرن (١٣هـ/١٨-١٩م)، واستمروا في صراعات مستمرة مع أهل البلاد. وفي ثمانينيات القرن الثالث عشر الهجري سيطروا على معظم بلاد تهامة والسرّة إدارياً وعسكرياً حوالي خمسين عاماً، واتخذوا من مدينة أبها مقراً رئيسياً لإدارة البلاد، واطلقوا عليها اسم (متصرفية عسير). وهذه الوثائق المترجمة في هذين الجزئين تشرح تفصيلات كثيرة عن تاريخ تلك المتصرفية خلال السبع وعشرين سنة الأولى من القرن الرابع عشر الهجري (١٣٠٠-١٣٢٧هـ/١٨٨٢-١٩٩٠م).

اطلعت على مادة هذا الكتاب فوجدتها مادة علمية جيدة من مصادر تاريخية أساسية باللغة العثمانية وجرى ترجمتها إلى اللغة العربية. ومعظم المعلومات الموثقة ما زالت تستحق الكثير من الدراسات والتوثيق والتحليلات العلمية. والباحثون الذين أنجزوا هذا البحث اكتفوا بترجمة النصوص العثمانية إلى العربية، وكنت أتمنى أنهم أجروا دراسة علمية وتحقيقاً لهذه الوثائق العثمانية الأصلية التي تعكس صفحات من تاريخية وسياسية وعسكرية وحضارية مهمة حدثت في بلاد عسير خلال الفترة المشار إليها في عنوان الكتاب. وأرجو

وصلى الله عليه وسلم
١٧/٤/١٤٤٦هـ

- ١ -

غسان بن جريس
٥٠٣٧٩٣٧٠٤
مستشار التاريخ في جامعة الملك سعود

تابع ملحق رقم (٥)

(٩٨)

من أصحاب الدراسة أو باحثين آخرين أن يدرسوا هذه الوثائق علمياً ولغوياً وتوضيحياً وتحليلياً حتى تكون فائدتها أشمل وأفضل وأعمق.

وجدت صعوبة في قراءة المادة المترجمة، والمنشورة لكثرة التفاصيل المطبوعة، وكذلك لأنني غير متخصص، لكن من خلال الاطلاع على مقدمة الكتاب وخاتمه خرجت ببعض النقاط الرئيسية، وأذكر شيئاً منها في العناصر الآتية:

١- إن متصرفية عسير، أو موم بلاد تھامة والسرارة مازالت بحاجة كبيرة إلى دراسة تاريخها وتراثها وحضارتها المختلفة. واتضح لي أن هناك الكثير من المصادر والمراجع العربية وغير العربية التي يوجد فيها مادة علمية جيدة عن تاريخ هذه البلاد خلال العصر الحديث وبخاصة في القرنين (١٣- ١٤هـ/ ١٩- ٢٠م). ونأمل من الباحثين والمتخصصين أن يبذلوا جهوداً جادة وكبيرة في خدمة هذه البلاد من خلال المواد العلمية الرئيسية كالمخطوطات والوثائق والآثار وغيرها.

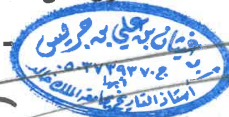
٢- يبدو أن تاريخ جنوب المملكة العربية السعودية قبل القرن (١٣هـ/ ١٩م) غير معروف، ولا يوجد عنه بحوث ودراسات علمية رصينة في هذا المجال. ولا يعني ذلك أن هذه البلاد ليس لها تاريخ وحضارة قبل الإسلام وبعده حتى نهاية القرن (١٢هـ/ ١٨م). فالذهاب في أرجاء هذه الديار يرى الكثير من المعالم الجغرافية والآثار المادية القديمة التي تؤكد على وجود تراث وتاريخ وحضارة قديمة. وأعتقد أن المؤرخين والمؤلفين وكتّاب التراث الأوائل لم يهتموا بهذه الأوطان في مدوناتهم ومؤلفاتهم.

٣- بعد قيام الدولة السعودية الأولى، وظهور إمارات محلية في أرض تھامة والسرارة، ثم وصول بعض القوى الإسلامية والأجنبية إلى هذه البلاد خلال القرن (١٤هـ/ ١٩م)، بدأت المصادر التاريخية المكتوبة متوفرة للمؤرخين والباحثين وغيرهم.

٤- إن موثقي هذه الدراسة قدموا لنا صفحات عن تاريخ منطقة عسير وما حولها خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن الهجري الماضي، ويشكرون علي ذلك

٢ (١٧/٤/١٤٤٦م)

- ٢ -



تابع ملحق رقم (٥)

(٩٩)

وأعتقد أنه مازال هناك الكثير من الوثائق العثمانية، والعربية، والأجنبية التي لم تخرج للناس حتى الآن. ونرجو من الجامعات المحلية في جنوب المملكة العربية السعودية، ومن أقسام التاريخ والحضارة تحذيراً، ومن مراكز البحوث المتخصصة أن يلتفتوا لهذا النوع من المصادر الأصلية فيحصلون عليها، ويترجموها ما يحتاج ترجمته، ودراسة وتحقيق وتحليل المصادر العربية الوثائقية المحفوظة في الأرشيف الداخلية والخارجية.

٥- نجد المترجمين والدارسين لهذا العمل العلمي قد ذكروا معلومات لا بأس بها عن مناهجهم في الترجمة والدراسة بهذه الوثائق، وكيفية فهرستها، وشيئاً عن موضوعاتها، ومصادرها، ولحات من إيجاباتها وسلباتها.

٦- إن القائمين على هذا العمل العلمي حددوا مادة كتابهم في العقدين والنصف الأولى من القرن (١٤هـ/١٩-٢٠م)، ولا أدري هل سوف يستكملون هذا النوع من الوثائق إلى نهاية عصر الدولة العثمانية في عسير. ونأمل أن نراهم أو غيرهم يهتموا بجمع وترجمة ودراسة وتحقيق الوثائق العثمانية في جنوب شبه الجزيرة العربية، وبخاصة السروات وقحمة، خلال القرن (١٣هـ/١٩م) وهذا الذي نرجوه ونتطلع إليه.

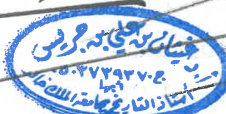
ما تم ذكره أعلاه ليس تقليلاً من الجهد المبارك الذي أصدره الدكتور غيثان بن جريس وزملائه. ونقول لهم شكراً جزاكُم الله كل خير. وعملكم هذا قد يفتح مبادرات أو أبواباً جديدة في مجالات البحوث التاريخية والحضارية عبر عصور التاريخ والحمد لله أولاً وأخيراً أن نرى بلادنا (المملكة العربية السعودية) مخدمومة من مؤرخين وباحثين جادين، وليس هذا الكتاب موضوع مقالتي إلا نموذجاً جيداً من نماذج علمية عديدة في طول البلاد وعرضها. وصلى الله وسلم على الرسول الكريم محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

بقلم

محمد بن غرمان العمري

(١٤٤٦/٤/١٧هـ)

- ٣ -



تابع ملحق رقم (۵)

1.

أخي الدكتور غيثان بن جريس السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اطلعت على الكثير من مؤلفاتك، وأقول: ما شاء الله تبارك الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أسأل الله أن يحفظك، ويمدك بالصحة والعافية، وطول العمر وحسن العمل، إنها جهود مشرفة. وأنت يا أبا المثنى ثروة وطنيه، أثريت المكتبة العربية بأبحاثك ومؤلفاتك، أسأل الله أن ينفع البلاد والعباد بعلمك وأثرك، وجهودك تفخر بها دولتك، وتباهي بها الأمم، ونقشت اسمك على حجر الزمن، ليكون خالداً إلى ما شاء الله، جزاك الله خير الجزاء على ما قدمت لدينك ووطنك وأمتك وولاة أمرك، وأسأل الله أن يجعل كل ما قدمت، من خلال هذه الأبحاث، في ميزان حسناتك. وتقبل تحياتي وتقديري أستاذي الكبير.

المرسل: محبكم / أحمد بن تركي العبسي

الجمعة (٢٢/٤/١٤٤٦هـ)

[illegible]

(٢) سيرة ذاتية مختصرة



أولاً : معلومات عامة

غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس الجبيري الشهري

- ١- من مواليد محافظة النماص ببلاد بني شهر عام (١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م).
- ٢- تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي في محافظة النماص وحصل على الثانوية عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).
- ٣- تلقى تعليمه الجامعي في مدينة أبها بفرع جامعة الملك سعود، قسم التاريخ، وتخرج في عام (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
- ٤- ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية ودرس جزء من درجة الماجستير في جامعة تكساس بمدينة أوستن (University of Texas at Austin)، ثم انتقل إلى جامعة إنديانا في مدينة بلومينجتون (University of Indiana) وتخرج فيها عام (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
- ٥- ذهب إلى بريطانيا وحصل على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة مانشستر (University of Manchester) عام (١٤٠٩هـ - ١٤١٠هـ / ١٩٨٩ - ١٩٩٠م).
- ٦- عاد إلى جامعته في أبها وعمل في العديد من الأعمال الإدارية والأكاديمية بالإضافة إلى رئاسة القسم حوالي ثلاثة عشر عاماً.
- ٧- حصل على درجة الاستاذية في نهاية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م)، ويُعد أول من حصل على هذه الدرجة العلمية من خريجي كليات وجامعات الجنوب السعودي .

ثانياً : عضوية المجالس والمؤسسات المحلية والعربية والعالمية :

- ١- رئيس تحرير مجلة ببادر الصادرة من نادي أبها الأدبي في الفترة من عام (١٤١٥هـ - ١٤١٩هـ / ١٩٩٥م - ١٩٩٩م) .
- ٢- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .
- ٣- عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة .
- ٤- عضو الجمعية السعودية التاريخية .
- ٥- عضو جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي.
- ٦- أول مشرف لكرسي الملك خالد للبحوث العلمية بجامعة الملك خالد .

تابع سيرة ذاتية مختصرة

ثالثاً : المحاضرات العامة، والمؤتمرات، والندوات، والحوارات المحلية والإقليمية والعالمية، بالإضافة إلى حصوله على بعض الجوائز والتكريم:

- ١- قدم حوالي (٢٠٠) محاضرة عامة، وشارك وقدم أوراقاً علمية في أكثر من (٢١٠) ندوة، أو مؤتمر، أو لقاء علمي، أو ورشة عمل.
- ٢- حصل على جائزة عبد الحميد شومان على مستوى العالم العربي، في العلوم الإنسانية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).
- ٣- تم تكريمه من قبل نادي أبها الأدبي في (١٤١٨/٢/٥هـ / ١٩٩٧م) بمناسبة حصوله على درجة الأستاذية بتميز.
- ٤- تم تكريمه في عدد من الملتقيات مثل ملتقى بني شهر الأول في الرياض عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، وملتقى زهران العاشر عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).
- ٥- تم تكريمه ضمن شوامخ المؤرخين العرب في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة عام (٢٠١٣م)، وتاريخ هذا التكريم كان يوم الأربعاء (٢/محرم/١٤٣٥هـ الموافق ٦/نوفمبر/٢٠١٣م).
- ٦- تم تكريمه من قبل وزارة الثقافة والإعلام السعودي في معرض الكتاب الدولي الثامن بالرياض عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م). وفاز كتابه : الوجود الاسلامي في أرخبيل الملايو بجائزة الوزارة في ذلك العام (١٤٣٥هـ)
- ٧- حصل على جائزة معالي مدير جامعة الملك خالد في مستودع الأبحاث الرقمية العلمية يوم الثلاثاء (١٨/٨/١٤٤٠هـ الموافق ٢٣/٤/٢٠١٩م).
- ٨- دشنت جريدة الوطن السعودية موقع الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس الإلكتروني، في مقرها الرئيسي بمدينة أبها يوم الاحد (٣/٣/١٤٤٠هـ الموافق ١١/١١/٢٠١٨م)، وحضر حفل التدشين حوالي (١٥٠) شخصية من المسؤولين ووجهاء منطقة عسير.
- ٩- تم تكريمه في نادي أبها الأدبي كأحد رواد البحث العلمي في مجال التاريخ والحضارة العربية والإسلامية يوم الثلاثاء (١٩/١١/١٤٤٠هـ الموافق ٢٢/٧/٢٠١٩م).
- ١٠- زيارة وتكريم مجموعة (أبها عطاء ووفاء) لغيثان بن جريس في منزلة بأبها في (١٧/١١/١٤٤١هـ الموافق ٨/٧/٢٠٢٠م)، وكان برفقتهم رئيس جامعة الملك خالد وبعض المسؤولين في الجامعة.
- ١١- تم تكريمه كضيف شرف في ديوانية بني شهر بمحافظة تنومة في منطقة عسير يوم الخميس (٢٨/١٢/١٤٤٥هـ الموافق ٤/٧/٢٠٢٤م).

رابعاً : النتاج العلمي :

- ١- ألف وترجم ونشر أكثر من (٨٩) كتاباً. (جميعها مطبوعة ومنشورة ورقياً ورقمياً).
- ٢- قام بتحقيق ومراجعة وتقديم العديد من الكتب والمجلات.
- ٣- نشر أكثر من (٤٥٠) بحثاً علمياً في مجلات وكتب علمية وثقافية، معظمها باللغة العربية وبعضها باللغة الانجليزية.

History of the South

A Historical and Cultural Encyclopedia

(Prehistory - 15th H. / O - 21st G.)



Volume: 30



Prof. Ghithan bin Ali bin Jrais

Previous Professor of History at King Saud

University and King Khalid University

First edition

1447 H / 2025 G



History of the South

A Historical and Cultural Encyclopedia
(Prehistory - 15th H. / O - 21st G.)

Volume : 30

Prof. Ghithan bin Ali bin Jrais

Previous Professor of History at King Saud
University and King Khalid University

First edition

1447 H /2025 G